

الحياة الطيبة

تصنيف
الإمام أبي بكر الأندلسي
للتوفيق

الجزء الأول

مطالع

مكتبة وطبعة كبرياء قوترا - سمارغ

إندونيسيا

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي

وفلسفته في الإحياء

بمقدم

الدكتور بدوي طيانة

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

الجزء الأول

مكتبة وطبعة "كرياطة فوترا" سمارا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الفرزاني وأخيه، يلوم الذين

تمهيد في التصوف الإسلامي :

- ١ -

جاء الإسلام على فترة من الديانات ، وبث محمد صلوات الله وسلامه عليه على فترة من الرسل ، ليبيد لعقيدة التوحيد صفاءها وقاءها ، ويطهرها من أدران الشرك والوثنية ، وليعدل زيف البشرية في عقائدها وعبادتها ومعاملاتها ؛ وليرسي القواعد الأساسية التي تقوم عليها صلة الإنسان بربه ، وتنهض بها علاقته بأخيه الإنسان ؛ وليرسم للناس مقاييس السلوك ، ويتم مكارم الأخلاق ؛ ويضع بكل ذلك دستوراً لمجتمع قوى سليم ، تصان فيه حقوق الإنسان وحرياته ، وتحدد فيه أعباؤه وتكاليفه في المجتمع الذي يعيش فيه .

وكان في تعاليم الإسلام ونصوص القرآن أكبر باعث على تنمية الضمير الإنساني .

قد جعلته تلك التعاليم يستند أن عليه رقيقاً حسيباً : « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدُنْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » ، وهو بعد الله كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه ، وهو القى : « يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ » . وبذلك يعلم أنه لو خُلِّيَ بينه وبين المصيبة لما اقترفها ، لأنه يرى بضميره ذلك الرقيب في السر ، كما يرى آياته ماثلة شاخصة ، ويراه في جنح الظلام ، كما يرى الذين يخشام في راسمة النهار وأنها : « إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْذَلٍ فَتَكُنْ فِي صَفَرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ » .

وخلاصة مبادئ الإسلام مبدآن : عملٌ للدنيا وعملٌ للآخرة . يتلخصان في قوله تعالى : « وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَعِيمَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأُخِينْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ » . وقول الرسول : « أعملْ لدنياك كأنك تعيش أبداً ، وأعملْ لآخرتك كأنك تموت غداً » .

ومقتضى العمل للدنيا أن يكون الإنسان فرداً فصلاً يؤثر فيها حوله ، ويتأثر بما حوله . وليس للحق مناص من خوض مشترك الحياة ، يضطرب فيها يضطرب فيه الناس ، ساعياً في رزق ، أو طالها الجهد وكرامة ، وتلك سنة الحياة وطبيعة الأحياء ، وإن تجدد لسنة الله تبديلاً مادامت السموات والأرض .

وإذا وجدت فكرة التبطل والاقطاع شيئاً من الدعوة إليها ، فإن في النصوص الصريحة من الكتاب والسنة ما يؤيد فكرة العمل وما يبحث عليها وبطالها بها في إصرار وتوكيد ، حتى تصبح فكرة التبطل والاقطاع وسيلة لتكبح جماح النفس ، والمبالغة في طلب الحياة والمم من عليها ، واستسلام النفس للغزوات وحب الشهوات .

وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أصدق شاهد على ذلك ؛ وهو القدوة لكل مسلم ، وأقرب الخلق إلى الله سبحانه وتعالى ؛ ومنتهى القول فيما به إنسان كامل : « قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » .

وآثاره صلى الله عليه وسلم في العمل والكسب كثيرة ، منها قوله : « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ، ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة الشهداء » . ورويت عائشة رضي الله عنها أن النبي صنع شيئا ترخص فيه ، وتزهد عنه قوم ، فبلغه ذلك . فحمد الله ، ثم قال : ما بال أقوام يتزهون عن الشيء أصنعه ؟ فوالله إني أعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية !

هذا العمل نفسه ، وإن كان للدنيا ، وإن كان للفرد يقتصر به خيره أو خير غيره ، عمل للآخرة إذا ما اتبع فيه الحق ، وأنصف نفسه من غيره ، وأنصف الناس منه ، وابتنى بذلك الإنصاف وجه الله والدار الآخرة ، وراعى أصول العقائد والعبادات التي تكون بين العبد وربه ، لا تتجاوز تلك الدائرة إلا قليلا .

وهكذا كان القصد والاعتدال من سنن الإسلام ، الذي يحقت النواشد للقت . فالإسراف في النفقة رذيلة ، والسرقة من إخوان الشياطين ؛ مع أن بذل المال مطلوب ، وكثره يوجب العقاب : « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ تَتَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ » . ولكن الذي يضيع ماله على خلاف مقتضى العقل والشرع ، ولو في الخير كبناء للساجد ؛ سفيه يبنى الجبر عليه ومنعه من التصرف في ماله .

والذي يعنت نفسه في ضروب العبادات ويبالغ فيها مسرفا ، كالمليت الذي لا يقطع أرضا ، ولا يبقى ظهرا . ومثله سواء بسواء القبل على الدنيا ، الماكف على لذتها ، التهاكف على عرضها الزائل ، الذي شغل بها عما عند الله ، وغفل عن حق ربه ، وحق دينه ، وحق غيره فيما عنده .

كذلك كان الإسلام ، وكذلك كانت سماحة الإسلام : فرض على المسلم صلاة وزكاة وصوما وحجبا ؛ وكتب عليه جهادا لا يقوى عليه إلا بحسن التدبير الذي يستلزم صحة الأبدان وصحة العقول ، وإعداد المال والرجال ، من غير طغيان حق على حق ، أو إضرار المأجلة على الآجلة .

وسار المسلمون هذه السيرة في الصدر الأول ؛ حتى آل الأمر إلى ملك عضوض ، أصبحت فيه السياسة فنا لا يتخرج فيه عن الوسيلة في التماس النبلية ، وطلعت المادية على رجال الحكم ، وقدم في ذلك رعاياهم ، فأقبلوا على الدنيا وعكفوا على ضروب الخداع والبهو ، واتخذوا الجوارى والقيان ، وسكنوا القصور ، وعمروا الأرض ، واصطنعوا الملاذ التي كان يرفع عنها المسلمون في الصدر الأول ، وحاموا حول الشبهات ، واستهقروا بها ، وتأولوا في استباحتها أي القرآن وسنة النبي .

وقد كان خلفاء بني أمية سياستان اقتضاهما الحفاظ على الملك في يديهم بتوارثه أبناؤهم وخلفاؤهم ، فهم يقيمون سياسة القمع ويصلون السيف والعسف مع الخارجين عليهم من أهل العراق الذين كانوا شعبة لملئ وأهل بيته ؛ وهم يبتلونهم بالجفأة الغلاظ من الولاة والعمال ؛ على حين يصانسون أشرف الحجاز الذين كانت قلوب الساخطين النافقين على سياسة بني أمية تنطلق إليهم ، فترى الخلفاء يلبنون لهم في القول ويتجاوزون عن مسيئتهم ، ويشجعون حياة اللهو والترف فيهم بما يقدون عليهم من المعطاء ، ليشغلهم عن التطلع إلى الخلافة وإلى مناصب القوة .

أما ذوو الجاه الذين مذلم السطان في الأسباب فظلوا سادرين في لهوم وترههم . على حين ينس الآخرون من عامة أهل الحجاز وسواد أهل العراق من كل سبب من أسباب الدنيا .

وكان هذا اليأس من المنصب والحرم من البر والفرار من الفتنة التي حدثت في صفوف المسلمين ، مدعاة لكونهم على العبادة والزهادة ؛ فانطوا على أنفسهم ، يتذكرون كتاب الله وسنة نبيه ، ويشغلون أنفسهم بقصص العظ والزهد ، والتصبر بما وعد الله الصابرين من الأجر وجزيل الثواب .

ماد هؤلاء إلى نصوص القرآن والسنة النبوية يستخلصون منها نصوص الترضيب فيما عند الله وابتغاء ثواب الآجلة ليجعلوه منهجهم في الدار الآتية ؛ ورأوا الزهد والانصراف إلى العبادة مرقاة الصعود إلى الله وكسب رضاه ، والوصول إلى المعرفة الكاملة بملكوت الله ، وهم يوقنون أن أسرار الملكوت محبوبة عن القلوب التي دنسها حب الدنيا التي استغرق أكثر همها طلب العاجلة ؛ بما فيها من رفد وزينة وجاه وسلطان: « زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالنِّصَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْهَامِ وَالْخَرْقِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ » .

والأصل هو معرفة الله تعالى ، ثم سلوك الطريق إليه ، فأما أمر الآخرة فيمكن فيه الإيمان المطلق ، فإن للعارف المطيع معاداً مسعداً ، وللجاهد العاصي معاداً مشقياً ، فأما معرفة تفصيل ذلك فليس بشرط في السلوك ، لكنه زيادة تكميل للتشويق والتحذير ^(١) .

وذلك الأصل هو الذى أنفى فيه أولئك زهرة حياتهم ، وهو الذى أنفقوا فى التعرف عليه جبل ما وهبوا من عقل وتفكير ، وهو الذى ساقهم إلى التدبر فى فهم آثار الصنعة ، حتى ينسئ لم الوصول بها إلى المعرفة الحقة بالصانع ، وتلك المعرفة غاية فى ذاتها ، إذ بها يصبح العبد ربانياً ، وفى ذلك تلك الناية السعادة الحقة ، وكل ما يسطنمه العبد من عمل ومحاهدة إنما هو للوصول إلى تلك الناية ، غاية المعرفة .

ولا تكون تلك الناية لمن نظر إلى غير الخالق ، لأن النظر إلى غيره عَمَى عنه ، وغفلة عن طريقه ، ولا يحمل بالحر المريد أن يتذلل للعبيد ، كيف وهو مبدع عند الله كل ما يريد ^(٢٧) ، وإذا انقطع السبيل إلى الله تعالى بالسكينة أقول ما يفيد الاستغناء به عن الناس .

(١) النزال : جواهر القرآن ١٢ (طبعة الرحمانية / القاهرة ١٣٥٢ هـ)

(٢) راجع فوات الوفيات لابن شاكر ٣/١ (مطبعة بولاق - القاهرة ١٢٩٩ هـ).

والطريق إلى الله يستلزم أمرين : الملازمة والحاققة . وللملازمة ملازمة ذكر الله تعالى ، والحاققة لما يشغل من الله ، وهذا هو السفر إلى الله . وليس في هذا السفر حركة لا من جانب المسافر ولا من جانب المسافر إليه ، فإنهما معا . أو ما سمعت قوله تعالى ، وهو أصديق القائلين : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » ١٢ .

بل مثل الطالب والمطلوب ، مثل صورة حاضرة مع مرآة ، ولكن ليست تتجلى في المرآة لصدا في وجه المرآة ، فتقصفقتها تجلت فيها الصورة ، لا بارتحال الصورة إلى المرآة ، ولا بحركة المرآة إلى الصورة ، ولكن بزوال الحجاب ، فإن الله تعالى متجلى بذاته لا يخفى ، إذ يستحيل اختفاء النور ، بل بالنور يظهر كل خفاء ، والله نور السموات والأرض .

وإنما خفاء النور من الحقيقة لأحد أمرين : إما لكثيرة في الحدة ، وإما لضف فيها ، إذ لا تطيق احتمال النور العظيم الباهر ، كما لا يطيق نور الشمس أبصار الخفافيش والنور يتجلى في بعض المرايا أصح وأظهر وأقوم وأوضح ؛ وفي بعضها أخفى وأميل إلى الاعوجاج عن الاستقامة ، وذلك بحسب صفاء المرآة وصفاتها وصحة استدارتها ، واستقامة بسط وجهها ، فلذلك قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة (١) » .

ومن هذا الدليل المادى كان الانجاء المصل إلى جلاء النفس وصفها ، وسبيل ذلك مجاهدة النفس وإحكام مخالفتها بالانصراف عن الدنيا ، والمكوف على العبادة ، وترويضها بطول الخلوة والسياسة والصوم وقلة الطعام في القطر وكثرة الذكر ، وغير ذلك من وسائل حمل النفس على غير ما تشهى .

ويبدو من هذا أن السلبية كانت الطابع العام ، ومحاربة النفس كانت الأصل عند أولئك الزاهدين في الدنيا وزينتها .

وكانت بعد ذلك حركات عقلية اقتضت أودية التفكير الإسلامى ، ونهبت المسلمين إلى ألوان من المعرفة لم يكن لهم من أكرها حظ ؛ وضروب من التفكير لم يسبق لهم مزاولتها ، والأمة الإسلامية تتطلع إلى احتلال منزلتها ؛ وبناء مدينتها على تلك الأسس الوطيدة التى أرمى دعائمها الإسلام ، وهو دين البشرية الذى بعث صاحبه إلى الأسود والأحر : « لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ » وهو رسول الله وخاتم النبيين .

ولذلك كان على حاة هذا الدين والقوامين عليه أن يطوفوا بكل جهات المعرفة ، ويقفوا على ما عند غيرهم من أبناء الأم من ضروب المعرفة وألوان التفكير ، حتى لا تخفى عليهم زاوية من زوايا العقل ، ولذلك لم يقفوا عند حدود النصوص ليؤمنوا بها إيماناً مطلقاً ، ولم يهودوا يكتفون بالإيمان المجرد . بل أحسوا بضرورة البحث فى أسس هذا الإيمان وضرورة تطبيقه على العقل . وقد وجدوا فى نصوص الدين ما يبحث على ذلك النظر وما يشجع على إحمال العقل والتفكير

وكانت هناك أم سبقتهم إلى البحث والتفكير فى الكون وخالقه ، والحياة وما ورائها ، والإنسان فى

حياته وموتوبته . وكان تلك الأم تراث خلفه طلائها، وورثته حكاؤها الإنسانية لتتفرغ فيه ، وتنفص منه أو تزيد عليه . ما وسعها الزيادة وما رسمها التهذيب والتصحيح .

وجدة المسلمون في جمع ذلك التراث ونقله إلى لسانهم العربي ، حتى إذا اجتمع لهم منه شيء كثير ، أخذوا في تقيمه ومدارسته ، وجدّوا في تحميمه وتطبيقه على ما ورثوه من دين ومعرفة وحكمة وعبادة ومعاملة وسلوك .

وقد بلغ هذا التيار مداه في القرنين الثالث والرابع الهجريين . ففي هذين القرنين كانت أودية العلم تخرج بطنها التيارات الفكرية الطارئة التي حذقها كثير من المسلمين ، وعظم بذلك سلطان العقل ، وطمى الجدل بين العلماء طغيانا كما دُيِّنَ كثيرا منهم الأصل الذي ورثوه من إسلامهم وعروبته .

فالحكمة الهندية وفلسفة فارس وفلسفة يونان ومنطقهم ، كل ذلك أصبح يمر على ألسنة العلماء والتكلمة من المسلمين ويشغل بلم ، ويدعهم إلى البحث في دينهم وأصول عقائدهم على ضوء هذه المعرفة التي جذت على بيتهم ووجد فيهم من يتعصب لتلك الثقافات الطارئة ، ومن يؤثرها على ثقافته الأصيلة ، إلى جانب الذين وصلوا هذه جملتك ، وكوتوا من هذا المزاج زادا جديدا للعقل العربي الإسلامي .

وماد الأمر إلى أولئك الزهاد الذين صدقوا عن الدنيا وزينتها ، ولم تعد السلبية التي كانوا يؤثرونها قبل منهم في هذا المجمع للضرب ، فقد أصبح الفكر دعامة كل منهج من مناهج الحياة ، سواء أكان ذلك المنهج منهجا نظريا ، أم منهجا عمليا . ولذلك وجدوا أنفسهم في حاجة إلى فلسفة فكرتهم في الحياة حتى تنهض على أسس تماثل تلك الأسس التي أقام عليها غريم سلوكهم في الحياة .

الإمام الغزالي

وقد أنجب القرن الخامس الهجري طائفا من أعلام الفكر الإسلامي ، هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد أمين محمد الغزالي ، ويميل بنا أن نشير إلى شيء من تاريخ هذا الإمام ، لتقف من هذا التاريخ على العوامل التي تظلمت على تكوين هذه العقيدة الفريدة ، وألوان الثقافة التي احتشدت في ذهنه ، وبعده أهلا لأن يحتل تلك المكانة الجليلة بين زهاد المسلمين ومتصوئهم وأبناء مفكرهم .

وفي مدينة طوس^(١) وفي منتصف القرن الخامس الهجري (٤٥٠ هـ) ولد أبو حامد من أب عفا القلب واليد ، يفرل الصوف ويبيبه ، ويختلف في أوقات فراغه إلى العلماء في حلقاتهم ، والتقاء في دروسهم ، والوعاظ في مجالسهم ، يستمع إليهم ، ويتطلع إلى صنيعهم في التعليم والإفادة ، ويلاطفهم بما يفضل من قوته وحاجته . وكان

(١) طوس : مدينة بخراسان . بينها وبين نيسابور مسيرة فراسخ ، قصها للمسلمون في أيام منان بن مغان ، وبها قبر علي بن موسى الرضا ، وقبر هارون الرشيد ، وبها آثار إسلامية جليلة .
قال ياقوت : خرج من طوس من أئمة أهل السلم والحق مالا يحصى ، وحيك بأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي وأبى الفتح أخيه .. (معجم البلدان ٦/٢١١) .

تأثره بتلك المجالس وما يدور فيها من فنون العلم والوعظ عظيمًا ، جعله يضرع إلى الله أن يهب له ولها من صلبه مجلس مجالس أولئك الفقهاء والوعاظ الذين يملكون الناس أمور دينهم ، ويبصرونهم بخير الحياة الدنيا والآخرة . واستجاب الله لدعائه فرزقه ولدين : أحدهما أبو حامد الذي نتحدث عنه ، والآخر أخوه أحمد الذي اشتغل بالوعظ ورجع فيه إلى درجة كبيرة ^(١) .

ولما حضرت الوفاة ذلك الأب الصالح ومضى بأبي حامد وأخيه صديقاه من أهل التصوف . وقال ٤ : إن لي لأتينا عظيمًا على ما فتنني من التعلم ، وأشتهى استدراك ما فتنني في ولسي هذين ، فلهما ، ولا عليك أن يتفرد في سبيل ذلك جميع ما أخلفه لهما !

وأخذ الصوفي وصيته ، وأقبل على تعليمهما ، حتى فنى المال القليل الذي خلقه أبوهما ، وتفرغ عليه المضي في تعليمهما أو تقديم الطعام الذي يقتاتان به . ولم يجد من السبل ما يحفظ به عليهما حياتهما إلا أن يلحقهما بمدرسة من تلك المدارس التي تقدم لطلاب العلم فيها الغذاء والكساء . وقد أحسن الرجل بذلك صنعا إلى هذين الياسين الذين لا حامل لهما ولا مال يمينهما على الحياة ، ولذلك كان النزالي يقول وهو يذكر هذا الصنيع : « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا الله » . ومعنى ذلك أنهما طلباه ليكون وسيلة للعيش ، يُجرى عليهما بسببه ما يُجرى على طلبة العلم ، فكان أن أوصلهما إلى الناية الحقيقية من طلب العلم ، وهي معرفة الله تعالى حق المعرفة !

هذا أبو حامد يقرأ في صباه طرفا من الفقه ببلده (طوس) ثم يسافر إلى (جرجان) ^(٢) ويأخذ عن أبي نصر الإسماعيلي ، ثم يرجع إلى طوس ، فيقيم بها إلى ما شاء الله حتى يرتمل إلى (نيسابور) ^(٣) فيلازم إمام الحرمين أبا المعالي الجويني ، ويمجد في طلب الفقه ، فيبرع فيه وفي الجدل والمنطق والفلسفة وبقفه كلام أهل تلك العلوم ، ويتصدى لرد عليهم ، وإبطال دعاوهم ، ثم يقصد (المسكر) بعد وفاة إمام الحرمين ، ويلقى فيها الوزير نظام الملك ، ويتناظر في مجلسه الأئمة والعلماء ، ويقهر مناظريه ، حتى يمتدح الجميع له بالفضل ، ويأمره نظام الملك بالتوجه إلى (بغداد) والتدريس في المدرسة النظامية ، فيقدمها سنة ٤٨٤ هـ وفي تلك المدرسة يعظم مجده ، ويتألق نجمه ، ويذيع صيته ،

(١) هو أبو الفتح أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي النزالي للقب مجد الدين . قال ابن خلكان : كان واعظا مليح الوعظ ، صاحب كرامات وإشارات ، وكان من الفقهاء غير أنه مال إلى الوعظ ، فغلب عليه ، ودور بالمدرسة النظامية نيابة عن أخيه أبي حامد . ترك التدريس زهادة فيه ، واختصر كتاب أخيه أبي حامد المسمى بإحياء علوم الدين في مجلد واحد ، وسماه (باب الإحياء) وله تصنيف آخر سماه (التخيير في علم البصيرة) وطاف البلاد وخدم الصوفية بنفسه ، وكان مثالا إلى الاتطاع والزلة . وتوفي أحمد بجزون في سنة سبعين وخمسة [انظر وفيات الأعيان ١ / ٢٠٧ - طبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٥٥ هـ]

(٢) جرجان : مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان ، بعض أهلها من هذه وبعضهم من هذه . قيل إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي سفرة ، وقد خرج منها صفوة من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين ، ولها تاريخ أنه حزة بن يزيد السهمي . قال الإصطخري : أما جرجان فإنها أكبر مدينة بنواحيها ، وهي أقل ندى ومطرا من طبرستان ، وأهلها أحسن ولارا وأكثر مروءة من كبارهم . ولجرجان مياه كثيرة وضياء عريضة . وليس بالشرق بعد أن تجاوز العراق مدينة أجمع ولا أظهر حنا من جرجان (راجع معجم البلدان ٣ / ٧٥ طبعة السادة ١٩٠٦ م)

(٣) نيسابور : بلد كثير القواكة والمبرات ، كان المسلمون قد خضعوها في أيام مهدي بن عثمان رضي الله عنه ، والأخير عبد الله بن هاشم ابن كرز في سنة ٣١ سلعا ، وليل إنها تمت في أيام عمر رضي الله عنه على يد الأخنف بن قيس ، وإنما انقضت في أيام مهدي ، فأرسل إليها عبد الله بن هاشم ففتحها ثانية .

حتى يقال إن مجلس النزالي كان يحضره ثلثمائة حجة من أكابر العلماء . وأصبح مضرب المثل في التدريس والإفادة ؛ تشد إليه رحال طالبي العلم وأهل الورع . ولكن نفسه تصد عن المنصب والجاه ، ويرى أن العلم مع شرفه ، والتعليم انتهى يقوم به ، غير خالصين لوجه الله تعالى ، بل باعها وعمرهما طلب الجاه وبعد الصيت ، فتبين أنه على شفا جرف هار ، وأنه قد أشق على الملاك إن لم يسرع بتلاق ملهو فيه .

وحينئذ يظهر عزمه على الخروج إلى مكة ، وهو يدبر في نفسه السفر إلى الشام ، ولكنه لا يصرح بنيه حذراً أن يطلع الخليفة ووجه الأصحاب على عزمه المقام بالشام ، فيتلعف بلطائف الحيل في الخروج من بغداد وهو ينوي ألا يعود لها أبداً ؛ واستهدف بذلك لأئمة أهل العراق ، إذ لم يكن فيهم من يجوز أن يكون الإعراض عما كان فيه سيئاً دينياً ، قد ظنوا أنه بلغ المنصب الأعلى في الدين ، وكان ذلك مبلغهم من العلم .

وقد ارتبك الناس في الاستنباطات ، وظن من بعد عن العراق أن ذلك كان لاستشعار من جهة الولاية ، وإنما من قرب من الولاية ، وكان يشاهد إلمامهم في التعلق به والانكباب عليه وإعراضه عنهم ، وعن الالتفات إلى قولهم ، فيقولون : هذا أمر سموي ، وليس له سبب ، إلا عين أصابت الإسلام وزمرة أهل العلم !

وقارق بغداد ، بعد أن فرق ما كان معه من المال ، ولم يدخر إلا قدر الكفاف وقوت الأطفال ، ترخصاً بأن مال العراق مُرَمَّدٌ للمصالح لكونه وفقاً على المسلمين ، فلم يرفى العالم مالا يأخذه العالم ليعاله أصلح منه . ودخل الشام ، وأقام به ما يقرب من سنتين لا يشغل له إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة ، اشتغالا بتركية النفس ، وتهذيب الأخلاق ، وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، فكان يعتكف في مسجد دمشق ، يصمد منارته طول النهار وينلق بابها على نفسه ، حتى رحل إلى بيت المقدس ، يدخل كل يوم الصخرة ، وينلق بابها على نفسه .

ثم تحركت فيه داعية الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة ، وزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه ، فسار إلى الحجاز ؛ حتى جذبه المهمل ودعوات الأطفال إلى الوطن فعاوده بعد أن كان أبعد الخلق عن نية الرجوع إليه .

وفي تلك الرحلات صدفت نفسه عن الدنيا ، ولبس الخشن من الثياب ، وقلل طعامه وشرابه ، وصار يطوف المشاهد ويترور المقابر والمساجد لمظنة والاعتبار ، ويروض نفسه ويجاهدها جهاد الأبرار ، ويكلفها مشاق العبادات ، ويبلوها بأنواع القرب والطاعات ، وفي هذه الأثناء ألف هذا الكتاب (إحياء علوم الدين) حتى رجع إلى بغداد فحدث به .

ماد النزالي بعد ذلك إلى خراسان ، وانقطع للعبادة ، وآثر العزلة حرصاً على الخلوة وتصفية القلب للذكر ، حتى طلب إليه فجر الملك بن نظام الملك أن يقوم بالتدريس بالمدرسة النظامية في نيسابور ، ولكن النزالي تأبى وقال : أريد العبادة ! فقال له : لا يحمل لك أن تمنع للمسلمين الفائدة منك ! فدرس مدة يسيرة .

يقول النزالي في ذلك : ترخصت بيني وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة ، تملأ بالمعجز عن إظهار الحق

بالحجة ، فقدّر الله تعالى أن حرك داهية سلطان الوقت من نفسه ، لا بحريك من خارج ، فلم أمر الزلم بالتهوض إلى « نيسابور » لتدارك هذه الفترة . وبلغ الإلزام حبلًا كان يشقى - لو أصروا على الخلاف - إلى حد الوشّة . فخطر لي أن سبب الرخصة قد ضعف ، فلا ينبغي أن يكون باعثك على ملازمة العزة السكلى والاستراحة . وطلب عز النفس ومونها من أذى الملقى ، ولم ترخص نفسك بسر مطنة الملقى ، والله تعالى يقول : « أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ؟ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... » الآية . ويقول عز وجل : « وَلَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَقَّهُمْ أَنْتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا يُبَدِّلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ » ... فتاورت في ذلك جماعة من أرباب القلوب والشهادات ، فاتفقوا على الإشارة بترك العزة ، والخروج من الزلوية ، وانضاف إلى ذلك منامات من الصالحين كثيرة متواترة ، تشهد بأن هذه الحركة مبدأ خير ورشد ، قدرها الله تعالى على رأس هذه اللاتة ، وقد وعد الله سبحانه بإحياء دينه على رأس كل مائة ، فاستحكم الرجاء ، وغلّب حسن الظن بسبب هذه الشهادات ، ويسّر الله تعالى الحركة إلى (نيسابور) للقيام بهذا المهم في ذى القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمائة ...

قال : وأنا أعلم أنى وإن رجعت إلى نشر العلم ، فارجعت ؟ فإن الرجوع عود إلى ما كان أو كنت في ذلك الزمان أنشر العلم الذى به يكسب الجاه ، وأدعو إليه بقولى وعملى ، وكان ذلك قصدى ونيتى . وأما الآن فأدعو إلى العلم الذى به يُترك الجاه ، ويعرف به سقوط رتبة الجاه ، هذا هو الآن نيتى وقصدى وأمنيتى ، يعلم الله ذلك منى !

وأنا أبني أن أصلح نفسى وغبرى ، ولست أدري أصل إلى مرادى أم أخترت دون غرضى ؟ ولكنى أومن بإيمان يقين ومشاهدة أنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وأنى لم أتحرك ، لكنه حركنى ، وأنى لم أعمل ، لكنه استعملنى ، فأسأله أن يصلحنى أولاً ، ثم يصلح بى ، ويهذب بى ، ثم يهذب بى ^(١) .

وأخيراً يعود النزال إلى طوس بعد للدة التى قضاها فى نيسابور ، وينتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء ، وخطابه للصوفية ، ويوزع أوقافه على وظائف من ختم القرآن ، ومجالسة الصوفية ، والتدريس لطلبة العلم ، وإدامة الصلاة والصيام وسائر العبادات ، حتى توفى فى رابع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ هـ .

ﷺ

ذلك ما استطاعت صفحات التاريخ أن تفيه من حياة أبى حامد الرجل فى هذه الحياة الدنيا . أما عقليته ، فقد رأينا أن هذه السطور لا تكاد تصورها الصورة الكاملة ، ولن نجد فى هذه الترجمة إلا لمحة من قهره وورعه وعلمه وزهده ، وقد لا يجد القارىء فى هذه الصورة شيئاً غريباً ، إنها صورة طادية تمثل رجلاً نشأ فقيراً ، فزهد كرها أو طوعاً ، ونصوف راحياً أو مضطراً .

وتلك اللامع كثيرة الوجود فى اليناث الإسلامية فى عصر أبى حامد وفى غيره من العصور الإسلامية .

(١) للنفذ من المجلد للزاد : ص ١٤٤ (الطبعة الثانية : القاه : ١٩٥٥ م) .

وإنك لو أجدد العلم الدينى بطلبه الفنى والفقر ، والعلم العربى يجرى فى المجالس والمدارس والساجد ميسراً لطلابه ، ولا يكاد يكلفهم نفقة ولا جهداً .

بل ربما كان طلب هذا العلم باباً من أبواب الرزق ، وسبباً من السبل التى يسلكها الكثيرون من طالبي الحياة لأجل القوت ، حتى يقووا على السعى والكسب فى طلبها ، أو حتى يفتح لهم هذا العلم نفسه باباً ، ويهيئ لهم بين العلماء منزلة نهى لهم منصباً وجاهاً ، ينالون به المظوة والزلفى عند أصحاب الملك والسيادة والسلطان ، فقدر لهم أخلاف العلماء ، وينالون بالعلم ما يشتهون من زينة الدنيا وترفها . وهذا ما تؤكد قصة الصوفى مع أبى حامد ، بعد استهلاك القليل الذى خلفه أبوه له ولأخيه ؛ واضطراره لأن يدخلها مدرسة كأنهما من طلبة العلم . ويؤكد أيضاً كلمة الغزالى السابقة : « طلبنا العلم لنغير الله ، فأبى أن يكون إلا الله ! »

ولا شك أن كثيراً من شباب المسلمين قد سلك تلك السبل التى سلكها أبو حامد ، ولكنهم لم يمتصوا بما متع به من العقلية الصافية والذكاء الخارق والإخلاص للعلم ، والتفانى فى طلب الحقيقة ، بسلك سبيلها ، وهو سبيل شاق طويل ، لا يقوى على سلوكه إلا أولو العزم من الباحثين الصابرين ، الذين إذا اتوى بهم طريق ، ووجدوه لا يوصل إلى الغاية ، جددوا العزم وشحنوا قوتهم وطلبوا غيره ، ووجدوا فى هذا المناء وفى تلك المصابرة والثابرة بمتعة لنفوسهم وراحة لعقولهم الجادة فى طلب المعرفة .

الشك عند الغزالى :

عاش الغزالى فى القرن الخامس الهجرى ، وهو القرن الذى فضحت فيه المقول واستوت أودية التفكير وتعددت روافده ، بين أصيل ودخيل ، وآخذ من هذا وذاك . واختلفت أساليب المعرفة ، ومناهج البحث عن الحقيقة التى ينشدها كل مفكر . وكثر التكلمون فى العقائد وفى أصول الدين ، وفى الطبيعة وما وراء الطبيعة ، وفى المذاهب والديانات ، وفى أفعال المباد وغاياتهم .

وكثر التكلمون فى كل مسألة من تلك للسائل ، واختلفوا فيما بينهم اختلافاً عظيماً ، حتى ليكاد التوفيق بين تلك الآراء المتباينة ، والمذاهب المتباعدة يصبح ضرباً من المستحيل .

وتبدو الصعوبة فى أعظم صورها أمام كل باحث يريد أن يختط لنفسه خطة بين هذه الخطوط الكثيرة والأكثر من يتخيرون لأنفسهم طريقة من الطرق للسلوكه يحكمون عليها ؛ ويفقهون نهجها ، ثم يناقون بها ما وسعتهم المغالاة . وربما كانت مقالاتهم دون غيرها من المقالات ، وربما كانت أدلتهم دون أدلة غيرهم ، ولكنهم فى الواقع يؤثرون السلامة بالبحث فى دقائق إحدى النواحي ، على حين ينفلون غيرها أو يلبسون بها إلماً عاماً ، ولم يتسع لهم الوقت للإيمان فى المناهج الكثيرة التى تباين منهجهم ومقاتهم .

وأمام هذا الغلو فى الاعتقاد والتعصب لراى أو لمنهج أو طريق سلوك ، ورفض كل ما عدا أولئك ، يجد الباحث المجدد نفسه أمام تيار من التردد ، وسيل من الشك فى أى الطرق يختار لنفسه ، إن كان لا يرى التقليد فى إنبثو هذا المذهب على ذاك .

وجد النزالي نفسه بين هذه للذهاب التي لا تكاد نحصى ، وأمام تلك الانجاعات التي يستحيل التوفيق بينها ، فبدأ حيث بدأ غيره بلم بأطراف من الثقافة السائدة ، ونفسه تتطلع للزبد ، وإذا المزيد الذي يريده اليقين بسلمه إلى شك طويل ، وإذا هذا الشك يبدو أمامه في كل أثر ، ولكنه لا يسرع إلى النفي ، ولا يسرع إلى اليقين ؛ فإن قلبه وعقله لا يرضيان بما رضى به غيره من الاتباع . ولذلك اضطره الشك إلى المكابدة في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق ، مع تباين المسالك والطرق ، وإلى الجراءة من الارتفاع عن حضيض التقليد إلى بقاء الاستبصار .

إن اختلاف الخلق في الأديان واللل ، سم اختلاف الأمة في المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق - كما يرى النزالي - بحر غرق فيه الأكترون ، وما نجا منه إلا الأقلون . وكل فريق يزعم أنه الناجي ، و « كل حزب بما لديهم فرحون » ، وهو الذي وعد به سيد الرسلين ، صلوات الله عليه وهو الصادق الصدوق حيث قال : « ستفرق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة ، الناجية منها واحدة » قد كان ما وعد أن يكون !

ورأى النزالي أن أصحاب الأديان كان التقليد ، كما كانت الوراثة ، السبب في نشأتهم على اليهودية أو النصرانية أو الإسلام ، فصبيان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على التنصر ، وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود ، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام . والحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ! » .

ويحكى النزالي عن نفسه في « المنفذ من الضلال » أنه لم يزل في عنفوان شبابه ، منذ راق البلوغ قبل العشرين إلى أن أناف ستة على الخمسين ، يقتحم لجة هذا البحر العميق ، ويخوض غمرته خوض الجسور ، لا خوف الجبان الخنور ، ويتوغل في كل مظلمة ، ويتهم على كل مشكلة ويتقحم كل ورطة ، ويتفحص عن عقيدة كل فرقة ، ويستكشف أسرار مذهب كل طائفة ليميز بين الحق ومُبطِل ، ومتسنن ومبتدع ، لا ينادر باطنيا إلا أحب أن يطلع على بطائنه ، ولا ظاهريا إلا أراد أن يعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفيا إلا قصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكبرا إلا اجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا إلا حرص على النور على سر صفوته ، ولا متعبدا إلا ترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا معطلا إلا نجس وراءه للتنبيه لأسباب جراته في تسطيله وزندقته .

ويقف النزالي عند قول الرسول : « كل مولود يولد على الفطرة . . . » ويتحرك باطنه إلى معرفة حقيقة الفطرة الأصلية ، وحقيقة العقائد المارضة بتقليد الوالدين والأستاذين ، والتمييز بين هذه التقليدات التي أوائلها تلقينات ، وفي تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات . فيقول في نفسه : إنما مطلوب العلم بحقائق الأمور ، فلا بد من طلب حقيقة العلم ، ما هي ؟ ويظهر له أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم . ويعلم أن كل ما لا يلمه على هذا الوجه ، ولا يتيقنه هذا النوع من اليقين ، فهو علم لا ثقة به ، ولا أمان معه . وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني !

فهو يتطلب المعرفة الحقة ، المعرفة التي ترادف اليقين ؛ وكان يوقن في قرارة نفسه بتلك النظرية الثابتة « إن الحقيقة لا تتمدد » ولكنه يرى التمدد في الأفكار والمقالات والأديان والمذاهب ؛ إذن لا يكون الحق إلا ديناً واحداً ، ومذهباً واحداً ، ومقالة واحدة . أو عبارة أخرى لا يكون المتد إلا واحداً ؛ والطريق الحق إليه لا يكون إلا واحداً ؛ والتفكير المستقيم هو الذي يسل إلى هذه الغاية .

ولكن الأديان متعددة ، والمناهج شتى ؛ تفيض بها أودية التفكير ؛ إذن فلا بد أن تكون هناك عوائق ، حالت بين القول وبين النهج السوي ؛ لآفة أصابتها ، أو حلة اعترتها ؛ فكان هذا التصيب للبل والنحل ؛ والناس عبيد لما عرفوا ، وأعداء لما جهلوا .



سبل المعرفة :

قلنا إن النزالي ابتداً طريق المعرفة بالشك فيما هو حاصل لدى بعض القول ، وقبياً هو مسلم به لدى بعضها دون البعض ، وهو يبحث عن طريق الأمان ، ولا أمان إلا بالعلم اليقيني الذي لا يقبل الشك ولا التردد ، وطمسته تأبى التمدد ، فما الوسيلة إلى هذا العلم اليقيني للزم للفطرة الصافية والعقل السليم ؟

نشد النزالي هذه الوسيلة في الجليات ، وهي الحسيات والضروريات ؛ لتكون الوسيلة في فهم المشكلات ، ليتيقن أن ثقته بالمحسوسات وأمانه من الخلط في الضروريات ، من جنس أمانه الذي كان من قبل في التقليدات ، ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات ، أم هو أمان محقق لا غدر فيه ، ولا غائلة له ؟

وأقبل مجد يبالغ في تأمل المحسوسات والضروريات ، وأخذ ينظر هل يمكنه أن يشكك نفسه فيها ؟ وانتهى به طول التشكيك إلى أن لم تسع نفسه بتسليم الأمان في المحسوسات أيضاً ، وأخذ يتسع هذا الشك فيها ، ويقول : من أين الثقة بالمحسوسات ؟ إن أقواها حاسة البصر ، وهي تنظر إلى الكوكب فتراه صغيراً في مقدار دينار ، ثم الأداة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار . هذا وأمانه من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه ؛ ويكذبه حاكم العقل ويخونه ؛ تكديماً لاسيلاً إلى مدافسته . قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضاً !

لعل سبيل تلك الثقة هو العقليات التي هي من الأوليات ، كقولنا : المشرة أكثر من الثلاثة ، والنفي والإثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد ، والشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً ، موجوداً معدوماً واجباً محالاً .

هنا لا نجد النزالي سبباً واقعياً واحداً ينفي به الثقة بهذه الحقائق العقلية ، التي يلتقي عندها أصحاب القول قاطبة ، مع اختلاف أجناسهم وأديانهم ؛ ولكنه رجل شك كما أسلفنا ؛ فلا بد أن يجري مع مذهبه في التشكيك ، ولكنه لا يستطيع أن ينفي الثقة بالعقليات عن سبيل العقل ، ولا عن سبيل التجربة والحس والشاهدة ، وإذ ذاك يلتمس الشك من سبيل الجدل والفسطة ؛ ويخترع لذلك قياساً مجيباً ؛ فيزعم أن المحسوسات جادته وناقشته وحاجته قائمة : بم تأمن أن تكون ثقنتك بالعقليات كثفتك بالمحسوسات ؟ وقد كنت واثقاً بي ، فجاء حاكم العقل فكذبني ؛ ولولا حاكم العقل لكنت نشر على تصديقي ، ومن وراء إدراك العقل حاكماً آخر إذا نجلى كذب العقل

في حكمه ، كما نجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه ، وعدم نجلى ذلك الإدراك لا يدل على استحالته ؟
وتتوقف النفس في جواب ذلك قليلاً ، وتزيد إشكالها بالنام ، وتقول : أما ترك معتقد في النوم أموراً ،
وتصنيف أحوالاً ، ومعتقد لها ثباتاً واستقراراً ، ولا تشك في تلك الحالة فيها ، ثم تستيقظ ، فتعلم أنه لم يكن لجميع
متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطلائ ؟ فم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في يفتلك بحس أو عقل هو حق بالإضافة
إلى حالتك التي أنت فيها ، لكن يمكن أن نظراً عليك حالة تكون نسبتها إلى يفتلك كنسبة يفتلك إلى
منامك ، وتكون يفتلك نوعاً بالإضافة إليها ، فإذا وردت تلك الحالة تيقنت أن جميع ما توهمت بفتلك خيالات
لا حاصل لها . ولعل تلك الحالة ما تدعيه الصوفية أنها حالتهم إذ يزعمون أنهم يشاهدون في أحوالهم التي لم إذا غاصوا
في أنفسهم ، وغابوا عن حواسهم ، أحوالاً لا توافق هذه المقولات ، ولعل تلك الحالة هي الموت ، إذ قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » فلع الحياة الدنيا نوم بالإضافة إلى الآخرة ، فإذا مات
الإنسان ظهرت له الأشياء على خلاف ما يشاهده الآن ، ويقال له عند ذلك « فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ
الْيَوْمَ حَدِيدٌ » .

خطرت له تلك الخواطر ، وهو في غمرة الشك والارتباب ؛ إنه يبحث عن يقين يحمله محور البحث ، وقطة
يبدأ منها سبيل الأمان ؛ ليسير نحو الناية المنشودة بخطا ثابتة ، لا تنتقل إلا إذا اطمانت إلى سلامة ما قبلها ، وعرفت
أنها تسير فوق أرض صلبة .

وحاول أن يخلص من هذا الظن ، وأن يقطع الشك باليقين فلم يتيسر له ، إذ لا وسيلة إلى القضاء على تلك
الشكوك إلا بالدليل ، ولم يكن نصب الدليل إلا من تركيب العلوم الأولية ، فإذا لم تكن تلك العلوم الأولية
مسألة لم يمكن ترتيب الدليل .

إن نفي الاعتماد على الحواس في سبيل إدراك العلم اليقيني اعتماداً على بعض ما يبدو من خداعها قد يكون له
مايسوغه . ولكن هناك من طرق الكشف ما يمكن معه تصحيح تلك الأخطاء والأوهام ، وقد نبه الفزالي نفسه
إلى شيء من هذا يمكن به تحقيق بعض شبه العارضة . ولكن ما ذهب إليه من جواز تنفيذ أحكام العقل لا يمد
مسوغاً إلا هذا القياس الذي رأيناه ، وفيه من الضعف ما فيه ؛ إذ أن التفكير السليم إذا خضع للنطق واعتمد على
المقدمات الصادقة كانت أحكام العقل والنتائج التي تفضي إليها نتائج نهائية في كل زمان وفي كل مكان .

أكبر الظن أن تلك الآراء ؛ كانت رد فعل لما أحدثه الطبيعيون والفلاسفة في بيئات التفكير الإسلامي ، وهيام
بعض القلدين بأرائهم واعتناقهم لها ودفاعهم عنها وعن أصحابها ، مباهاة للجمهور الذي قد يجهل كثيراً من تلك
الأفكار الطارئة ، ولا يبى إلا الأفكار التي أخذها عن الإسلام وتراث العروبة ، ورأى القضاء بها من تحصيل هذا
العلم الطارئ ، الذي لاصقة له بمعتقد ولا أثر له فيه ، ولا سيما أن هذا اللون من المعرفة منسوب إلى جماعة من
القدماء ؛ يعرف عنهم قبل كل شيء أنهم من أهل الوثنية . وقد صرح بهذا الفزالي في التفات ، وأنه رأى طائفة
يعتقدون في أنفسهم التميز عن الأكراب والنظرية بيزيد الفطنة والذكاء ، قد رفضوا وظائف الإسلام من العبادات ،

واستحقوا شعائر الذين من وظائف الصلوات والتوفى عن المحظورات ، واستهانوا بعبدات الشرع وحدوده ، ولم يقفوا عند توقيفاته وقيوده ، بل خلموا بالسكينة رتبة الدين بفنون من الظنون ، يتبعون فيها رهطاً يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً ، وهم بالآخرة هم كافرون ؛ ولا مستند لسكفرهم غير تقليد سماعي^(١) ، إلفي^(٢) ، كتقليد اليهود والنصارى إذ جرى على غير دين الإسلام نشوهم وأولادهم ؛ وعليه درج آبائهم وأجدادهم ، وغير بحث نظري صادر من التثني بأذيال الشبه الصارقة عن صوب الصواب ، والانخداع بالخيالات المزخرفة كلامع السراب ، كما انفق لطوائف من النظائر في البحث عن العقائد والآراء من أهل البدع والأهواء .

وإنما مصدر كفرهم سماعهم أسماء هائلة كمقراط^(٣) وبقرات^(٤) وأفلاطون^(٥) وأرسطوطاليس^(٦) وأمثالهم ؛ وإطناط طوائف من متبهمهم ، وضلالهم في وصف عقولهم وحسن أصولهم ورقة علومهم الهندسية والمنطقية والطبيعية والإلهية ، واستبدادهم ، لقرط الذكاء واللفظة ، باستخراج تلك الأمور الخفية ، وحكايتهم فهمهم أنهم مع رزاقه عقولهم وغزارة فضلهم منكرون للشرائع والنحل ، وجاحدون لتفاصيل الأديان والمثل ، ومعتقدون أنها تراعى مؤلفات وحيل مزخرفة . فلما قرع ذلك سمعهم ، ووافق ما حكى من عقائدهم طبعهم ، تمحلوا باعتقاد الكفر تحملاً إلى غمار الفضلاء بزعمهم ، وانخرطوا في سلكهم ، وترفوا عن مسايرة الجماهير والدهماء ، واستنكافوا من القناعة بأديان الآباء ، فلما بأن إظهار التكاسيس في النزوع عن تقليد الحق بالشروع في تقليد الباطل جال ، وغفلة منهم عن أن الانتقال إلى تقليد عن تقليد خرق وخيال ، فأية رتبة في عالم الله أحسن من رتبة من يتحمل بترك الحق المعتد تقليداً بالتسارع إلى قبول الباطل نصديقاً ، دون أن يقبله خبراً وتحققاً^(٧) ؟ .

وقع النزالي في هذه الأمشاج من المقالات والهاوى بوجود نفسه أمامها ؛ فأملت عليه تلك الآراء فيها ، وهو رجل يبرأ من الحول والطول ، ويسلم وجهه لله ، ويؤمن بأن الهدى هدى الله ؛ وكمن من حسن فتن صاحب فأرداه ؛ وكمن عقل أضل صاحب فأغواه عن سبيل الرشاد .

فطارجت نفسه إلى الصحة والاعتدال ، رجعت الضروريات العقلية عنده مقبولة موثوقة بها من أمن ويقين .

(١) هو الفيلسوف المشهور ولد بأثينا سنة ٤٧٠ ق . م وكان من تلاميذ فيثاغورس ، واتصل من الفلسفة على العلوم الإلهية وأعرض من ملاذ الدنيا ورفضها ، وأعلن بمخالفة اليونانيين في عبادتهم الأصنام وقابل رؤساءهم بالحجج والأدلة ، فتوروا عليه العامة ، واضطروا ملكهم إلى قتله .

(٢) من بعض علوم الفلسفة ، وهو سيد الطبيعيين في عصره ، وكان قبل الاسكندر بنحو مائة سنة ، وله في الطب تأليف مشهورة في جميع العالم ، وفي صدور كتبه وسابا جيلة من التحن والشفقة على النوع ، وتطهير الأخلاق من الكبر والعجب والحد .

(٣) أحد أساطين الحكمة من يونان ، أخذ من فيثاغورس وشاك سقراط في الأخذ عنه ، ولم يشتهر ذكره بين علماء اليونان إلا بعد موت سقراط ، وصنف كتباً مشهورة في فنون الحكمة ، وذهب فيها إلى الرمز والإغراق ، واشتهر جماعة من تلاميذه المتخرجين عليه ؛ وسمى الناس فرقة المشائين لأنه كان يعلم تلاميذه الفلسفة وهو مش .

(٤) هو تلميذ أفلاطون لازمه عشرين سنة ، وكان أفلاطون يؤثره على سائر تلاميذه وبسببه القتل ، ولعل أرسطوطاليس انتهت فلسفة اليونانيين ، وهو خاتمة حكمائهم ، وهو أول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية وجعلها آلة للعلوم النظرية حتى لب بمناطة المنطق ، وله في جميع العلوم الفلسفية والأدبية كتب مشهورة ، وهو صاحب المنطق ، وكان أرسطوطاليس معلم الإسكندر ابن فيليب ملك مقدونية ، وبأدابه عمل في سياسة رعيته وسيرة ملكه ، وبسبب أرسطوطاليس كثرت الفلسفة وغيرها من العلوم القديمة في البلاد الإسلامية .

(٥) النزالي : نهات الفلاسفة : ص ٣ (المطبعة الحبرية - القاهرة ١٣١٩ هـ) .

ولم يكن السبيل إلى ذلك نظم الدلائل وترتيب الكلام ، بل كان السبيل نوراً فنفذ الله تعالى في صدره ، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف .

ومن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة ، فقد ضيق رحمة الله الواسعة . ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن « الشرح » ومضاه في قوله تعالى « فنريد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » قال : « هو نور يقذفه الله تعالى في القلب » ! فقيل : وما علامته ؟ قال : « التجافي عن دار الضرور ، والإجابة إلى دار الخلود » وهو الذي قال عليه السلام فيه : « إن الله خلق الخلق في ظلمة ، ثم رش عليهم من نوره » . فمن ذلك النور ينبغي أن يطلب الكشف ، وذلك النور ينبجس من الجلود الإلهي في بعض الأحيان ، ويجب التمسك به ، كما قال عليه السلام « إن ربكم في أيام دهركم نفحات ، ألا فعرضوا لها » .

ولم يرد النزالي بذلك كفى نفسه ، أو كفى الناس ، عن الدرس والتأمل والبحث ، اعتماداً على هذا النور الذي لا يأتي إلا نفحات ، وفي بعض الأحيان ، ولكنه أراد أن يسمل كمال الجسد في الطلب حتى يفتتق إلى طلب مالا يطلب ، ومالا قدرة على إدراكه ، وهو الذي يحتاج إلى ذلك النور الذي يقذفه الله تعالى في قلوب المصطفين الأخيار من عباده .

ﷺ

وإذا كان النزالي محدوداً في آئمة فلاسفة الإسلام ؛ فإن ذلك حق ، إذا أريد به أنه صاحب رأى وصاحب فكرة حرة ، لا تسير في ركاب فكر أخرى ، مهما يكن حظها من الذبوع ؛ وحظ أصحابها من المجد في دنيا التفكير .

وإذا كان النزالي محدوداً في رأس المتصوفة القبة الزاهدة الورعة ، فإن ذلك حق أيضاً ، ولكن ينبغي أن يكون معروفاً أنها ليست صوفية البتة من العوام ، ولكنها صوفية الخاصة ، صوفية مستتيرة جادة مجاهدة في طلب المعرفة ، وسبيل الوصول عندها إلى الحقيقة ذلك الجسد الذي يقتحم كل واد من أودية المعرفة : المعرفة التي يرضاها ؛ والمعرفة التي ينكرها ، والمعرفة التي قد يسلم بها ولكنه لا يأخذ بها .

وهي صوفية تنف في وجه الابتداع ، وتنقف أيضاً في وجه التقليد ، صوفية تنفذ من أمم الملوحة من أهل العقل ، وهي في الوقت نفسه تحترم أحكام العقل التي لا تقبل المنازعة ؛ حتى لو عدها بعض الجامدين خروجاً على الدين ومخالفة لنصوص سادت في بيئاتهم ؛ إنه يؤول تلك النصوص تأويلاً يجاري به أحكام العقل وأحكام الطبيعة ؛ ويطمن في صحة النص إذا عارض أحكام العقل المسلم بها وأحكام الطبيعة الزاهنة الشاخصة ، ويندب إلى أن الإصرار على تقبل تلك النصوص على ما فيها مضر بالإسلام ومشكك في صحة العقيدة .

انظر إليه وهو يحصى أقسام الخلاف بين الفلاسفة وبين غيرهم من الفرق ، ويذكر قسماً من هذا الخلاف ، لا يصدم مذهب الفلاسفة فيه أصلاً من أصول الدين ، وليس من ضرورة تصديق الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم منازعتهم فيه ، كقولهم : إن كسوف القمر عبارة عن انمحاء ضوء القمر بتوسط الأرض بينه وبين الشمس ، من حيث إنه يقتبس نوره من الشمس ، والأرض كرة والسماء محيطة بها من الجوانب ، فإذا وقع القمر في ظل الأرض

اقطع عنه نور الشمس . وكقولهم : إن كسوف الشمس معناه وقوع جرم القمر بين الناظر وبين الشمس ، وذلك عند اجتماعهما في المقدتين على دقيقة واحدة .

إن هذا الفن لا يحاول النزالي أن يخوض في إبطاله ، إذ لا يتعلق به غرض من الدين ، وبصرح بأن من يظن أن المناظرة في هذا من الدين ، قد جنى على الدين وضمت أمره ، لأن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية حسائية لا يبقى معاربية ، ومن اطلع عليها وتحقق أدلتها ، حتى يحبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرها ومدة بقائها إلى الانجلاء ، إذا قيل له : إن هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وإنما يستريب في الشرع . وضرر الشرع عن ينصره لا بطريقه ، أكثر من ضرره ممن يظن فيه بطريقه ، وهو كما قيل : عدو عاقل خير من صديق جاهل ! .

فإن قيل : قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الشمس والقمر لآيتان من آيات الله ، لا يخفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة » فكيف يلائم هذا ما قالوه ؟ يقول للنزالي : ليس في هذا ما يناقض ما قالوه ، إذ ليس فيه إلا نفي وقوع الكسوف لموت أحد أو لحياته ، والأمر بالصلاة عنده . والشرع الذي يأمر بالصلاة عند الزوال والتروب والطلوع ، من أين يبعد منه أن يأمر بها عند الكسوف استحباباً ؟ .

فإن قيل : قد روي أنه قال في آخر الحديث : « ولكن الله إذا تعجل شيء خضع له » فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التعجل . قلنا : هذه الزيادة لم يصح نقلها ، فيجب تكذيب ناقلها ؛ وإنما الروي ما ذكرناه ، كيف ولو كان صحيحاً لكان تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية ؟ ! فكم من ظواهر أولت بالأدلة العقلية التي لا تنتهي في الوضوح إلى هذا الحد .

وأعظم ما يفرح به الملاحدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع ؛ فيسهل عليهم طريق إبطال الشرع ، إن كان شرطه أمثال ذلك !

وهذا لأن البحث في العالم عن كونه حادثاً أو قديماً ، ثم إذا ثبت حدوثه ، فسواء أكان كرة أم بسيطاً ، أم حديداً ، أم مشتماً ؛ وسواء أكانت السموات وما تحتها ثلاث عشرة طبقة ، أم قل ، أم كثر ، فنسبة النظر فيه إلى البحث الإلهي ، كنسبة النظر إلى طبقات البصلة وعددها ، وعدد حب الزمان ، فالقصور كونه من فعل الله تعالى حقه كيفاً كان !

إن مثل هذه العقليّة الواعية ، هي العقليّة التي تخدم الدين ، وتبسط ساحته ، وتدعو إليه ، وترغب فيه ، لا العقليات الجاهلة التي تقف في سبيل كل علم ، وتمترس على كل نظر واجتهاد وتعمد من الأمور المحدثّة ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة في النار . حتى حار كثير من المسلمين في تقبل ألوان المعارف التي لم يكن لسلف عهد بها ، خشية أن تكون من تلك البدع التي تقود صاحبها إلى غضب الله ، وإلقائه في جهنم وبئس القرار . وبهذا التردد وقف الركب بلد أن يتقدم ، وأحجم حيث يجب أن يُقدّم . وزعم بعض النافلين أن الدين نصي يبنى الوقوف

عند حروفه ودلالات ألفاظه ؛ وما ليس في هذه النصوص فالإسلام منه براء ؛ وهو لنرى يحمل بالمسلم أن يحاشاه إن أراد الحفاظ على عقيدته . وغفلوا عن أن صاحب الدين هو صاحب الدنيا ، وأنه واهب العقول ، كما ألقى في القلوب الهدى ، وهداها إلى الإيمان ؛ وأنه أمر بالحق كما أمر بالنظر والبحث في ملكوته ، لتبين آياته للمتوسمين .

الباحثون عن الحقيقة :

وهم السالكون سبل طلب الحق ؛ وإن شذ الحق عنهم فلا يبتغي في درك الحقيقة مطمح ؛ إذ لا مطمح في الرجوع إلى التقليد بعد مفارقتها .

وقد بحث عنهم النزالي في عصره فألفاهم أربع فرق :

- (١) المتكلمون : الذين يدعون أنهم أهل الرأي والنظر .
 - (٢) الباطنية : الذين يزعمون أنهم أصحاب التعليم ، والخصوصون بالاعتباس من الإمام المعصوم .
 - (٣) الفلاسفة : وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان .
 - (٤) الصوفية : وهم الذين يدعون أنهم خواص الحضرة ، وأهل الشاهدة والمكاشفة .
- وقد درس النزالي مباحث هذه الفرق ، وأمن في درس مناهجها في البحث .

النزالي وعلم الكلام :

ابتدأ بعلم الكلام فخصّله وعقله ، وطالع كتب المحققين من المتكلمين ، وعرف أن غايتهم حفظ عقيدة أهل السنة عن تشويش المبتدعين . فقد أطلق الله ألسنتهم لنصرة السنة بكلام مرتّب ، يكشف عن تلبس أهل البدعة المحدثنة على خلاف السنة الماثورة . وقامت طائفة منهم بما ندبهم الله إليه ، فأحسنوا الذّبح من السنة والنضال عن العقيدة المتفاعة بالقبول من النبوة ، والتنفير في وجه ما أحدث من البدعة .

ويرى النزالي بأنه صادف علم الكلام وافيًا بالفاية التي كان لها ، ولكنه على الرغم من ذلك لم يشف نفسه ولم يف بمقصوده ، لأنه لم ير الاستقلال كاملاً في بحوثه والتجرد في طلبه ، بل ألقي المتكلمين اعتمادوا في سبيل غايتهم على مقدمات نسلوها من خصومهم ، واضطروهم إلى التسليم بها التقليد ، أو إجماع الأمة ، أو مجرد القبول من القرآن والأخبار ، ولأن أكثر خوضهم كان في استخراج مناقضات الخصوم ، وهذا قليل النفع في حق من لا يعلم سوى الضروريات بشيء أصلاً . ثم إنه لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه ، تشوق المتكلمون إلى محاورة الذّبح عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور ، فحاضوا في البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها ، ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم لم يبلغ كلامهم فيه الفاية القصوى ، ولم يكن من ذلك ما يعجز بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق .

ولذلك لم يجد النزالي علم الكلام وافيًا بمراده ، ولا شافياً لدائه . وإن كان لا ينكر أن هذا العلم قد شفى قسماً من غيبه ووفى بمقصوده ، بل لا يشك في حصول ذلك لطائفة ، ولكنه حصول مشوب بالتقليد في بعض الأمور . والنزالي

يحكى بذلك حاله ولا ينكر على من استثنى به ، فإن أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء ، وكمن دواء ينتفع به مريض ، ويستضر به آخر

النزالي والفلسفة :

وتنقّى بطل الفلسفة ، درسه في سنتين ، ثم لم يزل يواظب على التفكير فيه بعد فهمه قريباً من سنة ، بماوده ويردّده ، ويتفقد غوامضه وأغواره ، ويطلع على ما فيه من خداع وتليس ، وتحقيق وتخيل . وقد رأى الفلاسفة أصنافاً ، ورأى علومهم أقساماً .

عرف منهم (الذهرين) الذين جسدوا الصانع للذهر ، العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه ، وبلا صانع . ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، كذلك كان ، وكذلك يكون أبداً . وهؤلاء هم الزنادقة .

وعرف منهم (الطبيين) الذين أكثروا البحث عن عالم الطبيعة ، وعن عجائب الحيوان والنبات ، وأكثروا الخوض في علم تشريح أعضاء الحيوانات ، فأروا فيها من عجائب صنع الله تعالى وبدائع حكمته ، ما اضطروا معه إلى الاعتراف بقاطر حكيم ، مطلع على غايات الأمور ومقاصدها ، إلا أنهم يرون لاعتدال المزاج تأثيراً عظيماً في قوام قوى الحيوان به ، فظنوا القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه ، وأنها تبطل ببطلانه ، وإذا انعدم فلا يعقل إعادته ؛ فالتنسّيموت ولا تعود ، فجسدوا الآخرة ، وأنكروا الجنة والنار والحشر والنشر والقيامة والحساب ، ولم يبق عندهم للطاعة ثواب ، ولا للمعصية عقاب ، فأنهكوا في الشهوات أنهارهم الأنعام . وهؤلاء أيضاً زنادقة ، لأن أصل الإيمان هو الإيمان بالله واليوم الآخر ، وهؤلاء جسدوا اليوم الآخر ، وإن آمنوا بالله وصفاته .

وعرف منهم (الإلهيين) من أمثال سقراط وأفلاطون وأرسططاليس القدي رتب لهم للنطق وهذب لهم العلوم ، وحرر عالم يكن محرراً من قبل ، وأنضج لهم ما كان غفياً من علومهم . وهؤلاء يحملتهم ردوا على الذهرين والطبيين وأوردوا في الكشف عن فضائهم ما أغنوا به غيرهم ، وكذلك ردّ بعضهم بعضاً . ولهم شعبة من المتفلسفة الإسلاميين كابن سينا والفارابي .

أما العلوم التي خاض فيها أولئك الفلاسفة فقد حصل أقسامها ودرس مباحث كل منها ، وأعلن رأيه فيها ، وهي العلوم الرياضية والمنطقية والطبيعية والإلهية والسياسية والخلقية ، وتكلم عن آفاقها وعما يتماق منها بالدين ، ومالا يتصل به أولاً يؤثر في العقيدة الوقوف عليه . فالرياضيات التي تتماق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم ليس يتعلق شيء منها بالأمور الدينية غفياً وإثباتاً ، بل هي أمور برهانية لا سبيل إلى مجادلتها بعد فهمها ومعرفة قوتها . ولكن تولدت منها آفتان :

الأولى : أن من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ، ومن ظهور براهينها ، فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة فيحسب أن جميع علومهم في الوضوح وفي وثاقة البرهان كهذا العلم ، ثم يكون قد سمع من كفرهم وتسطيلهم وتهاونهم بالشرح ما تداولته الألسنة ، فيكفر بالتقليد المحض ؛ ويقول : لو كان الدين حقاً لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم

في هذا العلم . فإذا عرف بالتسامح كفرهم وجحدهم استدلل على أن الحق هو الجحد والإنكار للدين ، وكما رأيت من يضل عن الدين بهذا القدر ؛ ولا مستند له سواء ؛ مع أن الحادق في صناعة واحدة ليس يلزم أن يكون حاذقاً لكل صناعة .
والثانية : نشأت من صديق للإسلام جاهل ، ظن أن الدين ينصر بإنكار كل علم منسوب إليهم ، فأنكر جميع علومهم وادّعى جهلهم فيها ، حتى أنكر قولهم في الكسوف والخسوف ، وزعم أن ما قالوه على خلاف الشرع ، فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك في برهانه ، لكن اعتقد أن الإسلام مبني على الجهل وإنكار البرهان القاطع ، فازداد للفلسفة حباً ، وللإسلام بغضاً . ولقد عظم على الدين جناية من ظن أن الإسلام ينصر بإنكار هذه العلوم ، وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي أو الإثبات .

وبهذا الأسلوب عالج النزالي سائر أقسام علوم الفلاسفة ، وخلص من دراسته بأن علومهم غير وافية بكمال النقص ، وأن العقل ليس مستقلاً بالإحاطة بجميع المطالب ، ولا كاشفاً للقطاء عن جميع المضلات .

النزالي ومذهب التعليم :

وعرف ما عند أولئك الذين يسون أنفسهم (التعليميين) الذين شاع بين الخلق تحذيرهم بمعرفة معنى الأمور من جهة الإمام المعصوم القائم بالحق ، وبحث عن مقالاتهم ، واطلع على ما في كتبهم ؛ وهناك عامل خارجي أعانه على هذا البحث ضمنية للبائع الأصلي من الباطن في طلب المعرفة ، وذلك هو ورود أمر جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم ، فلم يسه مدافسته .

وخلاصة رأي النزالي أنه لا حاصل عند هؤلاء ولا طائل لكلامهم ، ولولا سوء نصرة الصديق الجاهل لما انتهت تلك البدعة مع ضعفها إلى هذه الدرجة . ولكن شدة التعصب دعت الذآيين عن الحق إلى تطويل النزاع معهم في مقدمات كلامهم ، وإلى مجادلتهم في كل ما نطقوا به ، فجاهدوا في دعواهم « الحاجة إلى التعليم والمعلم » ودعواهم أنه « لا يصلح كل معلم بل لا بد من إمام معصوم » وظهرت حجّتهم في إظهار الحاجة إلى التعليم والمعلم ، وضف قول المنكرين في مقابلته ؛ فآغتر بذلك جماعة ، وظنوا أن ذلك من قوة مذهبهم وضمف مذهب المخالفين لهم ، ولم يفهموا أن ذلك لضعف ناصر الحق وجهله بطريقة ، بل للصواب الاعتراف بالحاجة إلى المعلم ، وأنه لا بد أن يكون المعلم معصوماً . ولكن معلنا المعصوم هو محمد صلى الله عليه وسلم فإذا قالوا : هو ميت ! فنقول : فمعلمكم غائب .

فإذا قالوا : معلنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد ، وهو ينتظر مراجعتهم إن اختلفوا أو أشكل عليهم مشكل فنقول : ومعلنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد ، وأكل التعليم ، إذ قال الله تعالى : « أَلْيَوْمَ أَكُنْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي » وبعد كمال التعليم لا يضر موت المعلم كما لا تضر غيبته !

ويورد بعد ذلك طائفة من مقالاتهم ، ويمجد في البرهان على إبطالها . ثم يقول : فهؤلاء أيضاً جربناهم ، وسيرنا ظاهراً وباطناً ، فرجع حاصلهم إلى استدراج العوام وضعفاء العقول ببيان الحاجة إلى المعلم ، ومجادلتهم في إنكار الحاجة إلى التعليم بكلام قوي مفهم ، حتى إذا ساعد على الحاجة إلى المعلم مساعد ، وقال هات طه ،

وافدنا من تعليمه ، وقف وقال : الآن سلمت لي هذا فأطلبه ، فإنما غرضي هذا القدر فقط ١ . إذ علم أنه لو زاد على ذلك لا تفصح ، ولعجز عن حل أدنى الإشكالات ، بل يجز عن فهمه ، فضلا عن جوابه .
فلما خبرهم بفض اليد عنهم ، إذ لم يجد معهم شيئا من الشفاء المنجي من ظلمات الآراء .

النزالي والصوفية :

وبقي من طوائف الباحثين من الحقيقة طائفة (الصوفية) ، وقد علم أن طريقهم إنما تم بعم وعمل ، وحاصل عملهم قطع عقبات النفس والنزاهة عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة ، حتى يتوصل بها إلى تخليق القلب عن غير الله تعالى ، وتخليته بذكر الله .

يقول النزالي : وكان العلم أبسر على من العمل ، فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم ، مثل « قوت القلوب » لأبي طالب المكي رحمه الله ، وكتب الحارث المحاسبي ، والفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي ، قدس الله أرواحهم ، حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العملية ، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع ، فظهر لي أن خواص خواصهم مالا يمكن الوصول إليه بالتعلم ، بل بالذوق والحال وتبدل الصفات وعلمت يقينا أنهم أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال ، وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم قد حصلته ولم يبق إلا مالا سبيل إليه بالسماع والتعلم ، بل بالذوق والسلوك .

ولقد أدنى النزالي على الصوفية ثناء عظيما ، وامتدح سيرتهم ، بعد أن عكف على دراستهم علما وعملا واقتداء ، ونجودا ومجاهدة نفس ، حتى انتهى إلى أن للصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ، وأن سيرتهم أحسن السير ، وطريقهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق .

بل إنه ليذهب إلى أنه لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء لغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا ، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به .

وبالجملة فإذا يقول القائلون في طريقة ، طهارتها - وهي أول شروطها - تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ، ومفتاحها استغراق القلب بالكلية بذكر الله ، وآخرها الفناء بالكلية في الله ؟

وهو على مذهبه في حرية البحث ، وفي حرب التقليد ؛ لا يفرم على كل شيء إقرارا مطلقا ، بل إنه ليصف بانحطاط ما تذهب إليه بعض طوائفهم مما يجري على ألسنتهم ، ممن يقولون بالحلول ، ومن يقولون بالاتحاد ، ومن يدعون الوصول ؛ وغير ذلك مما يهده أثر من آثار هدم القدرة عن الإنصاح عما يردون وما يشاهدون من آثار عظمة الله ، إلى درجة يضيئ فيها نطاق النطق ، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح ^(١) .

آثار النزالي :

تلك لغات من الجهود المضنية التي بذلها النزالي في العلم وتحصيله ، وفي سبيل البحث عن الحقيقة ، بالبحث عن طاليها ، والوقوف على ما عديم من فنونها ؛ مع تحميم مقالاتهم والفحص عن حقيقة مذاهبهم وعلومهم ؛ ولا نشك في أن الذين أبلوا مثل هذا الهلاك أقل من القليل ، قد جرت النالبة المظلمة من الفكرين على أن يتخفوا لأنفسهم منهجاً واحداً لا يكادون يتعدونه ، وتهديمهم للابنيات إلى فكرة واحدة يعممون حولها ، أو يحصرّون أنفسهم في دائرتها ؛ ولا يكادون ينظرون إلى ما حولها من سائر الآراء والأفكار ، على ذلك النحو الذي ذكرنا طرقاً منه .

وإنك لتعجب لتلك الآثار التي خلفها النزالي ؛ فإنها على كثرتها العجيبة تفيض بصنوف من المعرفة المتخصصة وتجد في كل أثر منها لوقاً خاصاً متميزاً عما عداه ، وتجد فيه ما تنشده من العمق والأصالة ، وإنك لتراه في كثير من المواضع إذا قارب فكرة من الأفكار ، أو مشكلة من المشكلات ، يكون قد درسها في كتاب آخر ، فإنه يشير إلى الكتاب الذي عرض فيه لتلك الفكرة ، أو درس فيه تلك المشكلة ، وتراه ينفر من تكرار نفسه ، وتلك دلالة القوة والتمكن .

ومن تلك الآثار التي خلفها :

- (١) كتاب إحياء علوم الدين : وسنخصه بشيء من الدراسة .
- (٢) كتاب تهافت الفلاسفة : درس فيه مقالات الفلاسفة ، وبين أغلاطهم ، التي حصرها في عشرين أصلاً ، يجب تكفيرهم في ثلاثة منها ، وتبديهم في سبعة عشر .
- (٣) كتاب الاقتصاد في الاعتقاد : في مقدار مائة ورقة يحوى لباب علم المتكلمين .
- (٤) كتاب المنقذ من الضلال : ذكر فيه غاية العلوم وأسرارها ، وغائلة المذاهب وأغوارها ، وما قاساه في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق .
- (٥) كتاب جواهر القرآن : أبان فيه عن أسرار من آيات القرآن ، وأنه البحر المحيط المنطوي على أصناف النفائس .
- (٦) كتاب ميزان العمل : وهو فلسفة دينية توضح ما جاء في علوم الدين من النيات والقاصد .
- (٧) كتاب المقصد الأسنى في معاني أسماء الله الحسنى .
- (٨) كتاب فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة : ذكر فيه فساد رأى من يسارع إلى التكفير في كل ما يخالف مذهبه .
- (٩) كتاب القسطاس المستقيم : ذكر فيه طريق رفع الخلاف بين الخلق ، وهو كتاب مستقل بنفسه مقصوده بيان ميزان العلوم ، وإظهار الاستثناء عن الإمام المعصوم .
- (١٠) كتاب المستظهرى (١١) كتاب حجة الحق (١٢) كتاب مفصل الخلاف في أصول الدين . وفي هذه

الكتب الثلاثة تعرض لمذهب التلمبية وبين فساد مذهبهم .

- (١٣) كتاب كيمياء السعادة : حصر فيه الشبه التي توهمها أهل الإباحة وكشفها .
 (١٤) كتاب البسيط (١٥) كتاب الوسيط (١٦) كتاب الوجيز (١٧) كتاب خلاصة المختصر . وهي كتب تبحث في علم الحدود الموضوع للاختصاص بالأموال والنساء والمعاملات ، وغيرها من المباحث الفقهية .
 (١٨) كتاب ياقوت التأويل في تفسير التنزيل : في أربعين مجلداً .
 (١٩) كتاب المستقصى (٢٠) كتاب للنخول . وفيها في أصول الفقه .
 (٢١) كتاب للتحل في علم الجدل (٢٢) كتاب معيار العلم (٢٣) كتاب المقاصد .
 (٢٤) كتاب المضمون به على غير أهله (٢٥) كتاب مشكاة الأنوار (٢٦) كتاب محكم النظر (٢٧) كتاب أسرار علم الدين (٢٨) كتاب منهاج العابدين (٢٩) كتاب الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة (٣٠) كتاب الأنيس في الوحدة (٣١) كتاب القربة إلى الله عز وجل (٣٢) كتاب أخلاق الأبرار والنجاة من الأشرار (٣٣) كتاب بداية الهداية (٣٤) كتاب الأربعين في أصول الدين (٣٥) كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٦) كتاب للمبادئ والنهايات (٣٧) كتاب تليس إبليس (٣٨) كتاب نصيحة الملوك (٣٩) كتاب شفاء العليل في القياس والتحليل (٤٠) كتاب إجماع العوام عن علم الكلام (٤١) كتاب الانتصار (٤٢) كتاب العلوم الدنيوية (٤٣) كتاب الرسالة القدسية (٤٤) كتاب إثبات النظر (٤٥) كتاب المأخذ (٤٦) كتاب القول الجليل في الرد على من غير الإنجيل (٤٧) كتاب الأمالي .

ومن هذه الكتب ما هو ضمن رحب المادة ، ولكن بعض هذه الآثار صغير لا يرقى إلى درجة الكتاب ، ولكنه ربما كان أشبه بملفات التي تقضيها المجادلات في موضوع من الموضوعات ؛ أو إزالة شبهة من الشبه العارضة . وأيا ما كان الأمر ، فإن هذا الإنتاج الضخم يدل صدق دلالة على أن صاحبه من الذين وفقوا حياتهم على العلم ؛ وتبتلوا في محرابه ، كما يدل على إخلاص للدين ، وتفان في سبيل الذود عن حياضه ؛ إلى ما يدل عليه من كثرة التحصيل وغزارة المعرفة ؛ والحياة المباركة التي هيأ الله سبيلها ووفق إليها .

كتاب إحياء علوم الدين

ذكر المؤرخون أن الفزالي حدث بكتاب الإحياء ، بعد عودته إلى بغداد من رحلته إلى بلاد الشام ، أي بعد تلك الفترة التي عزفت فيها نفسه عن الدنيا ، وزهدت فيها وقطع فيها ، العلاتق بينه وبين الناس ، وذكروا أنه كان يحدث بهذا الكتاب في مجالس الوعظ ، وروى ابن النجار أن الفزالي « لم يكن له أستاذ ولا طلب شيئاً من الحديث » والذي ينهم من ظاهر هذا الكلام أن ما حدث به الفزالي في بغداد من كتاب إحياء علوم الدين كان إلهاماً أو كان ثمرة من ثمرات المعرفة التي أفاضها الله عليه في مرحلة نسكه وتصوفه .

هذا ولا نستطيع أن نقرّ هذا المفهوم على إطلاقه ، فنقول مع القائلين : إن كل ما في « إحياء علوم الدين » كان وحياً أو إلهاماً ، وأنه كان ثمرة لحياة العزّة والتأمل التي قضاها في دمشق وبيت المقدس وفي البلد الحرام .

ونحن في هذا لا ننكر أثر النفس والخلوة في تطهير النفس وتصفيتها وإطلاقها من قيود المادة ، فإن في قطع العلائق بالحياة والناس ، إبقاء على كثير من الجهود التي يستنفدها الاضطراب في الحياة والاتصال بالناس ، واتشغل القلب بأفوالهم وأعمالهم وتزاحمهم في طلب الحياة .

لا ننكر أثر التصفية والتخلية في إرهاف الملكات وتنقية الروح من الشوائب التي تقعد بها عن بلوغ درجة التفكير الجرد في هذا الملوكوت ، وفي الخلق والخلق ، وفي البداية والنهاية ، وفي مذاهب السلوك وفلسفة الأخلاق . بل إننا لانشك أن الخلوة وطول التأمل وكبح جماح النفس من أعظم أسباب تحرير الروح من قيود المادة ، وفيها أكبر عون على تنظيم التفكير ، وتقليل ما في الكون من الماديات ، وما ينطوي فيها من الآيات ، وما يحتاج ورعاها من الأسرار التي أعيت على العقول .

ولكننا ننكر كل الإنكار أن يكون ما في « الإحياء » من الأصول الفقهية ، والمسائل الشرعية ، وقواعد العبادات ونحوها شيئاً جديداً ألهمه النزالي في رحلاته أو أوحى به إليه في خلواته ، ونرى في مثل هذه الدعوى سفاهة قد يشك فيها البطل من السوام ، بله غيرهم من طبقات المفكرين .

وننكر كل الإنكار أن يكون ما اشتمل عليه « الإحياء » من النصوص وما استشهد به من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً عرفه النزالي من غير معلم ولا كتاب ، وقد ثبت أن تلك الأحاديث مروية معروفة خرجها المخرجون من رواية الأحاديث والمالين بإسنادها ورواياتها .

كل ذلك لا شك في بطلانه بحكم العقل وبحكم الشرع أيضاً .

ولا شيء من هذه الدعاوى يرتفع به النزالي بين الباحثين أو المفكرين أو رجال الصوفية ، إذا كان هناك من يريدون له تلك المنزلة بين الباحثين والمفكرين والتصوفة عن مثل هذا الطريق التي لا يرضاها النزالي لنفسه .

إن تلك الأصول وتلك النصوص ليست مجال وحي ولا مجال إلهام ، وكيف الإلهام بمحصل موجود يعرفه العالمة ويعرفه الخاصة ، وليس في تحصيله كبير عنت ولا مشقة لمن يريد المعرفة والتحصيل ١٢

وإنما الجهد أو الاجتهاد الذي لا ننكر فيه أثر الخلوة وتصفية النفس ، فهو ما عاقل به لتلك الأحكام وما جمع منها ، وما نظم به طرائق البحث فيها ، وما أرجع به الدين إلى فطرته ، ليكون عملاً واجتهاداً ، كما كان معتقداً وإيماناً ، وفي « الإحياء » من ذلك الشيء الكثير الذي يدل على طول الباع ، كما يدل على سعة الاطلاع ، وبذل على صفاء النفس وطهارة القلب ، كما يدل على الجهد والعناء في الرواية والدراسة ، وفيما تقدم الكثير من الأدلة على ذلك .

تنقل للنزالي بين خراسان وال عراق والشام والحجاز ، فإذا وجد في تلك البلاد التي تعد معاقل للإسلام ؟ وجد فيها خلفاء أبطرم السلطان وفتنهم الدنيا ، وحولهم من الرعية من يفتل لم بين الذروة والتارب ، وفيهم

الصابر يأساً ، والمصرّ خذّه تيهاً ودلالاً ، وألنى رجال الدين في شغل من الدين ، يتذلقونه في استرضاء السلطان ، وإشباع نهمه في الاستعلاء والكبرياء ، والكل عن الدين لاهون ، إلا بالقدر الذي تدرّ به معاشهم ، وبين هؤلاء وأولئك طائفة تدعى المرفة ؛ وتتخذ دين الله هزواً ، وترى الآخذين به جهةً من الطغام ، ومن حوام الدماء ؛ والأخذ به غفلةً وجوفاً ، حتى زاد الخطب وحمت الرزية ، وأحوج الأمر إلى من يذكر بالله ، ويحث على التدبر في آياته ، والرجوع إلى دينه الحق وصراطه المستقيم .

إلى هؤلاء وأولئك أشار النزالي في خطبة « الإحياء » إذ وجد في الناس للتأثير على ما هو عليه من العسى من جليلة الحق ، مع اللجاج في نصرته الباطل وتحسين الجمل والتشبيب^(١) على من آثر التزوم قليلاً من مراسم الخلق ، وميل يسيراً من ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم ، طمعا في نيل ما عبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب . . وأدق الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، وقد شغلهم الزمان ، ولم يبق إلا المترسمون ، وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغنيان ، وأصبح كل واحد بما جل حظه مشغوقاً ، فصار يرى المعروف منكراً والمفكر معروفاً ، حتى ظل علم الدين مندوساً ، ومانر الهدى في أقطار الأرض منقطعاً ، ولقد خيلوا إلى الخلق ألا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام ، أو جدل يتدرب به طالب للباهات إلى التلبه والإضمار ، أو مسج مزخرف يتوصل به الواعظ إلى استدراج العوام ، إذ لم يروا سوى هذه الثلاثة مصيدة الحرام ، وشبكة الحطام ! فأما علم طريق الآخرة ، وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه حقاً وحكمة وعلماً ، وضياءً ، ونوراً وهداية ، ورشداً ، فقد أصبح من بين الخلق مطويا ، وصار نسباً منسياً .

ورأى النزالي ما آكل إليه الأمر ثلثاً ملأ ، وخطباً مدلهما في الدين ، وأن الاشتغال بتحرير هذا الكتاب فيه إحياء لعلوم الدين ؛ وكشف عن مناهج الأئمة المتقدمين ، وإيضاح لمناهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين^(٢) .

وقد ذكر أن أمثال هذه البحوث ليست جديدة مستحدثة ، فقد صنف الناس في المائتي ألف فيها كتباً ، ولكن كتابته تتميز عن كتاباتهم بخمسة أمور :

الأول : حل ما عقده ، وكشف ما أجهلوه .

الثاني : ترتيب ما بددوه ، ونظم ما فرقوه .

الثالث : إيجاز ما طولوه ، وضبط ما فرقوه .

الرابع : حذف ما كرروه ، وإثبات ما حرروه .

الخامس : تحقيق أمور غامضة اعتصمت على الأفهام لم يتعرض لها في الكتب أصلاً : إذ الكل وإن توارها

(١) التشبيب : تهيج الدم

(٢) إحياء علوم الدين : ص ٩ من هذه الطبعة .

على منهج واحد ، فلا نستكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه وينفل عنه رفقاً . أولاً ينفل عن التنبيه ، ولكن يسهو عن إirاده في الكتب . أولاً يسهو ، ولكن يصرفه عن كشف الخطأ عنه صارف .

وما قرره صحيح ، يمتد له به كل باحث وكل دارس وكل مؤلف ، إذ لابد لصاحب الموضوع من الرجوع إلى الجهود السابقة فيه ، ليعرف مواضع النقص ومواطن الخلل ، ثم يمرر من تلك الجهود ما يستحق التحرير ، ويضيف إليه ما عنده من المعرفة فيه ، والتحرير جهد يقتضى الإحاطة ، والإضافة هي ما يعتز به جهد من جهد ، ويفضل بها الكاتب سواء من الكاتبتين .

أو بمعنى آخر لابد من النضر الذاتي والأصالة في كل عمل له وزن بين الأعمال ؛ ليحسب صاحبه بين رجال المعرفة بالموضوع ؛ وقد أشرنا إلى مجال الذاتية في الكلمات السابقة .

ولقد ذكر التزالي نفسه أن العلوم التي تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الأحوال في حصولها ، فتارة تهجم على القلب كأنها أقيمت فيه من حيث لا يدري ، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم .

فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى (الإلهام) .

والذي يحصل بالاستدلال يسمى (الاعتبار) و (الاستبصار) ويختص به العلماء .

ثم الواقع في القلب بغير الحيلة والتعلم والاجتهاد من العبد ينقسم إلى :

(١) ما لا يدري العبد كيف حصل له ، ومن أين حصل ، وهذا يختص به الأولياء والأصفياء .

(٢) ما يطلع العبد منه على السبب الذي استفاد منه ذلك العلم ، وهو مشاهدة الملك الملقى في القلب ، وهذا

يسمى (وحياً) ويختص به الأنبياء .

ويقرر التزالي أن الأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر ، وقاض على صدورهم النور من غير طريق التعلم والدراسة والكتابة ، بل بالزهد في الدنيا ، والتبرؤ من علائقها ، وتفرغ القلب من شواغلها ، والإقبال بكنه المهمة على الله تعالى . .

إلا أنه مع ذلك يصرح بأنه « إذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة ، تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن تزول ، وينقضى العمر قبل النجاح فيها ، وكمن صوفى سلك هذا الطريق ، ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ، ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانتفع له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فلاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى النضر » .

لقد زعموا أن ذلك يضاهي ما لو ترك الإنسان تعلم النقه ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصلو قعها بالوحى والإلهام من غير تكرير وتعليق ، ثم يقول قائلهم : فأنا أيضاً ربما انتهت إلى الرياضة والمواظبة إليه ١٩

ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه ، وضيع عمره ، ومثله مثل من يترك طريق الكسب والحراثة ، رجاء النور على

كنز من الكنوز . إن ذلك ممكن ولكنه بعيد جداً . فكذلك هذا

لا بد أولاً من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ، ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء ، فسواء ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة ^(١) .

فلتتدبر هذا الكلام جيداً أولئك القائلون ؛ ليعرفوا أن طريق الآخرة معرفة وحمل ، كما أن طريق الحياة علم وجهاد ؛ وليعلموا أن النزالي وهو من أقطابهم في القمة لم يبلغ ما انتهى إليه إلا بالكفاح الطويل في تحصيل المعرفة .

— ٢ —

قسم النزالي « إحياء علوم الدين » أربعة أقسام ، أو أربعة أرباع كما سماها :

(١) ربيع العبادات : ذكر فيه العلم ، وقواعد الصفات ، وأسرار الطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وآداب تلاوة القرآن ، والأذكار والدعوات ، والأوراد وأوقاتها . وقد ذكر في هذا القسم من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه ، بل لا يكون من طمأنينة الآخرة من لا يطلع عليه .

(٢) ربيع العادات : يشتمل على آداب الأكل ، وآداب النكاح ، وأحكام الكسب ، والحلال والحرام ، وآداب الصحبة والمباشرة مع أصناف الخلق ، والعزلة ، وآداب السفر ، والسماع والوجد ، والأسر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وآداب المعيشة ، وأخلاق النبوة .

وفيه ذكر أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها ، وخفايا الورع في مجاريها .

(٣) ربيع المهلكات : وقد شرح فيه عجائب القلب ، ورياضة النفس ، وآفات شهوات البطن والفرج ، وآفات اللسان ، وآفات النضب والحقد والحسد ، وذم الدنيا ، وذم المال والبخل ، وذم الجاه والرياء ، وذم الكبر والتعجب ، وذم الغرور .

وقد درس في هذا القسم كل خلق مفصلاً ورد القرآن بإيمانه ، وتزكية النفس عنه ، وتطهير القلب منه ، وذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حذره وحقيقته ، ثم ذكر سببه الذي يتولد منه ، والآفات التي تنبت عليه ، والعلامات التي يعرف بها ، وطرق المعالجة للتخلص منه .

(٤) ربيع المنجيات : وقد ذكر فيه كل خلق مفصلاً وعمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصدّيقين التي بها يقرب العبد من رب العالمين ، وقد ذكر في كل خصلة حذرها وحقيقتها وسببها ونميتها وعلامتها وفضيلتها .

وتلك المنجيات هي : التوبة ، والصبر ، والشكر ، والخوف والرجاء ، والفقر والزهد ، والتوحيد والتوكل ، والمحبة والشوق والأنس والرضا ، والنية والصدق والإخلاص ، والمراقبة والمحاسبة ، والتفكير ، وذكر الموت .

وقد قدم الكتاب بالكلام في فضل العلم والتعليم ، ليكشف عن العلم الذي يعبد الله تعالى به ، حتى تصح العبادة ؛ إذ كان من العلم ما هو نافع وما هو ضار ، وما هو محمود ، وما هو مذموم ؛ وفي فنون العلم التي شغل بها معاصروه ، وحكم كل علم منها .

(١) راجع الجزء الثاني من الإحياء (ص ١٧ - ١٩) من هذه الطبعة .

والذى ينظر فى هذه الموضوعات يتضح له أنها تعالج النفس الإنسانية على أوسع نطاق ، وتتناولها ، من أكثر جهاتها ، وتدرس شتى علاقاتها .

قد درس فيها النزاع بين الإنسان مع ربه ، والإنسان مع نفسه ، والإنسان مع غيره من الناس . وتهدف تلك الدراسات إلى استخلاص أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة ؛ أو معرفة الأسباب التى تكون بها الحياة سبيلا إلى الآخرة ؛ أو تسخير ما منح العبد من إرادة وقوة واختيار ؛ لتكون حجة حين يسلب الحياة والإرادة والقوة والاختيار . أغراض تتلاقى جميعاً ما دامت حياة الإنسان محدودة ، وما دامت إرادته وقوته واختياره موقوفة بهذه الحياة المحدودة ؛ وما دام العقل والاستدلال والمعرفة تُنفى جميعاً إلى التسليم بالبعث والنشور والحساب والجنة أو النار . وكان الذى حفز النزاع إلى تلك البحوث للضيقة مارأى من خور الاحتضادات فى أصل النبوة ، ثم فى حقيقة النبوة ، ثم فى العمل بما شرحته النبوة ، وتحقيق شيوخ ذلك بين الخلق ، فنظر فى أسباب الفتور وضعف الإيمان ، فإذا هى أربعة :

- ١ - سبب من الخائفين فى علم الفلسفة .
 - ٢ - وسبب من الخائفين فى طريق التصوف .
 - ٣ - وسبب من المتسبين إلى دهوى التعليم .
 - ٤ - وسبب من معاملة الموسومين بالعلم فيما بين الناس .
- وقد تتبع مدة آحاد الخلق ، يسأل من يقصر منهم فى متابعة الشرع عن شبهته ، ويبحث عن عقيدته وسرته ، ويقول له : مالك تقصر فيها ؟
- فإن كنت تؤمن بالآخرة ، ولست تستعملها ، وتبيها بالدنيا ، فهذه حماقة ! فإنك لا تتبع الاثنين بواحد . فكيف تتبع مالا نهاية له بأيام معدودة ؟
- وإن كنت لا تؤمن ، فأنت كافر ! فدبر نفسك فى طلب الإيمان ، وانظر ما سبب كفرك الخلق الذى هو مذهبك باطلاً ، وهو سبب جرأتك ظاهراً ، وإن كنت لا تصرح به ، تجملأ بالإيمان وتشرفاً بذكر الشرع !
- قائل يقول : هذا أمر لو وجبت المحافظة عليه لكان العلماء أجدر بذلك ! وفلان من المشاهير بين الفضلاء لا يصل ، وفلان يشرب الخمر ، وفلان يأكل أموال الأوقاف وأموال اليتامى ، وفلان يأكل إدرار السلطان ولا يمتزج من الحرام ، وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة . . .
- وقائل ثان يدعى علم التصوف ، ويؤمن أنه قد بلغ مبلغاً يرقى عن الحاجة إلى العبادة .
- وقائل ثالث يتمثل بشبهة أخرى من شبهات أهل الإباحة .
- وهؤلاء هم الذين ضلوا عن التصوف .
- وقائل رابع لى أهل التعليم فيقول : الحق مشكل ، والطريق إليه متعسر ، والاختلاف فيه كثير ، وليس بعض المذاهب أولى من بعض ! وأدلة القول متعارضة ، فلا ثقة برأى أهل الرأى ، والداعى إلى التعليم متعكم لا حجة له ، فكيف أدع اليقين بالشك ؟

وقائل خامس يقول : لست أفضل هذا تقليداً ، ولكنني قرأت علم الفلسفة ، وأدركت حقيقة النبوة ، وأن حاصلها يرجع إلى الحكمة والمصلحة ، وأن المقصود من تعبداتها ضبط هوام الخلق ، وتقييدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات ، فإنا من العوام والجهال ، حتى أدخل في حجب التكليف ؛ وإنما أنا من الحكماء ، أتبع الحكمة وأنا بصير بها مستغن فيها عن التقليد^(١) . . . ١١ .

إنك تقرأ هذه الشبه المعارضة التي جمعت الدين وقواعد العبادات مجالا للتردد والشك وانصراف هذه الطبقات عن العمل ، والأسباب التي ينتحلها القصور ، والأعذار التي يدلي بها الغافلون . وتقرأ في (الإحياء) تنفيذ كل دعوى من هذه الدعاوى ، ودحض كل شبهة من أمثال تلك الشبهات ؛ بطريق النص الثابت ، وبطريق العقل والنطق القوي بسل إلى اليقين .

إنك تقرأ في الإحياء مجموعاً شبيهة بحقيقة في علم النفس والفلسفة والاجتماع والتصوف إلى جانب ما طالعها فيها من أصول الدين وحقائق التشريع .

وإنك تقرأ من أصول التأديب وقواعد التربية ومראה حال النفس في تلقى العلوم في هذا الكتاب ما يضارع آراء كبار فلاسفة التربية وعلم النفس ، ويكفي أن نشير إلى ما كتبه في « وظائف المرشد للمعلم »^(٢) وأنه مشتمل بالتصميم قد تله أسراً عظيماً وخطراً جسيماً فليحفظ آدابه ووظائفه التي نعمت عليه :

(١) الشفقة على التلمين ، وأن يجريهم مجرى بني . . .

(٢) الاقتداء بصاحب الشرع الشريف ، فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ، ولا يقصد به جزاء ولا شكراً . . . فإن المال وما في الدنيا خادم البدن ، والبدن مركب النفس ومطيتها ، والخدوم هو العلم إذ به شرف النفس ، فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه ، فجعل الخدوم خادماً والخادم مخدوماً ، وذلك هو الاشتكاس . . .

(٣) ألا يدع من يصح للتعليم شيئاً ، وذلك بأن يمنعه من التصدي رتبة قبل استحقاقها ، والتشاغل بعم خفي ، قبل الفراغ من الجلي ، ثم ينبه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى ، دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، ويقدم تقييح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن . . .

(٤) ومن دقائق صناعة التعليم أن يزجر للتعليم عن سوء الأخلاق بطريق التمريض ما أمكن ، ولا يصرح ، وبطريق الرحمة ، لا بطريق التوبيخ ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ، ويورث الجراءة على المعصية بالخلاف ، ويهيج الحرص على الإصرار .

(٥) أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي ألا يقبح في نفس التلميذ العلوم التي وراءه ، كعلم الفقه إذ عاداته تقيح علم الفقه ، وعلم الفقه عاداته تقيح علم الحديث والتفسير ، وأب ذلك نقل محض وسماع وهو شأن السجائر ولا نظر للعقل فيه ، وعلم الكلام ينفر عن الفقه . . . فهذه أخلاق مضمومة للتلمين ينبغي أن تجتنب ، بل المتكفل

بعل واحد ينبغي أن يوسع على التعلم طريق التعلم في غيره ، وإن كان متكفلاً بعلوم فينبى أن يراعى التدرج في ترقية للتعلم من رتبة إلى رتبة .

(٦) أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ، فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينتره ، أو يحبط عليه عقله . فليث إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها ، ولا ينبغي أن يقضى العالم كل علمه إلى كل أحد ، ولعلك قيل : **كُلُّ لِكُلِّ هَد** بمقياس عقله ، ويزن له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه وينتفع بك ، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المقياس .

(٧) أن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلى اللائق به ، ولا يذكر له أن وراءه تدقيقاً يدخره عنه ، فإن ذلك يفتر غيبته في الجلى ، ويشوش عليه قلبه ، ويوم إليه البخل به عنه .

(٨) أن يكون المعلم عاملاً بعلمه ، فلا يكذب قوله فله ، لأن العلم يدرك بالبصائر ، والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر ، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد . وكل من تناول شيئاً وقال للناس : لا تتناولوه فإنه سم مهلك ، سخر الناس به واتهموه ، وزاد حرصهم على ما نهوا عنه ، فيقولون : لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به .

وما بسطه النزالي في هذه الآراء هو ما يقوله المربون المحدثون في الانتقال بالمتعلمين من الجلى إلى الخفى ، ومن السهل إلى الصعب ، ومن البسيط إلى المركب ، وما يقوله علماء النفس في الإدراك وأثر الحواس .

ونجد هذا الكتاب زائراً يمثل هذه الدراسات ، حتى إنك لتشعر حين تقرأها بالحاجة الملحة إلى دراسة « النزالي المربى » وسيجد المدارس مادة واسعة الأطراف ، لا تنسج تلك الصفحات لا مستقصاتها ، ولكنها تجزئ بهذه الإشارات إلى ما حوت تلك الأصداف من كنوز .

— ٤ —

ودراسة صلة الإنسان بخالقه دراسة لأصول العقائد والمبادئ التي فرضها عليه ، والتي يلتبس بها الزلى إليه . وقد أشرنا إلى الموضوعات التي درسها في تلك الأصول . وبقي أن تذكر أن النزالي لم يكتب في تلك المبادئ بذكر أحكام الشرع كما يفعل الفقهاء في دروسهم وفي تبيانهم ، ولكنه أضاف إلى تلك كثيراً من البحوث الروحية والنفسية والعقلية ، ونصق في فهم أسرارها وحكمها وسبل إجادتها وتخليتها من الشوائب بدرجة لم يسبق لها مثيل ، وفي استيعاب ليس له نظير .

فليست (الطهارة) عند النزالي كما هي عند الفقهاء : طهارة من الحدث تختص بالبدن ، وطهارة من الخطيئة تكون في البدن والتوب والمساكن ، فإن هذه مرتبة واحدة منها . والمرتبة الثانية عنده : تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام ، والثالثة : تطهير القلب عن الأخلاق الذمومة والذائل المذمومة . والرابعة : تطهير السر مما سوى الله تعالى ^(١) ، ثم يفيض بعد ذلك في ألوان هذه الطهارات وأسبابها ووسائلها وغاياتها ، مع ما يوافق الحقيقة التي

(١) الإحياء ١/١٣١ من هذه الطبعة .

يدعو إليها ، والشريعة التي قهها وأجاد نحصيلها ، والمقل الذي عرف موارده ومصادره .
(والصلاة) عنده مناجاة ، والمصلى مُناجٍ به عز وجل ، والكلام مع النفلة ليس بمناجاة البتة - وإذا كان الفقهاء يفتنون بصحة الصلاة مع النفلة ، فإن النزالي يتأدب في الرد عليهم ، ولا يطمع في مخالفتهم فيما افتوا به ، وبطلان ذلك من ضرورة الفتوى .

ولكن الذي يعرف سر الصلاة يعرف أن النفلة تضادها ، ثم يفرق بين العلم للظاهر والعلم للباطن ، ويرى أن قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما يتكشف من أسرار الشرع ^(١) .

ورأيه في (الزكاة) أن التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد ، وشهادة بإفراد المعبود ؛ وشرط تمام الوفاء به ألا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد القرد ، فإن الحجة لا تقبل الشراكة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى . وإنما يمتحن به درجة الحب بمفارقة المحبوب ، والأموال محبوبة عند الخلق ، لأنها آلة تمتصهم بالدنيا ، وبسببها يأنسون بهذا العالم ، ويتفرون عن الموت ، مع أن فيه لقاء المحبوب . فامتحنوا بتصدق دعوام في المحبوب ، واستزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومشوقهم ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْكُوفِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ أُجْرَتُهُ ﴾ وذلك بالجهد . . . والذين صدقوا التوحيد ووفوا بهدم . . . نزلوا عن جميع أموالهم ، فلم يدعوا ديناراً ولا درهماً ، فأبوا أن يترضوا لوجوب الزكاة عليهم . حتى قيل لبعضهم : كم يجب من الزكاة في مائتي درهم ؟ قال : أما على العوام بمحكم الشرع خمسة دراهم ، وأما نحن فيجب علينا بثلث الجميع ^(٢) .

وهكذا نجد أنفسنا دائماً ونحن نجول في (الإحياء) أننا أمام عالم كبير عرف الشرع وحفظه وقه وعمل به ، ورأى وراء هذا التشريع العام الذي ينتظم المسلمين جميعاً ؛ تشريعاً خاصاً هو في حقيقته أثر لذلك التشريع العام وتمكينه له ، وهذا الخاص فضل وزيادة ونافذة بعد أداء الفروض التي لم يفل (الإحياء) ركناً من أركانها أو سنة من سنتها .

وهذا هو التصوف المستنير الذي أشرنا إليه ، تجدد فيه الحجة البالغة ، وتجدد فيه التقوى والورع وقطع العلائق بالناس وبالمال وبالجاه وبالولد وبالمنصب ، بل قطع علائق النفس بما تحبه وتحرص عليها .

في تلك الدراسات يجد المتفقه رغبته ، و يجد المتصوف طلبته ، و يجد صاحب العقل والباحث من اليقين ما شاء من حجة بالغة وبرهان مستبين ، وبهذه السعة وبذلك الشمول أحيا النزالي علوم الدين ، أحياها في الحياة المضطربة المجادة الهائلة ، والمأجنة المازلة ، وأحياها في نفوس الزهاد ورجال الطريق ، ووصل بينهما وبين حكمة العقل والمنطق التي تنفض إلى الصحيح من التأمُّج ، ونلزم الشاك المتردد بالإذعان والتسليم وصدق الاعتقاد .
والناس عند النزالي ثلاثة أصناف ، ولكل صنف منهم أسلوب خاص يعالج به ما عنده من الجهل أو الشك أو التورؤ .

(١) أما الصنف الأول : فهم (العوام) ، ويصفهم بأنهم البُلهُ ، وبأنهم أهل السلامة . وهؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق . وهم يُدعون إلى الله بالموعظة .

(٢) والصنف الثانى : (الخواص) ، وهم أهل الذكاء والبصيرة ، وفيهم ثلاث خصال : إحداها التريخة النافذة والقطنة القوية ، وهذه عطية فطرية وغريزة جينية لا يمكن كسبها . الثانية : خلوة باطنهم من تقليد ونصب للذهب موروث مسموع ، فإن القلْد لا يصيب ، والبليد وإن أصفى لا يفهم . الثالثة : أنه يؤمن أن أستاذه (النزالي) من أهل البصيرة بالميزان ، ومن لم يؤمن بأنك من أهل الحساب لا يمكنه أن يتعلم منك . وهؤلاء يسألهم النزالي بأن يعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بها ، فيرتفع اختلاف بينهم عن قرب ، ويدعوم إلى الله بالحكمة ، كما دعا العوام بالموعظة الحسنة ، كما قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . فلم أن الدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم ، وبالموعظة الحسنة قوم ، وبالمجادلة قوم . فإن الحكمة إذا غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم ، كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير . وكذلك المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشتمازوا منها ، كما يشتمز طبع الرجل القوى من الارتضاع بلبن الأم .

(٣) والصنف الثالث : (أهل الجدل) ، وهم طائفة فيهم كياسة رقوابها عن العوام ، ولكن كياستهم ناقصة إذا كانت القطرة كاملة ولكن في باطنهم خبيث وعناد ونصب وتقليد ، فذلك يمنهم عن إدراك الحق ، وتكون هذه الصفات أكنة على قلوبهم أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً . وهؤلاء يدعوم بالتلطف إلى الحق ، من غير أن يتعصب عليهم أو يستفهم ، ولكنه يرفق بهم ، ويمجادهم بالتي هي أحسن .

لقد نظر إلى كل طبقة من الطبقات التي يتكون منها المجتمع الإسلامى ، وعرف فلسفتها في الحياة وما تصالجه من أسباب السعادة ، وما تسانيه من أسباب الشقاء في الفكر والعمل ، ولا تعرف هذه السعة وذلك للشمول على هذا النحو مثل ما نجدهما في إحياء علوم الدين .

ويمكن أن يلحق بصدق الاعتقاد وأصول العبادات - وهما كما قدمنا صلة بين الإنسان وربه وقيام بطاعته وامتنال لأسره ونهيه وفيها دلالة على المحبة - ما كتبه في الربع الرابع من الإحياء ، وهو (ربح المنجيات) لأنه يختص بتصفية النفس من الشوائب وتطهيرها من الآثام ، والارتقاء بها إلى درجة المعرفة ، وفيه من أصول التصوف ومبادئ الشريعة الكثير .

ومقدمة (التصوف) التوبة مما اقترفه المبد قبل أن يسلك طريق المعرفة ، ثم آداب السلوك وهي : الصبر ، والشكر والخوف ، والرجاء ، والفقر ، والزهد ، والمحبة ، والشوق ، والأسى ، والرضا ، والتوحيد ، والتوكل ، والمراقبة ، والمحاسبة ، والتفكير ، والنية ، والإخلاص ، والصدق .

وقد تبدو هذه الصفات من قبائل الفضائل العامة ، التي ينبنى توافرها في الإنسان الفاضل ؛ ويطلب الناس جميعاً بالتراتب ، ماداموا يتطلعون إلى منزلة الفضل ؛ وهذا صحيح لا شك فيه . ولكن الفضلاء قد يحسبون كذلك بعض تلك الصفات ، أو بتحصيل القليل من بعضها ، أما أهل الطريق المتطلعون إلى المعرفة فإنهم يجمعونها جميعاً

ويصلون بها إلى أقصى درجاتها ؛ وهم يجاهدون نفوسهم جهاداً حثيفاً ، ويحملونها على ما تنكره ، مما يبدئه غيهم إسرائاً وحساً ، ولا يمتزفون بالضرورات ، بل يحاسبون أنفسهم حساباً حسيراً ؛ ولا يبنين لسلوك الطريق أن يهلها فإنه إن أهملها سهل عليه مقارفة للمص ، وأنت بها نفسه ، وعسر عليه فطامها ، وكان ذلك سبب هلاكها . « بل يبنين أن يتاقبها فإذا أكل لقمة شبيهة بشهوة نفس يبنين أن يتاقب البطن بالجوع ، وإذا نظر إلى غير تحرّم يبنين أن يتاقب العين بمنع النظر ، وكذلك يتاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنعه من شهواته . هكذا كانت مادة سالكي طريق الآخرة ، فقد روى أن رجلاً من الصالحين كلف امرأة ، فلم يزل حتى وضع يده على فخذه ، ثم ندم فوضع يده على النار حتى يست ، ويمكن أن أحدم تكشف له جارية ، وهو في بعض المنازي ، فنظر إليها ، فرفع يده فلم يمه منه حتى بقرت ، وقال : إني كنت ألاحظ إلى ما يضرك ! ونظر بعضهم نظرة واحدة إلى امرأة ، فجعل على نفسه ألا يشرب الماء البارد طول حياته ، فكان يشرب الماء الحار لينقص على عيشه » (١) .

ففي هذا الرّبع ، ربع المنجيات ، يظهر ما يعنى به القلب من الصفات المحمودة التي ذكرت ، وهو يقابل ما في الرّبع الثالث ، ربع المهلكات ، الذي يسط فيه ما تجب تزكية النفس وتطهيرها منه ، وهي شرور وآثام مردية ، كالشره والنضب والكبر والرياء والشجب والحسد وحب الجاه وحب المال وغيرها .

وقد قدم (المهلكات) على (المنجيات) لأن الأولى تطهير وتخلي ، والثانية تزكية وتخلي ، والأولى في أصول التربية والتهديب مقدمة على الثانية . ولأن العبد لا منجاة له من الوقوع فيها ذكره في المهلكات ، ولكن في استطاعته النهوض منها وجبرها بالمنجيات ، ولأن التجرد للخير المحض دأب الملائكة المقربين ، والتجرد للخص الشر دون العمل على تلافيه سجية الشياطين ، ولكن الرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الأدميين .

وبعد فإن كتاب « إحياء علوم الدين » جامع عقليات ثلاث :

(١) : العقيلة الشرعية : وتبدو آثارها فيما يسطه النزالي من أحكام الفقه وأصوله ، وما اعتمد عليه من نصوص القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين ، ومذاهب الأئمة رضي الله عنهم ، وأقوال الفقهاء وعلماء الشرح والحديث والتأويل ، وهو بعد أصول العلوم الشرعية أربعة : كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله عليه السلام ، وإجماع الأمة ، وآثار الصحابة . ويرى أن كتب الفقه تبحث في الحياة

الأولى ، وأن الفقهاء هم علماء الدنيا ؛ وعمل لذلك بأن الناس لو تنازلوا الدنيا بالدليل لاحتطمت الخصومات وتمطل الفقهاء ، ولكم تناولوها بالشهوات ، فتولدت منها الخصومات ، فست الحاجة إلى سلطان يسوئهم ، واحتاج السلطان إلى قانون يسوئهم به ، فالفقيه هو العالم بقانون السياسة ، وطريق التوسط بين المطلق إذا تنازعوا ، وهو معلم السلطان ، ومرشده إلى طريق سياسة المطلق وضبطهم ، لتتظم باستقامتهم أمورهم الدنيوية . والملك والدين توأمان ، والدين أصل ، والسلطان حارس ، ومالا أصل له فهدوم ، ومالا حارس له فضائع ^(١) .

ولا يسلم له هذا الرأي كاملاً ، لأنه إن استقام في أحكام الجراحات والحدود والقرامات وفصل الخصومات ، فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربح العبادات من الصيام والصلاة ، ولا فيما يشتمل عليه ربح العادات من المعاملات من حيان الحلال والحرام .

والذي دعاه إلى هذا الوصف أنه جعل هذا العلم علمين : أحدهما يتصل بمصالح الدنيا ، والثاني يتعلق بمصالح الآخرة ، وهو علم أحوال القلب وأخلاقه الحمودة والذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى وما هو مكروه ، وهو الذي خص به الكتاب الثالث من الإحياء . والحمد لله هنا غير فرض الطاعة ، والمذموم هنا أيضاً غير المعصية ، فإن الطاعة راسها ، وللمعصية عقابها . ولكن المرضي في علم الآخرة هو ما يقرب إلى الله ، ثمرة للمعرفة السكاملة ، والفتاء ، وقهر النفس وتركها .

ومثال ذلك الصلاة ، فإن الفقيه يُفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط ، وإن كان غافلاً في جميع صلواته من أولها إلى آخرها ، مشغولاً بالتفكير في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير . ولكن هذه الصلاة لا تنفع في الآخرة ، كما أن القول باللسان في الإسلام لا يفي ، ولكن الفقيه يُفتي بالصحة ، أي أن ما فعل حصل به امتثال صيغة الأمر ، وانقطع به عنه القتل والتعزير ، فأما التشويخ وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة ، وبه ينفق السبل الظاهر ، فلا يتعرض له الفقيه .

وعلى كل حال ، فإن النزاع وإن عدّ الفقه علم الدنيا والفقهاء علماء الدنيا ، فقد درس في الإحياء هذا العلم ، علم الفقه ، دراسة مستفيضة تدل على القهم والاحتياج ؛ إذ كانت الشريعة سلم الحقيقة ، والهداية سبيل المعرفة الحقة التي نشدها وعدّ من رجالها .

(٢) المقابلة الفلسفية : ونعني بها بقظة العقل ، والقدرة على التبصر ، وفهم الكون بظواهره وشواهده ، ومحاربة الوصول إلى أماته ، وإلى سر الحياة والأحياء ؛ ودراسة النصوص دراسة تخضع لأحكام العقل والتفكير ؛ والتغلب على الأخطاء الشائعة ، والتقاليد التي تعارض المنطق السليم والتفكير الصحيح .

وقد أشرنا فيما سبق إلى نزوع النزال إلى التحرر ، وغوره من التقليد الذي لا فضل فيه للقلد ، وفي الإحياء كثير من الشواهد على ذلك .

قد بحث النزال كثيرا من المسائل الفلسفية ، ومسائل علم الكلام ، التي تحصل بالله تعالى وذاته وصفاته ، كما بحث في أعمال العبد ، ومبدأ الخلق وفاته .

ومن ذلك البحث الفلسفي الذي عقده في « ربح المهلكات » في شرح مجائب القلب ، وفي بيان معنى النفس والروح والعقل ، وما هو المراد بهذه الأسماء .

فلفظ (القلب) له معنيان : أحدهما : اللحم الصوري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر ، وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف ، وفي ذلك التجويف دم أسود . . . الخ .

واللغى الثانى للقلب : أنه لطيفة ربانية روحانية ، لها بهذا القلب الجسماني تعلق ، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان ، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان ، وهو المحط والمقاب والمطالب والمطالب . . . وتلقه بالعقل الجسماني يضاهى تعلق الأعراض بالأجسام ، والأوصاف بالموصوفات ، أو تعلق للآلة بالآلة ، أو تعلق المتكّن بالمكان . . .

و (الروح) جسم لطيف منبه تجويف القلب الجسماني ، فينشر بواسطة المروق الضواري إلى سائر أجزاء البدن ، وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها ، يضاهى فيضان النور من السراج في زوايا البيت ، فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا استنار به . والحياة مثالها النور الحاصل في المحيطان ، والروح مثالها السراج ، وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركة ، والأطباء إذا أطلقوا لفظ (الروح) أرادوا به هذا اللغى ، وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب . والروح معنى آخر ، وهو اللطيفة العاملة للمدركة من الإنسان ، وهذا هو أحد معني القلب .

ولفظ (النفس) معان كثيرة ، ومن تلك المعاني ما يريته أهل التصوف في استعمالهم ، وهي الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان ، وهي اللغى الجامع لقوة الشهوة والنفس في الإنسان ، فإنك تراه يقولون : لابد من مجاهدة النفس وكسرها ، وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله عليه السلام « أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك » . ومن معانيها نفس الإنسان وذاته ، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها .

ثم (العقل) وقد يطلق ويراد به العلم بمقتضى الأمور ، فيكون عبارة عن صفة العلم الذي يحل القلب . وقد يطلق ويراد به المدرك للمعلوم فيكون هو القلب .

هذا شيء قليل نشير به إلى جهاد النزالي في تلك الدقائق التي حيرت المفكرين وشغلت الفلاسفة، وقد عرض لها من قديم فلاسفة اليونان، ولا تزال إحدى مشكلات الفلسفة المعاصرة . ولكلام النزالي ودراسته مكان ملحوظ بين تلك الدراسات قديمها وحديثها .

ثم الفلسفة الأخلاقية ، وقد أفاض فيها في المنجيات والمهلكات والمعادات ، وقد عرض فيها للفضائل الإنسانية على نحو لم يسبق له منيل في القديم والحديث . وما بالك برجل يعالج الفضائل السكينة والرضا والرضا المستترة ، فضلا عن الأخلاق الظاهرة والسلوك الملحوظ . ولا نحب أن نستشهد على ذلك بشيء من النماذج ، فإن المطالع لأكثر أبواب الإحياء يجد فيها مصداق ما نقول .

(٣) المغاية الصوفية : ظهر للنزالي أنه لا مطمع له في سعادة الآخرة إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى ، وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافى عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ، وأن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال والحرب من الشواغل والملائق .

ثم لاحظ أحواله فإذا هو منغمس في الملائق . ولاحظ أحواله - وأحسنها التدريس والتعليم - فإذا هو فيها يقبل على علوم غير مهمة ، ولا نافعة في طريق الآخرة . ثم تفكر في نيته في التدريس فإذا هي غير خالصة لله تعالى ، بل باعها ومحرّكها طلب الجاه وانتشار الصيت ، فتيقن أنه على شفا جُرف هار ، وأنه قد أشقى على الناس ، إن لم يشتغل بتلافي الأحوال ^(١) .

وقد رأى العلوم التي حصلها لا تجدى فيما أراد ؛ إلا بنفحة من الله الذي يهب من يشاء من عباده الإيمان والمعرفة ، ورأى ذلك محتاجاً إلى جهد ومشقة ، وعلم وعمل .

وقد ساق النزالي كثيراً من شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة ، لا من العلم ، ولا من الطريق المعتاد ^(٢) ، من ذلك قوله تعالى « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » أي مخرجاً من الإشكالات والشبه ، ومعنى يرزقه من حيث لا يحسب : يطلع عليه من غير علم ، ويفطنه من غير تجربة . . . وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراصة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » . . . وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « العلم علان فطم باطن في القلب ، فذلك هو العلم النافع . . . وستل بعض العلماء من العلم للباطن ما هو ؟ فقال : هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه في قلوب أحبائه لم يطلع عليه ملكاً ولا بشراً . . . وفي الحديث « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ، ووقعه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة . . . » .

(١) النزالي : المنفذ من الضلال ١٢٨

(٢) الإحياء ٢/٢٢٧ .

وقد أورد كثيراً من الأدلة التي تؤيده في إمكان الكشف والإلهام بنور الأسباب الظاهرة ، مما وقع للخلفاء الراشدين وأهل التقوى والورع والزهد والتصوف . وهذا هو العلم اللدني ، وهو غير العلم الدنيوي الذي يكون بوسائط نعلم الخلق .

وسبيل هذا العلم مشقة وجهاد ، وحل النفس على مالا نطقه أكثر النفوس ، وقد كعب الغزالي في هذا الجهاد كثيراً حتى زخر « الإحياء » بالتصوف ، أكثر مما زخر به من أصول التشريع ، حتى هذا التشريع قد يكون درجات ومفاهيم عند المتصوفة تختلف فيها عند غيورهم .

وما بالك رجل يحمل الدرجة السفلى من الزهد أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كذاب القهر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العهد من الأهوال . وبسميه (زهد الخائفين) ؟ ويجعل الدرجة الثانية (زهد الراجين) لأنهم يزهدون رغبة في ثواب الله ونعيمه والذات الموعودة في جنته . أما الدرجة العليا عنده فهي (زهد المحبين) وهم العارفون ، لأنه لا يحب الله تعالى إلا من عرفه ، وزهدهم ليس عن رغبة إلا في الله وفي لقائه فلا تلتفت قلوبهم إلى الآلام ليقصدوا والخلاص منها ، ولا إلى الذات ليقصدوا نهلها والظفر بها .. وهذا هو الزهد الحقيقي والتوحيد الحقيقي الذي لا يطلب فيه غير الله ، لأن من طلب غير الله قد عبده ، وكل مطلوب معبود ، وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه ، وطلب غير الله من الشرك الخفي .

وما أكثر ما زخر به الإحياء من آثار التصوف ، مما يدل على تشيع الغزالي بفكرته وإيمانه بأنه الطريق الموصل إلى المعرفة بالله والقرب من رحته ، وتجدر أن هذا التشيع والفهم العميق لفلسفة التصوف في أبواب كثيرة نخص بالذكر منها الجزء الرابع من هذه الطبعة في (ربيع المنحيات) في أبواب الخوف والرجاء والصبر والشكر والفقر والزهد والتوحيد والتوكل والمحبة والشوق والأنس والرضا ... الخ .

على

وأخيراً ...

لك بعض إشارات إلى البنايع الطاهرة والمناهل الصافية ، التي يفيض بها هذا الآثر الخالد ، يقصد إليها المصلحون والمفكرون من طلاب الشريعة وطلاب الحقيقة ، والباحثون في أسرار الاعتقاد وحقائق الإيمان والأعمال وقواعد السلوك ، ليجدوا فيها غذاء لقلوبهم ، ورياء لظمئهم ، وشغاف لأهواء قلوبهم ، ونهيدياً لظلمات الحيرة في غموسهم وأمنافى سلوكهم ، ونجاة من موبقات هذا السراب الأضال في دنيا الباطل والضلال ، وسبيلاً إلى السعادة بالمرقة العاتقة والحكمة البالغة .

وقد كعبت هذه الكلمات استجابة للرغبة السريّة التي أبدتها (دار إحياء الكتب العربيّة) في تقديم هذه الطبعة من (إحياء علوم الدين) الذي عظم نفعه ، وعت بركته ، منذ كتبه حجة الإسلام التتّزالي ، الذي نصّز به عالمًا بدين الله ، ونوّسًا بالله ، وداعيًا إلى الله ، ونصّزه مسلّمًا من أولى البصيرة واليقين ، وعلمًا من أعلام الصوفيّة وفلاسفة الإسلام .

وانتمت على هذا العمل . مستعينًا بالله ، حتى وفق إلى هذه الكلمات ، التي أرجو أن تكون مفتاحًا لكشف من شخصيّة التتّزالي وفنّانيته ومطوّفه ، وما بث في (الإحياء) من آيات الهدى والحكمة .
والحمد لله على ما هدّى إليه ، وأطمن عليه ، له الحمد في الأولى والآخرة . نعم للولي ونعم النصير

بروق الدريمان

مصر الجديدة { ٣ من جلدى الأول سنة ١٣٧٢ هـ
٢٥ من تولد سنة ١٩٥٢ م



مواد المقدمة

- صفحة
- (١) تمهيد في التصوف الإسلامي ٣ - ٧
- تعاليم الإسلام - المسلم بين الدنيا والآخرة - المسلمون في الصدر الأول - صراع بين المادية والروحية - عودة إلى الله - البحث عن الحقيقة - السلبية في بعض مناهج التمكيز - ألوان جديدة من المعرفة .
- (٢) الإمام الغزالي ٧ - ١١
- مولده وشأنه - أبوه - علم للحياة وعلم لله - في طوس - في جرجان - في نيسابور - في السكر - مع نظام الملك - إلى بغداد - في المدرسة النظامية - صدود عن المنصب والجاه - في الشام وبيت المقدس - إلى مكة والمدينة - تنسكه - عودة إلى خراسان - العزلة والخلو - أمر بالخروج إلى نيسابور للتدريس - عودته إلى طوس - وفاته .
- (٣) الشك عند الغزالي ١١ - ١٨
- اختلاف مناهج البحث في العقائد - التمسك بالأراء - الغزالي والتقليد - سبل للمعرفة: الحسابات والمقليات - عقبات تترض طريقهما - آراء الفلاسفة والطبيعيين في إثبات التمكيز الإسلامي - ليس الكشف موقوفا على الأدلة المحررة - فلسفة الغزالي وتصوفه - الغزالي بين الابتداع والانباع .
- (٤) مناهج البحث عن الحقيقة ١٨ - ٢١
- الغزالي وعلم الكلام - الغزالي والفلسفة - الغزالي ومذهب التعليم - الغزالي والتصوفية مزايما لكل مهيج وعيوبه .
- (٥) آثار الغزالي ٢٢ - ٢٣
- (٦) كتاب (إحياء علوم الدين) ٢٣ - ٢٨
- متى حدث به ؟ - متى ألفه ؟ - بين التحصيل والإلهام - لماذا ألف الإحياء ؟ - الفرق بين كتابة الغزالي وكتابة الذين سبقوه .
- أقسام الإحياء : العبادات - العادات - المهلكات - للنجيات - أسباب الفتور وضعف الإيمان - الإحياء والتربية - صنوف الناس في نظر الغزالي وما ينبغي أن يؤخذ به كل صنف - الشريعة والفلسفة والتصوف في الإحياء - خاتمة .

إخفاء علوم الدين

للإمام الفخر إلى

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ »
(مراکز کرم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله أولاً ، حمداً كثيراً متوالياً ، وإن كان يتضاءل دون حلي جلاله حمد الحامدين ، وأصلح وأسلم على رسوله ثانياً صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر الرسلين ، وأستخيره تعالى ثالثاً فيما انبث له عزمي من تحرير كتاب في إحياء علوم الدين ، وأتدب لقطع تمعيبك رابعاً ، أيها العاذل التنالي في العذل من بين زمرة الجاحدين ، للسرف في التفرع والانكار من بين طبقات السكرين الفأفولين ، فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقى عهد الكلام وقلادة النطق بما أنت مشاير عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشبيب على من آثر الزرع قليلاً عن مراسم الخلق ومال ميلاً يسيراً عن ملازمة الرسم إلى العمل بتقتضى العلم طمعاً في نيل ما تعبد الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب وتداركاً لبعض ما قرط من إضاعة العمر بأسا من تمام التلاقي والجبر وانحيازاً عن عمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحيا علوم الدين فأينعت بعد اضمحلالها ، وأعيا فهوم للمحدين عن دركها فرجعت بكاملها ، أحمده وأستكين له من مظالم أنقضت الظهور بأثقالها ، وأعبده وأستعين به لصمام الأمور وعضالها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وافية بمصول الدرجات وظلالها ، واقية من حلول الدركات وأهوالها ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أطلع به فجر الايمان من ظلمة القلوب وضلالها ، وأسمع به وقر الآذان وجلا به رين القلوب بصقالها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة لا قاطع لانصالها .

وبعد : فلما وفق الله تعالى لاكمال الكلام على أحاديث إحياء علوم الدين في سنة إحدى وخمسين تصدق الوقوف على بعض أحاديثه فأخرت تبينه إلى سنة ستين فظفرت بكثير مما عذب عنى علمه ثم شرعت في تبينه في مصنف متوسط حجمه وأنا مع ذلك متباطئ في إكمالها غير متعرض لتركه وإحماله إلى أن ظفرت بما كثيراً كنت لم أقف عليه وتكرر السؤال من جماعة في إكمالها فأجبت وبادرت إليه ولكي اختصرته في غاية الاختصار ليسهل تحصيله وحمله في الأسفار فاقصرت فيه على ذكر طرف الحديث ومجايه ومخرجه وبيان محته أو حسنه أو ضعف مخرجه فان ذلك هو المقصود الأعظم عند أبناء الآخرة بل وعند كثير من المحدثين عند الذاكرة والناظرة وأبين ما ليس له أصل في كتب الأصول ، والله أسأل أن ينفع به إنه خير مشغول .

فان كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليه وإلا عزوته الى من خرج من بقية السنة وحيث كان في أحد السنة لم أعزّه إلى غيرها إلا لقرض صحيح بأن يكون في كتاب

كتاب تعريف الأحياء

بفضائل الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفق

لشعر المحاسن وطبها

في أحسن حكايات

وجعل ذلك قرة لأعين

الأحباب وذخيرة ليوم

للآب والصلاة والسلام

على سيدنا محمد الذي

أحيا بأحياء شريعته

وطريقته قلوب ذوي

الأبواب وعلى آله

الطيبين الطاهرين

وجميع الأصحاب

ما أشرفت شمس الأحياء

للقلوب وتوجهت همه

روحانية مصنفه الولي

للهووب الى إسفاف

ملازمي مطالعته

ومجبه بال مطلوب .

وبعد : فان الكتاب

العظيم الشأن المسمى

بإحياء علوم الدين

للمشهور بالجمع والبركة

والنفع بين العلماء

العاملين وأهل طريق

الله السالكين الشايع

العارفين للنسب إلى

الامام الغزالي رضي

الله عنه عالم العلماء

وارث الأنبياء حجة

« أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم يسمع الله سبحانه بملئه »^(١) ولعمري إنه لا سبب لإصرارك على السكر إلا الله الذي عم الحس القمير بل شمل الجاهل من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجبل بأن الأمر إدار الخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والراد طميف والخطر عظيم والطريق سد وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقل البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الفوائد من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم وروثة الأنبياء وقد شغل منهم الزمان ولم يبق إلا المترمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان وأصبح كل واحد بما جل حظه مشغولاً فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا حتى طل علم الدين مندسا ومانر الهدى في أقطار الأرض منظما ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام أو جدل يتدفع به طالب للباهة إلى الغلبة والإفحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام إدام روا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام .

فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح بما سماه الله سبحانه في كتابه قهها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية ورشدا فقد أصبح من بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا . ولما كان هذا ثلما في الدين ولما وخطبا مدلما رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما إحياء العلوم الدين وكشفا عن مناهج الأئمة المتقدمين وإيضاحا لما هي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين . وقد أنسته على أربعة أرباع وهي : ربيع العبادات ، وربع العادات ، وربع المهلكات ، وربع المنجات . وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية لهمم لا كشف أولا عن العلم الذي تعبد الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الأيمان بطلبه إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم »^(٢) وأميز فيه العلم النافع من الضار إذ قال صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لا ينفع »^(٣) وأحقق ميل أهل العصر عن شاكله الصواب ، وانخداعهم بلامع السراب ، واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب .

الترم خرجته الصيغة أو يكون أقرب إلى لفظه في الإحياء ، وحيث كرر المصنف ذكر الحديث فإن كان في باب واحد منه اكتفيت بذكره أول مرة وبما ذكرته فيه ثانيا وثالثا لترض أول الدهول عن كونه تقدم وإن كرره في باب آخر ذكرته ونهيت على أنه قد تقدم وربما لم أنه على تقدمه لدهول عنه وحيث عزوت الحديث لمن خرجته من الأئمة فلا أريد ذلك اللفظ بيه بل قد يكون بلفظه وقد يكون بعاء أو باختلاف على قاعدة المستخرجات وحيث لم أجد ذلك الحديث ذكرت ما ينفع عنه غالبا وربما لم أذكره . وميمته :

المغنى من حل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار

جمله الله خالصا لوجهه الكريم ووسيلة إلى التميم المقيم .

أحاديث الخطبة

(١) حديث : أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم يسمع الله بملئه . الطبراني في الصغير والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف (٢) حديث : طلب العلم فريضة على كل مسلم . ابن ماجه من حديث أنس وضعه أحمد والبيهقي وغيرهما (٣) حديث : نعوذ بالله من علم لا ينفع . ابن ماجه من حديث جابر بإسناد حسن .

الاسلام حسنة الدهور
والأعوام تاج المجتهدين
سراج المهجدين
مقتدى الأئمة مبين
الحل والحكمة زين الله
والدين الذي يباهى به
سيد المرسلين صلى الله
عليه وسلم وعلى جميع
الأنبياء ورضى عن
الغزالي وعن سائر
العلماء المجتهدين لما
كان عظم الوقع كثير
التمتع حليل المقدر
ليس له نظير في باب ولم
ينسج على منواله ولا
سمحت قريحة بمثاله
مشتغلا على التريفة
والطريقة والحقيقة
كاشفا عن الغوامض
الخفية مبينا للأسرار
الدقيقة رأيت أن أضع
رسالة تكون كاللنوان
والدلالة على صباية
من فضله وشرفه
ورشة من فضل
جامعه ومصفه
(ورتبته على مقدمة .
ومقصد . وخاتمة)
فالمقدمة في عنوان
الكتاب . والمقصد
في فضائله وبعض
المذامع والثناء من

ويشتمل ربيع العبادات على عشرة كتب
كتاب العلم ، وكتاب قواعد العقائد ، وكتاب أسرار الطهارة ، وكتاب أسرار الصلاة ، وكتاب
أسرار الزكاة ، وكتاب أسرار الصيام ، وكتاب أسرار الحج ، وكتاب آداب تلاوة القرآن ، وكتاب
الأذكار والدعوات ، وكتاب ترتيب الأوقات .

وأما ربيع العادات فيشتمل على عشرة كتب
كتاب آداب الأكل ، وكتاب آداب النكاح ، وكتاب أحكام الكسب ، وكتاب الحلال والحرام ، وكتاب
آداب الصعبة والمأثرة مع أصناف الخلق ، وكتاب العزلة ، وكتاب آداب السفر ، وكتاب السماع
والوجد ، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة .

وأما ربيع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب
كتاب شرح صغائب القلب ، وكتاب رياضة النفس ، وكتاب آفات الشهوات وشهوة البطن وشهوة
الفرج ، وكتاب آفات اللسان ، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد ، وكتاب ذم الدنيا ، وكتاب
ذم المال والبخل ، وكتاب ذم الجاه والرياء ، وكتاب ذم الكبر والعجب ، وكتاب ذم القصور .

وأما ربيع النجيات فيشتمل على عشرة كتب
كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر وكتاب الخوف والرجاء وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوحيد
والتوكل وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا وكتاب النية والصدق والاخلاص وكتاب المراقبة
والمحاسبة وكتاب التفكير وكتاب ذكر اللوت . فأما ربيع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها
ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع
عليه وأكثر ذلك مما أهمل في فن الفقهاء . وأما ربيع العادات فأذكر فيه أسرار للمعاملات
الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغنى عنها متدين .
وأما ربيع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإمباطه وتركه النفس عنه ونظيره
القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ، ثم أذكر سببه الذي منه ينولد
ثم الآفات التي عليها ترتب ، ثم العلامات التي بها تعرف ، ثم طرق العلاج التي بها يتخلص .
كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والأخبار والآثار . وأما ربيع النجيات فأذكر فيه كل خلق محمود
وخصلة مرغوب فيها من خصال القرين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر
في كل خصلة نحتها وحقيقتها وسببها الذي به تجلب وتثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تعرف
وفضلها التي لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف الناس في
بعض هذه المعاني كتباً ولكن يميز هذا الكتاب عنها بمسألة أمور : الأول : حل ما عقده وكشف
ما أجملوه . الثاني : ترتيب ما بدوه ونظم ما فرقوه . الثالث : إيجاز ما طولوه وضبط ما قررروه . الرابع :
حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه . الخامس : تحقيق أمور غامضة اعتصمت على الأفهام لم يتعرض لها
في الكتب أصلاً إذ الكل وإن تواردا على منج واحد فلا يستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين
بالنبيه لأمر يخصه وينقل عنه رقاؤه أو لا ينقل عن النبيه ولكن يسهو عن إيراده في الكتب
أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف النعطاء عنه صارف فبهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاوياً لمجامع
هذه العلوم . وإنما حملني على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران : أحدهما وهو الباعث الأصلي :
أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضرورة لأن العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة
وعلم المكاشفة وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف العلوم فقط وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع

الأكابر عليه والجواب
عما استشكل منه
وطعن بسببه فيه
والخاتمة في ترجمة
المصنف رضي الله عنه
وسبب رجوعه إلى هذه
الطريقة .

(المقدمة في عنوان

الكتاب)

اعلم أن علوم المعاملة
التي يتقرب بها إلى الله
تعالى تنقسم إلى ظاهرة
وباطنة والظاهرة
فهي من معاملة بين العبد
وبين الله تعالى ومعاملة
بين العبد وبين الخلق .
والباطنة أيضاً فمن
ما يجب تركه القلب
عنه من الصفات
المذمومة وما يجب تحلية
القلب به من الصفات
المحمودة وقديني الامام
الغزالي رحمه الله كتابه
إحياء علوم الدين على
هذه الأربعة الأقسام
قال في خطبته : ولقد
أسست على أربعة أرباع
ربيع العبادات وربيع
العبادات وربيع المهلكات
وربيع النجيات فأما
ربيع العبادات فيشتمل
على عشرة كتب كتاب

الكشف العمل به والقصود من هذا الكتاب علم العامة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في إيداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمع نظر الصديقين وعلم العامة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والارشاد إليه . وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التخييل والاحمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال والطاعة ورغبة الأنبياء فالحلم سبيل إلى المدلول عن نهج التأسي والاعتداء . ثم إن علم العامة ينقسم إلى علم ظاهر أعنى العلم بأعمال الجوارح وإلى علم باطن أعنى العلم بأعمال القلوب والجاري على الجوارح إما عادة وإما عبادة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم للملكوت إما محمود وإما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن والشرط الظاهر للتعلم بالجوارح انقسم إلى عادة وعبادة والشرط الباطن للتعلم بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ نظر في علم العامة عن هذه الأقسام . الباعث الثاني : أني رأيت الرغبة من طلبة العلم صادق في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى التدرج به إلى الباهة والاستظهار بجماهه ومنزله في التفاسات وهو مرتب على أربعة أرباع وللتزني يرى المخبوب محبوب فلم أبعاد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا في استدراج القلوب ولهذا ناطف بعض من رام استئالة قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا في الجداول والرقوم وصماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذبا لهم إلى اللطافة والتلطيف في اجتذاب القلوب إلى العلم الذي يفيد حياة الأبد أهم من التلطيف في اجتذابها إلى الطب الذي لا يفيد إلا صحة الجسد فشرعت هذا العلم طب القلوب والأرواح للتوصل به إلى حياة تدوم أبد الآباد فأبى من الطب الذي يصلح به الأجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في أقرب الآمال ففسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد إنه كريم جواد .

الكتاب في علم وفيه سبعة أبواب (الأول)

الباب الأول : في فضل العلم والتعليم والتعلم . الباب الثاني : في فرض العلم وفرض الكفاية من العلوم وبيان حشد الفقه والعلوم من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا . الباب الثالث : في تعدد العامة من علوم الدين وليس منها وفيه بيان جنس العلم للمذموم وقدره . الباب الرابع : في آفات الناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل . الباب الخامس : في آداب المعلم والمتعلم . الباب السادس : في آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة . الباب السابع : في العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار .

الباب الأول في فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهد من النقل والعقل

فضيلة العلم

شواهدا من القرآن قوله عز وجل - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلاث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا وقال الله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - قال ابن عباس رضي الله عنهما : للمعلم درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال عز وجل - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وقال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وقال تعالى - قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب - وقال تعالى - قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به تنبيها على أنه اقتدر بقوة العلم وقال عز وجل - وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا - بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى - وتلك الأمثال

العلم كتاب قواعد
العقائد كتاب أسرار
الطهارة كتاب أسرار
الصلاة كتاب أسرار
الزكاة كتاب أسرار
الصيام كتاب أسرار
الحج كتاب تلاوة
القرآن كتاب الأدكار
والدعوات كتاب
ترتيب الأوراد في
الأوقات . وأما ربيع
العادات فيشتمل على
عشرة كتب كتاب
آداب الأكل كتاب
آداب النكاح كتاب
آداب الكسب كتاب
الحلال والحرام كتاب
آداب الصعبة كتاب
العزلة كتاب آداب
السفر كتاب
آداب السماع والوجد
كتاب الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر
كتاب أخلاق النبوة .
وأما ربيع الهللكات
فيشتمل على عشرة
كتب كتاب شرح
عجائب القلب كتاب
رياضة النفس كتاب
آفة الشهوتين : البطن
والفرج كتاب آفة
اللسان كتاب آفة

نصرها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وقال تعالى - ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعله
الذين يستنبطونه منهم - رد حكمه في الوقائع إلى استنباطهم والحق رتبهم بترتيب الأنبياء في كشف حكم
الله . وقيل في قوله تعالى - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم - يعني العلم - وريشا - يعني
اليقين - ولباس التقوى - يعني الحياء وقال عز وجل - ولقد جئناهم بكتاب فضلنا على علم - وقال
تعالى - فلنقصن عليهم بعلم - وقال عز وجل - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - وقال
تعالى - خلق الإنسان على البيان - وإنما ذكر ذلك في معرض الامتنان ، وأما الأخبار فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم
« العلماء ورثة الأنبياء »^(٢) ومعلوم أنه لارتبة فوق النبوة ولاشرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة
وقال صلى الله عليه وسلم « يستغفر للعالم ما في السموات والأرض »^(٣) وأي منصب يزيد على منصب من
تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال
صلى الله عليه وسلم « إن الحكمة تزيد الشريف شرطا وترفع الملوك حتى يدرك مدارك الملوك »^(٤) وقد
نبه هذا على عمارة في الدنيا ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى . وقال صلى الله عليه وسلم « خصلتان لا يكونان
في منافق حسن سمع وقفه في الدين »^(٥) ولا تشك في الحديث لنفاق بعض قهواء الزمان فإنه ما أراد به
العمه الذي ظننته وسيأتي معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا وهذه
المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه برى بها من النفاق والرياء . وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الناس
المؤمن العالم الذي إن احتجج إليه نفع وإن استغنى عنه أغنى نفسه »^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم « الإيمان
عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب الناس من درجة
النبوة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاء به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم
على ما جاء به الرسل »^(٨) . وقال صلى الله عليه وسلم « لموت قبيلة أيسر من موت عالم »^(٩) وقال
عليه الصلاة والسلام « الناس معادن كعادن الذهب والفضة يخارم في الجاهلية يخارم في الإسلام
إذا قهوا »^(١٠) وقال صلى الله عليه وسلم « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء »^(١١) .

كتاب العلم . الباب الأول

(١) حديث من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده متفق عليه من حديث معاوية دون قوله
ويلهمه رشده وهذه الزيادة عند الطبراني في الكبير (٢) حديث العلماء ورثة الأنبياء . أبو داود
والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي الدرداء (٣) حديث يستغفر للعالم ما في السموات
والأرض هو بعض حديث أبي الدرداء المتقدم (٤) حديث الحكمة تزيد الشريف شرطا الحديث
أبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في بيان العلم وعبد الغنى الأزدي في آداب الحديث من حديث أنس
باسناد ضعيف (٥) حديث خصلتان لا تتحتمعان في منافق الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة
وقال حديث غريب (٦) حديث أفضل الناس المؤمن العالم الحديث البهقي في شعب الإيمان موقفا
على أبي الدرداء باسناد ضعيف ولم أره مرفوعا (٧) حديث الإيمان هريان الحديث الحاكم في تاريخ
نيسابور من حديث أبي الدرداء باسناد ضعيف (٨) حديث أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم
والجهاد الحديث أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٩) حديث
لموت قبيلة أيسر من موت عالم الطبراني وابن عبد البر من حديث أبي الدرداء وأصل الحديث عند
أبي الدرداء (١٠) حديث الناس معادن الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (١١) حديث
يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء ابن عبد البر من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف

الغضب والحق والحمد
كتاب ذم الدنيا
كتاب ذم المال والبخل
كتاب ذم الجاه والرياء
كتاب الكبر والعجب
كتاب الغرور . وأما
ربيع التيجات فيشتمل
على عشرة كتب
كتاب التوبة كتاب
الصبر والشكر كتاب
الخوف والرجاء كتاب
الفقر والزهد كتاب
التوحيد والتوكل
كتاب المحبة والشوق
والرضا كتاب التوبة
والصدق والاخلاص
كتاب المراقبة والمحاسبة
كتاب التفكير كتاب
ذكر الموت . ثم قال
رحمه الله : فأما ربيع
العبادات فأذكر فيه
من خفايا آدابها
ودقائق سننها وأسرار
معانيها ما يضطر العالم
العامل إليها بل لا يكون
من علماء الآخرة من لم
يطلع عليها وأكثر ذلك
مما أهمل في الفقهيات .
وأما ربيع العادات
فأذكر فيه أسرار
العاملات الجارية بين
الخلق ودقائق سننها

وقال صلى الله عليه وسلم « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيماً وشهيداً يوم القيامة »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « من حمل من أمتي أربعين حديثاً لقي الله عز وجل يوم القيامة قتيماً عالماً »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من تفقه في دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أهله وورقه من حيث لا يحتسب »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام بإبراهيم أني أعلم أحب كل حليم »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « العالم أمين الله سبحانه في الأرض »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « صفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس وإذا قسوا فسد الناس الأمراء والفقهاء »^(٦) وقال عليه السلام « إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله عز وجل فلا يورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم في تفضيل العلم على العبادة والشهادة « فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي »^(٨) فانظر كيف جعل العلم مقارناً لدرجة النبوة وكيف حظ رتبة العمل المجرد عن العلم وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم يكن عبادة . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب »^(٩) وقال صلى الله عليه وسلم « يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء »^(١٠) فأعظم بمرتبة هي تلو النبوة و فوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من فقه في الدين وفقه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه »^(١١) وقال صلى الله عليه وسلم « خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه »^(١٢) وقال صلى الله عليه وسلم « فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة »^(١٣) وقال

وخفايا الورع في مجاريها
وهي عما يستغنى التدين
عنها . وأما ربيع
للهلكات فأذكر فيه
كل خلق مذموم ورد
القرآن بإماطته وتزكية
النفس عنه وتطهير
القلب منه وأذكر في كل
واحد من هذه الأخلاق
حده وحقيقته ثم يبيـ
ن القى منه يتولد ثم
الآفات التي عليها يترتب
ثم الملامات التي بها
يشرف ثم طرق
العاجلة التي منها يتخلص
كل ذلك مقروناً بشواهد

(١) حديث من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيماً وشهيداً يوم القيامة . ابن عبد البر في العلم من حديث ابن عمر وضعفه (٢) حديث من حمل من أمتي أربعين حديثاً لقي الله يوم القيامة قتيماً عالماً ابن عبد البر من حديث أنس وضعفه (٣) حديث من تفقه في دين الله كفاه الله همه الحديث الخطيب في التاريخ من حديث عبد الله بن جزء الزبيدي باسناد ضعيف (٤) حديث أوحى الله إلى إبراهيم بإبراهيم أني أعلم أحب كل عليم ذكره ابن عبد البر تعليقاً ولم أظفر له باسناد (٥) حديث العالم أمين الله في الأرض ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف (٦) حديث صفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس الحديث ابن عبد البر وأبونعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٧) حديث إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علماً يقربني الحديث الطبراني في الأوسط وأبونعيم في الحلية وابن عبد البر في العلم من حديث عائشة باسناد ضعيف (٨) حديث فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن صحيح (٩) حديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان وهو قطعة من حديث أبي الدرداء المتقدم (١٠) حديث يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان باسناد ضعيف (١١) حديث ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين الحديث الطبراني في الأوسط وأبو بكر الأجرى في كتاب فضل العلم وأبونعيم في رياضة المتعلمين من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف وعند الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف: فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد (١٢) حديث خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف والشرط الأول عند أحمد من حديث مجنون بن الأدرع باسناد جيد والشرط الثاني عند الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف (١٣) حديث فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة

من الآيات والأخبار
والآثار . وأما ربيع
النجيات فأذكر فيه
كل خلق محمود وخلة
مرغوب فيها من خصال
القربين والصديقين
التي يقرب بها العبد
من رب العالمين
وأذكر في كل خلة
حدها وحقيقتها وسببها
الذي به تجلب وتغرب
التي منها تستفاد
وعلاقتها التي بها تعرف
وفضلها التي لأجلها
فيها يرغب مع ما ورد
فيها من شواهد الصريح

والطلب

(للقصد في فضل الكتاب للشار إليه وبعض الدائع والثناء من الأكابر عليه والجواب عما استشكل منه وطعن بسببه فيه) اعلم أن فضائل الأحياء لا تحصى بل كل فضيلة لها باعتبار حيثياتها لا تستقصى جمع الناس مناقبهم وقصروا وما قصروا وغاب عنهم أكثر مما أبصروا وعز من أفردوا فيها علت بتأليف وهي جديرة بالتصنيف خاص مؤلفه رضى الله عنه في عمار الحقائق واستخرج حواهر للماني ثم لم يرض إلا بكبارها وجمال في بيان العلوم فاجتنب عمارها بعد أن انقطع من أزهارها وسما إلى سماء الماني فلم يسطف من كواكبها إلا السيارة وجللت عليه عرائس أسرار الماني فلم ترق في عينه منهن إلا إبادة النضارة جمع رضى الله عنه فأوعى وسمى في إحياء علوم الدين

صلى الله عليه وسلم « إنكم أصبحتم في زمن كثير قهواؤه قليل قراؤه وخطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل قهواؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حشر الجواد الضمر سبعين سنة (٢) » وقيل يارحول الله : أي الأعمال أفضل فقال « العلم بالله عز وجل » فقيل أي العلم تريد ؟ قال صلى الله عليه وسلم « العلم بالله سبحانه » فقيل له نسال عن العمل وتجب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم « إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء إني لم أضع على فيكم إلا للملى بكم ولم أضع على فيكم لأعذبكم بكم اذهبوا فقد عرفت لكم (٤) » نسال الله حسن الخاتمة . وأما الآثار فقد قال صلى الله عليه وسلم « إن أي طالب رضى الله عنه لكيل يا كيل العلم خير من المال العلم يهرسك وأنت تهرس للمال والعلم حاكم وللالم يحكموم عليه وللالم تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق . وقال صلى الله عليه وسلم « العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذا مات العالم نلم في الإسلام ثلثة لا يسدنها إلا خلف منه وقال رضى الله تعالى عنه نظما :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
فقر بسلام تضحى حيا به أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أبو الأسود ليس شيء أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه . وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل لمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الدين يا كاون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الحمل أقوى منه ولا بعظمه فان الفيل أعظم منه ولا بشجاعته فان السبع أشجع منه ولا بأكله فان الثور أوسع بطنا منه ولا لجامع فان أخس المصافير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق إلا للعلم وقال بعض العلماء ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فاته من أدرك العلم . وقال عليه الصلاة والسلام « من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي خيرا منه قد حقر ما عظم الله تعالى » وقال نفع الوصل رحمه لله أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياتاه كما أن غذاء الجسد الطعام ومن قد العلم قلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به إذ ذب الدنيا وشغله بها أبطل إحساسه كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح في الحال وإن كان واقعا فاذا حط

ابن عدى من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف ولأبي يعلى نحوه من حديث عبد البر بن عوف (١) حديث إنكم أصبحتم في زمان كثير قهواؤه الطبراني من حديث حزام بن حكيم عن عمه وقيل عن أبيه وإسناده ضعيف (٢) حديث بين العالم والعابد مائة درجة الأصفياني في الترغيب والترهيب من حديث ابن عمر عن أبيه وقال سبعون درجة بسند ضعيف وكذا رواه صاحب مسند القردوس من حديث أبي هريرة (٣) حديث قيل له يارحول الله أي الأعمال أفضل فقال العلم بالله الحديث ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء الحديث الطبراني من حديث أبي موسى بسند ضعيف

الموت عنه أعباء الدنيا أحسن بهلاكه وتحسر تحسرا عظيما ثم لا ينفعه وذلك كاحساس الآمن من خوفه والفيق من سكره بما أصابه من الجراحات في حالة السكر أو الخوف فتموذ بالله من يوم كشف الغطاء فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن رحمه الله يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء وقال ابن مسعود رضي الله عنه عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورثه موت رواه فوالقدي نفي يده ليدون رحل قتلوا في سبيل الله شهداء أن يعظم الله علماء لما يرون من كرامتهم فإن أحدا لم يولد علما وإنما العلم بالتعلم . وقال ابن عباس رضي الله عنهما تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلى من إحيائها وكذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله وقال الحسن في قوله تعالى - ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة - إن الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة وفي الآخرة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء أي الأشياء تقتضي قال الأشياء التي إذا هزقت سفيتك سبعت معك يعني العلم وقيل أراد بفرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجأ مأخذه الناس إماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار . وقال الشافعي رحمه الله عليه من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فخرح ومن رفع عنه حزن وقال عمر رضي الله عنه يأبى الناس عليكم بالعلم فإن الله سبحانه رداً يحب فتن طلب بابا من العلم رداً لله عز وجل بردائه فإن أذنب ذنبا استعته ثلاث مرات تلا عليه رداً ذلك وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الأحنف رحمه الله كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لم يوطد بسلام إلى ذلك مصيره وتال سالم بن أبي الجعد اشتراني مولاي بثلاثة دراهم وأعتقني فقلت بأي شيء أحترفت فاحترفت بالعلم لما تمت لي سنة حتى أتاني أمير المدينة زائراً فلم أذن له وقال الزبير بن أبي بكر كتب إلى أبي بالعراق عليك بالعلم فانك إن افتقرت كان لك مالا وإن استغنيت كان لك جمالا . وحكي ذلك في وصايا لقمان لابنه قال يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله سبحانه يحبي القلوب بور الحكمة كما يحبي الأرض بوابل السماء وقال بعض الحكماء إذا مات العالم بكاه الخوف في الماء والطير في الهواء وينفد وجهه ولا ينسى ذكره . وقال الزهري رحمه الله العلم ذكر ولا يحبه إلا ذكران الرجال .

فضيلة التعلم

أما الآيات قوله تعالى - غاولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين - وقوله عز وجل - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون - وأما الأخبار فقول صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لأن تعدوا نفعنا بابا من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو باليمين ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم »

(١) حديث من سلك طريقا يطلب فيه علما الحديث مسلم فيه علما الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع أحمد وابن حبان والحاكم ومصحح من حديث صفوان بن عسال (٣) حديث لأن تعدوا نفعنا بابا من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة ابن عبد البر من حديث أبي ذر وليس إسناده بذلك والحديث عند ابن ماجه بلفظ آخر (٤) حديث باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا ابن حبان في روضة العقلاء وابن عبد البر موقوفا على الحسن البصري ولم أره مرفوعا إلا بلفظ خبره من مائة ركعة رواه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث أبي ذر (٥) حديث اطلبوا العلم ولو باليمين ابن عدى والبيهقي في اللدخل والشيب من حديث أنس وقال البيهقي منه مشهور وأسانيد ضعيفة .

فشكر الله له ذلك
المسعى لله دره من عالم
عحق مجيد وإمام جامع
لشتات الفضائل محرر
فريد لقد أبدع فيها
أودع مكتابه من
القوائد الشوارد وقد
أغرب فيها أعرب فيه
من الأمثلة والشواهد
وقد أجاد فيها أفاد فيه
وأملى يبدأنه في العلوم
صاحب القدرح العلى
إذ كان رضى الله عنه
من أسرار العلوم محل
لا يدرك وأين مثله
وأصله وأصله فضله
هيئات لا يأتى الزمان
بعثه

إن الزمان مثله لشحيح
وما عسيت أن أقول
فيمن جمع أطراف
الحاسن ونظم أشتات
الفضائل وأخذ برقاب
الحامد واستولى على
غايات الناقب فشجرت
في فوارى العلم والعمل
والملا والفهم والذكاء
أصلها ثابت وفرعها
في السماء مع كونه
رضى الله عنه ذا الصدر
الرحيب والقرىحة
الثاقبة والراية الصائبة

وقال عليه الصلاة والسلام « العلم خزائن مفاتيحها السؤال ألا فاسألوه فإنه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والسمتع والمحبط لم » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه » (٢) وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه « حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعبادة ألف مريض وشهود ألف جنازة » قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن ؟ قال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع القرآن إلا بالعلم » (٣) . وقال عليه الصلاة والسلام « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فينته وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة » (٤) . وأما الآثار فقال ابن عباس رضي الله عنهما ذلك طالبا فمزت مطلوبوا وكذلك قال ابن أبي مليكة رحمه الله ما رأيت مثل ابن عباس إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجها وإذا تكلم فأعرب الناس لسانا وإذا أفتى فأكثر الناس علما وقال ابن المبارك رحمه الله عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة . وقال بعض الحكماء إنني لأرحم رجلا كره حتى لأحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم العلم ولا يطلبه . وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لأن أتعلم مسألة أحب إلي من قيام ليلة وقال أيضا العالم والتعلم شريكان في الخير وسائر الناس هج لا خير فيهم وقال أيضا كن عالما أو متعلما أو مستمعاً ولا تكن الرابع قهلك . وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس الآلهة وقال عمر رضي الله عنه موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم يصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي رضي الله عنه طلب العلم أفضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم رحمه الله كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلي فقال يا هذا ما الذي قتت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية وقال أبو الدرداء رضي الله عنه من رأى أن الفدوى إلى طلب العلم ليس بمجاهد فقد نقص في رأيه وعقله .

فضيلة التعليم

أما الآيات فقوله عز وجل - ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون - والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى - وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليدينه للناس ولا يكتمونه - وهو إيجاب للتعليم وقوله تعالى - وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يظنون - وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى في الشهادة - ومن يكتمها فإنه آثم قلبه - وقال صلى الله عليه وسلم « ما آتى الله عالما علما إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه » (٥) وقال تعالى - ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً - وقال تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة - وقال تعالى - ويعلمهم الكتاب والحكمة - وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ رضي الله عنه إلى اليمن « لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها » (٦)

(١) حديث العلم خزائن مفاتيحها السؤال الحديث رواه أبو نعيم من حديث علي مرفوعا بإسناد ضعيف (٢) حديث لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله الطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير وابن السني وأبو نعيم في رياضة التلمذ من حديث جابر بسند ضعيف (٣) حديث أبي ذر حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من حديث عمر ولم أجده من طريق أبي ذر (٤) حديث من جاءه الموت وهو يطلب العلم الحديث الدارمي وابن السني في رياضة التلمذ من حديث الحسن قيل هو ابن علي وقيل هو ابن يسار البصري فيكون ممثلا (٥) حديث ما آتى الله عالما علما إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين الحديث أبو نعيم في فضل العالم الضعيف من حديث ابن مسعود بنحوه وفي الخلفيات نحوه من حديث أبي هريرة (٦) حديث قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم

والنفس السامية والهمة العالية ذكر الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله عليه أن الفقيه العلامة قطب اليمن اسماعيل بن محمد الحضرمي ثم اليمنى سئل عن تصانيف الفزالي فقال من جملة جوابه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء ومحمد بن إدريس الشافعي سيد الأئمة ومحمد بن محمد بن محمد الفزالي سيد للصفين وذكر اليافعي أيضا أن الشيخ الإمام الكبير أبا الحسن علي بن حرزم الفقيه الشهور القرني كان بالغ في الانكار على كتاب إحياء علوم الدين وكان مطاعا مسموعا الكلمة فأمر بجمع ما ظفر به من نسخ الأحياء وهم باحراقها في الجامع يوم الجمعة فرأى ليلة تلك الجمعة كأنه دخل الجامع فإذا هو بالنبي صلى الله عليه وسلم فيه ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما والإمام الفزالي قائم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم « من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صدقة » (١) وقال عيسى صلى الله عليه وسلم : من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل أنتم عندي كمض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة » (٢) وهذا إنما يكون بالعلم المتدني بالتعليم لا العلم اللازم الذي لا يتدني به . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل لا يترزع العلم انترعا من الناس بعد أن يؤقيم إياه ولكن ينهب بنهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى إذا لم يبق إلا رؤساء جهالا إن شئوا أفتوا بنير علم فيضلون ويضلون » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « نعم العطية ونعم الهدية كلمة تسعها قطوى عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تلمه إياها تعدل عبادة سنة » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله سبحانه وما والاه أو لمعلمها أو متعلمها » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتى النخلة في جعرها وحتى الحوت في البحر يصلون على معلم الناس الخير » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « ما أفاد المسلم أخا فائدة أفضل من حديث حسن بلغه قبله » (٨) وقال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة » (٩) وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه والثاني يعلمون الناس فقال « أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما يموت معلما » ثم عدل إليهم وجلس معهم (١٠)

أحمد من حديث معاذ وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أنه قال ذلك لعل (١) حديث من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صدقة رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة الحديث أبو العباس الذهبي في العلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث إن الله لا يترزع العلم انترعا من الناس الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث من علم علما فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حديث حسن (٥) حديث نعم العطية ونعم الهدية كلمة تسعها الحديث الطبراني من حديث ابن عباس نحوه باسناد ضعيف (٦) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حسن غريب (٧) حديث إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النخلة في جعرها وحتى الحوت في البحر يصلون على معلم الناس الخير الترمذي من حديث أبي أمامة وقال غريب وفي نسخة حسن صحيح (٨) حديث ما أفاد المسلم أخا فائدة أفضل من حديث حسن الحديث ابن عبد البر من رواية محمد بن التيسكي مرسلا نحوه ولأبي نعيم من حديث عبد الله بن عمرو ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة تزيده هدى أو ترده عن ردى (٩) حديث كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويطلبها الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية زيد بن أسلم مرسلا نحوه وفي مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كلمة حكمت يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة (١٠) حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله الحديث ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف .

فلما أقبل ابن حزم قال التزالي هـنا خضمي يا رسول الله فإن كان الأمر كما زعمت تبت إلى الله وإن كان شيئا حصل لي من بركتك واتباع سنتك فخذلي حتى من خصمي ثم ناول النبي صلى الله عليه وسلم كتاب الإحياء فصفحه النبي صلى الله عليه وسلم ورقة ورقة من أوله إلى آخره ثم قال والله إن هذا لشيء حسن ثم ناوله الصديق رضي الله عنه فظفر فيه فاستجاده ثم قال نعم والذي بئتك بالحق إنه لشيء حسن ثم ناوله الفاروق عمر رضي الله عنه فظفر فيه وأثنى عليه كما قال الصديق فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتجريد الفقيه على ابن حزم عن القميص وأن يضرب ويحد حد المفترى فجرد وضرب فلما ضرب خمسة أسواط تشفع فيه الصديق رضي الله عنه وقال يا رسول الله لله ظني خلاف سنتك

وقال صلى الله عليه وسلم « مثل ما بعثني الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الثيب الكثير أصاب أرضاً فكانت منها بقعة قبلت الماء فأبنت الكلاً والعتب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فحربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيمان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً » (١) اه فالأول ذكره مثلاً للمتفع بعلمه والثاني ذكره مثلاً للنافع والثالث للمحروم منهما . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به » (٢) الحديث . وقال صلى الله عليه وسلم « الدال على الخير كفاعله » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « لاحسد إلا في اثنين رجل آتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله ما لا فسلطه علىهلكته في الخير » (٤) . وقال صلى الله عليه وسلم « على خلقائي رحمة الله قليل من خلفاءك ؟ قال الذين يحبون سقى ويعلمونها عباد الله » (٥) . وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه : من حدث حديثاً فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل وقال ابن عباس رضي الله عنهما : معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وقال بعض العلماء العالم يدخل قباين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل . وروى أن سفيان الثوري رحمه الله قدم عسقلان فكث لا يسأله إنسان فقالوا كروا لي لأخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وإنما قال ذلك حرصاً على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به . وقال عطاء رضي الله عنه دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال ليس أحد يسألني عن شيء . وقال بعضهم العلماء سرج الأزمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره . وقال الحسن رحمه الله لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم أي أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حدة البهيمة إلى حد الإنسانية . وقال عكرمة إن لهذا العلم ثمناً قيل وما هو قال أن تضعه فيمن يحسن عمله ولا يضيعه . وقال يحيى بن معاذ العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم قيل وكيف ذلك قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة . وقيل أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره . وقيل علم علمك من يجمل وتعلم من يعلم ما يجمل فانت إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت . وقال معاذ بن جبل في التعليم والتعلم ورأيت أيضاً مرفوعاً « تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قرينة وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على الدين والصبر على السراء والضراء والوزير عند الأخلاء والقريب عند الغرباء ومنارسيل الجنة يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتفى آثارهم وترمق أفعالهم وترغب لللائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى جتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها » (٦) . لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوة

(١) حديث مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٢) حديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث الدال على الخير كفاعله الترمذي من حديث أنس وقال غريب ورواه مسلم وأبو داود والترمذي وصححه عن أبي مسعود البدرى بلفظ من دل على خير فله مثل أجر فاعله (٤) حديث لاحسد إلا في اثنين الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث على خلقائي رحمة الله الحديث ابن عبد البر في العلم والمروى في ذم الكلام من حديث الحسن قيل هو ابن علي وقيل ابن يسار البصري فيكون مرسلًا ولا بن السني وأبي نعيم في رياضة التلميذ من حديث علي بن عوف (٦) حديث معاذ تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة الحديث بطوله أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب وابن عبد البر وقال ليس له إسناد قوي .

فأخطأ في ظنه فرضي
الامام الغزالي وقبل
شفاعة الصديق فم
استيقظ ابن حزم
وأثر السياط في ظهره
وأعلم أصحابه وتاب إلى
الله عن إنكاره على
الامام الغزالي واستغفر
ولكنه بقي مدة طويلة
متألمًا من أثر السياط
وهو يتضرع إلى الله
تعالى ويتشفع برسول
الله صلى الله عليه وسلم
إلى أن رأى النبي
صلى الله عليه وسلم
دخل عليه ومسح
بیده الكبرية على
ظهره فمضى وشفى بأذن
الله تعالى ثم لازم مطالعة
إحياء علوم الدين ففتح
الله عليه فيه وقال
المعرفة بالله وصار من
أكابر المشايخ أهل
العلم الباطن والظاهر
رحمه الله تعالى . قال
اليافعي روي ذلك
بالأسانيد الصحيحة
فأخبرني بذلك ولي الله
عن ولي الله عن ولي
الله عن ولي الله الشيخ
الكبير القطب شهاب
الدين أحمد بن الليق

الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ومداسته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد وبه يمجد وبه يتورع وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو إمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء نسأل الله تعالى حسن التوفيق .

في الشواهد العقلية

اعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم وثقافته ومالم تفهم الفضيلة في نفسها ولم تتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أول غير من الحصول فقد ضل عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيدا حكيم أم لا وهو يعلم أنهم معنى الحكمة وحقيقتها . والفضيلة مأخوذة من الفضل وهي الزيادة فإذا تشارك شيان في أمر واختص أحدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيها هو كمال ذلك الشيء كما يقال الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشارك في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلمة زائدة لم يقل إنه أفضل لأن تلك زيادة في الجسم وتقصان في العنى وليست من الكمال في شيء والحيوان مطلوب لمنه وصفاته لا لجسمه فإذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الأوصاف كما أن الفرس فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليست فضيلة على الإطلاق والعلم فضيلة في ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة فانه ومف كالله سبحانه وبه شرف الملائكة والأنبياء بل الكيس من الخيل خير من البليد فهي فضيلة على الإطلاق من غير إضافة . واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لغيره وإلى ما يطلب لذاته وإلى ما يطلب لغيره ولذاته جميعا فما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدرام والناتير فانهما أجرا لا منفعة لهما ولولا أن الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات لهما لكانا بالحصاب بمثابة واحدة والذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى والذي يطلب لذاته ولغيره فكسامة البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث إنها سلامة للبدن عن الألم ومطلوبة للمنى بها والتوصل إلى الكرب والحاجات وهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيت أنه قد ينال نفسه فيكون مطلوب لذاته ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلا به وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية وأفضل الأشياء ماهو وسيلة إليها لن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل ولا يتوصل إلى العلم بكيفية العمل فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضا بشرف ثمرته وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين والاتحاق بأنقى اللاتسكدة ومقارنة للأعلى هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالعز والوقار وغود الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى إن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم بمجولة على التوقير لشيوعهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعمها توقر الانسان لشعورها بتميز الانسان بكمال مجاوز لمرجتها . هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سيأتي بيانه وتفاوتت لعمالة فضائلها بتفاوتها . وأما فضيلة التعلم والتعليم فتظاهرة بما ذكرناه فان العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلبا للأفضل فكان تعليمه إفاضة للأفضل وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا فان الدنيا منزعة للآخر وهي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلا لمن يتخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة أقسام : أحدها أصول لا قوام للعالم دونها وهي أربعة الزراعة وهي للمطعم والحيا كدوى للملبس والبناء

الشاذلي عن شيخه
الشيخ الكبير العارف
بالله ياقوت الشاذلي عن
شيخه الشيخ الكبير
العارف بالله أبي العباس
الرسى عن شيخه الشيخ
الكبير شيخ الشيوخ
أبي الحسن الشاذلي
قدس الله أرواحهم
وكان معاصرا لابن
حرزم قال وقال الشيخ
أبو الحسن الشاذلي
ولقد مات الشيخ
أبو الحسن بن حرزم
رحمه الله يوم مات وأثر
السياط ظاهر على ظهره
وقال الحافظ بن عساكر
رحمه الله وكان أدرك
الامام الغزالي واجتمع
به قال سمعت الامام
الفتية الصوفي سعد بن
طى بن أبي هريرة
الاسفراييني يقول سمعت
الشيخ الامام الأوحى
زين القراء جمال
الحرم أبا الفتح الشاوي
بمكة للشرقة يقول
دخلت للجد الحرام
يوما فطرا على حال
وأخذني عن نفسي
فلم أقدر أن أنف
ولا أجلس لشدة ما بي

وهو المكن والسياسة وهي لتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها الثاني ماهي مهنة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وحجة من الصناعات باعداد آلاتها كالحلابة والنزل فانها تخدم الحياكة باعداد عملها . الثالث ماهي متممة للأصول ومزينة كالطحن والحبز للزراعة والقصارة والحياطة للحياكة وذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضي مثل أجزاء الشخص بالإضافة إلى جملة فانها ثلاثة أضرب أيضاً أصول كالقلب والكبد والدماغ وإما خادمة لها كالصدنة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة وإما مكملة لها ومزينة كالأنظار والأصابع والحاجبين وأشرف هذه الصناعات أصولها وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها فلا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لخدمة صاحب هذه الصناعة سائر الصانع والسياسة في استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق للنجاة في الدنيا والآخرة على أربع مراتب : الأولى وهي العليا سياسة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً في ظاهريهم وباطنيهم . والثانية الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً ولكن على ظاهريهم لا على باطنيهم . والثالثة العلماء بالله عز وجل وبيده الدين هم ورثة الأنبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة على الاستفادة منهم ولا تقضى قوتهم إلى التصرف في ظواهرهم بالانزاع والنفع والشرع . والرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط وأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة إفاضة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة للهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق المأمودة السعيدة وهو المراد بالتعليم وإنما قلنا إن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لأن شرف الصناعات يعرف بثلاثة أمور : إما بالالتفات إلى الفريضة التي بها يتوصل إلى معرفتها كمفضل العلوم العقلية على اللغوية إذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل أشرف من السمع إما بالنظر إلى عموم النفع كمفضل الزراعة على الصياغة وإما بملاحظة المثل الذي فيه التصرف كمفضل الصياغة على الدباغة إذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة وليس ينبغي أن العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الإنسان كإسباني يانه إذ به تقبل أمانة الله وبه يتوصل إلى جوار الله سبحانه وأما عموم النفع فلا يستراب فيه فإن نفعه ونعمته سعادة الآخرة وأما شرف المثل فكيف ينبغي والعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم وأشرف موجود على الأرض جنس الانس وأشرف جزء من جواهر الانسان قلبه والعلم مشغل بتكليفه وتجليته وتطهيره وسيئاته إلى القرب من الله عز وجل فتعليم العلم من وجه عبادة لله تعالى ومن وجه خلافة الله تعالى وهو من أحل خلافة الله فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العام الذي هو أخص صفاته فهو كالحاظر لأنفس خزائنه ثم هو مأذون له في الاتفاق منه على كل محتاج إليه فأى رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه في تحريمهم إلى الله زلنى وسياقتهم إلى جنة المأوى جعلنا الله منهم بكرمه وصلى الله على كل عبد مصطنق .

(الباب الثاني . في العلم المأمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وماهو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والعقده من علم الدين إلى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة)
بيان العلم الذى هو فرض عين : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالصين » واختلف الناس في العلم الذى هو فرض على كل مسلم فنفروا فيه أكثر من عشرين فرقة ولا تطيل بقل التعميل ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام إله يدرك التوحيد ويعلم ذات الله

فوقت على جنبي الأيمن
نجاه الكعبة للعظمة
وأنا على طهارة وكنت
أطرد عن نفسى
الزوم فأخذتني سنة
بين النوم واليقظة
فرايت النبي صلى الله
عليه وسلم في أكل
سورة وأحسن زى
من القميص والعامة
ورأيت الأئمة الشافعي
ومالكا وأبا حنيفة
وأحمد رحمهم الله
يرضون عليه مذهبهم
واحداً بعد واحد
وهو صلى الله عليه
وسلم يقرهم عليها ثم جاء
شخص من رؤساء
المتدعة ليدخل الحلقة
فأمر النبي صلى الله
عليه وسلم بطرده
وإهاتته فتقدمت أنا
وقلت يا رسول الله
هذا الكتاب أعنى
إحياء علوم الدين
معتقدى ومعتقد أهل
السنة والجماعة فلو
أدنت لي حق أقراء
عليك فأذن لي
فقرأت عليه من
كتاب قواعد العقائد
سم الله الرحمن الرحيم

سبحانه وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه إذ به تعرف المبادئ والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج إليه الأحاد دون الوقائع النادرة ، وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى المعلوم كلها وقال للتصوفة المراد به هذا العلم فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييزه للالك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومته . وقال أبو طالب للسكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله ^(١) » إلى آخر الحديث لأن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب ، والذي ينبغي أن يقطع به المصنف ولا يستريب فيه ما سنذكره وهو أن العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة : اعتقاد وفعل وترك فإذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلاً فأول واجب عليه تعلم كلتي الشهادة وفهم معناها وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة بل يكفي أن يصدق به ويستفد جزماً من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والتجاع من غير بحث ولا برهان « إذا كنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل ^(٢) » فإذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عين عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهماهما وليس يلزمه أمر ورأه هنا في الوقت بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعاً لله عز وجل غير حاص له وإنما يجب غير ذلك بموارض تعرض وليس ذلك ضرورياً في حق كل شخص بل يتصور الاتسكال عنها وتلك الموارض إما أن تكون في الفعل وإما في الترك وإما في الاعتقاد . أما الفصل فبان يعيش من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة فإن كان مهيماً وكان بحيث لو صبر إلى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يندم أن يقال الظاهر بقاءه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فإن عاش إلى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس وأن الواجب فيه النية والإمساك عن الأكل والشرب والوقوع وأن ذلك يتأدى إلى رؤية الهلال أو شاهدين فإن تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه في الحال وإنما يلزمه عند تمام الحول من وقت الإسلام فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الإبل وكذلك في سائر الأصناف فإذا دخل في أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة إلى علم الحج مع أن فعله على التراخي فلا يكون تعلمه على الفور ولكن ينبغي للماء الاسلام أن ينهوه على أن الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة إذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة ففند ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله فإن فعل ذلك قل فعله أيضاً فلا يكون تعلمه فرض عين

(الباب الثاني)

(١) حديث بنى الإسلام على خمس متفق عليه من حديث ابن عمر (٢) حديث أكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل ، مشهور في كتب السير والحديث ففند مسلم قصة ضمام بن ثعلبة .

كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة حتى انتهت إلى قول الغزالي وأنه تعالى بعث النبي الأمي القرشي محمداً صلى الله عليه وسلم إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس فرأيت البشاشة في وجهه صلى الله عليه وسلم ثم التفت وقال أين الغزالي وإذا بالغزالي واقف بين يديه فقال ها أنا ذا يا رسول الله وتقدم وسلم فرد عليه السلام عليه الصلاة والسلام وناولته يده الكريمة فأكتب عليها الغزالي يقبلها ويتركها وما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أشد سروراً بقراءة أحد عليه مثل ما كان يقرأني عليه الأحياء ثم انتبهت والدمع يجري من عيني من أثر تلك الأحوال والكرامات وكان تقريره صلى الله عليه وسلم لذهاب أئمة

وفي تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج في الحال نظر يليق بالفتنة وهكذا التدرج في علم سائر الأفعال التي هي فرض عين . وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البعوى تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن فذلك أيضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال لما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملائمه له يجب تنبيه عليه كما لو كان عند الإسلام لا بسا للحرير أو جالساً في التصب أو ناظراً إلى غير ذي حرم فيجب تحريمه بذلك وما ليس ملائماً له ولكنه يصد التمرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه حق إذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه . وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب عليها بحسب الخواطر فإن خطرله شك في المأني التي تبدل عليها كلها الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك فإن لم يخطرله ذلك ومات قبل أن ينتقد أن كلام الله سبحانه قديم وأنه مرئي وأنه ليس محلاً للحوادث إلى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الإسلام إجماعاً ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها يخطر بالسامع من أهل البلد فإن كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي أن يسان في أول بلوغه عنها بتلقين الحق فانه لو أتى إليه الباطل لوجبت إزالته عن قلبه وربما عسر ذلك كما أنه لو كان هذا المسلم تاجراً وقد شاع في البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا وهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولة الملك حق أيضاً ولكن في حق من يتصدى له فإذا كان الغالب أن الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربيع الهلكات ما يرى نفسه محتاجاً إليه وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) » ولا ينفك عنها جبر وبقية ما سذكركه من مذمومات أحوال القلب كالكبر والمجب وأخواتها متبع هذه الثلاث الهلكات وإزالتها فرض عين ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها فإن من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بشده وكيف يمكن دون معرفة السبب والسبب وأكثر ما ذكرناه في ربيع الهلكات من فروض الأعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا ينفع . وما ينبغي أن يبادر في إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتقل عن ملة إلى ملة أخرى الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تمة كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولاً ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاه فله النار فإذا انتهت لهذا التدرج علمت أن المذهب الحق هو هذا وتحققت أن كل عبد هو في مجارى أحواله في يومه وليته لا يغفل من وقائع في عباداته ومعاملاته عن تعدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النواذر ويلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالباً فإذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بالعلم للمعرف بالألف واللام في قوله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدرج ووقت وجوبه والله أعلم .

(١) حديث ثلاث مهلكات شح مطاع الحديث البزاز والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف .

السنة واستشاره
مقيدة التزالي
وتقريرها نعمة من الله
عظيمة ومنه جسيمة
سأل الله تعالى أن
يمسح على سنته ويتوفانا
على ملته آمين .

(فصل) انتهى على الأحياء
عالم من علماء الإسلام
وغير واحد من عارف
الأعلام بل جمع أقطاب
وأفراد فقال فيه الحافظ
الإمام الفقيه أبو الفضل
المرائي في ترجمته إنه
من أجل كتب الإسلام
في معرفة الحلال
والحرام جمع فيه بين
ظواهر الأحكام ونزع
إلى سرائر دقت عن
الأهنام لم يقتصر فيه
على مجرد الفروع
والمسائل ولم يقبح
في الأجرة بحيث يتطرد
الرجوع إلى الساحل
بل مزج فيه على
الظاهر والباطن ومرج
معانيها في أحسن
للوطن وسبك فيه
نفائس اللفظ وضبطه
وسلك فيه من النمط
أوسطه مقتدياً بقول
على كرم الله وجهه

بيان العلم الذي هو فرض كفاية

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالاضافة إلى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ماهو محمود وإلى ماهو مذموم وإلى ماهو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ماهو فرض كفاية وإلى ماهو فضيلة وليس بفريضة . أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري إلى حاجة بقاء الأبدان والحساب فإنه ضروري في الامارات وقسمة الوصايا والموارث وغيرها وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد وإذا قام بها واحد كفي وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات فإن أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحياطة فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وخرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فإن الذي أزل الداء أزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك بأعماله . وأما ما بعد فضيلة لا فريضة فالتمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه وأما المذموم منه فمثل السحر والطلسمات وعلم الشيعة والتليسات . وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التي لاسخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه . وأما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان : فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتقسم إلى الحمودة والمذمومة . أما الحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات وتمامات وهي أربعة أضرب : الضرب الأول الأصول : وهي أربعة : كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة وآثار الصحابة ، والاجتماع أصل من حيث إنه يدل على السنة فهو أصل في الدرجة الثالثة وكذا الأمر فإنه أيضا يدل على السنة لأن الصحابة رضی الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لا يحيط العبارات بما أدرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن . الضرب الثاني الفروع : وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بعمان تنبى لها القول فأتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله عليه السلام « لا يقضى القاضي وهو غضبان »^(١) أنه لا يقضى إذا كان حاقنا أو جائئا أو متألما بمرض وهذا على ضربين : أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا وبحويه كتب الفقه والتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا . والثاني ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه الحمودة والمذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب أعني جملة كتاب إحياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب . والضرب الثالث المقدمات : وهي التي تجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعم مكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما ولكن يائز الخوض فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشرعة بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط إلا أن ذلك ليس ضروريا

(١) حديث لا يقضى القاضي وهو غضبان متفق عليه من حديث أبي بكر

خير هذه الأمة الخلق الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم التالي إلى آخر ما ذكره مما الأولى بنا في هذا المحل طيه ثم الانتقال إلى نشر محاسن الأحياء ليظهر المحب والبغض رشده وغيره . وقال عبد الغافر القارسي في مثال الأحياء إنه من تصانيفه للشهيرة التي لم يسبق إليها . وقال فيه النووي كاد الأحياء أن يكون قرآنا . وقال الشيخ أبو محمد الكازروني لو بحث جميع العلوم لاستخرجت من الأحياء . وقال بعض علماء المالكية الناس في فضل علوم الغزالي أي والأحياء جماعها كما سيأتي أنه البحر المحيط . وكان السيد الجليل كبير الشأن تاج العارفين وقطب الأولياء الشيخ عبد الله العبدروس رضي الله عنه يكاد يحفظه قلا وروى عنه أنه قال مكثت سنين أطالع

« إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً ^(١) » ولتصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنىء الكتابة ولكنه صار بحكم الصير في الغالب ضرورياً . الضرب الرابع للتممات : وذلك في علم القرآن فانه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ونحارج الحروف وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعلم أيضاً على النقل إذ اللغة بمجرد ما لا تستقل به وإلى ما يتعلق بأحكامه كتميزة النسخ والنسوخ والله والحاس والنس والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى أصول الله ويتناول السنة أيضاً . وأما التتمات في الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء الصحابة وصفاتهم والعلم بالمعدلة في الروايات والعلم بأحوالهم لتمييز الضعيف عن القوي والعلم بأعمارهم لتمييز الرسل السند وكذلك ما يتعلق بهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروع الكفايات . فان قد لم ألحق الفقه بعلوم الدنيا وألحق الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فأخرجهم من الأسلاب إلى الأرحام ومنها إلى الدنيا ثم إلى القبر ثم إلى العرض ثم إلى الجنة أو إلى النار فهذا مبدؤهم وهذا نهايتهم وهذه منازلهم وخا الدنيا زادا للمعاد ليتناول ما يصلح للترؤد فلو تناولوها بالبدل لانتطعت الخصومات وتعتطل الفقه ولكم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فست الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا في الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامة أمورهم في الدنيا ولمصرى إنه متعلق أيضاً بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين إلا بالدنيا والملك والدين توأمان فالدين أصل والسلطان حارس وما لا أصل له فهو دوم ولا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه وكما سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الأولى بل هو معين على مالا يتم الدين إلا به فكذا معرفة طريق السياسة لعلوم أن الحج لا يتم إلا بيزقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج ثم وسلك الطريق إلى الحج شيء ثان وللقيام بالحراسة التي لا يتم إلا بهائي ثالث ومعرفة طرق الحراسة وقوانينها شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روى من « لا يخفى الناس إلا ثلاثة أميراً أو مأموراً أو متكلفاً ^(٢) » فالأمير هو الامام وقد كانوا هم للفتون وللأمو نائبه والتكلف غيرهما وهو الذي يشهد تلك المهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يفترون عن الفتوى حتى كان يعمل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يفترون إذا سئلوا عن القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل التكلف للرأي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غ متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال . فان قلت هذا إن استقام لك في أحكام الجراحا والحدود والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة وفما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة الاسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام فاذا تأملت منتهى نظر الفقه

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً : أي لا عمن الكتابة ابن مردويه في التفسير من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً أنا محمد النبي الأمي وفيه ابن لهيعة وابن جابر والدارقطني والحاكم والبيهق ومحمد بن حنبل بن مسعود قولوا اللهم صل على محمد النبي الأمي والبيهق من حديث البراء وأما الكتاب وليس يحسن يكتب (٢) حديث لا يخفى الناس إلا ثلاثة الحديث ابن ماجه من رواية محمد ابن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ لا يقص على الناس وإسناده حسن .

كتاب الاحياء كل فصل وحرف منه وأعادوه وأتدبره فيظهر لي منه في كل يوم علوم وأسرار عظيمة ومفاهيم غزيرة غير التي قبلها ولم يسبقها أحد ولم يلحقه أحد انتهى على كتاب الاحياء بما انتهى عليه ودعا الناس بقوله وطفه إليه وحث على التزام مطالعته والعمل بما فيه ومن كلامه رضي الله عنه : عليكم يا إخواني بتتابة الكتاب والسنة أغنى التسمية للصراحة في الكتب الغزالية خصوصاً كتاب ذكر الموت وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوبة وكتاب رياضة النفس ومن كلامه : عليكم بالكتاب والسنة أولاً وآخرها وظاهرها وباطنها وفكرها واعتبارها واعتقادها وشرح الكتاب والسنة مستوفى في كتاب إحياء علوم الدين للامام حجة الاسلام الغزالي رحمه الله وتفضله ومن كلامه وبعد فليس لنا طريق ومنهاج

فيما علمت أنه لا يهاوز حدود الدنيا إلى الآخرة وإذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها أظهر . أما الاسلام فيشكك الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان وأما القلب فنخرج عن ولاية الفقيه لزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال « هلا شققت عن قلبي » (١) « للذي تمل من تكلم بكلمة الاسلام مستترا بأنه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيف لم يكشفه عن نيته ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فان السيف تمتد إلى رقبته واليد تمتد إلى ماله وهذه الكلمة باللسان تصمم رقبته وماله مادام له رقبته وماله وذلك في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم » (٢) « جل أثر ذلك في الدم والمال وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال بل أنوار القلوب وأبرارها وإخلاصها وليس ذلك من فن الفقه وإن خاض الفقيه فيه كان كالأخاض في الكلام والطب وكان خارجا عن فنه . وأما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وإن كان غافلا في جميع صلاته من أولها إلى آخرها مشغولا بالتفكير في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة كما أن القول باللسان في الاسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة أي أن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر وانقطع به عنه القتل والتعزير فأما الحشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يترحمه الفقيه ولو تعرض له لكان خارجا عن فنه . وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة الساطن حتى إنه إذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهرا حكم بأنه برئت ذمته . وحكى أن أبا يوسف القاضي كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهب ماله إسقاطا للزكاة فتحكى ذلك لأبي حنيفة رحمه الله فقال ذلك من فقهه وصدق فان ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة أعظم من كل جناية ومثل هذا هو العلم الضارب . وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له أربع مراتب : الأولى الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة وهو الذي يخرج بركة الانسان عن أهلية الشهادة والقضايا والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر . الثانية ورع الصالحين وهو التوقي من الشبهات التي يتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » (٣) « وقال صلى الله عليه وسلم « الاتم حزاز القلوب » (٤) . الثالثة ورع للتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه أذاه إلى الحرام . قال صلى الله عليه وسلم « لا يكون الرجل من للتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس » (٥) « وذلك مثل التورع من التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى الغيبة والتورع عن أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر للؤدى إلى مقارفة المحظورات . الرابعة ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله عز وجل وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضى إلى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى وهو ورع الشهود والقضاء وما يندرج في العدالة والقيام بذلك لا يفتي الاتم

(١) حديث هلا شققت عن قلبي مسلم من حديث أسامة بن زيد (٢) حديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وعمر بن عمر (٣) حديث دع ما يريبك إلى ما لا يريبك الترمذي ومعه والنسائي وابن حبان من حديث الحسن بن علي (٤) حديث الاتم حزاز القلوب البيهقي في شعب الايمان من حديث ابن مسعود ورواه العبدني في مسنده موقوفا عليه (٥) حديث لا يكون الرجل من للتقين حتى يدع ما لا بأس به الحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عطية السعدي .

(١) حديث هلا شققت عن قلبي مسلم من حديث أسامة بن زيد (٢) حديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وعمر بن عمر (٣) حديث دع ما يريبك إلى ما لا يريبك الترمذي ومعه والنسائي وابن حبان من حديث الحسن بن علي (٤) حديث الاتم حزاز القلوب البيهقي في شعب الايمان من حديث ابن مسعود ورواه العبدني في مسنده موقوفا عليه (٥) حديث لا يكون الرجل من للتقين حتى يدع ما لا بأس به الحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عطية السعدي .

في الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اصة « استفت قلبك وإن أقنوك وإن أقنوك (١) »
والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط فلاذن جميع نظر الفقيه
مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم في شيء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك
يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام
وكما تدخل الحكمة في النحو والشعر . وكان سفيان الثوري وهو إمام في علم الظاهر يقول إن طلب هذا
ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على أن الشرف في العلم العمل به فكيف يظن أنه علم الظاهر والاعمال
والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها إلى الله تعالى فهو مجنون وإنما العمل بالقلب
والجوارح في الطاعات والشرف هو تلك الأعمال . فان قلت لم سويت (٢) بين الفقه والطب إذ الطب
أيضا يتعلق بالدنيا وهو صفة الجسد وذلك يتعلق به أيضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف إجماع
المسلمين . فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وأن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه : أحدها
أنه علم شرعي إذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فإنه ليس من علم الشرع . والثاني أنه لا يستثنى عنه
أحد من سلكي طريق الآخرة ألبتة لا الصحيح ولا المريض وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا للرضى وم
الأقارب . والثالث : أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه ينظر في أعمال الجوارح ومصدر أعمال
الجوارح ومنشؤها صفات القلوب فالحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق المحمودة للنجاة في الآخرة
واللنوم يصدر من اللذوم وليس رضى اتصال الجوارح بالقلب وأما الصحة والمرض فنشؤها صفاء في
الزواج والأخلاق وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فهما أضيف الفقه إلى الطب لظهور شرفه
وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضا شرف علم طريق الآخرة . فان قلت فصل على علم
طريق الآخرة تفصيلا يشير إلى تراجعه وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم أنه فنان : علم مكاشفة
وعلم معاملة . فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض المارفين
من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الحاتمة وأدنى نصيب منه التصديق به وتسلمه
لأهله . وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له شيء من هذا العلم بدعة أو كبر . وقيل من كان
محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم وأقل عقوبة من يشكره أنه
لا يندوق منه شيئا ويثبده على قوله :

وارض لمن غاب عنك غيبته فذلك ذنب عقابه فيسه

وهو علم الصديقين والقربين أعنى علم الكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكته
من صفاته الذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أمعاءها فيتوهم لها معاني
مجهلة غير متضعة فتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات
التامات وبأفعاله وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة
والنبي ومعنى الوحي ومعنى الشيطان ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للإنسان
وكيفية ظهور تلك الأنبياء وحكيمة وصول الوحي إليهم والمعرفة بملكووت السموات والأرض
ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين ملك الملائكة وملك الشيطان
ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط واليزان والحساب ومعنى قوله تعالى - اقرأ
كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - ومعنى قوله تعالى - وإن النار الآخرة هي الحيوان

(١) حديث استفت قلبك وإن أقنوك أحمد من حديث وابصة .

(٢) هكذا بالنسخ ولعل الصواب لم لا سويت بدليل بال كلامه تأمل .

كتب القزالي واضح
ظاهر جرت عند كل
مؤمن ومن كلامه
أجمع العلماء المارفون
بالله على أنه لا شيء
أنفع للقلب وأقرب
إلى رضا الرب من
متابعة حجة الاسلام
القزالي ومحبة كتبه
فان مكتب الإمام
القزالي لباب الكتاب
والسنة ولباب المقول
والمقول واقنوك على
ما أقول . ومن كلامه
أنا أشهد سرا وعلاية
أن من طالع كتاب
إحياء علوم الدين فهو
من المهتدين ، ومن
كلامه من أراد طريق
الله وطريق رسول الله
وطريق المارفين بالله
وطريق العلماء بالله
أهل الظاهر والباطن
فليس بمطالعة كتب
القزالي خصوصا إحياء
علوم الدين فهو البحر
المحيط . ومن كلامه
اشهدوا على أن من
وقع على كتاب القزالي
قد وقع على عين
التريسة والطريقة
والحقيقة . ومن كلامه
من أراد طريق الله
ورسوله ورسائلها فليعلم

بمطالعة كتب الغزالي
وخصوص البحر المحيط
إحياء المحجوبة الزمان
ومن كلامه نطق
معاني معنوى القرآن
ولسان حال قلب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقلوب
الرسول والأنبياء وجميع
المساء بالله وجميع
العلماء بأمر الله الأتقياء
بل جميع أرواح
للائكة بل جميع فرق
الصوفية مثل العارفين
والملازمة بل جميع
سرا حقائق الكائنات
والعقوليات وما يناسب
رضا الذات والصفات
أجمع هؤلاء المذكورون
أن لا شيء أرفع وأنفع
وأجمل وأجمل وأتقى
وأقرب إلى رضا الرب
ككتابة الغزالي وعجبة
كتبه وكتب الغزالي
قلب الكتاب والسنة
بل قلب العقول
والنقول وأنفع يوم
ينفخ إسرافيل في
الصور وفي يوم تهر
الناقور والله وحكيل
على ما أتول وما الحياة
الدنيا إلا امتاع التروار
ومن كلامه كتاب
إحياء علوم الدين فيه

لو كانوا يعلمون - ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول
في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة اللائحة الأعلى ومقارنة لللائكة والنبیین ومعنى تفاوت
درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدرى في جوف السماء إلى غير ذلك
نما يطول تفصيله إذ للناس في معاني هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى فبعضهم يرى أن
جميع ذلك أمثلة وأن الذى أعده الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق
حقائقها للمفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن
معرفة بعضهم يدعى أموراً عظيمة في المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول حدث معرفة الله عز وجل
ما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام وهو أنه موجود عالم قادر مبيع بصير متكلم فتعنى يعلم المكاشفة أن
يرتفع العطاء حتى تضع له جليلة الخلق في هذه الأمور انضاحاً يجري مجرى البيان الذى لا يشك فيه
وهذا يمكن في جواهر الإنسان لولا أن امرأة القلب قد تراكم صدوها وخيبتها بقاذورات الدنيا وانما تعنى
بم طريق الآخرة العلم بكيفية تفصيل هذه للآراء عن هذه الحقائق التى هى الحجاب عن الله سبحانه
وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاعتداء بالأنبياء
صلاوات الله وسلامه عليهم في جميع أحوالهم فيقدر ما ينجلي من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلأل فيه
حقائقه ولا سيول إليه إلا بالرياضة التى يأتى تفصيلها في موضعها وبالعلم والتعليم وهذه هى العلوم التى لا تسطر
في الكتب ولا يتحدث بها من أنتم الله عليه شيء منها إلا مع أهله وهو الشاركة فيه على سبيل الذاكرة
وبطريق الأسرار وهذا هو العلم الحقيقى الذى أراد الله صلى الله عليه وسلم بقوله «إن من العلم كهيئة السكون
لا يسله إلا أهل المعرفة بالله تعالى فإذا نطقوا به لم يحمله إلا أهل الاعتقاد بالله تعالى فلا تحمقروا عالماً أتاه
الله تعالى علماً منه فإن الله عز وجل لم يهقره إذ آتاه إياه (١) ». وأما القسم الثانى : وهو علم العاملة
فهو علم أحوال القلب . أما ما يعمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى
والقناعة والسخاء ومعرفة الله تعالى في جميع الأحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق
وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص ، فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسيابها التى بها
تكتسب ثمرتها وعلامتها ومعالجة ما ضف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة . وأما
ما ينتم غفوف الفقر وسخط القدر والغل والحقد والحسد والنفس وطلب العلو وحسب الثناء وحسب
طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والنضب والأنفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل
والرغبة والبذخ والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والباهاة
والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا معنى وحسب كثرة الكلام والصلف والترزين للخلق والمداينة
والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بميوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الحشية
منه وشدة الانتصار للنفس إذا نالها القدر وضعف الانتصار للحق واتخاذ إخوان الملاينة على عداوة
السرى والأمن من معسكر الله سبحانه في سلب ما أعطى والانتكال على الطاعة والكر والحيانة
والمخادعة وطول الأمل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والأسف على فواتها والأنس بالخلقين
والوحشة لفرارهم والجفاء والطيش والمجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة ، فهذه وأمثالها من صفات
القلب مغارس الفواحش ومناجيب الأعمال المخطورة . وأضدادها وهى الأخلاق الحمودة منبع

(١) حديث إن من العلم كهيئة السكون الحديث أبو عبد الرحمن السلى في الأربعين له في التصوف
من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف .

الطاعات والقربات فالعلم محدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها ونماتها وعلاجها هو علم الآخر وهو فرض عين في توى علماء الآخرة فالعرض عنها هالك بسطوة ملك للوك في الآخرة كما أر للعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا يحكم توى قهواء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض المين بالاضافة إلى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة إلى صلاح الآخرة ولوسئل ققيه عن معنى من هذه المعاذ حق عن الاخلاص مثلاً وعن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عين الذي في إجماله هلاكه في الآخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والزمى لسرد عليك جهلته من التفرصات الدقيقة التي تنقض الدهور ولا يحتاج إلى شيء منها وإن احتجج لم تزل البله عن يحو بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهاراً وفي حفظه ودرسه ويفضل عما هو مهم نسب في الدين وإذا روجع فيه قال اشتغلت به لأن علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلمه والوطن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض المين بل قدم عليها كثيراً من فروض الكفايات فكمن بلمة ليس فيها طيب إلا من أهل القمة ولا يجوز قبول شهادتها فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ثم لا ترى أحداً يشتغل به ويتأرون على علم الفقه لأسباب الخلافات والجدليات والبله مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص قهواء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة وإجمال مالا قائم به هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولى الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتجهيز القضاء والحكومة والتقدم به على الأقران والتمسك به على الأعداء هيئات هيئات قد اندرس علم الدين بنيليس العلماء السوء فاقه تعالى للستمان وإليه لللاف أن يبيدنا من هذا الضرور الذي يسطر الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفصل علماء الباطن وأرباب القلوب . كان الإمام الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي عتيان الراعي كما يقعد الصبي في للكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوي فيقول إن هذا وفق لما أخفناه . وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف السكرجي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلة ما وكانا يسألهما كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا قيل له كيف تفعل إذا جاءنا أمر لم نجد في كتاب ولا سنة فقال صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين واجلوه شوري بينهم (١) » ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الأرض وللك وعلماء الباطن زينة السماء ولللكوت . وقال الجنيد رحمه الله قال لي السري شيني يوماً إذا قلت من عندي لمن نجالي قلت المحاسبي قال نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام وردّه على التكمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث أشار إلى أن من حصل الحديث والملم ثم تصوف أفلح ومن تصوف قبل الملم خاطب نفسه . فان قلت فلم لم تورد في أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مذمومان أو محمودان . فاعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي يتنفع بها القرآن والأخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو إما مجادلة منسومة وهي من البدع كما سيأتي ياتقوا إما مشاغبة بالتعلق بمناقضات القرى لها وتطويل بنقل اللقالات التي أكثرها ترهات وهنابات تزيدها الطباع وتجمها الأصماع وبضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مألوفاً في العصر الأول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدعة الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونيفت جماعة لقفوا لها شيا وربوا فيها

(١) حديث قيل له كيف تفعل إذا جاء أمر لم نجد في كتاب الله ولا سنة رسوله الحديث الطبراني من حديث ابن عباس فيه عبد الله بن كيسان ضعه الجمهور .

جميع الأسرار وكتاب بداية الهداية فيه التقوى وكتاب الأربعين الأصل فيه شرح الصراط المستقيم وكتاب منهاج السابدين فيه الطريق إلى الله وكتاب الخلاصة في الفقه فيه التور . ومن كلامه السركه في اتباع الكتاب والسنة وهو اتباع الشريعة والشرعة مشروحة في كتاب إحياء علوم الدين للشيخ أبيهمزة الزمان . ومن كلامه نجح نجح لمن طالع إحياء علوم الدين أو كتبه أو سمعه ، وكلامه رضي الله عنه في تصانيفه وغيرها مشحون من التناء على الإمام النزالي وكتبه والحث على العمل بها خصوصاً إحياء علوم الدين ، وقد كان سيدي ووالدي الشيخ العارف بالله تعالى شيخ ابن عبد الله اليندروس رضي الله عنه يقول إن أهل الزمان جمعت كلام الشيخ

عبد الله في النزالي
وصيته [الجواهر
التلالي] خصوصا من
كلام الشيخ عبد الله
في النزالي فلم يتيسر
له وأرجو أن يوفقني
الله لذلك تحقيقا لرجائه
ورجاء أن يتناولني
دعاء الشيخ عبد الله
رضي الله عنه فانه قال
غفر الله لمن يكتب
كلامي في النزالي
وناهيك بيشارة في هذه
السارة السق برزت
من ولي عارف وقطب
مكاشف لا يحازف في
مقال ولا ينطق إلا عن
حال وفي هذا من
الشرف للنزالي وكتبه
ملا يحتاج معه إلى
مزيد - إن في ذلك
له كرى لمن كان له
قلب أو ألقى السمع وهو
شاهد - فان العظيم
لا يعظم في عينه
إلا عظيم ولا يعرف
الفضل لأهل الفضل
إلا أهل الفضل وإذا
تصدى المبدوس
لتعريفه فقد أغنى
تعريفه عن كل
تعريف ووصف
والشهادة منه خير
من شهادة ألف ألف

كلما مؤلفا فصار ذلك المنذور بحكم الضرورة مأذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر
الذي يقابل به التمتع إذا قصد الدعوة إلى البدعة وذلك إلى حد محدود سذكركه في الباب الذي يلي
هذا إن شاء الله تعالى . وأما الفلسفة فليست علما برأسها بل هي أربعة أجزاء : أحدها الهندسة
والحساب وهما مباهجان كاسبق ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة
فإن أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منها إلى البع فيضان الضيف عنهما لالينهما كما يصاب الصبي
عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع في النهر وكما يصاب حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار
خوفا عليه مع أن القوى لا يندب إلى مخالطتهم . الثاني للنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه
ووجه الحمد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام . والثالث الاكليات وهو بحث عن ذات الله سبحانه
وتعالى وصفاته وهو داخل في الكلام أيضا والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انحدروا
بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما أن الاعتزال ليس علما برأسه بل أصحابه طائفة من التكميين ،
وأهل البحث والنظر انحدروا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة . والرابع الطبيعيات وبعضها مخالف
للتشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في أقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الأجسام
وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء إلا أن الطبيب ينظر في بدن الانسان
على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الأجسام من حيث تتغير وتتحرك
ولكن الطب فضل عليه وهو أنه محتاج إليه وأما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة إليها فاذن الكلام صار
من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تهيئات البدعة وإنما حدث ذلك
بحدوث البدع كاحداث حاجة الانسان إلى استئجار البذرة في طريق الحج بمحدث ظلم العرب وقطعهم
الطريق ولو ترك العرب عدواتهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج فلذلك لو ترك
البتبع هذيانته لما اقتصر إلى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة رضي الله عنهم فليعلم التكميم حده
من الدين وأن موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج فاذا تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة
الحاج والتكميم إذا تجرد للمناظرة والدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه
لم يكن من جملة علماء الدين أصلا وليس عند التكميم من الدين إلا العقيدة التي يشارك فيها سائر العوام
وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان وإنما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة فأما معرفة الله
تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه في علم للكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد أن يكون
الكلام حجابا عليه ومائلا عنه وإنما الوصول إليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية
حيث قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين - فان قلت قد رددت
حد التكميم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش البدعة كما أن حد البذرة حراسة ألقسة الحجيج
عن نهب العرب ورددت حد الفقيه إلى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض أهل
العدوان عن بعض وهاتان ربتان نازلتان بالاضافة إلى علم الدين وعلماء الأمة للشهورون بالفضل
م الفقهاء والتكلمون وهم أفضل الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافرة
بالإضافة إلى علم الدين ، فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار في متأهات الضلال فاعرف الحق
تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق وإن قصت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات
الفضل بين الناس فلا تنفل عن الصحابة وعلماء منصفهم قد أجمع الدين عرضت بذكرهم على تقديمهم
وأهم لا يدرك في الدين شأومهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقديمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة
وسلوك طريقها ، وما فضل أبو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا تقوى

ولا كلام ولكن بشيء وقرئ صدره (١) كما شهد له سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فليكن حرصه في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق أكثر الناس على تفضيحه وتعتيجه لأسباب ودواع يطول تفصيلها فقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم آلاف من الصحابة رضى الله عنهم كلهم علماء بالله أنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن في أحد بحسن صنعة الكلام ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلا ولقد كان ابن عمر رضى الله عنهما منهم وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل اذهب إلى فلان الأمير الذى تقلد أمور الناس وضما في عتقه إشارة إلى أن الفتيا في القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات رضى الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة أعشار العلم فقيل له أتقول ذلك وفيما جلة الصحابة قد لم أرد علم الفتيا والأحكام إنما أريد العلم بالله تعالى أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل فما بالنا لا نحرص على معرفة ذلك العلم الذى مات بموت عمر تسعة أعشاره وهو الذى سد باب الكلام والجدل وضرب صيفا بالدرة لما أورد عليه سؤالاً في تعارض آيتين في كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره وأما قولك إن للمشهورين من العلماء هم الفقهاء والتكلمون فاعلم أن ما ينال به الفضل عندنا شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر فقد كان شهرة أبي بكر الصديق رضى الله عنه بالحلا وكان فضله بالسر الذى وقر في قلبه وكان شهرة عمر رضى الله عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالادى مات تسعة أعشاره بموته وبفضله التقرب إلى الله عز وجل في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو أمر باطن في سره فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة فتكون الشهرة فيها هو للهلاك والفضل فيها هو سر لا يطلع عليه أحد فالفقه والتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء وقد اتسموا فمنهم من أراد الله سبحانه بعلمه وقواه وذو عن سنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فأولئك أهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعمل بعلمهم ولأرادتهم وجه الله سبحانه يفتواهم ونظرم فإن كل علم عمل فانه فعل مكتسب وليس كل عمل علماً والطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه فيكون مثاباً على علمه من حيث إنه حاصل سبحانه وتعالى به والسلطان يتوسط بين الخلق فله فيكون مرضياً عند الله سبحانه ومثاباً لأمه حيث إنه متكفل بعلم الدين بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب إلى الله عز وجل بعلمه وأقسام ما يتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة : علم مجرد وهو علم الكاشفة وعمل مجرد وهو كمد السلطان مثلاً وضبطه للناس ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة فإن صاحبه من العلم والعمل جميعاً فانظر إلى نفسك أتكون يوم القيامة في حزب علماء الله أو عمال الله تعالى أو حزبيهما فاضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا أهم عليك من التقليد المجرد للاشتهار كما قيل خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يفتيك عن زحل

على أناس نقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به أن الذين اتحلوا مذاهبهم ظلموم وأنهم من أشد خصماهم يوم القيامة فاتهم ما قصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى وقد شوهد من أحوالهم ما هو من علامات علماء الآخر كما سيأتي بيانه في باب علامات علماء الآخرة فاتهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلوم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقيمين بعلوم الفتوى والصوفى والدواعى متيقنة ولا حاجة إلا (١) حديث : ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام الحديث : الترمذى الحكيم الواحد من قول أبي بكر بن عبد الله للزنى ولم أجده مرفوعاً .

وحصل من الأحياء في زمانه بسببه نسخ عديدة حتى إن بعض العوام حصلها لما رأى من ترغيبه فيه وألزم أخاه الشيخ علياً قراءته فقرأ عليه مدة حياته خمسا وعشرين مرة وكان يصنع عند كل ختم ضيافة عامة للفقراء وطلبة العلم الشريف ثم إن الشيخ علياً ألزم ولده عبد الرحمن قراءته عليه مدة حياته فحتمه عليه أيضاً خمسا وعشرين مرة وكان ولده سيدى الشيخ أبوبكر العيدروس صاحب عدن ألزم بطريقة النذر على نفسه مطالعة شيء منه كل يوم وكان لا يزال يحصل منه نسخة بعد نسخة ويقول لأترك تحصيل الإحياء أبداً ما عشت حتى اجتمع عنده منه نحو عشر نسخ . قلت وكذلك كان سيدى الشيخ الوالد شيخ ابن عبد الله ابن شيخ ابن الشيخ عبد الله العيدروس رضى الله

ذكرها . ونحن الآن نذكر من أقوال فقهاء الاسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم متعلا مذهبهم وهو مخالف لهم في أعمالهم وسيرهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق أعين الذين أكثر أتباعهم في المذاهب خمسة : الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة وسفيان الثوري رحمهم الله تعالى وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقها في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جعلها على خصلة واحدة وهي التشمير والبالية في تفاريع الفقه لأن الحاصل الأربع لا تصلح إلا للآخرة وهذه الحصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة إن أريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا شمروا لها وادعوا بها مشابهة أولئك الأئمة وهبات أن تقاس الملائكة بالحدادين فلوورد الآن من أحوالهم ما يدل على هذه الحاصل الأربع فإن معرفتهم بالفقه ظاهرة . أما الامام الشافعي رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابدا ما روى أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للعلم وثلثا للعبادة وثلثا للنوم . قال الربيع كان الشافعي رحمه الله يحتم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة . وكان البويطي أحد أصحابه يحتم القرآن في رمضان في كل يوم مرة . وقال الحسن الكرايبي بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي نوحا من ثلث الليل لما رأيته يزيد على خمسين آية فاذا أكثر ثمانية آية وكان لا يمر بآية راحة إلا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين وللمؤمنين ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكأنما جمع له الرجاء والخوف معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تحره في أمرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعي رحمه الله ما شبت منذ ست عشرة سنة لأن الشيع ينمل البدن ويحس القلب ويزيل القطنة ويجلب النوم ويضف صاحبه عن العبادة فانظر إلى حكته في ذكر آفات الشيع ثم في جده في العبادة إذ طرح الشيع لأجلها ورأس التبدد تقليل الطعام . وقال الشافعي رحمه الله ما حلفت بالله تعالى لا صادقا ولا كاذبا قط فانظر إلى حرمة وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على علمه بحلال الله سبحانه وسئل الشافعي رضى الله عنه عن مسألة فسكت فقيل له ألا تحيب رحمتك الله فقال حتى أدري الفضل في سكوتي أوفى جوابي فانظر في مراقبته لسانه مع أنه أشد الأعضاء تسلطا على الفقهاء وأعصاها عن الضبط والقهر وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لئيل الفضل وطلب الثواب . وقال أحمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعي رحمه الله تعالى يوما من سوق القناديل فبعناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم فالتفت الشافعي إلينا وقال نزهوا أنفسكم عن استماع الحنا كما تنزهون السنك عن النطق به فإن السمع شريك القائل وإن السفيه لينظر إلى أخبث شيء في إنائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شق بها قائلها . وقال الشافعي رضى الله عنه كتب حكيم إلى حكيم قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقي في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم . وأما زهده رضى الله عنه فقد قال الشافعي رحمه الله من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب . وقال الحميدي خرج الشافعي رحمه الله إلى اليمن مع بعض الولاة فانصرف إلى مكة بشرة آلاف درهم فغضب له خبأ في موضع خارجا من مكة فكان الناس يأتونه لما يرجع من موضعه ذلك حتى فرقها كلها . وخرج من الحمام مرة فأعطى الخماي مالا كثيرا . وسقط سوطه من يده مرة فرفعه انسان إليه فاعطاه جزاء عليه خمسين دينارا . وسخاوة الشافعي رحمه الله أشهر من أن نحكي ورأس الزهد السخاء لأن من أحب شيئا أمسه ولم يفارقه فلا يفارق المال إلا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد . ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همه بالآخرة

ماروى أنه روى سفيان بن عيينة حديثاً في الرقائق فذكر على الشافعي قيل له قد مات فقال إن مات
 قد مات أفضل زمانه وما روى عبد الله بن محمد البليوي قال كنت أنا وعمر بن نباتة جلوساً نتذاكر
 العباد والزهاد فقال لي عمر ما رأيت أروع ولا أنصح من محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه
 خرجت أنا وهو والحريث بن ليبيد إلى الصفا وكان الحريث تلميذاً لصالح لاري فافتتح يقرأ وكان حسن
 الصوت فقرأ هذه الآية عليه - هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون - فرأيت الشافعي
 رحمه الله وقد تغير لونه واقتصر جلده واضطرب اضطراباً شديداً وخر مغشياً عليه فلما أفاق جعل يقول
 أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين . اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك
 رقاب الشواقين إلهي هب لي جودك وجلتي بسترِكَ واعف عن تقصيري بكرم وجهك قال ثم مشى
 وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فعمدت على الشط أنوصاً للصلاة إذ مر بي رجل فقال لي
 يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك في الدنيا والآخرة فالتفت فإذا أنا برجل يتبعه جماعة أسرع
 في وضوئي وجعلت أقف أثره فالتفت إلى فقال هل لك من حاجة قلت نعم تلمني بما علمك الله شيئاً
 فقال لي أعلم أن من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قوت
 عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غداً أفلا أزيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلاث خصال فقد
 استكمل الإيمان من أمر بالمعروف واتم عن المنكر واتقى وحافظ على حدود الله تعالى
 ألا أزيدك قلت بلى فقال كن في الدنيا زاهداً وفي الآخرة راغباً وصدق الله تعالى في جميع أمورك تتج مع
 الناجين ثم مضى فسألت من هذا قالوا هو الشافعي فانظر إلى سقوطه مغشياً عليه ثم إلى وعظه كيف يدل
 ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عز وجل فانه - إنما غشى الله
 من عباده العلماء - ولم يستند الشافعي رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم والإجارة وسائر
 كتب الفقه بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار إذ حكم الأولين والآخرين مودعة
 فيهما . وأما كونه عالماً بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم للأئمة عنه . روى أنه سئل عن
 الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عمدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا إليها بسوء
 اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم . وقال الشافعي رحمه الله تعالى إذا أنت خفت على عملك العجب
 فانظر رضا من تطلب وفي أي ثواب ترغب ومن أي عقاب ترهب وأي عافية تشكر وأي بلاء
 تذكر فانك إذا تفكرت في واحدة من هذه الحصال صغر في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة
 الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب . وقال الشافعي رضي الله عنه من لم يصن نفسه لم ينفعه
 عمله . وقال رحمه الله من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره . وقال مامن أحد إلا له حب وبغض فإذا
 كان كذلك فكأن مع أهل طاعة الله عز وجل . وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلاً صالحاً
 ورعاً وكان يسأل الشافعي رضي الله عنه عن مسائل في الورع والشافعي رحمه الله يقبل عليه لورعه وقال
 للشافعي يوماً يا أبا الفضل الصبر أو المحنة أو التمكن فقال الشافعي رحمه الله التمكن درجة الأنبياء ولا يكون
 التمكن إلا بعد المحنة فإذا امتحن صبر وإذا صبر ممكن ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام
 ثم مكنته وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنته وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنته وامتحن سليمان عليه
 السلام ثم مكنته وآتاه ملكاً والتكئين أفضل الدرجات قال الله عز وجل - وكذلك مكنا ليعوسف
 في الأرض - وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكنت قال الله تعالى - وآتيناه أهله ومثلهم معهم -
 الآية فهذا الكلام من الشافعي رحمه الله يدل على تبحره في أسرار القرآن وإطلاعه على مقامات السائرين
 إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء وكل ذلك من علوم الآخرة . وقيل للشافعي رحمه الله متى يكون
 الرجل عالماً قال إذا تحقق في علم فعله وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند ذلك يكون عالماً فانه قيل

وسر نفس مصنفه
 وحن قصده والمراد
 بالكافر هنا فيما يظهر
 الجاهل بسيوب النفس
 المحبوب عن إدراك
 الحق أي فيمجرد
 مطالعته لا بكتاب
 للذكور يشرح الله
 صدره وينور قلبه
 وذلك لأن الوعاء إذا
 صدر عن قلب متعظ
 كان حرياً أن يتعظ به
 سامعه وكأن الله تعالى
 جعل لمباده الذين
 لا خوف عليهم ولا هم
 يحزنون رتبة فوق
 غيرهم كذلك جعل
 لما يبرز منهم ويؤخذ
 عنهم بركة رائدة على
 غيره لأن ألسنتهم كريمة
 وأنوار قلوبهم عظيمة
 وهمهم عليه وإشاراتهم
 صافية حتى يكون للقرآن
 أثر عظيم عند سماعه
 منهم وللأحاديث حجة
 وجلالة زائدة إذا
 أخذت عنهم والوعاظ
 منهم تأثير في القلوب
 ظاهر ولعلومهم وقهمهم
 أنوار ونفع متظاهر
 حتى تجد الرجل له العلم
 القليل وبعد ذلك
 ينتفع به كثير لحسن
 نفسه ووجود بركته

وغيره له أكثر من ذلك العلم ولم ينتفع به مثله لأنه دونه في منزلته ومن تأمل ذلك وجد أنه أمراً ظاهراً معهوداً وشيئاً مجرباً موجوداً فانظر إلى نفع الناس بكتاب الخلاف في مذهب مالك رحمه الله تعالى والتبني في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى والجلل العريه والارشاد في علم الكلام وانتشارها مع أرباحوت من العلم في فنونها قليل وقد جمع غير هؤلاء في هذه الفنون في مثل أجرام هذه الكتب أضاف ما فيها مع تحقيق تحرير العبارة وتشقيق المعاني وتلخيص الحدود وبعد هذا فالنفع بهذه أكثر وهي أظهر وأشهر لأن العلم بمزيد التقوى وقوة سر الإيمان لا بكثر الذكاء وفصاحة اللسان كما بين ذلك مالك رحمه الله تعالى بقوله ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يضعه الله في القلب قلت وما أشده الشيخ علي بن أبي بكر رضي الله عنه لنفسه فيه قوله :

لجالينوس إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجهمة فقال إنما المقصود منها واحد وإنما يحل معه غيره لتتمكن حديثه لأن الأفراد قاتل فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة . وأما إرادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ما روى عنه أنه قال ووددت أن الناس اتصفوا بهذا العلم وما نسب إلي شيء منه فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له وكيف كان مغزى القلب عن الالتفات إليه مجرد النية فيه لوجه الله تعالى . وقال الشافعي رضي الله عنه ما نظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ . وقال ما كتبت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كتبت أحدا قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لسان أو على لسانه . وقال ما أوردت الحق والحجة على أحد قبلها مني إلا هبته واعتقدت بحبه ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على إرادة الله تعالى بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الحاصلات الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها يشاؤون لهذا قال أبو ثور رحمه الله ما رأيت ولا رأي الرايون مثل الشافعي رحمه الله تعالى . وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى فانظر إلى إنصاف الداعي وإلى درجة للدعوة وقس به الأقران والأمثال من العلماء في هذه الأعصار وما بينهم من الشاحنة والبضاه لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعاؤه له قاله ابنه : أي رجل كان الشافعي حتى تدعوه كل هذا الدعاء فقال أحمد يابني كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدين وكالعمامة للناس فانظر هل لهذا من خلف وكان أحمد رحمه الله يقول مامس أحد بيده محبرة إلا وللشافعي رحمه الله في عنقه منة . وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعي لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووقفه للسداد فيه ولتقتصر على هذه النبذة من أحواله فإن ذلك خارج عن الحصر وأكثر هذه الناقب ثلثاه من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن إبراهيم القدسي رحمه الله تعالى في مناقب الشافعي رضي الله عنه وعن جميع السلفين . وأما الامام مالك رضي الله عنه فإنه كان أيضا متحليا بهذه الحاصلات الخمس فإنه قيل له ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزومه وكان رحمه الله تعالى في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان إذا أراد أن يحدث تواضعا وجلس على صدر فراشه وسرح لحيتيه واستعمل الطبيب وتمكن من الجالوس على وقار وهيبة ثم حدث قتيلا في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى . وأما إرادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله : الجدل في الدين ليس شيء . ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله إنني شهدت ما لكاو قد سئل عن عثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لأدري ومن يرد غير وجه الله تعالى بطلعه فلا تسمع نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدري ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب وما أحدا من على من مالك . وروى أن أبا جعفر النصور منه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله فروى على ملا من الناس ليس على مستكره طلاق فضره بالباطل ولم يترك رواية الحديث . وقال مالك رحمه الله ما كان رجل صادقا حديثه ولا يكذب إلا متع بقله ولم يصبه مع الحرم آفة ولا خرف . وأما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روى أن المهدي أمير المؤمنين سأله فقال له هل لك من دار فقال لا ولكن أحدثك سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا فأخذها ولم ينفعها فلما أراد الرشيد الشخوص قال مالك رحمه الله

ينبغي أن نخرج معنا فاني عزمت على أن أحمل الناس على اللوطا كما حمل عثمان رضي الله عنه الناس .
القرآن فقال له أما حمل الناس على اللوطا فليس إليه سبيل لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وه
اقرقوا بعده في الأمصار فحدثوا عند كل أهل مصر علم وقد قال صلى الله عليه وسلم « اختلافاء
رحمة (١) » وأما الخروج منك فلا سبيل إليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة خير لهم لو كانوا
يسلمون (٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكبر خبث الحديد (٣) » وهنمدنا نيز
كاهي إن شئتم غفدوها وإن عتقتم فدعوها يعني أنك إنما تكلفني مفارقة المدينة لما اصطنعت إلى فلا أو
اللهيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهكذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حملت إليه الأمور
الكثيرة من أطراف الدنيا لا تنبش علمه وأصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ودل سخاؤه على زه
وقلة حبه للدنيا وليس الزهد قد للال وإنما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام
ملكه من الزهاد ويدل على احتضاره للدنيا ما روى عن الشافعي رحمه الله أنه قال رأيت على باب ما
كراما من أفراس خراسان ويقال مصر ما رأيت أحسن منه قلت لما لك رحمه الله ما أحسنه فقال هو ه
منى إليك يا أبا عبد الله قلت دع لنفسك منها دابة تركها فقال إني أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة
نبي الله صلى الله عليه وسلم بهافر دابة فانظر إلى سخائه إذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة وإلى توق
لتربة المدينة ويدل على إرادته بالعلم وجهه الله تعالى واستحضاره للدنيا ما روى أنه قال دخلت
مروان الرشيد فقال لي يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف إلينا حتى نسمع صياحنا منك اللوطا قال قلت أ
الله مولانا الأمير إن هذا العلم منك خرج فان أتم عززتموه عز وإن أتم أذلتموه ذل والعد
يؤتى ولا يأتي فقال صدقت أخرجوا إلى السجد حتى تسمعوا مع الناس . وأما أبو حنيفة رحمه الله
فلقد كان أيضا عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجهه الله تعالى بطلعه فأما كونه عا
فيرف بما روى عن ابن المبارك أنه قال كان أبو حنيفة رحمه الله مروءة وكثرة صلاة . ورو
حماد بن أبي سليمان أنه كان يحيي الليل كله . وروى أنه كان يحيي نصف الليل ثم يوما في طريق فأش
إليه إنسان وهو يحيى فقال لا خرف هذا هو الذي يحيي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله و
أنا أستحي من الله سبحانه أن أوصف بما ليس في من عبادته . وأما زهده فقد روى عن الر
ابن عاصم قال أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بأبي حنيفة عليه فأراده أن يكون حاكما على
للحال فأبى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب . قال الحكم
هشام الثقفي حدثت بالشام حديثا في أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان على
يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختر عذابهم له على عذاب الله تعالى . وروى أنه ذ
أبو حنيفة عند ابن المبارك قال أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بخدا فبرها قمرها . وروى
محمد بن شعاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبي حنيفة قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر للنص
بشرة آلاف درهم قال فلا رضي أبو حنيفة قال فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتى بالمال فيه صلى الص
ثم تفتى بثوبه فلم يتكلم فجاء ربهول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض
حضر ما يكلمنا إلا بالكلمة بدل الكلمة أي هذه عادة فقال ضموا للال في هذا الجراب في زاوية الب

(١) حديث اختلاف أمي رحمة ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية تعليقا وأسنده في الدخول من حد
ابن عباس يلفظ اختلاف أصحابي لكم رحمة وأسناده ضعيف (٢) حديث المدينة خير لهم لو كانوا يعلم
متفق عليه من حديث سفيان بن أبي زهير (٣) حديث المدينة تنفي خبثها الحديث متفق عليه
حديث أبي هريرة .

أخى اتبه والزم سلوك
الطرائق
وسارع إلى لاولي مجد
وسابق
أيا طالبا شرح الكتاب
وسنة
وقانون قلب القلب بحر
الرفائق
وإيضاح منهج للحقيقة
مشرق
وشرب حياصفو راح
الحقائق
وإجلاله أذكار للمعانى
ضواحا
يا هاج حسن جاذب
للخلائق
عليك بأحياء العلوم
ولها
وأسرارها كم قد حوى
من دقائق
وكم من لطيفات لدى
اللب منهل
وكم من مليحات سبت
لب حاذق
كتاب جليل لم يصنف
قبله
ولا بعده مثل له في
الطرائق
فكم من بديع اللفظ
يجل حرائقا
وكم من هموس في حماء
شوارق
معانيه أخصت كالبدور
سواها

ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابه إذا مت ودفنتموني فخذ هذه البكرة واذهب بها إلى الحسن بن قسطنطين فقل له خذ ودينتك التي أودعتها أبا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمه الله على أيك فلتدكان شحيجا على دينه . وروى أنه دعى إلى ولاية القضاء فقال أنا لا أصليح لهذا فقل له لم فقال إن كنت صادقا فما أصليح لها وإن كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء . وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفة بالله عز وجل فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا وقد قال ابن جرير قد بلغني عن كوفيك هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى . وقال شريك النخعي كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم السكر قليل المحادثة للناس فهذا من أوضاع الأمارات على العلم الباطني والاشتغال عهات الدين فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة . وأما الإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمهما الله تعالى فاتباعهما أقل من أتباع هؤلاء وسفيان أقل أتباعا من أحمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر . وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما فلا حاجة إلى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هؤلاء الأئمة الثلاثة وتأمل أن هذه الأحوال والأقوال والأفعال في الإعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار والايلاء والأمان أو يثمرها علم آخر أعم وأشرف منه وانظر إلى الدين ادعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا في دعواهم أم لا .

الباب الثالث : فيما يمدد العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي قد يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها (بيان علة ذم العلم المذموم) لعلك تقول العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم أن العلم لا يذم لعينه وإنما يذم في حق العباد لأحد أسباب ثلاثة : الأول أن يكون مؤديا إلى ضرر ما إما لصاحبه أو لغيره كأيذم علم السحر والطلسمات وهو حق إذ شهد القرآن له وأنه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين ، وقد سحر^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك وأخرج السحر من تحت حجر في قبره وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمر حناية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص للسحور ويرصده وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها إلى الاستمالة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك حكم إجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة في الشخص السحور ومعرفة هذه الأبواب من حيث إنها معرفة ليست بمنومة ولكنها ليست تصلح إلا للاضرار بالخلق والوسيلة إلى الشر شر فكان ذلك هو السبب في كونه علما مذموما بل من اتبع ولما من أولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع حريز إذا سأل الظالم عن عمله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه إرشاد وإفادة علم بالشئ على ما هو عليه ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر . الثاني أن يكون مضرا بصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم فإنه في نفسه غير مذموم لأنه إذ هو قيمان : قسم حسابي وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب إذ قال عز وجل - الشمس والقمر بحسبان - وقال عز وجل - والقمر قدرناه منازل حتى

(الباب الثالث)

(١) حديث سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث عائشة .

على درة لفظ المعاني
مطابق
وكم من عزيرات زهت
في قباها
محبة عن غير كفه
مسابق
وكم من لطيف مع بديع
ونعفة
حلاوتها كالشهد نخل
لذائق
بساتين عرفان وروس
لطائف
وجنة أنواع العلوم
الفوائق
رعى الله صبارا ساق
جناتها
يروح وينمو بين
تلك الحقائق
وبه تطف من ذاكي
جناتها فواكها
بساحل بحر الجواهر
دافق
خضم طمى حتى علا
فوق من علا
بشامخ مجد مشرق
بالحقائق
فان لم بهذا القول
تؤمن فجر بن
وأقبل على تلك المعاني
وطائق
وراجع طرقا في بديع
جمالها
وطف حياها منشدا
كل سابق

تري في بدور الحى
أفكار قد بدت
بألى جمال مدهش
لب عاشق
فكم أنهلت صبا وكم
قشمت عسى
وكم قدسعت في غربها
والشارق
فيضى براح الحب
سكران مفرما
أصم عن العذال غير
موافق
وعسى يناديها طريقا
يباها
منعم عيش في الربوع
الفنادق
صلاة على سر الوجود
شفيعا
محمد المختار خير الخلائق
وأصحابه أهل المكارم
والعلا
وعترته ورث علم
الحقائق
[فصل] وأما أنكر
عليه فيه من مواضع
مشكلة الظاهر وفي
التحقيق لا إشكال أو
أخبار وآثار تكلم
في سندها فأما من
جهة تلك الواضع
لمن أجاب عنها
المصنف نفسه في كتابه
لسمى (بالأجوبة)
وأسوق لك نبذة من

عاد كالمرجون القديم . . . والثاني الأحكام وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب وهو
يضاهى استدلال الطبيب بالنبيض على ما سيحدث من الرض وهو معرفة لجارى سنة الله تعالى وعادته
في خلقه ولكن قد ذمه الشرع قال صلى الله عليه وسلم « إذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكرت
النجوم فأمسكوا وإذا ذكرت أمماني فأمسكوا » (١) . وقال صلى الله عليه وسلم « أخاف على أمتي بعدى
ثلاثا حيف الأئمة والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر » (٢) . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تملوا
من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم أمسكوا وإنما جرحته من ثلاثة أوجه : أحدها أنه مضر
بأكثر الخلق فإنه إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سركوا كب وقع في قوسهم أن السكوا كب
هي المؤثرة وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية ويظم وقعها في القلوب فيق قلب ملتفتا إليها
ويرى الخير والشر محذورا أو مرجوا من جهة ما ينمحي ذكر الله سبحانه عن القلب فإن الضعيف يصير
نظره على الوسايط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمر سبحانه
وتعالى ومثال نظر الضعيف إلى حصول جنود الشمس عقيب طلوع الشمس مثال الخلة لو خلق لها عقل
وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر إلى سواد الخط يتجدد فتعتقد أنه فعل القلم ولا تترقى في نظرها
إلى مشاهدة الأصابع ثم منها إلى اليد ثم منها إلى الإرادة المحركة لليد ثم منها إلى الكاتب القادر للريد
ثم منها إلى خالق اليد والقدرة والإرادة فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة مقطوع من
الترقى إلى مسبب الأسباب فهذا أحد أسباب النسي عن النجوم . وثانيها أن أحكام النجوم تخمين محض ليس
يدرك في حق آحاد الأشخاص لا يقينا ولا ظاهرا لحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل
لا من حيث إنه علم فلهذا كان ذلك معجزة لا درس عليه السلام فيها يحكي وقد اندرس وأنمحي ذلك العلم وأنمحي
وما يتفق من إصابة الجرم على تدور فهو اتفاق لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل للسبب عقيبا إلا
بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع على حقائقها فان اتفاق أن تقدر الله تعالى الأسباب وقعت
الاصابة وإن لم يقدر أخطأ ويكون ذلك كتحمين الانسان في أن السماء تنطر اليوم مهما رأى القيم
يجمع وينبث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحكى النهار بالشمس ويذهب القيم وربما يكون
بخلافه ويجرد القيم ليس كافيا في محي المطر وبقية الأسباب لا تدرى وكذلك تخمين للملاح أن السفينة
تسلم اعتادا على ما ألفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب
في تخمينه وتارة يخطئ ولهذا العلة يمنع القوى عن النجوم أيضا . وثالثها أنه لا فائدة فيه فأقل أحواله
أنه خوض في فضول لا ينق وتضييع العمر الذي هو أنفس بضاعة الانسان في غير فائدة وذلك غاية الحسرة
« قد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة
فقال بماذا قالوا بالشعر وأنساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم
« إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة » فاذن الخوض في النجوم وما يشبه اقتحام خطر
وخوض في جهالة من غير فائدة فان ما قدر كائن والاحترار منه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة
ماسة إليه وأكثر أدلته بما يطلع عليه وبخلاف التعبير وإن كان تخميناً لأنه جزء من ستة وأربعين جزءا من

(١) حديث إذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث رواه الطبراني من حديث ابن مسعود باسناد حسن
(٢) حديث أخاف على أمتي بعدى ثلاثا حيف الأئمة الحديث ابن عبد البر من حديث أبي عبيد
باسناد ضعيف (٣) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون فقال ما هذا فقالوا
رجل علامة الحديث ابن عبد البر من حديث أبي هريرة وضعفه وفي آخر الحديث ، إنما العلم
آية محكمة . إلى آخره وهذه القطعة عند أبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو .

ذلك هنا قال رحمه الله سألت يرك الله لمراتب العلم تصعد مرافقها وقرب لك مقامات الأولياء نحل سعالها عن بعض ما وقع في الاملاء للقلب بالايجاب عما أشكل على من حجب وقصر فهمه ولم يفكر به من الحظوظ للملك قدحه وسهمه وأظهرت التحزن لما شاهدته من شركاء الظلم وأمثال الأنعام وأتباع العوام وسفهاء الأحلام وعار أهل الإسلام حق طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعة وأنقوا بالهوى مجردا على غير بصيرة بالطراحه ومنايذته ونسبوا عليه إلى ضلال وإضلال ورموا قراءه ومنتحليه بزيف عن التريفة واختلال إلى أن قال سكتب شهادتهم ويسألون ويسلم الدين ظلموا أي مغلب ينقلبون . ثم ذكر آيات أخرى في النقص ثم وصف الدهر وأهله وذهاب العلم وفصله ثم ذكر عذر القرضين

النبوة ولا خطر فيه . السبب الثالث الخوض في علم لا يستفيد الحائض فيه فائدة علم فهو مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وخفيها قبل جليها وكالبحث عن الأسرار الإلهية إذ تطلع الفلاسفة والتكلمون إليها ولم يستقلوا بها ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها إلا الأنبياء والأولياء فيجب كلف الناس عن البحث عنها ووردهم إلى ما نطق به الشرع في ذلك مقنع للوقوف فكم من شخص خاض في العلوم واستغنى بها ولولم يخض فيها لكان حاله أحسن في الدين مما صار إليه ولا ينكر كون العلم شارا لبعض الناس كما يضر لحلم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبي الرضيع بل يرب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور فلقد حكى أن بعض الناس شكا إلى طبيب عقم امرأته وأنها لا تلد فحس الطبيب نبضها . وقال لا حاجة لك إلى دواء الولادة فانك ستحتين إلى أربعين يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنصص عليها عيشها وأخرجت أموالها وفرقتها وأوصت وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت للدة فلم تمت فجاء زوجها إلى الطبيب . وقال له لم تمت فقال الطبيب قد علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذاك . قال رأيته حية وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت أنها لا تهزل إلا بخوف الموت فحرقها بذلك حتى حترت وزال السانع من الولادة فهذا ينهك على استعمار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لا ينفع »^(١) فاعتبر بهذه الحكاية ولا تسكن بمخاتع علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابه رضي الله عنهم واتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث عن الأشياء والاستقلال ولا تكثر اللجاج برأيك ومقولك . ودليلك وبرهانك وزعمك أتى أبحت عن الأشياء لأعرفها على ما هي عليه فأى ضرر في التذكر في العلم فان ما يعود عليك من ضرره أكثر وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضررا يكاد يهلكك في الآخرة إن لم تدارك الله برحمته . واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار في العالجات يستبعد ما من لا يعرفها فكذلك الأنبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية فلا تحكم على سنتهم بمقولك فترك فكم من شخص يصيبه عارض في أصبعه فيقتضى عقله أن يطلبه حتى ينبه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطفى الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم فكيفية انشباب الأعصاب ومنايتها ووجه النفاها على البدن فهكذا الأمر في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشرع وآدابه وفي عقائده التي تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوته لا احاطة بها كأن في خواص الأحجار أمورا عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد فالمعجب والغرائب في العقائد والأعمال وإفادتها لصفاء القلوب وتقاها وطهارتها وتزكيتها وإصلاحها للترقى إلى جوار الله تعالى وترضاها لنفحات فضله أكثر وأعظم مما في الأدوية والعقاقير وكأن القول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل إليها فالقول تقصر عن إدراك ما ينفع في حياة الآخرة مع أن التجربة غير متطرفة إليها وإنما كانت التجربة تطرق إليها لورجع إليها بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال القبولة النافعة القريبة إلى الله تعالى زلني وعن الأعمال البعيدة عنه وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد إشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم إلا به والسلام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث نعوذ بالله من علم لا ينفع ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن وهو عبد بن ماجه بلفظ نعوذوا وقد تقدم .

« إن من العلم جهلا وإن من القول عيا (١) » ومعلوم أن العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الاضرار . وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « قليل من التوفيق خير من كثير من العلم (٢) » وقال عيسى عليه السلام ما أ كثر الشجر وليس كلها بثمر وما أ كثر الثمر وليس كلها بطيب وما أ كثر العلوم وليس كلها بنافع .

بيان ما يدل من ألقاظ العلوم

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسماء المحمودة وتبديلها وتقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أرادها السلف الصالح والقرن الأول وهي خمسة ألقاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه أسماء محمودة والتصفون بها أرباب الناصب في الدين ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة فصارت القلوب تفرعن مذمة من يتصف بمعانيها لشعور إطلاق هذه الأسماء عليهم . اللفظ الأول الفقه فقد تصرفوا فيه بالتخصيص بالنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع الفرية في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المنطقية بها فمن كان أشد تسقا فيها وأ كثر اشتغالا بها يقال هو الأفقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله عز وجل - ليعلموها في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم - وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والطلاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسى القلب وينزع الحشية منه كما نشاهد الآن من التجردين له وقال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها - وأراد به معاني الإيمان دون الفتاوى ولمعنى إن الفقه والفهم في اللغة اسمان بمعنى واحد وإنما يتكلم في عادة الاستعمال به قديما وحديثا قال تعالى - لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله - الآية فأحال تلك خوفهم من الله واستعظامهم - خطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم . وقال صلى الله عليه وسلم « علماء حكما فقهاء (٣) » للدين وفدوا عليه ، وسئل سعد بن إبراهيم الزمري رحمه الله أي أهل المدينة أقصه فقال أقصاهم الله تعالى فكانه أشار إلى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطني دون الفتاوى والأقضية . وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أبشركم بالفقهاء كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه (٤) » ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم « لأن أقدم مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلي من أن أعنتق أربع رقاب (٥) » قال فالتفت إلى زيد الرقائي وزيد

بما يرجع حاصلها إلى الحمد وإلى الجهل وقلة الدين بل أفصح بذلك في الآخر حيث قال حججوا عن الحقيقة بأربعة : الجهل والاضرار ومحبة الدنيا واظهار الدعوى ثم بين ما ورثوه عن الأربعة المذكورة قال فالجهل أورثهم السخف إلى آخر ما ذكره وأما ما اعترض به من تضمنه أخبارا وأثارا موضوعا أو ضئيفة واكتاره من الأخبار والآثار والإكثار يتعاشى منه للتورع لئلا يقع في الموضوع . وحاصل ما أجيب به عن الغزالي ومن الميئين الحافظ العراقي أن أ كثر ما ذكره الغزالي ليس بموضوع كما برهن عليه في التخريج وغير الأقل وهو في غاية القلة رواء عن غيره أو تبع فيغيره متبرقا صيغة روى منه بنحو وأما الاعتراض عليه أن فيها ذكره الضعيف بكرة فهو اعتراض ساقط لما تقرر أنه يعمل به في الفضائل

(١) حديث إن من العلم جهلا الحديث أبو داود من حديث بريدة وفي اسناده من مجهول (٢) حديث قليل من التوفيق خير من كثير من العلم لم أجده أصلا وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي البرداء . وقال العقل بدل العلم ولم يخرج له ولده في مسنده (٣) حديث علماء حكما فقهاء أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث سويد بن الحرث باسناد ضعيف (٤) حديث ألا أبشركم بالفقهاء كل الفقيه الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق وأبو بكر بن السني وابن عبد البر من حديث علي . وقال ابن عبد البر أ كثرهم يوقفونه عن علي (٥) حديث أنس لأن أقدم مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس الحديث أبو داود باسناد حسن .

والغیری وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا إنما كنا نضع قد ذكر الإيمان وتدبر القرآن وتنقحه في الدين ونعد نعم الله علينا تنقحها فسمى تدبر القرآن وعدنا نعم تنقحها قال صلى الله عليه وسلم « لا يفقه البذل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة (١) » وروى أيضا موقوفا على أبي الدرداء رضي الله عنه مع قوله ثم قبل على نفسه فيكون لها أشد مقنا وقد سأل فرقد السبخي الحبس عن الشيء فأجابه فقال إن الفقهاء يخالفونك فقال الحسن رحمه الله ثم كنتك أمك فريد وهل رأيت قهبا بينك إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه للداوم على عبادة ربه الورع الكفاف نفسه عن أعراض السليين الضيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لقروم الفتاوى ولست أقول إن اسم الفقه لم يكن متاولا للفتاوى في الأحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستبصار فكان إما لا يفهمه على علم الآخرة أكثر فيان من هذا التخصيص تلبس به الناس على التجرد له والأعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه واللألمة متعذر فوجد الشيطان مجالس التحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع . اللفظ الثاني العلم وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقه حتى إنه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله لقد مات تسعة أعشار العلم فصرفه بالألف واللام ثم فسر العلم بالله سبحانه وتعالى وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص حتى شهوروه في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة أهل العلم وهذا أيضا تصرف بالتخصيص ولكن ماورد من فضائل العلم والعلماء أكثر في العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم الشرع بشئ سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم للذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا خلق كثير من أهل الطلب لا علم . اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بطرق مناقضات الخصوم والتمرد على التشديق فيها بشكثير الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الازمات حتى لقب طوائف منهم بأنهم بأهل المدل والتوحيد وصمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعات لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأول بل كان يشتد منهم التكبر على من كان يفتح بابا من الجدل والمارة فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وإن فهموه لم تصفوا به وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائل فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جل جلاله فهذا مقام شريف إحدى ثماته التوكل كما سيأتي بيانه في كتاب التوكل ومن ثم أنه أيضا ترك شكايه الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى وكانت إحدى ثماته قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما قيل له في مرضه أنطلب لك طبيا فقال الطبيب أمرني وقول آخر لما مرض قبيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك فقال قال لي إني ضال لما أريد

(١) حديث لا يفقه البذل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله الحديث ابن عبيد البر من حديث شداد بن أوس وقال لا يصح مرفوعا .

وسبأ في كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك والتوحيد جوهر تقيس وله قشران أحدهما أبعد عن القلب من الآخر فضخص الناس الاسم بالقشر وبصنة الحراسة للقشر وأهلوا القلب بالكلية فالقشر الأول هو أن تقول بلسانك لا إله إلا الله وهذا يسمى توحيدا ناقضا للتثليث الذي صرح به النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره . والقشر الثاني أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش للتدعة . والثالث وهو الباب أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط وأن يعبد عبادة يفردها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى فكل متبع هواه قد أخذ هواه معبوده قال الله تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه - وقال صلى الله عليه وسلم « أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى هو الهوى »^(١) وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس بعد الصنم وإنما يعبد هواه إذ نفسه مائلة إلى دين آتائه فيتبع ذلك الميل ويميل النفس إلى اللذات أحد العاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد يتسخط على الخلق والالفتات إليهم فان من يرى الشكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين فانظر إلى ماذا حول وبأى قشر وقع منه وكيف اتخذوا هذا معتصما في التمسك والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول وجهي وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئا وهو أول كذب يفتاح الله به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه متوجها إلى الله تعالى على الخصوص فانه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والأرض حتى يكون التوجه إليها متوجها إليه ، تعالى عن أن تحده الجهات والأقطار وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق في قوله وقلبه متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع الأموال والجاه واستكثار الأسباب ومتوجه بالكلية إليها فمضى وجهه وجهه للذي فطر السموات والأرض وهذه الكلمة خرجت عن حقيقة التوحيد فالوحيد هو الذي لا يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه إلا إليه وهو امتثال قوله تعالى - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - وليس المراد به القول باللسان فانما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى وإنما موقع نظر الله تعالى الترجمة عنه هو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه . اللفظ الرابع الذكر والتذكير فقد قال الله تعالى - وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين - وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم « إذا مررتم برياض الجنة فارتقوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر »^(٢) وفي الحديث « إن لله تعالى ملائكة سياحين في الدنيا سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا ألا هللوا إلى بغيكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون ألا فاذكروا الله وذكروا أنفسكم »^(٣) فنقل ذلك إلى ما نرى أكثر الوعاظ في هذا الزمان يراغبون عليه وهو القصص والأشعار والشطح والطامات ، أما القصص فهي بدعة وقد ورد نهى السلف عن الجلوس إلى القصص وقالوا

(١) حديث أبغض إله عبد عند الله تعالى في الأرض هو الهوى الطبراني من حديث أبي أمامة باسناد ضعيف (٢) حديث إذا مررتم برياض الجنة فارتقوا الحديث الترمذي من حديث أنس وحسنه (٣) حديث إن لله ملائكة سياحين في الهواء سوى ملائكة الخلق الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله في الهواء والترمذي سياحين في الأرض وقال مسلم سيرة.

مصنفاته إلى الغرب أمر سلطانه علي بن يوسف بإحراقها التوجه اشتغالها على الفلسفة وتوعد بالقتل من وجدت عنده بعد ذلك فظهر بسبب أمره في مملكته مناكير ووثب عليه الجند ولم يزل من وقت الأمر والتوعد في عكس ونكد بعد أن كان عادلا .

[حاشية في الإشارة إلى ترجمة المنصف رضي الله عنه وعنا به ونهنا بعلومه وأسراره وسبب رجوعه إلى طريقة الصوفية رضي الله عنهم]

أما ترجمته رضي الله عنه فهو الإمام زين الدين حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد ابن محمد النزال الطوسي النيسابوري الفقيه الصوفي الشافعي الأشعري الذي انتشر فضله في الآفاق وفاق ورزق الحظ الأوفر في حسن التصانيف وجودتها والنصيب الأكبر في جزالة العبارة وسهولتها

وحسن الاشارة وكشف
الغشقات والتجريح في
أصناف العلوم فروجها
وأصولها ورسومها
القسم في مقولها
ومقولاتها والتحكم
والاستيلاء على إيجالها
وتفصيلها مع ما خسه
الله به من العكرامة
وحسن السيرة
والاستقامة والزهدة
والعزوف عن زهرة
الدنيا والاعراض عن
الجهات القانية
والطراح الحشمة
والتكلف قال الحافظ
العلامة ابن عساكر
والشيخ غيف الدين
عبد الله بن أسعد
الياضي والفقير جمال
الدين عبد الرحيم
الأسنوي رحمهم الله
تعالى ولد الامام الغزالي
بطوس سنة خمسين
وأربع مائة وأبدا بها
في صباه بطرف من
الفرج ثم قدم نيسابور
ولازم دروس إمام
الحرمين وجد واجتهد
حتى تخرج في مدة
قريبة وصاروا نظراً لأهل
زمانه وأوحد أقرانه
وجلس للأقراء وإرشاد
الطلبة في إمام إمام

لم يكن ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ولا في زمن أبي بكر ولا عمر رضي الله عنهما حتى
ظهرت الفتنة وظهر القصاص . وروى أن ابن عمر رضي الله عنهما خرج من المسجد فقال ما أخرجني
إلا القصاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت لسفيان الثوري نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولولا
البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر قلت نهى الأمير
القصاص أن يقصوا فقال وفق للصواب ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصاً يقص ويقول حدثنا
الأعمش فتوسط الحلقة وجلس ينتفح عمر إبطه فقال القاص يا شيخ ألا تستحي قال لم أنا في سنة وأنت
في كذب أنا الأعمش وما حدثت بك وقال أحمد أكثر الناس كذباً القصاص والسؤال ، وأخرج على
رضي الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة فلما سمع كلام الحسن البصري لم يخرج به إذ كانت
يتكلم في علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان
ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعماته وتقصير العبد في شكره ويعترف حقارة الدنيا وعبوبها
وتصرمها وتكثف عيبتها وخطر الآخرة وأهوالها فهذا هو التذكير المأمود شرعاً الذي يروى الحديث
عليه في حديث أبي ذر رضي الله عنه حيث قال « حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة
وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة
فقيل يا رسول الله ممن قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالملم (٢) » وقال عطاء رحمه الله
مجلس ذكر يكفر سبعين مجلساً من مجالس الله وقد أخذ المذخر فون هذه الأحاديث حجة على تركية
أنفسهم وتولوا اسم التذكير إلى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الله ذكر المأمود واشتغلوا بالقصاص التي
تتطرق إليها الاختلافات والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها فان
من القصص ما ينفع معاصره ومنها ما يضر وإن كان صدقاً ومن نفع ذلك الباب على نفسه اختلط عليه
الصدق بالكذب والنافع بالضرار فمن هذا نهى عنه ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله ما أحوج الناس
إلى قاص صادق فإن كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم وكان القصاص
صادقاً صحيح الرواية فليست أرى به بأساً ، فليحذر الكذب وحكايات أحوال تسمى إلى هفوات أو
مسهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداخلة
بحسنات تملأ عليها فان العاصي يتنعم بذلك في مساهلاته وهفواته ويعمد لنفسه عذراً فيه ويحتاج بأنه
حكى كيت وكيت عن بعض الشايخ وبعض الأكابر فكلمنا بسدد المعاصي فلا ضرر وإن عصيت الله تعالى
قد عصاه من هو أكبر مني وفيه ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن
هذين المخلوطين فلا بأس به وعند ذلك يرجع إلى القصص المأمودة وإلى ما يشتمل عليه القرآن
ويصح في الكتب الصحيحة من الأخبار ومن الناس من يستعجز وضع الحكايات المرغوبة في الطاعات
ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق فهذه من نزغات الشيطان فان في الصدق مندوحة عن
الكذب وفيما ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم غيبة عن الاختراع في الوعد ، كيف وقد
كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع . قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه عمر وقد جمعه
يسمع هذا الذي يفضك إلى لا تضيت حاجتك أبداً حتى تتوب وقد كان جاءه في حاجة ، وقد قال

(١) حديث لم تكن القصص في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ماجه من حديث عمر
بإسناد حسن (٢) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم في
الباب الأول .

صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلاث كلمات « إياك والسجع يا ابن رواحة » (١) فكان السجع المحذور التكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل في دية الجنين « كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل قال النبي صلى الله عليه وسلم : أسجع كبسجع الأعراب » (٢) وأما الأشعار فتكبرها في الواعظ منموم قال الله تعالى - والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون - وقال تعالى - وما علنناه الشعر وما ينبغي له - وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الأشعار ما يتعلق بالتواصف في المشق وجمال المشوق وروح الوصال وألم الفراق والجلس لا يحوى إلا أجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور اللبقة فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها فتشتمل فيها نيران الشهوات فيزقون ويتواجدون وأصغر ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة أو حكمة على سبيل استنباط واستئناس . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة » (٣) ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الإطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم فإن أولئك لا يضرب معهم الشعر الذي يشير ظاهره إلى الخلق فإن السمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولى على قلبه كما سيأتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان الجليل رحمه الله يتكلم على بضعة عشر رجلاً فإن كثروا لم يتكلم وما تم أهل مجلسه قط عشرين وحضر جماعة بابدار ابن سالم قيل له تكلم فقد حضر أصحابك ، فقال لا ما هؤلاء أصحابي إنما هم أصحاب المجلس إن أصحابي هم الخواص . وأما الشطع فعنى به صنيع من الكلام أحدثه بعض الصوفية . أحدها الدعوى الطويلة المريضة في المشق مع الله تعالى والوصال للنبي عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الانحداد وارتفاع الحجاب والشاهدة بالرؤية والشافعية بالحطاب فيقولون قيل لنا كذا وكذا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله أنا الحق . وبما حكى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعوى ، فإن هذا الكلام يستلذه الطبع إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك للقامات والأحوال فلا تنجز الأغنياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما أنكر عليهم ذلك لم يجزوا عن أن يقولوا هذا إنكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس ، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق ، فهذا ومثله بما قد استطار في البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء منه قتلته أفضل في دين الله من إحياء عشرة ، وأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى وإن سمع ذلك منه فقلعه كان يحكيه عن الله من وجل في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني فإنه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية . الصنف الثاني من الشطع كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن

وصنف وكان الامام يتبع به ويستد بمكانه منه ثم خرج من نيسابور وحضر مجلس الوزير نظام الملك فأقبل عليه وحل منه محلا عظيماً لعلو درجته وحسن مناظرته وكانت حضرة نظام الملك عظماء لرجال العلماء ومقصد الآئمة والفضلاء ووقع للامام المزالي فيها إضافات حسنة من مناظرة الفحول فظهر اسمه وطار صيته فرسم عليه نظام الملك بالمسير إلى بغداد لإقامة فساد المدرسة النظامية فسار إليها وأعجب الكل بتدريسه ومناظرته فصار إمام العراق بعد أن تار إمامة خراسان ولترفعت درجته في بغداد على الأمراء والوزراء والأكابر وأهل دار الخلافة ثم انقلب الأمر من جهة أخرى فترك بغداد وخرج عما كان فيه من الجلاء والخشمة مشغولاً بأسباب التنوي وأخذ في التصانيف المشهورة التي لم يسبق

(١) حديث إياك والسجع يا ابن رواحة لما جده هكذا ولأحمد وأبي يعلى وابن السني وأبي نعيم في كتاب الرياضة من حديث عائشة بإسناد صحيح أنها قالت للسائب إياك والسجع فإن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا لا يسجعون ولا ابن حبان واجتنب السجع ، وفي البخاري نحوه من قول ابن عباس (٢) حديث أسجع كبسجع الأعراب مسلم من حديث الفيرة (٣) حديث إن من الشعر لحكمة البخاري من حديث أبي بن كعب .

إليها مثل إحياء علوم الدين وغيره التي من تأملها عرف محل مصنفها من العلم قيل إن تصانيفه وزعت على أيام عمره فأصاب كل يوم كراس ثم صار إلى القدس مقبلا على مجاهدة النفس وتبديل الأخلاق وتحسين الشئائ حتى مر من ذلك ثم عاد إلى وطنه طوس لازما بيته مقبلا على العبادة ونصح المباد وإرشادهم ودعائهم إلى الله تعالى والاستعداد للدار الآخرة مرشد الضالين ووفيد الطالبين دون أن يرجع إلى ما انحلع عنه من الجاه واللباهة وكان معظم تدرسه في التفسير والحديث والتعريف حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الأولى سنة خمس وخمسة خسة الله تعالى بأنواع الكرامة في أخراة كما خصه بها في دنياه قيل وكانت مدة القطبية للجزالي ثلاثة أيام على ما حكى في كرامات

خبط في عقله وتشويش في خياله لقلته إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضيقه لقلته ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجففس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان أو يحمل على أن يفهم منها معاني ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « كلوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله ^(٢) » وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يلغى عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا محل ذكره وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموكم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير أهلها فقد جهل ومن منبأ أهلها فقد ظلم إن الحكمة حقا وإن لها أهلا فأعط كل ذي حق حقه وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة كمداب الباطنية في التأويلات فهذا أيضا حرام وضرره عظيم فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوفق به والباطن لا يضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيهه على وجوه شتى وهذا أيضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر وإنما قصد أصحابها الأغراب لأن النفوس مائلة إلى القريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكى عن مذهبهم في كتاب المستظهرى الصنف في الرد على الباطنية ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى - اذهب إلى فرعون إنه طغى - أنه إشارة إلى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل إنسان وفي قوله تعالى - وأن ألق عصاك - أى كل ما يتوكل عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فيذمى أن يليه وفي قوله صلى الله عليه وسلم « تسحروا فإن في السحور بركة ^(٣) » أراد به الاستغفار في الأسحار وأمثال ذلك حتى يحرقون القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره وعن تفسيره القول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتزويل فرعون على القلب فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ودعوة موسى له كآبى جهل وأبى لهب وغيرها من الكفار وليس من جنس الشياطين واللائكة مما لم يدرك بالحواس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه وكذا حمل السحور على الاستغفار فإنه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويقول : « تسحروا ^(٤) » واهلوا إلى الغذاء المبارك ^(٥) » فهذه أمور تدرك

(١) حديث ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم القليل في الضعفاء وابن السني وأبو نعيم في الرىاء من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود (٢) حديث كلوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون الحديث البخارى موقوفا على علي ورفعه أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس من طريق أبى نعيم (٣) حديث تسحروا فإن في السحور بركة متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث تناول الطعام في السحور رواه البخارى من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت تسحرا (٥) حديث هلموا إلى الغذاء المبارك أبو داود والسنائى وابن حبان من حديث العرياض بن سارية وضعفه ابن القطان .

الشيخ السيد العمودي
 وضع الله به وذكر
 الشيخ عفيف الدين
 عبد الله بن أسعد
 اليافعي رحمه الله تعالى
 بلسانه الثابت إلى
 الشيخ الكبير القطب
 الرباني شهاب الدين
 أحمد الصياد البصري
 الزيدي وكان معاصرا
 للزالي وضع الله بهما قال
 بينا أما ذات يوم قاعد
 إذ نظرت إلى أبواب
 السماء مفتحة وإذا
 عصابة من الملائكة
 الكرام قد نزلوا معهم
 خلع خضر ومركوب
 قميص فوقوا على قبر
 من القبور وأخرجوا
 صاحبه وألبسوه الخلع
 وأركبوه وصدوا به
 من سماء إلى سماء إلى
 أن جاوز السموات
 السبع وخرق بعدها
 ستين حجابا ولا أعلم
 أين بلغ انتهاء فسأت
 عنه قليل إلى هذا الإمام
 الزالي وكان ذلك
 عقيب موته رحمه
 الله تعالى ورأى في
 النوم السيد الجليل
 أبو الحسن الشاذلي
 رضي الله عنه النبي
 صلى الله عليه وسلم وقد

بالتواتر والحس بطلانها قولا وبعضها يعلم بضال الظن وذلك في أمور لا يتعلق بها الاحساس فكل
 ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن
 الحسن البصري مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم « من فسد
 القرآن برأيه فليقبوا مقعده من النار » (١) معنى إلا هذا الخط وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أم
 وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن إليه ويعمله عليه من غير أن يشهد لتزييه عليه دلالة لفظية لنور
 أو قلبية ولا ينبغي أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسد القرآن بالاستنباط والفكر فان من الآيات ما تعلل فيه
 عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ويعلم أن جميعها غير محمود من النبي صلى الله عليه
 وسلم فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا
 قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه « اللهم قهقه في الدين وعلقه التأويل » (٢) ومرو
 يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد به
 دعوة الخلق إلى الخلق يضا من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسألة يراها حقا حديثا عن النبي صلى الله
 عليه وسلم فذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم « من كذب على
 متعمدا فليقبوا مقعده من النار » (٣) بل الشر في تأويل هذه الألفاظ أظلم وأعظم لأنها مبطللة للقد
 بالألفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكيفية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي
 الخلق عن العلوم المحمودة إلى الذمومة فكل ذلك من تلبس علماء السوء بتبديل الأسماء فان اتبعت
 هؤلاء اعتادا على الاسم المشهور من غير التفات إلى ما عرف في العصر الأول كنت كمن طلب الشرف
 بالحكمة باتباع من يسمى حكما فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والنجم في هذا العصر
 وذلك بالعلفلة عن تبديل الألفاظ . اللفظ الخامس : وهو الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب
 والشاعر والنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على أكف السوادية في خوارق الطرق والحكمة هو
 التي أمضى الله عز وجل عليها فقال تعالى - يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خير
 كثيرا - وقال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها » (٤)
 فانظروا الذي كانت الحكمة عبارة عنه وإلى ماذا تقل وقس به بقية الألفاظ واحترز عن الاعتراف
 بتبليسات علماء السوء فان شرم على الدين أعظم من شر الشياطين إذا الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى
 ارتعاع الدين من قلوب الخلق ولهذا « لا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق أي وقال اللهم
 اغفر حق كرروا عليه فقال هم علماء السوء » (٥) فقد عرفت العلم المحمود والذموم ومثار الالباس

(١) حديث من فسد القرآن برأيه فليقبوا مقعده من النار الترمذي من حديث ابن عباس
 وحسنه وهو عند أبي داود من رواية ابن العبد وعند النسائي في الكبرى (٢) حديث اللهم قهقه
 في الدين وعلقه التأويل قاله لابن عباس البخاري من حديث ابن عباس دون قوله وعلقه التأويل
 وهو بهذه الزيادة عند أحمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد (٣) حديث من كذب
 على متعمدا فليقبوا مقعده من النار متفق عليه من حديث أبي هريرة وعلى وأنس (٤) حديث
 كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا . تقدم بنحوه (٥) حديث لما سئل عن شر الخلق
 أي وقال اللهم اغفر الحديث الدارمي بنحوه من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسل وهو
 ضعيف ورواه البراز في مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف .

بإي موسى وهيسى
عليهما الصلاة والسلام
بالامام الغزالي وقال
أني أمتكأ حبر كهذا
قال لا وكان الشيخ
أبو الحسن رضى الله
عنه يقول لأصحابه
من كانت له منكم إلى
الله حاجة فليتوسل
بالغزالي وقال جماعة
من العلماء رضى الله
عنهم منهم الشيخ
الامام الحافظ ابن
عساكر في الحديث
الوارد عن النبي صلى
الله عليه وسلم في أن
الله تعالى يحدث لهذه
الأمّة من يجد لها دينها
على رأس كل مائة سنة
أنه كانت على رأس
المائة الأولى عمر بن
عبد العزيز رضى الله
عنه وعلى رأس المائة
الثانية الامام الشافى
رضى الله عنه وعلى
رأس المائة الثالثة
الامام أبو الحسن
الأشعرى رضى الله
عنه وعلى رأس المائة
الرابعة أبو بكر
الباقلانى رضى الله عنه
وعلى رأس المائة
الخامسة أبو حامد
الغزالي رضى الله عنه

وإليك الحيرة في أن تنظر لنفسك فتفتدى بالسلف أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبّه بالخلف ، فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما أكتب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث وقد صرح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوى للرباء » قيل ومن الرباء ؟ قال الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنن والدين يحبون ما أماتوه من سنن (١) « وفي خبر آخر « هم المتمسكون بما أتم عليه اليوم (٢) » وفي حديث آخر « الرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يفضهم في الخلق أكثر من يهيم (٣) » وقد سارت تلك العلوم غريبة بحيث عتقت ذاكرها ، ولذلك قال الثوري رحمه الله إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه غلط لأنه إن نطق بالحق أبضوه .

(بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة)

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام قسم هو مذموم قليل وكثيره وقسم هو محمود قليل وكثيره وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل وقسم محمده منه مقدار الكفاية ولا محمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه ، وهو مثل أحوال البدن فإن منها ما يحمده قليله وكثيره كالصحة والجمال ، ومنها ما يذمه قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ، ومنها ما يحمده الاقتصاد فيه كبدل المال فإن التبذير لا يحمده فيه وهو بذل وكالشجاعة فإن التهور لا يحمده فيها وإن كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم . فالقسم المذموم منه قليله وكثيره هو مالا فائدة فيه في دين ولا دنيا إذ فيه ضرر يظلب نفسه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فيعضه لافائدة فيه أصلا وصرف العمر الذي هو أنفس ما يمسكه الإنسان إليه وإضاعة النفيس مذمومة ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطرف الدنيا فإن ذلك لا يعتد به بالإضافة إلى الضرر الحاصل عنه . وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته في خلقه وحكته في ترتيب الآخرة على الدنيا ، فإن هذا علم مطلوب لذاته وللوصول به إلى سعادة الآخرة وبذل للتدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فإنه البحر الذي لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائثون على سواحه وأطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والرأسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى في حقهم وهذا هو العلم للكون الذي لا يسطرفي الكتب ويعين على التنبه للنعم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتى علامتهم هذا في أول الأمر ويعين عليه في الآخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريجه عن علائق الدنيا والتشبّه فيها بالأنبياء والأولياء لينضج منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها . وأما العلوم التي لا يحمده منها إلا مقدار مخصوص فهي العلوم التي أوردناها في فروع الكفايات فإن في كل علم منها اقتصارا وهو الأقل واقتصادا وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مرد له إلى آخر العمر فكن أحد رجلين إما مشغولا بنفسك وإما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك ، فإن هكنت للمشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وإنما الأهم الذي أهمله السلك علم صفات القلب وما يحمده منها وما يذمه إذ لا ينفع

(١) حديث بدا الإسلام غريبا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة مختصرا وهو بتمامه عند الترمذى من حديث عمرو بن عوف وحسنه (٢) حديث هم المتمسكون بما أتم عليه اليوم يقول في وصف الرباء لم أر له أصلا (٣) حديث الرباء ناس قليلون صالحون أحمد من حديث عبد الله بن عمرو .

بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها وجميع ذلك مهلكات وإهمالها من الواجبات مع أن الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذى بالجرب والدمامل والتهاون بإخراج المادة بالقصد والاسهال وحشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطريقة من الأطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون إلا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابها وقلع ممارسها من القلب وإنما فرغ الأكترون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح واستصعاب أعمال القلوب كما يفرغ إلى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية للمرة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في اللواد وتتضاعف به الأمراض فإن كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الأبدي فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربيع المهلكات ثم يتجربك ذلك إلى التمامات الممودة المذكورة في ربيع النجيات لأعماله فإن القلب إذا فرغ من اللذوم امتلأ بالهمود والأرض إذا خبت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع والراحين وإن لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذلك فلا تشتغل بفروض الكفاية لاسيا وفي زمرة الخلق من قد قام بها فإن مهلك نفسه فيها به صلاح غيره فها أشد حماقة من دخلت الأفاعى والقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الدباب عن غيره ممن لا يفيده ولا ينجي بما يلاقيه من تلك الحيات والقارب إذا همت به وإن تفرغت من نفسك وتطهيرا وقدرت على ترك ظاهر الآثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدرج فيها فابتدى بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم النسخ والنسوخ والفصول والوصول والحكم والمقشاة وكذلك في السنة ثم اشتغل بالقرع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلبا للاستقصاء فإن العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينشئ فيه الطلب ويستكثر منه فاقصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فامن علم الإلوه اقصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير إليهما في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالإقتصاد في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار كما سنفه على الواحدى النيسابورى وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما سنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرد له إلى انتهاء العمر وأما الحديث فالإقتصاد فيه تحصيل ما فى الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث ، وأما حفظ أسامى الرجال فقد كفى فيه بما تحمله عنك من قبلك ولا أن تقول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصيله تحصيل لا تقدر منه على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف إليهما ما خرج عنهما مما ورد في السندات الصحيحة وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما نقل من الضعيف (القوى والصحيح والقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم وأما الفقه فالإقتصاد فيه على ما يحويه مختصر للزنى رحمه الله وهو الذى رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذى أوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصاء ما أوردناه في البسيط إلى ما وراء ذلك من المطولات وأما الكلام فقصدوه حماية للثغرات التى قلها أهل السنة من السلف الصالح لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف

روى ذلك عن الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه في الامامين الأولين أعنى عمر بن عبد العزيز والشافعى ومنافى رضى الله عنه أكثر من أن تحصر وفيما أوردناه منقح وبلاغ ومن مشهورات مصنفاته البسيط والوسيط والوجيز والخلصة في الفقه وإحياء علوم الدين وهو من أنفس الكتب وأجلها وله في أصول الفقه السمنى والنحول والنتحل في علم الجدل وتهافت الفلاسفة ومحك النظر ومعيار العلم والمقاصد والفتنون به على غير أهله ومشكاة الأنوار وللقذ من الضلال وحقيقة القولين وكتاب ياقوت التاويل في تفسير التنزيل أربعين مجلدا وكتاب أسرار علم الدين وكتاب مناجاة العابدین والذرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة وكتاب الأنيس في الوحدة وكتاب القرية إلى الله عز وجل

وكتاب أخلاق الأبرار
والنجاة من الأشرار
وكتاب بداية الهداية
وكتاب جواهر القرآن
والأربعين في أصول
الدين وكتاب للتصد
الأسنى في شرح أسماء
الله الحسنى وكتاب
ميزان العمل وكتاب
القسطاس المستقيم
وكتاب التفرقة بين
الاسلام والزندقة
وكتاب الدررمة إلى
مكارم الفريضة وكتاب
للبادئ والنايات وكتاب
كيمياء السعادة وكتاب
تلبس إبليس وكتاب
نصيحة للولك وكتاب
الاقتصاد في الاعتقاد
وكتاب شفاء العليل
في القياس والتعميل
وكتاب المقاصد وكتاب
إلجام العوام عن علم
الكلام وكتاب
الاتصار وكتاب الرسالة
الهدية وكتاب الرسالة
القدسية وكتاب
إثبات النظر وكتاب
للاخذ وكتاب القول
الجميل في الرد على من
غير الانجيل وكتاب
للسظهري وكتاب
الأمالي وكتاب في علم
أعداد الفوق وحدوده

حقائق الأمور من غير طريقها ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصاد منه بمعتقد مختصر
وهو القدر الذي أوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر
مائة ورقة وهو الذي أوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج إليه لمتابعة مبتدع ومعارضة
بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العاصي وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم وأما
المتدبر بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً قلما ينفع معه الكلام فأنك إن أفهمته لم يترك مذهبه
وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جواباً وهو عاجز عنه وإنما أنت ملبس عليه بقوة
المجادلة وأما العاصي إذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد إليه بمثل قبل أن يشتد التعصب
للأهواء فإذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم إذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهو من
آفات العلماء السوء فانهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين ازدراء والاستحقار
فتنبه منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والعمالة وتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل وقوى
غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الحلوة لافى معرض
التعصب والتحجير لأنجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يهتميل الأتباع مثل
التعصب والتمن والشم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن
السلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس . وأما الخلافات التي أحدثت في
هذه الأعصار للتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يسهل مثلها في السلف
فياك وأن تقوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانها الداء العضال وهو الذي رداً للفقهاء كلهم إلى
طلب النافذة واللباهة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتنا وهذا الكلام ربما يسمع من قائله
فيقال الناس أعداء ما جهلوا فلا تظن ذلك فلي الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر
فيه زماناً وزاد فيه على الأولين تصليفاً وتحقيقاً وجدلاً وبياناً ثم ألمه الله رشده وأطلمه على عيبه فحججه
واشتغل بنفسه فلا يشرك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله إلا بعلم الخلاف فان
علل للذهب مذكورة في للذهب والزيادة عليها مجادلات لم يبرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم
بعلل الفتاوى من غيرهم بل هي مع أنها غير مفيدة في علم للذهب ضارة مفسدة لدوق الفقه فان الذي
يشهد له حدس اللقي إذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمحيته على شروط الجدل في أكثر الأمر فمن
ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمتعضيات الجدل وجبن عن الاذعان لدوق الفقه وإنما يشتغل
به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتمثل بأنه يطلب علل للذهب وقد يتقضى عليه العمر ولا
تصرف همه إلى علم للذهب فكأن من شياطين الجن في أمان واحترز من شياطين الانس فانهم
أراحوا شياطين الجن من التب في الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضى عند العقلاء أن تقدر
نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتأمل فيما
بينك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام
فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونقع فيها ، وقال
طاحت كلها هباء منثوراً وما انتفعت إلا بركتين خلصتا لي في جوف الليل وفي الحديث « ماضل
قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » (١) ثم قرأ سحار بوملك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون -
وفي الحديث في معنى قوله تعالى - فأما الذين في قلوبهم زيغ - الآية « هم أهل الجدل الذين عنانهم

(١) حديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل الترمذي وابن ماجه من حديث أبي
أمامة قال الترمذي حسن صحيح .

الله بقوله تعالى فاحذروهم^(١) وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يطلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل وفي بعض الأخبار « إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل^(٢) » وفي الخبر المشهور « أبغض الخلق إلى الله تعالى الألد الحصم^(٣) » وفي الخبر « ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل^(٤) » والله أعلم .

(الباب الرابع في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل

آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها)

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولها الخلفاء الراشدون للهديون وكانوا أئمة علماء بالله تعالى فقهاء في أحكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى في الأقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادرا في وقائع لا يستغنى فيها عن الشاوره ففرض العلماء لعلم الآخرة وتبرؤوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما تسئل من سيرهم فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو الدين ومواظب على مبحث علماء السلف فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاء عليهم مع إعراضهم عنهم فاشترأبوا لطلب العلم توصلا إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات والصلوات منهم فتمهم من حرم ومنهم من أتبع والنسج لم يخل من ذلّ الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالين وبعد أن كانوا أعزة بالأعراض عن السلاطين أذلة بالاقبال عليهم إلا من وقفه الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله وقد كان أكثر الإقبال في تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها في الولايات والحكومات . ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس في قواعدها المقامد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها فسلمت رغبته إلى المناظرة والمجادلة في الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فتون المناقضات في المقالات وزعموا أن غرضهم الدب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع البدعة كإزعاجهم من قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقليد أحكام المسلمين إشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم . ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصب الفاحشة والحصومات الفاشية القضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه إلى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من مذهب الشافعي وأبى حنيفة رضى الله عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وقون العلم واتلوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وأبى حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتعميد أصول الفتاوى وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات

(١) حديث هم أهل الجدل الذين عنى الله بقوله فاحذروهم متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل لم أجده (٣) حديث أبغض الخلق إلى الله الألد الحصم متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل لم أجده أصلا .

وكتاب مقصد الخلاف وجزء في الرد على النكرين في بعض ألفاظ إحياء علوم الدين وكتبه كثيرة وكلها نافعة . وقال يمدحه تلميذه الشيخ الإمام أبو العباس الأتليشي المحدث الصوفي صاحب كتاب النجم والكواكب : أيا حامد أنت المخلص بالجد

وأنت الذي علتنا سنن الرشد وضعت لنا الإحياء تحيي نفوسنا وتقذنا من طاعة النازع الردى فربيع عبادات وعاداته التي

بما فيها كالدرد نظم في العقد وثالثها في المهلكات وأنه

لنسج من المهلك للبرج والبعد ورابعها في المنجيات وأنه

ليسرح بالأرواح في جنة الخلد

ومنها ابتهاج للجوارح ظاهر ومنها صلاح للقلوب من الحقد

ورتبوا فيها أنواع المجدالات والتصنيفات وهم مستمرين عليه إلى الآن ولنا قدر ما الذي يحدث
الله فيها بعدنا من الأعصار فهذا هو الباعث على الإكباب على الخلافات والمناظرات لا غير ولومالت
نفوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة أو إلى علم آخر من العلوم لئلا يواضعهم
ولم يسكتوا عن التملل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين وأن لا مطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين .
(بيان التلبس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف)
اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس إلى ذلك بأن فرضنا من المناظرات للباحث عن الحق ليتضح
فان الحق مطلوب والتعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر هكذا كان عادة الصحابة
رضي الله عنهم في مشاوراتهم كمشاورهم في مسألة الجدة والأخوة وحد شرب الخمر وجوب الغرم على
الإمام إذا أخطأ كما نقل من إجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر رضي الله عنه وكما نقل من مسائل
الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعي وأحمد ومحمد بن الحسن ومالك وأبي يوسف وغيرهم من العلماء
رحمهم الله تعالى ويطلعك على هذا التلبس ما أذكره وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين
ولكن له شروط وعلامات ثمان : الأول أن لا يشتغل ؛ وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ
من فروض الأعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو
ككذاب ومثاله من يترك الصلاة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول فرضي أستعورة
من يصلي عريانا ولا يجد ثوبا فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر
التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغل بالمناظرة مهملون لأمر هي فرض عين بالاتفاق ومن
توجه عليه رد وديعة في الحال قمام وأحرم بالصلاة التي هي أقرب القربات إلى الله تعالى عصى به فلا يكفي
في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشروط والترتيب . الثاني
أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة فان رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله مثال
من يرى جماعة من المطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم
الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم أنه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس وإذا قيل
له في البلد جماعة من الحجابيين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية
حال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملة بجماعة المطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة
وفي البلد فروض كفايات مهجلة لا قائم بها . فأما العتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد من جملة الفروض
المهجلة ولا يلتفت الفقهاء إليها وأقربها الطب إذ لا يوجد في أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد
شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ولا يرغب أحد من الفقهاء في الاشتغال به وكذا الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من فروض الكفايات وربما يكون الناظر في مجلس مناظرته
مشاهدا للحريز ملبوسا ومفروشا وهو ساكت وينظر في مسألة لا يتفق وقوعها قط وإن وقعت قام
بها جماعة من الفقهاء . ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفروض الكفايات وقد روى
أنس رضي الله عنه أنه « قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال عليه
السلام إذا ظهرت المداينة في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في مناركم والفقرة في أراذلكم (١) »
الثالث أن يكون الناظر مجتهدا يفتي برأيه لا بمنذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما حتى إذا ظهر له الحق

(الباب الرابع)

(١) حديث أنس قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحديث ابن ماجه
بإسناد حسن

من مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق رأى الشافعى وأفتى بما ظهر له كما كان يفعل الصحابة رضى الله عنهم والأئمة فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل أهل العصر وإنما يفتى فيما يشل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجر له أن يتركه فأى فائدة له فى المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكك عليه يلزمه أن يقول لعل عند صاحب مذهبه جوابا عن هذا فأى لست مستقلا بالاجتهاد فى أصل الشرع ولو كانت مباحثته عن السائل التى فيها وجهان أو قولان لصاحبه لكان أشبه به فإنه ربما يفتى بأحدهما فيستفيد من البحث ميلا إلى أحد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك للسئلة التى فيها وجهان أو قولان وطلب مسألة يكون الخلاف فيها مبتوتا . الرابع أن لا يناظر إلا فى مسألة واحدة أو قرية الوقوع غالبا فإن الصحابة رضى الله عنهم ما تشاوروا إلا فى ما تجد من الوقائع أو ما يظن وقوعه كالقراض ولا ترى الناظرين يهتمون بانتقاد السائل التى تم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التى تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر وربما يتركون ما يكترو وقوعه ويقولون هذه مسألة خبرية أو هى من الروايات وليست من الطبوليات فمن العجائب أن يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسئلة لأنها خبرية ومدرك الحق فيها هو الاخبار أولأنها ليست من الطبول فلا تطول فيها الكلام . والقصود فى الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا أن يطول . الخامس أن تكون المناظرة فى الخلوأ أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكارب والسلاطين فان الخلوأ أجمع لفهم وأحرى بصفاء القهن والفكر ودرك الحق وفى حضور الجمع ما يحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا أو مبطلا وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والجامع ليس لله وأن الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب وإذا ظهر مقدم أو انتظم جمع لم ينادر فى قوس الاحتياط مزمعا حتى يكون هو الشخص بالكلام . السادس أن يكون فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يدهم يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره إذا صرغه الخطأ وأظهر له الحق كالأخذ طريقا فى طلب ضالته فيه صاحبه على ضالته فى طريق آخر فانه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضى الله عنهم حتى إن امرأة ردت على عمر رضى الله عنه ونهته على الحق وهو فى خطبته على ملا من الناس فقال أصابت امرأة وأخطأ رجل . وسأل رجل عليا رضى الله عنه فأجابته فقال ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال أصبت وأخطأت وفوق كل ذى علم عليم . واستدرك ابن مسعود على أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما فقال أبو موسى لا تسألونى عن شئ وهذا الجبرين أظهركم وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل فقال هو فى الجنة وكان أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال أعده على الأمير فلعلمهم فاعادوا عليه فأعاد الجواب فقال ابن مسعود أنا أقول إن قتل فأصاب الحق فهو فى الجنة فقال أبو موسى الحق ما قال وهكذا يكون إنصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده وقال لا يحتاج إلى أن يقال أصاب الحق فان ذلك معلوم لكل أحد فانظر إلى مناظرى زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يجبل به وكيف يجتهد فى مجادته بأقصى قدرته وكيف يذم من أقمه طول عمره ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابة رضى الله عنهم فى تعاونهم على النظر فى الحق . السابع أن لا يمنع معينه فى النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ومن إشكال إلى إشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل البتة فيها له وعليه كقوله هذا لا يلزمى ذكره وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك فان الرجوع إلى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله وأنت

للمدة فابتدرت لأجابتك إلى طلبتك بعد الوقوف على صدق رغبتك قلت مستعينا بالله تعالى ومتوكلا عليه ومستوقفا منه ومخلصنا إليه اعلوا أحسن الله ارشادكم وألان إلى قبول الحق اقتيادكم أن اختلاف الخلق فى الأديان والمثل ثم اختلاف الأئمة فى المذهب على كثرة الفرق وتباين الطرق بحر عميق ضيق فيه الأكثرون وما نجا منه إلا الأقلون وكل فريق يزعم أنه الناجى كل حزب بما لديهم فرحون ولم أزل فى عنقوان شياى مذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى أن أناف السن على الحسين أقبح لجة البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور لاخوض الجبان الحدور وأتوغل فى كل مظلة وأهجم على كل مشكلة وأتفحص كل ورطة وأتفحص عن عقيدة كل فرقة وأتكشف أسرار

مذاهب كل طائفة
لأميز بين كل حق
ومبطل ومستن
ومبتدع لأنادر باطنيا
إلا وأحب أن أطلع
على باطنية ولاظهاريا
إلا وأريد أن أعلم
حاصل ظاهرته ولا
فلسفيا إلا وأقصد
الوقوف على فلسفته
ولا متكلما إلا وأجتهد
في الاطلاع على غاية
كلامه ومجادلته ولا
صوفيا إلا وأحرص
على الثور على سر
صوفيته ولا متعبدا
إلا وأريد ما يرجع
إليه حاصل عبادته ولا
زنديقا معطلا إلا
وأجسس وراءه للثبته
لأسباب جرائمه في
تمطيله وزندقته وقد
كان التعطش إلى درك
حقائق الأمور دأبي
وديدني من أول
أمرى وريمان عمرى
غريزة من الله وفطرة
وضعهما الله في جيلى
لاباختيارى وحيلى
حتى انغلت عى رابطة
التقليد وانكسرت
عنق العقائد المروية
على قرب عهد منى
بالصبا إذ رأيت صبيان

ترى أن جميع المجالس تنقضى في المدافعات والمجادلات حتى يقبس الاستدل على أصل بعلة يظنها فيقال له ما الدليل على أن الحكم في الأصل معطل بهذه العلة فيقول هذا ما ظم لي فان ظهر لك ما هو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه فيصر المقترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرقها ولا أذكرها إذ لا يلزمى ذكرها ويقول الاستدل عليك إيراد مادعيه وراء هذا ويصر المقترض على أنه لا يلزمه ويتوخي مجالس الناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ولا يعرف هذا للسكينة أن قوله إنى أعرفه ولا أذكره إذ لا يلزمى كذب على الشرع فانه إن كان لا يعرف معناه وإنما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصي الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وإن كان صادقا فقد فسق باختفائه ماعرفه من أمر الشرع وقد سأله أخوه السلم ليفهمه وينظر فيه فان كان قويا رجع إليه وإن كان ضعيفا أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل إلى نور العلم ولا خلاف أن إظهار ما علم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم لثبوت قوله لا يلزمى أى في شرع الجدل الذى أبدعناه بحكم التنهى والرغبة في طريق الاحتياط والمصارعة بالكلام لا يلزمى وإلا فهو لازم بالشرع فانه امتناعه عن الذكر إما كادب وإما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضى الله عنهم هل سمعت فيها ما يضاهاى هذا الجنس وهل منع أحدهم الانتقال من دليل إلى دليل ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكأوا ينظرون فيه . الثامن أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه بمن هو مشغل بالعلم والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابرخوفا من ظهور الحق على ألسنتهم فيرغبون فيمن دونهم علما في ترويح الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك إلى من يناظره ومن يناظر لعله . وأعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدوه ولا يزال يدعو إلى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في المسائل التى المجتهد فيها مصيب أو مسام للمصيب في الأجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك تمت الشيطان به لما غسه فيه من ظلمات الآفات التى تعددها ونذكر تفاصيلها فسأل الله حسن العون والتوفيق .

(بيان آفات الناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق)

اعلم وتحقق أن الناظرة الموضوع لصد الغلبة والافحام وإظهار الفضل والشرف والتشدد عند الناس وقصد البهاة والمعارة واستماله وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق الذمومة عند الله المحموده عند عدو الله إبليس ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والنافسة وتركبة النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما أن الذى خبر بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فعداه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في الناظرة وطلب الجاه والبهاة دعاه ذلك إلى إضمار الحباث كلها في النفس وهيج فيه جميع الأخلاق الذمومة وهذه الأخلاق ستأتى أدلة مذمتها من الأخبار والآيات في ربيع المهلكات ولكننا نشير الآن إلى مجامع ما يهيجه الناظرة فيها الحسد . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (١) ولا ينفك الناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره فإدام يبق في الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلاما

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبي هريرة وقال البخارى لا يصح وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف وفي تاريخ بغداد بإسناد حسن .

وأقوى نظرا فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه والصراف القلوب والوجوه عنه إليه والحسد نار محرقة لمن يلى به فهو في العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فانهم يتغايبون كما تتغاير الثيوس في الزرية ومنها التكبر والترفع على الناس فقد قال صلى الله عليه وسلم « من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى « العظيمة إزارى والكبرياء ردأى فمن نازعني فيما قصمته ^(٢) » ولا ينفك الناظر عن التكبر على الأقران والأمثال والترفع إلى فوق قدره حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل التبر والكار الخداع منهم بأنه يشي صيانة عز العلم « وأن المؤمن مني عن الإذلال لنفسه ^(٣) » فيعبر عن التواضع الذي أتى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل وعن التكبر للمعقوت عند الله بمن الدين تخريفا للاسم وإضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرها ومنها الحقد فلا يكاد الناظر يغلو عنه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن ليس بمحود ^(٤) » وورد في ذم الحقد ما لا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على أن لا يضمر حقدا على من يحرك رأسه من كلام خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن الاصفاء بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إضمار الحقد وترتيبه في نفسه وغاية تماسكه الاخفاء بالتفاني وترشح منه إلى الظاهر لا محالة في غالب الأمر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع أحواله في إirاده وإصداره بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة بمبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا يقلعه مدى الدهر إلى آخر العمر . ومنها الغيبة وقد شبهها الله بأكل اللثة ولا يزال الناظر مثابرا على كل اللثة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب في الحكاية عنه فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه وتقصان فضله وهو الغيبة فأما الكذب فهتان وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لمرض من يمرض من كلامه ويصغى إلى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه إلى الجهل والحمالة وقلة الفهم والبلاهة . ومنها تزكية النفس . قال الله تعالى - فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى - وقيل لحكيم ما الصدق القبيح ؟ قال ثناء المرء على نفسه ولا يغلو الناظر من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الأقران ولا ينفك في أثناء الناظرة عن قوله لست بمن يخفى عليه أمثال هذه الأمور وأنا المتفنن في العلوم والمستقل بالأصول وحفظ الأحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة إلى ترويج كلامه ومعلوم أن الصلف والتدح مذمومان شرعا وعقلا . ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى - ولا تجسسوا - والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه حتى إنه ليخبر بورود مناظر إلى بلده فيطلب من يخبر بواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يسدها ذخيرة لنفسه في إفصاحه

(١) حديث من تكبر وضعه الله الحديث الخطيب من حديث عمر باسناد صحيح وقال غريب من حديث الثوري وابن ماجه نحوه من حديث أبي سعيد بسند حسن (٢) حديث الكبرياء ردأى والعظيمة إزارى الحديث أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة وهو عند مسلم بلفظ الكبرياء ردأوه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد (٣) حديث نهى المؤمن عن إذلال نفسه الترمذي وصححه وابن ماجه من حديث حذيفة لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه (٤) حديث المؤمن ليس بمحود لم أقف له على أصل .

النصارى لا يكون لهم نشء إلا على النصر وحيثان اليهود لا يكون لهم نشء إلا على اليهود وحيثان الاسلام لا يكون لهم نشء إلا على الاسلام وسمعت الحديث للروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » فتعرك باط إلى طلب الفطرة لأصلية وحقيقة المقائد العارضة بتقليد الوالدين والأساذين والتمييز بين هذه التقليدات وأوائلها تلقينات وفي تمييز الحق منها من الباطل اختلافات قتلت في نفسى أولا إغما مطلوب العلم بمحقق الأمور ولا بد من طلب حقيقة العلم ما هي فظهر لي أن العلم اليقين هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه إمكان الغلط كالوهم ولا يتبع العقل لتقدير ذلك بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا للنقص مقارنة لو تحدى

بأظهار بطلانه مثلاً
من يقبل الجبر ذهباً
والصائبان لم يورث
ذلك شكاً وإمكاناً فاني
إذا علمت أن العشرة
أكثر من الواحد لو
قال لي قائل الواحد
أكثر من العشرة
بدليل أني ألقب هذه
الصائبان وقلبيها
وشاهدت ذلك منه
لم أشك في معرفتي
لكذبه ولم أعصم من
منه إلا التعجب من
حكيمة قدرته عليه
وأما الشك فما علمته
فلا ثم علمت أن كل
مالا أعلمه على هذا
الوجه ولا أتقنه من
هذا النوع من اليقين
فهو علم لائق به وكل
علم لا أمان معه ليس
بعلم يقيني ثم فقتت عن
علمي فوجدت نفسي
عاطلاً عن علم موصوف
بهذه الصفة إلا في
الحسيات والضروريات
فقلت الآن بعد حصول
اليأس لا مطمع في
اقتباس المستيقنات
إلا من الجليات وهي
الحسيات والضروريات
فلا بد من إحكامها أولاً
لأنني أن يقيني
بالحسوسات وأمان من

وتحججه إذا مست إليه حاجة حتى إنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فسهو يستر
على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره ثم إذا أحس بأدنى غلبة من جهته عرض به إن كان
منامكا ويستحسن ذلك منه ويصد من لطائف التسبب ولا يمتنع عن الانصاح به إن كان متبجحا
بالسفاهة والاستهزاء كما حكى عن قوم من أكابر المناظرين للمدودين من فحولهم ومنها القرح لساعة
الناس والتم لمساوهم ومن لا يحب لأخيه للملم ما يحب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين فشكل من
طلب الباهة بأظهار الفضل بسره لا بحالة ما يسوء أقرانه وأشكاله الذين يسمونه في الفضل ويكون
التباغض بينهم كما بين الضرائر فكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبها من بعيد ارتعدت فرائصها
واصفرونها فكذلك ترى المناظر إذا رأى مناظراً تغير لونه واضطرب عليه فكره فكأنه يشاهد شيطانا
ماردا أو سببا ضاريا فأين الاستئناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل
عنهم من اللؤاخة والتناصر والتسام في السراء والضراء حتى قال الشافعي رضي الله عنه العلم بين أهل
الفضل والعقل رحم متصل فلا أدري كيف يدعى الاقتداء بمنه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطمة
فهل يتصور أن ينسب الأنس بينهم مع طلب التلبة والباهة هيئات هيات وناهيك بالشر شرا أن
يلزمك أخلاق الناقين ويرتك عن أخلاق المؤمنين والتقيين . ومنها النفاق فلا يحتاج إلى ذكر
الشواهد في ذمه وهم مضطرون إليه فانهم يلقون الخصوم ومحبهم وأشياهم ولا يجدون بدا من
التودد إليهم باللسان وإظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ويعلم ذلك المخاطب والمخاطب وكل
من يسمع منهم أن ذلك كذب وزور وثفاق وفجور فانهم متوددون باللسنة متباغضون بالقلوب
نموذ بالله العظيم منه . فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا
بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الأرجام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم (١) »
رواه الحسن وقد صرح ذلك بمشاهدة هذه الحالة . ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرس
على للمارة فيه حتى إن أبغض شيء إلى المناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ومهما ظهر تشمر
لجده وإنكاره بأقصى جهده وبذل غاية إمكانه في المخادعة والسكر والحيلة لدفعه حتى يصير المارة
فيه عادة طبيعية فلا يسمع كلاما إلا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يطلب ذلك على
قلبه في أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور
إذ نذب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ترك المراء بالحق على الباطل قال صلى الله عليه وسلم
« من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا
في أعلى الجنة (٢) » وقد سوى الله تعالى بين من اقترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق .
فقال تعالى - ومن أظلم ممن اقترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه - وقال تعالى - فمن
أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذا جاءه - ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة
قلوبهم وصرف وجوههم . والرياء هو الهداء المضال الذي يدعو إلى أكبر الكبائر كالمسياني في كتاب
الرياء والمناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم باثناء عليه فهذه عشر خصال من
أهيات التواضع الباطنة سوى ما يتفق لغير التماسكين منهم من الخصام المؤدى إلى الضرب والسلم
والعلم وتمزيق الثياب والأخذ بالحي وسب الوالدين وشم الأستاذين والقذف الصريح فان أولئك

(١) حديث إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب الحديث الطبراني
من حديث سلمان بأستاد ضعيف (٢) حديث من ترك المراء وهو مبطل الحديث الترمذي وابن ماجة
من حديث أنس مع اختلاف قال الترمذي حسن .

ليسوا معدودين في زمرة الناس للصبرين وإنما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لا يتفككون عن هذه الحصال العشر ، نعم قد يلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الأعطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته ولا يتفكك أحد منهم عنه مع أشكاله القارين له في الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الحصال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها مثل الأنفة والضب والبغضاء والطمع وحسب طلب المال والجاه لتمكين من الغلب والمباهاة والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والسلاطين والتردد إليهم والأخذ من حرامهم والتجمل بالحيول والراكب والياب المظورة والاستحقار للناس بالفقر والخيلاء والخوض فيما لا يفي وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري للصلى منهم في صلاته ما صلى وما الذي يقرأ ومن الذي يتأجل ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر في العلوم التي تمين في المناظرة مع أنها لاتنع في الآخرة من تهين العبارة وتجميع اللفظ وحفظ النوادر إلى غير ذلك من أمور لا تخصي والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا يتفكك أعظمهم ديناً وأكثرهم عقلاً عن جل من مواد هذه الأخلاق وإنما غاية إخفاؤها ومجاهدة النفس بها . وإعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضاً إذا كان قصده طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهي لازمة أيضاً للمشتغل بعلوم الذهب والفضة إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى في الآخرة فالعلم لا يحمل العالم بل يهلكه هلاك الأبدي أو يحية حياة الأبدي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بفعله » فلقد ضربه مع أنه لم ينفعه وليته نجمانه رأساً برأس وهيات هيات فخطر العلم عظيم وطالب الملك للؤبد والتعظيم السرمدة فلا يتفكك عن الملك أو الملك وهو كطالب الملك في الدنيا فإن لم يتفق له الإصافة في الأموال لم يطمع في السلامة من الإذلال بل لابد من لزوم أفصح الأحوال . فإن قلت في الرخصة في المناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم إذ لولا حب الرياسة لاندست العلوم قد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد إذ لولا الوعد بالسكرة والصولجان واللعب بالمصايف مارغب الصبيان في الكتب وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندست العلم ولا يدل ذلك على أن طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال ﷺ فيهم « إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ^(٢) » فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا وذلك فيمن كان ظاهر حاله في ظاهر الأمر ظاهر حال علماء السلف ولكنه يضر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه قائماً إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التي تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة إمامهالك نفسه وغيره وهم المصرون بطلب الدنيا والقبولون عليها وإمامهك نفسه وغيره وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهراً وباطناً وإمامهالك نفسه مسعديهم وهو الذي يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه فانظر من أي الأقسام أنت ومن الذي اشتغلت بالاعتداد له فلا تظن أن الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل وسيأتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربيع الهلكات ما ينفي عنك الرياسة فيه إن شاء الله تعالى .

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم للنسائي من حديث أسى بإسناد صحيح

(٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبي هريرة

الغلط في الضروريات من جنس أمان الذي كان من قبل في التقليدات أو من جنس أمان أكثر الخلق في النظريات وهو أمان عمق لا يجوز فيه ولا غائلة فأقبلت بمجديليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات أنظر هل يمكنني أشكك نفسي فيها فأتهى بد طول التشكك إلى أنه لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات وأخذت بتبع الشك فيها ثم إنى ابتدأت بعلوم الكلام فحصلته وعلقته وطالمت كتب المحققين منهم وصفت ما أردت أن أصنفه فصادفته علماً وإياي مقصوده غير واف بمقصودي ولم أرل أنفكر فيه مدة وأنا بصدد على مقام الاختيار أصمم عزمي على الخروج عن بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوماً وأحل العزم يوماً وأقدم فيه رجلاً وأؤخر فيه أخرى ولا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة إلا حمل عليها جند

(الباب الخامس في آداب التعلم والعلم)

أما للتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل :

الوظيفة الأولى : تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذا علم عبادة القلب وصلاة السر وقرية الباطن إلى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخبار فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجليس الأوصاف قال صلى الله عليه وسلم « بنى الدين على النظافة ^(١) » وهو كذلك باطنا وظاهرا قال الله تعالى « إنما المشركون نجس » تنبيها للمقوله على أن الطهارة والتجاسة غير مقصورة على الظواهر للمدركة بالحس فالشرك قد يكون نظيف الثوب مفسول البدن ولكنه نجس الجوهر رأى باطنه ملطخ بالخبائث والتجاسة عبارة عما يختبئ ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب لأنها مع خبئها في الحال مهلكات في الآل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا تدخل اللائكة بيوتا فيه كلب ^(٢) » والقلب بيت هو منزل اللائكة ومهبط أثرهم وحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل النضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب ناجية فأن تدخله اللائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب إلا بواسطة اللائكة - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء - وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنما تتولاها اللائكة لا تكون بها وهم الله دسون المظهرين البرؤون من الصفات الذمومات فلا يلاحظون إلا طية ولا يصرون بما عندهم من خزائن رحمة الله إلا طيا طاهرا ولست أقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو النضب والصفات للذموم ولكن أقول هو تنبيه عليه ورفق بين تعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فإن هذه طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والأبرار إذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها إلى التنبيه لكونه أيضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بسدد الانقلاب فيصوره من غير ما إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر أنت أيضا من البيت الذي هو بناء الخلق إلى القلب الذي هو بيت من بناء الله تعالى ومن الكلبي الذي دم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعة ونجاسة إلى الروح السكينة وهي السبعة . واعلم أن انقلاب الشجون بالنضب والشره إلى الدنيا والتكلب عليها والحرص على التزويق لأعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة فنور البصيرة يلاحظ المعاني لا الصور والصور في هذا العالم غالب على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني فلذلك يحتمل كل شخص على صورته المعنوية « فيحترق المزق لأعراض الناس كلبا ضاريا والشره إلى أموالهم ذنبا عاديا والتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة أسد ^(٣) » وقد وردت بذلك الأخبار وشهدها الاعتبار عند ذوى البصائر والأبصار . فإن قلت كم من طالب ردى الأخلاق حصل العلوم فبهات ما أبعد عن العلم الحقيقي النافع

(الباب الخامس)

- (١) حديث بنى الدين على النظافة لم أجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبراني في الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود النظافة تدعو إلى الايمان
- (٢) حديث لا تدخل اللائكة بيوتا فيه كلب متفق عليه من حديث أبي طلحة الأنصاري
- (٣) حديث حشر للمزق لأعراض الناس في صورة كلب ضار الحديث الثعلبي في التفسير من حديث البراء بسند ضعيف .

الشهوة جملة فيغيرها
عشبة قصارت شهوات
الدنيا تجاذبن بسبب
ميلها إلى القام ومناذى
الإيمان بنادى الرحيل
الرحيل فلم يبق من
العمر إلا القليل وبين
يديك السفر الطويل
وجميع ما أنت فيه من
العمل رياء وتخيل
وإن لم تستعد الآن
للآخرة فمق تتمد
وإن لم تقطع الآن هذه
العلائق فمق تقطعها
ففسد ذلك تنبث
الرغبة وينجزم الأمر
على الحرب والفرار ثم
يعود الشيطان وبقول
هذه حالة غارضة إليك
أن تطاوعها قائما
سريعة الزوال وإن
أذعنت لها وترك هذا
الحاج الطويل المريض
والشأن العظيم الحالى
عن التكدير والتخيم
والأمر السالم الحيالى
عن منازعة الخصوم
ربما التفت إليك نفسك
ولا تيسر لك المعاودة
فلم أزل أردد بين
التجاذب بين شهوات
الدنيا والدواعى قريبا
من ستة أشهر أولها
رجب من سنة ست

في الآخرة الجالب للسعادة فإن من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصي مومقاة مهلكة وهلاكية
من يتناول سماً مع علمه بكونه سماً قاتلاً إنما الذي تسممه من الترحمين حديث يلقونه بالسقم مرة
ويردونه بقلوبهم أخرى وليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة
الرواية إنما العلم نور يذف في القلب ، وقال بعضهم إنما العلم الحشمية لقوله تعالى - إنما يخشى الله من
عباده العلماء - وكأنه أشار إلى أخص سمات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم
لغير الله فإن العلم أن يكون إلا أنه أن العلم أي وامتنع علينا فلم تكشف لنا حقيقته وإنما حصل لنا حديثه
والفاظه . فان قلت إنى أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والأصول وعدوا من
جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها . فيقال إذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان
لك أن ما اشتغلوا به قليل القناء من حيث كونه علماً وإنما غناؤه من حيث كونه عملاً لله تعالى إذا قصد به
التقرب إلى الله تعالى وقد صبحت إلى هذا إشارة وسيأتيك فيه مزيد بيان وإيضاح إن شاء الله تعالى .
الوظيفة الثانية : أن يقلل علاقته من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن فان العلائق شاغلة
وصارفة - وما جعل الله لرجل من قليلين في جوفه - ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق
ولذلك قيل العلم لا يطميك بضه حتى تطميه كلك فإذا أعطيت كلك فأنت من عطائه إليك بضه على خطر
والفكرة التوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الأرض بضه واختطف الهواء بضه فلا
يبقى منه ما يجمع ويلبغ الزدراع . الوظيفة الثالثة : أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على العلم بل يلتقي
إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويدفع لنصيحة إذعان للريض الجاهل للطبيب للشفق
الحاذق وينبغي أن يتواضع لملئه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي « صلى زيد بن ثابت
على جنازة قريش إليه بعثه ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خلّ عنه يا ابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد
ابن ثابت يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ » وقال صلى الله عليه وسلم
« ليس من أخلاق المؤمنين التلق إلا في طلب العلم » (٢) فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على العلم ومن
تكبره على العلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من الرموقين الثهورين وهو عين الحماقة فان العلم
سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهرباً من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الحرب
مشهور أو خامل وضراوة سبع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة
المؤمن بغتتها حيث يظهر بها ويتقلد النقلة ساقها إليه كاتنا من كان فذلك قيل :

العلم حرب للنفس التعلّى كالسيل حرب للسكان العالي

فلا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع
وهو شهيد - ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلاً للعلم فهما ، ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع
وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقى إليه بحسن الإصغاء والضرعة والشكر والفرح وقبول
النية فليكن التعلم لعله كأرض دثة بالت مطراً غزيراً فتشرب جميع أجزائها وأذعن بالكلية
لقبوله ومهما أشار عليه للعلم بطريق في التحمل فليقلده وليدع رأيه فان خطأ مرشده أفع له من صوابه

(١) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت ، وقوله هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء الطبراني
والحاكم والبيهقي في الدخول إلا أنهم قالوا هكذا فعل قال الحاكم صحيح الاسناد على شرط مسلم

(٢) حديث ليس من أخلاق المؤمنين التلق إلا في طلب العلم ابن عدى من حديث معاذ وأبي أمامة
ناشد ابن ضيفين .

وثمانين وأربعائة وفي
هذا الشهر جاوز الأمر
حد الاختيار إلى
الاضطرار إذ قد الله
على لسانى حتى اعتقل
عن التدريس فكنت
أجاهد نفسى أن أدرس
يوماً واحداً تطيباً
للقلوب المختلفة إلى
فكان لا ينطق لسانى
بكلمة ولا أستطيعها
ألبنة حتى أورت هذه
العقلة في اللسان حزناً
في القلب بطلت معقولة
المضم ومرى الطعام
والشراب وكان
لأنفاسى شربة ولا
تنضم لى لقمة وتمدى
ذلك إلى ضعف القوى
حتى قطع الأطباء
طعمهم في العلاج وقالوا
هذا أمر نزل بالقلب
ومنه سرى إلى المراج
فلا سبيل إليه بالعلاج
إلا بأن يتروح السر
عن المم المم ثم لما
أحسست بسجزي
وسقط بالكلية
اختيارى التجأت إلى
الله التجاء المضطر الذى
لا حيلة له فأجابنى الذى
يجيب المضطر إذا دعاه
وسهل على قلبى
الاعراض عن السال

والجاء والأهل والأولاد
وأظهرت غرض
الخروج إلى مكة وأنا
أدبر في نفسي سفر
الشام حزنا من أن
يطلع الخليفة وجملة
الأصحاب على غرضي
في القيام بالشام فتلطفت
بلطائف الجليل في
الخروج من بغداد على
عزم أن لا أعودها أبدا
واستترأى أئمة العراق
كافة إذ لم يكن فيه
من يجوز أن يكون
الاعراض عما كنت
فيه سببا دينيا إذ ظنوا
أن ذلك هو للنسب
الأعلى في الدين فكان
ذلك هو مبلغهم من
العلم ثم ارتبك الناس
في الاستنباطات فظن
من بعد عن العراق
أن ذلك كان الاستشعار
من جهة الولاة وأما
من قرب منهم فكان
يشاهد لجأهم في
التعلق بالانكار
على وإعراض عنهم
وعن الالتفات إلى قولهم
فيقولون هذا أمر
سمائي ليس له سبب
إلا عين أميت أهل
الاسلام وزمرة العلم
فأرقت بندا وطارقت

في نفسه إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يظن نعمها فكم من مريض محروور
بما جله الطبيب في بعض أوقاته بالحرارة ليزيد في قوته إلى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من
لا خبرة له به وقد نبه الله تعالى بقصة الحضرة وموسى عليهما السلام حيث قال الحضرة - إنك لن تستطيع
معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا - ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال - فإن اتبعتني فلا تسألني
عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا - ثم لم يصبر ولم يزل في مرادته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما
وبالجملة كل متعلم استيق لنفسه رأيا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليهما لا خفايا والحسرة أن . فان قلت
قد قال الله تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون - فالسؤال بالمأمور به . فاعلم أنه كذلك ولكن
فيا يأذن للمعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم يبلغ مرتبتك إلى فهمه مضموم ولذلك منع الحضرة موسى
عليه السلام من السؤال أي مع السؤال قبل أوانه فالمعلم أعلم بما أنت أهل له وبأوان الكشف
ومالم يدخل أوان الكشف في كل درجة من مراتب الدرجات لا يدخل أوان السؤال عنه . وقد قال
على رضى الله عنه إن من حق العالم أن لا يتكبر عليه بالسؤال ولا تمتته في الجواب ولا تلج عليه إذا
كسل ولا تأخذ بشوبه إذا نهض ولا تفضي له سرا ولا تقتاتن أحدا عنده ولا تطلبن عثرته وإن زل
قبلت معذرتة عليك أن توقره وتعظمه فله تعالى مادام يحفظ أمر الله تعالى ولا يجلس أمامه وإن كانت له
حاجة سبقت القوم إلى خدمته . الوظيفة الرابعة : أن يحترز الحائض في العلم في بدء الأمر عن الاصغاء
إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فان ذلك يدهش عقله
ويعير ذهنه ويغتر رأيه ويؤسسه عن الإدراك والاطلاع بل يبغي أن يتقن أولا الطريق الحيدة الواحدة
المرضية عند أستاذة ثم بعد ذلك يصنى إلى المذاهب والشبه وإن لم يكن أستاذه مستقلا باختيار رأى
واحد وإنما عادتته قبل المذاهب ومقابل فيها فليحذر منه فان إغلاها أكثر من إرشاده فلا يصلح الأعمى
لقود العميان وإرشادهم ومن هذا حاله يمد في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدئ عن الشبه يضاهى منع
الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار ونسب القوى إلى النظر في الاختلافات يضاهى حث القوى
على مخالطة الكفار ولهذا يمنع الجبان عن التهجيم على صف الكفار ويندب الشجاع له ومن الغفلة
عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدرك
أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء وفي ذلك قال بعضهم من رأى في البداية صار صديقا ومن
رآني في النهاية صار زنديقا إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن وتسكن الجوارح إلا عن روائب الفرائض
فيتراءى للنظرين أنها باطالة وكسل وإهمال وهيات فذلك سرابط القلب في عين الشهود والحضور وملازمة
الله الذي هو أفضل الأعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوى فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهى
اعتذار من يلقي نجاسة بسيرة في كوز ماء ويشتمل بأن أضعاف هذه النجاسة قد يلقي في البحر والبحر أعظم
من الكوز فاجاز للبحر فهو الكوز أجوز ولا يدري المسكين أن البحر بقوة يحيل النجاسة ماء فتقلب
عين النجاسة باستيلائه إلى صفته والقليل من النجاسة يقلب على الكوز ويحمله إلى صفته ولعل هذا أجوز
لنبي صلى الله عليه وسلم ما لم يحور لغيره حتى أيسح له تسع نسوة^(١) إذ كان له من القوة ما يتعدى
منه صفة العدل إلى نساءه وإن كثرن وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى ما يبين من الضرار
إليه حتى ينجر إلى معصية الله تعالى في طلبه رضاهن فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين . الوظيفة
الخامسة : أن لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المأمودة ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرا يطلع به

(١) حديث أيسح له صلى الله عليه وسلم تسع نسوة وهو معروف وفي الصحيحين من حديث ابن عباس كان عند النبي صلى الله عليه وسلم تسع نسوة .

على مقصده وغايته ثم إن ساعده العمر طلب التبصر فيه وبلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعانة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الا انه كلك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى - وإذ لم يهتدوا به فسية ولون هذا إلك قديم - قال الشاعر :

ومن يك ذا فم مريض يحمد مرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالمبدإ إلى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعاً من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من التصود والقوام بها حفظه كحفاظ الرابات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى . الوظيفة السادسة : أن لا يحوض في فن من فنون العلم دفعة بل يراعى الترتيب ويتدى بالأهم فان العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف جهام قوته في اليسور من علمه إلى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة أعني قسمي العمالة والكاشفة فغاية العمالة الكاشفة وغاية الكاشفة معرفة الله تعالى ولست أعني به الاعتقاد الذي يتلقفه العامي ورائة أو تلقفاً ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصيل الكلام عن مراوغات الخصوم كما هو غاية للتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الحجابات حتى يقبى إلى رتبة إيمان أبي بكر رضى الله عنه الذي لو وزن بإيمان العالمين لرجح (١) كاشهده به سيد البشر ﷺ فما عندي أن ما يستعده العامي ويرتبه التكلم الذي لا يزيد على العامي إلا في صنعة الكلام ولأجله سميت صناعته كلاماً وكان يعجز عنه عمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذي وفر في صدره والعجب ممن يسبح مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدرى ما يسمعه على وقفه ويزعم أنه من ترهات الصوفية وأن ذلك غير مسموع قول فينبغي أن تثبت في هذا فتنده ضيعة رأس المال فكأن حرصاً على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والتكلمين ولا يرشدك إليه إلا حرصك في الطلب وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره وأقصى درجات الشرف رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم وقد روى أنه رأى صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين في مسجد وفي يد أحدهما رقعة فيها إن أحسنت كل شيء فلا تظن أنك أحسنت شيئاً حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء وفي يد الآخر كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظلم حتى إذا عرفته رويت بالشراب . الوظيفة السابعة : أن لا يحوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله فان العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق إلى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدرج . قال الله تعالى - الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته - أي لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علماً وعملاً وليكن قصده في كل علم يتجراه الترقى إلى ما هو فوقه فينبغي أن لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ولا يخطئ واحد أو أحاد فيه ولا يخالفهم موجب علمهم بالعمل فترى جماعة تركوا النظر في العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها وقدمضى كشف هذه الشبهة في كتاب معيار العلم وترى طائفة يستقنون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفاق الواحد وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفاق الآخر والكل خطأ بل ينبني أن يعرف الشيء في نفسه فلا كل علم يستقل بالاحاطة به كل شخص ولذلك قال على رضى الله عنه لا نعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله . الوظيفة الثامنة : أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم

(١) حديث لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح ابن عدى من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف ورواه البيهقي في الشعب موقوفاً على عمر بإسناد صحيح .

ما كان معنى من مالى ولم أذكر من ذلك إلا قدر الكفاف وفوت الألفاظ ترخصاً بأن مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفاً على المسلمين ولم أرى في العالم ما يأخذ العالم لبياله أصلح منه ثم دخلت الشام وأقمت فيه قرى من سنتين لاشتغل لي إلا العزلة والحلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتركية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلت من علم الصوفية وكنت اعتكف مدة بمسجد دمشق أعمد منارة للمسجد طول النهار وأعلق بابها على نفسي ثم تحرك بي داعة فريضة الحج والاستعداد من بركات مكة وللدنية وزبارة النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه وسلامه ثم سرت إلى الحجاز ثم جذبتني الحمم ودعوات الأطفال إلى الوطن

وأن ذلك يراد به شيان أحدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فإن
ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمره الآخرة الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف ومثل علم الحساب وعلم
النجوم فإن علم الحساب أشرف لوثاقته أدلته وقوتها وإن نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار
ثمرته والحساب أشرف باعتباره أدلته وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره
بالتمخيم وبهذا بين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل
إلى هذه العلوم فإياك وأن ترغب إلا فيه وأن تحرص إلا عليه . الوظيفة التاسعة : أن يكون قصد التعلم
في الحال تحلية باطنه وتجهيزه بالمضيئة وفي المال القرب من الله سبحانه والترقي إلى جوار الملائكة من
الملائكة والقرين ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه وممارسة السفهاء ومباهاة الأقران وإذا كان هذا
مقصده طلب لاجالة الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بين الحقارة إلى
سائر العلوم أعنى علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أورده في
القدماء والتعميمات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية ولا تفهم من غلوها في الثناء على علم الآخرة
تهجين هذه العلوم فالتكفلون بالعلوم كالتكفلين بالنور والرايطين بها والقراء المجاهدين في سبيل الله فهم
المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دواهم ويتعهدهم ولا ينفك أحدهم عن
أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى - رفع الله الذين
آمَنوا منكم والذين أتوا العلم درجات - وقال تعالى - هم درجات عند الله - والفضيلة نية واستحقاقنا
للمصارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين فلا تظن أن ما نزل عن الرتبة
القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء الراغبين في العلم ثم الصالحين على تفاوت
درجاتهم وبالجملة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن صد الله تعالى
بالعلم أى علم كان فعموده لاجالة . الوظيفة العاشرة : أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كما يؤثر الرفيع
القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى اللهم ما يهكم ولا يهكم إلا شأنك في الدنيا والآخرة وإذا لم
يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى
العيان فالأهم ما يبقى أبداً لا يباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلاً والبدن مركباً والأعمال سعيها إلى المقصد ولا مقصد
إلا لقاء الله تعالى فيه النعيم كله وإن كان لا يعرف في هذا العالم قدره إلا الأفلون والعلوم بالاضافة إلى سعادة
لقاء الله سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم أعنى النظر الذي طلبه الأنبياء وفهمه مدون ما يسبق إلى فهم
العوام والتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو أن الصديق الذي علق عنقه وتمكينه من
الملك بالحج وقيل له إن حجبت وأتممت وصلت إلى العتق والملك جميعاً وإن ابتدأت بطريق الحج
والاستعداد له وعاقبك في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة
الملك فله ثلاثة أصناف من الشغل : الأول : تهية الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية وإعداد الزاد
والراحة . والثاني السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلاً بعد منزل . والثالث الاشتغال
بأعمال الحج ركناً بعد ركن ثم بعد الفراغ والتزوع عن هيئته الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض
للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من أول إعداد الأسباب إلى آخره ومن أول سلوك البوادي إلى
آخره ومن أول أركان الحج إلى آخره وليس قرب من ابتداء بأركان الحج من السعادة كقرب من هو
بعد في إعداد الزاد والراحة ولا كقرب من ابتداء بالسلوك بل هو أقرب منه فالعلوم أيضاً ثلاثة أقسام
قسم مجرى مجرى إعداد الزاد والراحة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا
وقسم مجرى مجرى سلوك البوادي وقطع العقبان وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع

وعاودته بعد أن كنت
أبعد الخلق عن أن
أرجع إليه وآثرت
العزلة حرصاً على
الحلوة وتصفية القلب
لذكر وكانت حوادث
الزمان ومهمات العيال
وضرورات المعيشة تغير
في وجه المراد وتشوش
صفوة الحلوة وكان
لا يصفو لي الحال إلا في
أوقات متفرقة لكنني
مع ذلك لا أقطع طمعي
عنها فيدفعني عنها
الدوايق وأعود إليها
ودمت على ذلك مقدار
عشر سنين وانكشف
لي في أثناء هذه
الحلوات أمور لا يمكن
إحصاؤها واستقصاؤها
والقدر الذي ينبغي أن
تذكره لينتفع به
أني علمت يقيناً أن
الصوفية هم السالكون
لطريق الله خاصة
وأن سيرتهم أحسن
السير وطريقهم أصوب
الطرق وأخلاقهم أزكى
الأخلاق بل لو جمع
عقل العقلاء وحكمة
الحكماء وعلم الواقفين
على أسرار الشرع من
العلماء لغيروا شيئاً
من سيرتهم وأخلاقهم

تلك العقبات الشائعة التي عجز عنها الأولون والآخرون إلا الوقيين فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه
 كتصنيف علم جهات الطريق ومنازله وكما لا ينفي علم النازل وطرق البوادي دون سلوكها كذلك لا ينفي
 علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب ولكن الباشرة دون العلم غير ممكن . وقسم ثالث يجرى مجرى
 نفس الحج وأركانها وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم الكاشفة
 وههنا نجا وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة .
 وأما الفوز بالسعادة فلا يناله إلا العارفون بالله تعالى وهم القربون للمعمون في جوار الله تعالى بالروح
 والريحان وجنة النعيم وأما المنوعون دون فدوة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله عز وجل
 - فأما إن كان موت للتقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من
 أصحاب اليمين - وكل من لم توجه إلى المقصد ولم ينتهض له أو اتهم إلى جهته لا طي قصد الامتثال والعبودية
 بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصليح جحيم . واعلم أن هذا
 هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعني أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هي أقوى وأجلى من مشاهدة
 الأبصار وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع وحالهم حال من أخبر فصدق ثم شاهد فحق وحال غيرهم
 حال من قبل بحسن التصديق والابتنان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم الكاشفة وعلم
 الكاشفة وراء علم للماملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات
 المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المألجة وكيفية السلوك في ذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة
 أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوصل به إلى اللبس والمطم والممكن
 وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على منبج العدل والسياسة في ناصية الفقيه . وأما أسباب
 الصحة ففي ناصية الطبيب ومن قال العلم علان علم الأبدان وعلم الأديان وأشار به إلى الفقه أراد به العلوم
 الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة . فان قلت لم يشهد علم الطب والفقه بإعداد الزاد والراحة
 فاعلم أن الساعي إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ولست أعني بالقلبه اللحم المحسوس بل
 هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس والطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس
 الطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه المظية الأولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية
 وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم الكاشفة وهو مضمون به بل لا رخصة في ذكره
 وغاية المأدون فيه أن يقال هو جوهر نقيس ودر عز بر أشرف من هذه الأجرام الرئية وإعنا هو أمر إلى
 كما قال تعالى - ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - وكل الخواقات مندوبة إلى الله تعالى
 ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن فله الخلق والأمر جميعا والأمر أعلى من الخلق
 وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرضين والجبال
 إذ أبين أن يحملها وأشفق منها من عالم الأمر ولا يفهم من هذا أنه تمرىض بقدمها فان القائل بقدم
 الأرواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدد
 والقصود أن هذه اللطيفة هي الساعية إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب فنه مصدرها وإليه مرجعها
 وأما البدن فطيتها التي تركبها وتسمى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله تعالى كالناقة للبدن في
 طريق الحج وكالراوية الحازنة للماء الذي يستقر إليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من
 جملة مصالح المظية ولا يخفى أن الطب كذلك فانه قد يحتاج إليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان
 الانسان وحده لا يحتاج إليه والفقه يفارقه في أنه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغنى عنه ولكنه
 خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده إذ لا يستقل بالسمى وحده في تحصيل طعامه بالجرانة والزروع

ويبدلوه بما هو خير
 منه لم يجدوا إليه سبيلا
 فان جميع حركاتهم
 وسكناتهم في ظاهرهم
 وباطنهم مقتبسة من
 نور مشكاة النبوة
 وليس وراء نور النبوة
 على وجه الأرض نور
 يستضاء به وبالجملة ماذا
 يقول القائل في طريقة
 أول شروطها تطهير
 القلب بالكلية عما سوى
 الله تعالى ومفتاحها
 الجارى منها مجرى
 التحريم في الصلاة
 استغراق القلب بذكر
 الله وآخرها القضاء
 بالكلية في الله تعالى
 وهو أقواها بالاضافة
 إلى ماتحت الاختيار
 انتهى قال العراقي فلما
 فحذت كلمته وبعد صيته
 وعلت منزلته وشدت
 إليه الرحال وأذعنت
 له الرجال شرفت نفسه
 عن الدنيا واشتانت
 إلى الأخرى فاطرحها
 وسعى في طلب الباقية
 وكذلك النفوس
 الزكية كما قال عمر بن
 عبد العزيز إن لي نفا
 نواقة لما نالت الدنيا
 تانت إلى الآخرة قال
 بعض العلماء رأيت

الغزالي رضى الله عنه
في البرية وعليه مرقعة
ويده عكاز وركوة
قلبت له يا إمام أليس
التدريس يفقد
أفضل من هذا فنظر
إلى شذرا وقال لما بزغ
بدر السعادة في فلك
الارادة وظهرت شموس
الوصل :

ترصحت هوى ليلي
وسعدى بمنزل

وعدت إلى مصحوب
أول منزل

ونادى الأشواق مهلا
فهذه

منازل من تهوى
رويدك فانزل

انتهى كتاب تعريف
الأحياء بفضائل الإحياء

بحمد الله وعونه .

[هذا كتاب الاملاء

في إشكالات الاحياء]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما خصص

ونعم وصلى الله على

سيد جميع الأنبياء

البعوث إلى العرب

والعجم وعلى آله وعترته

وسلم كثيرا وكرم

سألت يسرك الله

لمراتب العلم تصعد

مراقيها ومرتب لك

مقامات الولاية نعل

والخبر والطبخ وفي تحصيل اللبس والسكن وفي إعداد آلات ذلك كله فاضطر إلى الخالطة والاستمالة
ومهما اختلط النافع ونار شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات وتنازعوا وتماتلوا وحصل من قتالهم
هلاكم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الأخلاط من داخل ، وبالطبع
يحفظ الاعتدال في الأخلاط للتنازع من داخل ، وبالسبب الاعتدال يحفظ الاعتدال في التنافس
من خارج ، وعلم طريق اعتدال الأخلاط طبية ، وعلم طريق اعتدال أحوال الناس في المعاملات
والأعمال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية فالتجرد لعم الفقه أو الطب إذا لم يجاهد نفسه
ولا يصلح قلبه كالتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها إذا لم يسلك بادية الحج والسترق
عمره في دوتى الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الأسباب التي بها
تستحكم الخيوط التي تخرز بها الراوية للحج ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب
الواصل إلى علم السكينة كنسبة أولئك إلى سالكى طريق الحج أو ملابسى أركانه فتأمل هذا أولا
واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غالبا ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد وجراحة تامة على ميانة
الحلق العامة والخاصة في الزرع من تقليد مجردين الشهوة فهذا القدر كاف في وظائف التعلم .

(بيان وظائف الرشيد العلم)

اعلم أن للانسان في علمه أربعة أحوال كحال في اقتناء الأموال إذ لصاحب المال حال استفادة فيكون
مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال إتقان على نفسه فيكون منتفعا
وحال بذل لغيره فيكون بمسخيا متفضلا وهو أشرف أحواله فكذلك العلم يقتضى كما يقتضى المال فله
حال طلب واكتساب وحال تحصيل يقضى عن السؤال وحال استبصار وهو التفكير في المحصل والتمتع
به وحال تبصير وهو أشرف الأحوال فن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظميا في ملكوت السموات
فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم
ولا يعمل به كالقدر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذي يشحن غيره ولا يقطع والإبرة
التي تكسو غيرها وهي عارية ودبالة للصباح تضيء لغيرها وهي تحترق كقليل :

ما هو إلا ذبالة وقد تضيء للناس وهي تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه . الوظيفة الأولى :
الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنو نبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنا لكم مثل
الوالد لولده (١) . بأن يقصد إقادهم من نار الآخرة وهو أمم من إقاد الوالدين ولدها من نار الدنيا
ولذلك صار حق العلم أعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والعلم
سبب الحياة الباقية ولولا العلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم وإنما للعالم هو القيد
للحياة الآخروية الدائمة أعنى معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فأما
التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا
ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون إلا كذلك
إن كان مقصدهم الآخرة ولا يكون إلا التحامد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وأبناء
الآخرة مسافرون إلى الله تعالى وسالكون إليه الطريق من الدنيا وسنوها ومشهورها منازل الطريق
والتراشق في الطريق بين المسافرين إلى الأمصار سبب التوادد والتحاب فكيف السفر إلى الفردوس
الأعلى والتراشق في طريقه ولا ضيق في مساعده الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا مسعة

(١) حديث إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة

في سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التراحم والمعادلون إلى طلب الرياسة بالعلوم خارجون ع
موجب قوله تعالى - إنما للؤمنون إخوة - وداخلون في مقتضى قوله تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو إلا المتقين . الوظيفة الثانية : أن يهتدى بساحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلد
على إفادة العلم أجرا ولا يقصده جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب إليه ولا يبر
لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تقرب إلى الله
تعالى بزراعة العلوم فيها كالهدى يترك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فتفتك بها تزيد على منف
صاحب الأرض فكيف تقلد منة وثوابك في التسليم أكثر من ثواب التعلم عند الله تعالى ولولا لالت
مانت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى كما قال عز وجل - ويا قوم لأسألكم عليه مالا إ
أجرى إلا على الله - فإن المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والخدوم هو اله
إذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مدامه بوجهه لينظفه فجعل الخدوم نخاد
والخادم غدوماً وذلك هو الاستكسار على أم الرأس ومثله هو الذي يقوم في العرض الأكبر مع المجرم
ناكس رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمو
أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والسكلام والتدريس فيها وفي غيرها فانه
يبدلون المال والجاه ويحملون أصفاء الدل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولوتركوا ذل
لتركوا ولم يختلف إليهم ثم يتوقع العلم من التعلم أن يقوم له في كل ناحية وينصروا له ويعدى عدوه ويقتض
جهاراً له في حاجاته ومسخرا بين يديه في أوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه فأخس
بالم يرضى لنفسه بهذه للزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي من أن يقول غرضي من التدريس نشر اله
تقرباً إلى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الاعتبارات . الوظيفة الثالثة
أن لا بدع من نصع التعلم شيئاً وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل
الفراغ من الجلي ثم ينفه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة واللباه
والمنافسة ويقدم تقييع ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم العاجر بأكثر مما يفسده
فان علم من باطله أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه
والجدل في السكلام والفتاوى في الخصومات والأحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من علو
الآخرة ولا من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله وإنما ذلك عام التفسير وع
الحديث وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفه أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذاتمه
الطالب وقصده الدنيا فلا بأس أن يتركه فانه يشمر له طمعا في الوعظ والاستتباع ولكن قد يتنبه في أثناء
الأمر أو آخره إدفه العلوم المخوفة من الله تعالى المحرقة للدنيا العظيمة للآخرة وذلك يوشك أن يؤد
إلى الصواب في الآخرة حتى يتعظ بما يحفظ به غيره ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ين
حوالي الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النفس
وخلق أيضاً حب الجاه ليكون سبباً لإحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم فأما الخلافات المحضة ومجادلات
السكلام ومعرفه التفاريع القرية فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها إلا قسوة في القلب وغف
عن الله تعالى وتغاديا في الضلال وطلباً للجاه إلا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم
الدينية ولا يرهان على هذا كالتجربة وللشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في الب
والبلاد والله المستعان . وقد رؤى سفيان الثوري رحمه الله حزينا قليل له مالك فقال صرنا متجرا لأب
الدنيا يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جعل قاضيا أو عاملا أو قهريانا . الوظيفة الرابعة : وهي من دقات

معاليها عن بعض
ما وقع في الاملاء للقلب
بالإحياء بما أشكل على
من حجب فهمه وقصر
علمه ولم يفز بشيء
من الحظوظ لللكية
قدحه وسهمه وأظهرت
التحزن لما شاش به
شركاء الطعام وأمثال
الأنعام وأجاء العوام
وسفهاء الأحلام وذمار
أهل الاسلام حتى
طعنوا عليه ونهوا عن
قراءته ومطالعتهم وأقوا
بمجرد الهوى على غير
بصيرة باطراحه
ومناذته ونسبوا عليه
إلى ضلال وإملاق
وبذوا اقراءه ومنتحلته
يزيغ في الشريعة
واختلال فإلى الله
انصرافهم ومآبهم
وعليه في العرض
الأكبر إيقافهم
وحسابهم فسكتب
شهادتهم ويستلون
وسيعلم الذين ظلموا أي
منقلب ينقلبون بل
كذبوا بما لم يحيطوا
بعلومه . وإذا لم يهتدوا به
فسيقولون هذا إفاك
قديم ولو ردوه إلى
الرسول وإلى أولى
الأمر منهم لعلمه القدين

يستنبطونه منهم
ولكن الظالمون في
عقاق بيد ولا هيب
فقد توى أدلاء الطريق
وذهب أرباب التحقيق
ولم يبق في الطالب
إلا أهل الزور والفوق
متشبثين بدعاوى
كاذبة تصفين بحكايات
موضوعة متزينين
بصفات منمقة
متظاهرين بظواهر
من العلم فاسدة
متعاطين للحجج غير
صادقة كل ذلك لطلب
الدنيا أو حجة ثناء أو
مقابلة نظراء قد ذهبت
المواصلة بينهم بالبر
وتألفوا جميعا على النكر
وعدمت النصائح بينهم
في الأمر وتضافوا
بأسرهم على الخديعة
والنكر إن نصحتهم
العلماء أغروا بهم وإن
صحت عنهم العقلاء
أزروا عليهم أولئك
الجهال في علمهم الفقراء
في طولهم البخلاء عن
الله عز وجل بأنفسهم
لا يفعلون ولا ينجح
تأبهم ولذلك لا تظهر
عليهم موارد الصدق
ولا تسطع حولهم أنوار
الولاية ولا تحقق لديهم

صناعة التعليم أن يزجر التلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق
الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراءة على الهجوم بالخلاف ويهيج
الحرس على الأصرار إذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم « لو منع الناس عن فت البعر لفتوه
وقالوا ما بيننا عنه إلا وفيه شيء » (١) وينبئك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهبنا عنه
فما ذكرت القصة معك لتكون ممرا بل لتنبه بها على سبيل العبرة ولأن التعريض أيضا يميل النفوس
الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك
مما لا يعزب عن نظرته . الوظيفة الخامسة : أن للتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يتبع في نفس للتعلم
العلوم التي وراءه كعلم اللغة إذ عادت تفسيح علم الفقه ومعلم الفقه عادت تفسيح علم الحديث والتفسير وأن
ذلك نقل محض وسماع وهو شأن المجاز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك
فروع وهو كلام في حيز النساء فإين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين
ينبغي أن تجنب بل التكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على التعلم طريق التعلم في غيره وإن كان متكفلا
بعلوم فينبغي أن يراعى التدرج في ترقية التعلم من رتبة إلى رتبة . الوظيفة السادسة : أن يقتصر بالتعلم
على قدر فهمه فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى
الله عليه وسلم حيث قال « نحن معشر الأنبياء أمرنا أن نزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر
عقولهم » (٢) فليبت إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها وقال عليه السلام « ما أحد يحدث قوما بحديث
لا يبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم » وقال على رضي الله عنه وأشار إلى صدره إن ههنا لعلومنا
حجة لو وجدت لها حجة وصدق رضي الله عنه قلوب الأبرار قبور الأسرار فلا ينبغي أن يفتنى العالم كل
ما يعلم إلى كل أحدهما إذا كان يفهمه التعلم ولم يكن أهلا للارتفاع به فكيف فيا لا يفهمه وقال عيسى
عليه السلام لا تعلقوا بالجواهر في أعناق الخنازير فإن الحكمة خير من الجواهر ومن كرهها فهم وشر من
الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بما يعقله ووزن له بميزان فهمه حتى تعلم منه ويتنفع بك وإلا وقع
الإنكار لتفاوت العيار . وسئل بعض العلماء عن شيء فسلم يجب فقال السائل أما سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجعا بلجما من نار » (٣) فقال ترك اللجام واذهب
فإن جاء من يفقه وكتمته فليجنى فقد قال الله تعالى - ولا تؤتوا السفهاء أموالكم - تنبها على أن
حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق

أثر درآين سارحة النعم فأصبح محزوننا براعية النعم
لأنهم أمسوا بجمل لقدره فلا أنا أضحي أن أطوقه البهم
فإن لطف الله اللطيف بلطفه وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
نشرت مفيدا واستفدت مودة وإلا فحزون لدى ومكتم
فمن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الوظيفة السابعة : إن التعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلي اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا

(١) حديث لو منع الناس عن فت البعر لفتوه الحديث لم أجده (٢) حديث نحن معشر الأنبياء
أمرنا أن نزل الناس منازلهم الحديث رويناه في جزء من حديث أبي بكر بن الشيخ من حديث عمر
أخسر منه وعند أبي داود من حديث عائشة أنزلوا الناس منازلهم (٣) حديث من كتم علما نافعا
جاء يوم القيامة ملجعا بلجما من نار ابن ماجه من حديث أبي سعيد بإسناد ضعيف وتقدم حديث
أبي هريرة بنحوه .

وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلب ويشوش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فممن أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله وأندم حياء وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم أن من تغيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نقد العقائد للأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سريره ولم يحتمل غف أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي أن يغلى وحرقة فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرفع عنه السد الذي بينه وبين المعاصي وينقله شيطانا يريد بهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي أن يغاض مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعلم الصادات وتعليم الأمانة في الصناعات التي هم بصدد ممارستها وبعلا قلوبهم من الرغبة والرغبة في الجلب والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تغلفت الشبهة بقلبه وبصر عليه حلها فيشوق ويهلك وبالجملة لا ينبغي أن يفتح للعوام باب البحث فانه يسطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوا عيش الخواص . الوظيفة الثامنة : أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فانه لأن المعلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقا للناس لا تناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولاء أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به ومثل العلم الرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظلال من العود فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج ولذلك قيل في المعنى لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى - أأأمرون الناس بالبر وتنهون أنفسكم - ولذلك كان وزير العالم في معاصيه أكبر من وزير الجاهل إذ يزل يزلته عالم كبير ويقتدون به ومن سن سنة سيئة فطيه وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان عالم مهتك وجاهل مهتك فالجاهل يفر الناس بنفسك والعالم يفرم بنفسك والله أعلم .

(الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء)

قد ذكرنا ماورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدين وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدوا من العلم التعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمزلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم « إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النافع (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق (٣) »

(الباب السادس)

(١) حديث لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا ابن حبان في كتاب روضة العقلاء والبيهقي في الدخول موقوفا على أبي الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث العلم علمان علم على اللسان الحديث الترمذي الحكيم في النوادر وابن عبد البر من حديث الحسن مرسلا بإسناد صحيح وأسند الخطيب في التاريخ من رواية الحسن عن جابر بإسناد جيد وأعله ابن الجوزي (٣) حديث يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فسقة الحاكم من حديث أنس وهو ضعيف .

أعلام المعرفة ولا يستعوراتهم لباس الحشية لأنهم لم ينالوا أحوال النقباء ومراتب النجباء وخصوصية البدلاء وكرامة الأوتاد وفوائد الأقطاب وفي هذه أسباب السعادة وتمة الطهارة لو عرفوا أنفسهم لظهر لهم الحق وعلموا علة أهل الشاغل وداء أهل الضعف ودواء أهل القوة ولكن ليس هذا من بضائهم جيبوا عن الحقيقة بأربع بالجهل والاصرار ومحبة الدنيا وإظهار الدعوى فالجهل أورثهم السخف والاصرار أورثهم التهاون ومحبة الدنيا أورثهم طول الغفلة وإظهار الدعوى أورثهم الصكبر والاعجاب والرياء والله من ورائهم محيط . وهو على كل شيء شهيد . فلا يفرّك أعاذنا الله وإياك من أحوالهم شأنهم ولا يذهلك عن الاشتغال بصلاح نفسك تمرهم وطغيانهم ولا يفوتك

بما زين لهم من سوء أعمالهم شيطانهم فكان قد جمع الخلائق في صعيد - وجاءت كل نفس منها سائق وشهيد - وتلا - لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - فياله من موقف قد أذهل ذوى العقول عن القال والقييل ومتابعة الأباطيل فأعرض عن الجاهلين - ولا تطع كل أفاك أثيم ، وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تتبغى نقا في الأرض أو سلفا في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة فاصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون - ولقد جئتكم بحول الله وقوته وبعد استخارته عما سألت عنه وخاصة ما زعمت فيه من تخصيص الكلام بالمثل الذي

وقال صلى الله عليه وسلم « لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من كنتم علما عنده أُلجِه الله بلجام من نار » وقال صلى الله عليه وسلم « لأنامن غير الدجال أخوف عليكم من الدجال قليل وما ذلك ؟ فقال من الأئمة المضلين » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا » (٣) وقال عيسى عليه السلام إلى متى تصفون الطريق للمدجلين وأنتم مقبضون مع التحيرين فهذا وظيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم فإن العالم إما متعرض لمهلك الأبد أو لسعادة الأبد وإنه بالحوض في العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة ، وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة للناق الطيم قالوا وكيف يكون منافقا علما قال علما علما جاهل القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه أريد أن أعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بترك العلم إضاعة له وقيل لإبراهيم بن عيينة أي الناس أطول ندما قال أما في عاجل الدنيا فصانع للعروف إلى من لا يشكره وأما عند الموت ففالم مغرط وقال الخليل بن أحمد: الرجال أربعة رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه ، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك نائم فأيقظوه ، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فأرشدوه ، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فارضوه وقال سميان الثوري رحمه الله يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء طالما ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل ابن عياض رحمه الله إني لأرحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأنشدوا :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشترى دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواء فهو من ذين أعجب

وقال صلى الله عليه وسلم « إن العالم ليمذب عذابا يطيف به أهل النار استعظما لشدة عذابه » (٤) وأراد به العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتدلق أفتابه فيدورها كما يدور الحمار بالرحى يطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت أمر بالخير ولا آتية وأنهى عن الشر وآتية » (٥) وإعياضا عن عذاب العالم في معصيته لأنه عصى عن علم ولذلك قال الله عز وجل - إن للناقين في الدرك الأسفل من النار - لأنهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع أنهم ما جعلوا الله سبحانه ولدا ولا قالوا إنه ثالث ثلاثة إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال الله

(١) حديث لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء الحديث ابن ماجه من حديث جابر بإسناد صحيح

(٢) حديث غير الدجال أخوف عليكم من الدجال الحديث أحمد من حديث أبي ذر بإسناد جيد

(٣) حديث من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا أبو منصور الديلمي في مستند الفردوس وحديث على بإسناد ضعيف إلا أنه قال زهدا ، وروى ابن حبان في روضة العقلاء موقوفا

على الحسن من ازداد علما ثم ازداد الله على الدنيا حرصا لم يزد من الله إلا بعدا ، وروى أبو الفتح الأزدى في الضعفاء من حديث على من ازداد باقة علما ثم ازداد للدنيا حيا ازداد الله عليه غضبا (٤) حديث

إن العالم يمدب عذابا يطيف به أهل النار الحديث لم أجده بهذا اللفظ وهو معنى حديث أسامة

للكور بعده (٥) حديث أسامة بن زيد يؤتى بالعالم يوم القيامة ويلقى في النار فتدلق أفتابه الحديث

متفق عليه بلقظ الرجل بدل العالم .

— يعرفونه كايبرفون أبناءهم — وقال تعالى — فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلننزلن الله على الكافرين —
وقال تعالى في قصة بلعام بن باعورا — واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان
فكان من الغاوين — حتى قال — فمثل كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث — فكذاك العالم
الفاجر فان بلعام أوتي كتاب الله تعالى فأخذ إلى الشهوات فشبه بالكلب أي سواء أوتي الحكمة أو لم يؤت فهو
يلهث إلى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل مسخرة وقعت على فم النهر لاهي تشرب الماء
ولا هي تترك الماء بخلص إلى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها تين ومثل
القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الأخبار والآثار تبين أن العالم الذي هو من أبناء الدنيا أخسر
حالا وأشد عذابا من الجاهل وأن الفائزين للقرين هم علماء الآخرة ولهم علامات : فمنها أن لا يطلب
الدنيا بعلمه فان أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخساستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة
ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهم
أسخطت الأخرى وأنهما ككفتي لليزان مهما رجحت إحداها خست الأخرى وأنهما كالشرق والغرب
مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ فيقدر ما تصب
منه في الآخر حتى يعتلى بفرغ الآخر فان من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لثمتها بالمهاثم
انصرام ما يصف ومنها فهو فاسد العقل فان الشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك فكيف يكون من العلماء
من لا عقل له ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الإيمان فكيف يكون من العلماء من
لا إيمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وأن الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل بشرائع الأنبياء
كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من أوله إلى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله
ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان فدأه لسكرته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد
من حزب العلماء من هذه درجته وفي أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى إن أدنى ما أصنع
بالعالم إذا أثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذته مناجاتي يا داود لا تسأل عني عالما قد أسكرته الدنيا
فيصدك عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي يا داود إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما
يا داود من رد إلى هاربا كتبت جهيدا ومن كتبت جهيدا لم أعذبه أبدا ولذلك قال الحسن رحمه الله
عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ إنما
يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا وقال سعيد بن المسيب رحمه الله إذا رأيتم العالم يشقى
الأمراء فهو لص وقال عمر رضي الله عنه إذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب
مخوض فيما أحب وقال مالك بن دينار رحمه الله قرأت في بعض الكتب السالفة إن الله تعالى يقول
إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج خلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل إلى أخيه
إنك قد أوتيت علما فلا تطفئ نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسمي أهل العلم في
نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله يقول لعلماء الدنيا يا أصحاب العلم قصوركم قصيرة
ويوتكم كسروية وأنوائكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوائكم فرعونية
وما تمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعة المحمدية قال الشاعر :

وراعي الشاة يحس الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب .

وقال الآخر : يا معشر القراء يا ملج البلد ما يصلح للبح إذا اللج قصد

وقيل لبعض العارفين أترى أن من تكون العاصي قرة عينه لا يعرف الله فقال لا أشك أن من تكون الدنيا
عنده آثر من الآخرة أنه لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير ولا تظن أن ترك المال يكفي في الحقوق

ذكر فيه الأعلام إذ
اتفق أن يكون أشهر
مافي الكتاب وأكثر
تصرفا على السنة
الصدور والأصحاب حتى
لقد صار المثل المذكور
في المجالس تحية الداخل
وحديث المجالس
فساعدتنا أمنيته ولولا
العجلة والاشتغال
لأضفنا إلى أملائنا
هذا بيان غيره مما عدوه
مشكلا وصار لعقولهم
الضعيفة محبلا ومضلا
ونحن نستعين بالله من
الشیطان ونستصم
به من جرادة قهواء
الزمان وتضرع إليه
في المزيد من الإحسان
إنه الجواد للسان
[ذكر مراسم الأسئلة
في المثل]

ذكرت رزقك الله
ذكره وجعلك تعقل
نبيه وأمره كيف جاز
انقسام التوحيد على
أربعة مراتب ولفظه
التوحيد تنافي التقسيم
في الشهود كما ينافي
التكرير التعديد وان
صح انقائه على وجه
لا يندفع فهل تصح
تلك القسمة فيما يوجد
أو فيما يقدر ورغبت

مزيد البيان في تحقيق كل مرتبة واتهام طبقات أهلها فيها إن كان يقع بينهم التفاوت وما وجه تشبيلها بالجور في القصور والدوب ولم كانت الأول لا ينفع والآخر الذي هو الرابع لا يحل إفاضة وما معنى قول أهل هذا الشأن إفاضة سر الربوبية كفر أين أصل ما قالوه في التبرع إذ الإيمان والكفر والهداية والضلال والتقريب والتباعد والصدقية وسائر مقامات الولاية ودرجات المخالفة إنعاش ما أخذ شرعية وأحكام نبوية وكيف يتصور مخاطبة العقلاء الجادات والمخاطبة الجادات والمخاطبة الجادات وبماذا تسمع تلك المخاطبة أبحاسة الأذان أم بسمع القلب وما الفرق بين القلم المحسوس والقلم الإلهي وما حد عالم الملك وعالم الجبروت وحد عالم الملكوت وما معنى أن الله تعالى خلق آدم

بعلماء الآخرة فإن الجاه أضر من السال ولذلك قال بشر حدثنا باب من أبواب الدنيا فإذا سمعت الرجل يقول حدثنا فأنما يقول أو سعو لي وقد فن بشر بن الحرث بضعة عشر ما بين قطرة وقوصرة من الكتب وكان يقول أنا أشبه أن أحدث ولو ذهبت عن شهوة الحديث لحدثت وقال هو وغيره إذا اشتيت أن نحدث فاسكت فإذا لم تشته تحدث وهذا لأن التلذذ بمجاهد الآفاد ومنصب الارشاد أعظم لقمة من كل تنعم في الدنيا فمن أجاب شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا ولذلك قال الثوري فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والسال والولد وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين ﷺ - ولولأن نبتك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا - وقال سهل رحمه الله العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء إلا الاخلاص وقال الناس كلهم موفى إلا العلماء والعلماء سكارى إلا العالمين والعاملون كلهم مغرورون إلا المخلصين والمخلص على وجل حتى يدري ماذا يختم له به وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا وإنما أراد به طلب الأسانيد العالية أو طلب الحديث الذي لا يحتاج إليه في طلب الآخرة وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه وكيف يكون من أهل العلم من بطلب الكلام ليخبر به لا يعمل به وقال صالح بن كيسان البصري أدركت الشيوخ وهم يتعبدون بالله من الفاجر العالم بالسنة وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من طلب علما مما ينفعي به وجه الله تعالى ليصيب به همضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة ^(١) » وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهدة قال عز وجل في علماء الدنيا - وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبهوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا - وقال تعالى في علماء الآخرة - وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم - وقال بعض السلف العلماء بمشرون في زمرة الأنبياء والقيامة يمشرون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصد طلب الدنيا بعلمه وروى أبو الدرداء رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « أوحى الله عز وجل إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسدوك الكباش وقلوبهم كغلوب الذئب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أعمى من الصبر إياي يخادعون وبني يستهزئون لأتبعن لهم فتنة تذر الحليم حيران ^(٢) » وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « علماء هذه الأمة رجلان رجل آتاه الله علما قبله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلى عليه طير السماء وحيثان الماء ودواب الأرض والسكرام السكاكين يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيذا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما في الدنيا ففطن به على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يأتي يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادى مناد على رؤوس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علما في الدنيا ففطن به على عباد الله وأخذ به طمعا واشترى به ثمنا فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس ^(٣) » وأشد من هذا ما روي أن رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثني موسى صلى الله عليه وسلم أني سمعت الله يقول حدثني موسى عليه السلام ففعل موسى عليه السلام فجعل يسأل عنه ولا يحس له خبرا حتى جاءه رجل ذات يوم

(١) حديث أبي هريرة من طلب علما مما ينفعي به وجه الله ليصيب به همضا الحديث أبو داود وابن ماجه بإسناد جيد (٢) حديث أبي الدرداء أوحى الله إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين الحديث ابن عبد البر بإسناد ضعيف (٣) حديث ابن عباس علماء هذه الأمة رجلان الحديث الطبراني في الأوسط بإسناد ضعيف .

وفي يده خنزير وفي عنقه جبل أسود فقال له موسى عليه السلام أتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يارب أسألك أن تردّه إلى حاله حتى أسألهم أصابهم هذا فأوحى الله عز وجل إليه لودعوتني بالقي دعائي به آدم فمن دونه ما أجبته فيه ولكن أخبرك لم صنعت هذا به لأنه كان يطلب الدنيا بالدين . وأغلظ من هذا ما روى معاذ بن جبل رضي الله عنه موقوفا ومرفوعا في رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من فتنه العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع »^(١) وفي الكلام تعميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفي الصحة سلامة وعلم ومن العلماء من يحزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك في الدرك الأول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان إن رد عليه شيء من علمه أو نهوون بشيء من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرق واليسار ولا يرى أهل الحاجة أهلا فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفناء فيفنى بالخطأ والله تعالى يخضع للتكفين فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يشكهم بكلام اليهود والنصارى ليغزو به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلا وذكر في الناس فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وإن وعظ أنف فذلك في الدرك السابع من النار فليكن يا أخى بالصمت به قلب الشيطان وإياك أن تضحك من غير محب أو تضحى في غير أرب وفي خبر آخر « إن العبد لينثر له من الثناء ما يملأ ما بين الشرق والغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة »^(٢) وروى أن الحسن حمل إليه رجل من خراسان كيسا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البر وقال يا أبا سعيد هذه فقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله تعالى ضم إليك ثقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له وعن جابر رضي الله عنه موقوفا ومرفوعا قال قال رسول الله ﷺ « لا تجلسوا عند كل عالم إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس من الشك إلى اليقين ومن الرياء إلى الاخلاص ومن الرغبة إلى الزهد ومن الكبر إلى التواضع ومن العداوة إلى النصيحة »^(٣) قال تعالى - فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه قدوة عظيمة وقال الذين أوتوا العلم وبلغكم ثواب الله خير لمن آمن - الآية ، عرف أهل العلم بإخبار الآخرة على الدنيا . ومنها أن لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو أول عامل به . قال الله تعالى - أئامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم - وقال تعالى - كبر مقتا عند الله أن تقولوا لا اتصلون - وقال تعالى في قصة شعيب - وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه - وقال تعالى - واتقوا الله ويحكمكم الله - وقال تعالى - واتقوا الله واعلموا - واتقوا الله واسموا - وقال تعالى ليسى عليه السلام « يا ابن مريم عظ نفسك فان اعطت فنظ الناس والإفاستحي مني » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بي بأقوام تفرض شفاههم بمقاريض من نار قفلت من أثم فقالوا كئنا نأمر بالخير ولا نأتيه ونهى عن الشر ونأتيه »^(٤) وقال

(١) حديث معاذ من فتنه العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع الحديث أبو نعيم وابن الجوزي في الموضوعات (٢) حديث إن العبد لينثر له من الثناء ما يزن عند الله جناح بعوضة إجماعه هكذا في الصحيحين من حديث أبي هريرة إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة (٣) حديث جابر لا تجلسوا عند كل عالم إلى عالم الحديث أبو نعيم في الحلية وابن الجوزي في الموضوعات (٤) حديث مررت ليلة أسرى بي بأقوام تفرض شفاههم بمقاريض من نار الحديث ابن حبان من حديث أنس

على صورته وما الفرق بين الصورة الظاهرة التي يكون محتسدا منها منزها مجللا وما معنى الطريق في فانك بالوادي القدس طوى ولعله يغدادا وأصفهان أو نيسابور أو طبرستان في غير الوادي الذي صنع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى وما معنى فاستمع بسم قليل لما يوحى وهل يكون صامع القلب بغير سره وكيف يسمع لما يوحى من ليس بنبي ذلك على طريق التعميم أم على سبيل التخصيص ومن له بالتعلق إلى مثل ذلك اللقاع حتى يسمع أسرار الآله وإن كان على سبيل التخصيص والنبوة ليست محجورة على أحد إلا على من قصر عن سلوك تلك الطريق وما يسمع في النداء إذا سمع هل أسمع موسى أو أسمع نبيه وما معنى الأمر للسالك بالرجوع من عالم القدرة ونهيه عن أن يتخطى رقاب الصديقين وما الذي

أوصله إلى مقامهم وهو في المرتبة الثالثة وهي توحيد القرين وما معنى انصراف السالك بعد وصوله إلى ذلك الرفيق وإلى أين وجهته في الانصراف وكيف صفة انصرافه وما الذي يمنه من البقاء في اللوضع الذي وصل إليه وهو أرفع من الذي خلفه وأين هذا من قول أبي سليمان الداراني المذكور في غير الإحياء لو وصلوا مارجعوا ما وصل من رجع وما معنى بأن ليس في الإمكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيباً ولا أكمل صنماً ولو كان وادخره مع القدرة عليه كان ذلك بخسلاً يناقض الجود وعجزاً يناقض القدرة الإلهية وما حكم هذه العلوم للكونية هل طلبها فرض ومندوب إليه أو غير ذلك ولم كسب المشكل من الألفاظ والغزمن العبارات وإن جاز ذلك للشارع فيما له أن يخبر به ويمتنع فيما يال من ليس شارا

صلى الله عليه وسلم « هلاك أمتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الثرثار شرار العلماء وخير الخياريار العلماء (١) » وقال الأوزاعي رحمه الله شككت التواويس ما تجدد من ثمن جيف الكفار فأوحى الله إليهما بطون علماء السوء أنتن مما أنتن فيه وقال الفضيل بن عياض رحمه الله بلغني أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبي يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديكم وتعليمكم فيقولون إنما كنا نأمر بالخير ولا نفعله وتنبى عن الثرثرة وتعلمه وقال حاتم الأصم رحمه الله ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علماً فعملوا به ولم يعمل هو به فقاؤوا بسببه وهلك هو وقال مالك ابن دينار إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا وأنشدوا :

يا واعظ الناس قد أصبحت منهم إذ عيت منهم أمورا أنت تأتينا

أصبحت تصحبهم بالوعظ مجتهداً فالووقات لسمري أنت جانبا

تصيب دنيا وناساً راغبين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال آخر : لانتبه عن خلق وتأتى مشبه عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله مررت بعمر بن الخطاب مكتوب عليه اقلبي تعتبر قلبه فإذا عليه مكتوب أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم وقال ابن الهالك رحمه الله كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جرى على الله وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله وكم من داع إلى الله فار من الله وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله لقد أعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في أعمالنا فلم نهرب وقال الأوزاعي إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال حدثني عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كنا ندرس العلم في مسجد بقاء إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعلموا (٢) » وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فانقضت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضح الله تعالى يوم القيامة على رءوس الأشهاد وقال مجاز رحمه الله احذروا زلة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيتمونه على زلته وقال عمر رضي الله عنه إذا زل العالم زل بزلة عالم من الخلق وقال عمر رضي الله عنه ثلاث بهن يهدم الزمان إحداهن زلة العالم وقال ابن مسعود سيأتي على الناس زمان تملح فيه غدوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ. عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباغ من ذوات اللع ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها غدوبة وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطنى مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه غشى الله بلسانه والقجور ظاهر في عمله فما أخضب الألسن يومئذ وما أجذب القلوب فوالله الذي لا إله إلا هو ما ذلك إلا لأن العالمين علموا لغير الله تعالى والمعلمين تعلموا لغير الله تعالى وفي التوراة والإنجيل مكتوب

(١) حديث هلاك أمتي عالم فاجر وشر الثرثار شرار العلماء الحديث الدارمي من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلًا بآخر الحديث نحوه وقد تقدم ولم أجده صدر الحديث (٢) حديث عبد الرحمن بن غنم عن عشرة من الصحابة تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا لعلقه ابن عبد البر وأسنده ابن عدي وأبو نعيم والخطيب في كتاب اقتضاء العلم للعمل من حديث معاذ فقط بسند ضعيف ورواه الدارمي موقوفاً على معاذ بسند صحيح .

لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعلموا ما علمتم وقال حذيفة رضي الله عنه إنكم في زمان من ترك فيه عثم ما يعلم هلك وسيأتي زمان من عمل فيه بشر ما يعلم نجا وذلك لكثرة البطالين . واعلم أن مثل العالم المشاقي والقاضي وقد قال صلى الله عليه وسلم « القضاء ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قضى بالجهل وهو يعلم أو لا يعلم فهو في النار وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو في النار » (١) وقال كعب رحمه الله يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون الناس ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ويؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بألسنتهم يقربون الأغنياء دون الفقراء يتبايرون على العلم كاتتفاير النساء على الرجال ينضب أحدهم على جلسيه إذا جالس غيره أولئك الجباروا أعداء الرحمن وقال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم قيل يا رسول الله وكيف ذلك قال صلى الله عليه وسلم يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال العلم قائلاً وللعمل مسو حتى يموت وما عمل » (٢) وقال سري السقطي اعزل رجل للتبذ كان حرصاً على طلب علم الظاهر فسأله فقال رأيت في النوم قائلاً يقول لي إلى كم تضع العلم ضيمك الله فقلت إنى لأحفظه فقال حفظ العلم العمل فتركت الطلب وأقبلت على العمل وقال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية وقال الحسن تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فإن السفهاء همهم الرواية والعلماء همهم الرعاية وقال مالك رحمه الله إن طلب العلم لحسن وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فلا تؤثرن عليه شيئاً وقال ابن مسعود رضي الله عنه أنزل القرآن ليعمل به فأنخذتم دراسته عملاً وسيأتي قوم يتفوقونه مثل القاة ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمرضى الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف للأدواء ولا يجدها وفي مثله قوله تعالى - ولكم الويل مما تصفون - وفي الخبر « مما أخاف على أمتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن » (٣) ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة للرغب في الطاعات مجتنباً للعلوم التي يقل نعمها ويكثر فيها الجدل والقليل والقيل والقيل فمثال من يمرض عن علم الأعمال ويشغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيباً حاذقاً في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والأدوية وغرائب الطب وترك مهمه الذي هو مؤاخذ به وذلك محض السفه وقد روى « أن رجلاً جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب العلم فقال له ما صنعت في رأس العلم فقال ومارأى العلم قال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الرب تعالى قال نعم قال فما صنعت في حقه قال ما شاء الله فقال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الموت قال نعم قال فما أعددت له قال ما شاء الله قال صلى الله عليه وسلم اذهب فأحكم ما هناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم » (٤) بل ينبغي أن يكون التعلم من جنس ما روى عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البخاري رضي الله عنهما أنه قال له شقيق منذ كم صحبتني قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت مني في هذه اللدة قال ثمان مسائل قال شقيق له إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب حمري معك ولم تتعلم إلا ثمان مسائل قال يا أستاذ لم أتعلم غيرها وإني لأحب أن أكذب فقال هات هذه الثمان مسائل حتى أجمعها قال حاتم نظرت إلى هذا الخلق

- (١) حديث القضاء ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وهو صحيح (٢) حديث إن الشيطان ربما سبقكم بالعلم الحديث في الجامع من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث مما أخاف على أمتي زلة عالم الحديث الطبراني من حديث أبي الدرداء وابن حبان نحوه من حديث عمران بن حصين (٤) حديث أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب العلم الحديث ابن السني وأبو نعيم في كتاب الرياضة لهما وابن عبد البر من حديث عبد الله بن السور مرسل وهو ضعيف جداً .

انتهى جملة مراسم الأسئلة في التل فأسأل الله تعالى أن يعلى علينا ما هو الحق عنده في ذلك وأن يجري على ألسنتنا ما يستضاء به في ظلمات المسالك وأن يعم بنعمه أهل البادية والدارك ثم لا بد أن أهد مقدمة وأؤكد قاعدة وأؤكد وصية . أما المقدمة فالعرض بهاتين عبارات انفرد بها أرباب الطريق تعمق معانيها على أهل القصور فنذكر ما يضمن منها ونذكر للقصد بها عندهم فرب وافق على ما يكون من كلامنا مختصاً بهذا الفن في هذا وغيره فيتوقف عليه فهم معناه من جهة اللفظ وأما القاعدة فنذكر فيها الاسم الذي يكون سلوكنا في هذه العلوم عليه والسمت الذي ننوي بمقصدنا إليه ليكون ذلك أقرب على التأمّل وأسهل على الناظر للفهم وأما الوصية فنقصد فيها تعريف ما على من نظر في كلام الناس وأخذ

فرايت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه إلى القبر فاذا وصل إلى القبر فارقته فجعلت الحسرات محبوبا فاذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال أحسنت يا حاتم لما الثانية فقال نظرت في قول الله عز وجل - وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي الأولى - فطلعت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى الثالثة أتت نظرت إلى هذا الخلق فرايت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعة وحفظه ثم نظرت إلى قول الله عز وجل - ما عندكم ينفد وما عند الله باق - فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليقى عنده عفو ظا الرابعة أتت نظرت إلى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فاذا هي لاشئ ثم نظرت إلى قول الله تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - فسلمت في التقوى حتى أكون عند الله كريما الخامسة أتت نظرت إلى هذا الخلق وهم يطمعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا وأسل هذا كله الحسد ثم نظرت إلى قول الله عز وجل - نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا - فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عني السادسة نظرت إلى هذا الخلق ينفي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت إلى قول الله عز وجل - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا - فهاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي فتركت عداوة الخلق غيره السابعة نظرت إلى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيقل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل لهم ثم نظرت إلى قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - فسلمت أتت واحد من هذه الدواب التي على الأرض فاشتلت بما لله تعالى على وتركت مالي عنده الثامنة نظرت إلى هذا الخلق فرايتهم كلهم متوكلين على مخلوق هذا على منيته وهذا على تجارتهم وهذا على صناعته وهذا على حمة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت إلى قوله تعالى - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - فوكلت على الله عز وجل فهو حسبي . قال شقيق يا حاتم وقتك الله تعالى فأتت نظرت في علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة فهذا الفن من العلم لا يهتم بأدراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون أسئال هذه العلوم التي بعث الله بها الأنبياء كلهم عليهم السلام وقال الضحاك بن مزاحم أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع وهم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام . ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفه في الطعام والشرب والتمتع في اللبس والتجمل في الأثاث والمساكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ويميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك وكلما زاد إلى طرف القلة ماله ازداد من الله قربا وارتفع في علماء الآخرة حزه . ويشهد لذلك ما حكى عن أبي عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم قال دخلت مع حاتم إلى الري ومنا ثلثمائة وعشرون رجلا يريد الحج وعليهم الزرماشات وليس معهم جراب ولا طمام فدخلنا في رجل من التجار متعشف بحب الساكنين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم ألك حاجة فإني أريد أن أعود فقبحا لنا هو عليل قال حاتم عبادة المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضا أجيء معك وكان الليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا إلى الباب فاذا قصر مشرف حسن فبقى حاتم متعكرا يقول باب عالم على هنما لحالة ثم أذن لهم فدخلوا فاذا دار حسناء فورا واسعة ترهة وإذا بزة وستور فبقى حاتم متفكرا ثم دخلوا إلى المجلس القوي هو فيه وإذا بغرس وطيفة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام ويده مذبذبة تعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس فقال لا اجلس فقال لعلك حاجة

فقال نعم قال وما هي قال مسئلة أسألك عنها قال صلى قال ثم فاستو جالسا حتى أسألك فاستو جالسا قال حاتم علمك هذا من أين أخذه فقال من الثقات حدثوني به قال عمن قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل قال حاتم ضيا أداه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأداه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وأصحابه إلى الثقات وأداه الثقات إليك هل سمعت فيه من كان في داره إشراف وكانت سعتها أكثر كان له عند الله عز وجل للنزلة أكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت أنه من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب للساكنين وقدم لآخرته كانت له عند الله للنزلة قال له حاتم فانت بمن اتدبت أبا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم والصالحين رحمهم الله أم بفرعون ونمرود أول من بنى بالجنس والأجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل للتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة أفلا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ أهل الري ماجرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له إن الطنافس يهزون أكثر توسعا منه فصار حاتم متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أجهى أحب أن تعلمني ميسدا ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات إناء فيه ماء فأنى به قعد الطنافس فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضأ فقال حاتم مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكدا لما أريد قدام الطنافس وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعين أربعين فقال الطنافس يا هذا أسرفت قال له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعيك أربعين فقال حاتم يا سبحان الله العظيم أنا في كف من ماء أسرفت وانت في جميع هذا كله لم تسرف فقل الطنافس أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين يوما فلما دخل حاتم بنسداد اجتمع إليه أهل بنسداد فقالوا يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن أجهى وليس يكلمك أحد إلا قطعتة قال معي ثلاث خصال أظهر بهن على خصمي أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسي أن لا أجعل عليه قبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال سبحان الله ما أعقله قوموا بنا إليه فلما دخلوا عليه قال له يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى تكون معك أربع خصال تفقر للقوم جهلهم وتمنع جهلك منهم تبذل لهم شيئا وتكون من شيتهم آيسا فإذا كنت هكذا سلمت ، ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال يا قوم أية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصلى فيه قالوا ما كان له قصر إنما كان له بيت لا طيء بالأرض قال فأين قصور أصحابه رضي الله عنهم قالوا ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لا طعة بالأرض قال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون قال الوالي ولم ذلك قال حاتم لا تسجل على أنا رجل أجهى فرب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت فأين قصره وقص القصة ، ثم قال وقد قال الله تعالى - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة - فأنتم بمن تأسيتم أب رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفرعون أول من بنى بالجنس والأجر غفلوا عنه وتركوه . فهذه حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى وسياي من سيرة السلف في البتة وترك التجمل ما يشهد لذلك في مواضعه

إلا أن يكون ذلك بالانفاق من غير قصد وتكون المشاركة إذا انضمت إما في صورة اللفظ دون المعنى أو في المعنى وصورة اللفظ جميعا وهذا يعرف من بحث عن مجازي الألفاظ عند الجمهور وأرباب الصنائع وإنما سمينا من العلوم صنائع ما قصد فيها التصنع بالترتيب في التقييم واختيار لفظ دون غيره وحده بطرفين ميسدا وغاية وما لم يكن كذلك فلا نسميه صناعة كعلوم الأنبياء صلوات الله عليهم والصحابة رضي الله عنهم فانهم لم يكونوا فيها عندهم من العلم على طريق من بعدهم ولا كانت العلوم عندهم بالرسم الذي هو عند من خلفهم ومثل ذلك علوم العرب ولسانها لانسبها عندهم صناعة ونسبها بذلك عند ضبطها بما اشهر من القوانين وتقرر من الحصر والترتيب ولأرباب العلوم الروحانية وأهل الاشارات إلى الحقائق

والمسكين بالسادة
والمقربين بالصوفية
والمشبهين بالفقراء
والمعروفين بالرقعة
والمعزى إليهم العلم
والعمل ألقاظ جرى
رسمهم بالتخاطب بها
فبما يتداحكرون أو
يذكرونه ونحن إن
شاء الله نذكر ما يعض
منها إذ قد يقع منا
عند ما نذكر شيئا من
علومهم ونشير إلى
غرض من أغراضهم
فلم تر أن يكون ذلك
بغير ما عرف من
ألقاظهم وعباراتهم
ولا حرج في ذلك عقلا
وشرعا ونحن بحكم
مصرف التقدير وهو
على كل شيء قدبر فمن
ذلك السفر والسالك
والمسافر والحال والمقام
والمسكان والتسطح
والطوالع والتهاب
والنفس والسرو والوصل
والفصل والأدب
والرياضة والتجلى
والتخلى والتجلى والملة
والانزعاج والشاهدة
والمكاشفة والأنواع
والتلون والغيرة والحرية
واللطيفة والفتوح
والوسم والرسم والبسط

والتحقيق فيه أن الزين بالمباح ليس بحرام ولكن الحوض فيه يوجب الأنس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا يمكن إلا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من الداهنة ومراعاة الحلق ومراءاتهم وأمر أخرى هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لأن من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبثولة مع الحوض فيها لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم (١) ونزع خاتم الذهب في أثناء الخطبة (٢) إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه . وقد حكى أن يحيى بن يزيد النوفلي كتب إلى مالك بن أنس رضى الله عنها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد في الأولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس أما بعد فقد بلغت أنك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطى . ونعمل على بابك حاجيا وقد جلست مجلس العلم وقد ضربت إليك المنطى . وارحله إليك الناس واتخذوك إماما ورضوا بقولك فاتق الله تعالى يا مالك وعليك بالتواضع كتبت إليك بالنصيحة منى كتابا ما طلع عليه غير اقتسبحانه وتعالى والسلام ، فكتب إليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد سلام الله عليك . أما بعد فقد وصل إلى كتابك فوق منى موقع النصيحة والشقة والأدب أمتك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا وأسأل الله تعالى التوفيق والاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فأما ما ذكرت لي أنى أكل الرقاق وألبس الدقاق وأحتجب وأجلس على الوطى فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى قد قال الله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق - وأنا لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك قلنا ندعك من كتابنا والسلام . فانظر إلى إنصاف مالك إذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه وأقضى بأنه مباح وقد صدق فيها جميعا ومثل مالك في منصبه إذا سمحت نفسه بالإنصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى أيضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يعمل ذلك على المراءاة والمداينة والتجاوز إلى المكروهات ، وأما غيره فلا يقدر عليه فالترجى على التتم بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والحشية وخاصة علماء الله تعالى الحشية وخاصة الحشية التابعة من مظان الخطر . ومنها أن يكون مستقصيا عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة مادام يبعد إلى الفرار عنهم سيلا بل ينبغي أن يحترز عن مخالطهم وإن جاءوا إليه فإن الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة ويجب على كل متدين الإنكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتضييق قلوبهم فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى نجملهم فيزدرى نعمة الله عليه أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهنا لهم أو يتكلف في كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو الهت الصريح أو أن يطمع في أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الادرار والجواز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشروع وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط . وقد قال صلى الله عليه وسلم « من بدا جفا » حتى من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان اختن (٣) « وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون عليكم أمراء

(١) حديث نزع القميص العلم متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث نزع الخاتم الذهب في أثناء الخطبة متفق عليه من حديث ابن عمر .

(٣) حديث من بدا جفا الحديث أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث ابن عباس

تعرفون منهم وتذكرون فمن أنكر فقد برى ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع أمته
الله تعالى قبل أقل عاتلهم قال صلى الله عليه وسلم لا ماصلا (١) وقال سيفان في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء
الزأرون للملوك وقال حذيفة إياكم ومواقف الفتن قبل وماي ؟ قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على
الأمير فيصدق بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه وقال رسول الله ﷺ «العلماء أمناء الرسل على عباد
الله تعالى ما لم يخالفوا السلاطين فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم» (٢) رواه
أنس ، وقيل للأعمش لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذه عنك فقال لا تصجلوا ثلث يموتون قبل
الادراك وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يخلص منه إلا القليل ولذلك
قال سعيد بن المسيب رحمه الله إذا رأيتم العالم ينشئ الأمراء فاحذروا منه فإنه لن وقال الأوزاعي
ما من شيء أبقض إلى الله تعالى من عالم يزور عملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شرار
العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء» (٣) وقال مكحول الدمشقي رحمه
الله من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تعلقا إليه وطعما فبأ لدية خاض في بحر من نار
جهنم بعدد خطاه وقال سمعون ما أصبح بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيشعل عنه فيقال هو عند
الأمير قال وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك إذ
مادخلت قط على هذا السلطان إلا وحاصبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك وأنت ترون ما ألقاه
به من الغلظة والمظاظة وكثرة الخالصة لهواه ولوددت أن أنجو من الدخول عليه كذا فاق مع أني
لا أخذه منه شيئا ولا أشرب له شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني إسرائيل يخبرون
السلطان بالرخس وبما يوافق هواه ولو أخبروه بالبدى عليه وفيه نجاته لاستقلهم وكره دخولهم عليه
وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الاسلام وصحبة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك عن أبي وقاص رضى الله عنه قال
وكان لا ينشئ السلاطين وينفر عنهم فقال له بنوه يأتى هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم
في الاسلام فلو أتيتهم فقال يابى آتى جيفة قد أحاط بها قوم والله لئن استطعت لأشركهم فيها . قالوا
يا أبانا إذن نهلك هزلا قال يابى لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلى من أن أموت منافقا ممينا
قال الحسن حصمهم والله إذا علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان وفي هذا إشارة إلى
أن الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للإيمان وقال أبوذر لسلمة ياسلمة لا تقش
أبواب السلاطين فانك لا تصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه وهذه فتنة عظيمة
للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لاسيما من له هجة مقبولة وكلام حلو إذ لا يزال الشيطان يلقى إليه
أن في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقم شعائر الشرع إلى أن يحيل إليه أن
الدخول عليهم من الدين ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف في الكلام ويداهن ويغوص في التناء
والإطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا فإذا
قدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا وكشف عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الحسن : أما بعد فأشر على أتوام

- (١) حديث سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتذكرون الحديث مسلم من حديث أم سلمة
(٢) حديث أنس العلماء أمناء الرسل على عباد الله الحديث العقيلي في الضعفاء وذكره ابن الجوزي
في الموضوعات (٣) حديث شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء ابن
ماجة بالشر الأول نحوه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

والقيس والقناء والبقاء
والجمع والتفرقة وعين
التعلم والزوائد والارادة
والمريد والمراد والهمة
والقربة والمصكر
والاصطلام والرجبة
والرهبة والوجد
والوجود والتواجد
فذكر شرح هذه على
أوجز ما يمكن بمشيئة
الله تعالى وإن كانت
الفاظهم المصرفة
بينهم في علومهم
أكثر مما ذكرنا
فانما قصدنا أن نريك
منها أحوذا ودستورا
تسلم به إذا طرأ
عليك عالم تذكره
لشعبها إذ لها بحث
والها سبيل فتطلبه
بعد ذلك على وجه
(فأما السخر والطريق)
فالمراد بها أسرار القاب
بالأفكر في طريق
العقولات وعلى ذلك
اتفق لفظ السالك
والسافر في لغتهم ولم
يريد بذلك سلوك
الأقدام التي بها يقطع
مسافات الأجسام فان
ذلك مما شاركه فيه
البهائم والأنعام وأول
مسالك السفر إلى الله
تعالى عز وجل معرفة

قواعد الشرع وخرق
حجب الأمر والنهي
وتعلق الغرض فيها
وللرأى بها ومنها فاذا
خلفوا وانواحيها وقطعوا
معاظنها أشرفوا على
مفاوز أوسع وبرزت
لهم مهامه أعرض
وأطول من ذلك معرفة
أركان المعارف النبوية
النفس والعدو والدنيا
فاذا تخلصوا من
أوعارها أشرفوا على
غيرها أعظم منها في
الانتساب وأعرض
بغير حساب من ذلك
سرّ القدر وكيف خفي
بحكم في الخلائق وقادهم
بلطف في عفو وشدة
في لين وبقوة في ضعف
وباختيار في جبر إلى
ما هو في مجاريه لا يخرج
الخائفون عنه طريقة
عين ولا يتقدمون
ولا يتأخرون عنه
والإشراف على
الملوك الأعظم
ورؤية عجائب ومشاهدة
غرائب مثل العلم
الإلهي والروح المحفوظ
واليمين الكاتبة
وملائكة الله يطوفون
حول العرش والبيت
المعزوم وهم يسبحونه

أستعين بهم على أمر الله تعالى فكتب إليه أما هذا الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا فلن تريدكم ولكن عليك بالأشراف فانهم يصونون شرفهم أن يدنسوا بالحياة هذا في عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان أزهدهم زمانه فاذا كان شرط أهل الدين الحرب منه فكيف يستنسب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وإبراهيم بن آدم ويوسف بن أسباط يتكلمون في علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما ليظهر إلى الدنيا وإما لخاطبتهم السلاطين . ومنها أن لا يكون مسارعا إلى الفتيا بل يكون متوقفا ومعتزرا ما وجد إلى الخلاص سبيلا فان مثل عما يمله تحقيقا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو لإجماع أو قياس جلي أفق وإن مثل ما يشك فيه قال لأدري وإن مثل مما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان في غيره غيبة هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر « العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري (١) » قال الشافعي لأدري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله تعالى فليس بأقل أجرا من نطق لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس فكذا كانت طاعة الصحابة والسلف رضي الله عنهم كان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال اذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمور الناس فضعها في عنقه وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن الذي يخفى الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا أدري فان أخطأها فقد أصيبت دقاته وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله ليس شيء أشد على الشيطان من عالم يتكلم به لم ويسكت به لم يقول انظروا إلى هذا سكوت أشد على من كلامه ووصف بعضهم الأبدال فقال أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة أي لا يتكلمون حتى يسألوا وإذا سئلوا ووجدوا من يكلمهم سكتوا فان انظروا أجابوا وكانوا يصدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومصر على وجه الله رضي الله عنهما رجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول امضوا وقال بعضهم إنما العالم الذي إذا سئل عن المسئلة فكأنما يقطع ضرره وكان ابن عمر يقول تريدون أن تجعلوا نجسرا تعبرون علينا إلى جهنم وقال أبو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت وكان إبراهيم التيمي إذا سئل عن مسألة يتكى ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم إلى وكان أبو المالكة الرياحي وإبراهيم بن آدم والثوري يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسر فاذا كثروا انصرفوا وقال صلى الله عليه وسلم « ما أدري أعزير بني أم لا وما أدري أتبع ملعون أم لا وما أدري ذو القرنين بني أم لا (٢) » ولما سئل رسول الله ﷺ عن خير البقاع في الأرض وشربها قال لا أدري حتى نزل عليه جبريل عليه السلام فسأله فقال لا أدري إلى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد وشربها الأسواق (٣) وكان ابن عمر رضي الله عنهما يسئل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع وكان ابن عباس رضي الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء من يقول لا أدري أكثر ممن يقول أدري منهم سفيان الثوري ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفضيل ابن عياض وبشر بن الحرث وقال عبد الرحمن بن أبي ليل أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم أحد يسئل عن حديث أو فتيا إلا ود أن أخاه كفاء ذلك (١) حديث العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري الخطيب في أسماء من روى عن مالك موقوفا على ابن عمر ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مع اختلاف وقد تقدم (٢) حديث ما أدري أعزير بني أم لا الحديث أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة (٣) حديث لما سئل عن خير البقاع وشربها قال لا أدري حتى نزل جبريل الحديث أحمد وأبو يعلى والبخاري والحاكم وصححه ونحوه من حديث ابن عمر .

وفي لفظ آخر كانت السئلة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر ويردها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأول . وروى أن أصحاب الصفة أهدى إلى واحد منهم رأس مشوى وهو في غاية الضر فأهداه إلى الآخر . وأهداه الآخر إلى الآخر هكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأول فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار للهروب منه مطلوباً والمطلوب مهروباً منه وشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ما روى مسنداً عن بعضهم أنه قال لا يغنى الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو منسكف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء الإمامة والوصية والودعة والفتيا وقال بعضهم كان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علماً وأشدهم دفعا لها أروعهم وكان شغل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في خمسة أشياء قراءة القرآن وعمارة للمسجد وذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة أمور معروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى (١) » وقال تعالى - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - الآية ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأي من أهل الكوفة في المنام فقال ما رأيت فيما كنت عليه من الفتيا والرأي فكره وجهه وأعرض عنه وقال ما وجدناه شيئاً وما حمدنا عاقبته وقال ابن حنبل إن أحدهم ليفق في مسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر فلم يزل السكوت دأب أهل العلم إلا عند الضرورة . وفي الحديث « إذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتاً وزهداً فاقربوا منه فإنه يلقن الحكمة (٢) » وقيل العالم إما عالم عامة وهو الفقيه وهم أصحاب السلاطين أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب وهم أصحاب الروايات المتفرقون المتفردون وكان يقال مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل أحد يتعرف منها ومثل بشر بن الحارث مثل برء عذبة مغطاة لا يقصدها إلا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان منكم وفلان أكثر كلاماً وفلان أكثر عملاً وقال أبو سليمان المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام وقيل إذا كثر العلم قل الكلام وإذا كثر الكلام قل العلم وكتب سليمان إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما وكان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) : يا أخى بلغنى أنك قدمت طيباً تتدوى المرضي فانظر فإن كنت طيباً فكلهم فان كلامك شفاء وإن كنت متطيباً فإله لا يقتل مسلماً فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل وكان أنس رضي الله عنه إذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا سئل يقول سلوا حارثة بن زيد وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول سلوا سعيد بن المسيب . وحكى أنه روى محابى في حضرة الحسن عشرين حديثاً فمثل عن تفسيرها فقال ما عندي إلا ما رويت فأخذ الحسن في تفسيرها حديثاً حديثاً فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه فأخذ الصحابي كفا من حصى ورماه به وقال سألتونى عن العلم وهذا الخبر بين أظهركم . ومنها أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تنفضى إلى الشاهدة ودقائق علوم القلب تنفجر بها ينابيع الحكمة من القلب وأما الكتب والتعليم فلا تنفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والمد إنما تفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال

(١) حديث كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث أم حبيبة قال الترمذى حديث غريب (٢) حديث إذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتاً وزهداً الحديث ابن ماجه من حديث ابن خلد باسناد ضعيف (٣) حديث مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء البخارى من حديث أبي حنيفة .

ويقدسونه وفهم كلام
المخلوقات من الحيوانات
والجمادات ثم التخطى
منها إلى معرفة الخالق
المسكول والمالك لجميع
والقادر على كل شيء
فتشاهم الأنوار المحرقة
ويتجلى لمراة قلوبهم
الحقائق المحتجبة
فيظنون الصفات
ويشاهدون الوصف
ويحجبون حيث غاب
أهل الدعوى
ويصرون ماعى
عنه أولو الأبصار
الضعيفة بحجب الهوى .
والحال منزلة العبد في
الحين فيصفوه له في
الوقت حاله ووقته
وقبل هو ما يتحول
فيه العبد ويتغير بما
يورد على قلبه فإذا
صفا تارة وتغير أخرى
قليل له حال وقال بعضهم
الحال لا يزول فإذا زال
لم يكن حالاً . والقام
هو الذى يقوم به العبد
في الأوقات من أنواع
للعلامات وصنوف
المجاهدات ففى أقوم
العبد حتى منها على
التمام والكمال فهو
مقامه حتى ينتقل
منه إلى غيره

الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة والاشتغال إلى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف فكمن من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكمن من مقتصر على اللهم في التعلم ومتوقف على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الألباب وذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » (١) وفي بعض الكتب السالفة يابى إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به إلى الأرض ولا في تخوم الأرض من يصعبه ولا من وراء البحار من يعبر يأتي به ، العلم جمول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بأداب الروجانيين وتخلعوا إلى بأخلاق الصديقين أظهر العلم في قلوبكم حتى يضطيقكم ويغمركم وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا قوله تعالى - وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو - الآية ولولا أن إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال عليه السلام « استفت قلبك وإن أتوك وأتوك » وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى « لا يزال العبد يتقرب إلى بالتوافل حتى أحبه فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به » (٢) الحديث فكمن من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب للتجردين للذكر والفكر تغلو عنها كتب التفسير ولا يطلع عليها أفاضل القسرين وإذا انكشف ذلك للمريد للراقي وعرض على القسرين استحسنوه وعلوا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية واللطاف الله تعالى بالهمم العالية التوجهة إليه وكذلك في علوم للكاشفة وأسرار علوم للعامة ودقائق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وإنما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه وبه حسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال على رضى الله عنه في حديث طويل القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير والناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة ومهمج رعا ع أتباع لكل ناعق يملكون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا إلى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الإنفاق والمال ينقصه الإنفاق والعلم دين يدان به تكسب به الطاعة في حياته وجمل الأحداث بعد وفاته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة للمال تزول بزواله مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء أحياء باقون ما بقى الدهر ثم تنفس الصمداء وقال هاه إن ههنا علما جما لو وجدت له حيلة بل أجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيع نعم الله على أوليائه ويستظهر بحجته على خلقه أو متقادا لأهل الحق لكن ينزع الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا بسيرة له لاذا ولا ذاك أو منبوما بالذات سلس القياد في طلب الشهوات أو مغرى بجمع الأموال والادخار متقادا لمواه أقرب شهابهم الأنعام الساعة اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ثم لا تغلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مكشوف وإما خائف مقهور لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبياناته وكمن وأبن أولئك هم الأقلون عددا الأعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها من ورائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباثروا روح اليقين فاستلنا ما استوعر منه للترفون وأنسوا بما استوحش منه النافلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالهل الأعلى أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه وأمنائه وعماله في أرضه والدعاة إلى دينه ثم بكى وقال واشوقاه إلى رؤيتهم

(١) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه (٢) حديث لا يزال العبد يتقرب إلى بالتوافل حتى أحبه فإذا أحبته كنت له سمعا وبصرا متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ كنت سمعه وبصره وهو في الحلية كما ذكره للؤلؤ من حديث أنس بسند ضعيف.

والكان هو لأهل الكمال والتمسكين والنهاية فإذا كمل العبد في معانيه قد تمكن من الكان وغير القسامات والأحوال فيكون صاحب مكان كما قال بعضهم :

مكانك من قلبي هو القلب كله

فليس شيء فيه غيرك موضع

والشطح كلام يترجم به اللسان عن وجد.

يفيض عن معدته مقرون بالدعوى إلا أن يكون صاحبه محفوظا

والطوالع أنواع التوحيد يطلع على

قلوب أهل المعرفة شاعها فيطمس

سلطان نورها الألوان كما أن نور الشمس

يجو أنوار الكواكب والذهاب هو أن يغيب

القلب عن حس كل محسوس بمشاهدة

محبوبها . والنفس روح سلطه الله على

نار القلب ليطن في شمرها والنور ما خفى عن

الخلق فلا يعلم به إلا الحق وسر السر ما لا يحس

به السر . والسر ثلاثة

فهذا الذي ذكره أحيرا هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل والواظب على المجاهدة . ومنها أن يكون شديد العناية بقوة اليقين فإن اليقين هو رأس مال الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اليقين الإيمان كله ^(١) » فلا بد من تعلم علم اليقين أعني أوائله ثم يفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « تعلموا اليقين ^(٢) » ومناه جالسوا الوقتين واستمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كقوى يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم « لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال صلى الله عليه وسلم : مامن آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة ^(٣) » ولذلك قال ^(٤) « إن من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظهما لم يال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ^(٥) » وفي وصية لقمان لابنه يابى لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ إن للتوحيد نورا وللشرك ظلاما وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات الشركيين وأراد به اليقين وقد أشار الله تعالى في القرآن إلى ذكر الوقتين في مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات . فان قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه أولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمنيين مختلفين أما النظار والتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك إذ ميل النفس إلى التصديق بالشئ له أربع مقامات : الأول أن يستدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما إذا مثلت عن شخص معين أن الله تعالى يماجه أم لا وهو مجهول الحال عندك فان تشكك لا تميل إلى الحكم فيه بآثبات ولا نفي بل يستوى عندك إمكان الأمرين فيسمى هذا شكاً . الثاني أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بإمكان تقيضه ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول كما إذا مثلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بينه لومات على هذه الحالة هل يعاقب فان تشكك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فأنت تجوز اخفاء أمر موجب للعقاب في باطنه وسريته فهذا التجوز مساو لذلك الليل ولكنه غير دافع رجعائه فهذه الحالة تسمى ظناً . الثالث أن تميل النفس إلى التصديق بشئ بحيث يثلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأني النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع سرفة محقة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والإصغاء إلى التشكيك والتجوز اتسمت نفسه للتجوز وهذا يسمى اعتقاداً مقارناً لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها إذ ارسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى إن كل فرقة شق بصحة مذهبه وإصابة إمامها ومتبوعها ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نزع عن قبوله . الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فإذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقينا

(١) حديث اليقين الإيمان كله البيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود بإسناد حسن (٢) حديث تعلموا اليقين أبو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسل وهو مفضل ورواه ابن أبي الدنيا في اليقين من قول خالد بن معدان (٣) حديث قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب الترمذي الحكيم في النوادر من حديث أنس بإسناد مظلم (٤) حديث من أولى ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث لم أتف له على أصل وروى ابن عبد البر من حديث معاذ ما أنزل الله شيئا أقل من اليقين ولا قسم شيئا بين الناس أقل من العلم الحديث .

سر العلم وسر الحال
وسر الحقيقة وسر
العلم حقيقة العالمين
بالله عز وجل وسر
الحال معرفة مراد الله
في الحال من الله وسر
الحقيقة ما وقعت به
الإشارة . والوصل
إدراك الفات .
والفصل قوت ما ترجوه
من محبوبك . والأدب
ثلاثة : أدب الشريعة
وهو التعلق بأحكام
العلم بصحة عزم الحفصة
والثاني أدب الخدمة
وهو التمسك عن
العلامات والتجرد
من الملاحظات .
والثالث أدب الحق
وهو موافقة الحق
بالمعرفة . والرياضة
اثان رياضة الأدب
وهو الخروج عن
طبع النفس ورياضة
الطلب وهو صحة الراد
والتحلي التشبه
بأحوال الصادقين
بأحوال وإظهار
الأعمال . والتخلي
اختيار الخلو
والإعراض عن كل
ما يشغل عن الحق
والتجمل هو ما يكشف
لقلوب من أنوار

الغيوب والملة نفيه
عن الحق والارتجاع
اقتناء القلب من سنة
الغفلة والتحريك للأنس
والوحدة . وللشاهدة
ثلاثة مشاهدة بالحق
وهي رؤية الأشياء
بدلائل التوحيد
ومشاهدة للحق وهي
رؤية الحق في الأشياء
ومشاهدة الحق وهي
حقيقة اليقين
بلا رتاب . والمكاشفة
أتم من المشاهدة وهي
ثلاثة مكاشفة بالعلم
وهي تحقيق الأصابة
بالفهم ومكاشفة بالحال
وهي تحقيق رؤية
زيادة الحال ومكاشفة
بالتوحيد وهي تحقيق
صحة الإشارة . واللوائح
ما يلوح من الأسرار
الظاهرة الصافية من
السمو من حالة إلى
حالة أتم منها والارتقاء
من درجة إلى ما هو
أعلى منها . والتلويح
تلويح العبد في أحواله
وقالت طائفة علامة
الحقيقة رفع التلويح
بظهور الاستقامة
وقال آخرون علامة
الحقيقة التلويح

عند هؤلاء ومثاله أنه إذا قيل للماقل هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبدية لأن
القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فإنه يصدق بوجودهم بلحس وليس العلم بوجود شيء قديم
أزلى ضرورياً مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ومثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال
فإن هذا أيضاً ضروري غلق غريزة العقل أن تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال
والبدية ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقاً جزئياً ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد
وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له إن لم يكن في الوجود قديم
فالموجودات كلها حادثات فإن كانت كلها حادثات فهي حادثات بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال
فالمرادى إلى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لأن الأقسام ثلاثة وهي
أن تكون الموجودات كلها قديمة أو كلها حادثات أو بعضها قديم وبعضها حادثات فإن كانت كلها قديمة
قد حصل للطلوب إذ ثبت على الجملة قديم وإن كان الكل حادثاً فهو محال إذ يؤدي إلى حدوث غير
سبب فيثبت القسم الثالث أو الأول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقيناً عند هؤلاء سواء
حصل بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحس أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب أو بتواتر
كالعلم بوجود مكة أو تجربة كالعلم بأن السقمونيا للطبوع مسهل أو بدليل كما ذكرنا فشرط إطلاق
هذا الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لاشك فيه يسمى يقيناً عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين
بالضعف إذ لا تفاوت في نقي الشك . الاصطلاح الثاني اصطلاح الفقهاء والتصوف فأكثر العلماء وهو
أن لا يلتفت فيه إلى اعتبار التجويز والشك بل إلى استيلائه وغلبته على العقل حتى يقال فلان ضعيف
اليقين بالموت مع أنه لا شك فيه ويقال فلان قوي اليقين في إتيان الرزق مع أنه قد يجوز أنه لا يأتيه
فهمها مالت النفس إلى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو التحكم والتصرف
في النفس بالتجويز والنقص سمى ذلك يقيناً ولا شك في أن الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك
عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت إليه ولا إلى الاستعداد له وكأنه غير موقن به ، ومنهم من
استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يفادر فيه منسماً لغيره فيغير عن مثل
هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت
وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحو إنعازدنا يقولون إن من شأن علماء الآخرة
صرف العناية إلى تقوية اليقين بالمعنيين جميعاً وهو نقي الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون
هو الغالب للتحكم عليها للتصرف فيها فإذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا إن اليقين ينقسم ثلاثة
أقسام بالقوة والضعف والكثرة والقلة والخفاء والجلاء فأما بالقوة والضعف فلهذا الاصطلاح الثاني وذلك
في القلب والاستيلاء على القلب ودرجات معاني اليقين في القوة والضعف لا تنهاى وتفاوت الخلق في
الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني وأما التفاوت بالخفاء والجلاء في الاصطلاح الأول
فلا ينكر أيضاً ما فيها ينطرق إليه التجويز فلا ينكر ، أعنى الاصطلاح الثاني وفيما اتفق الشك أيضاً
عنه لا سبيل إلى إنكاره فإنك تدرك تفرقه بين تصديقك بوجود مكة وجود فذلك مثلاً وبين تصديقك
بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع أنك لا تشك في الأمرين جميعاً فستندهما جميعاً التواتر
ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح في قلبك من الثاني لأن السبب في أحدهما أقوى وهو كثرة الخبرين
وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعروفة بالأدلة فإنه ليس بوضوح ملاح له بدليل واحد
كوضوح ملاح له بالأدلة الكثيرة مع تساويهما في نقي الشك وهذا قد ينكره للتكلم الذي يأخذ
العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة

متعلقات اليقين كما يقال فلان أكثر علماً من فلان أي معلوماته أكثر ولذلك قد يكون العالم قوياً اليقين في جميع ماورد الشرع به وقد يكون قوياً اليقين في بعضه . فان قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاله وخفائه بمعنى نفي الشك أو بمعنى الاستيلاء على القلب فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه وفيها ذا يطلب اليقين فاني ما لم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه . فاعلم أن جميع ماورد به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من أوله إلى آخره هو من مجاري اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقة بالمعلومات التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في إحصائها ولكن أشير إلى بعضها وهي أمهاتها فمن ذلك التوحيد وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لأحكامها فالصدق بهذا موقن فان اتقى عن قلبه مع الإيمان إمكان الشك فهو موقن بأحد المعينين فان غلب على قلبه مع الإيمان غلبة أزالته عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق النعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا ينضب عليهما بل يراها آيتين مسخرتين وواسطتين فقد صار موقناً بالمعنى الثاني وهو الاشراف وهو ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بأمره حسب تسخير القلم في يد الكاتب وأن القدرة الأزلية هي المصدر لكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم وصار موقناً بريثا من الغضب والحق والحد وسوء الخلق فهذه أحد أبواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق في قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - واليقين بأن ذلك يأتيه وأن ما قدر له سيقاق إليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجتافاً للطلب ولم يشتد حرصه وشهره وتأسفه على ما فاتته وآمر هذا اليقين أيضاً جملة من الطاعات والأخلاق الحميدة . ومن ذلك أن يطلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الخبز إلى الشعير ونسبة للعاصي إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعي إلى الهلاك فكما يحرم على التحصيل للخبز طلباً للشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرم على الطاعات كلها قليلها وكثيرها وكما يجنب قليل السموم وكثيرها فكذلك يجنب المعاصي قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين أما بالمعنى الثاني فيختص به القربون وثمره هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والبالدة في التقوى والتحرز عن كل السيئات وكما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ . ومن ذلك اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد له واجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرتك فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك وأما بالمعنى الثاني وهو القصد فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته أن يكون الإنسان في خلوته متأدباً في جميع أحواله كالجالس يشهد ملك معظم ينظر إليه فانه لا يزال مطرقاً متأدباً في جميع أعماله متأسكاً محترزاً عن كل حركة تخالف هيئة الأدب ويكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريره كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكاثنة أشد من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والدل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق الحميدة وهذه الأخلاق تورث أنواعاً من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة وهذه الأخلاق في القلب مثل الأغصان المتفرعة منها وهذه الأعمال والطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار وكالأشجار المتفرعة من الأغصان فاليقين هو الأصل والأساس وله مجار وأبواب أكثر مما عددناه وسيأتي ذلك في ربيع

لأنه يظهر فيه قدرة القادر فيكسب منه العبد الفيرة . والفيرة غيرة في الحق وغيرة على الحق وغيرة من الحق فالفيرة في الحق برؤية الفواحش والنهي وغيرة على الحق هي كتمان السرائر والفيرة من الحق ضئله على أوليائه . والحرية إقامة حقوق المبودية فتكون لله عبداً وعند غيره حراً . واللاطفة إشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم ولا يسعها العبارة . والفتوح ثلاثة فتوح العبادة في الظاهر وذلك سبب إخلاص القصد وفتوح الخلاوة في الباطن وهو سبب جذب الحق بأعطافه وفتوح للكاشفة وهو سبب المعرفة بالحق . والوسم والرسم معنيان يجريان في الأبد بما جريا في الأزل . والبسط عبارة عن حال الرجا والقبح عبارة عن حال الخوف . والقناء قناء للعاصي ويكون قناء رؤية العبد لقناله

بقيام الله تعالى على ذلك . والبقاء بقاء الطاعات ويكون بقاء رؤية العبد قيام الله سبحانه على كل شيء والجمع التسوية في أصل الخلق وعن آخرين معناه إشارة من أشار إلى الحق بلا خلق والفرقة إشارة إلى اللون والخلق فمن أشار إلى تفرقة بلا جمع فقد جحد الباري سبحانه ومن أشار إلى جمع بلا تفرقة فقد أنكر قدرة القادر وإذا جمع بينهما فقد وجد . عين التعلم إظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط في الدعاء . والزوائد زيادات الإيمان بالغيب واليقين والإرادات ثلاثة إرادة الطالب من الله سبحانه وتعالى وذلك موضع التمني وإرادة الحظ منه وذلك موضع الطمع وإرادة الله سبحانه وذلك موضع الإخلاص والريد هو الذي صح له الابتلاء ودخل في جملة المتقطعين إلى الله عز وجل بالاسم .

النجات إن شاء الله تعالى وهذا القدر كاف في معنى اللفظ الآن . ومنها أن يكون حزينا منكسرا مطلقا صامتا يظهر أثر الحشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكونه لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره مذكرا لله تعالى وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مرآته وعلماء الآخرة يعرفون بسياهم في السكينة والذلة والتواضع وقد قيل ما ألبس الله عبدا لبسة أحسن من خشوع في سكينته فهي لبسة الأنبياء وسيا الصالحين والصدّيقين والعلماء وأما التهاافت في الكلام والتشديق والاستغراق في الضحك والحلّة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والأمن والنفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو دأب أبناء الدنيا الفاعلين عن الله دون العلماء به وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قال سهل التستري رحمه الله عالم بأمر الله تعالى لا بأيام الله وهم للفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الحشية وعالم بالله تعالى لا بأيام الله ولا بأيام الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله تعالى وبأمر الله تعالى وبأيام الله تعالى وهم الصدّيقون والحشية والخشوع إنما تغلب عليهم وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطية التي أفاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من تعلم منكم ولا تسكنوا من جابر العلماء فلا يقوم عليكم بجهلكم ويقال ما آتى الله عبدا علما إلا آتاه معه حلما وتواضعا وحسنا خلق ورققا فذلك هو العلم النافع وفي الأثر من آتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسنا خلق فهو إمام للتقين وفي الخبر « إن من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويكون سرا من خوف عذابه أبدانهم في الأرض وقلوبهم في السماء أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة ^(١) » وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحرث من طلب الرياسة بالعلم تقرب إلى الله تعالى يفضّه فانه ممقوت في السماء والأرض ويروى في الاسرائيليات أن حكيا صنف ثلثمائة وستين مصنفا في الحكمة حتى وصف بالحكيم فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل لفلان قد ملأت الأرض نفاقا ولم تردني من ذلك بشيء وإني لأقبل من نفاقك شيئا قدم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الأسواق ودا كل بني إسرائيل وتواضع في نفسه فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل له الآن وقفت لرضاي . وحكي الأوزاعي رحمه الله عن بلال بن سعد أنه كان يقول ينظر أحدكم إلى الشرطي فيستعبد بالله منه وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين إلى الرياسة فلا يتقهم وهم أحق بالقتل من ذلك الشرطي وروى أنه قيل « يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى قيل فأى الأصحاب خير قال ^{عليه السلام} صاحب إن ذكرت الله أعانك وإن نسيتك ذكرك قيل فأى الأصحاب شر قال صلى الله عليه وسلم صاحب إن نسيتك لم يذكرك وإن ذكرتك لم ينسك قيل فأى الناس أعلم قال أشدهم لله خشية قيل فأخبرنا بخيارنا نجالسهم قال صلى الله عليه وسلم الذين إذا رؤوا ذكر الله قيل فأى الناس شر قال اللهم غفرا قالوا أخبرنا يا رسول الله قال العلماء إذا فسدوا ^(٢) »

(١) حديث إن من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويكون سرا من خوف عذابه الحديث الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه من حديث عياض بن سليمان (٢) حديث قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله الحديث لم أجده هكذا بطوله وفي زيادات الزهد لابن المبارك من حديث الحسن مرسلنا مثل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل قال أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى وللهارمي من رواية الأعمش بن حكيم عن أبيه مرسلنا ألا إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء وقد تقدم .

وقال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر الناس أماناً يوم القيامة أكثرهم فكراً في الدنيا وأكثر الناس ضعفاً في الآخرة أكثرهم بكاء في الدنيا وأشد الناس فرحاً في الآخرة أطولهم حزناً في الدنيا ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « الله عز وجل خلقني من طين من تحت أديم السماء وأمرني أن أكون من أمة من الأمم وأمرني أن أكون من أمة من الأمم » وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى رجل فحش علماً أغاربه في أغباش الفتنة حماه أشباهه من الناس وأرداهم علماً ولم يعش في العلم يوماً سالماً بكر واستكثر فساقل منه وكفى خيراً ما أكثر وألمى حتى إذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس معلماً لتخليص ما التبس على غيره فانزلت به إحدى المهمات هيأها من رأيه حشو الرأي فهو من قطع الشبهات في مثل نسج الضكبوت لا يدري أخطأ أم أصاب ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر عما يلزم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيختم بكي منه السماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام لاملء والله باصدار ماورد عليه ولا هو أهل لما فوض إليه أولئك الذين حلت عليهم الثلاث وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعتم العلم فأكثموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتعجه القلوب وقال بعض السلف العالم إذا ضحك ضحكاً معج من العلم بحجة وقيل إذا جمع العلم ثلاثاً تمت النعمة بها على التعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق وإذا جمع التعلم ثلاثاً تمت النعمة بها على العلم العقل والأدب وحسن القسم وعلى الجملة فالأخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتعلمون القرآن للعمل بالرياسة وقال ابن عمر رضي الله عنهما لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ولقد رأيت رجلاً يؤتى أحسن القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمة لا يدري ما أمره وما زجره وما ينبغي أن يقف عنده ينثره شر الدقل ^(٢) » وفي خبر آخر يثني على معاذ كذا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن وسيأتي بمدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان يقيمون حروفهم يضعون حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن أقرأ منا وغلماناً فمن أعلم منا فذلك حظهم ^(٣) وفي لفظ آخر أولئك شرار هذه الأمة وقيل خمس من الأخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل الحشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد فأما الحشية فمن قوله تعالى - إنا يخشى الله من عباده العلماء - وأما الخشوع فمن قوله تعالى - خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً - وأما التواضع فمن قوله تعالى - واخضعوا جناحكم للمؤمنين - وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى - فبأرحمة من الله تلم - وأما الزهد فمن قوله تعالى - وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً - ولاننا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - قيل له ما هذا الشرح فقال إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل فهل لذلك من علامة قال صلى الله عليه وسلم نعم التبحر عن دار القرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ^(٤) » . ومنها أن يكون

والتراد هو العارف الذي لم يبق له إرادة وقد وصل إلى النهاية وغير الأحوال والقامات.

والهمة ثلاثة : همة منية وهي تحريك القلب للمني وهمة إرادة وهي أول صدق المرید وهمة حقيقة القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل فإن الأمر إرادة والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق مسدود وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الفوائد من غير دليل ولا رفيق متعب ومكدر فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغلهم الزمان ولم يبق إلا للترحمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستحوهم الطغيان وأصبح كل واحد يعاجل حظه مشغولاً بضار يرى العروق

- (١) حديث إن أكثر الناس أماناً يوم القيامة أكثرهم خوفاً في الدنيا الحديث لم أجده أصلاً
(٢) حديث ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن الحديث الحاكم وصححه على شرط الشيخين والبيهقي (٣) حديث كذا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن الحديث ابن ماجه من حديث جندب مختصراً مع اختلاف (٤) حديث لانا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - الحديث الحاكم والبيهقي في الزهد من حديث ابن مسعود .

منكرا ولنكر معروفا
حتى ظل علم الدين
مندرسا ومنار الهدى
في أفطار الأرض
منظما ولقد خيلوا
إلى الخلق أن لا علم إلا
قوى حكومة تستعين
به القضاة على فصل
الحصام عند تهاوش
الطعام أو جدل يتدفع
به طالب الباهات إلى
الغلبة والإلغام أو سجع
مزخرف يتوسل به
الواعظ إلى استدراج
العوام إذ لم يروا لمسوى
هذه الثلاثة مصيدة
للحرام وشبكة للحطام
فأما علم طريق الآخرة
هو ما درج عليه السلف
الصالح وهي جمع المهتم
بصفاء الإلهام
والغربة ثلاثة : غربة
عن الأوطان من أجل
حقيقة القصد وغربة
عن الأحوال من
حقيقة التفرد بالأحوال
وغربة عن الحق من
حقيقة الدهش عن
المعرفة . والاصطلام :
نمت وله برد على القلوب
بقوة سلطان فيسكنها .
والسكر ثلاثة : مكر
عموم وهو الظاهر
في بعض الأحوال

أكثر بحثه عن علم الأعمال وعما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويشير الشر فإن أصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه
ولأن الأعمال القلبية قلبية وأقضاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وإنما الشأن
في معرفة لا يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريجه وكل ذلك مما يخلب مسيس الحاجة
إليه وتعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة وأما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفرجات في
الحكومات والأقضية ويتبعون في وضع صور تنقض الدهور ولا تقع أبدا وإن وقعت فأنما تقع لغريم
لا لهم وإذا وقعت كان في القامعين بها كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم أثناء الليل وأطراف
النهار في خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه للزعم بهم غيره
النادر لإشارا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه وشربها في أن يسميه البطالون
من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل
يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العالمين
وفوز المقرين وذلك هو الحشران المبين ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاما
بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأقربهم هديا من الصحابة رضي الله عنهم أتفتت الكلمة في حقه
على ذلك وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية
الغامضة في شهوات النفس وقد قيل له يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته
قال من حذيفة بن اليمان وقيل الحذيفة تراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته
قال خصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر عفاة
أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني علمه ^(١) وقال مرة فعلمت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير
وفي لفظ آخر كانوا يقولون يا رسول الله ما لئن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول
يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رأي أني أسأله عن آفات الأعمال خصى بهذا العلم وكان حذيفة رضي الله
عنه أيضا قد خص بطم للناقضين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان وأكابر
الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسأل عن الناقضين فيخبر بعدد من بقي
منهم ولا يخبر بأسمائهم وكان عمر رضي الله عنه يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيئا من النفاق فبرأه من ذلك
وكان عمر رضي الله عنه إذا دعي إلى جنازة ليصلي عليها نظرفان حضر حذيفة صلى عليها ولا ترك وكان
يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لأن القلب هو الساعى إلى قرب
الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا وإذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل
هذا تزويق للذكرين فأين التحقيق ويرون أن التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال :

الطرق شتى وطرق الحق مفردة . والسالكون طريق الحق أفراد

لا يعرفون ولا تدري مقاصدهم فهم على مهمل يمشون قصاد

والناس في غفلة عما يراد بهم فجاهم عن سبيل الحق رقاد

وطى الجملة فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف
عليه صعب وإدراكه شديد وطريقه مستوعر ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق

(١) حديث حذيفة كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن
الشر الحديث أخرجاه مختصرا .

الذسومة فان ذلك نزع للروح على السوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة الصوم فهو يقاسى الشدائد ليكون فطره عند اللوات ومتى تكثر الرغبة في هذا الطريق ولذلك قيل إنه كان في البصرة مائة وعشرون متكلماً في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة منهم سهل القسري والصبيحي وعبد الرحيم وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لأن النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يندل للمعموم فأمره قريب . ومنها أن يكون اعتماداً في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وإنما القلند صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله وإنما يقلد الصحابة رضي الله عنهم من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم إذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم في تلقى أقواله وأفعاله بالقبول فينبغي أن يكون حريصاً على فهم أسرارهم فإن التقليد إنما يفعل الفعل لأن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فعله وفعله لا بد وأن يكون لسراً فيه فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال فانه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للمسلم ولا يكون عالماً ولذلك كان يقال فلان من أوعية المسلم فلا يسمى عالماً إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعاً مقلداً فلا ينبغي أن يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة جميعاً . وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة رضي الله عنهم فنأخذ منهم وترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم أموراً أدركت بالقرآن فسدهم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الأكثر عن الخطأ وإذا كان الاعتماد على السموع من الغير تقليداً غير مرضى فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجملة التابعين رضي الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم تصنيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نعمل شيئاً ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا ترك القرآن يلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء ليكون هذا شغلهم وهم حتى أشار عمر رضي الله عنه بكتابة القرآن خوفاً من تحاذل الناس وتكاسلهم وحذراً من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه في كلمة أو قراءة من التشابهات فأنشراح صدر أبي بكر رضي الله عنه لذلك فجمع القرآن من مصحف واحد وكان

(١) حديث ابن عباس ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبراني من حديثه يرضه بلفظه من قوله ويدع .

ومكر خصوص وهو في سائر الأحوال ومكر خفي في إظهار الآيات والكرامات . والرغبة ثلاثة : رغبة النفس في الثواب ورغبة القلب في الحقيقة ورغبة السرفي الحق . والرهبة : رهبة الغيب لتحقيق أمر السبق . والوجد : مصادفة القلب بصفاء ذكر كان قد فقدته والوجود : تمام وجد الواحدين وهو أتم الوجد عندهم . ومثل بعضهم عن الوجد والوجود فقال الوجد ما تطلبه فتجده بكسبك واجتهادك والوجود ما تجده من الله الكريم والوجد عن غير تمكين والوجود مع التمكين والتواجد : استدعاء الوجد والتشبه في تكلفه بالصادقين من أهل الوجد (القاعدة) وأما القاعدة التي ينبغي عليها هذا الفن بأسره فذلك اجتذاب أرواح المعاني والاشارة إلى البعد في القرب قصد الاستدلال بالأقوال

أحمد بن حنبل ينكر على مالك في تصنيفه الوطأ ويقول ابتدع ما لم تفعله الصحابة رضي الله عنهم
وقيل أول كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفسير عن مجاهد وعطاء
وأصحاب ابن عباس رضي الله عنهم بمكة . ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا
مأثورة نبوية ، ثم كتاب الوطأ بالمدينة لمالك بن أنس ، ثم جامع سفيان الثوري ، ثم في القرن
الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والفوس في إبطال القالات ، ثم مال الناس
إليه وإلى القصص والوعظ بها فأخذ علم اليقين في الانداس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك
يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكاييد الشيطان وأعرض عن ذلك إلا الأقولون
فصار يسمى الجاهل التكلم عالما والفاصل للزخرف كلامه بالعبارات للسجدة عالما وهذا لأن العوام
هم المستمعون إليهم فكان لا يميز لهم حقيقة العلم من غيره ولم تكن سيرة الصحابة رضي الله عنهم
وعلمهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث
اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن
الخواص منهم كانوا إذا قيل لهم فلان أعلم أم فلان يقولون فلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما
فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون
سابقة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الإنكار يستهدف لتسبته إلى
الجنون فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه ويسكت . ومنها أن يكون شديد التوقى من محدثات
الأمر وإن اتفق عليها الجمهور فلا يفرته إطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم
وليكن حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثر همهم
أ كان في التدريس والتصنيف والناظرة والقضاء والولاية وتولى الأوقاف والوصايا وكل ماله الأيتام
ومخالطة السلاطين ومجايلتهم في العشرة أم كان في الخوف والحزن والتفكير والمجاهدة ومراقبة
الظاهر والباطن واجتناب دقيق الآثم وجليسه والحرس على إدراك خفايا شهوات النفوس ومكاييد
الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن . واعلم تحقيا أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق
أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فثم أخذ الدين ولذلك قال على رضي الله عنه خيرا أتبعنا
لهذا الدين لما قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي أن يكثر بمخالفة أهل مصر في موافقة أهل عصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الناس رأوا رأيا فيما هم فيه ليل طابعهم إليه ولم تسمح نفوسهم
بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه ولذلك قال الحسن
محدثان أحدثا في الإسلام رجل ذو رأى سيء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يبعد
الدنيا لها يضرب ولها يرضى وإياها يطلب فارفضوها إلى النار وإن رحلا أصبح في هذه الدنيا
بين مترف يدعوه إلى دنياه وصاحب هوى يدعوه إلى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحث
إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويتفتى آثارهم متعرض لأجر عظيم فكذلك نكونوا وقد
روى عن ابن مسعود موقوفا ومستندا أنه قال : إنما هما اثنتان الكلام والهدى ، فأحسن
الكلام كلام الله تعالى ، وأحسن الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا وإياكم
ومحدثات الأمور ، فإن شر الأمور محدثاتها ، وإن كل محدثة بدعة ، وإن كل بدعة ضلالة ،
ألا لا يطولن عليكم الأمد فتفسو قلوبكم ، ألا كل ما هو آت قريب ، ألا إن البعيد ما ليس بآت (١) »

(١) حديث ابن مسعود إنما هما اثنتان الكلام والهدى الحديث ابن ماجه .

والأعمال والأحوال على
الله تعالى قصدا ذاتيا
لا على ماسلكه أرباب
علوم الظاهر ، ثم
التصديق بالقوة والنظر
إلى المسكوت من
كوة ومعرفة العلوم
في الانصراف ومصاحبة
القدر بالمساعدة
وبالمعروف ومعاطاة
الوجودات الحسنة :
الذات والحس والحيا
والعقل والشبهى
حسبا فهم من الشرع
وثبت معناه في المحفوظ
من الوحي وقلنا أدرك
شئ من العجز والعلم
لا ينال براحة الجسم
ومن يتق الله يجعل
له من أمره يسرا
ذلك أمر الله أنزله
إليك ومن يتوكل
على الله فهو حسبه
إن الله بالغ أمره قد
جعل الله لكل شئ
قدرا (والوصية) أيها
الطالب للعلوم
والناظر في التصنيف
وللتشرف على كلام
الناس وكتب الحكمة
ليكن نظرك فيما
تنظر فيه بالله وفيه
وفي الله لأنه إن لم يكن

نظرك به وكلك إلى نفسك أو إلى من جعلت نظرك به أيا كان غيره من فهم أو علم أو حفظ أو إمام متبع أو صحة ميز أو ما يشاكل ذلك وكذلك إن لم يكن نظرك له فقد صار عليك لغيره ونكصت على عقبيك وخسرت في الدارين صفقتك وعاد كل هول عليك لمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يحرك بعبادة ربه أحدا وكذلك إن لم يكن نظرك فيه فقد أثبت معه غيره ولا حظت بالحقيقة سواء ورؤية غيره دونه قسى القلب وتهتك السر وتحجب اللب وإذا نظرت في كلام أحد من الناس ممن قد شهر بعلم فلا تنظره بازدراء كمن يستغنى عنه في الظاهر وله إليه كثير حاجة في الباطن ولا تنقب به حيث وقف به كلامه فالله في أوسع من العبارات والصدور أقبح من الكتب للولفات وكثير علم بما

وفي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغلته عيبه عن عيوب الناس وأشقى من ماله اكتسبه من غير معصية وخالف أهل الفقه والحكم وجانب أهل الزلل والصية طوبى لمن ذل في نفسه وعسنت خلقه وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بطله وأتقى الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنن ولم يدها إلى بدعة (١) » وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال أتم في زمان خيركم فيه السارع في الأمور وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرا منكم فيه التثبت للتوقف لكثرة الشبهات وقد صدق لمن لم يتوقف في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا وقال حذيفة رضى الله عنه أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وأن منكم اليوم معروف زمان قد أتى وإنكم لا تزالون بغير ما صرتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق قال أكمة معروفات هذه الأعصار منكرات في عصر الصحابة رضى الله عنهم إذ من غير اللزومات في زماننا تزيين للساجد وتنجيدها واتفاق الأموال العظيمة في دقائق مهاراتها وفرش البسط الرقيقة فيها ولقد كان يعد فرش البوارى في السجد بدعة وقيل إنه من محدثات الحاج قد كان الأولون قسا يجلسون بينهم وبين التراب جاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل وللناظرة من أجل علوم أهل الزمان ويزعمون أنه من أعظم القربات وقد كان من النكرات ومن ذلك التحسين في القرآن والأذان ومن ذلك التعسف في النظافة والوسوسة في الطهارة وتهدير الأسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حل الأطعمة وتحريمها إلى نظائر ذلك ولقد صدق ابن مسعود رضى الله عنه حيث قال أتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وقد كان أحمد بن حنبل يقول تركوا العلم وأقبلوا على القرائب ما أقل العلم فيهم والله للشئان وقال مالك بن أنس رحمه الله لم تكن الناس فيها مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ولكن أدرتهم يقولون مستحب ومكروه ومضاه أنهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهة والاستحباب فأما الحرام فكان غشه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوا اليوم عما أحدثوه بأنفسهم فاتهم قد أعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فاتهم لا يعرفونها وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله يقول لا ينبغي لمن ألهم شيئا من الحيران يعمل به حتى يسمع به في الأثر فيحمد الله تعالى إذ وافق ما في نفسه وإما قال هذا لأن ما قد أبدع من الآراء قد قرع الأسماع وعلق بالقلوب وورب يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحطاط فيما لا استظهار بشهادة الآثار ولهذا لما أحدث مروان للنبر في صلاة العيد عند الصلوة قام إليه أبو سعيد الخدري رضى الله عنه فقال يا مروان ما هذه البدعة فقال إنها ليست ببدعة إنها خير مما تعلم إن الناس قد كثروا فأردت أن يلفهم الصوت فقال أبو سعيد والله لا تأتون بغير مما أعلم أبدا والله لأحليت وراءك اليوم وإعانا نكر ذلك عليه « لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا لاهي للنبر (٢) »

(١) حديث طوبى لمن شغلته عيبه عن عيوب الناس وأشقى ماله اكتسبه الحديث أبو نعيم من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف والبراز من حديث أنس أول الحديث وآخره والطبراني والبيهقي من حديث ركب الصرى وسط الحديث وكلها ضعيفة (٢) حديث كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا الطبراني من حديث البراء ونحوه في يوم الأضحى ليس فيه الاستسقاء وهو ضعيف وروا في الصغير من حديث سعد القرظي كان إذا خطب في الميدان خطب على قوس وإذا خطب في الجمع خطب على عصا وهو عند ابن ماجه بأسط كان إذا خطب في الحرب خطب على قوس الحديث

وفي الحديث المشهور «من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد»^(١) وفي خبر آخر «من غش أمي فعليه لعنة الله وللائمة والناس أجمعين قيل يا رسول الله وما غش أمك قال أن يتدع بدعة يحمل الناس عليها»^(٢) وقال رسول الله ﷺ «إن لله عز وجل ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنه شفاعته»^(٣) ومثال الجاني على الدين بأبداع ما يخالف السنة بالنسبة إلى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره في خدمة معينة وذلك قد يغفر له فأما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ماتكم في السلف المالكوت عنه جفاء وماسكت عنه السلف فالسلام فيه تكلف وقال غيره الحق تعيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه وسلم «عليكم بالخط الأوسط الذي يرجع إليه العالي ويرتفع إليه التالئ»^(٤) وقال ابن عباس رضي الله عنهما الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها قال الله تعالى - وذري الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا - وقال تعالى - أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا - فنكل ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم بما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللب والهو وحكى عن إبليس لعنه الله أنه بث جنوده في وقت الصحابة رضي الله عنهم فرجعوا إليه محسورين فقال ما شأنكم قالوا ما رأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئا وقد أتبعونا فقال إنكم لا تقدرون عليهم قد محسبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتي بعدهم قوم تتلون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا إليه منكسين فقالوا ما رأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم شيء بعد الشيء من الذنوب فإذا كان آخر النهار أخذوا في الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات فقال إنكم لن تتلون من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقرأ أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بأرمة أهوائهم كيف شئتم إن استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات قال جفاء قوم بعد القرن الأول فبث فيهم الأهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها ديناً لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الأعداء وقادوم أين شاءوا. فإن قلت من أين عرف قائل هذا ما قاله إبليس ولم يشاهد إبليس بذلك فاعلم أن أرباب القلوب يكشفون بأسرار الملوك تارة على سبيل الإلهام بأن يخطر لهم على سبيل الورد عليهم من حيث لا يظنون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في اللحظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة كما يكون في المنام وهذا أعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة فإياك أن يكون حظك من هذا العلم إنكار ما جاوز حد قصورك فقيه هلك المتدخلون من العلماء الزاعمون أنهم أحاطوا بعلوم العقول فالجهل خير من عقل يدعو إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى ومن أنكر ذلك للأولياء لومه إنكار الأنبياء وكان خارجاً عن الدين بالكلية قال بعض العارفين إنما انقطع الأبدال في أطراف الأرض واستروا عن أعين الجمهور لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت لأنهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التستري رضي الله عنه إن من أعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر إلى العامة واستماع كلام أهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي أن يصنى إلى قوله بل ينبغي أن يتهم

(١) حديث من أحدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد متفق عليه من حديث عائشة بلفظ في أمرنا ما ليس منه وعند أبي داود فيه (٢) حديث من غش أمي فعليه لعنة الله الحديث الدارقطني في الأفراد من حديث أنس بسند ضعيف جدا (٣) حديث إن لله ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنه شفاعته لم أجده أصلاً (٤) حديث عليكم بالخط الأوسط الحديث أبو عبيد في غريب الحديث موقوفاً على علي بن أبي طالب ولم أجده مرفوعاً .

لم يصبر عنه واطمع بنظر قلبك في كلامه إلى غاية ما يحتمل فذلك يبرك قدره ويقتضيه بآب قصده ولا تقطع له بصحة ولا تحكم عليه بفساد وليكن تحيين النظر أغلب عليك فيه حتى يزول الإشكال عنك بما تتيقن من معانيه وإذا رأيت له حسنة وسيرة فانتبه الحسنة واطلب الماذير للسيئة ولا تكن كالذباية تنزل على أقدر ما تجده ولا تجعل على أحد بالخطئة ولا تبادر بالتجويل فربما عاد عليك ذلك وأنت لا تشعر فكل عالم عورة وله في بعض ما يأتي به احتجاج وناهيك ماجرى بين ولي الله تعالى الخضر وكنبه موسى على نبينا وعليهما السلام وإذا عرض لك من كلام عالم إشكال يؤذن في الظاهر بحال أو اختلال لخدمته فظهر لك على ودع ما اعتاش عليك فهمه وكل العلم فيه إلى الله

في كل ما يقول لأن كل إنسان يخوض فيما أحب ويدفع ما لا يوافق محبوه ولذلك قال الله عز وجل - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً والعوام الصاة أسعد حالاً من الجاهل بطريق الدين المتقين أنهم من العلماء لأن العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان أنه عالم وأن ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الدين لا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمراً عليه إلى اللوث وإذا غلب هذا طي أكثر الناس إلا من عصمه الله تعالى واقطع الطمع من إصلاحهم فالأسلم لدى الدين المحتاط العزلة والانعزال عنهم ككسائي في كتاب العزلة يانه إن شاء الله تعالى ولذلك كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة الرعشي ما ظنك بمن يبق لا يجد أحدا يذكر الله تعالى معه إلا كان آمناً أو كانت مذاكرته معصية وذلك أنه لا يجد أهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة أو سماع غيبة أو سكوت على منكر أو أن أحسن أحواله أن يفيد علماً أو يستفيد علماً تأمل هذا السكين وعلم أن إقامته لا تخلو عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرياسة علم أن للاستفيد إنما يريد أن يجعل ذلك آلة إلى طلب الدنيا وسيلة إلى الترف فيكون هو معياله على ذلك ورده أو ظهوراً ومبشراً لأسبابه كالذي يبيع السيف من قطاع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للفرز ولذلك لا يرخس له في البيع بمن يسل بقرائن أحواله أنه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف فكان أحد رجلين إما متصفاً بهذه الصفات أو معترفاً بالتقصير مع الإقرار به وإياك أن تكون الثالث فليس على نفسك بأن بدلت آلة الدنيا بالدين وتشبه بسيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وإنكارك بزمرة المالكين الأيسين نمود بالله من خدع الشيطان فيها هلك الجهر ففسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا نقره الحياة الدنيا ولا يقره بقاءه الفرور .

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه

بيان شرف العقل

اعلم أن هذا مما لا يحتاج إلى تكلف في إظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة أو كيف يستراب فيه والبهمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى إن أعظم البهائم بدناً وأشد هاضرة واقواها سطوة إذا رأى صورة الإنسان احتشمت وهابة لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من إدراك الحيل . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الشيخ في قومه كالنبي في أمته » (١) وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تبحره التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الأتراك والأكراد وأجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم بوقرون للشايخ بالطبع ولذلك حين قصد كثير من الماندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وترامى لهم ما كان يتلأأ على ديباجة وجهه من نور النبوة وإن كان ذلك باطناً في نفسه بطون العقل فتشرف العقل مدرك بالضرورة وإنما القصد أن نوراً ما وردت به الأخبار والآيات في ذكر شرفه وقد ساء الله نوراً في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة - وسمى العلم المستفاد منه روحاً وحياء حياة قال تعالى - وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا - وقال سبحانه - أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به

الباب السابع في العقل

(١) حديث الشيخ في قومه كالنبي في أمته ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر وأبو منصور الديلمي عن حديث أبي رافع بسند ضعيف .

عز وجل فهذه وصيقي لك فاحفظها وتذكرى إياك فلا تنهل عنه : اسمع وصيقي إن تحفظ حظيت بها وإن تخالف فقد يردى بك الخلف وأزيدك زيادة تقتضي التعريف بأصناف العلماء لكي يصرف أهل الحقيقة من غيرم فلك في ذلك أكبر منفعة ولي في وصفهم أبلغ غرض قال علماؤنا : العلماء ثلاثة حجة وحجاج ومحجوج فالحجة عالم بالله وبأمره وبآياته مهتماً بالحشية لله سبحانه والورع في الدين والزهد في الدنيا والإيثار لله عز وجل المستقيم والحجاج مدفوع إلى إقامة الحجة وإطفاء نار البدعة قد أخرج للتكلمين وأخفم للتخرسين برهانه ساطع وبيانه قاطع وحفظه ما ينافع شواهد بينة ونجومه نيرة قد حى صراط الله للمستقيم والمحجوج عالم بالله وبأمره وبآياته

ولكنه قد الحشية قد
برؤيته لنفسه وحبيه
عن الورع والزهد في
الدنيا والرغبة والحرص
وبسده من بركات
علمه بحجة السوء
والشرف وخوف
السقوط والفقر فهو
عبد لعبد الدنيا خادم
لخدمها مفتون بسد
علمه مقتدر بعد معرفته
مخدول بسد نصرته
شأنه الاحتقار لعم
الله والازدراء لأوليائه
والاستخلاف بالجاهل
من عباده وفخره ببقاء
أميره وصلة سلطانه
وطاعة القاضي والوزير
والحاجب له قد أهلك
نفسه حين لم ينتفع بعلمه
والاتباع له ومن يكون
بعده قدوة به ومراده
من الدنيا مثله في مثل
هذا ضرب الله للثلث
حين قال - واتل عليهم
نبأ الذي آتيناه
آياتنا فانملح منها
فأتبعه الشيطان
فكان من الفاروقين
ولو شئت لرفقناه بها
ولصكته أخله إلى
الأرض واتبع هواه فله
كسل الكلب إن تحمل

في الناس وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله - يخرجهم من الظلمات إلى النور -
وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتهم
عنه واعلموا أنه يجتدكم عند ربكم واعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان دميم للنظر حقير الخطر
دنيء المزلزلة أهيئة وأن الجاهل من عصى الله تعالى وإن كان جميل النظر عظيم الخطر شريف المزلزلة
حسن الهيئة فصيحاً نطوقاً فالقردة والخنازير أعقل عند الله تعالى ممن عصاه ولا تقتر بتعظيم أهل الدنيا
إياكم فانهم من الخاسرين (١) » . وقال ﷺ « أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر
فأدبر ثم قال الله عز وجل وعزني وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم على منك بك آخذ وبك أعطي وبك
أثيب وبك أعاقب (٢) » فان قلت فهذا العقل إن كان عرضاً فكيف خلق قبل الأجسام وإن كان
جوهرًا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه ولا يتحيز . فاعلم أن هذا من علم الكاشفة فلا يليق ذكره بعلم
العامة وعرضنا الآن ذكر علوم العامة وعن أنس رضي الله عنه قال « أتني قوم على رجل عند النبي صلى
الله عليه وسلم حتى بالقوا فقال صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة
وأصناف الخير وتسلنا عن عقله فقال ﷺ : إن الأحق بصيب بجهله أكثر من قبحور الفاجر وإنما
يرتفع العباد غدا في الدرجات التي من ربهم على قدر عقولهم (٣) » . وعن عمر رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن
ردى وماتم إيماناً عبداً ولا امتقام دينه حتى يكمل عقله (٤) » وقال ﷺ « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه
درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فسد ذلك ثم إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوه
إبليس (٥) » وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء
دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته أما صمتهم قول الفجار في النار - لو كنا نسمع أو نعقل
ما كنا في أصحاب السعير (٦) » وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لقيم الداربي « ما السودد فيكم قال العقل
قال صدقت سألت رسول الله ﷺ كما سألتك فقال كما قلت ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السودد فقال
العقل (٧) » وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال كثرت للسائل يوماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
« يا أيها الناس إن لكل شيء مطية ومطية للرء العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلاً (٨) »

(١) حديث يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل الحديث داود بن المهبر أحد الضعفاء في
كتاب العقل من حديث أبي هريرة وهو في مسند الحرث بن أبي أسامة عن داود (٢) حديث أول
ما خلق الله العقل قاله أقبل الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أبي أسامة، وأبو نعيم من حديث
عائشة باسنادين ضعيفين (٣) حديث أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أتني قوم على رجل عند النبي ﷺ حتى بالقوا في البناء فقال
كيف عقل الرجل الحديث ابن المهبر في العقل بتمامه والترمذي والحكيم في النوادر مختصراً (٤) حديث
عمر ما اكتسب رجل مثل فضل عقل الحديث ابن المهبر في العقل وعنه الحرث بن أبي أسامة (٥) حديث
إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله الحديث
ابن المهبر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به والحديث عند الترمذي مختصر دون قوله
ولا يتم من حديث عائشة وصححه (٦) حديث أبي سعيد لكل شيء دعامة ودعامة للمؤمن عقله
الحديث ابن المهبر وعنه الحرث (٧) حديث عمر أنه قال لقيم الداربي ما السودد فيكم قال العقل قال
صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ابن المهبر وعنه الحرث (٨) حديث البراء
كثرت للسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس إن لكل شيء مطية الحديث
ابن المهبر وعنه الحرث .

عليه يلهث أو شره
يلهث - فويل لمن يحب
مثل هذا في دينه
وويل لمن تبعه في دينه
وهذا هو الذي أكل
بدينه غير منصف لله
سبحانه في نفسه ولا
ناصح له في عباده تراه
إن أعطى من الدنيا
رضى بالمذحة لمن
أعطاه وإن منع رضى
بالهم لمن منعه وقد
نسى من قسم الأرزاق
وقدر الأقدار وأجرى
الأسباب وفرغ من
الخلق كلهم فتوذا بالله
من الخور بعد الكور
ومن الضلالة بعد الهدى
ولما زدتك هذه
الزيادة وإن ظهر
لكثير أنها ليست من
الغرض الذي نحن فيه
فقصدي أن يعلم من
ذهب من الناس ومن
بقى ومن أبصر الحقائق
ومن عمى ومن اهتدى
على الصراط المستقيم
ومن غوى فليعلم أن
الصنفين الأولين من
العلماء قد ذهبوا وإن
كان يبق منهم أحد فهو
غير محسوس للناس
ولامدرك بالملاحظة :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال « لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون فلان أشجع من فلان وفلان أبلى مالميل فلان ونحو هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم ^(١) » وعن البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال « جد لللائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فأعملهم بطاعة الله عز وجل أو فرم عقلا ^(٢) » وعن عائشة رضي الله عنها قالت « قلت يا رسول الله بما يفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت أليس إنما يجزون بأعمالهم فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل فيقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون ^(٣) » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل ولكل شيء مطية ومطية الرء العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعي العابد العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهد العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون إليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط للمؤمنين العقل ^(٤) » وقال عليه السلام « إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب في طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « آتكم عقلا أشدكم لله تعالى خوفاً وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظرا وإن كان أقلكم تطوعا ^(٦) »

(بيان حقيقة العقل وأقسامه)

اعلم أن الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الأكترون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للعطاء فيه أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه . فالأول : الوصف الذي يفارق الإنسان بمسائر البهائم وهو الذي استعده لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي أراده الحارث بن أسد المحاسبي حيث قال في حد العقل إنه غريزة يتبها بها إدراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستمد لإدراك الأشياء ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل إلى مجرد العلوم الضرورية فإن العاقل عن

(١) حديث أبي هريرة لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون كان فلان أشجع من فلان الحديث ابن المجرى (٢) حديث البراء بن عازب جد اللائكة واجتهدوا في طاعة الله بالعقل الحديث ابن المجرى كذلك وعنه الحارث في مسنده ورواه البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن عازب رجل من الصحابة غير البراء وهو بالسند الذي رواه ابن المجرى (٣) حديث عائشة قلت يا رسول الله بأي شيء يفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل الحديث ابن المجرى والترمذي الحكيم في النوادر نحوه (٤) حديث ابن عباس لكل شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل الحديث ابن المجرى وعنه الحارث (٥) حديث إن أحب المؤمنين إلى الله من نصب في طاعة الله الحديث ابن المجرى من حديث ابن عمر ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بإسناد آخر ضعيف (٦) حديث آتكم عقلا أشدكم لله خوفا الحديث ابن المجرى من حديث أبي قتادة .

غاب الذين إذا ما حدثوا
صدقوا
وظنهم كيفين إن هم
حدسوا
وذلك لما سبق في
القضاء من ظهور
القضاء وعدم أهل
الصلاح والرشاد نعم
وعدم الصنف الثالث
على غريته وأعز شيء
على وجه الأرض وفي
الغالب ما يقع عليه في
الحقيقة اسم علم عند
شخص مشهور به
وإنما الوجود اليوم
أهل سخافة ودعوى
وحماقة واجترأ وعجب
بغير فضيلة ورياء
يحبون أن يحمداوا
بما لم يفعلوا وهم أكثر
من عمر الأرض
وصيروا أنفسهم أوتاد
البلاد وأركان العوام
وهم خلفاء إبليس
وأعداء الحقائق
وأخذوا لموائد السوء
وعنهم يرد عتب الحكم
الشائنة وانتقاض أهل
الارادة والدين :
مثل البهائم جهال مخالقيهم
لهم تصاوير لم يعرف
لهم حبا
كل يوم على مقدار
حيلته

العلوم والناسم بسميان عاقلين باعتبار وجود هذه التريزة فيهما مع فقد العلوم وكأن الحياة غريزة بها
يتبها الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها تتبها بعض الحيوانات
للمعلوم النظرية ولو جاز أن يسوى بين الانسان والجماد في التريزة والادراكات الحسية فيقال لا فرق
بينهما إلا أن الله تعالى يحكم إجراء العادة يخلق في الانسان علوما وليس يخلقها في الجماد والبهائم لجاز أن
يسوى بين الجماد والحياة ويقال لا فرق إلا أن الله عز وجل يخلق في الجماد حركات مخصوصة يحكم
إجراء العادة فانه لو قدر الجماد جادا ميتا لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فانه سبحانه وتعالى قادر
على خلقها فيه على الترتيب الشاهد وكما يجب أن يقال لم يكن مفارقتها للجماد في الحركات إلا بفرقة اختصت
به عبرتها بالحياة فكذلك مقارنة الانسان البهيمة في إدراك العلوم النظرية بفرقة يبرعها بالعقل وهو
كالمرأة التي تفارق غيرها من الأجسام في حكاية الصور والألوان بصفة اختصت بها وهي الصفاة وكذلك
العين تفارق الجبهة في صفات وهيئاتها استعدت للرؤية فتنسب هذه التريزة إلى العلوم كنسبة العين
إلى الرؤية ونسبة القرآن والشرع إلى هذه التريزة في سياقها إلى انكشاف العلوم لها كنسبة نور
الشمس إلى البصر فهكذا ينبغي أن تفهم هذه التريزة . الثاني : هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات
الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة الاستحيات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد وأن الشخص
الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل إنه بعض
العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة الاستحيات وهو أيضا صحيح في نفسه لأن هذه
العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهروا وإنما الفاسدان تنكر تلك التريزة ويقال موجود إلا هذه العلوم .
الثالث : علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال فان من حنكته التجارب وهذبه المذاهب يقال
إنه عاقل في المادة ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال إنه غبي غمرا جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى
عقلا . الرابع : أن تنتهي قوة تلك التريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى
اللذة العاجلة ويخبرها فإذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب
ما يقتضيه النظر في العواقب لا يحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضا من خواص الانسان التي بها يتميز عن
سائر الحيوان فالأول هو الأس والسنخ والتبع والثاني هو الفرع الأقرب إليه والثالث فرع الأول
والثاني إذ بقوة التريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هو الثمرة الأخيرة وهي
الغاية القصوى فالأولان بالطبع والأخيران بالاكتساب ولذلك قال على كرم الله وجهه :

رأيت العقل عاقلين لمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع

إذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو للراذلة صلى الله عليه وسلم « ما خلق الله عز وجل خلقا أكرم عليه من العقل (١) » والأخير
هو للراذلة صلى الله عليه وسلم « إذا تقرب الناس بأبواب البر والأعمال الصالحة فتقرب أنت بعقلك (٢) » وهو
المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء رضي الله عنه « ازدد عقلا زد من ربك قربا
تقال بأبي أنت وأمي وكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله سبحانه تكن عاقلا
واعمل بالصالحات من الأعمال تزد في عاجل الدنيا رغبة وكرامة وتتل في آجل العقب بها من ربك

(١) حديث ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل الترمذي الحكيم في النوادر بسند ضعيف من
رواية الحسن عن عدة من الصحابة (٢) حديث إذا تقرب الناس بأنواع البر تقرب أنت بعقلك
أبو نعيم في الحلية من حديث على إذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها إلى ربنا عز وجل
فاكتسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزفة والقرب وإسناده ضعيف .

زواجر الأسعد والنباجة
الله

فاحذرهم قاتلهم الله
أن يؤفكون اغذوا
أيمانهم جنة فصدوا
عن سبيل الله إنهم
ساء ما كانوا يعملون .
أولئك كالأنعام بل هم
أضلّ أولئك هم
الذاللون .

أولو التفاق فان قلت
اصدقوا كذبوا
من السفاه وإن قلت
اكذبوا صدقوا

ولناخذ في جواب
ماسألت عنه على
نحو ما رغبت فيه
واستوهب الله تفوذا
البصيرة وحسن
السيرة وغفران
الجري رقهورى ورب
كل شئ وإليه الصير .

[ابتداء الأجوبة عن
مراسم الأسئلة]

جرى الرسم في الأحياء
بتقسيم التوحيد على
أربع مراتب تشبها
لمواقفة الغرض في
التخيل به وذكرت أن
للمعرض وسوس أو
بالحواس هيجس بأن
لفظ التوحيد ينافي
التقسيم إذ لا يغلو بأن
يتعلق بوصف الواحد

عز وجل القرب والعز (١) وعن سعيد بن السيب « أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة رضى الله عنهم
دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال صلى الله عليه وسلم
العقل قالوا فمن أعبد الناس قال العقل قالوا فمن أفضل الناس قال العقل قالوا أليس العقل من
تحت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال صلى الله عليه وسلم وإن كل ذلك
لما متاع الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين إن العقل هو للتقوى وإن كان في الدنيا خيسا
ذليلا (٢) » قال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر « إنما العقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل
بطاعته (٣) » ويشبه أن يكون أصل الاسم في أصل اللغة لتلك القرينة وكذلك في الاستعمال وإنما
أطلق على العلوم من حيث إنها تمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من غنى الله
تعالى فإن الخشية ثمرة العلم فتكون كالجهاز لتبر تلك القرينة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة
وللتقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها إلا
في القسم الأول والصحيح وجودها بل هي الأصل وهذه العلوم كأنها مضمنة في تلك القرينة بالقطرة
ولكن تظهر في الوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشئ وارد
عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الساء في الأرض فانه يظهر بحجر البئر
ويجتمع ويتميز بالحسن لا بأن يساق إليها شئ جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد
ولذلك قال تعالى - وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم
قالوا بلى - فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة فاتهم انقسموا في إقرار الألسنة حيث وجدت
الألسنة والأشخاص إلى مقر وإلى جاحد ولذلك قال تعالى - ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله -
معناه إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم - فطرة الله التي فطر الناس عليها - أي
كل آدمي فطر على الإيمان بالله عز وجل بل على معرفة الأشياء على ما هي عليه أعني أنها كالمضمنة فيها القرب
استعدادها للدراك ثم لما كان الإيمان مركوزا في النفوس بالقطرة انقسم الناس إلى قسمين إلى من
أعرض فنسى وهم الكفار وإلى من أجال خاطره فذكر فكان كمن حمل شهادة نفسها بغفلة ثم تذكرها
ولذلك قال عز وجل - لعلمهم يتذكرون . وليتذكر أولوا الألباب . واذكروا نعمة الله عليكم
وميثاقه الذي واتقكم به . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - وتسمية هذا الخط تذكر
ليس يبعد فكان التذكر ضربان أحدهما أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه ولكن
غابت بعد الوجود والآخر أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالقطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر
بنور البصيرة ثقيلة على من يستروجه (٤) السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط
في مثل هذه الآيات ويتصف في تأويل التذكر وإقرار النفوس أنواعا من التعسف ويتخيل إليه
في الأخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغاب ذلك عليه حتى ينظر إليها بعين الاستحراق
ويستقد فيها التهاوت ومثاله مثال الأعمى الذي يدخل دارا فيعثر فيها بالأواني المصقوفة في الدار فيقول

(١) حديث ازدد عقلا تزدد من ربك قريبا الحديث قاله لأبى الدرداء ابن الحبر ومن طريقه طهارت
ابن أبي أسامة والترمذي الحكيم في النوادر (٢) حديث ابن السيب أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة
دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال العقل الحديث
ابن الحبر (٣) حديث إنما العقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ابن الحبر من حديث
سعيد بن السيب مرسلا وفيه قصة .

(٤) قوله يستروجه : من الرواج أى يكون السماع والتقليد رأيا عنده فتأمل اه مصححه .

ما لهذه الأواني لا ترفع من الطريق وترد إلى مواضعها فيقال له إنها في مواضعها وإنما الخلل في بصره فكذلك خلل البصيرة يجري مجراه وأطم منه وأعظم إذ النفس كالقارس والبدن كالقرس وعمى القارس أضمر من عمى القرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى - ما كذب الفؤاد ما رأى - وقال تعالى - وكذلك نرى إبراهيم منكوت السموات والأرض - الآية وعمى ضده عمى فقال تعالى - فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور - وقال تعالى - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا - وهذه الأمور التي كشفت للأنبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمى الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثابتة لم يطق بمن الدين إلا قشوره وأمثله دون لبابه وحقائقه فهذه أقسام ما ينطق اسم العقل عليها .

(بيان تفاوت النفوس في العقل)

قد اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الأولى والأهم البادرة إلى التصريح بالحق والحق الصريح فيه أن يقال إن التفاوت يتطرق إلى الأقسام الأربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة للاستحالات فإن من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضا استحالة كون الجسم في مكانين وكون الشيء الواحد قد يعاحدثا وكذا سائر النظائر وكل ما يدرك إدراكا محققا من غير شك وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها . أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قبح الشهوات فلا يغني تفاوت الناس فيه بل لا يغني تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة إذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فإن الشاب قد ينجز عن ترك الزنا وإذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزدد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم للمرف لعائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرّة وقد لا يقدر من يساويه في العقل على ذلك إذا لم يكن طبيبا وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرّة ولكن إذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدله في قبح الشهوات وكسرها وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصي من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصي وأغنى به العالم الحقيقي دون أرباب الطيالة وأصحاب الهذيان فإن كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع إلى تفاوت العقل وإن كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا أيضا فإنه يقوى غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية إليه وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل فإنها إذا قويت كان قهها للشهوة لأعماله أشد وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فاتهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك ويكون سببه إما تفاوتنا في الغريزة وإما تفاوتنا في الممارسة فأما الأول وهو الأصل أغنى الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده فإنه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادئ إشراقه عند من التميز ثم لا يزال ينمو ويزداد نحو الخفي التدريج إلى أن يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور أوائله يغني خفاء بشرق إدراكه ثم يتدرج إلى الزيادة إلى أن يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر بل سئل عذ وجل جارية في جميع خلقه بالتدريج في الإيجاد حتى إن غريزة الشهوة لا تظهر في السبي عند البلوغ دفعة وبنته بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات ومن أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربة العقل ومن ظن أن عقل النبي ﷺ مثل عقل آحاد السوادية وأجلاف البوادي فهو أخس في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاها لما اختلف الناس في فهم العلوم

التي ليس بزائد عليه
فذلك لا ينقسم
لأبجس ولا بالفصل
ولا بغير ذلك وإما أن
يتعلق بوصف المكلفين
الذين توجب لهم حكمه
إذا وجد فيهم فذلك
أيضا لا ينقسم من
حيث انتسابهم إليه
بالعقل وذلك لضيق
الجمال فيه ولهذا
لا يتصور فيه مذاهب
وإنما التوحيد مسلوك
حق بين مسلكين
باطلين أحدهما الشرك
والثاني الإلbas وكلا
الطرفين كفر
والوسط إيمان محض
وهو أحد من السيف
وأضيق من خط
الظل ولهذا قال أكثر
التكلمين يتأمل
إيمان جميع المؤمنين
والملائكة والنبين
والرسلين وسائر عموم
الرسلين وإنما اختلف
طرق إيمانهم التي هي
علومهم ومذاهبهم في
ذلك معروف ونحن
لأنتم في هذه الإجابة
كلها بشيء من أعاء
الجدال ومقابلة الأقوال
بالأقوال بل يقصد
إزالة غير الإشكال

ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالفهم إلا بعد تعب طويل من العلم وإلى ذكي يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل تنبث من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم كما قال تعالى - يكاد ينهض - ولولم تحسه نار نور على نور - وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام إذ تضح لهم في بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويصبر عن ذلك بالإلحاح وعن مثله عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال - إن روح القدس نشأت في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة وعسى ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به (١) - وهذا الخط من تعريف اللائكة للأنبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو صماع الصوت بحاسة الأذن ومشاهدة للآلة بحاسة البصر ولذلك أخبر عن هذا بالنفث في الروح ودرجات الوحي كثيرة والجوهر فيها لا يليق بلم العامة بل هو من علم السكافة ولا تظن أن معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي إذ لا يمد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات المدالة وإن كان خاليا عنها فالعلم شيء ووجود العلوم شيء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا واقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم وإلى من لا يفهم إلا بتقريبه وتعليم وإلى من لا يفهم التعليم أيضا ولا التنبه كاتقسام الأرض إلى ما يجتمع فيه الساء فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا وإلى ما يحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوت وإلى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الأرض في صفاتها فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روى أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن لللائكة قالت «يا ربنا هل خلقت شيئا أعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال ذهبات لا يحاط بطله هل لكم علم بمدد الرمل قالوا لا قال الله عز وجل فاني خلقت العقل أصنافا شتى كمدد الرمل فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى حبتين ومنهم من أعطى الثلاث والأربع ومنهم من أعطى فرقا ومنهم من أعطى وسقا ومنهم من أعطى أكثر من ذلك (٢) - فان قلت فما بال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والعقول - فاعلم أن السبب فيه أن الناس تعلقوا اسم العقل والعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والإلزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم أنهم أخطأتم في التسمية إذ كان ذلك لا يسمي عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه في القلوب فقدموا العقل والعقول وهو السمي به عندهم فأما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رساله فكيف يتصور ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه وإن ذم فما الذي يذمه محمد فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل للذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما ولا يلتفت إلى من يقول إنه يدرك بين اليقين ونور الإيمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل ما يريده بعين اليقين ونور الإيمان وهي الصفة الباطنة التي تتميز بها الآدمي عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور وأكثر هذه التخييلات إنما نارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخطوا فيها لتخط اصطلاحات الناس في الألفاظ فهذا القدر كاف في بيان العقل والله أعلم .

(١) حديث إن روح القدس نشأت في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة الحديث الشيرازي في الألقاب من حديث سهل بن سعد نحوه والطبراني في الأصغر والأوسط من حديث علي وكلاهما ضعيف (٢) حديث ابن سلام سئل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن لللائكة قالت يا رب هل خلقت شيئا أعظم من العرش الحديث ابن الهجر من حديث أنس بن مالك والترمذي الحكيم في النوادر مختصرا .

يورد ما ظن به أهل الضلال والاضلال .
واعلم أن التقسيم على الإطلاق يستعمل على أعاء توجهها بشيء قدح به القرض أو هجس به الحاطر وإنما للاستعمل ههنا من أعاء ما تتميز به بعض الأشخاص بما اختصت به من الأحوال وكل حاله تسمى توحيدا على جهة تفرد بها لا يشاركها فيها غيرها فمن وجد التوحيد بلسانه يسمى لأجله موحدا مادام يظن أن قلبه موافق للسان وإن علم منه خلاف ذلك سلب عنه الاسم وأقيم عليه ما شرع في الحكم ومن وجد بقلبه على طريق الركون إليه واليل إلى اعتقاده والسكون نحوه بلا علم يصحبه فيه ولا برهان يربط به سمى أيضا موحدا على معنى أنه يستند التوحيد كما يسمى من يستند مذهب الشافعي شافيا والحنبلي حنبليا

ثم كتاب العلم بحمد الله تعالى ومه. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد والحمد لله وحده أولاً وآخراً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب قواعد العقائد ، وفيه أربعة فصول)

الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلتي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام فنقول
وبالله التوفيق : الحمد لله للبدى للعبد الفاعل لما يريد ذي العرش المجيد والبطنى الشديد الهامى
صفوة العبد إلى النهج الرشيد والسلوك السديد النعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن
ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى واقفاء آثار محبه الأكرمين الكرمين
بالتأييد والتسديد المتجلى لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن وأوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو
شاهد للغرف بإيام أنه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثيل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وأنه واحد
قديم لا أول له أزلى لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدى لا نهاية له قیوم لا انقطاع له دائم لا انصرام
له لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والاقصاى بتصرم الآباد واقراض
الآجال بل هو الأول والآخِر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم. التنزيه: وأنه ليس بحسم مصور
ولا جوهر محدود مقدر وأنه لا يعاين بالأجسام لا في التدبير ولا في قبول الانقسام وأنه ليس بجوهر ولا تحله
الجواهر ولا يمرض ولا تحله الأعراض بل لا يعاين موجوداً ولا يماثل موجود ليس كمثلته شيء ولا هو مثل
شيء وأنه لا يحده القدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتشفه الأرضون ولا السموات
وأنه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده استواء منزلها عن العاصية والاستقرار
والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومههورون في
قبضته وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء إلى تخوم الترى فوقية لا تزيد قرباً إلى العرش والسماء
كما لا تزيد بعداً عن الأرض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات
عن الأرض والثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من جبل الوريد وهو
على كل شيء شهيد إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا يماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل في شيء
ولا يحل فيه شيء تعالى عن أن يعويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان
والمكان وهو الآن على ما عليه كان وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواء ولا في سواء ذاته
وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تستربه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزلها
عن الزوال وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال وأنه في ذاته معلوم الوجود بالقول مرقى
الذات بالأبصار نعمة منه ولطفاً بالأبرار في دار القرار وإعظاماً منه للنعم بالنظر إلى وجهه الكريم .
الحياة والقدرة : وأنه تعالى حي قادر جبار قاهر لا يترهبه قصور ولا يحجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يمارضه
فناء ولا موت وأنه ذوالملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات
مطويات يمينه والخالق مقهورون في قبضته وأنه المنفرد بالخلق والاختراع التوحيد بالإيجاد والإبداع
خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف
الأمر لا تعصى مقدورات ولا تنتهى مطلوماته. العلم : وأنه عالم بجميع العلومات محيط بما يجري من
تخوم الأرضين إلى أعلى السموات وأنه عالم لا يعزب عن علمه متقال ذرة في الأرض ولا في السماء بل

(کتاب قواعد العقائد)

عليه بعد هذا إن شاء الله عز وجل . وأما المصنف الثاني وم أرباب الاعتقاد الذين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم أو الوارث أو المبلغ يخبر عن توحيد الله عز وجل أو يأمر به ويلزم البشر قول لا إله إلا الله للنبي عنه قبلوا ذلك واعتقدوه على الجملة من غير تفصيل ولا دليل فنسبوا إلى التوحيد وكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم الذي هو منهم ومنزلة من كثر سواد قوم فهو منهم . وأما المصنف الثالث والرابع فهم أرباب اليأس السليمة الذين نظروا بها إلى أنفسهم ثم إلى سائر أنواع المخلوقات فتأملوها فراءوا على كل منها خطأ منتظما فيها ليس بعربي ولا سرياني ولا عبراني ولا غير ذلك من أجناس الخطوط فبادر إلى قراءة من لم يستعجم عليه وتعلمه منهم من استعجم عليه فاذا هو الخط الإلهي المكتوب على صفحة

يعلو ديبب الخلة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة النور في جو الهواء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرار يعلم قديم أزلي لم يزل موصوفاً به في أزل الأزال لا يعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال . الإرادة : وأنه تعالى مرید للكائنات مدبر للعادات فلا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير صغير أو كبير خيرا أو شرا نفع أو ضرر إيمان أو كفر عرفان أو نكر فوز أو خسران زيادة أو نقصان طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيتة فإشياء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيتة لفظة ناظر ولا فلفة خاطر بل هو للبدى العبد الفعال لما يريد لا إرادة لأمره ولا معقب لقضائه ولا مهرب لبعده عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ولا قوة على طاعته إلا بمشيئته وإرادته فلو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيتته لمجزوا عن ذلك وأن إرادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفاً بها مریداً في أزاله لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها فوجدت في أوقاتها كما أرادته في أزاله من غير تقدم ولا تأخر بل وقت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير في الأمور لا بترتيب أفكار ولا برصد زمان فذلك لم يشغله شأن عن شأن . السمع والبصر : وأنه تعالى سمع بصير يسمع ويرى لا يرب عن سمعه مسموع وإن خفي ولا ينيب عن رؤيته مرئي وإن دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وأذان كما يعلم بغير قلب ويطنش بغير جارحة ويخلق بغير آلة إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق . الكلام : وأنه تعالى متكلم أمرناه وأعدمتوعد بكلام أزلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من اندلال هواء أو اصطكاك أجرام ولا بحرف يتقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه للزلة على رسله عليهم السلام وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والاتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الأبرار ذات الله تعالى في الآخرة من غير جوهر ولا عرض وإذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مریدا مميما بصيرا متكلم بالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام لا يعجز دالته . الأنفال : وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سوى إلا وهو حادث بغيره وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وآتمها وأعدلها وأنه حكيم في أنفاله عادل في أقضية لا يقاس عدله بعدل العباد إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فشكل . ما سواه من إفس وجن . وملك وشيطان ومماء وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وأنشأ إنشاء بعد أن لم يكن شيئا إذ كان في الأزل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق بعد ذلك إظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من إرادته ولما حق في الأزل من كنهه لا لا فتقاره إليه وحاجته وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان إذ كان قادرا على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما وأنه عز وجل يشيب عباده للؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم له إذ لا يجب عليه لأحد فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق وأن حقه في الطاعات واجب على الخلق بإيجابه على ألسنة أنبيائه عليهم السلام لا يعجز العقل ولكنه بث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فلبثوا أمره ونهيه ووعده ووعده

فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به . معنى الكلمة الثانية : وهي الشهادة للرسل بالرسالة وأنه
بث النبي الأمي القرشي محمد صلى الله عليه وسلم رسالته إلى كافة العرب والمجم والجن والانس
ففسخ بصريته الشرائع إلا ما قرره منها وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان
بشهادة التوحيد وهو قول لا إله إلا الله ما لم تقتن بها شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله وألزم
الخلق تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة وأنه لا يتقبل إيمان عبد حتى يؤمن
بما أخبر به بعد الموت ، وأوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيان هائلان يقعدان العبد في
قبره سواء ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن
نبيك (١) وهما قاتنا القبر (٢) وسؤالهما أول فتنة بعد الموت (٣) وأن يؤمن بمذاب القبر (٤) وأنه
حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء ، وأن يؤمن بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته
في العظم أنه مثل طبقات السموات والأرض توزن فيه الأعمال بقدرته الله تعالى ، والصنج يومئذ
مناقل النار والجرذل تحقيقا لحمام العدل وتوضيح مخائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور
فيثقل بها للميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح مخائف السيئات في صورة قبيحة في كفة
الظلمة فيخف بها للميزان بعدل الله (٥) وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم
أحد من السيف وأدق من الشعرة تزلّ عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه قهوى بهم إلى النار
وثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون إلى دار القرار (٦) وأن يؤمن بالخوض للورود

(١) حديث سؤال منكر ونكير الترمذي وصححه وابن حبان من حديث أبي هريرة إذا قبر الميت
أو قال أحدهم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما النكير وللآخر النكير وفي الصحيحين من
حديث أنس إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان
فيقعدانه الحديث (٢) حديث إنيما قاتنا القبر أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قاتنا القبر فقال عمر أتردّ علينا عقولنا الحديث (٣) حديث إن
سؤالهما أول فتنة بعد الموت لم أجده (٤) حديث عذاب القبر أخرجه من حديث عائشة إنكم تفتنون
أو تمذبون في قبوركم الحديث ولهما من حديث أبي هريرة وعائشة استعاذته صلى الله عليه وسلم من
عذاب القبر (٥) حديث الإيمان بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته في العظم أنه مثل طباق
السموات والأرض البهي في البث من حديث عمر قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان الحديث وأصله عند مسلم ليس فيه ذكر الميزان ولأبي داود من حديث
عائشة أما في ثلاثة مواطن لا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أبخف ميزانه أم يثقل زاد ابن
مردويه في تفسيره قالت عائشة أي حي قد علمنا اللوازم هي الكفتان فيوضع في هذه الشيء ويوضع
في هذه الشيء فترجح إحداها وتخف الأخرى والترمذي وحسنه من حديث أنس وأطلبيني عند الميزان
ومن حديث عبد الله بن عمر في حديث البطاقة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة الحديث
وروى ابن شاهين في كتاب السنة عن ابن عباس كفة الميزان كأطباق الدنيا كلها (٦) حديث الإيمان
بالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر الشخان من حديث أبي
هريرة ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ولهما من حديث أبي سعيد ثم يضرب الجسر على جهنم
زاد مسلم قال أبو سعيد إن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف ورفه أحمد من حديث عائشة
والبيهقي في الشعب والبث من حديث أنس وضعه في البث من رواية عبيد بن عمير مرسل ومن
قول ابن مسعود الصراط كحد السيف وفي آخر الحديث ما يدل على أنه مرفوع .

حوض محمد صلى الله عليه وسلم شرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط (١) من شرب منه شربة لم ينظماً بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر ماؤه أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها بعدد نجوم السماء (٢) فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر (٣) وأن يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه إلى مناقش في الحساب وإلى مسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب وهم للقرّيون فيسأل الله تعالى (٤) من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسلين (٥) ويسأل للبتة عن السنة (٦) ويسأل للسليين عن الأعمال (٧) وأن يؤمن بإخراج اللوحدين من النار بعد الاتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله تعالى فلا يخلد

(١) حديث الإيمان بالحوض وأنه يهرب منه المؤمنون مسلم من حديث أنس في نزول - إنا أعطيناك الكوثر - هو حوض ترد عليه أمم يوم القيامة آيته عدد النجوم ولها من حديث ابن مسعود وعفة ابن عامر وجندب وسهل بن سعد أنا فرطك على الحوض ومن حديث ابن عمر أنا لكم حوض كباين جرباء وأدرج . وقال الطبراني كما ينسكم وبين جرباء وأدرج وهو الصواب وذكر الحوض في الصحيح من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وعبد الله بن عمر وحذيفة وأبي ذر وحابس بن مرة وحارثة بن وهب وثوبان وعائشة وأم سلمة وأسماء (٢) حديث من شرب منه شربة لم ينظماً بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عدد نجوم السماء من حديث عبد الله بن عمرو ولها من حديث أنس فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء وفي رواية لمسلم أكثر من عدد نجوم السماء (٣) حديث فيه ميزابان يصبان من الكوثر مسلم من حديث ثوبان يصب فيه ميزابان يمدّانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق (٤) حديث الإيمان بالحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش في الحساب ومسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب البيهقي في البحث من حديث عمر قال يا رسول الله ما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والموت وبالبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والتدبر كله الحديث وهو عند مسلم دون ذكر الحساب ولشيوخين من حديث عائشة من توقف الحساب عذب قالت قلت أليس يقول الله تعالى - فسوف يحاسب حسابا يسيرا - قال ذلك العرض ولها من حديث ابن عباس عرضت على الأُمّ قليل هذه أمّك ومعه سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . ولمسلم من حديث أبي هريرة وعمران بن حصين يدخل من أمم الجنة سبعون ألفا بغير حساب زاد البيهقي في البحث من حديث عمرو بن حزم وأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا زاد أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر بهذه الزيادة فقال فعلا استزده قال قد استزده فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فعلا استزده قال قد استزده فأعطاني هكذا وفرج عبد الرحمن بن أبي بكرين يديه الحديث (٥) حديث سؤال من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسلين . البخاري من حديث أبي سعيد يدعى نوح يوم القيامة فيقول ليك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمتك فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمهات الحديث . ولابن ماجه يحيى النور يوم القيامة الحديث وفيه فيقال هل بلغت قومك الحديث (٦) حديث سؤال للبتة عن السنة ابن ماجه من حديث عائشة من تكلم بشيء من القدر مثل عنه يوم القيامة . ومن حديث أبي هريرة ما من داع يدعو إلى شيء إلا وقف يوم القيامة لازما لدعوة مادعا إليه وإن دعا رجلا رجلا وإسنادها ضعيف (٧) حديث سؤال للسليين عن الأعمال أصحاب السنن من حديث أبي هريرة إن أول ما يحاسب به البدن يوم القيامة من عمله صلاته الحديث وسألي في الصلاة .

الفرقة والجمع وعقلت نفس كل واحد منهم توحيد خالقها بأذنه وإيجاده عن غيره وعقلت أنها عقلت توحيد قسبان من يجرها لذلك وفتح عليها بما ليس في وسعها أن تدركه إلا بهو هو اللطيف الخبير لكن الصنف الثالث لم يقصر كل منهم أن يعرف نفسه موجدا لديه فيما لا يزال وهم للقرّيون والصنف الرابع لم يقصر كل واحد منهم أن يعرف ربه موجدا لنفسه فيما لم يزل وهم الصديقون وبينهما تفاوت كثير . وأما طريق معرفة صحة هذا التقسيم فلأن العقلاء بأسرهم لا يخلو كل واحد منهم أن يوجد أثر التوحيد بأحد الأفعال المذكورة عنده فأما من عدت عنه فهو كافر إن كان في زمن الدعوة أو طي قربه يمكن وصول علمها إليه أو في فترة يتوجه عليه فيها التكليف وهذا صنف يبعد عن مقام هذا

في النار موحد^(١) وأن يؤمن بشفاعاة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين على حسب جاهه ومزله عند الله تعالى ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عز وجل فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان^(٢) وأن يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم وترتيبهم وأن أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم^(٣) وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثق عليهم كما أثنى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين^(٤) فكل ذلك بما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موثقاً به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق رطط الضلال وحزب البدعة فنسأل الله كمال اليقين وحسن الثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته إنه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

الفصل الثاني في وجه التدرج إلى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد . اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوه ليحفظه حفظاً ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً فابتداءً الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله سبحانه على قلب الانسان أن شرحه في أول نشوه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مبادئها التلقين المبرّد والتقليد المفضى نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقى إليه فلا بد من توثيقه وإثباته في نفس الصبي والعامى حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في توثيقه وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقرآنة الحديث ومعانيه ويشغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزاد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من أنوار

(١) حديث إخراج الموحدين من النار حتى لا يبقى فيها موحداً بفضل الله سبحانه الشيخان من حديث أبي هريرة في حديث طويل حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً عن أراد الله أن يرحمه عن يقول لا إله إلا الله الحديث (٢) حديث شفاعاة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن بقي من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقد تقدم في العلم وللشيخين من حديث أبي سعيد الخدري من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان فأخرجوه وفي رواية من خير وفيه فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفعت المؤمنين ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يصلوا شيئاً قط الحديث (٣) حديث أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي البخاري من حديث ابن عمر قال كنا نغيب بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخبر أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ولأبي داود كنا نقول لورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينكره (٤) حديث إحسان الظن بجميع الصحابة والثناء عليهم الترمذي من حديث عبد الله بن مفلح الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدى وللشيخين من حديث أبي سعيد لا نسبوا أصحابي . وللعطري من حديث ابن مسعود إذا ذكر أصحابي فأمسكوا .

الكلام وأما من يوجد عنده فلا يغلو أن يكون مقلداً في عقده أو عالماً به والتقليد من العوام وهم أهل المرتبة الثانية في الكتاب فأما العلماء بحقيقة عقدهم فلا يغلو كل واحد أن يكون بلغ الغاية التي أعدت لسنفه دون النبوة أو لم يبلغ ولكنه قريب من البلوغ فالقدي لم يبلغ وكان على قرب هم القربون وهم أهل المرتبة الثالثة والقدي بلغوا الغاية التي أعدت لهم وهم السديقون وهم أهل المرتبة الرابعة وهذا التقسيم ظاهر الصحة إذ هو دائريين النقي والاثبات وعصور بين للبادي والغايات ولم يدخل أهل المرتبة الأولى في شيء من تصحيح هذا التقسيم إذ ليس هم من أهله إلا بانتساب كاذب ودعوى غير صافية ثم لا بد من الوفاء بما وعدناك به من إهداء بحث مزيد شرح وبسط يان تعرف منه ماذن الله حقيقة

العبادات ووظائفها وبما يسرى إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسماهم وصماعهم وهياتهم في
الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له فيكون أول التلقين كالتقاء بذر في الصدر وتكون
هذه الأسباب كالسقي والترية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت
وفرعها في السماء وينبئ أن يحرس سمه من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل
أكثر مما يعمده وما يفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالدقة من الحديد
رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها وربما غلبت الشاهدات تكفيك في هذا
بيانا فناهيك بالبيان برهانا قس عقيدة أهل السلاح والتقى من عوام الناس بقيدة التكمين
والمجادلين ترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة التكمين
الحارس اعتقاده بتضحيات الجدل كخيوط مرسل في الهواء فيثبته الريح مرة هكذا ومرة هكذا إلا من سمع
منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كالتلفف نفس الاعتقاد تقليدا إذ لا فرق في التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم
الدلول فتلقين الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي إذا وقع نشوء على هذه
العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم يفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد أهل الحق إذ لم
يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فأما البحث والتفتيش
وتسكف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا وإن أراد أن يكون من السلك طريق الآخرة وساعده التوفيق
حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة اختصت له
أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده
عز وجل إذ قال - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لم يحم الهستين - وهو الجوهر النفيس الذي
هو غاية إيمان الصديقين والقرينين وإليه الإشارة بالسرا الذي وقر في صدر أبي بكر الصديق رضي الله عنه
حيث فضل به الخلق وانكشف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات
الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كثافات الخلق في أسرار
الطب والفقه وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في التكاء والفطنة وكما
لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه . مسألة : فان قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو
مباح أو مندوب إليه فاعلم أن للناس في هذا غلوا وإسرافا في أطراف فمن قائل إنه بدعة وحرام وإن البدين
لحق الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خيره من أن يلقاه بالكلام ومن قائل إنه واجب وفرض إما على
الكفاية أو على الأعيان وإنما أفضل الأعمال وأعلى القربات فانه تحقيق لم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى
وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف قال ابن
عبد الأمل رحمه الله سمعت الشافعي رضي الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من مشكلى للعترة
يقوله لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من علم
الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه وقال أيضا قد اطلمت من أهل الكلام على شيء
ما ظننته قط ولأن يتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام .
وحكى الكرايى أن الشافعي رضي الله عنه سئل عن شيء من الكلام فضرب وقال سل عن هذا
حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله ولما مرض الشافعي رضي الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له
من أنا قال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب بما أنت فيه وقال أيضا لو علم الناس ما في
الكلام من الأهواء لقروا منه فراهم من الأسد وقال أيضا إذ سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى
أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولادين له قال الزعفراني قال الشافعي حكى في أصحاب

كل مرتبة ومقام
واقسام أهله فيه
بحسب الطاقة والإمكان
بما يجريه الواحد الحق
على القلب والاسان
(بيان مقام أهل النطق
المجرد وتميز فرقه)
فأقول أرباب النطق
المجرد أربعة أصناف
أحدهم نطقوا بكلمة
التوحيد مع شهادة
الرسول صلى الله عليه
وسلم ثم لم يستقدوا معنى
ما نطقوا به لما لم يملوه
لا يتصورون صحته
ولا فساد ولا صدقه
ولا كذبه ولا خطأ
ولا صوابه إذ لم يستحقوا
عليه ولا أرادوا فهمه
إما بعد مهمتهم وقلة
أكثر أنهم وإما لنفورهم
من التعب وخوفهم أن
يكلفوا البحث عما
نطقوا به أو يبدو لهم
ما يلزمهم من الاعتقاد
والعمل وما بعد
ذلك فان التزموها
فارقوا راحت أبدانهم
العاجلة وفراغ أنفسهم
وإن لم يلتزموا شيئا
من ذلك وقد حصل
لهم العلم فتكون
عيشتهم منخسة وملازم
مكثرة من خوف

عقاب ترك ما علموا لزومه ومثل هؤلاء مثل من يريد قراءة الطب أو يعرض عليه ولكنه يمنعه عنه عفاة أن يتطلع منه على ما يغير عنه بعض ملاذه من الأطعمة والأشربة والأنكحة أو كبير منها فيحتاج إلى أن يتركها أو يرتكبها على رقيه وخوف أن يصيبه صورة ما يسل ضرورة منها فيدع قراءة الطب رأساً. مثل هذا الصنف عن معنى ما نطقوا به هل اعتقدوه فيقولون لا نعلم فيه ما يستند وما دعانا النطق إلا مساعدة الجماهير وانحرطاً باظهار القول في الجرم الفغير ولا نعرف هل ما قلناه بالحقيقة من قبل العرف والنكير ولا شك أن هذا الصنف الذي أخبر صلى الله عليه وسلم عن حاله بمسئلة للكيين أحدهم في القبر إذ يقولان من ربك ومن نيك وما دينك فيقول لأدرى سمعت الناس يقولون قولا قتلته

الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب الكلام أبداً ولا تكاد ترى أحداً نظراً في الكلام إلا وفي قلبه دغل وبالع في ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على البدعة وقال له وبحك أأست تحكي بدعتهم أو لا ثم ترد عليهم أأست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكير في تلك الشبهات فيدعوم ذلك إلى الرأي والبحث. وقال أحمد رحمه الله علماء الكلام زنادقة. وقال مالك رحمه الله أرايت إن جاءه من هو أجدل منه أبعد دينه كل يوم لدين جديد يعني أن أقوال المتجادلين تتفاوت وقال مالك رحمه الله أيضاً لا يجوز شهادة أهل البدع والأهواء فقال بعض أصحابه في تأويله إنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا وقال أبو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما قلنا عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وأصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولمونه من الشر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون»^(١) أي المتنطعون في البحث والاستقصاء واحتجوا أيضاً بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله ﷺ ويعلم طريقه ويثنى عليه وعلى أربابه فقد علمهم الاستنباط^(٢)، ونذهبهم إلى علم الفرائض وأثنى عليهم^(٣) ونهاهم عن الكلام في القدر وقال أمسكوا^(٤) عن القدر، وعلى هذا استمر الصحابة رضي الله عنهم فالزيادة على الأستاذ طغيان وظلم وهم الأستاذون والقدة ونحن الأتباع والتلامذة وأما الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن قالوا إن المحذور من الكلام إن كان هو لفظ الجوهرو والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم تصدها الصحابة رضي الله عنهم فالأمر فيه قريب إذ ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولوعرض عليهم عبارة النقص والكسر والتركيب والتعدي وفساد الوضع إلى جميع الأسئلة التي تورد على القياس لما كانوا يفقهونه فأحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وإن كان المحذور هو المعنى فحين لا نفي به إلا المعرفة الخليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كجاء في الشرع فمن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل وإن كان المحذور هو القنصب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي إليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن السكر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضي إليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه إليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظوراً وقد قال الله تعالى قل هاتوا برهانكم وقال عز وجل - ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة - وقال تعالى - قل هل عندكم من سلطان بهذا أي حجة وبرهان وقال تعالى - قل لله الحجة البالغة - وقال تعالى - ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه - إلى قوله - قهت الذي كفر - إذ ذكر سبحانه احتجاج إبراهيم ومجادلته وإخامه خصمه في معرض الثناء عليه وقال عز وجل - وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه - وقال تعالى - قالوا يانوح قد جادتنا فأكثر جدالنا - وقال تعالى في قصة فرعون - وما رب العالمين - إلى قوله - وأولو

(١) حديث هلك المتنطعون مسلم من حديث ابن مسعود (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم علمهم الاستنباط مسلم من حديث سلمان الفارسي (٣) حديث نذهبهم إلى علم الفرائض وأثنى عليهم ابن ماجه من حديث أبي هريرة تملوا الفرائض وعلوها الناس الحديث ولقرئ من حديث أنس وأقرضهم زيد بن ثابت (٤) حديث نهام عن الكلام في القدر وقال أمسكوا . تقدم في العلم .

جئتكم بنى ميين سوطي الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره حاجة مع الكفار فسدت أمة للتكلمين في التوحيد قوله تعالى - لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا - وفي النبوة - وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله - وفي البعث - قل يحيى الذي أنشأها أول مرة - إلى غير ذلك من الآيات والأدلة ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون للنسكرين ويجادلونهم قال تعالى - وجادلهم بالتي هي أحسن - فالصحابة رضي الله عنهم أيضا كانوا يحاجون للنسكرين ويجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة إليه قليلة في زمانهم وأول من سن دعوة البتدعة بالمجادلة إلى الحق طي بن أبي طالب رضي الله عنه إذ بعث ابن عباس رضي الله عنهما إلى الخوارج فكلهم فقال ما تقدمون على إمامكم قالوا قاتل ولم ينسب ولم ينهم فقال ذلك في قتال الكفار أرايتم لو سببت عائشة رضي الله عنها في يوم الجمل فوقعت عائشة رضي الله عنها في سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي أسكنكم في نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم إلى الطاعة بمجادلته ألفان وروى أن الحسن ناظر قدر يفرج عن القدر وناظر طي بن أبي طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يزيد ابن عبيدة في الإيمان قال عبد الله لو قلت إني مؤمن لقلت إني في الجنة فقال له يزيد بن حميرة يا صاحب رسول الله هفمزة منك وهل الإيمان إلا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث واليران وتقيم الصلاة والصوم والزكاة ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلنا أناس من أهل الجنة فمن أجل ذلك تقول إنا مؤمنون ولا تقول إنا من أهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله إنها مني زلة فينبغي أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذ صناعة فيقال أما قل خوضهم فيه فإنه كان لقلة الحاجة إذ لم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان وأما القصر فقد كان الغاية إتمام الحزم واعترافه وانكشاف الحق وإزالة الشبهة فلو طال إشكال الحزم أو لجاجة لطال لا حاجة إلزامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بيزان ولا مكيال بعد الشروع فيها وأما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فيه فكذا كان دأبهم في الفقه والتفسير والحديث أيضا فإن جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تنفق إلا على الدور إما ادخار ليوم وقوعها وإن كان نادرا أو تشجيذا للخوارق فمن أيضا ترتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشجيع الحاضر أو لادخار الحجة حتى لا يمجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتيال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين . فان قلت فما المختار عندك فيه فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بدمه في كل حال أو بحمده في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل فاعلم أولا أن الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والنية وأغنى بقولي لذاته أن علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار واللوث وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام ولا يلتفت إلى إباحة النية عند الاضطرار وإباحة تجرع الخمر إذا غص الإنسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر وإلى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك للسلم في وقت الحيار والبيع وقت النداء وكأكل الطين فإنه يحرم لما فيه من الأضرار وهذا ينقسم إلى ما يضر قلبه وكثيره فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذي يقتل قلبه وكثيره وإلى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالإباحة كالعسل فإن كثيره يضر بالهرور وكأكل الطين وكان إطلاق التحريم على الطين والخمر والتحليل على العسل الثقات إلى أغلب الأحوال فان تصدى شيء قابلت فيه الأحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصل فنمود إلى علم الكلام وتقول إن فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعة في وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار وعمله حرام أما مضرته فثائرة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل

فيقولان لا خديت ولا تليت وصحاه النبي صلى الله عليه وسلم الشاكول للرتاب والصنف الثاني نطق كما نطق الدين من قبلهم ولكنهم أضافوا إلى قولهم ما لا يحصل معه الإيمان ولا ينظم به معنى التوحيد وذلك مثل ما قالت السبابة طائفة من الشيعة التقدماء ان عليا هو الإله وبلغ أمرهم عليا رضي الله عنه وكانوا في زمنه غرق منهم جماعة وأمثال من نطق بالشهادتين كثير ثم أصحاب نطقه مثل هذا التكبر ويسمون الزنادقة وقد رأينا حديثا عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك « متفرق أمي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا الزنادقة » . والصنف الثالث نطقوا كما نطق الصنفان المذكوران قبلهم ولكنهم آثروا التكذيب واعتقدوا الرد واستنبطوا خلاف ما ظهر منهم من الاقرار وإذا رجعوا إلى أهل

الإلحاد أعلنوا عندهم
كلمة الكفر فهو لاء
التأقون الذين ذكرهم
الله في كتابه بقوله :
وإذا لقوا الذين آمنوا
قالوا آمنا وإذا خلوا
إلى شياطينهم قالوا
إننا معكم إنما نحن
مستزون الله يستهزي
بهم ويمدح في طغيانهم
يسمعون . الصنف
الرابع قوم لم يعرفوا
التوحيد وما نشأوا
عليه ولا عرفوا أهله
ولاسكنوا بين أظهرهم
ولكبرهم حين وصلوا
إلينا أو وصل إلهم
أحد منا خاطبوا
بالأمر المقتضى للنطق
بالشهادتين . والاقرار
بهما فقالوا لا نعلم
مقتضى هذا اللفظ
ولا نعلم معنى الأمرين
من النطق فأمرنا أن
نظهر والرضا وضمهما
بلا مشقة فسكنوا إلى
ما قبل لهم ونطقوا
بالشهادتين ظاهرا
وهم على الجهل بما
يستقدون فيها فاخترم
أحدهم من حينه من
قبل أن يأتي منه
استهام أو تصور يمكن
أن يكون له مع معتقد

مشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد
البدعة للبدعة وتثبيتته في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويستند حرصهم على الإصرار عليه ولكن
هذا الضرر بواسطة التصيب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى للبدع العامي يمكن أن يزول اعتقاده
باللطف في أسرع زمان إلا إذا كان نشوءه في بلد يظهر فيها الجدل والتصيب فإنه لو اجتمع عليه الأولون
والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتصيب وبغض خصوم المجادلين وفرقة
المخالفين يستولى على قلبه وينمعه من إدراك الحق حتى لو قيل له هل تريد أن يكشف الله تعالى لك النطاء
ويسرك بالبيان أن الحق مع خصمك لكراه ذلك خيفة من أن يفرض به خصمه وهذا هو الداء المضال
الذي استطار في البلاد والبلاد وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتصيب فهذا ضرره وأما منفتحة فقد يظن
أن فائدته كشف الحقائق ومعرفة ما هي عليه وهيات فليس في الكلام وفاد هذا المطلب الشريف
ولعل التخييل والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوى ربما
خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاصبر هذا بمن خبر الكلام ثم قلاه بمحققة الحجة وبمد التخلل
فيه إلى منتهى درجة التكلمين وجاوز ذلك إلى التعقيد في علوم آخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن
الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح
لبعض الأمور ولكن على التدور في أمور جليلة تكاد تفهم قبل التعقيد في صنعة الكلام بل منفتحة
واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات البدعة بأنواع الجدل
فإن العامي ضعيف يستغربه جدل البدع وإن كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس
متبعون بهذه العقيدة التي قدمناها إذ ورد التمرع بها لما فيها من صلاح دينهم وديارهم وأجمع السلف
الصالح عليها والطماء يتبعون بحفظها على العوام من تلبسات البدعة كما تبعد السلاطين بحفظ
أموالهم عن نهجمات الظلمة والفساد وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنعته فينبغي أن يكون كالطبيب
الحاذق في استعمال الدواء الخطر إذ لا يضمنه إلا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة .
ونفصليه أن العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها
مهما تأقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فإن تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم إذ ربما يثير لهم
شكا وبزول عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالإصلاح وأما العامي المعتد للبدعة فينبغي أن
يدعى إلى الحق باللطف لا بالتصيب وبالكلام اللطيف القنع للنفس الزورقي القلب القريب من نيقاق
أدلة القرآن والحديث المزوج بغير من الوعظ والتحذير فإن ذلك أنفع من الجدل للوضع على
شرط التكلمين إذ العامي إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل تعلمها التكلم ليستدرج الناس
إلى اعتقاده فإن هجر عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضا يقدر على دفعه فالجدل
مع هذا ومع الأول حرام وكذلك مع من وقع في شك إذ يجب إزالة اللطف والوعظ والأدلة القريبة
المقبولة البينة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل إنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض على
اعتقاد البدعة بتوع جدل صمه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له
من الأنس بالمجادلة ما ينمعه عن القناعة بالمواظع والتحذيرات العامة فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه
منها إلا دواء الجدل فجاز أن يلقي إليه وأما في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر
فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للأدلة ويتربص وقوع شبهة فإن وقعت ذكره
بقدر الحاجة فإن كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا فلا بأس أن يلجأوا
إلى قدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات البدعة إن وقعت

فيرجى أن لا تضيق عنه
سعة رحمة الله عز
وجل والحكم عليه
بالتار والخلود فيها مع
الكفار تحكم على غيب
الله سبحانه وربما
كان من هذا الصنف
في الحكم عند الله عز
وجل قوم رزقوا بمد
الهم وغيب الدهن
وفرط البسالة أن
يدعوا إلى النطق
فيجيبوا مساعدة
ومحاذاة ثم يدعوا إلى
فهم المعنى بكل وجه
فلا يتأتى منهم قبول
لما يعرض عليهم ففهمه
كأنما تخاطب بهيمة
ومثل هذا أيضا في
الوجود كثير ولا أحكم
على أحد مثله بخلود
في النار ولا بعد أن هذا
الصنف بأسره أعنى
المخترم قبل تحصيله
العقد مع هذا البليد
البيد بعض ما ذكره
النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث الشفاعة
الدين أخرجهم الله عز
وجل من النار بشفاعته
حين يقول تعالى: فرغت
شفاعة اللائكة والنبين
وبقيت شفاعتي . وهو
أرحم الراحمين فيخرج

إليهم وهذا مقدار مختصر وقد أودعاه هذا الكتاب لاختصاره فان كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه
لموضع سؤاله أو ثارت في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر
الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر في
قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث التسكلمين فان أفضعه ذلك كفى عنه وإن لم يقمه ذلك فقد
صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله تعالى
فيه إلى أن ينكشف له الحق بتبنيه من الله سبحانه أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له فالقدر
الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من الصفات هو الذي يرجى فقهه فأما الخارج منه فبيان أحدهما
بحث عن غير قواعد العقائد كالبحت عن الاعتمادات وعن الأكواف وعن الادراكات وعن الخوض
في الرؤية هل لها ضد يسمى النع أو العمی وإن كان فذلك واحدهو منع عن بيع ما لا يرى أو ثبت
لسكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات للضلات والقسم الثاني زيادة
تقرير تلك الأدلة في غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضا استفصاء لا يزيد إلا ضللا
وجهلا في حق من لم يقمه ذلك القدر فرب كلام يزيد الإطناب والتقرير غموضا . ولوقال قائل البحت
عن حكم الادراكات والاعتمادات فيه فائدة تشجيد الخواطر والخواطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد
فلا بأس بتشجيده كان كقول له لرب الشطر نج يشجدا لخواطر فهو من الدين أيضا وذلك هوس فان الخاطر
يتشجد بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر اللبوم والقدر الحمود من
الكلام والحال التي يذم فيها والحال التي يحمدها والشخص الذي يستفيع به والشخص الذي لا يستفيع به .
فان قلت مهما اعترفت بالحاجة إليه في دفع البتدعة والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت
الحاجة فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق
كالقضاء والولاية وغيرها وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك
بالكلية لا تدرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه البتدعة ما لم يتعلم فينبغي أن يكون التدريس فيه
والبحث عنه أيضا من فروض الكفايات بخلاف زمن الصحابة رضي الله عنهم فان الحاجة ما كانت ماسة
إليه فاعلم أن الحق أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه البتدعة التي ثارت في تلك البلدة
وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كالتدريس الفقه والتفسير فان هذا مثل
الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر فالعلم
ينبغي أن يخص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال إحداها التجرد للعلم والحرس عليه فان المخترع
يمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت . الثانية الذكاء والفتنة والفصاحة فان
البليد لا ينتفع بفهمه والقدم لا ينتفع بمحاجاه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه فقه .
الثالثة أن يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبية عليه فان الفاسق
بأدنى شبهة ينخلع عن الدين فان ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد الذي بينه وبين اللاذ فلا يحرس على
إزالة الشبهة بل يستفهمها ليتخلص من أعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا التعلم أكثر مما يصلحه
وإذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك أن هذه الحجة المحمودة في الكلام إنما هي من جنس حجاج
القرآن من الكلمات الطييفة المؤثرة في القلوب القنعة للنفوس دون التغافل في التفسيات والتدقيقات التي
لا يفهمها أكثر الناس وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوة وصناعة تلحقها صاحبها للتبليس فاذا قابله
مثل في الصنعة قاومه، وعرفت أن الشافعي وكافة السلف إنما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما
فيه من الضرر الذي نهنا عليه وأن ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من منظر الخواارج

من النار أقوام لم يصلوا
حسنة قط ويدخلون
الجنة ويكونون في أعناقهم
صمات ويسمون عتقاء
الله عز وجل والحديث
يطول وهو صحيح
وإنما اختصرت منه
قدر الحاجة على للمنى
وحكم المصنف الأول
والثاني والثالث أجمعين
أن لا يجب لهم حرمة
ولا يكون لهم عصمة ولا
ينسبون إلى إيمان ولا
إسلام بل هم أجمعون
من زمرة الكافرين
وجمة المالكين ،
عشر عليهم في الدنيا
قتلوا فيها سيوف
الوحيد وإن لم يشر
عليهم فهم صائرون إلى
جهنم خالدين تلهج
وجوههم النار وهم فيها
كالخون .

[فصل] ولما كان
اللفظ النبي عن
التوحيد إذا انفرد
عن التقدير وتجرد عنه
لم يقع به في حكم الشرع
منفعة ولا لصاحبه
بسيه نجا إلا مدة
حياته عن السيف
أن يراق دمه واليدان
تسلط على ماله

وما نقل عن علي رضي الله عنه من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلى الظاهر وفي محل
الحاجة وذلك محمود في كل حال ، نعم قد تختلف الأعصار في كثرة الحاجة وقتها فلا يبعد أن يختلف
الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فأما إزالة
الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه وإدراك الأسرار التي يترجمها ظاهر الفاظ
هذه العقيدة فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال بالسكينة على الله تعالى وملازمة الفكر
الصافي عن شوائب المبادلات وهي رحمة من الله عز وجل تغني عن من يتعرض لنفعاتها بقدر
الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره
ولا يبلغ ساحله [مسئلة] فإن قلت هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار وبعضها
جلى يبدو أولا وبعضها خفى يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحديث والفكر الصافي والسر الخفى
عن كل شيء من أشغال الدنيا سوى للطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع إذ ليس للشرع ظاهر
وباطن وستر وعلم بل الظاهر والباطن والسر والعلم واحد فيه فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى
خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وإنما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في أوائل الصبا شيئا
وجردوا عليه فلم يمكن لهم ترقى إلى شأو العلماء ومقامات العلماء والأولياء وذلك ظاهر من أدلة
الشرع قال صلى الله عليه وسلم « إن القرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلما (١) » وقال علي رضي الله
عنه وأشار إلى صدره إن ههنا علوما جمة لو وجدت لها حكمة . وقال صلى الله عليه وسلم « نحن
معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حدث
أحد قوما بعدي لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم (٣) » وقال الله تعالى - وتلك الأمثال نضربها
للناس وما يفلها إلا المالمون - وقال صلى الله عليه وسلم « إن من العلم كهيئة للكون لا يسله
إلا المالمون بالله تعالى (٤) » الحديث إلى آخره كما أوردناه في كتاب العلم . وقال صلى الله عليه وسلم
« لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا (٥) » فليت شعري إن لم يكن ذلك سرا منع من
إفشائه لقصور الأفهام عن إدراكه أو لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم ولا شك أنهم كانوا يصدقون بملود ذكره
لهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل - الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض
مثلهن ينزل الأمر بينهما - لو ذكرت تفسيره لرجمتوني وفي لفظ آخر قلتم إنه كافر . وقال
أبو هريرة رضي الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعشرين أما أحدهما فبثته
وأما الآخر لو بثته لقطع هذا الخلق . وقال صلى الله عليه وسلم « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام
ولا صلاة ولكن بسرور في صدره (٦) » رضي الله عنه ولا شك في أن ذلك السر كان متملقا بقواعد
الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره وقال سهل التستري
رضي الله عنه للمالم ثلاثة علوم علم ظاهر يغله لأهل الظاهر وعلم باطن لا يسمعه إظهاره إلا لأهله
وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد . وقال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر وقال
بعضهم للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة والنبوة سر لو كشف لبطل العلم والعلم باق سر لو أظهره

- (١) حديث إن القرآن ظاهرا وباطنا الحديث ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه
(٢) حديث نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم الحديث تقدم في العلم (٣) حديث
ما حدث أحد قوما بعدي لم تبلغه عقولهم الحديث تقدم في العلم (٤) حديث إن من العلم كهيئة للكون
الحديث تقدم في العلم (٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أخرجه من حديث
عائشة وأنس (٦) حديث ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام الحديث تقدم في العلم .

لبطلت الأحكام وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق المذموم لقصور فهمهم فاذا كره له بحق بل الصحيح أنه لا تناقض فيه وأن الكامل من لا يطق نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة [مسئلة] فإن قلت هذه الآيات والأخبار يتطرق إليها تأويلات فيبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فإن الباطن إن كان مناقضا للظاهر ففيه إبطال الشرع وهو قول من قال إن الحقيقة خلا الشريعة وهو كفر لأن الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وإن كان لا يناقض ولا يخالفه فهو غير زول به الإقسام ولا يكون للشرع سر لا يخفى بل يكون الحفي والجلي واحدا . فأن هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر إلى علوم السكافة ويخرج عن مقصود علم العامة و غرض هذه الكتب فإن العقائد التي ذكرناها من أعمال القلوب وقد تصدنا بتلقينها بالقول والتصد بصدق القلب عليها لا بأن يتوصل إلى أن ينكشف لنا حقائقها فإن ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا من الأعمال لما أوردناه في هذا الكتاب ولولا أنه عمل ظاهر القلب لا عمل باطن لما أوردناه في الكتاب الأول من الكتاب وإنما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن إذا انجر الكلام تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فن قال إن الحقيقة تخالف الشر أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان بل الأسرار التي يختص بها للتقرب يدركها ولا يشاركهم الأكثرون في عملها ويمتنعون عن إفشائها إليهم ترجع إلى خمسة أقسام : الله الأول أن يكون الشيء في نفسه دقيقا تسلك أكثر الأنفهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وحده أن لا يشعروا إلى غير أهله فيصير ذلك قننة عليهم حيث تقصر أنفهامهم عن الفكر وإخفاء سر الرد وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه (١) من هذا القسم فإن حقيقته مما تسلك الأنفهام : دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه ولا تظن أن ذلك لم يكن مكتشفا لرغول الله صلى الله عليه وسلم فإن من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه ولا بد أن يكون ذلك مكهوبا لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ولكم يتأدبون بأداب الله فيسكتون عما سكت عنه بل في صفاق الله عز وجل من الخفايا ما تقصر أنفهام الجماهير عن دركه يذكر رسول الله ﷺ منها إلا الظواهر للأنفهام من العلم والقدرة وغيرها حتى فيها الخلق بنوع مناه توهيها إلى علمهم وقدرتهم إذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بمقاييس ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض للناسبة شيء لم يفهموه بل لغة الجماع ذكرت للصحى أو السنين لم يفهمها إلا بمناسبة إلى لغة المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما التحقيق والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لغة الجم والأكل . وبالجملة فلا يدرك الإنسان إلا نفسه وصفاته نفسه محاي حاضرة له في الحال أو بما كانت له قبل ثم بالمقاييس إليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتا في الشرف والكمال فليس في قوة البه إلا أن يثبت الله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكل وأشرف فيكون معظم تحريره على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به . الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (٢) ولي

(١) حديث كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيان الروح الشيخان من حديث ابن مسه حين سأله اليهود عن الروح قال فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا الحد (٢) حديث لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك مسلم من حديث عائشة أنها سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول ذلك في سجوده .

إذ لم يعلم خلق حاله حسن فيه أن يشبه بقشر الجوز الأعلى فهو لا يحتمل ولا يرفع في البيوت ولا يحضر في المجالس أى مجالس الطعام ولا تشبهه النفوس إلا مادام منطويا على طعمه سونا على لبه فاذا أزيل عنه بكسر أو علم منه أنه منطو على فراغ أو سوس أو طعمه فاسد لم يصلح لشيء ولم يبق فيه غرض لأحد وهذا لا يخفى في محته والقرض بالتمثيل تقرب ما غمض إلى نفس الطالب وتسهيل ما اعتاس على المتعلم والسامع فهمه وليس من شرط المثال أن يطابق للمثل به من كل وجه فكان يكون هو ولكن من شرطه أن يصحكون مطابقا لخواصه المراد منه .

[فصل] فإن قلت لما الذي صد هؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النطق عن النظر والبحث حتى قبلوا أو من الاعتقاد حتى تخلصوا من عذاب الله

المنى أن أعجز عن التعبير عما أدركته بل هو اعتراف بالصعوبة عن إدراك كنه جلالة ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل وقال الصديق رضى الله عنه الحمد لله الذى لم يجعل الخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته . ولتنبض عنان الكلام عن هذا النقط ولترجع إلى الفرض وهو أن أحد الأقسام ما تسلك الأفهام من إدراكه ومن جلته الروح ومن جلته بعض صفات الله تعالى ولعل الإشارة إلى مثله فى قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله سبحانه سميع حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره » (١) القسم الثانى من الحفريات التى تمنع الأنبياء والصديقين عن ذكرها ما هو مفهوم فى نفسه لا يكمل الفهم عنه ولكن ذكره يضر بأكثر السامعين ولا يضر بالأنبياء والصديقين وسر القدر الذى منح أهل العلم من إفشائه من هذا القسم فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بأبصار الحفائش وكأضرار ريار الورد بالجلد وكيف يعمد هذا وقولنا إن الكفر والزنا واللصا والشرور كله قضاء الله تعالى وإرادته ومشيئته حق فى نفسه وقد أضر صماعة بقوم إذ أومهم ذلك عندهم أندالة على السفيه وتقيض الحكمة والرضا بالقيبح والظلم وقد ألد ابن الراوندى وطائفة من المذوليين على ذلك وكذلك سر القدر لو أفضى لأوهم عند أكثر الخلق عجزا إذ تقصر أفهامهم عن إدراك ما يزيد ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل إن القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد خوفا من الضرر فعمل المدة إليها بعيدة فيطول الأمد وإذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل أكثراتها ولعلها كانت قريبة فى علم الله سبحانه ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الأعمال وخربت الدنيا فهذا المنى لو أنجحه وسح فيكون مثالا لهذا القسم . القسم الثالث : أن يكون المنى بحيث لو ذكر صريحها لقم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكفى عنه على سبيل الاستمارة والرمز ليكون وقعه فى قلب المستمع أغلب وله مصلحة فى أن يعظم وقت ذلك الأمر فى قلبه كالمو قال قائل رأيت فلانا يتلذذ الدر فى أعناق الخنازير فكفى به عن إفشاء العلم وبث الحكمة إلى غير أهلها فالمستمع قد يسبق إلى فهمه ظاهر اللفظ والمحقق إذا نظر وعلم أن ذلك الإنسان لم يكن معه در ولا كان فى موضعه خنزير تمنطق فدرك السر والباطن فيفتاوت الناس فى ذلك ومن هذا قال الشاعر :
رجلان خياط وآخر حائك متقابلان على السكك الأعزل
لازال ينسج ذاك خرقة مدبر ويخيط صاحبه ثياب القبل

فانه عبر عن سبب صموى فى الأقبال والادبار برجلين صائمين وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن المنى بالصورة التى تتضمن عين المنى أو مثله . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « إن المسجد ليزوى من النخامة كما تزوى الجملدة على النار » (٢) وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه أن روح المسجد كونه معظما ورمى النخامة فيه تحقيره فيضاد معنى السجدة مضادة النار لاصصال أجزاء

(١) حديث إن الله سميع حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب المظنة من حديث أبى هريرة بين الله وبين اللائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور وإسناده ضعيف . وفيه أيضا من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل هل ترى ربك قال إن بينى وبينه سبعين حجابا من نور . وفى الأكبر للطبرانى من حديث سهل بن سعد دون الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة ولمسلم من حديث أبى موسى حجاب التور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ولا ين ماجه شئ أدركه بصره .

(٢) حديث إن المسجد ليزوى من النخامة الحديث لم أجد له أصلا .

وهم فى الظاهر قادرين على ذلك وما للسائق الحسنى الذى منهم وأبدهم عنه وهم يلون أن ناعلمهم كبير مؤنة ولا عظيم فقة فاعلم أن هذا السؤال يفتح بابا عظيما ويبرز قاعدة كبيرة يخاف من التوغل فيها أن يخرج من القصد ولكن لابد إذا وقع فى الأصحاح ووعته قلوب الطالبين واشتاتت إلى صماح الجواب عنه أن نورد فى ذلك قدر ما يقع به الكفاية وتفتح به النفوس بحول الله وقوته ، نعم ما سبق فى العلم القديم لا تجرى غلاله المقادير فهم من ذلك بارادة الله عز وجل جاء اختصاص قلوبهم بالأخلاق السكانية والشيم الثمينة والطباع السبغة وغلبتها عليهم واللائكة لا تدخل بيتا فيه كلب كذلك قال عليه الصلاة والسلام والقلوب يوت تولى الله بنامها يسه وأعداها لأن

الجلدة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «أما يغشى الذي رفع رأسه قبل الامام أن يحول أقراسه رأس حمار» (١) وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن إذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل بخاصيته وهي البلادة والحق ومن رفع رأسه قبل الامام قد صار رأسه رأس حمار في معنى البلادة والحق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى إذ من غاية الحق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل عقلي أو شرعي أما العقلي فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢) إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين فلم نجد فيها أصابع فلم أنها كناية عن القدرة التي هي سر الأصابع وروحها الحق وكفى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم ولما في فهم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل في كنياته عن الاقتدار قوله تعالى -إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقوله كن فيكون- فان ظاهره ممتنع إذ قوله كن إن كان خطأ بالشيء قبل وجوده فهو محال إذ العدم لا يفهم الخطاب حتى يتصل وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكتابة أوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل إليها . وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكنا ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى -أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها- الآية وأن معنى الماء ههنا هو القرآن ومعنى الأودية هي القلوب وأن بعضها احتملت شيئا كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل والزيد مثل الكفر والتناقض فانه وإن ظهر وطفا على رأس الماء فانه لا يثبت ولهداية التي تنفع الناس تمكث ، وفي هذا القسم تصدق جماعة فأولوا ما ورد في الآخرة من البرزخ والصراط وغيرها وهو بدعة إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية وإجراؤه على الظاهر غير محال فيجب إجراؤه على الظاهر . القسم الرابع : أن يدرك الانسان الشهادة جلية ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق واليقين بأن يصير حاله لا يبا له في تفاوت العلماء ويكون الأول كالقشر والثاني كاللباب والأول كالظاهر والثاني كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة أو على البعد فيصلح له نوع علم فاذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدركه بفرقة بينهما ولا يكون الأخير صدق الأول بل له استكمال له فكذلك العلم والايمان والتصديق إذ قد يصدق الانسان بوجود المشرق والمريض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع أو كل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان في الشهوة والمشرق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة الأول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والثاني عند وقوعه والثالث عند تصدقه فان تحققك بالجويع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الأقسام الأربعة تفاوت الخلق وليس في شيء منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتم اللب القشر والسلام . القسم الخامس : أن يمر بلسان المقال عن لسان الحال فالناصر الفهم يقف على الظاهر ويستقده نظما والبصير بالحقائق يدرك السرفيه وهذا كقول القائل : قال الجدار للوثة لم تشقني قال سلم من يدقني فلم يتركني ورأى الحجر الذي ورأى فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ، ومن هذا قوله تعالى -ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين- فالبلد يفقر في فهمه إلى أن يقدّر لها حياة وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والأرض فتجيبان

تكون خدائن عليه ومشارك مصكّنوناته ومهيطة ملائكته ومغاشي أنواره ومهابت شعاعه ومحال مكاشفاته ومجاري رحمة وهياها لتحصيل المعرفة به فيكون فيها شيء من تلك الأخلاق للدمومة لم يدخلها الملائكة ولم ينزل عليها شيء من الخير من قبله إذ هي الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه وهم الوفود منه بالخيرات والواصلون إليه وعنه بالباقيات الصالحات ولولا تلك الأخلاق للدمومة التي حلت فيهم وهي التي فم الكلب لأجلها لما احترمت للملائكة بأذن الله عن حلولها فيها وهي لا تغفل من خير تنزل به ويكون مصاحبتا حلت حل الخير في ذلك القلب بحولها وإنما هي لها خيرا وجدت قلب خاليا ولو حيناً من الدهر وزمنا نزلت عليه ودخلته وثبتت ما عندها من الخير عنده فإن لم يظهر على الملائكة ما زعمها عنه

(١) حديث أما يغشى الذي رفع رأسه قبل الامام الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة .

(٢) حديث قلب البعد بين أصبعين من أصابع الرحمن مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

بحرف وصوت وتقولان أتينا طائعين والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال وأنه إنباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين إلى التسخير ومن هذا قوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - فالبلد يختص فيه إلى أن يقدر الجمادات حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحانه الله ليتحقق تسميته والبصير يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان بل كونه مسجعا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحداية التسميحه كما يقال :

وفي كل شيء له آية يدل على أنه الواحد

وكما يقال هذه الصفة المحكمة تشهد لسانها بحسن التدبير وكال العلم لا يعنى أنها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال وكذلك ما من شيء إلا وهو محتاج في نفسه إلى موجد يوجده ويقيه ويديم أوصافه ويردده في أطواره فهو محتاجه يشهد لحالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر ولذلك قال تعالى - ولكن لا يفقهون تسميهم - وأما القاصرون فلا يفقهون أصلا وأما القربون والطماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكاله إذ لكل شيء شهادات شتى على تقديس الله سبحانه وتسميحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم العامة فهذا الفن أيضا مما تغاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر وفي هذا اللقائ لأرباب القامات إسراف واقتصاد فمن سرف في رفع الظواهر انتهى إلى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى - وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم - وقوله تعالى - وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء - وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي اللزائ والصراط والحساب ومناظرات أهل النار وأهل الجنة في قولهم - أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله - زعموا أن ذلك كله لسان الحال وغلا آخرون في حسم الباب منهم أحمد بن حنبل رضى الله عنه حتى منع تأويل قوله - كن فيكون - وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعد كون كل مكوث حتى سمعت بعض أصحابه يقول إنه حسم باب التأويل إلا ثلاثة ألفاظ قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود بين الله في أرضه » (١) وقوله ﷺ « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » وقوله صلى الله عليه وسلم « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين » (٢) ومال إلى حسم الباب أرباب الظواهر والظن بأحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار والزلزل ليس هو الانتقال ولكنه منع من التأويل حسم الباب ورعاية لصالح الخلق فانه إذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج الأمر عن الضبط وجاوز حد الاقتصاد إذ حدهما جاوز الاقتصاد لا يضبط فلا بأس بهذا الزجر ونشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون أمرؤها كجاءت حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء الاستواء معلوم والسكينة مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة إلى الاقتصاد وفتحوا باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيه وهم الأشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفاته تعالى الرؤية وأولوا كونه جميعا بصيرا وأولوا للعراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد وأولوا عذاب القبر والليزان والصراط وجعلوا أحكام الآخرة ولكن أقروا بحشر الأجساد وبالجنة واشتغالها على الأكلات والشهوات والنكاحات وللأكل

(١) حديث الحجر بين الله في الأرض الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر (٢) حديث إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين أحمد من حديث أبي هريرة في حديث قال فيه وأجد نفس ربكم من قبل اليمين ورجاله تحت .

من تلك الأخلاق للنسوة بواسطة الشياطين الذين هم في مقابلة اللاتكة ثبتت عنده وسكنت فيه ولم تبرح عنه وعمرته بقدر سعة البيت وانتشراحه من الحبر فان كان البيت كثير الاتساع أكثر فيه من متاعها واستمانت بغيرها حتى عتلى البيت من متاعها وجهازها وهو الإيمان بالله والصلاح وضروب المعارف النافعة عند الله عز وجل فإذا طرقت ذلك البيت طارقت شيطان ليسرق من ذلك الخير الذي هو متاع الملك ويثبت فيه خلقا مذموما لا يوجد إلا في الكلب وهو متاع الشيطان فاته الله وطرده عن ذلك المله فان جاء للشيطان مدد من الهوى من قبل النفس ولم يجد الملك نصره وهو عزم اليقين من قبل الروح انهزم الملك وأخل البيت ونهب المتاع وخرب البيت بعد عمارته وأظلم بعد نوره وضاق بعد

المحسوسة وبالنار واشتغالها على جسم محسوس يحرق بحرق الجلود وينذيب الشحوم ومن ترتيبهم إلى هذا الحد زاد الفلاسفة فأولوا كل ماورد في الآخرة وردوه إلى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية وأنكروا حشر الأجساد وقالوا بقاء النفوس وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهؤلاء هم السرفون وحد الاقتصاديين هذا الانحلال كله وبين جمود الجنبلة دقيق غامض لا يطلع عليه إلا الوقفون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسامع ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف أولوه فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتعين له موقف والأليق بالتقصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الأمور داخل في علم الكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن الظاهر وأنه غير مخالفة فقد انكشف بهذه الأقسام الخمسة أمور كثيرة وإذا رأينا أن تقتصر بكافة العوالم على ترجمة العقيدة التي حررناها وأنهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الأولى إلا إذا كان خوفه تشويش لشيوخ البدعة فيرقى في الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها لوازم من الأدلة مختصرة من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولتقتصر فيها على ما حررناه لأهل القدس وميناء الرسالة القدسية في قواعد العقائد وهي مودعة في هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب .

الفصل الثالث : من كتاب قواعد العقائد في لوازم الأدلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس فقول : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بأنوار اليقين وآثر رهط الحق بالهداية إلى دعائم الدين وجسم زينة الزائعين وضلال الملحدين ووقفهم للاقتداء بسيد الرسلين وسددهم للتأسي بصحبه الأكرمين وسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الأولين وعقائدهم بالمنهج المبين فجمعوا بالقبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع النقول ولو تحققوا أن النطق بما تبعدوا به من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصول إن لم يتحقق الإحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب والأصول وعرفوا أن كلتي الشهادة على إنجازها تضمن إثبات ذات الإله وإثبات صفاته وإثبات أفضاله وإثبات صدق الرسول وعلموا أن بناء الإيمان على هذه الأركان وهي أربعة وبدور كل ركن منها على عشرة أصول . الركن الأول في معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة أصول وهي العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأنه سبحانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وأنه يرى وأنه واحد . الركن الثاني في صفاته ويشتمل على عشرة أصول وهو العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وأنه قديم الكلام والعلم والإرادة . الركن الثالث في أفعاله تعالى ومداره على عشرة أصول وهي أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأنها مكتسبة للعباد وأنها مرادة لله تعالى وأنه متفضل بالخلق والاختراع وأنه تعالى تكليف ما لا يطاق وأنه إيلام البرىء ولا يجب عليه رعاية الأهل والأولاد إلا بالشرع وأن بنة الأنبياء جائزة وأن نبوة نبينا محمد ﷺ ثابتة مؤيدة بالمعجزات . الركن الرابع في السميات ومداره على عشرة أصول وهي إثبات الحشر والنشر وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر واليزان والصراط وخلق الجنة والنار وأحكام الإمامة وأن فضل الصحابة على حسب ترتيبهم وشرط الإمامة .

فأما الركن الأول من أركان الإيمان في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى

وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول : معرفة وجوده تعالى وأول ما يستفاد به من الأنوار ويسلك من طريق الاعتبار

انشرأحه وهكذا حال من آمن وكفر وأطاع وعصى وذل واهتدى فان قلت : فيزلى أصناف هذه الأخلاق الذمومة التي صددت هؤلاء الأصناف المذكورين عن اعتقاد الإيمان ونفرت الالامكة عن النزول إلى قلوبهم بكشف معاني التوحيد ومنهم من الحلول فيها حتى لم ينالوا شيئا من الحيرات السكاكن معها فاعلم أن الأخلاق التي لا يجمع معها الالامكة في قلب واحد كثيرة والتي في قلوب هؤلاء منها معظمها وهي الطمع في غير خاير والحرس على فان حقير . وأما الصنف الأول فانهم رجعوا وخافوا أن تبدو لهم حمة ما يشغلهم عن قذاتهم وينص عليهم ما رغبوا فيه من راحتهم وتكدر لديهم منال شهواتهم فأبقوا أمرم على ما هم عليه . وأما الصنف الثاني والثالث فصددهم أيضا خوف وجزع وحرص على ما القوه من تبجيل أحدهم أن يزول

ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله سبحانه بيان وقد قال تعالى - ألم نجعل الأرض مهادا
والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا
فوقكم سباعا عدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من العصورات ماء فنجاءا لنخرج به نباتا ووجبات
الفا - وقال تعالى - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في
البحر بما ينفع الناس - وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة
وتصرف الرياح والسحاب السخريين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون - وقال تعالى - ألم تروا كيف
خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الأرض نباتا
ثم يعيدكم فيها ويخرجكم لإخراجها - وقال تعالى - أفرأيتم ما تمنون - أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون - إلى
قوله - للمفقرين - فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات وأدار
نظره على عجائب خلق الله في الأرض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات أن هذا الأمر السبب
والترتيب المحكم لا يستغنى عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها
منهورة تحت تسخير ومعرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى - أفي الله شك فاطر السموات والأرض -
ولهذا بسط الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله وما أسروا أن يقولوا
لنا إله وللإله إله فإن ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم وفي عنفوان شبابهم ولذلك قال
عز وجل - ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله - وقال تعالى - فأقم وجهك للدين حنيفا
فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم - فإذا في فطرة الإنسان وشواهد القرآن
ما يخفى عن إقامة البرهان ولكن على سبيل الاستظهار والافتداء بالعلماء النظار قول من بداهته العقول
أن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب محدثه والعالم حادث فاذن لا يستغنى في حدوثه عن سبب أما
قولنا إن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب فإني فإن كل حادث مختص بوقت يجوز في العقل
تقدير تقديمه وتأخيره فأخصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتر بالضرورة إلى التخصيص وأما قولنا
العالم حادث فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث
ففي حادث ففي هذا البرهان ثلاث دعاوى : الأولى قولنا إن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه
مدركة بالبداهة والاضطرار فلا يحتاج فيها إلى تأمل وانكار فإن من عقل جسا لاسا كنا ولا متحركا
كان لمن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا . الثانية قولنا إنهما حادثان ويدل على ذلك تماقهما
ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الأجسام ما شوهد منها وما لم يشاهد في
من ساكن إلا والعقل قاض بمجاوز حركته وما من متحرك إلا والعقل قاض بمجاوز سكونه فالطاري
منهما حادث لطريانه والسابق حادث لعدمه لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سيأتي بيانه
وبرهانه في إثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس . الثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وبرهانه
أنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها ولولم تنقض تلك الحوادث بمحملتها
لانتفى النوبة إلى وجود الحادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولأنه لو كان للفلك
دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عندها عن أن تكون شغفا أو وترا أو غفطا ووترا جميعا أولا شغفا
ولا وترا ومحال أن تكون شغفا ووترا جميعا أو لا شغفا ولا وترا فإن ذلك جمع بين التني والاثبات
إذ في إثبات أحدهما نفي الآخر وفي نفي أحدهما إثبات الآخر ومحال أن يكون شغفا لأن الشفع يصير
وترا بزيادة واحد وكيف يجوز ما لا نهاية له واحد ومحال أن يكون وترا إذ التوتير يصير شغفا بواحد
فكيف يجوزها واحد مع أنه لا نهاية لاعدادها ومحال أن يكون لا شغفا ولا وترا إذ له نهاية فتجصل من

ومؤانسة أشياهم أن
تضيق وتذهب ومواساة
إيلافهم أن تقطع
واستقالاتها بشاهدونه
من أهل الإيمان أن
يلتزموه وفرارا من
شرائطه وما يصحبه
من الأعمال والوظائف
إذ يتشكوه والكلب
ما فهم لصورته وإنما ذم
بهذه الأخلاق التي
هي الطمع في الحاسن
والجزع من الصبر على
ما يصده من المضائل
حق احترمت اللانكسة
أن تدخل بيتا فيه كلب
فان قلت فكيف آمن
من كفر وأطاع من
عصى واهتدى من
ضل إذا كانت
الشياطين لا تضار
قلب الكافر والعاصي
والضال بما تثبتون
من الأخلاق الذمومة
التي هي كلاب ناهية
وذئاب عادية وسباع
ضارية وأحشأ الخير
إنما ترد من الله عز
وجل بواسطة اللانكسة
وهي لا تدخل موصفا
عمل فيه شيء مما ذكرنا
وإذا لم تدخل لم يصل
إلى الخير الذي يكون
مهما ولم تصل إليه فعل

هذا أن العالم لا يخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو إذن حادث وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى المحدث من الدركات بالضرورة. الأصل الثاني : العلم بأن الله تعالى قدير لم يزل ليس لوجوده أول بل هو أول كل شيء وقبل كل ميت وحى . وبرهانه أنه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو أيضا إلى محدث واقتصر محدثه إلى محدث وتسلسل ذلك إلى ما لا نهاية وما تسلسل لم يتحصل أو ينتهي إلى محدث قديم هو الأول وذلك هو المطلوب الذى ممتنع صانع العالم ومبدئه وبارئه ومحدثه ومبدعه . الأصل الثالث : العلم بأنه تعالى مع كونه أزليا أبديا ليس لوجوده آخر فهو الأول والآخرة والظاهر والباطن لأن ما ثبت قدمه استحالة عدمه ، وبرهانه أنه لو انعدم لكان لا يخلو إما أن يتعدم بنفسه أو بعدم مضاده ولو جاز أن يتعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز أن يوجد شيء يتصور عدمه بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود إلى سبب فكذلك يحتاج طريان العلم إلى سبب وباطل أن يتعدم بعدم مضاده لأن ذلك العلم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالأصليين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده فإن كان الضد للعدم حادثا كان محالا إذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع أهون من القطع والقديم أقوى وأولى من الحادث . الأصل الرابع : العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتجزئ بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الجزئ وبرهانه أن كل جوهر متجزئ فهو مختص بجزءه ولا يخلو من أن يكون ساكنا فيه أو متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة أو السكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متجزئ قديم لكان يقل قسم جواهر العالم فإن سماه مسم جوهرها ولم يرد به التجزئ كان غلطاً من حيث اللفظ لا من حيث المعنى . الأصل الخامس : العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر إذا الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر وإذا بطل كونه جوهرًا مخصوصا بجزئ بطل كونه جسما لأن كل جسم مختص بجزئ ومركب من جوهر فالجوهر يستحيل خلوه عن الاقتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والقدر وهذه سمات الحوادث ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يعتقد الإلهية للشمس والقمر أو شيء آخر من أقسام الأجسام فإن تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير إرادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم . الأصل السادس : العلم بأنه تعالى ليس بمرض قائم بجسم أو حالة في محل لأن الفرض ما يحل في الجسم فكل جسم فهو حادث لا محالة ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الأزل وحده وما معه غيره ثم أحدث الأجسام والأعراض بعده . ولأنه عالم قادر مريد خالق كما سيأتي بيانه وهذه الأوصاف تستحيل على الأعراض بل لا تغفل إلا لوجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الأصول أنه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأن العالم كله جواهر وأعراض وأجسام فاذن لا يشبه شيئا ولا يشبه شيء بل هو الحق القيوم الذى ليس كمثل شيء . وأنى يشبه الخلق خالقه وللقدر مقداره وللصور مصوره والأجسام والأعراض كلها من خلقه ومنه فاستحال القضاء عليها بمائثلته ومشابهته . الأصل السابع : العلم بأن الله تعالى منزّه الذات عن الاختصاص بالجهات فإن الجهة إما فوق وإما أسفل وإما يمين وإما شمال أو قدام أو خلف وهذه الجهات هو الذى خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان إذ خلق له طرفين أحدهما يتمد على الأرض ويسمى رجلا والآخر يقابلها ويسمى رأسا فحدث اسم القوق لما إلى جهة الرأس واسم السفلى لما إلى جهة الرجل حتى إن الغنم التي تدب بمنكسة تحت السقف تنقلب جهة القوق في حلقها تحنا وإن كان في حقا فوقا وخلق للإنسان اليدين وإحدهما أقوى من الأخرى في الغالب فحدث اسم

هذا يجب أن يتيق كل كافر على حاله ومن لم يخلق مؤمنا معصوما فلا سبيل له إلى الإيمان على هذا الفهوم . فاعلم أن هذا يستدعى أسنانا من علم القلوب ولا سبيل إلى ذلك في مثل هذا المقام المعلوم والقول وللحق في جواب ما سألت عنه أن للشيطان غفلات وللأخلق للدمومة عدمات كما أن لللائكة لها عن القلوب غيبات ولتواتر الخير عليها قرات فاذا وجد الملك كما أعلنتك قلبا خاليا ولو زنا ما فر ودخل فيه . وأراه ما عنده من الخير فإن صادف منه قبولا ولما عرض عليه من الخير تشوقا وتزودا أورد عليه ما يعلو ويستغرق له وإن صادف منه سموا ومع منه مجنود الشياطين استغاة بالأخلق السكالية استغاة رحل عنه وتركه ولهذا قيل ما خلا لب عن لمة ملك أو زغة شيطان . فإن قلت : فأى بيت فهم

اليمين للأقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلى اليمين يميناً والأخرى شمالاً وخلق له جانبين يصير من أحدهما ويتحرك إليه فحدث اسم القدم للجهة التي يتقدم إليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بمحدث الانسان ولولم يخلق الانسان بهذه الحلقة بل خلق مستديراً كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود ألبتة فكيف كان في الأزل مختصاً بجهة والجهة حادثة أو كيف صار مختصاً بجهة بسد أن لم يكن له أبان خلق العالم فوقه ويتعالى عن أن يكون له فوق إذ تعالى أن يكون له رأس والقوى عبارة عما يكون جهة الرأس أو خلق العالم تحته فتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى عن أن يكون له رجل وألغت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولأن العقول من كونه مختصاً بجهة أنه مختص بمحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص المرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرًا أو عرضاً فاستحال كونه مختصاً بالجهة وإن أريد بالجهة غير هذين العيين كان غلطاً في الإنسجام مع المساعدة على المعنى ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذياً له وهو محاذ لجسم فلما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر وكل ذلك تقدير محجوج بالضرورة إلى مقدر ويتعالى عنه الخالق الواحد للدبر فأما رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء وفيه أيضاً إشارة إلى ماهو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيهاً بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء . الأصل الثامن . العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق إليه سيات الحدود والغناء وهو الذي أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال في القرآن - ثم استوى إلى السماء وهي دخان - وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

واضطرت أهل الحق إلى هذا التأويل كما اضطرت أهل الباطن إلى تأويل قوله تعالى - وهو معكم أينما كنتم - إذ حمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » على القدرة والقهر وحمل قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود عين الله في أرضه » على التشريف والإكرام لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكين لزم منه كون المتمكن جسماً محاساً للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال وما يؤدي إلى المحال فهو محال . الأصل التاسع : العلم بأنه تعالى مع كونه منزهاً عن الصورة والمقدار مقدساً عن الجهات والأقطار مرئياً بالأعين والأبصار في الدار الآخرة دار القرار لقوله تعالى - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - ولا يرى في الدنيا تصديقاً لقوله عز وجل - لا تدرى الأبصار وهو يدرك الأبصار - ولوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام - لن تراني - وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفات رب الأرباب ما جهله موسى عليه السلام وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالاً ولعل الجهل بنوى البدع والأهواء من الجهة الأغبياء أولى من الجهل بالأنبياء صلوات الله عليهم وأما وجه إجراء آية الرؤية على الظاهر فهو أنه غير مؤد إلى المحال فإن الرؤية نوع كشف وعلم إلا أنه أتم وأوضح من العلم فإذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس في مقابلتهم جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة جاز أن يرى كذلك . الأصل العاشر : العلم بأن الله عز وجل واحد لا شريك له فرد لا ند له انفراد بالخلق والإبداع واستبعاد بالإيجاد والاختراع لا مثله يساومه ويساويه ولا ضد له فينازعه وينابيه وبرهانه قوله تعالى - لو كان

عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وأى كلب أذهل بيت القلب كلب الخلق أو بيت اللين ولب الحيوان فاعلم أن الحديث خارج على سبب ومعناه وجملته أن للتصود بالإخبار هو بيت اللين ولب الحيوان معلوم ولا يتك في ذلك ولكن يستقرأ منه ما قلناه ويستنبط من مفهومه ما نبهناك عليه ويتخطى منه إلى ما أشرنا لك نحوه ولا نكر في ذلك إذ دل عليه العلم وجملة الاستنباط ولم تجمعه القلوب الستضاء ولم تصادم به شيئاً من أركان الشريعة فلا تكن جاحداً ولا تجزع من تشنيع جاهل ولا من تصور مقول فكثيراً ما ورد شرع مقرون بسبب فرأى أهل الاعتبار وجه تعديه عن سببه إلى مافي معناه ومثابه له من الجهة التي تصلح أن يعديها إليه ولولا ذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم « رب مبلغ أوعى من سامع وحامل

فيها آلهة إلا الله لقدستا - ويانه أنه لو كانا اثنين وأراد أحدهما أمراً فالثاني إن كان مضطراً إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهوراً عاجزاً ولم يكن إلهاً قادراً وإن كان قادراً على مخالفته ومداغته كان الثاني قوياً قاهراً والأول ضعيفاً قاصراً ولم يكن إلهاً قادراً .

(الركن الثاني العلم بصفات الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول)

الأصل الأول : العلم بأن صانع العالم قادر وأنه تعالى في قوله - وهو على كل شيء قدير - صادق لأن العالم يحكم في صنعه مرتب في خلقه ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسيج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ثم توم صدور نسجه عن ميت لاستطاعة له أو عن إنسان لا قدرته كان متعلما عن فريضة العقل ومنخرطا في سلك أهل الضلالة والجهل . الأصل الثاني : العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخوقات - لا يهرب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء - صادق في قوله - وهو بكل شيء عليم - ومرشد إلى صدقه بقوله تعالى - ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير - أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لا تستغرب في دلالة الخلق اللطيف والصنع اللزبن بالترتيب ولوفى الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف لما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية والتعريف . الأصل الثالث : العلم بكونه عز وجل حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حيا لجاز أن يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حياة أرباب الحرف والصناعات وذلك انقماش في فجرة الجهالات والضلالات . الأصل الرابع : العلم بكونه تعالى مريدا لأفعاله فلا موجود إلا وهو مستند إلى مشيئته وصادره عن إرادته فهو البدئ للمبدى والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده وما لا ضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بينه قبله أو بعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من إرادة صارقة للقدرة إلى أحد التقديرين ولو أغنى العلم عن الإرادة في تخصيص العلوم حتى يقال إنما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز أن ينفي عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لأنه سبق العلم بوجوده فيه . الأصل الخامس : العلم بأنه تعالى سميع بصير لا يهرب عن رؤيته هو اجسى الضمير وخفايا الوم والتفكير ولا يشذ عن صمعه صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة العلاء وكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كالاحالة وليس بنقص فكيف يكون الخلق أكل من الخالق وللصنوع أسنى وأتم من الصانع وكيف تشدد القسمة مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعه أو كيف تستقيم حجة إبراهيم صلى الله عليه وسلم على آية إذ كان يبد الأصنام جهلا وفيما فقال له - لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفي عنك شيئا - ولو انقلب ذلك عليه في معبوده لأضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى - وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه - وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب وماغ فليقتل كونه بصيرا بلا حدة وميما بلا أذن إذ لا فرق بينهما . الأصل السادس : أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وإنما الأصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهة الشعراء حيث قال قائلهم :

إن الكلام لفي القواد وإنما جل اللسان على القواد دليلا

ومن لم يثقل عقله ولا نهام نهامه عن أن يقول لسانى حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرك في الحادثة قديم

قته إلى من هو أفقه منه » سؤال : فان قلت قد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تدخل الملائكة بيتا فيه سورة » وعلم السبب الذي جاء هذا الحديث عليه وفيه فهل يمدى عن سببه ويرتقى منه إلى مثل ما ترقى من الحديث الآخر فهذا كما قيل الحديث شجون وأتبنا هذا الباب ما يقرب منه ويعد علينا التخلص عنه نعم يرتقى منه إلى قريب من ذلك وشبهه ويكون هذا الحديث منها عليه وهو أن الصورة النحوتة قد أخذت آلهة وعبدت من دون الله عز وجل وقد نيه الله عز وجل قلوب المؤمنين على عيب فعل من رضى بذلك ونقص إدراك من دان به حين قال خبرا عن إبراهيم عليه السلام حيث قال - أمهدون ما تحتون والله خلتكم وما تعملون - فكان امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة لأجل أن فيه مآعب

من دون الله سبحانه
أو ما حكى به ما هو على
مثاله ويرقى من ذلك
المعنى إلى أن القلب
الذى هو بيت بناء الله
ليكون مهبط للملائكة
ومحلا للذكر ومعرفة
عبادته وحده دون
غيره فإذا حل فيه
معبود غير الله سبحانه
وهو الهوى لم تقر به
الملائكة أيضا . فان
قيل فظاهر الحديث
يقتضى منافرة الملائكة
لكل صورة عموما وما
ذكرته تعليلا ينبغى أن
لا يقتضى إلا منافرة
معبود أو ما نعت على
مثاله . قلنا تشابهت
الصور للنحوته كلها
في المعنى الذى قصد بها
التصور لأجله وهو
مضارعة ذى الأرواح
وما نعت للعبادة إنما
قصد به تشبيه ذى روح
فلما كان هذا المعنى
الجامع لما وجب تحريم
كل صورة منافرة
للملائكة . فان قيل
لما وجه الترخيس فيها
رقم في ثوب فذلك لأنها
ليست مقصورة في
نفسها وإنما المقصود
الثوب الذى رقت فيه .

فانقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شيئا
وأن الباء قبل السين في قولك بسم الله فلا يكون السين التأخر عن الباء قديما فترزه عن الالتفات
إليه قلبك فله سبحانه سر في إبعاد بعض العباد - ومن يضل الله فله من هاد - ومن استبعد أن
يسمع موسى عليه السلام في الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستكر أن يرى في الآخرة موجودا
ليس بجسم ولا لون وإن عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو إلى الآن لم ير غيره
فليقبل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وإن عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الوجودات
فليقبل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع مادته عليه من المرات وإن عقل كون السموات
السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة وعفوفة في مقدار ذرة من القلب وأن كل ذلك
مرئي في مقدار عدسة من الحديقة من غير أن تحمل ذات السموات والأرض والجنة والنار في الحديقة
والقلب والورقة فليقبل كون الكلام مقروءا بالألسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في الصالحين من غير
حلول ذات الكلام فيها إذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام في الورق لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه
في الورق وحلت ذات النار بكتابة اسمها في الورق ولا حرق . الأصل السابع : أن الكلام القائم بنفسه
قديم وكذا جميع صفاته إذ يستحيل أن يكون محلا للحوادث داخل تحت التغيير بل يجب للصفات من
نوع القدم ما يجب للذات فلا تتغيره التغيرات ولا تتحلل الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفا بمحامد
الصفات ولا يزال في أبدنه كذلك منزها عن تغير الحالات لأن ما كان محل الحوادث لا يغلونها ولا يخلو
عن الحوادث فهو حادث وإنما ثبتت الحدوث للأجسام من حيث تتعرضها للتغير وتقلب الأوصاف
فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير وينبئ على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته وإنما
الحادث هي الأصوات الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وإرادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق
ولده حتى إذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما متعلقا بما في قلب أبيه من الطلب صار مأمورا بذلك
الطلب الذى قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة ولده له فليقبل قيام الطلب الذى دل عليه
قوله عز وجل - اخلع نعليك - بذات الله موصوفا عليه السلام مخاطبا به - وجوده إذ خلقت
له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم . الأصل الثامن : أن علمه قديم فلا يزل عالما بذاته
وهماته وما يحدث من مخلوقاته ومهما حدثت المخالقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم
الأزلى إذ لو خلق لنا علم بقدم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس كان
قدم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجديد علم آخر فكذلك ينبغى أن يفهم قدم
علم الله تعالى . الأصل التاسع : أن إرادته قديمة وهي في القدم تملكت بإحداث الحوادث في أوقاتها اللاتمة
بها على وفق سبق العلم الأزلى إذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو
مريدا لها كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست في ذاتك وكيفما قدرت فيقتصر حدوثها إلى إرادة
أخرى وكذلك الإرادة الأخرى تقتصر إلى أخرى وينسلسل الأمر إلى غير نهاية ولو جاز أن يحدث
إرادة يغير إرادة لجاز أن يحدث العالم بغير إرادة . الأصل العاشر : أن الله تعالى عالم بعلمه حتى بحياة
قادر بقدره ومريد بإرادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع وبصير بصير وله هذه الأوصاف من
هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غنى بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم
فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قاتل
ولا يتصور قاتل بلا قاتل ولا قاتل كذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم
بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم

فليجوز انفسكاكه عن العلوم وانفسكاكه العلم عن العالم إذ لا فرق بين هذه الأوصاف .
(الركن الثالث العلم بأفعال الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول)

الأصل الأول : العلم بأن كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لخالقه له سواء ولا يحدث له إلا بإياه خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحر كتهم لجميع أفعال عباد مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له في قوله تعالى - الله خالق كل شيء - وفي قوله تعالى - والله خلقكم وما تعملون - وفي قوله تعالى - وأسروا قولكم أو جهروا به إنه علم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير - أمر العباد بالتحرز في أقوالهم وأفعالهم وإسرارهم وإظهارهم لعلهم يحوزوا على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لخلق العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركة أبدان العباد والحركات متناهية وتعلق القدرة بها لذاتها لما الذي يقتصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها أو كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من النكبات والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوى الأبواب فكيف انحدرت هي باختراعها دون رب الأرباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيئات هيئات ذلت المخلوقات وتفرّد بالملك والملكوت جبار الأرض والسموات . الأصل الثاني : أن أفراد الله سبحانه باختراع حر كات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والتقدور جميعا وخلق الاختيار والاختار جميعا فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليس يكسبه وأما الحر كة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسبه فانها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت للحر كة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحر كة التدورية والحر كة الضرورية أو كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل أجزاء الحر كات للكسبية وأعدادها وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاعتقاد في الاعتقاد وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرته العبد على وجه آخر من التعلق به غير عنه بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع قط إذ قدرة الله تعالى في الأزلة قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصل بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق فيه يظهر أن تعلق القدرة ليس محض حصول التدور بها . الأصل الثالث : أن فعل العبد وإن كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادفاً لمشيئته فلا يخرج في الملك والملكوت طرفتين ولا فئة خاطرة ولا فئة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته وبإرادته ومشيئته ومنه الشر والخير والنفع والضرب والإسلام والكفر والعرفان والنكر والقوز والخسران والتوبة والرشد والطاعة والعصيان والترك والإيمان لأراد لقضائه ولا معقب لحكمه يصل من يشاء ويهدي من يشاء - لا يسئل عما يفعل وهم يسألون - ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وقول الله عز وجل - أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا - وقوله تعالى - ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها - ويدل عليه من جهة النقل أن العاصي والجرائم إن كان الله يكرهها ولا يريد لها وإنما هي جارية على وفق إرادة العدو إبليس لعنه الله مع أنه عدو لمشيئته وإرادته على وفق إرادة العدو أكثر من الجارى على وفق إرادته تعالى فليت شعري كيف يستجيز السلم أن يرد ملك الجبار ذى الجلال والإكرام إلى رتبة لوردت إليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها إذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم في القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته والنصيحة هي الخالية على الخلق وكل ذلك جار عند البدعة على خلاف إرادة الحق تعالى وهذا غاية الضعف والمعجز تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مها نظر أن أفعال العباد مخلوقة لله صرح أنها مرادة له . فان قيل فكيف ينهى عما يريد وأمر بما لا يريد

فان قيل لما بال الثياب رخص في حكايتها بالتصوير وذات أنواط في الصرب مشهورة معلومة فاعلم أن ذات أنواط إنما كانت شجرة في أيام العرب الجاهلية تعلق عليها يوما في السنة فاخر ثيابها وحلى نسائها لأجل اجتماعها عندها وراحتها في ذلك اليوم ولم يكونوا يقصدونها بالعبادة لما كانت بغير عفة التماثيل للنحوته والأصنام ولو كان ذلك مأسأ لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط حق أنكسر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم ولو عبدت فقد عبد كثير من خلق الله تعالى كالملائكة والشمس والقمر وبعض النجوم والسيح عليه السلام وعلى رضى الله عنه ولم يبدوا ما تحت على شكل النبات فلم تعبد من هذه الإذات روح لما أبدع من در كهان حرمة الله تعالى إياها فله الحمد وهو أهله .

قلنا الأمر غير الإرادة ولذلك إذا ضرب السيد عبده فقامه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فأراد إظهار حجة بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه فقال له أسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يأمره بما لا يريد امتثاله ولولم يكن آمرا لما كان عذره عند السلطان مهادا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال . الأصل الرابع : أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال إذ هو الموجب والأمرو والنهْي وكيف ينهدف لإيجاب أو ترضي للزوم وخطاب والمراد بالواجب أحد أمرين إما الفعل الذي في تركه ضرر إما أجل كما يقال يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يذهب في الآخرة بالنار أو ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت وإما أن يراد به الذي يؤدي عدمه إلى محال كما يقال وجود المعلوم واجب إذ عدمه يؤدي إلى محال وهو أن يصير العلم جهلا فإن أراد الخصم بأن الخلق واجب على الله بالمعنى الأول فقد عرّضه للضرر وإن أراد به المعنى الثاني فهو مسلم إذ بدسببق العلم لا ينضم وجود المعلوم وإن أراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فإنه إذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم إن مصلحة العباد في أن يخلقهم في الجنة فاما أن يخلقهم في دار البلاء ويسرّهم للخطايا ثم يهدمهم لخطر العقاب وهو العرض والحساب فإني في ذلك غبطة عند ذوى الألباب . الأصل الخامس : أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولولم يجوز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سألو أذلاء فقالوا لا ولا تعملنا ما لا طاقة لنا به . ولأن الله تعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن أباه لا يصدق ثم أمره بأن يأمره بأن يصدق في جميع أقواله وكان من جملة أقواله أنه لا يصدق فكيف يصدق في أنه لا يصدق وهل هذا إلا محال وجوده . الأصل السادس : أن لله عز وجل إلام الخلق وتعليمهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لأنه متصرف في ملكه ولا يتصور أن يبدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير بغير إذنه وهو محال على الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فإن ذبح البهايم إلام لها وما صاب عليها من أنواع العذاب من جهة آدميين لم يتقدمها جرمية . فإن قيل إن الله تعالى يعثرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام ويجب ذلك على الله سبحانه . فنقول من زعم أنه يجب على الله إحياء كل نملة وطئت وكل بقعة عركت حتى يشبها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل إذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه إن كان للراد به أنه يتضرر بتركه فهو محال وإن أريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم إذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب . الأصل السابع : أنه تعالى يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب فإنه لا يستل عما يفعل وهم يستلون وليت شعري بما يجيب المعتزلي في قوله إن الأصلح واجب عليه في مسألة نرضها عليه وهو أن يفرض مناظرة في الآخرة بين صبي وبين بالغ مائة مسلمين فإن الله سبحانه يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لأنه نصب بالإيمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يارب لم رفضت منزلته على فيقول لأنه بلغ واجتهد في الطاعات ويقول الصبي أنت أمتي في الصبا فكان يجب عليك أن تديم حياتي حتى أبلغ فأجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر لدوني فلم فضلك فيقول الله تعالى لأنني علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت في الصبا هذا عذر المعتزلي عن الله عز وجل . وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى ويقولون يارب أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا فعلا أمنا في الصبا فانارضينا بعبادون منزلة الصبي المسلم فيها إذا إيجاب عن ذلك وهل يجب عند

[بيان أصناف أهل
الاعتقاد المجرد]

وأما أهل الاعتقاد
المجرد عن تحصينه بالعلم
وتوثيقه بالأدلة وعده
بالبراهين قد انقسموا
في الوجود إلى ثلاثة
أصناف أحدهم صنف
اعتقدوا مضمون
بما أقرّوا به وحشوا به
قلوبهم من غير تردد
ولا تكذيب أسروا في
أقنصهم ولكهم غير
عارفين بالاستدلال
على ما اعتقدوا وذلك
لفرط بعدهم وغلظ
طبائهم واعتباس
طرق ذلك عليهم ويقع
عليهم اسم للوحدين
وتحقنا وجود أمثالهم
كثيرا على عهد سيد
الرسولين صلى الله عليه
وسلم والسلف الصالحين
رضي الله عنهم ثم لم
يلفتنا أنه اعترض
أحد إسلامهم ولا
أوجب عليهم الخروج
منه والعروق عنه ولا
كلفوا مع قصور فهمهم
وبعدم عن فهم ذلك
بعلم الدلالة وقراءة
ترك البراهين وترتيب
الحجاج بل تركوا على
مام عليه وهؤلاء

هذا إلا القطع بأن الأمور الإلهية تتعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعترال . فان قيل هما قدر على رعاية الأصلح للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة . قلنا القبيح ما لا يوافق الغرض حتى إنه لا يكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره . إذا وافق غرض أحدهما دون الآخر حتى يستبح قتل الشخص أو يلوؤه ويستحسنه أعداؤه فان أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الباري سبحانه فهو محال إذ لا غرض له فلا يتصور منه قبيح كما لا يتصور منه ظلم إذ لا يتصور منه التصرف في ملك الغير وإن أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم إن ذلك عليه محال وهل هذا إلا مجرد تشبه يشهد بخلافه ما قد فرضناه من مخاصمة أهل النار ثم الحكيم معناه العالم بمخاتق الأشياء القادر على إحكام فعلها على وفق إرادته وهذا من أين يوجب رعاية الأصلح ، وأما الحكيم منابر أسمى الأصلح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء وفي الآخرة ثوابا أو يدفع به عن نفسه آفة وكل ذلك محال على الله سبحانه وتعالى . الأصل الثامن : أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بل بحباب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لأن العقل وإن أوجب الطاعة فلا يخلو إما أن يوجبها للغير فائدة وهو محال فان العقل لا يوجب العبد وإما أن يوجبها لفائدة وغرض وذلك لا يخلو إما أن يرجع إلى العبود وذلك محال في حقه تعالى فانه يتقدس عن الأغراض والقوائد بل الكفر والإيمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى ميان وإما أن يرجع ذلك إلى غرض العبد وهو أيضا محال لأنه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات لسيئه وليس في المال إلا الثواب والعقاب ومن أين يعلم أن الله تعالى يثيب على العصية والطاعة ولا يعاقب عليهما مع أن الطاعة والعصية في حقه يتساويان إذ ليس له إلى أحدهما ميل ولا به لأحدهما اختصاص وإنما عرف تميز ذلك بالشرع ولقد ذل من أخذ هذا من القياسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتأنيذ بأحدهما دون الآخر . فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة إلا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر للكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي إن العقل ليس يوجب على النظر والشرع لا يثبت عندي إلا بالنظر ولست أقدم على النظر أدي ذلك إلى إضحام الرسول صلى الله عليه وسلم . قلنا هذا يضاهي قول القائل للواقف في موضع من اللواضع إن وراءك سبعا ضاريا فان لم تبرح عن المكان كذلك وإن التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي فيقول الواقف لا يثبت صدقك ما لم ألتفت ورائي ولا ألتفت ورائي ولا أنظر ما لم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على المهادي المرشد فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة إن لم تأخذوا منها حذركم وتعرفوا لي صدقي بالالتفات إلى معجزتي وإلا هلكتم من التفات عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى ولا ضرر على إن هلك الناس كلهم أجمعون وإنما على البلاغ البين » فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والإحاطة بإمكان ما يقوله في المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر وهي كون الشيء واجبا أن تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا أنه معرف للضرر التوقع فان العقل لا يهدي إلى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما في تقدير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن الواجب ثابتا إذ لا معنى للواجب إلا ما يرتبط تركه ضرر في الآخرة . الأصل التاسع : أنه ليس يستحيل بشة الأنبياء عليهم السلام خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة في بعثهم إذ في العقل مندوحة عنهم لأن العقل لا يهدي إلى الأفعال النجبة في الآخرة كما لا يهدي إلى الأدوية القبيحة للصحة فحاجة الخلق إلى الأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء . ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة .

عندي معذورون
يعدم مقبولون بما
توافقوا عليه من إقرارهم
وعقدهم والله سبحانه
قد عذرهم مع غيرهم
بقوله سبحانه لا يكلف
الله نفسا إلا وسعها ولا
يخرجون عن مقتضى
هذه الآيات محال
وسنبدى لك طريقا
من الاعتبار تعرف به
صحة إسلامهم وسلامة
توحيدهم إن شاء الله
عز وجل . والصنف
الثاني اعتقدوا الحق
مع ما ظهر منهم من
النطق واعتقدت مع
ذلك أنواعا من الخبايل
قام في محيلتها أنها أدلة
وطائها براهين وليست
كذلك وقد وقع في
هذا كثير ممن يشار
إليه فضلا عن دونهم
فان وقع إلى هذا
الصنف من يزعم
عليهم تلك الخبايل
بالصدق ويطلها
عليهم بالمعارضة أو
الاعتراض لم يلتفتوا
إليه ولا أصغوا لما يأتي
به ويرفضوا إلى أن
يجابوه لما يحملهم
عليه من سوء الفهم
أو رداة الاعتقاد

وعندهم أن جميع تلك الحايل في باب الاستدلال أرسخ من شوامخ الجبال فمنهم من يستند دليله مذهب شيخه الرفيع القدر الطلع على العلوم ومنهم من يكون دليله خبرا له ومنهم من يكون دليله بعض محتملات آية أو حديث صحيح ولعمري أنهم ينبغي إذا صادفوا السنة باعتقادهم ولم يقموا في شيء من الضلال أن يتركوا على ما هم عليه ولا يهركوا بأمر آخر بل يصدقوا بذلك ويسلم لهم فلا يكون إذا تتبع الحال معهم ربما لقنوا شبهة أو ترسخ في نفوسهم بدعة يسر انحلالها أو يقيموا في تكفير مسلم وتضليله بل هناك أسباب كثيرة . واعلم أن اعتقاد الخلائق وعلما من أغذية النفوس فمن رغب في أكلتها لم يفتن بدونها وإلا حصل له ذلك قويا به ومن قنع بأيسرها ولم تطمح همة إلى ما هو أعلى

الأصل العاشر : أن الله سبحانه قد أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصائبين وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر (١) وتيسيح الحصى (٢) وإنطاق العجاء (٣) وما تفجر من بين أصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التي تعدى بها مع كافة العرب القرآن العظيم فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة نهّدوا لسيده ونبيه وقتله وإخراجه كما أخبر الله عز وجل عنهم ولم يقدروا على ممارسته بمثل القرآن إذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من أخبار الأولين مع كونه أميا غير محارس للكتب والإنباء عن الغيب في أمور تحقق صدقه فيها في الاستقبال كقوله تعالى - لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محظنات رؤوسكم ومقصرين - وكقوله تعالى - ألم تغلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين - وجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما يحجز عنه البشر لم يكن إلا فعلا لله تعالى فلهما كان مقرونا بتحدى النبي ﷺ ينزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القائم بين يدي الملك الدعي على رعيته أنه رسول الملك إليهم فانه مهما قال للملك إن كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بأن ذلك نازل منزلة قوله صدقت الركن الرابع في السميات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول الأصل الأول : الحشر والنشر (٤) وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق بهما واجب لأنه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء قال الله تعالى - قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحياها التي أنشأها أول مرة - فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال عز وجل - ما خلقكم ولا بشئكم إلا كنفس واحدة - والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الأول . الأصل الثاني سؤال منكر ونكير (٥) وقد وردت به الأخبار فيجب التصديق به لأنه ممكن إذ ليس يستدعي الإعادة الحياة إلى جزء من الأجزاء الذي يفهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون أجزاء البيت وعدم معانها للسؤال فان النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من الآلام واللذات ما يحس بتأثيره عند التنبيه وقد كان رسول الله ﷺ يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمونه ولا يرونه (٦) ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه .

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود وابن عباس (٢) حديث تيسيح الحصى البيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي ذر . وقال صالح بن أبي الأخضر ليس بالحافظ والمخطوط رواية رجل من بني سليم لم يسم عن أبي ذر (٣) حديث إنطاق العجاء أحمد والبيهقي بإسناد صحيح من حديث يعلى بن مرة في البعير التي شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أهله وقد ورد في كلام الغيب والكتب والجمرة أحاديث رواها البيهقي في الدلائل (٤) حديث الحشر والنشر الشيخان من حديث ابن عباس إنكم لمحشورون إلى الله الحديث ومن حديث سهل يحشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء الحديث ومن حديث عائشة يحشرون يوم القيامة خاة ومن حديث أبي هريرة يحشر الناس على ثلاث طرائق الحديث ولابن ماجه من حديث ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أفتنا في بيت المقدس وأرض الحشر والمنشر الحديث وإسناده جيد (٥) حديث سؤال منكر ونكير تقدم (٦) حديث كان يسمع كلام جبريل ويشاهده ومن حوله لا يسمونه ولا يرونه البخاري ومسلم من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى مالا أرى قلت وهذا هو الأغلب وإلا فقد رأى جبريل جماعة من الصحابة منهم عمر وابنه عبد الله وكعب بن مالك وغيرهم .

الأصل الثالث : عذاب القبر وقد ورد الشرح به قال الله تعالى - النار يمرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب - واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر (١) وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء البيت في بطون السباع وحواصل الطيور فإن المدرك لألم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة بقدر الله تعالى على إعادة الإدراك إليها . الأصل الرابع : لليزان وهو حق قال الله تعالى - ونضع للوازن القسط ليوم القيامة - وقال تعالى - فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه - الآية ووجهه أن الله تعالى يحدث في صحائف الأعمال وزنا بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى فقصر مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم المدل في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب . الأصل الخامس : الصراط وهو جسر معدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف قال الله تعالى - فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوههم إنهم مسئولون - وهذا ممكن فيجب التصديق به فإن القادر على أن يطير الطير في الهواء قادر على أن يسير الإنسان على الصراط . الأصل السادس : أن الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى - وسارعوها إلى منفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين - فقوله تعالى أعدت دليل على أنها مخلوقة فيجب إجرأؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فائدة في خلقها قبل يوم الجزاء لأن الله تعالى - لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون - . الأصل السابع : أن الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إمام أصلا إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا وإن ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل إلينا فلم يكن أبو بكر إماما إلا بالاختيار والبيعة وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم إلى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الإجماع وذلك مما لا يستجري على اختراعه إلا الروافض واعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منارعة من معاوية في الامامة إذ ظن علي رضي الله عنه أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشارهم واختلاطهم بالمسكر يؤدي إلى اضطراب أمر الامامة في بدايتها فرأى التأخير أصوب وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالآئمة ويعرض الدماء للسفك ، وقد قال أفاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قائلون المصيب واحد ولم يذهب إلى تخطئة علي ذو تحصيل أصلا . الأصل الثامن : أن فضل الصحابة رضي الله عنهم على حسب ترتيبهم في الخلافة إذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل وذلك لا يطلع عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة (٢) وإنما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحي والتزيل بقرائن الأحوال ودقائق التفصيل فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف ، الأصل التاسع : أن شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الكورة والورع والعلم والكفاية ونسبة قريش لقوله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قريش » (٣) وإذا اجتمع عدد من الوصوفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من أكثر الخلق والمخالف لا أكثر باغ يجب رده إلى

من ذلك ضعف ولكنه يعيش عيش الطيف وإنما يهلك لمن لا يلفه له ولا يجدها أو يجدها ولكنها تكون مشابة ممن جاء بعصرة بدعة ومموم كفر فلا تنهل عما يشار لك إليه وإنما للرغوب تنبيهك والله للثمان وقلما بين الصنف الثاني والأول من التفاوت من حيث إن أولئك مقلدون فيما يتقدونه دليلا غير أنهم أوثق رباطا من الأولين لأن أولئك إن وقع إليهم من شكهم ربما شكوا وانحل رباط عقدهم وهؤلاء في الأغلب لا سبيل إلى انحلال عقودهم إذ لا يرون أنفسهم أنهم مقلدون وإنما يظنون أنهم مستدلون عارفون فلهمذا كانوا أحسن حالا . والصنف الثالث أقروا واعتقدوا كما فعل الدين من قبلهم وقدموا النظر أيضا ولكنهم لعدم سلوكم سبيله مع القدرة عليه ومعهم من الذكاء والفطنة والتيقظ مالمو نظروا لعدوا ولو استدلو

(١) حديث استعاذ من عذاب القبر أخرجه من حديث أبي هريرة وعائشة وقد تقدم .

(٢) حديث الثناء على الصحابة تقدم .

(٣) حديث الأئمة من قريش النسائي من حديث أنس والحاكم من حديث ابن عمر .

لثقةوا ولو طلبوا
لأدر كواسيل المعارف
ووصلوا ولكنهم آثروا
الراحة وما لوالإدعة
واستبعدوا طريق العلم
واستقلوا الأعمال
الوصلة إليه وقنوا
بالقعود في حضيض
الجهل فهؤلاء فيهم
إشكال عند كثير من
الناس في البداية
ويرد في حالهم النظر
وهل يسمون عصاة أو
غير ذلك يحتاج إلى
تمهيد آخر ليس هذا
مقامه والالتمات إلى
هذا الصنف أوجب
خلاف التكلمين في
العوام على الإطلاق
من غير تفريق بين
بلد ومتيقظ وفطن
فهم من لم ير أنهم
مؤمنون ولكن لم
يحفظ عنهم أنهم أطلقوا
اسم الكفر عليهم
ولعلك تقول إن
مذهبهم المشهور أن
الحق لا يخلو عن
الصفات إلا إلى ضدها
فن لم يحكم له بالإيمان
حكم عليه بالكفر كما
أن من لم يحكم له
بالحرمة حكم عليه
بالسكون وكذلك

الانقياد إلى الخلق . الأصل العاشر : أنه لو تمذرو وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للإمامة وكان في صرفه إثارة فتنة لاتطاق حكمنا بانمقاد إمامته لأننا بين أن تحرك فتنة بالاستبدال فما يلقي السلمون فيه من الضرر يزيد على ما يغوثهم من نقصان هذه الشروط التي أثبتت لمزية الصلحة فلا يهدم أصل الصلحة شغفا بمزاياها كالتدنى بيني قصرا ويهدم مصرا وبين أن نحكم بخلاص البلاد عن الإمام وبفساد الأفضية وذلك محال ونحن نقضى بنفوذ قضاء أهل البنى في بلادهم لميس حاجتهم فكيف لا نقضى بصحة الإمامة عند الحاجة والضرورة فهذه الأركان الأربعة الحاوية للأصول الأربعين هي قواعد العقائد فن اعتقدها كان موافقا لأهل السنة ومبينا لرهط البدعة فالحق تعالى يسد لنا بتوفيقه ويهدينا إلى الحق وتحقيقه عنه وسعة جوده وفضله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى .

[الفصل الرابع من قواعد العقائد] في الإيمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل [مسألة] اختلفوا في أن الاسلام هو الإيمان أو غيره وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه أو مرتبط به يلزمه قليل إنهما شيء واحد وقيل إنهما شيان لا يتواصلان وقيل إنهما شيان ولكن يرتبط أحدهما بالآخر ، وقد أورد أبو طالب السكى في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلتهمج الآن على التصريح بالحق من غير ترجيح على ثقل مالا تحصيل له فنقول في هذا ثلاثة مباحث : بحث عن موجب اللفظين في اللغة ، وبحث عن المراد بهما في إطلاق الشرع ، وبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة ، والبحث الأول لنوى والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي . البحث الأول : في موجب اللغة والحق فيه أن الإيمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى - وما أنت بمؤمن لنا - أى بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والاشياد وترك التمرد والاباء والصاد والتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمان وأما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد للجوارح فوجب للغة أن الاسلام أعم والإيمان أخص فكان الإيمان عبارة عن أشرف أجزاء الاسلام فاذن كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا . البحث الثاني : عن إطلاق الشرع والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالها على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل . أما الترادف ففي قوله تعالى - فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين - فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين - ولم يكن بالافتاق إلا بيت واحد وقال تعالى - يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين - وقال صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس ^(١) » وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس ^(٢) وأما الاختلاف فقوله تعالى - قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا - ومعناه استسلمنا في الظاهر فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح ، وفي حديث جبرائيل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بدلولوت وبالْحساب وبالقدر خيره

(١) حديث بنى الإسلام على خمس أخرجه من حديث ابن عمر (٢) حديث سئل عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس ، البهقي في الاعتقاد من حديث ابن عباس في قصة وفد عبد القيس تدرون ما الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا رمضان وتحجوا البيت الحرام والحديث في الصحيحين لكن ليس فيه ذكر الحج وزاد أن تؤتوا خمساً من الفهم .

وشهره فقال لما الاسلام، فأجاب بذكر الجصال الخمس (١) « فببر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل وفي الحديث عن سعد أنه صلى الله عليه وسلم « أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال صلى الله عليه وسلم أو مسلم فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « وأما التداخل فاروى أيضا أنه سئل « قيل أى الأعمال أفضل فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام فقال أى الاسلام أفضل فقال ﷺ الإيمان (٣) « وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو أوفق الاستعمالات في اللغة لأن الإيمان عمل من الأعمال وهو أفضلها والاسلام هو تسليم إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح وأفضلها الذى بالقلب وهو التصديق الذى يسمى إيمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة أما الاختلاف فهو أن يجعل الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو أيضا موافق للغة فإن التسليم يعنى محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه فإن من لم يس غير يعنى بدنه يسمى لامسا وإن لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى - قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا - وقوله ﷺ في حديث سعد « أو مسلم » لأنه فضل أحدهما على الآخر ويريد بالاختلاف تفاضل للسلمين وأما التداخل فوافق أيضا للغة في خصوص الإيمان وهو أن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والإيمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذى عنينا به بالتداخل وهو موافق للغة في خصوص الإيمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الإيمان في جواب قول السائل أى الاسلام أفضل لأنه جعل الإيمان خصوصا من الاسلام فأدخله فيه وأما استعماله فيه على سبيل الترادف بأن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فإن كل ذلك تسليم وكذا الإيمان ويكون التصرف في الإيمان على الخصوص بتعميمه وإدخال الظاهر في معناه وهو جائز لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمرة على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله - فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين - البحث الثالث : عن الحكم الشرعى والاسلام والإيمان حكمان أخروى ودينوى . أما الأخرى فهم والإخراج عن النار ومنع التخليد إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان (٤) »

(١) حديث جبريل لما سأله عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث عمر دون ذكر الحساب فرواه البيهقي في البعث وقد تقدم (٢) حديث سعد أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال أو مسلم الحديث أخرجه بنحوه (٣) حديث سئل أى الأعمال أفضل فقال الاسلام فقال أى الاسلام أفضل فقال الإيمان أحمد والطبراني من حديث عمرو بن عبسة بالشطر الأخير قال رجل يا رسول الله أى الاسلام أفضل قال الإيمان وإسناده صحيح (٤) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان أخرجه من حديث أبي سعيد الخدرى في الشفاعة ، وفيه اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه الحديث ، ولهما من حديث أنس فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان لفظ البخارى منهما ، وله تعليق من حديث

الحياة والموت والعلم والجهل وسائر ما له من الصفات. قلنا قلن صرح ذلك في الصفات التى هي أعراض قد لا يصح فى الأوصاف التى هي أحكام الإيمان والكفر والهداية والضلال والبدعة والسنة ربما كانت ليست من قبيل الأعراض وإنما ذكرت لك هذا فى معرض الشك فى شعوب ما نورد على ذلك ومنهم من أوجب لهم الإيمان ولكن أوجب لهم للفرقة وقدرها لهم وعجزهم عن العبادة ووجوب العبادة فى الشرع جار على هذا النحو وهو لا يخالفوا للذكورين قبلهم لأن أولئك سلبوا الإيمان عمن لم يصدر اعتقاده عن دليل وهؤلاء أوجبوا الإيمان لمن أضافوا إليه الفرقة للشرطة فى صحة الإيمان وإنما فروا عن الشناعة الظاهرة فشذوا عن الجمهور بهذا الاحتمال وزادوا على أنفسهم أنهم ألوا بقول من جعل المعارف

كلها ضرورة ولم يشعروا بذلك حين قالوا إنما عجزت العامة عن سرد الدليل وتعظم العبارة عنه وأنه لا تحب عليهم لأنهم إذا نبهوا وعرض عليهم ما قرب من الألفاظ واعتادوا من المخاطبات دلائل الحدوث ووجوه الافتقار إلى المحدث بعد الاعتقاد وعندوا من هذه العارفين كثيرا ووجدوا أنفسهم عارفين بذلك . واعلم أن من يقول إن العارفين كلها ضرورية هكذا يقول إنما افتقر الناس إلى النسيئة ولم يسمروا على العبارة على مواضع العلوم والأفهام إذا نبهوا عليها وتلطف بهم في فهمها بالزوال إلى ما ألقوه من عبارات وجدوا أنفسهم غير منكورة لما نبهوا عليه وسمروا إلى النسيئة ومثال هذا كمن نسي شيئا كان معه أو إنسانا نصحه أو رآه فنيه وغفل عنه لأجل غيبته ثم رآه بعد

وقد اختلفوا في أن هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بأن الإيمان ماذا هو فن قائل إنه مجرد العقد ومن قائل يقول إنه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالأركان ونحن نكشف النطاء عنه ونقول من جمع بين هذه الثلاثة فلا خلاف في أن مستقره الجنة وهذه درجة . والدرجة الثانية أن يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الأعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر فعند هذا قالت المعتزلة خرج بهذا عن الإيمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه فاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو عند في النار وهذا باطل كما سنذكره . والدرجة الثالثة أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الأعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال أبو طالب للسكي العمل بالجوارح من الإيمان ولا يتم دونه وإدعى الاجماع فيه واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى - الذين آمنوا وعملوا الصالحات - إلهذا يدل على أن العمل وراء الإيمان لا من نفس الإيمان وإلا فيكون العمل في حكم للعاد والعجب أنه ادعى الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم « لا يكفر أحد إلا بعد جحوده لما أقر به ^(١) » وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة إذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو الجنة فلا بد أن يقول نعم وفيه حكم بوجود الإيمان دون العمل فتزيد وتقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات أوزن ثم مات فهل يغلدف النار فإن قال نعم فهو مراد المعتزلة وإن قال لا فهو تصريح بأن العمل ليس ركنا من نفس الإيمان ولا شرطا في وجوده ولا في استحقاق الجنة به وإن قال أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم على شيء من الأعمال الشرعية فنقول فما ضبط تلك اللغة وماعده تلك الطاعات التي يتركها يبطل الإيمان وما عدد الكبائر التي يتركها يبطل الإيمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصبر إليه صائر أصلا . الدرجة الرابعة أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالأعمال ومات فهل قول مات مؤمنا بينه وبين الله تعالى وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول تمام الإيمان يقول هذا مات قبل الإيمان وهو فاسد إذ قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » وهذا قلبه طافح بالإيمان فكيف يغلدف النار ولم يشترط في حديث جبريل عليه السلام للإيمان إلا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر كما سبق . والدرجة الخامسة أن يصدق بالقلب ويساعده من العمرة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل أن يحصل امتناعه عن النطق كاستناعه عن الصلاة وتقول هو مؤمن غير عند في النار والإيمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الإيمان فلا بد أن يكون الإيمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى ترجمه اللسان وهذا هو أظهر إذ لا مستند إلا اتباع موجب الألفاظ ووضع اللسان أن الإيمان هو عبارة عن التصديق بالقلب . وقد قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة » ولا ينعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كالا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قائلون القول ركن إذ ليس كلنا الشهادة إخبارا عن القلب بل هو إنشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام الأول أظهر وقد غلا في هذا طائفة للرجة فقالوا هذا لا يدخل النار أصلا وقالوا إن المؤمن وإن عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم . الدرجة السادسة أن يقول بلسانه لا إله إلا الله أنس يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان وهو عندهما متمم بلفظ خير مكان إيمان (١) حديث لا تكفروا أحدا إلا بجحوده بما أقر به الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد لن يخرج أحد من الإيمان إلا بجحود ما دخل فيه وإسناده ضعيف .

محمد رسول الله ولكن لم يصدق قلبه فلانشك في أن هذا في حكم الآخرة من الكفار وأنه عجلد في النار ولا نشك في أنه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالأئمة والولاة من المسلمين لأن قلبه لا يطلع عليه وعلينا أن نظن به أنه ما قاله بلسانه إلا وهو منطوق عليه في قلبه وإنما نشك في أمرناك وهو الحكم الديني فيما بينه وبين الله تعالى وذلك بأن يموت له في الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستغنى ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن في يدي فهل يحل لي بيني وبين الله تعالى أن نكسح مسلمة ثم صدق بقلبه هل تلزمه إعادة النكاح هذا محل نظر فيحتج أن يقال أحكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل أن يقال تناط بالظاهر في حق غيره لأن باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله تعالى والأظهر والعلم عند الله تعالى أنه لا يحل له ذلك للميراث وبإلزامه إعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المناقنين وعمر رضي الله عنه كان يراعى ذلك منه فلا يحضر إذا لم يحضر حذيفة رضي الله عنه والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وإن كان من العبادات والتوقي عن الحرام أيضا من جملة ما يجب لله كالصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة » وليس هذا مانعا لقولنا إن الإرث حكم الاسلام وهو الاستسلام بل الاستسلام التام هو ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث قهية ظنية تنبئ على ظواهر الألفاظ والعمومات والأقيسة فلا ينبغي أن يظن القاصر في العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بإيراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع فما أفلح من نظر إلى العادات والراسم في العلوم . فان قلت فإشبهة العقلة والرجة وما حجة بطلان قولهم . فأقول شبهتهم عمومات القرآن أما للرجة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وإن أتى بكل المعاصي لقوله عز وجل - فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا - وقوله عز وجل - والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون - الآية ولقوله تعالى - كلما أتى فيها فوج سألهم خزنتها . إلى قوله - فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء - قوله كلما أتى فيها فوج عام فينبغي أن يكون كل من أتى في النار مكذبا ولقوله تعالى - لا يصلاها إلا الأشقي الذي كذب وتولى - وهذا حصر وإثبات ونفي ولقوله تعالى - من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون - فالإيمان رأس الحسنات ولقوله تعالى - والله يحب المحسنين - وقال تعالى - إنا لانصيع أجر من أحسن عملا - ولا حجة لهم في ذلك فانه حيث ذكر الإيمان في هذه الآيات أريد به الإيمان مع العمل إذ بينا أن الإيمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة في معاقبة العصاة ومقادير العقاب وقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » فكيف يخرج إذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى - إن الله لا يشرك به وضر مادون ذلك لمن يشاء - والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام وقوله تعالى - ومن يصص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها - وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى - ألا إن الظالمين في عذاب مقيم - وقال تعالى - ومن جاء بالسنة فكبت وجوههم في النار - فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بد من تليط التخصيص والتأويل على الجانبين لأن الأخبار مصرحة بأن العصاة يندبون (١) بل قوله تعالى - وإن منكم إلا واردها - كالصريح في أن ذلك لا بد منه لكل إذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله تعالى - لا يصلاها إلا الأشقي الذي كذب وتولى - أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد بالأشقي شخصا معينا أيضا وقوله تعالى - كلما أتى فيها فوج سألهم خزنتها - أي فوج من الكفار وتخصيص العمومات

(١) حديث تذييب العصاة البخاري من حديث أنس لصيين أقوام سفع من النار بذنوب أصابوها الحديث ويأتي في ذكر الموت عدة أحاديث .

ذلك فذكر فانه يقال بدا لأنه كان عارفا بما غاب عنه لكنه ناس له أو غافل عنه ولولا عرفانه به ما وجد عدم الانكار وسرعة الألفة عنه وطائفة من التكلمين أيضا أوجب لهم الإيمان مع عدم المعرفة للشروطة عند أولئك وأى الآراء أحق بالحق وأولى بالصواب ليس من غرضنا في هذا الموضع وإنما غرضنا تبديد ما أشاعه في الأحياء أهل القول والأغلال فلا يفتح مثل هذا الباب وقد أبدينا من وجه ذلك في مراقي الزلف ما ينبغي فيها بذن الله عز وجل .

[فصل في بيان أصناف أهل الاعتقاد]

تفصيل آخر من جهة أخرى هو من تسمية ما جرى فلتعلم أن ما منهم صنف الأول على التقريب ثلاثة أحوال لا يستبد أحدهم من أحدها بحكم الاعتقاد الضروري فأصنى الحالات لهم أن يستبد أحدهم جميع أركان

الإيمان على ما يكل
عليه في الغالب لكنه
على طريق التفاوت كما
سبق . الحالة الثانية
أن لا يمتدوا إلا ببعض
الأركان مما فيه خلاف
إذا قرر ولم نصف إليه
في اعتقاده سواء هل
يكون مؤمنا أو مسلما
أن يمتد وجود الواحد
قط أو يمتد أنه
موجود حتى لا غير
وأما هذه التقديرات
وغلو عن اعتقاد باقي
الصفات خلوا كاملا
لا يخطر بباله ولا يمتد
فيها حق ولا باطلا ولا
صوابا ولا خطأ ولكن
التقدير الذي يمتد
من الأركان الثلاثة
موافق للحق غير
منسوب لغيره . الحالة
الثالثة أن يمتد
الوجود كما قلنا
والوحدانية والحياة
ويكون فيها يمتد
في باقي الصفات على ما
لا يوافق الحق ما هو
عليه مما هو بدعة
وضلالة وليس بكفر
صريح فالذي يدل
عليه العلم ويستنبط
من ظواهر الشرع أن
أرباب الحالة الأولى

قريب ومن هذه الآية وقع للأشعري وطائفة من التكلمين إنكار صيغ العموم وأن هذه الألفاظ
يتوقف فيها إلى ظهور قرينة تدل على معناها . وأما العترة فسيبهم قوله تعالى - وإني لفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - وقوله تعالى - والصبر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات - وقوله تعالى - وإن منكم إلا واردة كان على ربك حتما مقضيا - ثم قال - ثم تجي الذين
اتقوا - وقوله تعالى - ومن يصرف الله ورسوله فإن له نارجهم - وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح
فيها مقرونا بالإيمان وقوله تعالى - ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها - وهذه العمومات
أيضا مخصوصة بدليل قوله تعالى - ويضفر مادون ذلك لمن يشاء - فينبغي أن تبقى له مشيئة في مغفرة
ماسوى الشرك وكذلك قوله عليه السلام « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان » وقوله
تعالى - إنا لانضج أجر من أحسن عملا - وقوله تعالى - إن الله لا يضيع أجر المحسنين - فكيف يضيع
أجر أصل الإيمان وجميع الطاعات بمصية واحدة وقوله تعالى - ومن يقتل مؤمنا متعمدا - أي لا يمانه
وقد ورد على مثل هذا السبب . فإن قلت قد مال الاختيار إلى أن الإيمان حاصل دون العمل وقد اشتهر
عن السلف قولهم الإيمان عقد قول وعمل فإمضاء . قلنا لا يبعد أن يعد العمل من الإيمان لأنه مكمل له
ومتتم كما يقال الرأس واليدان من الإنسان ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنسانا بدم الرأس ولا يخرج عنه
بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التديجات والتكبيرات من الصلاة وإن كانت لا تبطل بقدها فالصدق
بالقلب من الإيمان كالرأس من وجود الإنسان إذ ينعدم بدمه وبقي الطاعات كالأطراف بعضها أعلى
من بعض وقد قال عليه السلام « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » ^(١) والصحابة رضي الله عنهم ما اعتقدوا
مذهب للعترة في الخروج عن الإيمان بالزنا ولكن مناه غير مؤمن حقا إيمانا كاملا كما يقال للماجز
للتطوع الأطراف هذا ليس بإنسان أي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الإنسانية . (مسئلة) فإن
قلت قد انضق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمصية فإذا كان التصديق
هو الإيمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان . فأقول السلف هم الشهود العدول وما لأحد عن قولهم عدول
فما ذكروه حق وإنما الشأن في فهمه وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الإيمان وأركان وجوده
بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز أن يقال
الإنسان يزيد برأسه بل يقال يزيد بلمحيته ومنه ولا يجوز أن يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل
تزيد بالأدب والسنن فهذا تصريح بأن الإيمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان .
فإن قلت فلا إشكال قائم في أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فأقول إذا تركنا
للدهانة ولم نكثر بتشبيب من تشبيب وكشفنا الظهار ارتفع الإشكال فتقول : الإيمان اسم مشترك يطلق
من ثلاثة أوجه : الأول أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانسراح
صدر وهو إيمان العوام بل إيمان الخلق كلهم إلا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشدد
وتقوى وتارة تضعف وتترخي كاعتقده على الحيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبره باليهودي وصلابته
في عقيدته التي لا يمكن نزوع عنها بتخويف وتخدير ولا بتخييل ووعظ ولا بتحقيق وبرهان
وكذلك النصراني والبدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ويمكن استزاله عن اعتقاده
بأدنى استنالة أو تخويف مع أنه غير شاك في عقده كالأول ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم وهذا
موجود في الاعتقاد الحق أيضا والعمل يؤثر في نماء هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الماء في نماء الأشجار
ولذلك قال تعالى - فزادهم إيمانا - وقال تعالى - ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم - وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبي هريرة .

فما يروى في بعض الأخبار «الإيمان يزيد وينقص»^(١) وذلك بتأثير الطاعات في القلب وهذا لا يدرك إلا من راقب أحوال نفسه في أوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وإدراك التفاوت في السكون إلى عقائد الإيمان في هذه الأحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة إذا عمل بموجب اعتقاده لمسح رأسه وتلطف به أدرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه عملاً مقبلاً أو ساجداً لغيره أحس من قلبه بالتواضع عند إقامته على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسيأتي هذا في ربيع للنجات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والأعمال بالمعاني والقلوب فان ذلك من جنس تطيق الملك بالملكوت وأعني بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والأعضاء وأعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى إلى حد ظن بعض الناس اتحاد أحدهما بالآخر وظن آخرون أنه لا عالم إلا عالم الشهادة وهو هذه الأجسام المحسوسة ومن أدرك الأمرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال:

رق الزجاج ورق الحمر وتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وترجع إلى القصور فان هذا العلم خارج عن علم العامة ولكن بين العالين أيضاً اتصال وارتباط فذلك ترى علوم للكاشفة تتلاق كل ساعة على علوم للعامة إلى أن يكف عنها بالكشف فهذا وجه زيادة الإيمان بالطاعة بموجب هذا الإطلاق ولهذا قال على كرم الله وجهه: إن الإيمان ليدو لمة يضاء فإذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله وإن النفاق ليدو نكة سوداء فإذا انتهك الحرمان نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم وتلا قوله تعالى - كلا بل ران على قلوبهم - الآية - الإطلاق الثاني: أن يراد به التصديق والعمل جميعاً كما قال صلى الله عليه وسلم «الإيمان بضع وسبعون باباً»^(٢) وكما قال صلى الله عليه وسلم «لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن» وإذا دخل العمل في مقتضى لفظ الإيمان لم تخف زيادته وقصاته وهل يؤثر ذلك في زيادة الإيمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد أشرنا إلى أنه يؤثر فيه . الإطلاق الثالث: أن يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف واتسراح الصدر والشاهدة بنور البصيرة وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة ولكني أقول الأمر اليقيني الذي لا شك فيه يختلف طمأنينة النفس إليه فليس طمأنينة النفس إلى أن الاثنين أكثر من الواحد كطمأنينتها إلى أن العالم مصنوع حادث وإن كان لا شك في واحد منهما فإن اليقينيات تختلف في درجات الإيضاح ودرجات طمأنينة النفس إليها وقد ترمنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة إلى الإعادة وقد ظهر في جميع الإطلاقات أن ما قالوه من زيادة الإيمان وقصاته حق

(١) حديث الإيمان يزيد وينقص ابن عدي في الكامل وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة وقال ابن عدي باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب اللحي يعتمد الكذب وهو عند ابن ماجه موقوف على أبي هريرة وابن عباس وأبي المرداء (٢) حديث الإيمان بضع وسبعون باباً وذكره بعد هذا فزاد فيه: أدناها إمطة الأذى عن الطريق البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة الإيمان بضع وسبعون زاد مسلم في روايته وأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها فكركه ورواه بلنظ الصنف الترمذي وصححه .

والله أعلم على سبيل
نجاة ومسلك خلاص
ووصف إيمان أو إسلام
وسواء في ذلك الصنف
الأول والثاني من أهل
الاعتقاد ويبقى الصنف
الثالث على محتملات
النظر كما نهنالك عليه
وأما أهل الحالة الثانية
وهي الانقصار على
الوجود الفرد والوجود
ووصف آخر معه مع
الخلو من اعتقاد سائر
الصفات التي للكمال
والجلال وأركانها
فالتقدمون من السلف
لم تشهر عنهم في صورة
للشئ ما يخرج صاحب
هذا المقعد عن حكم
الإيمان والاسلام
والتأخرون مختلفون
فكثير خاف أن يخرج
من اعتقد وجود الله
عز وجل وأظهر
الانقار بنيه صلى الله
عليه وسلم من الاسلام
ولا يبعد أن يكون
كثير ممن أسلم من
الأجلاف والرعيان
وضعفاء النساء والأبناء
على هذا بلامزيد عليه
لو سئلوا امتكشفوا
عن الله عز وجل هل
له إرادة أوبقاء أو كلام

أو ما شاكل ذلك وهل
له صفات معنوية ليست
هي هو ولا هي غيره
ربما وجدوا مجهولون
هكذا ولا يقولون
وجه ما يخاطبون
به وكيف يخرج من
اعتقد وجود الله
ووحديته مع الاقرار
بالنبوة من حكم
الاسلام والنبي صلى الله
عليه وسلم قد رفع
القتال والقتل وأوجب
حكم الايمان أو الاسلام
لمن قال لا إله إلا الله
واعتمد عليها وهذه
الكلمات لا تقتضى
أكثر من اعتقاد
الوجود مع الوحدة
في الظاهر وعلى الدنية
من غير نظر ثم سمعنا
عمن قالها في صدر
الاسلام أنه لم يعلم بعدها
إلا فرائض الوضوء
والصلاة وهيات
الأعمال البدنية
والكف عن أذى
السلم ولم يسلطنا أنهم
درسوا علم الصفات
وأحوالها ولاهل الله
تعالى عالم بعلم أو عالم
بنفسه وهو باقى بقاء
أوباق بنفسه وأشياء

وكيف لا وفي الأخبار « أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان » وفي بعض الواضع في خبر
آخر « مثقال دينار (١) » فأى معنى لاختلاف مقاديره إن كان ما في القلب لا يتفاوت (مثلة) فان قلت ما وجه
قول السلف أنا مؤمن إن شاء الله والاستثناء شك والشك في الايمان كفر وقد كانوا كلهم يعتقدون عن جزم
الجواب بالايمان ويحترزون عنه قتل سفیان الثوري رحمه الله من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين
ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا
في نفسه كان مؤمنا عند الله كأن من كان طويلا وسخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا
من كان مسرورا أو حزينًا أو صميا أو بصيرا ولو قيل للانسان هل أنت حيوان لم يحسن أن يقول أنا حيوان
إن شاء الله ولما قال سفیان ذلك قيل له فإذا تقول قال قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وأبى فرق بين أن
يقول آمنا بالله وما أنزل إلينا وبين أن يقول أنا مؤمن وقيل للحسن مؤمن أنت فقال إن شاء الله قيل له
لم تستثن يا أبا سعيد في الايمان فقال أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت يا حسن فحق على
الكلمة وكان يقول ما يؤمننى أن يكون الله سبحانه قد اطلع على في بعض ما يكره فمقتنى وقال اذهب
لاقبلت لك عملا فانا عمل في غير محل وقال إبراهيم بن آدم إذا قيل لك مؤمن أنت قل لا إله إلا الله
وقال مرة قل أنا لأشك في الايمان وسؤالك إياي بدعة وقيل لمقلمة مؤمن أنت قال أرجو إن شاء الله
وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندرى ما نحن عند الله تعالى فامضى هذه
الاستثناءات فالجواب أن هذا الاستثناء مهيح وله أربعة أوجه وجهان مستندان إلى الشك لافي أصل
الايمان ولكن في خاتمة أو كاله ووجهان لا يستندان إلى الشك . الوجه الأول الذي لا يستند إلى معارضة
الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى - فلا تزكوا أنفسكم - وقال -
ألم نزل إليكم الكتاب من قبل أن تكونوا أنفسكم - وقال تعالى - انظر كيف يكفون يقولون على الله الكذب - وقيل لحكم
ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه والايمان من أعلى صفات الجهد والجزم به تزكية مطلقة
وصيغة الاستثناء كأنها قل من عرف التزكية كما يقال للانسان أنت طيب أو قبيح أو مفسر فيقول
نعم إن شاء الله لافي معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصفة صيغة التردد
والضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للآزم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التأويل لو سئل
عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء . الوجه الثاني : التأدب بذكر الله تعالى في كل حال وإحالة الأمور
كلها إلى مشيئة الله سبحانه فقد أدب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى - ولا تقولن لشيء
إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله - ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه بل قال تعالى - لتدخلن
المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين - وكان الله سبحانه عالما بأنهم يدخلون
لا محالة وأنه شاء ولكن للتصود تلميحه ذلك فتأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان
يخبر عنه معلوما كان أو مشكوكا حتى قال صلى الله عليه وسلم لما دخل القابر « السلام عليكم دار قوم
مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون (٢) » والحق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الأدب ذكر الله
تعالى وربط الأمور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار يعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمنى
فاذا قيل لك إن فلانا يموت سرى فقول إن شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشكك وإذا قيل لك فلان
سيزول مرضه أو يصح فقول إن شاء الله بمعنى الرغبة قد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك إلى

(١) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار متفق عليه من حديث أبي سعيد وسيأتي
في ذكر اللوت وما بعده (٢) حديث لما دخل القابر قال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين الحديث
مسلم من حديث أبي هريرة .

معنى الرغبة وكذلك الدول إلى معنى التأديب بذكر الله تعالى كيف كان الأمر . الوجه الثالث مستنده الشك ومناه أنا مؤمن حقا إن شاء الله إذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين بأعيانهم - أولئك هم المؤمنون حقا - فاقسموا إلى قسمين ويرجع هذا إلى الشك في كمال الإيمان لافي أصله وكل انسان شاك في كمال إيمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الإيمان حق من وجهين : أحدهما من حيث إن النفاق يزيل كمال الإيمان وهو خفي لا يتحقق البراءة منه . والثاني أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال أما العمل فقد قال الله تعالى - إنما للمؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون - فيكون الشك في هذا الصديق وكذلك قال الله تعالى - ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين - فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالمعهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالى - أولئك الذين صدقوا - وقد قال تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - وقال تعالى - لا يستوى منكم من أتق من قبل الفتح وقاتل - الآية وقد قال تعالى - هم درجات عند الله - وقال **عليه السلام** « الإيمان عريان ولباسه التقوى ^(١) » الحديث وقال صلى الله عليه وسلم « الإيمان يضع وسبعون بابا أدناها إمطة الأذى عن الطريق » فهذا ما يدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الحفي فقول صلى الله عليه وسلم « أربع من كنّ فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن : من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر ^(٢) » وفي بعض الروايات « وإذا عاهد غدر » وفي حديث أبي سعيد الخدري « القلوب أربعة : قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه إيمان وثاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة بعدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة بعدها القيح والصدید فأى اللادتين غلب عليه حكم له بها ^(٣) » وفي لفظ آخر « غلبت عليه ذهبت به » قال عليه السلام « أكثر منافق هذه الأمة قراؤها ^(٤) » وفي حديث « الشرك أخفى في أمتي من ديب النمل على الصفا ^(٥) » وقال حذيفة رضى الله عنه « كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها مناققا إلى أن يموت وإنى لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات ^(٦) » وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى أنه يرى من النفاق وقال حذيفة للنفاقون اليوم أكثر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا إذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الإيمان وكلاه وهو خفي وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه يرى منه فقد قيل للحسن البصري يقولون أن لانفاق اليوم فقال يا أخى لو هلك النفاقون لاستوحشتم في الطريق وقال هو أو غديره لو نبشت للمناققين أذنان ما قدسونا أن نطأ على الأرض بأقدامنا

(١) حديث الإيمان عريان تقدم في العلم (٢) حديث أربع من كنّ فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث القلوب أربعة قلب أجرد الحديث أحمد من حديث أبي سعيد وفيه ليش بن أبي سليم مختلف فيه (٤) حديث أكثر منافق هذه الأمة قراؤها أحمد والطبراني من حديث عتبة بن عامر (٥) حديث الشرك أخفى في أمتي من ديب النملة على الصفا أبو يلى وابن عدى وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر ولأحمد والطبراني نحوه من حديث أبي موسى وسياتي في ذم الجاه والرياء (٦) حديث حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها مناققا الحديث أحمد بإسناد فيه جهالة وحديث حذيفة للنفاقون اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث البخارى إلا أنه قال شر بدل أكثر .

سده المعارف ولا يدفع ظمور هذه إلا معاند أوجاهل سيرة السلف وما جرى بينهم ويدل على قوة هذا الجانب في الشرع أن من استكشف منه على هذه الحالة وتحققت منه وأبى أن يذعن لتعلم ما زاد على ما عنده لم يفت أحد بقتله ولا استرقاقه والحكم عليه بالخلود في النار عبر جدا أو خطر عظيم مع ثبوت الشرع بأن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ولملك يقول قد قال في مواطن أخرى إلا بعنفها ثم تقول اعتقاد باقى الصفات التي بها يكون اعتقاد جلال الله جل وعزّ وكلاه من حقها ثم هي من حقها عند من بلغه أمرها وسمع بها أن يستفدها وأما من خلا من اعتقادها ولم يقله أن يلقاها ولم يسمع بها فقيه مرمى هذا النظر وعليه يقع مثل هذا الاحتفاظ وفي مثله يخاف أن يطلق عليه اسم الكفر هذا وأنت

«وسمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلا يتعرض للحجاج فقال أ رأيت لو كان حاضرا يسمع أ كنت تكلم فيه فقال لا فقال: كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الآخرة» وقال أيضا صلى الله عليه وسلم «شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ويأتي هؤلاء بوجه» وقيل للحسن إن قوما يقولون إنا لا نخاف النفاق وقال والله لأن أكون أعلم أني بريء من النفاق أحب إلي من تلاع الأرض ذهباً وقال الحسن إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضي الله عنه إني أخاف أن أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق إن للنفاق قد أمن من النفاق وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين ومائة وفي رواية خمسين ومائة من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخافون النفاق وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نمله بيده وبين عينيه أثر البجود فقالوا يا رسول الله هو هذا الرجل الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم أرى على وجهه سعة من الشيطان، فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم» (٢) وقال ﷺ في دعائه «اللهم إني أستغفرك لما علمت ولم ألتعلم قيل له آخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون» (٣) قيل في التفسير عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت في كفة الميثاق وقال سري السقطي لو أن إنسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور غناطيه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان أسيرا في يديها فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وأنه لا يؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر في النفاقين وقال أبو سليمان الداراني سمعت من بعض الأمراء شيئا فأردت أن أنكر غففت أن يأمر بقتلي ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض قلبي للزين للحلق عند خروج روعي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الإيمان ومصدقته وكاله وصفاه لأصله فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويأحق بالكافرين وبسلك في زمرة المخلفين في النار والثاني يقضي بصاحبه إلى النار مدة أو يتقن من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء فيه وأصل هذا النفاق تفاوت بين البسر والعلانية والأمن من مكر الله والعجب وأمر آخر لا يغلو عنها إلا الصديقون .

الوجه الرابع: وهو أيضا مستند إلى الشك وذلك من خوف الخاتمة فإنه لا يدري أي سلم له الإيمان عند الموت أم لا فإن ختم له بالكفر حبط عمله السابق لأنه موقوف على سلامة الآخر ولو سئل

(١) حديث سمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال أ رأيت لو كان حاضرا أ كنت تكلم فيه قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحمد والطبراني بنحوه وليس فيه ذكر الحجاج (٢) حديث كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا فأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع رجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء الحديث أحمد والبراز والدارقطني من حديث أنس (٣) حديث اللهم إني أستغفرك لما علمت ولم ألتعلم الحديث مسلم من حديث عائشة اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل ولأبي بكر بن الضحاك في الشمايل في حديث مرسل وشر ما أعلم وشر ما ألتعلم ..

تسمع عن الله عز وجل يقول في الآخرة أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان وذكر من اللقال إلى القدرة والحردة من الإيمان إلى أن أخرج منها من لم يعمل حسنة قط لما يدريك أن يكونوا هؤلاء وأمثالهم المرادين لأن التقدير وقع في الإيمان لافي الأعمال فإن قلت فإن من الناس وأمة الطمأنينة من لم يوجب الإيمان لمن اعتقد جميع الأركان إذا لم يصحبها معرفة ولم يقصدها دليل فكيف بمن فاته اعتقاد بعضها أو كلها قلنا قد أربناك وجه الاعتراض على هذا المذهب ونهناك على بعد أهله عن وجه الحق فيه وأنهم أرباب تعسف ولو استقصى مع كثير منهم القول في ذلك لبدا له أنه تسبب إلى ما يظهر له من نظوره عن معرفة شرطها في إيمان غيره ولا ترمي منه الركون إلى ما رأناه أولى من رأيه وأحق بالصواب

الصائم ضحوة النهار عن صفة صومه فقال أنا صائم قطعاً فلو أفطر في أثناء نهاره بعد ذلك لتبين كذبه إذ كانت الصفة موقوفة على الختام إلى غروب الشمس من آخر النهار وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالصوم ميقات تمام صفة الإيمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولاجلها كان بكاء أكثر الحائنين لأجل أنها ثمرة القضية السابقة والشبهة الأولية التي لا تطهر إلا بظهور القضي به ولا مطلع عليه لأحد من البشر تخوف الحائنة تخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلفة بتقيضه فمن الذي يدري أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل في معنى قوله تعالى - وجاءت سكرة الموت بالحق - أي السابقة يعني أظهرتها - وقال بعض السلف إنما يوزن من الأعمال خواتيمها وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يحلف بالله ما من أحد يأمن أن يسلب إيمانه إلا سلبه وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الحائنة نموذ بالله من ذلك وقيل هي عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالأقراء . وقال بعض العارفين لو عرضت على الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لا اخترت للموت على التوحيد عند باب الحجرة لأني لا أدري ما يمرض قلبي من التغيير عن التوحيد إلى باب الدار . وقال بعضهم لو عرفت واحداً بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد وفي الحديث «من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل»^(١) وقيل في قوله تعالى - ونعت كفة ربك صدقا وعدلا - صدق لمن مات على الإيمان وعدل لمن مات على الشرك - وقد قال تعالى - ولله عاقبة الأمور - فهم كان الشك بهذه الثابتة كان الاستثناء واجبا لأن الإيمان عبارة عما يفيد الجنة كما أن الصوم عبارة عما يبرئ الدمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الدمة فيخرج عن كونه صوماً فكذلك الإيمان بل لا يعد أن يسأل عن الصوم الماضي الذي لا يشك فيه بعد الفراغ منه فيقال أصحمت بالأمس فيقول نعم إن شاء الله تعالى إذ الصوم الحقيقي هو القبول والقبول ثابت عنه لا يطعن عليه إلا الله تعالى فمن هذا حسن الاستثناء في جميع أعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول إذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطعن عليها إلا الرب الأرباب جلّ جلاله فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الإيمان وهي آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد ثم الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

(كتاب أسرار الطهارة وهو الكتاب الثالث من ربيع المبادات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تلطّف بعباده فتبدهم بالنظافة، وأفاض على قلوبهم تزيّة لسرايرهم أنواره وألطافه، وأعدّ لظواهرهم تطهيراً لها للقاء الخصوص بالبرقة واللطف ، وصلى الله على النبي محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافه ، وتنصب جنة بيننا وبين كل آفة . أما بعد : فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «بنى الدين على النظافة»^(٢) .

(١) حديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل الطبراني في الأوسط بالشرط الأخير منه من حديث ابن عمر وفيه ليث بن أبي سليم تقدم والشرط الأول روى من قول يحيى بن أبي كثير رواه الطبراني في الأصغر بلفظ من قال أنا في الجنة فهو في النار وسنده ضعيف .

(كتاب الطهارة)

(٢) حديث بن الدين على النظافة لم أجده هكذا وفي الضمراء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا ما لان الإسلام نظيف والطبراني في الأوسط بسند ضعيف جداً من حديث ابن مسعود والنظافة تدعو إلى الإيمان .

ولعل من مذهبهم ثم بعد ذلك تراهم حين أخبروا عن سلب الإيمان عنهم لم ييقوا اسم الكفر عليهم ثم يرضوا على الاستنابة إن كانت من مذهبه ثم يحكم فيه بالقتل والاسترقاق فإذا تأملت هذا لم يخف عليك عيب ما قالوه وقص ما قالوا إليه فلترجع إلى ما نحن بسبيله ونستعين بالله عز وجل وأما أرباب الحالة الثالثة وهي اعتقاد البدعة في الصفات أو بعضها فان حكمتا بصحة إيمان أهل الحالة للذكورة قبل هذا وإسلامهم حقيقاً أمر هؤلاء فيما اعتقدوه اذ لم يقنعوا فيه بوجه قصدي طمأنينة عن إيصال الصدر لأن هؤلاء قد حصل لهم في العقد ما هو شرط الخلاص والنجاة من الملاك الدائم وأصيبوا فيما وراء ذلك فان أمكن ردم في الدنيا وزجرهم عنه أن أظهروا النع عن الاعتلاج والرجوع

بقوة اللؤلؤة دون
قل كان ذلك وإن
قالوا بالموت لم تقصر
في اعتقادنا عن أرباب
الحالة الثانية المذكورة
قبلهم والله أعلم بالناجى
والهالك من خلقه
والطبع والماضى من
عباده هكذا ينبغي أن
يكون مذهب من نظر
في خلق الله تعالى بين
الرفقة والرحمة ولم
يدخل بين الله عز وجل
وبين عباده قبا غاب
عنه علمه وعدم فيه
سبيل اليقين وفهم
معنى قوله عز وجل
... ولا تقف ما ليس
لك به علم إن السمع
والبصر والفؤاد كل
أولئك كان عنه
مسئولا ... فان قلت
وأين أنت من تكثير
كثير من الناس لجميع
أهل البدع عامة وخاصة
وقول النبي صلى الله
عليه وسلم في القدرة
« إنهم مجوس هذه
الامة » وقوله صلى الله
عليه وسلم « ستفترق
أمتى إلى ثلاث وسبعين
فرقة كلها في النار إلا
واحدة » وقال عن

وقال صلى الله عليه وسلم « مفتاح الصلاة الطهور ^(١) » ولة الله تعالى - فيرجال يحبون أن يتطهروا
والله يحب المطهرين - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الايمان ^(٢) » قال الله تعالى
- ما يريد الله ليصل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم - فتفتن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن
أهم الأمور تطهير السرائر إذ يعمدان يكون المراد بقوة صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الايمان »
عمارة الظاهر بالتنظيف بإفاسة الماء وإلقائه وتخريب الباطن وإيقاعه مشحونا بالأخباث والأقدار هيئات
هيئات والطهارة لها أربع مراتب : للرتبة الأولى تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخباث
والفضائل . للرتبة الثانية : تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام . للرتبة الثالثة : تطهير القلب عن
الأخلاق للذمومة والردائل المقومة . للرتبة الرابعة : تطهير السر - مما سوى الله تعالى وهي طهارة الأنبياء
صلوات الله عليهم والصدّيقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فان الناية القصوى في عمل
السر أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ولن عمل معرفة الله تعالى بالحقيقة في السر ما لم يرتحل
مأسوم الله تعالى عنه ولذلك قال الله عز وجل - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - لأنهما لا يجتمعان
في قلب - وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه - وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق
الحمودية والعقائد الشريعة ولن يتصف بها مالم ينظف عن شوائبها من العقائد الفاسدة والردائل
المقومة فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شرط
الايمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن الناهي أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو
شرط في الثاني فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول وعمارته بالطاعات الشطر الثاني فهذه
مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال المبدأ الطبقة السالية إلا أن يجاوز الطبقة الساقطة فلا يصل
إلى طهارة السر عن الصفات الذمومة وعمارته بالحمودية مالم يفرغ من طهارة القلب من الخلق
الذموم وعمارته بالخلق الحمود ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن الناهي
وعمارته بالطاعات وكلما عز الطلوع وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظن
أن هذا الأمر يدرك بالني ويتل بالمهوى ، نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من
مراتب الطهارة إلا الدرجة الأخيرة التي هي كالقشرة الأخيرة الظاهرة بالإضافة إلى اللب المطلوب فصار
يعمل فيها ويستقصي في مجاريها ويستوعب جميع أوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر
وطلب البياض الجارية الكثيرة ظنانه بحكم الوسوسة وتخيل العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هي
هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغرائهم جميع الهم والفكر في تطهير القلب وتساوهم في أمر
الظاهر حتى إن عمر رضى الله عنه مع علو منصبه تواضاً من ماء في جرة نصرانية وحق إنهم
ما كانوا يفسلون اليد من الدسومات والأطعمة بل كانوا يمسحون أصابعهم بأخص أقدامهم وعدوا
الأشنان من البدع المحدثه ولقد كانوا يصلون على الأرض في الساجد ويمشون خفاة في الطرقات
ومن كان لا يجمل بينه وبين الأرض حاجزا في مضجعه كان من أكابرهم وكانوا يقتصرون
على الحجارة في الاستنجاء وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة : « كنا نأكل الشواء فتقام
الصلاة فتدخل أصابعنا في الحصى ثم نتركها بالتراب ونكبر ^(٣) » وقال عمر رضى الله عنه :

(١) حديث مفتاح الصلاة الطهور د ت - من حديث علي قال الترمذي هذا أصح شيء في هذا الباب
وأحسن (٢) حديث الطهور نصف الايمان ت من حديث رجل من بني سلم وقال حسن ورواه مسلم
من حديث أبي مالك الأشعري بلفظ شطر كافي الإحياء (٣) حديث كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة
فتدخل أصابعنا في الحصى الحديث - من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ولم أره من حديث أبي هريرة.

« ما كنا نعرف الأشنان في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا بطون أرجلنا كنا إذا أكلنا الغمر مسحنا بها (١) » ويقال أول ما ظهر من البدع بمدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع الناخل والأشنان والوائد والشبع فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلاة في النملين أفضل « لأن رسول الله ﷺ لما نزع نطيه في صلاته بإخبار جبرائيل عليه السلام له أن بهما نجاسة وخلع الناس نعالهم قال صلى الله عليه وسلم لم خلعتن نعالكم (٢) » وقال النخعي في الدين يخلعون نعالهم وددت لو أن عتاجا جاء إليها فأخذها منكرا لخلع النعال فكذا كان تساهلهم في هذه الأمور بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويسلمون في للساجد على الأرض ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الإبل والحيل مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال في دقائق النجاسات فكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت التوبة الآن إلى طائفة يسمون الرعونة نظافة فيقولون هي مبنى الدين فأكثر أوقاتهم في تزيينهم الظواهر كغسل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والتفاخر ولا يستذكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الأرض حافيا أو صلى على الأرض أو طوى بوارى للسجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من آدم أو تواضاً من آتية عجوز أو رجل غير متقشف أقاموا عليه القيامة وشدوا عليه التكبر ولقبوه بالقدور وأخرجوه من زميرهم واستكفوا عن مؤاكلته ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الإيمان قذاراً والرعونة نظافة فانظر كيف صار التكبر معروفاً والمعروف منكراً وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه . فان قلت أقول إن هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيئاتهم ونظائهم من المحظورات أو للكرات . فأقول حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني أقول إن هذا التنظيف والتكلف وإعداد الأواني والآلات واستعمال غلاف القدم والإزار للقع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد يقرن بها أحوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فأما كونها مباحة في نفسها فلا يخفى أن صاحبها متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه فيفعل بها ما يريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف وأما مصيرها منكراً فبأن يجعل ذلك أصل الدين ويفسر به قوله ﷺ « بنى الدين على النظافة » حتى يتكر به على من يتساهل فيه تساهل الأولين أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرم فان ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكراً بهذين الاعتبارين وأما كونه معروفاً فبأن يكون القصد منه الخير دون التزين وأن لا يتكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه أو عن علم أو غيره فإذا لم يقرن به شيء من ذلك فهو مباح يمكن أن يحمل قربة بالية ولكن لا يتيسر ذلك إلا للباطنين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الأوقات فيه لاشتغلوا بنوم أو حديث فيها لا يعني فيصير شغلهم به أولى لأن الاشتغال بالطهارات يحدد ذكر الله تعالى وذكر العبادات فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكراً أو إسرافاً . وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغي أن

(١) حديث عمر ما كنا نعرف الأشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا باطن أرجلنا الحديث لم أجده من حديث عمرو لابن ماجة نحوه مختصراً من حديث جابر (٢) حديث خلع نطيه في الصلاة إذ أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام أن عليه نجاسة ذلك وصححه من حديث أبي سعيد الخدري .

قوم « يخرجون على حين فرقة من الناس يقولون بقول خير البرية أو من قول خير البرية يعرقون من الدين كما يعرق السهم من الرمية » والأحاديث الواردة فيمن اعتقد شيئاً من الأهواء والبدع كثيرة غير هذه مما توجب في الظاهر تكفيرهم بالاطلاق فاعلم أنه وإن كان كفرهم كثير من العلماء قد أتى عليهم دينهم وتردد فيهم كثير أو أكثر منهم وكل فريق منهم في مقابلة من خالفه فليقع التحاكم عند العالم الأكبر المؤيد بالعصمة سيد البشر إمام المؤمنين صلى الله عليه وسلم فهو عليه الصلاة والسلام حين قال عجوس هذه الأمة أضافهم إلى الأمة وما حكم بأن لم يقل عجوس على الإطلاق وحين أخبر عن الفرق أنهم في النار فما أخبر أنهم خالدون فيها وحين قال يعرقون من الدين كما يعرق السهم

من الرمية قد قال
متصلا بهذا القول
وتناري في الفرق وما
موضع هذا التناري
من الثل الذي ضربه
فيهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فإلى
أراك تلاحظ جهة
وتترك أخرى وتذكر
شيئا وتذهل عن غيره
عليك بالعدل تكن
من أهله واستعمل
التفطن تشاهد
العجائب للمعجبة
وتفهم قول الله
- وكذلك جعلناكم
أمة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس
ويكون الرسول
عليكم شهيدا - .

[فصل] ولما كان
الاعتقاد المجرد عن
العلم بصحته ضعيفا
وتفرده عن المعرفة
قريبا من رآه ألقى
عليه شبه القشر الثاني
من الجوز لأن ذلك
القشر يؤكل مع ما هو
عليه صونا وإذا انفرد
أمكن أن يكون طعاما
للحجاج وبلافا للجائع
وبالجلة فهو لمن لا شيء
معه خير من قشره

بصرفوا من أوقاتهم إليه لإقذار الحاجة فالزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع العمر الذي هو أنفس الجواهر
وأعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك فإن حسنات الأبرار سيئات القربين ولا ينبغي
للبطال أن يترك النظافة وينسك على التصوفة ويزعم أنه يتشبه بالصعابة إذ التشبه بهم في أن لا يتفرغ
إلا لما هو أهم منه كما قيل لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك؟ قال إني إذن لفارغ فلهذا لا أرى للعالم ولا
للمعلم ولا للعامل أن يضع وقته في غسل الثياب احترازا من أن يلبس الثياب المقصورة وتوها بالقصر
تقصير في الفصل فقد كانوا في العصر الأول يصلون في القراء الدبوعة ولم يعلم منهم من فرق بين القصورة
والدبوعة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة إذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم في استنباط
الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتأملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان يمشي
معه فنظر إلى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فإن الناس لو لم ينظروا إليه لكان صاحبه لا يتعاطى
هذا الاسراف فالناظر إليه معين له على الاسراف فكانوا يعدون حمام الذهب لاستنباط مثل هذه
الرقائق لافي احتمالات النجاسة فلو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو أفضل فانه بالإضافة
إلى القسائل خير وذلك العاى يتنفع بتعاطيه إذ يشغل نفسه الأمانة بالسوء بعمل الباح في نفسه فيمتنع
عليه للمعاصي في تلك الحال والنفس إن لم تشغل بشئ شغلت صاحبها وإذا قصد به التقرب إلى العالم صار
ذلك عنده من أفضل القربات فوقت العالم أشرف من أن يصرفه إلى مثله فيبقى عفو ظاهريه وأشرف
وقت العاى أن يشغل بمثله فيتوفر الخير عليه من الجوانب كلها ولينظف بهذا الثل لنظائره من الأعمال
وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض قد دقق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها
إلى الأفضل أهم من التدقيق في أمور الدنيا بخلافها وإذا عرفت هذه المقدمة واستبنت أن الطهارة لها
أربع مراتب . فاعلم أنا في هذا الكتاب لسنا نكلم إلا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر لأتاني الشر
الأول من الكتاب لا نعرض قصد إلا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام طهارة عن الحبث وطهارة
عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستعداد واستعمال النورة والختان وغيره .
(القسم الأول في طهارة الحبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والزال به والازالة)

(الطرف الأول في الزال)

وهي النجاسة . والأعيان ثلاثة جمادات وحيوانات وأجزاء حيوانات أما الجمادات فطاهرة كلها إلا الخروكل
متبذ مسكر والحيوانات طاهرة كلها إلا الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما فإذا ماتت
فكلها نجسة إلا خمسة الآدمي والسماك والجراد ودود التفاح وفي معناه كل ما يستحيل من الأطعمة
وكل ما ليس له نفس سائلة كالقذباب والحفشاء وغيرها فلا ينجس الماء بوقوع شئ منها فيه وأما أجزاء
الحيوانات فقسمان : أحدها ما يقطع منه وحكمه حكم البنت والشعر لا ينجس بالجزء والموت والعظم ينجس .
الثاني الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والبرق واللحاف
والخاط وما له مقر وهو مستحيل تنجس إلا ما هو مادة الحيوان كاللبن والبيض والقيح والدم والروث
والبول نجس من الحيوانات كلها ولا يفي عن شئ من هذه النجاسات قليلها وكثيرها إلا عن خمسة :
الأول أثر النجس بعد الاستجمار بالأحجار يعني عنه ما لم يعد المخرج . والثاني طين الشوارع وغبار الروث
في الطريق يعني عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب التلطيح به إلى
تفريط أو سقطة . الثالث ما على أسفل الخف من نجاسة لا يغسل الطريق عنها فيعني عنه بعد ذلك للحاجة .
الرابع دم البراغيث ما قل منه أو كثر إلا إذا تجاوز حد العادة سواء كان في ثوبك أو في ثوب غيره فليست به
الخامس دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد وذلك ابن عمر رضى الله عنه برة على وجه

فخرج منها الدم وصل لم يغسل وفي معناه ما يترشح من لطخات الدمايل التي تدوم غالباً وكذلك أثر القصد إلا ما يقع نادراً من خراج أو غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يغسلها الإنسان عنها في أحواله ومساحة التبرع في هذه النجاسات الحث تعرفك أن أمر الطهارة على التسهيل وما ابتدع فيها وسوسة لا أصل لها .

(الطرف الثاني في الزوال به)

وهو إما جامد وإما مائع أما الجامد فحجر الاستحاضة وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط أن يكون صلباً طاهراً منشفاً غير محترق وأما المائعات فلا تزال النجاسات هي منها إلا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذي لم يتناحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه فإن لم يتغير وكان قريباً من مائتين وخمسين منا وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم ينحس لقوله صلى الله عليه وسلم «إذا بلغ للماء قلتين لم يعمل خبثاً»^(١) وإن كان دونهما رجباً عند الشافعي رضي الله عنه هذا في الماء الراكد وأما الماء الجاري إذا تغير بالنجاسة الجارية للتغير نجاسة دون ما فوقها وما تحته لأن جريات الماء متفصلات وكذا النجاسة الجارية إذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها إذا تقاصر عن قلتين وإن كان جرى الماء أقوى من جرى النجاسة لما فوق النجاسة طاهر وما أسفل عنها فنحس وإن تباعد وكثر إلا إذا اجتمع في حوض قدر قلتين وإذا اجتمع قلتان من ماء نحس طهر ولا يعود نجساً بالتفريق هذا هو مذهب الشافعي رضي الله عنه وكنت أود أن يكون مذهبه كذهب مالك رضي الله عنه في أن الماء وإن قل لا ينحس إلا بالتغير إذ الحاجة ماسة إليهم ميثار الوسواس اشتراط القلتين ولأجله شق على الناس ذلك وهو لم يبرأ سبب للشقة ويعرفه من يجربه ويتأمله وما لا أشك فيه أن ذلك لو كان مشروطاً لكان أولى المواضع بتعسر الطهارة مكة وللدنسة إذ لا يكثر فيها المياه الجارية ولا الراكد الكثرة ومن أول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصر أصحابه لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت أواني مياههم يتعاطاها الصبيان والإماء الذين لا يحترزون عن النجاسات وقد توضحاً عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية وهذا كالصريح في أنه لم يعول إلا على عدم تغير الماء وإلا فتجاسة النصرانية وإنائها غالبية تعلم بظن قريب فإذا عسر القيام بهذا للذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الأعصار دليل أول وفعل عمر رضي الله عنه دليل ثان والدليل الثالث إسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء للهرة^(٢) وعدم تغطية الأواني منها بعد أن يرى أنها تأكل الفأرة ولم يكن في بلادهم جياض تلغ السنابير فيها وكانت لا تنزل الآبار . والرابع أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن غسالة النجاسة طاهرة إذا لم يتغير ونجاسة إن تغيرت وأى فرق بين أن يلاقى الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه وأى معنى لقول القائل إن قوة الورود تدفع النجاسة مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وإن أحيل ذلك على الحاجة للحاجة أيضاً ماسة إلى هذا فلا فرق بين طرح الماء في إجانة فيها ثوب نحس أو طرح الثوب النجس في الإحانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والأواني . والخامس أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي رضي الله عنه أنه إذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضؤ به وإن كان قليلاً وأى فرق بين الجاري والراكد ولبت

(١) حديث إذا بلغ الماء قلتين لم يعمل خبثاً أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر (٢) حديث إسماء الاناء للهرة الطبراني في الأوسط والدارقطني من حديث عائشة وروى أصحاب السنن ذلك من فعل أبي قتادة .

وكذلك اعتقاد التوحيد وإن كان مجرداً عن سبيل للرفة وغير منوط بشئ من الأدلة ضعيفاً فهو في الدنيا والآخرة وعند لقاء الله عز وجل خير من التعليل والكفر ومتى ركب أحد هذا فقد وقع في أعظم الحرج والنكر . [بيان أرباب للرتبة الثالثة وهو توحيد للقرنين] والكلام في هذا النوع من التوحيد له ثلاثة حدود : أحدها أن يتكلم في الأسباب التي توصل إليه وللإسالك التي يصبر عليها نحوه والأحوال التي يتخذها بمحصوله كإقترانه العز بن العليم واختار ذلك ورضاه وسماه الصراط للستقيم والحد الثاني أن يكون الكلام في حين ذلك التوحيد وقته وحقيقته وكيف يتصور للإسالك إليه والطالب له قبل وصوله إليه وانكشافه له بالمشاهدة

والحد الثالث في ثمرات ذلك التوحيد وما يلحق أهله به ويطعنون عليه بسببه ويكرمون به من أجله ويتحققون من فوائد الزيد من جهة أما الحد الأول فالكلام عليه والبيان له والكشف لدقائقه وتذلل للصغير والكبير مأمور به مشدد في أمره متوعد بالنار على كتمه فيه بث الأنبياء ومن أجله أرسل الرسل وبيانه للناس كافة نزلت من عند الله عز وجل على أمته وحيه الصحف والكتب وليقع التفقه في القلوب بتحقيقه وتصديقه أيدت الرسل بالمعجزات والأولياء والأنبياء بالكرامات لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وعليه أخذ الله اليتامى على الدين أوتوا الكتاب ليبينته للناس ولا يكتُموه وفيه أنزل الله يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ولما عني رسول الله

شمرى هل الحوالة على عدم التغير أولى أو على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة تجري في المياه الجارية في أنابيب الحمامات أم لا فإن لم تجر فما الفرق وإن جرت فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء من الأواني على الأبدان وهي أيضا جارية ثم البول أشد اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة إذا قضى بأن ما يجري عليها وإن لم يتغير نجس إلى أن يجتمع في مستنقع فلتان فأى فرق بين الجامد والائع والماء واحد والاختلاط أشد من المجاورة . والسادس أنه إذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقتا فكل كوز ينترف منه ظاهر ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل ولبت شمرى هل تحليل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها . والسابع أن الحمامات لم تنزل في الأعصار الحالية بتوضايفها التقشفون ويضمون الأيدي والأواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بأن الأيدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها فعنه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوى في النفس أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التغير معولين على قوله صلى الله عليه وسلم « خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء إلا ما غير طعمه أولونه أو ريحه » (١) وهذا فيه تحقيق وهو أن طبع كل مائع أن يقلب إلى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مشلوبا من جهته فكما ترى السكب يقع في الملعقة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته بصيرورته ملحا وزوال صفة الكلية عنه فكذلك الحلق يقع في الماء وكذا اللبن يقع فيه وهو قليل فيبطل صفته ويتصور بصفة الماء وينظم بطبعه إلا إذا كثر وغلب وتعرف غلبته ببلبة طعمه أولونه أو ريحه فهذا الميار وقد أشار الشرح إليه في الماء القوي على إزالة النجاسة وهو جدير بأن يمول عليه فيندفع به المخرج ويظهر به معنى كونه طهورا إذ يظلب عليه فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفي الفسالة وفي الماء الجاري وفي إصفاء الاناء للهرة ولا تظن ذلك عفوا إذ لو كان كذلك لكان أكثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء المذاق له نجسا ولا ينجس بالفسالة ولا بولوج السنور في الماء القليل وأما قوله صلى الله عليه وسلم « لا يحمل جثا » فهو في نفسه مبهم فانه يحمل إذا تعير . فان قيل أراد به إذا لم يتغير فيمكن أن يقال إنه أراد به أنه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم بأقل من الأدلة التي ذكرناها يمكن وقوله لا يحمل جثا ظاهره نفي الحمل أي يقلبه إلى صفة نفسه كما يقال للملحة لا تحمل كلبا ولا غيره أي ينقلب وذلك لأن الناس قد يستنجون في المياه القليلة وفي الندران ويضمون الأواني النجسة فيها ثم يرددون في أنها تغيرت تغيرا مؤثرا أم لا فتبين أنه إذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسة المعتادة . فان قلت قد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يحمل جثا » ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك فانها مهما كثرت حملها حكما كما حملها حقا فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جيما وعلى الجملة فعلى في أمور النجاسات المعتادة إلى القسائل فهنا من سيرة الأولين وحمل المادة الوسواس وبذلك أفتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه في مثل هذه السائل .

(الطرف الثالث في كيفية الإزالة)

والنجاسة إن كانت حكيمة وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكفي إجراء الماء على جميع مواردها وإن كانت غيية فلا بد من إزالة العين وبقاء الطم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون إلا فيما يلحق به فهو معفو عنه بعد الحلت والقرص أما الرائحة فيقاؤها يدل على بقاء العين ولا يبقى عنها إلا إذا كان الشيء له رائحة فائحة يصير إزالتها فالذلك والمصرمات متواليات يقوم مقام الحلت والقرص في اللون

(١) حديث خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه . من حديث أبي أمامة باسناد ضعيف وقد رواه بدون الاستثناء دونت من حديث أبي سعيد وصححه د وغيره .

والمزبل للوسواس أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة ييقن فلا يشاهد عليه نجاسة ولا يلطمها فينا
يصلى معه ولا ينبغي أن يتوصل بالاستنباط إلى تقدير النجاسات . القسم الثاني طهارة الأحداث :
ومنها الوضوء والغسل والتميم ويتقدمها الاستنجاء ، فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسنبدأ
بمبتدئين بسبب الوضوء وآداب قضاء الحاجة إن شاء الله تعالى .

(باب آداب قضاء الحاجة)

فينبغي أن يعد عن أعين الناظرين في الصحراء وأن يستتر جنى إن وجدته وأن لا يكشف عورته قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس وأن لا يستقبل الشمس والقمر وأن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها إلا إذا كان في بناء والمدول أيضاً عنها في البناء أحب وإن استتر في الصحراء براحتك جاز وكذلك بذيله وأن يتقى الجلوس في متحدث الناس وأن لا يبول في الماء الراكد ولا تحت الشجرة للشوة ولا في الجعر وأن يتقى الوضع الصلب ومهاب الرياح في البول استنزاهاً من رشاشه وأن يتكئ في جلوسه على الرجل اليسرى وإن كان في بستان يقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمين في الخروج ولا يبول قائماً قالت عائشة رضي الله عنها « من حدثكم أن النبي ﷺ كان يبول قائماً فلا تصدقوه » (١) وقال عمر رضي الله عنه « رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائماً فقال : يا عمر لا تبول قائماً » (٢) قال عمر فبالت قائماً بعد ، وفيه رخصة إذ روى حذيفة رضي الله عنه « أنه عليه الصلاة والسلام بال قائماً قائمته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه » (٣) ولا يبول في المغتسل قال صلى الله عليه وسلم « عامة الوسواس منه » (٤) وقال ابن المبارك قد وسع في البول في المغتسل إذا جرى للماء عليه ذكره الترمذي وقال عليه الصلاة والسلام « لا يبولن أحدكم في مسنحه ثم يتوضأ فيه فان عامة الوسواس منه » وقال ابن المبارك إن كان الماء جارياً فلا بأس به ولا يستحب شيئاً عليه اسم الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس وأن يقول عند الدخول بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث الخبث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى علي ما ينفعني ويكون ذلك خارجاً عن بيت الماء وأن يعد النبل قبل الجلوس وأن لا يستنجي بالماء في موضع الحاجة وأن يستبرئ من البول بالتحنح والتثلاثا وإمرار اليد على أسفل الفصيل ولا يكثر التسكر في الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الأمر وما يحس به من بلل فليقدر أنه بقية للماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يتوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفي الخبر أنه صلى الله عليه وسلم فعله أعنى رش الماء (٥) وقد كان أخفهم استبراء أفقههم قتل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفي حديث سلمان رضي الله عنه « علنا رسول الله ﷺ كل شيء حتى الحراة فأمرنا أن لا نستنجي بمظم ولا روث ونهانا أن نستقبل القبلة بفائط أو بول » (٦) وقال رجل لبعض الصحابة من العرب وقد

صلى الله عليه وسلم بقوله
« من مثل عن علم
فكتمه أجم يوم
القيامة بلجام من نار »
وجميع ذلك محصور
فى اثنتين العلم بالعبارة
والعمل بالسنة وهما
مبينان على آيتين
الحرص الشديد والنية
الحالصة والسرفى
تحصيلهما اثنان نظافة
الباطن وسلامة
الجوارح ويسمى
جميع ذلك بعلم العمالة
وأما الحد الثانى فالكلام
فيه أكثر ما يكون على
طريقة ضرب الأمثال
تشبيها بالرمز تارة
وبالتصریح أخرى
ولكن على الجملة بما
يناسب علوم الظواهر
ولكن يشرف بذلك
اللبيب الحاذق على
بعض المراد ويفهم منه
كثيرا من المقصود
وينكشف له جلّ
ما يشار إليه إذا كان
سالما من شرك التعصب
بيدا من هوة الهوى
نظيفا من دنس
التقليد ، وأما الحد
الثالث فلا سبيل إلى
ذكر شيء منه إلا مع
أهله بعد علمهم به على

(٢) حديث عائشة من حدثكم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول قائماً فلا تصدقوه ت ن . قال ت هو أحسن ثناء في هذا الباب وأصح (٢) حديث عمر رآني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائماً فقال يا عمر لا تبول قائماً ابن ماجه بإسناد ضعيف ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر ليس فيه ذكر لعمر (٣) حديث أنه عليه الصلاة والسلام بال قائماً الحديث متفق عليه (٤) حديث قال في البول في الفضل عامة الوسواس منه أمحلب المسنن من حديث عبد الله بن مغفل قال الترمذي غريب قلت وإسناده صحيح (٥) حديث رثن للماء بعد الوضوء وهو الانتضاح د ن . من حديث سفيان بن الحكم الثقفى أو الحكم بن سفيان وهو مضطرب كما قال ت وابن عبد البر (٦) حديث سلمان علنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة الحديث م وقد تقدم في نواعد العقائد .

سبيل التذكار لاطي
التعليم إنما كانت أحكام
هذه الحدود الثلاثة
على ما وصفناه لأن الحد
الأول فيه عجز النصح
للخلق واستفادهم من
غمرة الجهل والتكيب
بهم من مهابي العطب
وقودهم إلى معرفة هذا
للقيام وماوراء مما هو
أعلى منه مما لهم فيه
الملك الأكبر وفوز الأبد
وقد بين لهم غاية البيان
وأقيم عليه واضح
البرهان وهو يومئذ
الطريق وأول سبيل
السعادة فمن عجز عن
ذلك كان عن غيره
أعجز ومن سلكه على
استقامة فالغالب عليه
الوصول إن اقتل بضيع
أجر من أحسن عملا
ومن وصل شاهد ومن
شاهد علم وذلك غاية
الاطلوب ونهاية المرغوب
والمحبوب ومن قصد
حرم الوصول وما بعده
فضل الله المجاهدين على
القاعدين أجرا عظيما
ومن غاب لم تنفعه
الأخبار ولم يفده
كثير من الأحاديث
وأياها فإن الأخبار
بما وراء الحد الأول

خاصه لأحسبك تحسن الحراء قال بلى وأليك إنى لأحسنها وإنى بها لحاذق أبعد الأثر وأعد الدبر
وأستقبل الشيع وأستدير الريح وأقمى إقواء الظبي وأجفل إجمال النعام . الشيخ ثبت طيب الرائحة
بالبادية ، والاقواء هنا أن يستوفى على صدور قدميه ، والاجفال أن يرفع عجزه ومن الرخصة أن يبول
الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه (١) فعل ذلك رسول الله ﷺ مع شدة حياته ليبين للناس ذلك .

(كيفية الاستنجاء)

ثم يستنجى لمعدته بثلاثة أحجار فلان أتقى بها كفى والاستعمال أيضا فان أتقى استعمل خامسا لأن الاقواء
واجب والإيتار مستحب قال عليه السلام « من استجمر فليوتر (٢) » . يأخذ الحجر بيساره ويضعه
على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمر بالمسح والادارة إلى المؤخر ويأخذ الثاني ويضعه على المؤخر
كذلك ويمر به إلى المقدمة ويأخذ الثالث فيديره حول السرة إدارة فان عسرت الإدارة ومسح
من المقدمة إلى المؤخر أجزاء ثم يأخذ حجرا كبيرا يمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه
وعرك اليسار فيمسح ثلاثا في ثلاثة مواضع أو في ثلاثة أحجار أو في ثلاثة مواضع من جدار إلى أن
لا يرى الرطوبة في محل للمسح فان حصل ذلك بمرتين أتى بالثالثة ووجب ذلك إن أراد الاقتصاد على
الحجر وإن حصل بالربعة استحسب الخامسة للإيتار ثم ينتقل من ذلك الموضع إلى موضع آخر ويستنجى
بالماء بأن يفيضه باليمنى على محل النجاسة ويدلك باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحس اللبس ويترك
الاستقصاء فيه بالعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس ويعلم أن كل ما لا يصل إليه الماء فهو باطن
ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم تظهر وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فظهره أن
يصل الماء إليه فيزيله ولا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحسن
فرجي من الفواحش ويدلك يده بماء أو بالأرض إزالة للرائحة إن بقيت والجمع بين الماء والحجر
مستحب فقد روى « أنه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين - قال
رسول الله ﷺ لأهل قباء ما هذه الطهارة التي أتى الله بها عليكم قالوا كئنا نجتمع بين الماء والحجر (٣) »

(كيفية الوضوء)

إذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله ﷺ قط خارجا من الغائط إلا توضأ ويبتدئ
بالسواك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أفواهمكم طرق القرآن فطوبوا بالسواك (٤) »
فينبئ أن ينوي عند السواك تطهير لسانه لقراءة القرآن وذكر الله تعالى في الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم
« صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث البول قريبا من صاحبه متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث من استجمر فليوتر متفق عليه في حديث أبي هريرة (٣) حديث لما نزل قوله تعالى - فيه رجال يحبون أن يتطهروا - الحديث من أهل قباء وجمعهم بين الحجر والماء البراز من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه . ك وصححه من حديث أبي أيوب وجابر وأنس في الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر وقول النووي بما لابن الصلاح إن الجمع بين الماء والحجر في أهل قباء لا يعرف مردود بما تقدم (٤) حديث إن أفواهمكم طرق القرآن أبو نعيم في الحلية من حديث علي ورواه موقفا على وكلاهما ضعيف (٥) حديث صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك أبو نعيم في كتاب السواك من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف ورواه . ك وصححه والبيهقي وضعفه من حديث عائشة وضعفه بلفظ من سبعين صلاة .

والثاني على وجهه
لو كشف للخلق كافة
وأمكن بما أعد من
الكلام وجري بين
الناس من عرف
التخاطب كان فيه زيادة
عنة وسبب فيه إهلاك
أكثرهم ممن ليس
من أهل ذلك المقام
وذلك لمرابة السلم
وكثرة غموضه ودقة
معناه وعلوه في منازل
الرضا وبسده بالجللة
والتفصيل من جميع
ما عهد في عالم الملك
والشهادة وخروجه
عن تلك الحدود المألوفة
ومبايته لكل ما نشأوا
عنه ولم يشاهدوا
غيره من محسوسات
ومعقولات وضروريات
ونظريات فلما كان
لا يدرك شيء من ذلك
بقياس ولا يتصور
بواسطة لفظ ولا يعمل
عليه مثل كما قال عز
وجل : فلا تعلم نفس
ما أخفي لهم من قرة أعين
وحكى عن ابن عباس
رحمه الله أنه قال ليس
غنى الناس من علم
الآخرة إلا الأسماء وأراد
من لم ينكشف له
شيء من علمها وحقائقها

« لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « مالى
أراكم تدخلون على قلحا استاكوا » (٢) « أى صفر الأسنان » وكان عليه السلام يستاك في الليلة مرارا (٣) «
وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : « لم يزل صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل
عليه فيه شيء » (٤) « وقال عليه السلام « عليكم بالسواك فإنه مطهرة للضمير ومرضاة للرب » (٥) « وقال على
ابن أبى طالب كرم الله وجهه : السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلم (٦) . وكان أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم وكيفيته أن يستاك بغضب الأراك أو غيره من قشبان الأشجار
مما يغشن ويزيل القلع ويستاك عرضا وطولاً . اقتصر فرضا ويستحب السواك عند كل صلاة
وعند كل وضوء وإن لم يصل عتيقه وعند تغير الكهية بنوم أو طول الأزم أو أكل ما تذكره رائحته
ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبلاً القبلة ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله
عليه وسلم « لا وضوء لمن لم يسم الله تعالى » (٧) « أى لا وضوء كامل ويقول عند ذلك أعوذ بك من همزات
الشياطين وأعوذ بك رب أن محضرون ثم يغسل يديه ثلاثاً قبل أن يدخلهما الإناء ويقول اللهم إني
أسألك الجن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث واستباحة الصلاة ويستديم
النية إلى غسل الوجه فإن نسبها عند الوجه لم يجزه ثم يأخذ غرفة لقيه بيمينه فيضمض بها ثلاثاً ويغرغر
بأن يرد الماء إلى الفمصة إلا أن يكون سائماً فيرق ويقول اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الدكر لك
ثم يأخذ غرفة لأفقه ويستنشق ثلاثاً ويصعد الماء بالنفس إلى خياشيمه ويستنثر ما فيها ويقول في
الاستنشاق اللهم أوجد لي رائحة الجنة وأنت عني راض وفي الاستنثار اللهم إني أعوذ بك من روايح النار
ومن سوء الدار لأن الاستنشاق إيصال والاستنثار إزالة ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من مبدإ سطح
الجهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الأذن إلى الأذن في العرض ولا يدخل في حد الوجه
الزنتان اللتان على طرفي الجبين فيها من الرأس ويوصل الماء إلى موضع التحذيف وهو ما بين
النساء تحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع طرف الحيط على رأس
الأذن والطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الماء إلى منابت الشهور الأربعة الحاجبان
والشاربان والعداران والأهداب لأنها خفيفة في الغالب والعداران هما ما يوازيان الأذنين من مبدإ
الاحية ويجب إيصال الماء إلى منابت الاحية الخفيفة أعني ما يقبل من الوجه وأما الكثيفة فلا وحكم
المنفقة حكم الاحية في الكثافة والحفة ثم يفعل ذلك ثلاثاً أو يفيض الماء على ظاهر ما استرسل

(١) حديث لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة متفق عليه من حديث أبي
هريرة (٢) حديث مالى أراكم تدخلون على قلحا استاكوا البزار والبيهقي من حديث العباس بن
عبد المطلب دوالبنوى من حديث تمام بن عباس والبيهقي من حديث عبد الله بن عباس وهو مضطرب
(٣) حديث كان يستاك من الليل مرارا م من حديث ابن عباس (٤) حديث ابن عباس لم يزل يأمرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء رواه أحمد (٥) حديث عليكم
بالسواك فإنه مطهرة للضمير ومرضاة للرب البخاري تعليقا مجزوماً من حديث عائشة والنسائي وابن خزيمة
موصلاً قلت وصل الصف هذا الحديث بحديث ابن عباس الذي قبله وقد رواه من حديث ابن عباس
الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان (٦) حديث كان أصحاب رسول الله ﷺ يروحون
والسواك على آذانهم الحطيب في كتاب أسماء من روى عن مالك وعند دت وصححه أن زيد بن خالد كان
يشهد الصلوات وسواكه على أذنه موضع القلم من أذن الكاتب (٧) حديث لا وضوء لمن لم يسم الله
ت من حديث سعيد بن زيد أحد الثمرة وتقلت عن البخاري أنه أحسن شيء في هذا الباب

من اللحية ويدخل الأصابع في مجازر العينين وموضع الرمض ومجتمع الكحل وبقية ما قد روى أنه عليه السلام فعل ذلك (١) ويأمل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم يضر وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك ويغسل اللحية الكثيفة عند غسل الوجه فانه مستحب ثم يمسح يديه إلى مرقبيه ثلاثا ويحرك الحاتم ويطيل القرة ويرفع الماء إلى المضد فاتهم بمشروين يوم القيامة غرا عجولين من آثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه السلام « من استطاع أن يطيل غرته فليفعل (٢) » وروى أن الحلية تبلغ مواضع الوضوء (٣) ويبدأ باليمين ويقول اللهم أعطني كتابي يميني وحاسبي حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالى أو من وراء ظهري ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن ييل يديه وباصق رءوس أصابع يديه اليمنى اليسرى ويضمهما على مقدمة الرأس ويعدّها إلى القفا ثم يردّها إلى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلاثا ويقول اللهم غشني برحمتك وأنزل عليّ من بركاتك وأظلي تحت ظل عرشك يوم لا ظلّك إلا ظلك ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بأن يدخل مسبحته في صاخي أذنيه ويدير إبهاميه على ظاهر أذنيه ثم يضع الكف على الأذنين استظهارا ويكرره ثلاثا ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعني مناديا الجنة مع الأبرار ثم يمسح رقبته بماء جديد لقوله صلى الله عليه وسلم « مسح الرقبة أمان من القل يوم القيامة (٤) » ويقول اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ثم يمسح رجليه اليمنى ثلاثا ويغسل باليد اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من الرجل اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم يوم تزل الأقدام في النار ويقول عند غسل اليسرى أعوذ بك أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل فيه أقدام الناقضين ويرفع الماء إلى أنصاف الساقين فاذا فرغ رفع رأسه إلى السماء وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانه اللهم وبمحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي أسئفرك اللهم وأتوب إليك فاغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبدا صورا شكورا واجعلني أدركك كثيرا وأسبغ بك بكرة وأصلا يقال إن من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقده ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم القيامة . ويكره في الوضوء أمور منها أن يزيد على الثلاث فمن زاد فقد ظلم وأن يسرف في الماء « تواضاً عليه السلام ثلاثا وقال من زاد فقد ظلم وأسأء (٥) » وقال « سيكون قوم من هذه الأمة يستدون في الدعاء والظهور (٦) » ويقال من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الظهور (٧) وقال إبراهيم بن أدهم يقال

(١) حديث إدخاله الأصبع في مجازر العينين وموضع الرمض ومجتمع الكحل أحمد من حديث أبي أمامة كان يشاهد الملقين ورواه الدارقطني من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف أشربوا الماء أعينكم (٢) حديث من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل أخرجه من حديث أبي هريرة (٣) حديث تبلغ الحلية من المؤمن ما يبلغ ماء الوضوء أخرجه من حديثه (٤) حديث مسح الرقبة أمان من القل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عمر وهو ضعيف (٥) حديث تواضاً ثلاثا ثلاثا وقال من زاد فقد أسأء وظلم دن واللفظ له و . من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٦) حديث سيكون قوم من هذه الأمة يستدن في الدعاء والظهور د . وابن حبان وك من حديث عبد الله بن مغفل (٧) حديث من وهن علم الرجل ولوعه في الماء في التطهير لم أجده أصلا .

في الدنيا وإضافه لوجاز الاخبار بها لغير أهلها لم يكن لهم سبيل إلى تصورهما إلا على خلاف ما هي عليه بمجرد تقليد وينطرق إلى من أهل الغفلة وذوى القصور وجعود وتبعد فلهذا أمروا بالكتم إشفاقا على من حجب من العلم ولهذا قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم « لا تعذبوا الناس بما لم تصله عقولهم أتريدون أن يكذب الله ورسوله » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حدث أحدكم قوما بمحدث لم تصله عقولهم إلا كان عليهم فتنة » وعلى هذا يخرج قول المشايخ إفشاء سر الربوبية كفر بزقنا الله وإياكم قلوبا واعية الخير إنه ولي كل صالح وإذا علمت أن الحد الأول قد تقرّر علمه في كتب الرواية والتدريس ومثلت منه الطروس وكثرت به في المحافل الدروس وهو غير محبوب عن طالب ولا ممنوع عن راغب قد أمر الجهال به أن يعلموه والعلماء

إن أول ما يتبدى الوسواس من قبل الظهور ، وقال الحسن إن شيطاناً يضحك بالناس في الوضوء يقال له الوهمان ويكره أن يفيض اليد فيرش الماء وأن يتكلم في أثناء الوضوء وأن ياطم وجهه بالماء لطما وكره قوم التنشيف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهري لكن روى معاذ رضي الله عنه « أنه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه ^(١) » وروى عائشة رضي الله عنها « أنه صلى الله عليه وسلم كانت له منشفة ^(٢) » ولكن طعن في هذه الرواية عن عائشة ويكره أن يتوضأ من إناء صفر وأن يتوضأ بالماء الشمس وذلك من جهة الطبع وقد روى عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما كراهية إناء الصفر وقال به سهم أخرجت لشعبة ماء في إناء صفر فأبى أن يتوضأ منه وتقل كراهية ذلك عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبغي أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبغي أن يستحي من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه وليتحقق أن طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الأخلاق المذمومة والتخلق بالأخلاق الحميدة أولى وأن من يقتصر على طهارة الظاهر كمن أراد أن يدعو ملكاً إلى بيته فتركه مشحوناً بالقاذورات واشتغل بتجسيص ظاهر الباب البراني من الدار وما أجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للعنت والبور والله سبحانه وتعالى أعلم .

(فضيلة الوضوء)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من توضأ فأحسن الوضوء وصلى الركعتين لم يحدث نفسه فيها بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ^(٣) » وفي لفظ آخر « ولم يسه فيها غفرله ما تقدم من ذنبه » وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً « ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ إسباغ الوضوء على المكارم ونقل الأقدام إلى الساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاث مرات ^(٤) » « وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين وتوضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي ووضوء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ^(٥) » وقال ﷺ « من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه إلا ما أصاب للماء ^(٦) » وقال ﷺ « من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات ^(٧) » وقال ﷺ « الوضوء على الوضوء نور على نور ^(٨) » وهذا كله حث على تجديد الوضوء

(١) حديث معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه ت وقال غريب وإسناده ضعيف (٢) حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له منشفة ت وقال ليس بالقائم قال ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء (٣) حديث من توضأ وأسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيها نفسه شيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفي لفظ آخر لم يسه فيها غفرله ما تقدم من ذنبه ابن المبارك في كتاب الزهد والرقائق باللفظين معاً وهو متفق عليه من حديث عثمان بن عفان دون قوله بشيء من الدنيا ودون قوله لم يسه فيها ود من حديث زيد بن خاله ثم صلى ركعتين لاسهو فيها الحديث (٤) حديث ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات الحديث م عن أبي هريرة (٥) حديث توضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به الحديث م من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٦) حديث من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله الحديث الدارقطني من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف (٧) حديث من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات د ت م من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٨) حديث الوضوء على الوضوء نور على نور لم أجده أصلاً .

أن يذلوله ويملوه فلانصد فيه ههنا قولاً ولما كان حكم الحد الثالث الحكم تارة وتسكيت الكلام عنه مع غير أهله على كل حال لم يكن لتأسييل إلى تعد إلى محدودات الشرع فلتن أن العنان إلى الكلام بالذي يليق بهذا الحال والمقام فقول : أرباب المقام الثالث في التوحيدوم القربون على ثلاثة أصناف ، وعلى الجملة فسلكهم نظروا إلى المخلوقات فأواعلامات الحدوث فيها لألحجة وعانوا حالات الافتقار إلى الله تعالى عليهم واضحة ومموجاجيمها تدل على توحيدده وتزريده راشدة ناصحة ثم رأوا الله تعالى بإيمان قلوبهم ، وشاهدوه بنبب أرواحهم ولا حظوا جلاله وجماله بحقي أسرارهم وممع ذلك في درجات القرب على قدر حظ كل واحد منهم في اليقين وصفاء القلب وهو لا الأصفاف الثلاثة إنما عرفوا الله سبحانه بمخلوقاته

وقال عليه السلام « إذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشجار عيبه فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه وإذا غسل رجله خرجت الخطايا من رجله حتى تخرج من تحت أظفار رجله ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له ^(١) » وروى « إن الطاهر كالصائم ^(٢) » قال عليه الصلاة والسلام « من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ^(٣) » وقال عمر رضي الله عنه: « إن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت إلا طاهرا ذا كرا مستغفرا فليفعل فإن الأرواح تبع طي ما قبضت عليه .

(كيفية الفسل)

وهو أن يضع الإناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالى ويغسل يديه ثلاثا ثم يستنجي كما وصفت لك ويزيل ما على بدنه من نجاسة إن كانت ثم يتوضأ وضوء للصلاة كما وصفنا لإغسل القدمين فإنه يؤخرهما فإن غسلهما ثم وضعهما على الأرض كان إضاعة للماء ثم يصب الماء على رأسه ثلاثا ثم على شقه الأيمن ثلاثا ثم على شقه الأيسر ثلاثا ثم بذلك ما قبل من بدنه وما أدبر ويغسل شعر الرأس واللحية ويوصل الماء إلى منابت ما كشف منه أو خف وليس على المرأة تقص الضفائر إلا إذا علمت أن الماء لا يصل إلى خلال الشعر ويتمهد معاطف البدن وليتق أن يحس ذكركه في أثناء ذلك فإن فعل ذلك فليعد الوضوء وإن توضأ قبل الفسل فلا يبيده بعد الفسل فهذه سنن الوضوء والفسل ذكرنا منها ما لا بد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله وماعده من المسائل التي يحتاج إليها في عوارض الأحوال فليرجع فيها إلى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الفسل أمران النية واستيعاب البدن بالفسل وفرض الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين إلى الرقبتين ومسح ما يطلق عليه الاسم من الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين والترتيب ، وأما الموالاة فليست بواجبة والفسل الواجب بأربعة بخروج النية والتقاء الختانين والحيض والنفاس وماعده من الأغسال سنة كفسل العيدين والجمعة والأعياد والاحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلاثة أغسال أيام التشريق ولطواف الوداع على قول والكافر إذا أسلم غير جنب والمجنون إذا أفاق ولمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب .

(كيفية التيمم)

من تعذر عليه استعمال الماء لفقدته بعد الطلب أو بتناوله عن الوصول إليه من سبع أو حابس أو كان الماء الحاضر يحتاج إليه لعطشه أو لعطش رقيقه أو كان ملكا لغيره ولم يسهه إلا بأكثر من ثمن الثلث أو كان به جراحة أو مرض أو خاف من استعماله فساد العضو أو شدة الضنا فينبغي أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار ويضرب عليه

(١) حديث إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه الحديث د . من حديث الصنابحي إسناده صحيح ولكن اختلف في صحته وعند م من حديث أبي هريرة وعمرو بن عبسة نحوه مختصرا (٢) حديث الطاهر التائم كالصائم أبو منصور الديلمي من حديث عمرو بن حريث الطاهر التائم كالصائم القائم وسنده ضعيف (٣) حديث من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث د من حديث عقبة بن عامر وهو عند م دون قوله ثم رفع هكذا عزاه المزني في الأطراف وقد رواه في اليوم والثيلة من رواية عقبة بن عامر وكذا رواه الدارمي في مسنده .

كفيه ضاماً بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوي عند ذلك استباحة الصلاة ولا يكلف إيصال الغبار إلى ماتحت الشعور. خفت أو كثفت ويجتهد أن يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج بين أصابعه ثم يلمص ظهور أصابع يده اليمنى يطون أصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز أطراف الأنامل من إحدى الجهتين عن المسبحة من الأخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده الأيمن إلى اليرفق ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده الأيمن ويعرها إلى الكوع ويمر بطن إبهامه اليسرى على ظاهر إبهامه اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويغسل بين أصابعه وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب إلى الرقبتين بضربة واحدة فان عسر عليه ذلك فلا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة وإذا صلى به القرض فله أن يتنفل كيف شاء فان جمع بين فريضتين فينبغي أن يعيد التيمم للثانية وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم والله أعلم.

(القسم الثالث : في النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهرة ، وهي نواتج أو سائح وأجزاء)

(النوع الأول : الأوساخ والرطوبات المترسقة وهي ثمانية)

الأول ما يجتمع في شعر الرأس من الفرس والقمل والتنظيف عنه مستحب بالنسل والترجيل والتدهين إزالة للشعث عنه « وكان صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ورجله غيا ويأمر به ^(١) » ويقول عليه الصلاة والسلام : « ادهنوا غيا ^(٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « من كان له شعرة فليكرمها ^(٣) » أي ليصنعها من الأوساخ « ودخل عليه رجل نازر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل أحدكم كأنه شيطان ^(٤) » الثاني ما يجتمع من الوسخ في ماطم الأذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قرع الصانع فينبغي أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك ربما تضر بالمع. الثالث ما يجتمع في داخل الأنف من الرطوبات المنقطة المتسقة بجوانبه وزيئها بالاستنشاق والاستنثار . الرابع ما يجتمع على الأسنان وطرف اللسان من القاح فيزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناها . الخامس ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل إذا لم يتعهد ويستحب إزالة ذلك بالنسل والتسريح بالمشط وفي الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم « كان لا يفارقه المشط والمدرى والمرأة في سفر ولا حضر ^(٥) » وهي سنة العرب وفي خبر عريب أنه صلى الله عليه وسلم كان يسرح لحيته في اليوم مرتين ^(٦) وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية ^(٧) وكذلك كان أبو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها

(١) حديث كان يدهن الشعر ورجله غيا الترمذى في الثمائل بإسناد ضعيف من حديث أنس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وفي الثمائل أيضاً بإسناد حسن من حديث صحابي لم يسم أنه عليه الصلاة والسلام كان يترجل غيا (٢) حديث ادهنوا غيا قال ابن اصلاح لم أجده أصلاً وقال النووي غير معروف وعند د ن من حديث عبد الله بن مغفل التيمي عن الرجل إلا غيا بإسناد صحيح (٣) حديث من كانت له شعرة فليكرمها من حديث أبي هريرة وقال به شعر فليكرمها وليس بإسناده بالقوى (٤) حديث دخل عليه رجل نازر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره الحديث د ن وابن حبان من حديث جابر بإسناد جيد (٥) حديث كان لا يفارقه المشط والمدرى في سفر ولا حضر ابن طاهر في كتاب صفة التصوف من حديث أبي سعيد كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة وإسناده ضعيف وسيأتي في آداب السفر مطو لا (٦) حديث كان يسرح لحيته كل يوم مرتين تقدم حديث أنس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب في الجامع من حديث الحكم مرسل كان يسرح لحيته بالمشط (٧) حديث كان كث اللحية ت في الثمائل من حديث هند ابن أبي هالة وأبو نعيم في دلائل النبوة من حديث علي وأصله عند ت .

والفناء والبقاء ، ولا مزيد على هذا المثال فهو أصلح لدوى الأفهام من فم التهار وقت الروال وعلمت لم هي أهل ههه للربة مفرين فذلك ليدهم عن ظلمات الجبل وقربهم من أنوار المعرفة والعلم ولا أبعد من الجاهل ولا أقرب من العارف العالم والقرب والبعد ههنا عبارتان عن حالتين على سبيل التجوز في لسان الجمهور وعلى الحقيقة عند المتعلمين لها في هذا الفن إحدى الحالتين عماء البصره وانطاس القلب والحلو عن معرفة الرب سبحانه وتعالى ويسمى هذا بعدا مأخوذا من البعد عن محل الراحة والنزل الواجب وموضع المسيرة والأنس والاقطاع في مهامه القفر وأمكنة الخوف وميطان الانقراض والوحشة والحالة الثانية عبارة عن اعتقاد الباطن واشتغال القلب وانقاساح الصدر بنور اليقين والمعرفة

وكان على عريض اللحية قدماء ما بين منسكبيه وفي حديث أغرب منه قالت عائشة رضي الله عنها
«اجتمع قوم ياب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأته يطلع في الحب يسوى من رأسه
ولحيته قفلت أو تفعل ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم إن الله يحب من عبده أن يتجمل لإخوانه
إذا خرج إليهم^(١) » والجاهل ربما يظن أن ذلك من حب التزين للناس قياساً على أخلاق غيره وتشبيها
للملائكة بالحدادين وهيات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأموراً بالدعوة وكان من
وظائفه أن يسعى في تعظيم أمر نفسه في قلوبهم كيلا تزدريه قلوبهم ويحسن صورته في أعينهم كيلا
تستغفره أعينهم فيفترم ذلك ويتعلق الناقدون بذلك في تفتيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم
تصدى لدعوة الخلق إلى الله عز وجل وهو أن يراعى من ظاهره مالا يوجب غرة الناس عنه
والاعتماد في مثل هذه الأمور على النية فإنها أعمال في أنفسها تكتسب الأوصاف من المقصود فالتزين
على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية إظهاراً للزهد وقلة المبالاة بالنفس عذور وتركه شغلاً
بما هو أهم منه محبوب وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله عز وجل والناقد بصير والتليس
غير راجع عليه بحال وكمن جاهل يتعاطى هذه الأمور التفتاناً إلى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى
غيره ويزعم أن قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أن قصدهم
إرغام المبتدعة والمجادلين والتقرب إلى الله تعالى به وهذا أمر ينكشف - يوم تبلى السرائر - ويوم
يعثر مافي القبور ويحصل مافي الصدور ، فبعد ذلك تتميز السيكة الخالصة من الهرجة فتعود بالله
من الخزي يوم العرض الأكبر . السادس وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الأنامل كانت العرب
لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك الغضون وسخ فأمرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم^(٢) . السابع تنظيف الرواجب^(٣) أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم العرب بتنظيفها وهي رهوس الأنامل وما تحت الأظفار من الوسخ لأنها كانت لا يحضرها
القراض في كل وقت فتجتمع فيها أوساخ فوقت لهم رسول الله ﷺ قلم الأظفار وتنف الإبط وحلق
العانة أربعين يوماً^(٤) لكنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيف ما تحت الأظفار^(٥)
وجاء في الأثر « أن النبي صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قاله
كيف نزل عليكم وأتمم لا تنسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلعنا لا تستاكون مرأيتك
بذلك^(٦) » والأف وسخ الظفر والنف وسخ الأذن وقوله عز وجل - فلا تفل لها أف - تعبهما أي بما

(١) حديث عائشة اجتمع قوم ياب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأته يطلع في الحب يسوى من رأسه
الحب يسوى من رأسه ولحيته ابن عدى وقال حديث منكر (٢) حديث الأمر بغسل البراجم
الترمذي الحكيم في النوادر من حديث عبد الله بن بسر شوا براجمكم ولا بن عدى في حديث
لأنس وأن يتعاهد البراجم إذا تواضاً وسلم من حديث عائشة عشر من الفطرة وفيه وغسل البراجم
(٣) حديث الأمر بتنظيف الرواجب أحمد من حديث ابن عباس أنه قيل له يا رسول الله لقد أبطأ
عنك جبريل قبيلاً ولم لا يبطىء وأتمم لا تستنون ولا تظفون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا
تنظفون رواجبكم وفيه إسماعيل بن عياش (٤) حديث التوقيت في قلم الأظفار وتنف الإبط وحلق
العانة أربعين يوماً من حديث أنس (٥) حديث الأمر بتنظيف ما تحت الأظفار الطبراني من
حديث وابصة بن سعيد سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن كل شيء حتى سألت عن الوسخ الذي
يكون بين الأظفار فقال دع ما يريك إلى ما لا يريك (٦) حديث استبطأ الوحي فلما هبط عليه
جبريل قاله كيف نزل عليكم وأتمم لا تنسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم تقدم قبل هذا حديثين

تحت الظفر من الوسخ وقيل لاتأذى بها تحت الظفر . الثامن القرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا بأس بدخول الحمام ، دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويدكر النار روى ذلك عن أبي الدرداء وأبي أيوب الأنصاري رضى الله عنهما وقال بعضهم يقس البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء فهذا فرض لآفته وذلك تعرض لفائدته ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات ، فليجانب في عورته وواجبان في عورة غيره أما الواجبان في عورته فهو أن يسونها عن نظر الغير ويسونها عن مس الغير فلا يتماطى أمرها وإزالة وسخها إلا بيده ويمنع ذلك من مس الفخذ وما بين السرة إلى العانة وفي إباحة مس ما ليس بسواة لازالة الوسخ احتمال ولكن الأقبح التحريم إذ الحلق من السوائين في التحريم بالنظر فكذلك ينبغي أن تكون بقية العورة أعنى الفخذين ، والواجبان في عورة الغير أن يمشى بصر نفسه عنها وأن ينهى عن كشفها لأن النهي عن النكسر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر إلا الخوف ضرب أو شتم أو ما يجرى عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه أن يشكر حراما يرهق النكسر عليه إلى مباشرة حرام آخر فأما قوله اعلم أن ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لابد من الذكر فلا يغفل قلب عن التأثر من سماع الإنكار واستشعار الاحتراز عند التعبير بالمعاصي وذلك يؤثر في تقيح الأمر في عينه وتغير نفسه عنه فلا يجوز تركه ومثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الأوقات إذ لا تخلو عن عورات مكشوفة لاسيما ماتحت السرة إلى ما فوق العانة إذ الناس لا يمدونها عورة وقد ألتحقها السرع بالمعورة وجعلها كالحرث لها ولهذا يستحب تحلية الحمام وقال بشر بن الحرث ما أعنف رجلا لا يملك إلا درهما دقعه ليخلى له الحمام وروى ابن عمر رضى الله عنهما في الحمام ووجهه إلى الحائط وقد عصب عينيه بمصاة وقال بعضهم لا بأس بدخول الحمام ولكن يزارين إزار للمعورة وإزار للرأس يتقنع به ويحفظ عييه . وأما السنن فحشرة : فالأول النية وهو أن لا يدخل لعاجل دنيا ولا عاجل لأجل هوى بل يقصده للتنظيف المحبوب تريناً للصلاة ثم يعطى الحمامي الأجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجبول وكذا ما ينتظره الحمامي فتسليم الأجرة قبل الدخول دفع للجهالة من أحد الموضين وتطيب لنفسه ثم يقدم رجلاه اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث الحبث الشيطان الرجيم ثم يدخل الحلو أو ينكلف تحلية الحمام فانه إن لم يكن في الحمام إلا أهل الدين والمختاطين للمعورات فالنظر إلى الأبدان مكشوفة فيعشابة من قلة الحياء وهو مذكر للنظر في المعورات ثم لا يغلو الإنسان في الحركات عن انكشاف المعورات بانعطاف في أطراف الإزار فيقع البصر على المعورة من حيث لا يدري ولأجله عصب ابن عمر رضى الله عنهما عييه ، ويفسل الجناحين عند الدخول ولا يجعل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الأول وأن لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه للأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لوعله الحمامي لكرهه لاسيما الماء الحار فله مشقة وفيه تعب وأن يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقع إلى جهنم فانه أشبه بيت جهنم النار من تحت والظلام من فوق يعوذ بالله من ذلك ، بل الماقل لا يفتل عن ذكر الآخرة في لحظة فاتها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء أو نار أو غيرها عبرة وموعظة فان المرء ينظر بحسب همته فإذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دارا معمورة مفروشة فاذا تقدمتهم رأيت البزاز ينظر إلى الفرش يتأمل قيمتها والحائك ينظر إلى الثياب يتأمل نسجها والتجار ينظر إلى السقف يتأمل كيفية تركيبها

احتيال وهمي وهو عمل النفس وتخليق الفهم وليس بشرة الشاهدة والكشف ولأجل هذا كان فيه السمين والثث وشاع في حال النضال إيراد القطعي وما هو حكمه من غلبة الظن وإبداء الصحيح وإلزام مذهب الحضم والقيام للشار إليه بالذكر وشبهه إنما هو علم التوحيد وفهم الأحوال ومعرفة باليقين التام والسلام للضارح للضرورة بأن لا إله إلا الله إذ لا فاعل غيره ولا حاكم في الدارين سواء ومشاهدة القلوب لما حجب من النيوب ومن أين للنازل على المنازل وما علم الكلام مثل هذا القيام بل هو من خدام الشرع وحراس متبعيه من أهل الاختلاس والقطع وله مقام على قدره ويقطع به ولكن ليس عن مطالع الأنوار ومدارك الاستبصار والدار في أوقات الضرورات والاختيار

وبين ما يراد لوقت حاجته إن دعت وخصام صاحب بدعة ومناضلة ذي ضلالة بما ينخص على ذوي اليقين العيش ويشغل الدهن ويكدر النفس وما أهله الذين حفظ عنهم ووقع عليه فيما مضى من الزمان إليهم لا يقول في أكثرهم إنهم لا يحسنون غيره ولا يختصون بالتوحيد بمقام سواء بما هو أعلى منه بل الظن بهم أنهم علماء مثل ما ذكرنا فهم نصراء لكنهم لم يدعوا من العلم في الظاهر إلا ما كانت الحاجة إليه أسنى والصلة به لتوجه الضرورة أعم وأوكد ولما كان نجمهم في وقته من البع وظهور من الأهواء وشاع من تشبث كلمة أهل الحق وتجرؤ العوام مع كل ناعق فرأوا الرد عليهم والنازعة لهم والسعي في اجتراح الكلمة على السنة بعد اقترابها وإهلاك ذوي الكيد في احتياهم وإخفاء نارهم الذين هم أهل

والبناء ينظر إلى الشيطان يتأمل كيفية إحكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الأشياء شيئاً إلا ويكون له موعظة وذكرة للآخرة بل لا ينظر إلى شيء إلا ويفتح الله عز وجل له طريق عبرة فإن نظر إلى سواد تذكر ظلمة اللحد وإن نظر إلى حية تذكر أفاعي جهنم وإن نظر إلى صورة قبيحة شقية تذكر منكراً ونكيراً والزبانية وإن سمع صوتاً هائلاً تذكر نفخة الصور وإن رأى شيئاً حسناً تذكر نعيم الجنة وإن سمع كلمة رد أو قبول في سوق أودار تذكر ما ينكشف من آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول وما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب الصاقل إذ لا يصرفه عنه إلا مهمات الدنيا فإذا نسب مدة للقيام في الدنيا إلى مدة للقيام في الآخرة استحقها إن لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته . ومن السنن أن لا يسلم عند الدخول وإن سلم عليه لم يجب بافظ السلام بل يسكت إن أجاب غيره وإن أحب قال عافاك الله ولا بأس بأن يصافح الداخل ويقول عافاك الله لا ابتداء للكلام . ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن الأسرار ولا بأس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشاءين وقرباً من الغروب فإن ذلك وقت انتشار الشياطين ولا بأس بأن يدلكه غيره فقد قل ذلك عن يوسف بن أسباط أوصى بأن يسله إنسان لم يكن من أصحابه وقال إنه دلكني في الحمام مرة فأردت أن أكاذه بما يفرح به وإنه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلاً في بعض أسفاره فقام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله؟ فقال إن الناقة تفحمت بي (١) ثم معها فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة فقد قبل الماء الحار في الشتاء من النعم الذي يسأل عنه وقال ابن عمر رضي الله عنهما: الحمام من النعم الذي أحدثوه هذا من جهة الشرع . أما من جهة الطب فقد قيل الحمام بعد النورة أمان من الجذام ، وقيل النورة في كل شهر مرة تطلق للبرص الصفراء وتنقي اللون وتزيد في الجماع ، وقيل بوله في الحمام قائم في الشتاء أنفع من شربة دواء ، وقيل نومة في الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء . وغلب القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من القرمس ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال . وأما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام (٢) » وفي البيت المستعم والمشهور أنه حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمنزلة (٣) وحرام على المرأة دخول الحمام إلا تنقاه أو مريضته دخلت عائشة رضي الله عنها حماماً من سقم بها فإن دخلت لفرورة فلا تدخل إلا بمنزلة ما ينجس ويكره للرجل أن يسطبها أجرة الحمام فيكون معينا لها على الكروه .

(النوع الثاني فيما يحدث في البدن من الأجزاء وهي ثمانية)

الأول شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهن ويرجله إلا إذا تركه فزنا أي قطعاً وهو ذاب أهل الشطارة أو أرسل القوابل على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك

(١) حديث نزل منزلاً في بعض أسفاره فقام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره الحديث الطبراني في الأوسط من حديث عمر بسند ضعيف (٢) حديث لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام الحديث يأتي في الذي يليه مع اختلاف (٣) حديث حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمنزلة الحديث النسائي والحاكم وصححه من حديث جابر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمنزلة ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام وللمحاكم من حديث عائشة الحمام حرام على نساء أمي قال صحيح الاسناد وأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر فلا يدخلها الرجال إلا بالازار وامنعوها النساء إلا من مريضة أو تنقاه .

الأهواء والفتن وأولى بهم من السلام بعلم الإشارات وكشف أحوال أرباب اللقائات ووصف قه الأرواح والنفوس وتفهم كل ناطق وجامد فان هذه كلها وإن كانت أسنى وأعلى فان ذلك من علم الخواص وهم مكتمون للمؤنة العامة أحق بالاحفظ وعقائدهم أولى بالحراسة واستنقاذ من يخاف عليه الهلاك أولى من مؤانسة وحيد والتصديق على ذي بلغة من الميث فكيف إن كان عن غناء وأيضا فان علم الكلام إنما يراد كما قلنا للجدال وهو يقع من العلماء العارفين مع أهل الاتحاد والزينة لقصورهم عن ملاحظة الحق موضع السيف للأنبياء وللرسلين عليهم السلام بعد التبليغ مع أهل الضاد والتمادى على التى وسيل الفساد فكما لا يقال السيف أبلغ حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك لا يقال علم الكلام والجدال أبلغ مقام من ظهر منه من العلماء

ف

في كافي الشهادة من جملة الأصابع ثم بعدها ينبغي أن يتدلى بما على يمينها إذ الشرع يستحب إدارة الطهور وغيره على اليمنى وإن وضعت ظهر الكف على الأرض فالإبهام هو اليمنى وإن وضعت بطن الكف فالوسطى هي اليمنى واليد إذا تركت بطبعها كان الكف مائلا إلى جهة الأرض إذ جهة حركة اليمنى إلى اليسار واستقامت الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فيقتضيه الطبع أولى ثم إذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضى ترتيب الدور التهاب عن يمين السبحة إلى أن يعود إلى السبحة فتقع البداءة بخصر اليسرى والحتم بإبهامها ويقيم إبهام اليمنى فيختم به التعليم وإنما قدرت الكف موضوعة على الكف حتى تصير الأصابع كأشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف فإن ذلك لا يقتضيه الطبع . وأما أصابع الرجل فالأولى عندي إن لم يثبت فيها ثقل أن يبدأ بخصر اليمنى ويختم بخصر اليسرى كما في التخليل فإن المعاني التي ذكرناها في اليد لا تتجه هنا إذ لا مسبة في الرجل وهذه الأصابع في حكم صف واحد ثابت على الأرض فيبدأ من جانب اليمنى فإن تقديرها حلقة بوضع الأخصى على الأخصى بأبواب الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق في الترتيب تنكشف بنور النبوة في لحظة واحدة وإنما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتداء عن الترتيب في ذلك ربما لم يخطر لنا وإذا ذكرنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما تيسر لنا بما عايناه صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيه على المعنى استنباط المعنى ولا تظن أن أقواله عليه السلام في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الأمور الاختيارية التي ذكرناها يتردد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام كان لا يقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضى الاندفاع والتقديم فإن الاسترسال مهما كما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعاني سجية أولياء الله تعالى ، وكلما كانت حركات الإنسان وخطراته إلى الضبط أقرب وعن الإهمال وتركه سدى أبعد كانت مرتبته إلى رتبة الأنبياء والأولياء أكثر وكان قربه من الله عز وجل أظهر إذ القريب من النبي صلى الله عليه وسلم هو القريب من الله عز وجل والقريب من الله لا بد أن يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى غيره فنعود بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في يد الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم « فإنه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنتين ^(١) » فيبدأ باليمنى لشرفها وتفاوتها بين العينين لتكون الجملة وترا فإن للوتر فضلا عن الزوج فإن الله سبحانه وتر يحب الوتر فلا ينبغي أن يغلو فعل العبد من مناسبة لوصف من أوصاف الله تعالى ولذلك استحب الإيتار في الاستجمار وإنما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لأن اليسرى لا يخصها إلا واحدة والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول الأجنان بالكحل وإنما خصص اليمنى بالثلاث لأن التفضيل لا بد منه للايتار واليمين أفضل فهي بالزيادة أحق . فإن قلت فلم اقتصر على اثنتين لليسرى وهي زوج فالجواب أن ذلك ضرورة إذ لو جعل لكل واحدة وترا كان المجموع زوجا إذ الوتر مع الوتر زوج ورعايته الإيتار في مجموع الفعل وهو في حكم الحصلة الواحدة أحب من رعايته في الأحاديث ولذلك أيضا وجه وهو أن يكتحل في كل واحدة ثلاثا على قياس الروم ^(٢) وقد قل ذلك في الصحيح وهو الأولى ولو ذهبت أستقصى دقائق ماراها صلى الله عليه وسلم في حركاته لطال الأمر نفس بما سمعته ما لم تسمعه . واعلم أن العالم لا يكون وارثا لليمنى

(١) حديث كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنتين الطبراني من حديث ابن عمر باسناد

ضعيف (٢) حديث الأكتحال في كل عين ثلاثا قال النزالي ونقل ذلك في الصحيح قلت هو عند

الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس قال الترمذي حديث حسن .

وكما لا يقال في الصدر الأول قهواء الأمصار ومن قبلهم حين لم يحفظ عنهم في الغالب إلا علوم آخر كالفقه والحديث والتفسير لأن الخلق أحوج إلى علم ما حفظ عنهم وذلك لئلا يجهل على أكثرهم فلو لا أن حفظ الله تعالى تلك العلوم بمن ذكرنا لجهلت العبارات واقطع علم الشرع ونحن مع هذه الحالة نعلم أنهم عارفون بالتوحيد على جهة اليقين بغير طريق علم الكلام والجدل يتحلون بالمقامات المذكورة وإن لم يشتهر عنهم ذلك اشتهار ما أخفاه عنهم الخاص والعام ومثل ذلك حالة الصحابة رضوا الله عنهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم لما خافوا دروس الإسلام وأن يضعف ويقل أهلهم ويرجع البلاد والعامه إلى الكفر كما كانوا أول مرة فقد مات صاحب المعجزة صلى الله عليه وسلم والبصوت لدعوة الحق عليه

صلى الله عليه وسلم إلا إذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم إلا درجة واحدة وهي درجة النبوة وهي الدرجة الفارقة بين الوارث والوروث إذ الوروث هو الذي حصل للآله واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل إليه وتلقاه منه بعد حصوله له فأمثال هذه المعاني مع سهولة أمرها بالإضافة إلى الأغوار والأسرار لا يستقل بدركها ابتداء إلا الأنبياء ولا يستقل باستنباطها تلقياً بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم وريثة الأنبياء عليهم السلام . السادس والسابع زيادة السرة وقلعة الحشفة أما السرة فتقطع في أول الولادة وأما التطهير بالحنان فعادة اليهود في اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يثغر الولد أحب وأبعد عن الخطر قال عليه السلام « الحنان سنة للرجال ومكرمة للنساء ^(١) » وينبغي أن لا يبالغ في خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم لأم عطية وكانت تخفض « يا أم عطية أسمى ولا تهكي فانه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج ^(٢) » أي أكثر لئلا يوجه ودمه وأحسن في جماعها فانظر إلى جزالة لفظه صلى الله عليه وسلم في الكتابة وإلى إشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التي هي أهم مقاصد النبوة إلى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو أسمى من هذا الأمر النازل قدره ما لو وقتت الفضة عنه خيف ضرره فبحان من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم يمينه بمصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم . الثامنة ما طال من اللحية وإنما أخرناها لنلحق بها ما في اللحية من الدين والبدع إذ هذا أقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيها طال منها قليل إن قبض الرجل على لحيته وأخذ ما فضل عن القبضة فلا بأس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالوا تركها عافية أحب لقوله صلى الله عليه وسلم « أعفوا اللحية » والأمر في هذا قريب إن لم ينته إلى تخصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فإن الطول المفرط قديشوه الحلقة ويطلق السنة الفتاين بالبداليه فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية . وقال النخعي عجب لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتهين فإن التوسط في كل شيء حسن ، ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل .

(فصل) وفي اللحية عبر خصال مكروهة وبضها أشد كراهة من بعض ، خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت وتصفها وتصف الشيب منها والنقصان منها والزيادة وتسميحها تصنعاً لأجل الرياء وتركها شعبة إظهار الزهد والنظر إلى سوادها عجباً بالشباب وإلى بياضها تكبراً بعلم السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبه بالصالحين . أما الأول وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه لقوله صلى الله عليه وسلم « خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشراً شيوخكم من تشبه بشبابكم ^(٣) » والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لافي تبييض الشعر و « نهى عن الخضاب بالسواد ^(٤) » وقال « هو خضاب أهل النار ^(٥) » وفي لفظ آخر « الخضاب بالسواد خضاب الكفار

(١) حديث الحنان سنة الرجال مكرمة النساء أحمد والبيهقي من رواية أبي الليث عن أسامة عن أبيه بإسناد ضعيف (٢) حديث أم عطية أسمى ولا تهكي الحديث الحاكم والبيهقي من حديث الضحاك بن قيس ولأبي داود نحوه من حديث أم عطية وكلاهما ضعيف (٣) حديث خير شبابكم من تشبه بشيوخكم الحديث الطبراني من حديث وثالة بإسناد ضعيف (٤) حديث نهى عن الخضاب بالسواد ابن سعد في الطبقات من حديث عمرو بن العاص بإسناد منقطع ، ولمسلم من حديث جابر : وغيروا هذا حتى واجتنبوا السواد قاله حين رأى يابض شعر أبي قحافة (٥) حديث الخضاب بالسواد خضاب أهل النار ، وفي لفظ خضاب الكفار الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قال ابن أبي حاتم منكر .

الصلاة والسلام رأوا أن الجهاد والرباط في ثغر المدو والغزوي سبيل الله وضرب وجوه الكفر بالسيف وإدخال الناس في دين الله أولى بهم من سائر الأعمال وأحق من تدريس العلوم كلها ظاهراً وباطناً وإنما كانت تؤخذ عنهم علوم الشرع على الأقل وهم في حال ذلك الشغل والنظر إلى حال العموم يؤكّد من النظر إلى الخصوص لأن الخصوص لهم بأنفسهم عناء ولهم بحالهم قيام والعموم إن لم يكن مشتغلاً بهم وإذا بداهم عن هلكاتهم وسائقا بهم إلى مرآشدم وصلاتهم كان الهلاك إليهم أسرع ثم لا يكون من بعد ذلك إن فسد حال العموم للخصوص قدر ولا يظهر لهم نور ولا يقدر على شيء كامل من البر فلاحاً خاصة إلا بامانة ولقد كانت رعاية النبي صلى الله عليه وسلم بحال الجماهير أكثر والخوف عليهم من الزيغ والضلال

وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان مخضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرضه أهل المرأة إلى عمر رضي الله عنه فرد نكاحه وأوجعه ضرباً وقال غررت القوم بالشباب ولست عليهم شيبتك ويقال أول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كمواصل الحمام لا يريحون راحة الجنة (١) »

الثاني الخضاب بالصفرة والحمرة وهو جائز تليفاً للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فإن لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال رسول الله ﷺ « الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين (٢) » وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكم للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو وذلك لأبأس به إذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة . الثالث تبييضها بالكبريت استعجالاً لإظهار علو السن توصل إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفضا عن الشباب وإظهار الكثرة العلم فلما بأن كثرة الأيام تعطيه فضلاً وهبات فلا يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلاً فالعلم عمرة العقل وهي غريزة ولا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحق فطول المدة يؤكد حماقة وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكابر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما أتى الله عز وجل عبداً علماً إلا شاباً والخير كله في الشباب ثم تلا قوله عز وجل - قالوا صمنا فحق يذكرهم يقال له إبراهيم - وقوله تعالى - إنهم قتيبة آمنوا بربهم وزدناهم هدى - وقوله تعالى - وآتيناهم الحكم صياً - وكان أنس رضي الله عنه يقول « قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء قليل له يا أبا حمزة قد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب قليل أهوشين فقال كالك يكرهه (٣) » ويقال إن يحيى بن أكرم ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد أن يخلجه بصغر سنه كم سن القاضي أيده الله فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وإمارة مكة وقضاءها فأفحمه (٤) »

وروى عن مالك رحمه الله أنه قال قرأت في بعض الكتب لا تترنكم الله فان التيس له لحية وقال أبو عمرو بن العلاء إذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحق ولو كان أمية بن عبد شمس وقال أيوب السخيتاني أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع

(١) حديث يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد الحديث أبو داود والنسائي من حديث ابن عباس بإسناد جيد (٢) حديث الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين الطبراني والحاكم بلفظ الأفراد من حديث ابن عمر قال ابن أبي حاتم منكر (٣) حديث قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء قليل له يا أبا حمزة وقد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب متفق عليه من حديث أنس دون قوله قليل الخ ولمسلم من حديثه ومثل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما شأنه الله ببيضاء (٤) حديث يحيى بن أكرم ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة قليل له كم سن القاضي فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وإمارة مكة وقضاءها يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضياً على أهل اليمن . الخطيب في التاريخ بإسناد فيه نظر وما ذكره ابن أكرم صحيح بالنسبة إلى عتاب بن أسيد فإنه كان حين الولاية ابن عشرين سنة وأما بالنسبة إلى معاذ فأنما يتم له ذلك على قول يحيى بن سعيد الأنصاري ومالك وابن أبي حاتم إنه كان حين مات ابن ثمان وعشرين سنة والمرجح أنعمت ابن ثلاث وثلاثين سنة في الطاعون سنة ثمانية عشر والله أعلم

القلم يتعلم منه . وقال علي بن الحسين من سبق فيه العلم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر منك . وقيل لأبي عمرو بن العلاء أيحس من الشيخ أن يتعلم من الصغير فقال إن كان الجاهل يتبع به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل وقد رآه عثى خلف بقة الشافعي يا أما عبد الله تزكت حديث سفيان بعلمه وعتشى خلف بقة هذا الفتى وتسمع منه فقال له أحمد لو عرفت لكنت عثى من الجانب الآخر إن علم سفيان إن فاتني بعلمه أدركته ينزول وإن عقل هذا الشاب إن فاتني لم أدركه بعلمه ولا نزول . الرابع تنف ياضها استنكافا من الشيب « وقد نهى عليه السلام عن تنف الشيب وقال هو نور المؤمن ^(١) » وهو في معنى الحضاب بالسواد وعلّة الكراهية ما سبق والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور . الخامس تنفها أوتف بعضها بحكم الميت والموس وذلك مكروه ومشوه للخلقة وتنف الصبيكين بدعة وهما جانبنا العنفة . شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينسف فيسيكه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وابن أبي ليلى قاضي المدينة شهادة من كان ينسف لحيته وأما تنفها في أول النبات تشبها بالمرء فمن الشكرات الكبار فإن اللحية زينة الرجال فإن تنفها سبجانه ملائكة يسمون والذي زين بن آدم بالحي وهو من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء وقيل في غريب التأويل اللحية هي المراد بقوله تعالى - يزيد في الخلق ما يشاء - قال أصحاب الأحنف بن قيس وددنا أن نشترى للأحنف لحية ولو بعشرين ألفا وقال شريح القاضي وددت أن لي لحية ولو بعشرة آلاف وكيف سكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر إليه بين العلم والوقار والرفع في المجالس وإقبال الوجوه إليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض فإن من يشتم يمرض باللحية إن كان للمشتوم لحية وقد قيل إن أهل الجنة مرد إلا هرون أخا موسى صلى الله عليهما وسلم فإن له لحية إلى سترته تخصيصا له وتفضيلا . السادس تنفصها كالنعية طاقة على طاقة للترين للنساء والتصنع قال كعب يكون في آخر الزمان أقوام يقصون لحام كذب الحامة ويرقبون نعالهم كالمنجل أولئك لا خلاق لهم . السابع الزيادة فيها وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصديغين وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحي وينتهي إلى نصف الحنك وذلك بيان هيئة أهل الصلاح . الثامن تسريحها لأجل الناس قال بشر في اللحية شر كان تسريحها لأجل الناس وتركها مفتلة لاظهار الزهد . التاسع والعاشر النظر في سوادها وفي ياضها بين العجب وذلك مذموم في جميع أجزاء البدن بل في جميع الأخلاق والأفعال على ما سيأتي بيانه فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والظافة وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد اثنا عشرة خصلة خمس منها في الرأس وهي فرق شعر الرأس ^(٢) والضمضة والاستنشاق ^(٣) وقص الشارب والسواك وثلاثة في اليد والرجل وهي القلم

(١) حديث نهى عن تنف الشيب وقال هو نور المؤمن دت وحسنه ن . من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث فرق شعر الرأس اخ من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبدل شعره إلى أن قال ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه (٣) حديث عشر من الفطرة الحديث مسلم من حديث عائشة ولفظه قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاقه للماء وتشم الأظفار وغسل البراجم وتنف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء قال وكعب يعني الاستنجاء قال . سب ونسيت العاشرة إلا أن تكون الضمضة ضغف ن ولأبي د . من حديث عمار بن ياسر نحوه فذكر فيه للضمضة والاختتان والانتضاح ولم يذكر إعفاء اللحية وانتقاص الماء قاله روى نحوه عن ابن عباس قال خمس كلها في الرأس وذكر منها الفرق وهي فرق شعر الرأس وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة الفطرة خمس الحتان الحديث .

بالكفر لرددت البيت على قواء عبد إبراهيم وقال للأصهار أماترون أن يذهب النار بالشاة والبعر فتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم ومع ذلك فالذي حفظ عنه صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة من بعده وفقهاء الأمصار وأعيان التكلمين من الاشارات لتلك العلوم المذكورة كثير لا يحصى وإنما القليل من حملة اليوم عنهم وتفقه مثلهم فاقصد تجد وتصد لاقتباس المعارف تعلم وطالع كتب الحديث والتواريخ ومصنفات العلوم توفن ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبواب .

[بيان المرتبة الرابعة]

وهو توحيد الصديقين وأما أهل المرتبة الرابعة فهم قوم رأوا الله سبحانه وتعالى وحده ثم رأوا الأشياء بعد ذلك به فلم يروا في الدارين غيره ولا اطلموا في الوجود

على سواء قد كان يان
 شاربات الصعابة رضى
 الله عنهم أجمعين فيما
 خصوا من المعرفة فى
 هجيراهم فكان هجير
 أبى بكر الصديق رضى
 الله عنه : لا إله إلا الله
 وكان هجير عمر رضى
 الله عنه : الله أكبر وكان
 هجير عثمان رضى الله
 عنه : سبحان الله وكان
 هجير على رضى الله
 عنه : الحمد لله فاستقرى
 السابقون من ذلك
 أن أبى بكر لم يشهد فى
 الدارين غير الله سبحانه
 وتعالى فلذا كان
 الصديق ومضى به كما
 علمت وكان يقول
 لا إله إلا الله وكان عمر
 يرى مادون الله صغيرا
 مع الله فى جنب عظمته
 فيقول الله أكبر وكان
 عثمان لا يرى التنزيه
 إلا الله تعالى إذ الكل
 قائم به غير معرى من
 النقائص والقائم بغيره
 معلول فكان يقول
 سبحان الله وعلى
 لا يرى نعمة فى الدفع
 والرفع والعتاء ولتنع
 فى الكروه والمحبوب
 إلا من الله سبحانه
 فكان يقول الحمد لله

وغسل البراجم وتنظيف الرواجب (١) وأربعة فى الجسد وهى تنف الأبط والاستعداد والختان
 والاستنجاء بالماء قد وردت الأخبار بجمع ذلك وإذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة
 الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا ولينحقق أن فضلات الباطن وأوساخه التى يجب التنظيف
 منها أكثر من أن تحصى وسيأتى تفصيلها فى ربيع المهلكات مع تعريف الطرق فى إزالتها وتطهير
 القلب منها إن شاء الله عز وجل . ثم كتاب أسرار الطهارة بحمد الله تعالى وعونه . ويتلوه إن شاء
 الله تعالى كتاب أسرار الصلاة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

(كتاب أسرار الصلاة ومهماتا)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى غفر العباد بطاقتهم وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه التى تنزل عن عرش الجلال إلى السماء
 الدنيا من درجات الرحمة إحدى عوالمه فارق للوكمع الثرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق فى
 السؤال والدعاء فقال هل من داع فأستجيب له وهل من مستغفر فأغفر له وبأن السلاطين بفتح الباب
 ورفع الحجاب فرخص للعباد فى المناجاة بالصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات فى الجماعات والخلوات ولم
 يقتصر على الرخصة بل تلتطف بالترغيب والدعوة ، وغير من شفاء الملوك لا يسمح بالخلوة إلا بعد تقديم
 الهدية والرشوة فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه وأتم لطفه وأعم إحسانه والصلاة على محمد نبيه
 الصطفى ووليّه المجتبى وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما . أما بعد : فإن الصلاة
 عماد الدين وعصام اليقين ورأس القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا فى فنّ الفقه فى بساط المذهب
 ووسيطه ووجيزه أصولها وفروعها صارفين جمام العناية إلى تفاريها النادرة ووقائهم الشاذة لتكون خزنة
 للفقه منها يستمد ومحو لا إليها يفرغ ويرجع ونحن الآن فى هذا الكتاب نقصر على ما لا بد للريد منه
 من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة وكاشفون من دقائق معانيها الخفية فى معانى الخشوع والاخلاص
 والنية ما لم تجر العادة بذكره فى فنّ الفقه ، ومن يتوبون الكتاب على سبعة أبواب . الباب الأول : فى فضائل
 الصلاة . الباب الثانى : فى تفضيل الأعمال الظاهرة من الصلاة . الباب الثالث : تفضيل الأعمال الباطنة
 منها . الباب الرابع : فى الإمامة والقُدوة . الباب الخامس : فى صلاة الجمعة وآدابها . الباب السادس :
 فى مسائل متفرقة تم بها البلوى محتاج الريد إلى معرفتها . الباب السابع : فى التطوعات وغيرها .
 (الباب الأول : فى فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها)

(فضيلة الأذان)

قال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك أسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى
 يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وأمّ بقوم وهم به راضون ورجل أذن فى
 مسجد ودعا إلى الله عز وجل ابتغاء وجه الله ورجل ابتلى بالرزق فى الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة (٢) »
 وقال صلى الله عليه وسلم « لا يسمع نداء المؤذن جن ولا إنس ولا شئ إلا شهد له يوم القيامة (٣) »

(١) حديث تطيف الرواجب تقدم .

(باب أسرار الصلاة)

(٢) حديث ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك الحديث ت وحسنه من حديث ابن عمر مختصرا
 وهو فى الصغير للطبرانى بنحو مما ذكره المؤلف (٣) حديث لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس
 ولا شئ إلا شهد له يوم القيامة غ من حديث أبى سعيد .

وقال صلى الله عليه وسلم «يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه» (١) وقيل في تفسير قوله عز وجل - ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً - نزلت في المؤذنين وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن» (٢) وذلك مستحب إلا في الحيعتين فإنه يقول لهما لا حول ولا قوة إلا بالله وفي قوله قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها مادامت السموات والأرض وفي الثوب صدقت وبررت ونصحت وعند القرأغ يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلاً والفضيلة والدرجة الرفيعة وإيتنا القام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد. وقال سعيد بن المسيب من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فان أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة.

(فضيلة للكتابة)

قال الله تعالى - إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً - وقال ﷺ «خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً استخفاف بحقهن» كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بياض أحداً كمن يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فمات من ذلك يبق من درته قالوا لا شيء» قال صلى الله عليه وسلم «فإن الصلوات الخمس تذهب القنوب كما يذهب الماء العرن» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الصلوات كفارة لما بينهن» ما اجتنبت الكبائر» (٥) وقال ﷺ «بيننا وبين المنافقين شهود الثمة والصبح لا يستطيعونها» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يصب الله بشيء من حسناته» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين» (٨) وسئل ﷺ «أى الأعمال أفضل فقال الصلاة» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم «من حافظ على الخمس يكال طمورها ومواقيتها كانت نوراً وبرهاناً يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان» (١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «مفتاح الجنة الصلاة» (١١) وقال «ما اقترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليهم من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتجد به ملائكته فتمموا ما كلف ومنهم ما جحدوا منها ما قام وقاعد» (١٢)

(١) حديث يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه الطبراني في الأوسط والحسن بن سعيد في مسنده من حديث أنس باسناد ضعيف (٢) حديث إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن متفق عليه من حديث أبي سعيد (٣) حديث خمس صلوات كتبهن الله على العباد الحديث د ن ح ب من حديث عبادة بن الصامت ومحمّد بن عبد البر (٤) حديث مثل خمس صلوات كمثل نهر الحديث مسلم من حديث جابر ولما نحوه من حديث أبي هريرة (٥) حديث الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر م من حديث أبي هريرة (٦) حديث بيننا وبين المنافقين شهود الثمة والصبح مالك من رواية سعيد بن المسيب مرسلاً (٧) حديث من لقي الله مضيعاً للصلاة لم يصب الله بشيء من حسناته وفي معناه حديث أول ما يحاسب به العبد الصلاة وفيه فان فسدت فسد سائر عمله رواه طبر في الأوسط من حديث أنس (٨) حديث الصلاة عماد الدين البيهقي في الشعب بسند ضعه من حديث عمر قال لك عكرمة لم يسمع من عمر قال ورواه ابن عمر ولم يقف عليه ابن الصلاح فقال في مشكل الوسيط إنه غير معروف (٩) حديث سئل أى الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها متفق عليه من حديث ابن مسعود (١٠) حديث من حافظ على الخمس يكال طمورها ومواقيتها كانت له نوراً وبرهاناً الحديث أحمد ح ب من حديث عبد الله بن عمرو (١١) حديث مفاتيح الجنة الصلاة د الطيالسي من حديث جابر وهو عند الترمذي ولكن ليس داخلياً في الرواية (١٢) حديث ما اقترض الله على خلقه بعد التوحيد شيئاً أحب إليه من الصلاة الحديث لم أجده هكذا وآخر الحديث عند الطبراني من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر .

وأهل هذه الرتبة على الجلمة في حال خصوصهم فيها صنفان مريدون ومرادون فالمريدون في الطالب لا بد لهم من أن يحلوا في المرتبة الثالثة وهي توحيد للقرنين ومنها يتقلون وعليها يبرون إلى الرتبة الرابعة ويتمكنون فيها ومن أهل هذا المقام يكون القطب والأوتاد والبلاء ومن أهل الرتبة الثالثة يكون النقاء والنجاء والشهداء والصالحون والله أعلم . فان قلت أليس الوجود مشتركاً بين الحادث والقديم والمألوه والآله ثم معلوم أن الآله واحد والحوادث كثيرة فكيف يرى صاحب هذه للرتبة الأشياء شيئاً واحداً ذلك على طريق قلب الأعيان فتعود الحوادث قديمة ثم تحدث بالواحد فترجع هي هو وفي هذا من الاستحالة والاروق من مصدر العقل ما ينشئ عن إطالة القول فيه وإن كان على طريق

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة متعمدا فقد كفر »^(١) « أى قارب أن ينخلع عن الإيمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة إنه يلحقها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة متعمدا فقد برى » من ذمة محمد عليه السلام^(٢) « وقال أبو هريرة رضى الله عنه : من توطأ فأحسن وضوءه ثم خرج عاددا إلى الصلاة فانه في صلاة ما كان يسعد إلى الصلاة وإنه يكتب له يأخذى خطوبته حسنة ونعمى عنه بالأخرى ميتة فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا ينبغي له أن يتأخر فإن أعظمكم أجرا أبعدكم دارا قالوا لم يا أبا هريرة ؟ قال من أجل كثرة الخطأ . وروى « إن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة »^(٣) « فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وإن وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحسب »^(٤) « وقال بعض العلماء مثل للصلى مثل التاجر الذى لا يحصل له الربح حتى يغسل له رأس للال وكذلك للصلى لا تقبل له نافقة حتى يؤدى القريضة وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول إذا حضرت الصلاة قوموا إلى ناركم التى أوقدتوها فاطفئوها .

(فضيلة إمام الأركان)

قال صلى الله عليه وسلم « مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى »^(٥) « وقال يزيد الرقاشى « كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة »^(٦) « وقال عليه السلام « إن الرجلين من أمى ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإن ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض »^(٧) وأشار إلى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله يوم القيامة إلى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده »^(٨) « وقال صلى الله عليه وسلم « أما يخاف الذى يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار »^(٩) « وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر البزار من حديث أبي الدرداء بإسناد فيه مقال .

(٢) حديث من ترك صلاة متعمدا فقد تبرأ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم حمى من حديث أم أيمن بنحوه ورجاله ثقات (٣) حديث أول ما ينظر الله فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة الحديث رويناه في الطيوريات من حديث أبي سعيد بإسناد ضعيف ولأصحاب السنن ك وصحح إسناده نحوه من حديث أبي هريرة وسيأتى (٤) حديث يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحسب لم أقف له على أصل (٥) حديث مثل الصلاة للكعبة كمثل للميزان من أوفى استوفى ابن المبارك في الزهد من حديث الحسن مرسلا وأسنده البهيقي في الشعب من حديث ابن عباس بإسناد فيه جهالة (٦) حديث يزيد الرقاشى كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة ابن المبارك في الزهد ومن طريقه أبو الوليد الصنفار في كتاب الصلاة وهو مرسل ضعيف (٧) حديث إن الرجلين من أمى ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد الحديث ابن المبر في العقل من حديث أبي أيوب الأنصارى بنحوه وهو موضوع ورواه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده عن ابن المبر (٨) حديث لا ينظر الله إلى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده أحمد من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح (٩) حديث أما يخاف الذى يحول وجهه وجه حمار أن يحول الله وجهه وجه حمار ابن عدى في عوالى مشايخ مصر من حديث جابر مایؤمنه إذا التفت في صلاته أن يحول الله عز وجل وجهه وجه كلب أو وجه خنزير قال منكر بهذا الاسناد وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أما يخشى الله يرفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله وجهه وجه حمار .

التخيل لولى لما لا حقيقة له فكيف يخرج به أو كيف يمد حالا لولى أو ضيقة لبشر ؟ . الجواب عن ذلك أن الحوادث لم تقلب إلى القدم ولم تتحد بالفاعل ولا اعترى الولى تخيل تخيل ما لا حقيقة له وإنما هو لولى مجتبى وصديق مرتضى خصه الله تعالى بمعرفة على سبيل اليقين والكشف التام وكشف قلبه مالوراه يصره عيانا ما ازداد إلا يقينا وإن أنكرت أن يكون وهب الله المعرفة على هذا السبيل أحدا من خلقه لما أظم مصيبتك وما أعظم العزاء فيك حين فقتشت الخلق بميعارك وكلهم بمصكياك وفضلت نفسك على الجميع إذ لاسبب لانكارك إن صح إلا أنك تخيلت أنه لم يرزق أحدا مالم ترزق أو يخص من المعرفة مالم يخص فإذا تقررت هذه القاعدة فسار ما كشف قلبه

« من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول شيعك الله كما شيعتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلفت الثوب الخلق فيضرب بها وجهه^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته^(٢) » وقال ابن مسعود رضي الله عنه وسلمان رضي الله عنه : الصلاة مكيال لمن أوفى استوفى ومن طفف فقد علم ما قال الله في اللطفين .

(فضيلة الجماعة)

قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الجماعة أفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة^(٣) » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا في بعض الصلوات فقال « لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق يوثهم^(٤) » وفي رواية أخرى « ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأمر بهم فتحرق عليهم يوثهم بحزم الحطب ولوعلم أحدهم أنه يجد عظامينا أو مرماتين لشهدها يعني صلاة العشاء . وقال عثمان رضي الله عنه مرفوعا « من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة^(٦) » وقال سعيد بن المسيب ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في السجد وقال محمد بن واسع ما أشتى من الدنيا إلا ثلاثة أخا إنه إن تعوجت قومى وقوتا من الرزق غفوا من غير تبعة وصلاة في جماعة يرفع عن سهوها ويكتب لي فضلها . وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان في آثاق حتى أريت أن لي فضلا على غيري لأؤم أبدا . وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف إلى الماء . وقال النخعي مثل الذي يؤم الناس بغير علم مثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه . وقال حاتم الأصم فاتتني الصلاة في الجماعة فزاني أبو إسحق البخاري وحده ولومات لي ولد لعزائي أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما من مع الناذي فلم يحب له يرد خيرا ولم يرد به خيرا وقال أبو هريرة رضي الله عنه لأن عملا أذن ابن آدم رصاصا مذبا خيره من أن يسمع النداء ثم لا يجيب . وروى أن ميمون بن مهران أتى السجد قيل له إن الناس قد انصرفوا فقال إنا لله وإنا إليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب إلي من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لانفوته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله له براءة من البراءة من النار^(٧) »

(١) حديث من صلى الصلاة لوقتها فأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني الحديث طبع في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه (٢) حديث أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته أحمد والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي قتادة (٣) حديث صلاة الجماعة أفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث أبي هريرة لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون الحديث متفق عليه (٥) حديث عثمان من شهد صلاة العشاء فكأنما قام نصف ليلة الحديث م من حديثه مرفوعا قال الترمذي وروى عن عثمان موقوفا (٦) حديث من صلى صلاة في جماعة قد ملأ نحره عبادة لم أجده مرفوعا وإنما هو من قول سعيد بن المسيب رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة (٧) حديث من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لانفوته تكبيرة الإحرام الحديث م من حديث أنس بإسناد رجاله ثقات .

لا يخرج منه وما اطلع عليه لا ينيب عنه وما ذكره من ذلك لا يفسد ولا في حال نومه وشغلته وهذا موجود فيمن أكثر اهتمامه بشيء وثبت في قلبه حاله أنه إذا نام أو اشتغل لم يفقه في شغلته ونومه كما لا يفقه في يقظته وفراغه ولهذا والله أعلم إذا رأى الولي للتمكن في رتبة الصديقين مخلوقا كان حيا أو جامدا صغيرا أو كبيرا لم يره من حيث هو وإنما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدره وميزه بالإرادة على سابق العلم القديم ثم أدام القهر عليه في الوجود ثم لما كانت الصفات المشهودة آثارها في المخلوقات بُدست لغير الوصف الذي هو الله عز وجل له ألهمت الولي عن غيره وصار لم يرسوا ومعنى ذلك أنه لا يتميز بالذكر في سر القلب وخير المعرفة ولا بالإدراك في ظاهر الحس دون ما كان موجودا به

ويقال إنه إذا حُكِّن يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالسكوك البري فتقول لهم الملائكة ما كانت أعمالكم فيقولون كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالأنصار فيقولون بعد السؤال كنا تنوِّساً قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الأذان في السجدة . وروى أن السلف كانوا يمزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويمزون سبعا إذا فاتتهم الجماعة .

(فضيلة السجود)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي » (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم سجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة » (٢) وروى « أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مراقبتك في الجنة فقال **يُؤْتِيكَ** » أعني بكثرة السجود (٣) وقيل أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجداً (٤) وهو معنى قوله عز وجل - واسجد واقترب - وقال عز وجل - سيأمن في وجوههم من أثر السجود - قيل هو ما يتصلق بوجوههم من الأرض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فإنه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح وقيل هي الفرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فصيت في النار » (٥) وروى عن علي بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجاد وروى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان لا يسجد إلا على التراب وكان يوسف بن أسباط يقول يامعشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض لما بقي أحد أحسنه إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبيرة ما أرى على شيء من الدنيا إلا على السجود ، وقال عتبة بن مسلم : ما من خصلة في العبد أحب إلى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله عز وجل منه حيث غفرت ساجداً وقال أبو هريرة رضي الله عنه أقرب ما يكون العبد إلى الله عز وجل إذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك .

(فضيلة الخشوع)

قال الله تعالى - وأقم الصلاة لذكري - وقال تعالى - ولا تكن من الغافلين - وقال عز وجل - لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون - قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وقال وهب للراد به ظاهره فيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بين فيه العلة فقال - حتى تعلموا ما تقولون - وكم من مصل لم يشرب خمرًا وهو لا يعلم ما يقول في صلاته وقال النبي صلى الله عليه وسلم

(١) حديث ما تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي ابن المبارك في الزهد من حديث ضمرة بن حبيب مرسل (٢) حديث ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة . من حديث عبادة بن الصامت بإسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث ثوبان وأبي الدرداء (٣) حديث إن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك ويرزقني مراقبتك في الجنة الحديث م من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي نحوه وهو الذي سأله ذلك (٤) حديث إن أقرب ما يكون العبد إلى الله أن يكون ساجداً م من حديث أبي هريرة (٥) حديث إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي الحديث م من حديث أبي هريرة .

وصار منه قانيا فبعد هذا على من أحبه أن لا يحتاج إليها مع هذا الوضوح ولا فهم إلا بالله ولا شرح إلا منه ولا نور إلا من عنده وله الحول والقوة وهو المصل العظيم [فصل] وأما معنى إفاشاء سر الربوبية كفر فيخرج على وجهين أحدهما أن يكون المراد به كفرا دون كفر ويسمى بذلك تعظيماً لما آتى به النفس وتعظيماً لما ارتكبه ويعترض هذا بأن يقال لا يصح أن يسمى هذا كفراً لأنه ضد الكفر إذ الكفر الذي سمى على معناه سائر وهذا للنفس للسر ناشر وأبى النشر والإظهار من التغطية والإعلان من الكتم واندفاع هذا بين بأن يقال ليس الكفر الشرعي تابع للاشتقاق وإنما هو حكم لمخالفة الأمر وأرتكاب التي فمن رد إحسان محسن أو جحد نعمة منفضل فيقال عليه كافر

«من صلى ركعتين لم يحدث ، نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتأوّه وتنادم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج»^(٢) وروى عن الله سبحانه في الكتب السالفة أنه قال «ليس كل مصل أتقبل صلاته إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمي ولم يتكبر على عبادي وأطعم الفقير الجائع لوجهي» وقال صلى الله عليه وسلم «إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت للناسك لإقامة ذكر الله تعالى فإذا لم يكن في قلبك للذكر الذي هو التقصود والبتى عظيمة ولاهية لما قيمة ذكره»^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم للذي أوصاه «وإذا صليت فصل صلاة مودّع»^(٤) أى مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر إلى مولاه كما قال عز وجل - يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فلاقه - وقال تعالى - واتقوا الله ويسلكم الله - وقال تعالى - واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه - وقال صلى الله عليه وسلم «من لم تنه صلاته عن الفحشاء والنكر لم يزد من الله إلا بعدا»^(٥) والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة وقال بكر بن عبد الله يابن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فكلمه بغير ترجمان . وعن عائشة رضي الله عنها قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدهه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه»^(٦) اشتغالا بعبادة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه»^(٧) وكان إبراهيم الخليل إذا قام إلى الصلاة بسمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخى إذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته» وروى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يبيت بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لحشمت جوارحه»^(٨)

(١) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث صلة بن أشيم مرسل وهو في الصحيحين من حديث عثمان بن زياد في أوله دون قوله بشيء من الدنيا وزاد طس إلا بغير (٢) حديث إنما الصلاة تمسكن ودعاء وتضرع الحديث ت ن بنحوه من حديث الفضل بن عباس بإسناد مضطرب (٣) حديث إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت للناسك لإقامة ذكر الله ت ن من حديث عائشة بنحوه دون ذكر الصلاة قالت حسن صحيح (٤) حديث إذا صليت فصل صلاة مودع ابن ماجه من حديث أبي أيوب وك من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الإسناد والبيهقي في الزهد من حديث ابن عمر ومن حديث أنس بنحوه (٥) حديث من لم تنه صلاته عن الفحشاء والنكر لم يزد من الله إلا بعدا على بن معبد في كتاب الطاعة والعصية من حديث الحسن مرسل بإسناد صحيح ورواه طبري وأسنده ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي عباس بإسناد لين والطبراني من قول ابن مسعود من لم تأمره صلاته بالمعروف ونهه عن المنكر الحديث وإسناده صحيح (٦) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدهه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه الأزدي في الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جامع الأذان كأنه لا يعرف أحدا من الناس (٧) حديث لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه لم أجده بهذا اللفظ وروى محمد بن نصر في كتابه الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهريش مرسل لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب وإسناده ضعيف (٨) حديث رأى رجلا يبيت بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لحشمت جوارحه الحكيم في النوادر من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبي شيبة في المصنف وفيه رجل لم يسم .

لجنتين إحداهما من جهة الاشتقاق ويكون إذ ذاك أصما يني عن وصف والثانية من جهة التضرع ويكون إذ ذاك حكا بوجوب عقوبة والتضرع قد ورد بشكر للنعم فافهم ولا تذهب مع الألفاظ ولا يترك العبارات ولا تحجبك التسميات وتغفلن لخداعها واحسرس من استدراجها فاذن من أظهر ما أمر بكنهه كان كمن كتم ما أمر بنشره في مخالفة الأمر فيهما حكم واحد على هذا الاعتبار ويدل على ذلك من جهة التضرع قوله صلى الله عليه وسلم «لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم» وفي ارتكاب التي عصيان ويسمى في باب القياس على المذكور ككفران البدن وقسمة أخرى وذلك أن العلم إن حلل إلى ما علم من أجزائه بالاستقراء فرأس الإنسان تشابه سماء العالم من حيث

ويروي أن الحسن نظر إلى رجل يعبت بالخصى ويقول اللهم زوجني الحور العين فقال بشي الخاطب أنت تخطب الحور العين وأنت تعبت بالخصى وقيل لحلف بن أيوب ألا يؤذيك الدباب في صلاتك فخطبها قال لأعود نفسي شيئا يفسد علي صلاتي قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغتني أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال فلان منبور ويفتخرون بذلك فأنا قائم بين يدي ربّي فأتحرك لفتابة. وروي عن مسلم بن يسار أنه كان إذا أراد الصلاة قال لأهله تعذثوا أنتم فاني لست أسمعكم وروي عنه أنه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة وكان على بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتززل ويثلون وجهه فيقول له مالك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها وروي عن علي بن الحسين أنه كان إذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يعتربك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم وروي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال داود صلى الله عليه وسلم في مناجاته: إلهي من يسكن بيتك ويمن بتقبل الصلاة فأوحى الله إليه يا داود إنما يسكن بيتي وأقبل الصلاة منهم من تواضع لعظمى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجله، يطعم الجماعة ويؤدى الغريب ويرحم اللصاب فذلك الذي يضيء نوره في السموات كالشمس إن دعاني لبيته وإن سألتني أعطيت أجمل له في الجهل حلما وفي الغفلة ذكرا وفي الظلمة نورا وإنما مثله في الناس كالفرديوس في أعلى الجنان لا تبيس أنهارها ولا تتغير ثمارها وروي عن حاتم الأصم رضى الله عنه أنه سئل عن صلاته فقال إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت للموضع الذي أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم أقوم إلى صلاتي وأجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك اللوت ورأى أظنها آخر صلاتي ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقعد على الورك الأيسر وأفرش ظهر قدمي وأنصب القدم اليمنى على الأبهام وأتبعها بالانحلال ثم لأدري أقبلت مني أم لا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه.

(فضيلة السجدة وموضع الصلاة)

قال الله عز وجل - إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر - وقال صلى الله عليه وسلم «من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرًا في الجنة»^(١) وقال عليه السلام «من ألف للمسجد ألفه الله تعالى»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس»^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد»^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم «للائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه تقول اللهم صل على اللهم ارحمه اللهم اغفر له ما لم يحدث أو يخرج من المسجد»^(٥)

- (١) حديث من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة الحديث . من حديث جابر بسند صحيح وابن حبان من حديث أبي ذر وهو متفق عليه من حديث عثمان دون قوله ولو مثل مفحص القطاة
- (٢) حديث من ألف للمسجد ألفه الله تعالى طب في الأوسط من حديث أبي سعيد بسند ضعيف
- (٣) حديث إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس متفق عليه من حديث أبي قتادة
- (٤) حديث لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد الحديث في السجدة الدارقطني من حديث جابر وأبي هريرة بإسنادين ضعيفين وك من حديث أبي هريرة (٥) حديث اللائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

إن كل ما علا فهو
سماء وحواسه تشابه
الكواكب والنجوم
من حيث إن
الكواكب أجسام
مشقة تستمد من نور
الشمس فضي بها
والحواس أجسام لطيفة
مشقة تستمد من
الروح فيض مملك
الدرجات وروح
الإنسان مشابهة
للشمس فضاء العالم
ونور نباته وحركة
ضواريه وحيوانه
وحياته فيها تظهر
بتلك الشمس وكذلك
روح الإنسان به حصل
في الظاهر نمو أجزاء
بدنه ونبات شعره
وحلول حياته وجلست
الشمس وسط العالم
وهي تطلع بالهار
وتغرب بالليل وجلست
الروح وسط جنم
الإنسان وهي تضي
بالنوم وتطلع باليقظة
ونفس الإنسان تشابه
القمر من حيث إن
القمر يستمد من
الشمس ونفسه تستمد
من الروح والقمر
خالف الشمس والروح

وقال صلى الله عليه وسلم « يأتي في آخر الزمان ناس من أمق يأتون للساجد فيفسدون فيها حلقة حلقة ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا يجالسوهم فليس لهم بها حاجة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل في بعض الكتب إن يوتى في أرض الساجد وإن زوارى فيها عمارها فطوبى لبدن تطهر في بيته ثم زارنى في بيتى خلق على للزور أن يكرم زائره (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الرجل يتنادى للسجد فاشهدوا له بالإيمان (٣) » وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فأتاه يجالس ربه فما حقه أن يقول إلا خيرا وبروى في الأثر أو الخبر « الحديث في المسجد يأكل الحشرات كما تأكل البهائم الحشيش (٤) » وقال النخعي كانوا يرون أن الشئ في الليلة للظلمة إلى السجدة وجب للجنة وقال أنس بن مالك من أسرج في المسجد سراجا لم تزل لللائكة وحمة العرش يستغفرون له مادام في ذلك المسجد ضوؤه وقال على كرم الله وجهه إذا مات العبد يكتى عليه صلاة من الأرض ومصدق عمله من السماء ثم قرأ لما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس يكتى عليه الأرض أربعين صباحا وقال عطاء الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال أنس بن مالك ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها صلاة أو ذكر إلا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل إلى منهاها من سبع أرضين وما من عبد يقوم يصلى إلا تزخرفت له الأرض ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلى عليهم أو يلصم .

(الباب الثاني في كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله)

ينبغي للصلى إذا فرغ من الوضوء والطهارة من الحب في البدن والسكان والياب وستر العورة من السرة إلى الركبة أن ينتصب قائما متوجها إلى القبلة وبراوح بين قدميه ولا يضمهما فإن ذلك مما كان يستدل به على قه الرجل وقد « نهى صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفدي الصلاة (٥) » والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى - مفرنين في الأصفاد - والصفن هو رفع إحدى الرجلين ومنه قوله عز وجل - الصافات الجياد - هذا ما يراعى في رجله عند القيام ويراعى في ركبتيه ومقد نطاقه الانتصاب وأما رأسه إن شاء تركه على استواء القيام وإن شاء أطرق والاطراق أقرب للخشوع

(١) حديث يأتي في آخر الزمان ناس من أمق يأتون للساجد فيفسدون فيها حلقة حلقة ذكرهم الدنيا الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود و « من حديث أنس وقال صحيح الاسناد (٢) » حديث قال الله تعالى : إن يوتى في أرض الساجد ، وإن زوارى فيها عمارها الحديث أبو نعيم من حديث أبي سعيد بسند ضعيف يقول الله عز وجل يوم القيامة أين جيرانى فتقول لللائكة من هذا الذى ينبغي لأن يجاورك فيقول أين قرأ القرآن وعمار للساجد وهو في الشعب نحوه موقوفا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسناد صحيح وأسند ابن حبان في الضعفاء آخر الحديث من حديث سلمان وضعفه (٣) حديث إذا رأيتم الرجل يتنادى للسجد فاشهدوا له بالإيمان وحسنه . و « وصححه من حديث أبي سعيد (٤) » حديث الحديث في المسجد يأكل الحشرات كما تأكل البهيمة الحشيش لم أقف له على أصل .

(الباب الثاني)

(٥) حديث النهى عن الصفن والصفدي الصلاة عزاء رزين إلى ت ولم أجده عنده ولا عند غيره وإنما ذكره أصحاب الغريب كابن الأثير في النهاية وروى سعيد بن منصور أن ابن مسعود رأى رجلا صافا أوصافا قديمة فقال أخطأ هذا السنة .

خالف النفس والقمر آية محمودة والنفس مثلها ومحو القمر في أن لا يكون ضياؤه منه ومحو النفس في أن ليس عقلها منها ومعتري الشمس والقمر وسائر الكواكب كسوف وتعتري النفس والروح وسائر الحواس غيب وذحول وفي العالم نبات ومياه ورياح وجبال وحيوان وفي الانسان نبات وهو الشجر ومياه وهو العروق والدروع والريق والدم وفيه جباله وهى العظام وحيوان وهى هوام الجسم فخلت للشابهة على كل حال ولما كانت أجزاء العالم كثيرة ومنها ما هو لنا غير معروفة ولا معلومة كان في استقصاء مقابلة جميعها تطويل وفيما ذكرناه ما يحصل به لدوى العقول تشبيه وتثليل . فان قلت أراك فرقت بين النفس والروح وجعلت كل واحد منهما غير الآخر وهذا قلما تساعد

عليه إلا قد كثر
الخلاف في ذلك فاعلم
أنه إنما على الإنسان
أن يني كلامه على
ما يعلم لا على ما يجهل
وأنت لو علمت النفس
والروح علمت أهما
اثنان فإن قلت قد
سبق في الإحياء أهما
شيء واحد وقلت في
هذه الإجابة إن النفس
من أسماء الروح فالذي
سبق في الإحياء ورأيت
في هذه الإجابة وهو
شيء واحد لا يتناقض
مع ما قلناه الآن وذلك
أن لها معنى يسمى
بالروح تارة وبالنفس
أخرى وينير ذلك
ثم لا يبعد أن يكون
لها معنى آخر يفرد
باسم النفس فقط ولا
يسمى بروح ولا غير
ذلك فهذا آخر الكلام
في أحد وجهي الإضافة
التي في ضمير صورته
والوجه الآخر وهو أن
من حمل إضافة الصورة
إلى الله تعالى على معنى
التخصيص به فذلك
لأن الله سبحانه نبأ بأنه
حي قادر جميع بصير
عالم يريد متكلم فاعلم

وأغض البصر وليسكن بصره محصوراً على مصلاه الذي يسكن عليه فإن لم يكن له مصلى فليقرب
من جدار الحائط أو لينط خطاً فإن ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليجبر على
بصره أن يجاوز أطراف المصلى وحدود الخط وليدع على هذا القيام كذلك إلى الركوع من غير
التفات هذا أدب القيام فإذا امتوى قيامه واستقبله وإطرافه كذلك فليقرأ قل أعوذ برب الناس
تحصناً به من الشيطان . ثم ليأت بالإقامة وإن كان يرجو حضور من يقتدى به فليؤذن أولاً ثم ليحضر
النية وهو أن ينوي في الظهر مثلاً ويقول بقلبه أؤدي فريضة الظهر لله ليعزها بقوله أؤدي من
القضاء وبالقرينة عن النفل وبالظهر عن البصر وغيره وتلك معاني هذه الألفاظ حاضرة في قلبه
فإنه هو النية والألفاظ مذكرات وأسماء لحضورها ويجهت أن يستديم ذلك إلى آخر التكبير حتى
لا يزعج فإذا حضر في قلبه ذلك فليرفع يديه إلى حدو منكبيه بمد إرسالهما بحيث يحاذي بكفيه
منكبيه وبإهاميه شحقي أذنيه وبرءوس أصابعه رءوس أذنيه^(١) ليكون جامعاً بين الأخبار الواردة
فيه ويكون يقبل بكفيه وإهاميه إلى القبلة ويبسط الأصابع ولا يقرضها ولا يتكلف فيها تفرجاً
ولا ضماً بل يتركها على مقتضى طبيعتها إذ قل في الأثر النشر والضم^(٢) وهذا بينهما فهو أولى وإذا
استقرت اليدين في مقرهما ابتداء التكبير مع إرسالهما وإحضار النية . ثم يضع اليدين على مافوق
السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى إكراماً لليمنى بأن تكون محمولة وبضرب السبعة
والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالإهام والخنصر والبصر على كوع اليسرى
وقد روي أن التكبير مع رفع اليدين^(٣) ومع استقرارهما^(٤) ومع الإرسال^(٥) فكل ذلك لا حرج
فيه وأراه بالإرسال أليق فإنه كلمة العقد ووضع إحدى اليدين على الأخرى في صورة العقد ومبدؤه
الإرسال وآخره الوضع ومبدأ التكبير الألف وآخره الرأ فليقل مراعاة التطابق بين القطع والعقد
وأما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية . ثم لا ينبغي أن يرفع يديه إلى قدم رفا عند التكبير
ولا يردهما إلى خلف منكبيه ولا ينفهما عن يمين وشمال فحقاً إذا فرغ من التكبير ويرسلهما
إرسالاً خفيفاً رقيقاً ويستأنف وضع اليدين على النعال بمد الإرسال وفي بعض الروايات أنه صلى الله
عليه وسلم « كان إذا كبر أرسل يديه وإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى^(٦) » فإن صح هذا
فهو أولى مما ذكرناه وأما التكبير فينبغي أن يضم الماء من قوله الله ضمة خفيفة من غير مبالغة

(١) حديث رفع اليدين إلى حدو المنكبين وورد إلى شحمة أذنيه وورد إلى رءوس أذنيه متفق
عليه من حديث ابن عمر باللفظ الأول وورد من حديث وال بن حجر بإسناد ضعيف إلى شحمة
أذنيه ولمسلم من حديث مالك بن الحويرث فروع أذنيه (٢) حديث نشر الأصابع عند الافتتاح
وقيل ضمها . وقال عطاء وابن خزيمة من حديث أبي هريرة والبيهقي لم يفرج بين أصابعه ولم يضمها
ولم أجداً تصرح بضم الأصابع (٣) حديث التكبير مع رفع اليدين البخاري من حديث ابن عمر
كان يرفع يديه حين يكبر ولأبي داود من حديث وال يرفع يديه مع التكبير (٤) حديث التكبير
مع استقرار اليدين أي مرفوعتين مسلم من حديث ابن عمر كان إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى
يكونا حدو منكبيه ثم كبر زاد وها كذلك (٥) حديث التكبير مع إرسال اليدين د من
حديث أبي حميد كان إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم كبر حتى يقرأ
كل عظم في موضعه معتدلاً قال ابن الصلاح في المشكل فكلمة حتى التي هي لغاية تدل بالحنى على
ما ذكره أي من ابتداء التكبير مع الإرسال (٦) حديث كان إذا كبر أرسل يديه فإذا أريد أن يقرأ
وضع اليمنى على اليسرى الطبراني من حديث معاذ بإسناد ضعيف .

ولا يدخل بين الماء والألف شبه الواو وذلك ينساق إليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء كبر ورائه ألفا كأنه يقوئاً كبار ويجزم راء التكبير ولا يضمها فهذه هيئة التكبير وما معه

(القراءة)

ثم يتدنى بدعاء الاستفتاح وحسن أن يقول عقب قوله الله أكبر ، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا (١) وجهت وجهي إلى قوله وأنا من المسلمين (٢) ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك (٣) ليكون جامعا بين متفرقات ماورد في الأخبار وإن كان خلف الإمام اختصر إن لم يكن للامام سكتة طويلة يقرأ فيها ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة يتدنى فيها بسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها ، ويبتدئ في القرئ بين الضاد والظاء ويقول آمين في آخر الفاتحة وبعد حمدا ولا يصل آتين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهز بالقراءة في الصبح والغرب والعشاء إلا أن يكون مأموما ويجهز بالتأمين ثم يقرأ السورة أو قدر ثلاث آيات من القرآن فافوقها ولا يصل آخر السورة بتكبير الهوى بأن يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرأ في الصبح من السور الطوال من الفصل وفي المغرب من قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء نحو والسماوات البروج وما قاربها وفي الصبح في السفر . قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كأوصفي أول الصلاة .

(الركوع ولو احنقه)

ثم يركع ويرأى فيه أموراً وهو أن يكبر للركوع وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وأن يعد التكبير مدا إلى الانتهاء إلى الركوع وأن يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع وأصابه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وأن ينصب ركبتيه ولا يشبهها وأن يعد ظهره مستويا وأن يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره كالصفحة الواحدة لا يكون رأسه أخفض ولا أرفع وأن يحافى مرفقيه عن جنبه وتضم الرأى مرقعها إلى جنبها وأن يقول سبحان ربى العظيم ثلاثا وزيادة إلى السبعة وإلى العشرة حسن إن لم يكن إماما ثم يرفع من الركوع إلى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن في الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام إلا في صلاة التيسيع والكسوف والصبح ويقت في الصبح في الركعة الثانية بالسكات المأثورة قبل السجود (١) .

(السجود)

ثم يهوى إلى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الأرض ويضع جبهته وأذنيه وكفيه مكشوفة ويكبر

(١) حديث أنه يقول بعد قوله الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا م من حديث ابن عمر قال بينما نحن نصل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم الله أكبر كبيرا الحديث وده من حديث جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال الله أكبر كبيرا الحديث (٢) حديث دعاء الاستفتاح وجهت وجهي الحديث م من حديث علي (٣) حديث سبحانك اللهم وبحمدك الحديث في الاستفتاح أيضا ذلك وصححه من حديث عائشة وضعت قط ورواه م موقوفا على عمر وعند حق من حديث جابر الجعفي وجهت وبين سبحانك اللهم (٤) حديث القنوت في الصبح بالسكات المأثورة حق من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يفت في صلاة الصبح وفي وتر الليل بهؤلاء الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت الحديث دت وحسنه ون من حديث الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يملء هؤلاء الكلمات يقولن في الوتر وإسناده صحيح .

وخلق آدم عليه السلام جبارا قادرا عالما سميعا بصيرا مريدا متكلما فاعلا وكانت لآدم عليه السلام صورة محسوسة مكونة مخلوقة مقدره بالقول وهي لله تعالى مضافة باللفظ وذلك أن هذه الأسماء لم تجتمع مع صفات آدم إلا في الأسماء التي هي عبارة تلفظ فقط ولا يجمع من ذلك في الصفات فليس هو مرادنا وإنما مرادنا تبين ما بين الصورتين بأبمد وجوه الامكان حتى لم تجتمع مع صفات الله تعالى إلا في الإسماء للفظ بها لا غير وفرار أن ثبت صورة لله تعالى وبطلق عليها حالة الوجود فافهم هذا فإنه من أدق ما يجرع صمك ويلج قلبك ويظهر لطفك ولهذا قيل لك فان كنت تستعد الصورة الظاهرة ومعناه إن حملت إحدى الصورتين على الأخرى في الوجود تكن مشبا مطلقا ومعناه يتيقن أنك من الشبهين لامن للزهين

على قسك بالتشبه
معتددا ولا تسكر كاقيل
كن يهوديا صرفا وإلا
فلا تلعب بالتوراة أى
تلبس بدينهم وتريد
أن لا تنسب إليهم أى
تقرأ التوراة ولا تعمل
بها وإن كنت تعتقد
الصورة الباطنة منوها
بجلالا ومقدسا مخلصا
أى ليس تعتقد من
الاضافة في الضمير إلى
الله تعالى إلا الأسماء
دون للعاني تلك المعاني
للسما لا يقع عليها اسم
صورة على حال وقد
حفظ عن الشبل رحمة
الله عليه في معنى
ما ذكرناه من هذا
الوجه قول بليغ مختصر
حين سئل عن معنى
الحديث قال خلقه الله
على الأسماء والصفات
لا على الذات . فان قلت
فكلما قال ابن قتيبة
في كتابه العروف
بتناقص الحديث حين
قال هو سورة لا كالصور
فلم أخذ عليه في ذلك
وأقيمت عليه الشناعة
به وإطرح قوله ولم
يرضه أكثر العلماء
وأهل التحقيق . فاعلم

عند الموى ولا يرفع يديه في غير الركوع وينبني أن يكون أول ما يتبع منه على الأرض ركبته وأن يضع
بعض يديه ثم يضع بعضهما وجهه وأن يضع جبهته وأنته على الأرض وأن يحاق حرقبه عن جنبيه
ولا تفضل للراة ذلك وأن يخرج بين رجله ولا تفضل للراة ذلك وأن يكون في سجوده نحويا على الأرض
ولا تكون للراة نحوه والنخوة رفع البطن عن القعذين والتفريق بين الركبتين وأن يضع يديه على
الأرض خذاه منكبيه ولا يخرج بين أصابعهما بل يضمهما ويضم الإبهام إليهما وإن لم يضم الإبهام
فلا بأس ولا يفتش ذراعيه على الأرض كما يفتش السكب^(١) فانه منهي عنه وأن يقول سبحان ربى
الأعلى ثلاثا فان زاد حسن إلا أن يكون إماما ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا فيرفع رأسه
مكبزا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذه والأصابع منقورة
ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول رب اغفرلى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجبرنى ووافنى واعف عني
ولا يطول هذه الجلسة إلا في سجود المسيح ويأتى بالسجدة الثانية كذلك ويستوى منها جالسا جلسة
خفيفة للاستراحة في كل ركعة . لا تشهد عقبيها ثم يقوم فيضع اليد على الأرض ولا يقدم إحدى رجله في
حال الارتفاع وبعد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود إلى وسط ارتفاعه إلى القيام
بحيث تكون الحاء من قوله الله عند استوائه جالسا وكاف أكبر عند اعتناؤه على اليد للقيام وراء
أكبر في وسط ارتفاعه إلى القيام ويبتدىء في وسط ارتفاعه إلى القيام حتى يقع التكبير في وسط ارتفاعه
ولا يخلو عنه إلا طرفاه وهو أقرب إلى التعميم ويصلى الركعة الثانية كالأولى ويبدأ التعمد كالابتداء .

(التشهد)

ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد الأول ثم يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده
اليمنى على فخذه اليمنى ويضم أصابعه اليمنى إلى السبعة ولا بأس بأرسال الإبهام أيضا ويشير بمسحة عيناه
وحدها عند قوله لا إله إلا الله لا عند قوله لا إله ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدة
وفي التشهد الأخير يستكمل الدعاء للأئمة^(٢) بعد الصلاة على النبي ﷺ وسننه كسنة التشهد الأول
لكن يجلس في الأخير على وركة الأيسر لأنه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر ويضع رجله
اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ويضع رأس الإبهام إلى جهة القبلة إن لم يشق عليه ثم يقول
السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الأيمن من وراءه من الجانب اليميني ويلتفت
ثملا كذلك ويسلم تسليمة ثانية وينوى الخروج من الصلاة والسلام وينوى بالسلام من على يمينه
اللائكة والمسلمين في الأولى وينوى مثل ذلك في الثانية ويجزم التسليم^(٣) ولا يعمده مدا فهو السنة
وهذه هيئة صلاة المنفرد ويرفع صوته بالتكبيرات ولا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوى
الامام الامامة لينال الفضل فان لم ينو صلاته القوم إذا نواوا الاقتداء ونالوا فضل الجماعة ويسر بدعاء
الاستفتاح والتعوذ كالتفرد ويجهر بالقراءة والسورة في جميع الصبح وأولي العشاء والغرب وكذلك
المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذلك المأموم ويقرن المأموم تأمينة بتأمين الامام معا
لا تقيا ويسكت الامام سكته عقيب القاء ليتوب إليه نفسه ويقرأ للمأموم القاءة في الجهرية في هذه
السكته ليتمكن من الاستماع عند قراءة الامام ولا يقرأ للمأموم السورة في الجهرية إلا إذا لم يسمع

- (١) حديث النهي عن أن يفتش ذراعيه على الأرض كما يفتش السكب متفق عليه من حديث
أنس (٢) حديث الدعاء للأئمة بعد التشهد من حديث على في دعاء الاستفتاح قال ثم يكون
من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم اللهم اغفرلى ما قدمت الحديث وفي الصحيحين من حديث عائشة
إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع من عذاب جهنم الحديث وفي الباب غير ذلك جميعها في الأصل
(٣) حديث جزم السلام سنة دت من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح وضعه ابن القطان .

صوت الامام ويقول الامام مع الله لمن حمده عند رفع رأسه من الركوع وكذا للمأموم ولا يزيد الامام على الثلاث في تسبيحات الركوع والسجود ولا يزيد في التشهد الأول بعد قوله اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ويقتصر في الركعتين الأخيرتين على الفاتحة ولا يطول على القوم ولا يزيد على دعائه في التشهد الأخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينوي عند السلام السلام على القوم ولللائكة وينوي القوم بتسليمهم جوابه ويثبت الامام ساعة حتى يفرغ الناس من السلام ويقبل على الناس بوجهه والأولى أن يثبت إن كان خلف الرجال نساء لينصرفن قبله ولا يقوم واحد من القوم حتى يقوم وينصرف الامام حيث يشاء عن يمينه وشماله واليمين أحب إلى ولا يغض الامام نفسه بالغطاء في قنوت الصبح بل يقول اللهم اهدنا وبجر به ويؤمن القوم ويرفون أيديهم خلف صدورهم ويمسح الوجه عند ختم الدعاء الحديث نقل فيه وإلا فالقياس أن لا يرفع اليد كما في آخر التشهد .

(التيات)

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن في الصلاة والصغد وقد ذكرناها وعن الإتمام (١) وعن السدل (٢) والكف (٣) وعن الاختصار (٤) وعن الصلب (٥) وعن المواصل (٦) وعن صلاة الحاقن (٧) والحاقب (٨) والحازق (٩) وعن صلاة الجائع والغضبان والتئم (١٠) وهو ستر الوجه أما الإتمام فهو عند أهل اللغة أن يجلس على وركيه وينصب ركبته ويجعل يديه على الأرض كالكلب وعند أهل الحديث أن يجلس على ساقه جاثيا ولبس على الأرض منه إلا رؤوس أصابع الرجلين

(١) حديث النهي عن الإتمام من حديث علي بن بسند ضعيف لا يقع بين السجدين ومن حديث عائشة كان ينهى عن عقبة الشيطان ذلك من حديث سمرة ومحمه نهى عن الإتمام (٢) حديث النهي عن السدل في الصلاة ذلك ومحمه من حديث أبي هريرة (٣) حديث النهي عن الكف في الصلاة متفق عليه من حديث ابن عباس أمرنا النبي ﷺ أن نسجد على سبعة أعظم ولا نكف شرا ولا ثوبا (٤) حديث النهي عن الاختصار ذلك ومحمه من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ نهى أن يصلي الرجل مختصرا (٥) حديث النهي عن الصلب في الصلاة ذلك من حديث ابن عمر بإسناد صحيح (٦) حديث النهي عن المواصل عزاء رزين إلى ت ولم أجده عنده وقد فسره التزالي بوصل القراءة بالتكبير ووصل القراءة بالركوع وغير ذلك وقد روى ذلك وحسنه وابن ماجه من حديث سمرة سكتان حفظهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل في صلاته: إذا فرغ من قراءته وإذا فرغ من قراءة القرآن وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة كان يسكت بين التكبير والقراءة لإسكاته الحديث (٧) حديث النهي عن صلاة الحاقن وقط من حديث أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلي الرجل وهو حاقن وقد من حديث أبي هريرة لا يحمل لرجل أن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصلي وهو حاقن وله وت وحسنه نحوه من حديث ثوبان ومن حديث عائشة لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان (٨) حديث النهي عن صلاة الحاقب لم أجده بهذا اللفظ وفسره المصنف تبعا للأزهري بدافعة الفائط وفيه حديث عائشة الذي قبل هذا (٩) حديث النهي عن صلاة الحازق عزاء رزين إلى ت ولم أجده عنده والذي ذكره أصحاب القريب حديث لا رأى لحازق وهو صاحب الحنف الضيق (١٠) حديث النهي عن التئم في الصلاة ذلك من حديث أبي هريرة بسند حسن نهى أن يضطج الرجل فاه في الصلاة زواه الحاكم ومحمه قال الخطابي هو التئم على الأفواه .

أن الذي ارتكبه ابن قتيبة عفا الله عنه نعم أشد إعراضه وأبلغ في الإنكار عليه وأبعد الناس من تبويخ قوله وليس هو الذي أئمتنا نحن به وأفدناك بحول الله وقوته إياه بل يدل منك أنك لم تفهم غرضنا وذهلت عن تفصيل مرادنا ولم تفرق بين قولنا وبين ما قاله ابن قتيبة ألم أخبرك أننا أثبتنا الصورة في التسميات وهو أثبتنا حالة للذات فأين من لب الجوز قشور تفرقع والذي يظلم على الظن في ابن قتيبة أنه لم يفرع ممعه هذه الدقائق التي أشرنا إليها وأخرجناها إلى حيز الوجود بتأييد الله تعالى بالعبارة عنها وإنما ظهر له شيء لم يكن له به إلف وعلاء الدهش فتوقف بين ظاهر الحديث القتي هو موجب عند ذوي التصور تشبيها وبين التأويل الذي يفهم فأنثت للنسب المرفوب

والركبتين . وأما السدل فذهب أهل الحديث فيه أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم قهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه فلا ينبغي أن يركع ويسجد وبداه في بدن القميص وقيل معناه أن يضع وسط الإزار على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يغطهما على كتفيه والأول أقرب وأما الكعب فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه إذا أراد السجود وقد يكون الكعب في شعر الرأس فلا يصلح وهو ناقص شعره والنهي للرجال وفي الحديث « أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا » (١) وكره أحمد بن حنبل رضي الله عنه أن يأتزر فوق القميص في الصلاة ورآه من الكعب . وأما الاختصار فإن يضع يديه على خاصرتيه . وأما الصلب فإن يضع يديه على خاصرتيه في القيام ويجافي بين عضديه في القيام . وأما اللواصة فهي خمسة اثنتان على الإمام أن لا يصل قراءته بتكبيره الاحرام ولا ركوعه بقراءته واثنتان على للأوم أن لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيره الامام ولا تسليمة بتسليمه وواحدة بينهما أن لا يصل تسليمة القرض بالتسليمة الثانية ويفصل بينهما . وأما الحاقن فمن البول والحاقب من الغائط والحازق صاحب الحنف الضيق فإن كل ذلك يمنع من الخشوع وفي معناه الجائع ولهم نهى الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم « إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدهوا بالعشاء إلا أن يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب » (٢) وفي الخبر « لا يدخلن أحدكم الصلاة وهو مطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان » (٣) وقال الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع وفي الحديث « سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتأؤب والحكك والالتفات والعبث بالشيء » (٤) وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف أربعة في الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصى وأن تسلي بطريق من يمر بين يديك « ونهى أيضا عن أن يشبك أصابعه » (٥) أو يفرقع أصابعه » (٦) أو يستر وجهه » (٧) أو يضع إحدى كفيه على الأخرى ويدخلهما بين فخذه في الركوع » (٨) وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم كنا نعمل ذلك قهينا عنه ويكره أيضا أن ينفخ في الأرض عند السجود للتنظيف وأن

(١) حديث أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا متفق عليه من حديث ابن عباس (٢) حديث إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدهوا بالعشاء متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة (٣) حديث لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان لم أجده (٤) حديث سبعة أشياء من الشيطان في الصلاة: الرعاف والنعاس والوسوسة والتأؤب والالتفات وزاد بعضهم السهو والشك من رواية عدي بن ثابت عن أبيه عن جده فذكر منها الرعاف والنعاس والتأؤب وزاد ثلاثة أخرى وقال حديث غريب ولمسلم من حديث عثمان بن أبي العاص يارسل الله إن الشيطان قد سلك بيني وبين صلاتي الحديث والبخاري من حديث عائشة في الالتفات في الصلاة هو اختلاس يخلسه الشيطان من صلاة أحدكم وللشيخين من حديث أبي هريرة التأؤب من الشيطان ولهمان حديث أبي هريرة إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان فلبس عليه صلاته حتى لا يدري كم صلى (٥) حديث النهى عن تشبيك الأصابع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة ود ث ح نحوه من حديث كعب بن عجرة (٦) حديث النهى عن خفيص الأصابع في الصلاة من حديث علي باسناد ضعيف لا تقصص أصابعك في الصلاة (٧) حديث النهى عن ستر الوجه دهك وصححه من حديث أبي هريرة حديث نهى أن يغطي الرجل فاه في الصلاة قد تقدم (٨) حديث النهى عن التطبيق في الركوع متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص قال كنا قمه قهينا عنه وأمرنا أن نضع الأيدي على الركبتين .

عنه وأرادني ماخاف من الوقوع فيه فلم يتأت له اجتماع مارام ولا نظام ما اقتراف فها هو صورة لا كالصور ولكل ساقطة لا تطفة فبادر الناس إلى الأخذ عنه .

[فصل] ومعنى قاطع الطريق - فإنك بالوادي

القدس طوى - أي دم على ما أنت عليه من البحث والطلب فانك على هداية ورشد والوادي القدس عبارة عن مقام الكليم موسى عليه السلام مع الله تعالى في الوادي وإنما قدس الوادي بما أنزل

فيه من الذكر وسمع كلام الله تعالى وأقيم ذكره الوادي مقام ما حصل فيه فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وإلا فالمقصود ما حذف لاما أظهر بالقول إذ الواضع لا تأثير لها وإنما هي ظروف .

[فصل] ومعنى فاستمع أي سر قلبك لما يوحى فطقت تجد على النار هدى ولعلك من

بسوى الحصى يده فانها أفعال مستغنى عنها ولا يرفع إحدى قدميه فيصمها على فخذيه ولا يستند في قيامه إلى حائط فان استند بحيث لو سلك ذلك الحائط لم يقط فالأظهر بطلان صلاته والله أعلم .

(تميز القرائن والسنن)

جملة ما ذكرناه يشتمل على فرائض و سنن و آداب و هيئات مما ينبغي لمريد طريق الآخرة أن يراعى جميعها . فالفرض من جعلها اثنتا عشرة خصلة النية والتكبير . والقيام والقائمة والانحناء في الركوع إلى أن تنال راحتك ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما والسجود مع الطمأنينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الأخير والتشهد الأخير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والسلام الأول فأمانية الخروج فلا يجب وماعدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيئات فيها وفي القرائن . أما السنن فمن الأفعال أربعة رفع اليدين في تكبيرة الإحرام وعند الموى إلى الركوع وعند الارتفاع إلى القيام والجلوس للتشهد الأول فأما ما ذكرناه من كيفية تحريك الأصابع وحد رفعها فهي هيئات تابعة لهذه السنة والتورك والافتراش هيئات تابعة للجلوس والاطراق وترك الالتفات هيئات للقيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لنها من أصول السنة في الأفعال لأنها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود إلى القيام لأنها ليست مقصودة في نفسها ولذلك لم تتردد بذكر . وأما السنن من الأذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعمود ثم قوله آمين فإنه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقال ثم التذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الأول والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء في آخر التشهد الأخير ثم التسليمة الثانية وهذه وإن جملناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة إذ تجبر أربعة منها بسجود السهو . وأما من الأفعال فواحدة وهي الجلسة الأولى للتشهد الأول فانها مؤثرة في ترتيب نظم الصلاة في أعين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا بخلاف رفع اليدين فإنه لا يؤثر في تغيير النظم فبهر عن ذلك بالمعنى وقيل الأباض تجبر بالسجود وأما الأذكار فكلها لا تقتضى سجود السهو إلا ثلاثة الفوت والتشهد الأول والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقال وأذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لأن الركوع والسجود في صورتها مخالفتان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الأذكار وعن تكبيرات الانتقال فقدم تلك الأذكار لا لتغير صورة العبادة . وأما الجلسة للتشهد الأول ففعل معتاد وما زيدت إلا للتشهد فتركها ظاهر التأثير وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركها لا يؤثر مع أن القيام صار معمورا بالقائمة ومجبرا عن العادة بها وكذلك الدعاء في التشهد الأخير والفوت أبعد ما يجبر بالسجود ولكن شرع مد الاعتدال في المصباح لأجله فكان كدجلسة الاستراحة إذ صارت بالمد مع التشهد جلسة للتشهد الأول فبقى هذا قياما ممدودا معناه ليس فيه ذكر واجب وفي الممدود احتراز عن غير الصبح وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن أجل القيام في الصلاة . فان قلت تميز السنن عن القرائن معقول إذ نفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فأما تميز سنة عن سنة والكل مأمور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب موجود على الكل فما معناه . فاعلم أن اشتراكهما في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتيهما ولشكك ذلك لك بمثال وهو أن الإنسان لا يكون إنسانا موجودا كاملا إلا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة ، فالمنى الباطن هو الحياة والروح والظاهر أجسام أعضائه ثم بعض تلك الأعضاء ينعم الإنسان بخدمتها كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو نفوت الحياة بفواته وبعضها لا نفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا يفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن

سراقات المرء تنادي
بما نودي به موسى إن
أنا ربك أي فرغ قلبك
لما يرد عليك من
فوائد الزيد وحوادث
الصدق وتماز المعارف
وارتياح سلوك الطريق
وإشارات قرب الوصول
وسر القلب كما يقول
أذن الرأس ووسع
الأذان وما يوحى أي
ما يرد من الله تعالى
بواسطة ملك أو لقاء
بواسطة ملك أو لقاء
في روع أو مكاشفة
بحقيقة أو ضرب مثل
مع السلم بتأويله
ومعنى لملك حرف
ترويح ومعنى إن لم
تدرك آفة تقطعك
عن سماع الوحي من
إعجاب بحال أو إضافة
دعوى إلى النفس أو
قنوع بما وصلت إليه
واستبداده عن غيره
وسراقات المجد هي
حجب للكسوت وما
نودي به موسى هو علم
التوحيد التي وسعت
العبادة اللطيفة عنه
بقوله حين قال له
يا موسى إنى أنا الله لا إله
إلا أنا والنادى باسمه
أزلا وأبدا هو اسم

كالحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها أصل الجمال ولكن كاله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية والأهداب وتناسب خلقة الأعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورها الشروع وتعبداً باكتسابها فروحها وحياتها الباطنة الحشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سيأتي ونجمن الآن في أجزائها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام وسائر الأركان، تجري منها مجرى القلب والرأس والسكبد إذ يفوت وجود الصلاة بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الأول تجري منها مجرى اليدين والميئين والرجلين ولا نفوت الصحة بفواتها كما لا نفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء ولكن يصير الشخص بسبب فواتها مشوّء الحلقة مذموماً غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على أقل ما يجزى من الصلاة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبداً حياً مقطوع الأطراف . وأما الهيئات وهي ما وراء السنن فتجري مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون . وأما وظائف الأذكار في تلك السنن فهي مكملات للحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها فالصلاة عندك قربة وتغفة تقترب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين إليهم وهذه التغفة تعرض على الله عز وجل ثم ترد عليك يوم العرض الأكبر فإليك الخبرة في تحسين صورتها وتفييحها فإن أحسنت فلنفسك وإن أسأت فطبيها ولا ينبغي أن يكون حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن القرض فلا يعلق بضمك من أوصاف السنة إلا أنه يجوز تركها فتركها فإن ذلك يضاهي قول الطبيب إن فقه العين لا يظلل وجود الإنسان ولكن يخرج عن أن يصدق رجاء التقرب في قبول السلطان إذا أخرجه في معرض الهدية فمكنا ينبغي أن نفهم مراتب السنن والهيئات والأداب فكل صلاة لم يتم الإنسان ركوعها وسجودها فهي الحضم الأول على صاحبها تقول ضحكك الله كما ضحك في طالع الأخبار التي أوردناها في كمال أركان الصلاة ليظهر لك وقعها .

(الباب الثالث في الشروط الباطنة من أعمال القلب)

ولقد كرفي هذا الباب ارتباط الصلاة بالحشوع وحضور القلب ثم ندكر للعاني الباطنة وحدودها وأسابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي أن يحضر في كل ركن من أركان الصلاة لتكون صالحة لزيد الآخرة .

(بيان اشتراط الحشوع وحضور القلب)

اعلم أن أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى - أقم الصلاة قد كرى - وظاهر الأمر الوجوب والغفلة تضاد الله كرفي غفل في جميع صلاته كيف يكون مقياً للصلاة ذكره وقوله تعالى - ولا تكن من الغافلين - نهي وظاهره التحريم وقوله عز وجل - حتى تعلموا ما تقولون - تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الناقل المستغرق المم بالوسواس وأفكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الصلاة تمكن وتواضع » حصر بالألف واللام وكلمة إنما لتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام « إنما الشفعة قيا لم يقصر » الحصر والاثبات والنفي وقوله صلى الله عليه وسلم « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والنكر لم يزد من الله إلا بئدا » وصلاة الناقل لا تمنع من الفحشاء والنكر . وقال صلى الله عليه وسلم « كم من قائم حظه من صلاته الثعب والنصب (١) » وما أراد به إلا الناقل وقال

(الباب الثالث)

(١) حديث كم من قائم حظه من صلاته الثعب والنصب ن . من حديث أبي هريرة رب قائم ليس له من قيامه إلا السهر ولأحمد رب قائم حظه من صلاته السهر وإساده حسن .

موسى لما صي السالك الوجود في كلام الله تعالى في أزل الأزل قبل أن يخلق موسى لا إلى أول وكلام الله تعالى صفته لا يتغير كالاتغير هو إذ ليست صفاته الغنوية لغيره وهو الذي لا يحول ولا يزول وقد زل قوم عظم اقتراحهم وهو أنهم حملوا صدور هذا القول على اعتقاد اكتساب النبوة وعباداة بالله من أين يحتمل هذا القول ماحلوه من اللذهب أليسوا وهم يعرفون أن كثيراً ممن يكون بحضرة ملك من ملوك الدنيا وهو يغالب إنساناً آخر قلة ولاية كبيرة وفوق إلى عملاً عظيماً وجاءه حياء خطيراً وهو ينادى باسمه أو باسمه بما يمثل من أمره ثم إن السامع للملك الحاضر معه غير الولي لم يشارك للولي الخلع عليه والنفوس إليه في شيء مما ولى وأعطى ولم نجب له بسامعه ومشاهدته

على الله عليه وسلم وليس للمسلم من صلاته إلا ما عقل منها (١) والتحقيق فيه أن للصلى مناجاة ربه عز وجل (٢) كما ورد به الخبر والكلام مع التفلة ليس بمناجاة البتة ويأنه أن الزكاة إن غفل الإنسان عنها مثلاً فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم فاهل القوى كاسر لسطورة الموى الذى هو آلة للشيطان صدوا الله فلا يبعد أن يحصل منها مقصود مع التفلة وكذلك الحج أفضل شاقة عديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلاء كان القلب حاضراً مع أفعله أو لم يكن أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود فأما الله كرهه لمخاورة ومناجاة مع الله عز وجل فأما أن يكون المقصود منه كونه مخطأ به ما ورتاً والمقصود منه الحروف والأصوات لمناجاة الله باللسان كما يتحنن للمدة والفرج بالاسماء في الصوم وكما يتحنن للبدن بمشقة الحج ويتحنن القلب بمشقة إخراج الزكاة واقتطاع ليل العشوق ولا شك أن هذا القسم باطل فإن تحريك اللسان بالهليلان ما أخفه على الناظر فليس فيه امتحان من حيث إنه عمل بل المقصود الحروف فمن حيث إنه نطق ولا يكون نطقاً إلا إذا أعرب مما فى الضمير ولا يكون معرباً إلا بحضور القلب فأى سؤال فى قوله لهدن الصراط المستقيم إذا كان القلب غافلاً وإذا لم يقصد كونه تضرعاً ودعاءً فأى مشقة فى تحريك اللسان به مع التفلة لا سيما بعد الاعتقاد هذا حكم الأذكار بل أقول لو حلف الإنسان وقال لأشكرن فلاناً وأثنى عليه وأساءه حاجة ثم جرت الألفاظ للهالة على هذه السان على لسانه فى النوم لم ير فى يمينه ولو جرت على لسانه فى ظلمة وذلك الإنسان حاضراً وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارأى يمينه إذ لا يكون كلامه مخطأ به ونطقاً به ما لم يكن هو حاضراً إلى قلبه فلو كانت تجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضراً إلا أنه فى رياض النهار غافل لكونه مستغرق المه فحكر من الأفكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب إليه عند نطقه لم يصر بارأى يمينه ولا شك فى أن المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والخطاب هو الله عز وجل وقلبه بحجاب التفلة محبوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن الخطاب ولسانه يتحرك بحكم العادة لما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التى شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الإيمان به هذا حكم القراءة والله كره بالجملة فهذه الخاصية لاسيلى إلى إنكارها فى النطق وتمييزها عن الفعل وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعاً ولو جاز أن يكون معظماً لله عز وجل بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظماً لغيره موضوع بين يديه وهو غافل عنه أو يكون معظماً للحنائى الذى بين يديه وهو غافل عنه وإذا خرج عن كونه تعظيماً لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من الشقة ما يقصد الامتحان به ثم يحمله عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما أرى أن هذه العظيمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف إليها مقصود الناجاة فإن ذلك يقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره بل الضحايا والقرايين التى هى مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منك - أى الصفة التى استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر هى المطلوبة فكيف الأمر فى الصلاة ولا أرب فى أفضلها فهذا ما يدل من حيث المعنى على اعتراط حضور القلب . فان قلت إن حكمت يطلان الصلاة وجلت حضور القلب شرطاً فى صحتها خالفت إجماع الفقهاء فاتهم لم يشترطوا

(١) حديث ليس للمسلم من صلاته إلا ما عقل لم أجده مرفوعاً وروى محمد بن نسر المروزي فى كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبى دهرش مرسل لا يقبل الله من عبد عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الهذلى فى مسند الفردوس من حديث أبى بن كعب ولابن المبارك فى الزهد موقوف على عمار لا يكتب للرجل من صلاته ما سبه عنه (٢) حديث المصلى يناجى ربه متفق عليه من حديث أنس .

أكثر من حظوة القرية وشرف الحضور ومنزلة للكاشفة من غير وصول إلى درجة الخطاب بالولاية والفتوح إلى الله الأسر وذلك هذا السالك للذكر إذا وصل فى طريقه ذلك بحيث يصل للكاشفة وللشاهدة واليقين التام الذى يوجب المعرفة والعلم بتفاصيل العلوم فلا يتمتع أن يسمع ما يوحى لغيره من غير أن يقصد هو بذلك إذ هو محل صماع الوحي على الدوام وموضع اللاتكة وكفى بها أنها الحضرة الربوية وموسى عليه السلام ما استلقى الرسالة والنبوة ولا استوجب التكليم وسماع الوحي مقصوداً بذلك بملوئه فى هذا المقام الذى هو المرتبة الثالثة فقط بل قد استحق ذلك بفضل الله تعالى حين خصه بمعنى آخر ترقى إلى ذلك للمقام أضماً لما جاوز للرتبة الرابعة لأن آخر مقامات

إلا حضور القلب عند التكبير . فاعلم أنه قد تقدم في كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا في طريق الآخرة بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح وظاهر الأعمال كاف لسقوط القتل وتمزيق السلطان فأما أنه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على أنه لا يمكن أن يدعى الإجماع صدقاً على من جرحه الحارث فيارواه عنه أبو طالب للسكنى عن سفيان الثوري أنه قال من لم يخشع فسدت صلاته وروى عن الحسن أنه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع ومن معاذن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمداً وهو في الصلاة فلا صلاة له وروى أيضاً مستنداً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليصل الصلاة لا يكتب له سجدتها ولا حشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها (١) » وهذا لو قل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسكه وقال عبد الواحد بن زيد أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها فجعله إجماعاً وما نقل من هذا الجس عن الفقهاء للتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى والحق الرجوع إلى أدلة التبرع والأخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط إلا أن مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب في جميع الصلاة فإن ذلك يصح عنه كل البشر إلا الأقلين وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له إلا أن يشترط منه ما ينطق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاقصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية فإنه على الجملة أقدم على الفعل ظاهراً وأحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسياً صلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حاله أشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر أشد حالا من الذي يمرض عن الخدمة وإذا تعارض أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر خطراً في نفسه فإليك الخبرة بسد في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلامطعم في مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة فإن ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلاة علم أن الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا في باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد أن تصور الخلق أحد الأسباب للامانة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع فلتقتصر على هذا القدر من البحث فإن فيه مقما للريد الطالب لطريق الآخرة وأما الجادل للخصم فلنسا قصد مخاطبته الآن . وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة وأن أقل ما يبقى به ومق الروح الحضور عند التكبير فالتقصان منه هلاك وبقدرة الزيادة عليه تنبسط الروح في أجزاء الصلاة وكل من حى لأحراك به قريب من ميت فضلة الغافل في جميعها إلا عند التكبير كمثل حى لأحراك به نسأل الله حسن العون .

(بيان الغاني الباطنة التي تم بها حياة الصلاة)

اعلم أن هذه الغاني تكثر عبارات عنها ولكن يجمعها استجمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والحيية والرجاء والحياء فلذلك تفصيلها ثم أسبابها ثم العلاج في إكتسابها . أما التفاصيل فالأول حضور القلب ونفى به أن يخرج القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فكون العلم بالعمل والقول مفروفا بهما ولا يكون الفكر جائلا في غيرها ومهما استغرق الفكر من غير ما هو فيه وكان

(١) حديث إن العبد ليصل الصلاة لا يكتب له سجدتها ولا حشرها الحديث دق حب من حديث عمار بن ياسر بنحوه .

الأولياء أول مقامات الأنبياء وموسى عليه السلام نبى مرسل لغامه أهل بكثير مما نحن آخذون في أطرافه لأن هذا المقام الذى هو للرتبة الثالثة ليست من غايات مقام الولاية بل هو إلى مبادئها أقرب منه إلى غايتها فمن لم يهجم درجات المقام وخصائص النبوة وأحوال الولايات كيف يتعرض للكلام فيها والظن على أهلها هذا لا يصلح إلا لمن لا يعرف أنه مؤاخذ بكلامه محاسب بظنه ويقينه مكتوب عليه خطراته محفوط عليه لحظاته غلصا منه يقظاته وغفلاته فما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد . فإن قلت أراك قد أوجبت له نداء الله تعالى ونداء كلامه والله تعالى يقول - تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات - فقد نهى أن تكلم الله تعالى لمن

في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب ولكن التفتهم لعمري الكلام أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتبه القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس في تفهم الماني للقرآن والتسيبحات وكمن معان لطيفة يفهمها الصلي في أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم أمورا تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة . وأما التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب والفهم إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما . وأما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمى هائبا والخافة من القريب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الأسباب الخسيسة لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان للعظم يسمى مهابة والهيبة خوف مصدرها الاجلال . وأما الرجاء فلا شك أنه المدفك من معظم ملوكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته والبعد يبغي أن يكون راجيا بصلاته ثواب الله عز وجل كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل . وأما الحياء فهو زائد على الجلمة لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب . وأما أسباب هذه الماني الستة فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمتلك فلا يحضر إلا فيما يهتك ومهما أهملك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبي فهو مجبول على ذلك وسخر فيه والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعللا بل جاثلا في الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة والهمة لا تصرف إليها مالم يتبين أن الفرض المطلوب منوط بها وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلاة وسيلة إليها فاذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتنا حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة وبمثل هذه الهمة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عبد الناجاة مع ملك للمولا الذي يده الملك والملكوت والنفع والضرب فلا تظن أن له سببا سوى ضعف الإيمان فاجتهد الآن في تقوية الإيمان وطريقه يستقصي في غير هذا الوضع . وأما التفهم فببب بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك الشيء وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها أعني التزوع عن تلك الأسباب التي تنجذب الخواطر إليها ومالم تنقطع تلك اللواد لا تصرف عنها الخواطر فمن أحب شيئا أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك نرى أن من أحب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر وأما التعظيم فهي حالة للقلب تولد من معرفتين إحداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الإيمان فان من لا يستقد عظمته لا تدع عن النفس لتعظيمه . الثانية معرفة حقارة النفس وخسستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من معرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم ومالم تخرج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فان السخني عن غيره الأمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لأن القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه . وأما الهيبة والخوف فعلة للنفس تولد من المعرفة بقدرته الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة البالاة به وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة

كله من الرسل إنما هو على سبيل المبالغة في التفضيل وهذا لا يصلح أن يكون لغيره ممن ليس بنبي ولا رسول وإذا بان السبب وقصد بادر الشك العارض في مسالك الحقائق فنقول ليس في الآية ما يرد ما قلنا ولا يكسره لأننا ما أوجبنا أنه كلمه قصدا ولا توخاه بالخطاب عمدا وإنما قلنا يجوز أن يسمع ما يخاطب الله تعالى به غيره بما هو أعلى منه أليس من يسمع كلام إنسان مثلا مما يتكلم به غير السامع فيقال فيه إنه كلمه وقد حكى أن طائفة من بني إسرائيل سمعوا كلام الله تعالى الذي خاطب به موسى حين كلمه ثم إذا ثبت ذلك لم يجب لهم به درجة موسى عليه السلام ولا للمشاركة في نبوته ورسالته على أنا نقول نفس ورود الخطاب إلى السامعين من الله تعالى يمكن

ما يجري على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض ، وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الحشية والحمية وسيأتي أسباب ذلك في كتاب الخوف من ربح النجيات . وأما الرجاء فسيبه معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعظيم إنعامه ولطائف منحه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة ، فإذا حصل اليقين بوعده ولطفه انبثت من مجموعها الرجاء لا محالة . وأما الحياء فباستشماره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ويغري ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتنا وقلة إخلاصها وخبث دخلها وميلها إلى الخلق العاجل في جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بأنه مطلع على السرّ وخطرات القلب وإن دقت وخفيت وهذه المارف إذا حصلت يقيناً انبثت منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فلاجه إحضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الأسباب الإيمان واليقين أعني به هذه المارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقيناً انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم وقدر اليقين يغشخ القلب ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونعبدته فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه » ، وقد روى أن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام « يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تفتنض أعضاءك وكن عند ذكرى خاضعاً مطعماً وإذا ذكرتني فأجعل لسانك من وراء قلبك وإذا قلت بين يدي قم قيام العبد الدليل وتاجني قلب وجل ولسان صادق » ، وروى أن الله تعالى أوحى إليه « قل لصاة أمتك لا يذكرني فاني آليت على نفسي أن من ذكرني ذكرته فإذا ذكروني ذكرتهم بالله » هذا في عاص غير غافل في ذكره فكيف إذا اجتمعت الغفلة والسيان وباختلاف اللغز التي ذكرناها في القلوب اتسم الناس إلى غافل بنم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة منها وإلى من يتم ولم يقب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب المم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الأسطوانة في السجدة اجتمع الناس عليها وبضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ووجب قلب إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان يسمع على صليين وجماعة كانت تصفر وجوههم وترمد فراسهم وكل ذلك غير مستبعد فإن أضعافه مشاهد في هم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع مجرم وضعهم وخساسة الخطوط الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثه بمهنته ثم يخرج ولو مثل عمن حوالية أو عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الأخبار عنه لا شغل له به عن ثوبه وعن الحاضرين حوالية ولكل درجات مما عملوا فخط كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتواضعه فإن موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة رضي الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعم بها واللذة ولقد صدق لأنه يحشر كل على مامات عليه ويعوت على ما عاش عليه ويراعي في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الآخرة ولا ينجر إلا من آوى الله قلب سليم ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه .

(بيان السواء النافع في حضور القلب)

اعلم أن المؤمن لا بد أن يكون معظماً لله عز وجل وخائفاً منه وراجياً له ومستحيماً من تقصيره فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاً عنها في الصلاة لا سبب له إلا تفرق الفكر وتهميش الخاطر وغية القلب عن النجاة والغفلة عن الصلاة ولا يلهي عن الصلاة

الاختلاف فيه فيكون النبي للرسل يسمع كلام الله تعالى عز وجل الداني القديم بلا حجاب في السمع ولا واسطة بينه وبين القلب ومن دونه يسمعه على غير تلك الصورة مما يلحق في روعه وبما ينادي به في سمعه أو سره وأغياه ذلك كما ذكر أن قوم موسى عليه السلام حين سمعوا كلام الله سبحانه مع موسى أنهم سمعوا صوتاً كالشبور وهو القرآن فإذا صح ذلك فبينا بين التمامات اختلف ورود الخطاب لموسى يسمع كلام الله بالحقيقة الذي هو صفة له بلا كيف ولا صورة نظم الحروف ولا أصوات والذين كانوا معه أيضاً سمعوا صوتاً غلوفاً جعل لهم علامة ودلالة على صحة التكليم وخلق الله سبحانه لهم بذلك العلم الضروري وسمى ذلك الذي سمعوه كلامه إذ كان دلالة عليه كما تسمى التلاوة وهي الحروف المتلو بها

إلا الحواطر الواردة الشاغلة والدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الحواطر ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه فلتعلم سببه وسبب موارد الحواطر إما أن يكون أمرا خارجا أو أمرا في ذاته باطنا أما الخارج لما يقرع السمع أو يظهر للبصر فإن ذلك قد يختطف الهم حتى يقبضه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة إلى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم تصير بعض تلك الأفكار سببا لبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلبه ماجرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وأن يتفرق به فكره وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يقض بصره أو يصل في بيت مظلم أولا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ويعتزل من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة للصنوعة وعلى الفرش للصبغة ولذلك كان للتجبدون يتبدون في بيت صغير مظلم سعة قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهمم والأقوياء منهم كانوا يحضرون للساجد وينضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة في أن لا يعرفوا من على يمينهم ولهمالهم ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يدع في موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا إلا تزعه ولا كتابا إلا يحامه . وأما الأسباب الباطنة فهي أشد فأن من تشبث به المموم في أودية الدنيا لا ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب وغض البصر لا يفيده ، فإن ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يرد النفس قهرا إلى فهم ما يقرؤه في الصلاة ويشغلها به عن غيره ويبته على ذلك أن يستمد له قبل التحريم بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف للنجاة وخطر المقام بين يدي الله سبحانه وهو اللطع ويغري قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهيه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبي شيبة « إني نسيت أن أقول لك أن تحضر القدر الذي في البيت (١) » فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم فهذا طريق تسكين الأفكار فإن كان لا يسكن هوائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينبغي إلا للسهل الذي يجمع مادة الداء من أعماق العروق وهو أن ينظر في الأمور الصارفة الشاغلة عن إحضار القلب ، ولا شك أنها تعود إلى مهماته وأنها إنما صارت مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالتزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك الملائق فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند إبليس عدوه فامسكه أضرم عليه من إخراجها فيخلص منه بإخراجها كما روى أنه صلى الله عليه وسلم « لما لبس الخيضة التي أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها تزعا بعد صلاته ، وقال صلى الله عليه وسلم : اذهبوا بها إلى أبي جهم فانها ألتقى آتفا عن صلاتي واتوني بأبجانية أبي جهم (٢) . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجديد شركائه ثم نظر إليه في صلاته إذ كان جديدا فأمر أن ينزع منها ويرد الشركاء الخلق (٣) . وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نفاقا فحبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربي عز وجل كي لا يعقني ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه ، ثم أمر عليا رضي الله عنه أن يشتري له ثوبين سبطين جرداوين فلبسهما (٤) . وكان صلى الله عليه وسلم في يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر

- (١) حديث إني نسيت أن أقول لك تحضر القريتين اللذين في البيت الحديث د من حديث عثمان الحبشي وهو عثمان بن طلحة كافي مسند أحمد ووقع للمصنف أنه قال ذلك لعثمان بن شيبة وهو وهم (٢) حديث نزع الخيضة وقال اتوني بأبجانية أبي جهم متفق عليه من حديث عائشة وقد تقيم في العلم .
(٣) حديث أمره بنزع الشركاء الجديد ورد الشركاء الخلق إذ نظر إليه في صلاته ابن المبارك في الزهد من حديث أبي النضر مرسلا بإسناد صحيح (٤) حديث احتذى نفاقا فحبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربي الحديث أبو عبد الله بن حقيق في شرف الفقراء من حديث عائشة بإسناد ضعيف .

القرآن كلام الله تعالى
إدعى دلالة عليه . فإن
قلت فابق على السامع
إذا سمع كلام الله تعالى
الذي يستفيد معرفة
وحدانيته وقته أمره
ونبيه وفهم مراده
وحكمه يلحقه العلم
الضروري فيها أرى
بأنه الشيء المرسل
إلا بأن يشتغل باصلاح
الخلق دونه ولو كان
عوضا منه آخر
عنه ومقامه مقامه ؟
فاعلم أن الذي أوجب
عشورك ودوام ذلك
واعترافك على العلوم
بالجهل وعلى الحقائق
بالتخيل إنك بعيد
عن غور الطالب بعيد
في شرك اللطائف بعيد
صوب الصوت بعيد
صحب السحاب إن
الذي استحق به
الناظر السالك الواصل
للمرتبة الثالثة سمع
نداء الله تعالى معنى
ومقام وحال وخاصة
أعلى من تلك الأولى
وأجل وأكبر وبينهما
ما بين من استحق
للاوجهة بالخطاب
والقصد به وبين من

لا يستحق أكثر من
معاذ من يخاطب به
غيره فهذا من الإشارة
باختلاف ورود
الخطاب إليهما مما
يوجب تقورا وتباين
ما بينهما فإن فهمت
الآن وإلا فقد عني
لأنه يحال؟ فإن قيل
ألم يقل الله تعالى - فلا
يظهر على فيه أحدا
إلا من ارتضى من
رسول - ومما كلام
الله تعالى بحجاب أو
بغير حجاب وعلم ما في
اللكوت ومشاهدة
لللائكة وما غاب عن
الشاهدة والحس من
أجل الصوب فكيف
يطلع عليها من ليس
برسول قلنا في الكلام
حذف يدل على صحة
تقديره الشرح الصادق
والشاهدة الصورية
وهو أن يكون معناه
إلا من ارتضى من
رسول وتبين اتبع
الرسول بالإخلاص
والاستقامة أو عمل بما
جاءه النبي لأن النبي
صلى الله عليه وسلم قال
« اتقوا فراسة للؤمن
فانه ينظر بنور الله »

فرماه وقال شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم (١) « وروى « أن أباطلحة صلى في حائط وفيه شجر فأعجبه
دبى طائر في الشجر يتمسح بخر جافاً تبعه بصراً ساعة ثم لم يدركه صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما أصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضمه حيث شئت (٢) « . وعن رجل آخر أنه صلى
في حائط له والنخل مطوقة بشعرها فنظر إليها فأعجبه ولم يدركه صلى فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه وقال
هو صدقة فاجعه في سبيل الله عز وجل فباعه عثمان بخمسين ألفاً فكانوا يفعلون ذلك قطعاً لمادة الفكر
وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا ينبغي غيره فأما ما ذكرناه
من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الله كذا فذلك ينفع في الشهوات الضعيفة والمهم التي لا تشغل إلا حوائش
القلب فأما الشهوة القوية للرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تقلبك وتتقضى
جميع صلاتك في شغل المجاذبة ومثالها رجل تحت شجرة أراد أن يفعله فكره وكانت أصوات المصافير
تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويمود إلى فكره فجمود المصافير فيعود إلى التفتير بالخشبة
فقيل له إن هذا أسير السوانى ولا ينقطع فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوات
إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب المصافير إلى الأشجار وانجذاب القلب إلى
الأقدار والشغل يطول في دفعها فإن الدباب كلما ذاب وآب ولا وجه ميم ذباباً فكذلك الخواطر وهذه الشهوات
كثيرة وقلما يغلب العبد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا وذلك رأس كل خطيئة وأساس
كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى بباطنه على حب الدنيا بقي ماله إلى شيء منها لا يتزود منها ولا
ليستعين بها على الآخرة فلا يطمئن في أن تصفوله لله للنجاحة في الصلاة فإن من فرح بالدنيا لا يفرح بالله
سبحانه وبمناجاته وهمة الرجل مع قرعة عينه فإن كانت قرعة عينه في الدنيا انصرف لامحالة إليها معه ولكن مع
هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة ورد القلب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدواء المر والمرارة
استبشعته الطباع وبقيت العلة زمناً وصار الداء عضالاً حتى إن الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين
لا يجعدوا أنفسهم فيها بأموال الدنيا فعجزوا عن ذلك فاذن لا مطمع فيه إلا مثلاً ناوليته سلم لأن الصلاة شطرها
أو ثلثها من الوسواس لتكون ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وطول الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب
مثل الماء الذي يسب في قديم مخلوئ بخل فيقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخلل لا محالة ولا يجتمعان .

(بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة)

فقول حقا إن كنت من المريدين للآخرة أن لا تنفل أولاً عن التنبيهات التي في شروط الصلاة
وأركانها . أما الشروط السوابق فهي الأذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والاتصاب قائماً
والنية فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشم بظاهرك وباطنك
للإجابة وللإسراع فإن السارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون بالطف يوم العرض الأكبر فأعرض
قلبك على هذا النداء فإن وجدته مخلوئاً بالفرح والاستبشار مشحوناً بالرغبة إلى الابتداء فاعلم أنه
يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أرحنا يا بلال (٣) » أي أرحنا بها
وبالنداء إليها إذ كان قرعة عينه فيها صلى الله عليه وسلم وأما الطهارة فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرقتك

(١) حديث رمية بالحاتم الذهب من يده وقال شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم ن من حديث
ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان أن الحاتم كان ذهباً ولا فضة إنما هو مطلق (٢) حديث إن
أباطلحة صلى في حائط له فيه شجر فأعجبه ريش طائر في الشجر الحديث في سهوه في الصلاة وتصدقه
بالحائط . الك عن عبدالله بن أبي بكر أن أباطلحة الأنصاري فذكره بنحوه (٣) حديث بها أرحنا يا بلال
قط في الطل من حديث بلال ولأبي داود ومحوه من حديث رجل من الصحابة لم يسم باسناد صحيح .

الأبسد ثم في ثيابك وهي غلافك الأقرب ثم في بشرتك وهو قشرك الأدنى فلا تغفل عن بك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهر بها باطنك فانه موضع نظر معبودك . وأما ستر المورة فاعلم أن مضاه تشطية مقايح بدنك عن أبصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق لما بالك في عورات باطنك وفشاح سرائك التي لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل فأحضر تلك الفضائح يالك وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر عين عين الله سبحانه سائر وإنما ينفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد بأحزارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكانها فتدلى بها نفسك ويستكين تحت الحجة قلبك وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام البعد المجرم للسوء الأبق الذي ندم فرجع إلى مولاه تاكسا رأسه من الحياء والخوف . وأما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى أقرى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى أمر الله عز وجل ليس مطلوباً منك هيات فلا مطلوب سواء وإنما هذه الظواهر تحريكات للباطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالانبات في جهة واحدة حتى لا يتبني على القلب فانها إذا ثبتت وظلت في حركاتها والتفاتها إلى جهاتها استتبت القلب وانقلب به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك . فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفريغ عما سواه وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته أمه ^(١) » وأما الاعتدال قائماً قائماً هو مشول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقاً مطأطأ متنكساً وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبها على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن التروؤ والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول الطلوع عند العرض للسؤال . واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله عز وجل وهو مطلع عليك قم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومراقوب بعين كائنة من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح فانه تبدأ عند ذلك أطرافك وتخضع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز السكين إلى قلة الخشوع وإذا أحسست من نفسك بالهاسك عند ملاحظة عبد مسكين فماتب نفسك وقُل لها إنك تدعين معرفة الله ووجهه أفلا تستحيين من استجرائك عليه مع توقيرك عبداً من عباده أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق أن يخشى ولذلك لما قال أبو هريرة « كيف الحياء من الله قال صلى الله عليه وسلم تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك ^(٢) » وروى « من أهلك » . وأما النية فاعزم على إجابة الله عز وجل في أمثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه وطلباً للقربة منه متقلداً للمنة منه باذنه إليك في النجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجى وكيف تناجى وبماذا

(١) حديث إذا قام العبد إلى صلاته وكان وجهه وهواه إلى الله انصرف كيوم ولدته أمه لم أجده
(٢) حديث قال أبو هريرة كيف الحياء من الله قال تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك الخرائطي في مكارم الأخلاق حق في الشعب من حديث سعيد بن زيد مرسل بنحوه وأرسه حق بزائدة ابن عمر في السند وفي الطلق عن ابن عمر له وقال إنه أشبه شيء بالصواب لوروده من حديث سعيد بن زيد أحد الثمرة .

وهل يبقى إلا ما غاب عنه
أن ينكشف إليه
وقال « إن يكن منكم
محدثون فمصر » أو كما
قال « للؤمن ينظر
بنور الله » وفي القرآن
العزيز - قال الذي
عنده علم من الكتاب
أنا آتيك به قبل أن
يرتد إليك طرفك -
فلم ما غاب عن غيره
من إمكان بيان
ما وعد به وأراد أنه
قدر عليه ولم يكن
نيا ولا رسولا وقد أنبا
الله سبحانه وتعالى
عن ذي القرنين من
إخباره عن العلوم
الغيبية وصدق فيه حين
قال - فإذا جاء وعد
رب جملة دكاء وكان
وعد رب حقا - وإن
كان وقع الاختلاف
في نبوة ذي القرنين
فالأجماع على أنه ليس
برسول وهو خلاف
السطور في الآية
وإن دام أحد للدافعة
بالاحتياط لما أخبر به
فوا القرنين وما ظهر
على يدي الذي كان
عنده علم من الكتاب
وأراد أن يجوز على

تاجي وعند هذا ينبغي أن يرقى جبينك من الجبل وترتد فرائصك من الهية وصغر وجهك من الخوف . وأما التكبير فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله سبحانه فانه يشهد إنك لكاذب وإن كان الكلام صدقا كشهد على الناقين في قولهم إنه صلى الله عليه وسلم رسول الله فإن كان هوأك أغلب عليك من أمر الله عز وجل فأنت أطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته إلهك وكبرته فبوهك أن يكون قولك الله أكبر كلاما باللسان الجبرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وغضوه . وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قولك وجهي وجهي للذي فطر السموات والأرض وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك إنما وجهته إلى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجهه بذلك عليه وإعنا وجه القلب هو الذي توجه به إلى فاطر السموات والأرض فانظر إليه أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل على فاطر السموات وإياك أن تكون أول مفاتحتك للنجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه إليه وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك في الحال صدقا ، وإذا قلت حيفا مسلما فينبغي أن يخطر ببالك أن السلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فإن لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد في أن تعزم عليه في الاستقبال وتتم على ما سبق من الأحوال وإذا قلت أما أنا من الشركين فأخطر ببالك الشرك الحق فإن قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - نزل فيمن قصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن حلرا مشفقا من هذا الشرك واستشعر الحجة في قلبك إن وصفت نفسك بأنك لست من الشركين من غير براءة عن هذا الشرك فإن اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه وإذا قلت بحياي وعماي لله فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وأنه إن صدر عن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبة من الموت لأمر الدنيا لم يكن ملائما للحال وإذا قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم أنه عدوك ومهزود لصرف قلبك عن الله عز وجل حسدا لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له مع أنه لمن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وأن استعذتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك فإن من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو ليقتله فقال أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه فإن ذلك لا ينفعه بل لا يبيده إلا بتبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكروه الرحمن فلا يعنيه مجرد القول فليقرن قوله بالمعزم على التعمد بحسن الله عز وجل عن شر الشيطان وحسنه لا إله إلا الله إذ قال عز وجل فيها أخبر عنه نبينا **صلى الله عليه وسلم** **«لا إله إلا الله»** حتى فطن دخل حتى آمن من عبدي **«لا»** وللتحصن بمن لا معبود له سوى الله سبحانه فأنا من اتخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لافي حسن الله عز وجل . واعلم أن من مكابده أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات لينمك عن مهم ما تمترأ فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وبواس فإن حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها . فأما القراءة فالتاس فيها ثلاثة: رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمي من غيره وهي درجات أصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولا ثم يخدم اللسان القلب

(١) حديث قال الله تعالى لا إله إلا الله حسمي ك في التاريخ وأبو نعيم في الحلية من طريق أهل البيت من حديث على بن إسماعيل ضعيف جدا وقول أبي منصور الديلمي إ - ح - ث ثبت مردود عليه .

عمر التشبه بالحقائق لها يصنع فيها جرى للخضر وما أنبا الله سبحانه وأظهر عليه من العلوم الغيبية وهو بعد أن يكون نيا فليس برسول على الوفاق من الجميع والله تعالى يقول - إلا من ارتضى من رسول - فدل على أن في الآية حذف مضاف معناه ما تقدم وانظر إلى ما ظهر من كلام سعد رضي الله عنه أنه يرى لللافة وهو غيب الله وأعلم أبو بكر بما في البطن وهي من غيب الله وهواهد الشرع كثيرة جدا يعجز التأويل ويلهو المعاند هذا والقول بتخصيص المصوم أظهر من الجبرأة وأشهر بما قل الكافة ويعتمد أن يكون المراد في الآية بالرسول للذكور فيها ملك الوحي الذي بواسطته تنجلي الصوب وتنكشف الصوب فلي لم يرسل الله ملكا بإعلام غيب أو مخاطب متافهة أو إلقاء معنى في روع أو ضرب مثل

فيترجمه ففرق أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب وللقربون لسانهم ترجمان ينبع القلب ولا يتبعه القلب . وتفصيل ترجمة اللغوي أنك إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه وافهم أن معناها أن الأمور كلها بالله سبحانه وأن المراد بالاسم ههنا هو المسمى وإذا كانت الأمور بالله سبحانه فلا جرم كان الحمد لله ومعناه أن الشكر لله إذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر لا من حيث إنه مسخر من الله عز وجل ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى فإذا قلت الرحمن الرحيم فأحضر في قلبك جميع أنواع لطفه لتضع لك رحمة فينبعث بها رجاؤك ثم استر من قلبك التعظيم والخوف بجلالك مالك يوم الدين أما العظمة فلأنه لا ملك إلا له وأما الخوف فله يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقلوك ليالك نبيد وجدد السجود والاحتياج والتبري من المحول والقوة بقلوك وإياك نستعين ونحقق أنه ما تبسرت طاعتك إلا بأعانه وأن له لئله إذ وثق الله لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك أهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من اللطرودين مع الشيطان القمين ثم إذا فرغت من التوحد ومن قولك بسم الله الرحمن الرحيم ومن التعميد ومن إظهار الحاجة إلى الاعانة مطلقا فحينئذ سؤالك ولا تطلب إلا أم حجابك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا إلى جوارك ويغض بنا إلى مرضاتك وزده شرجا وتفصيلا وتأكيذا واستشهادا بالدين فأغض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائمين من اليهود والنصارى والصائبين ثم انغمس الاجابة وقل آمين فإذا تلاوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيها أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل »^(١) يقول الصديق الحمد لله رب العالمين فيقول الله عز وجل حمدني عبدي وأثنى علي وهو معنى قوله سمح الله لمن حمده الحديث الخ فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرأه من السور كما سيأتي في كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعد وعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر منته وإحسانه ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الأمر والنهي والاتعاظ حق للوعظة والشكر حق ذكر النعم والاعتبار حق إخبار الأنبياء . وروى أن زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى - فإذا قرأ في الناقور - خر ميتا وكان إبراهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى - إذا السماء انشقت - اضطرب حتى تضطرب أوصاله وقال عبد الله بن واقد رأيت ابن عمر يصلي فسلوا عليه وحق له أن يحترق قلبه بوعده سيده ووعيده فانه عبد مذنب ذليل بين يدي جبار قاهر وتكون هذه اللغوي بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضا ثم راعى الهيأة في القراءة فبرتل ولا يسرد فان ذلك أيسر للتأمل ويفرق بين نغماته في آية الرحمة والمذاب والوعود والوعيد والتعظيم والتعجيد . كان النخعي إذا مر برتل قوله عز وجل - ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله - يخفض صوته كالمنسجي عن أن يذكره بكل شيء لا يطيق به وروى أنه يقال لقارئ القرآن « اقرأ وأرق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا »^(٢) .

(١) حديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث م عن أبي هريرة (٢) حديث يقال لصاحب القرآن اقرأ وأرق ذات ن من حديث عبد الله بن عمر وقال ت حسن صحيح .

في بقطة أو مقام لم يكن إلى علم ذلك الغيب سبيل ويكون تقدير الآية فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول أن يرسله إلى من يشاء من عباده في بقطة أو مقام فانه يطلع على ذلك أيضا ويكون فائدة الاخبار بهذا في الآية الامتنان على من رزقه الله تعالى علم شيء من مكنوناته وإعلامه أنه لا تصل إليها قوة ولا مخلوق سواء إلا بالله تعالى حين أرسل إليه الملك بذلك وبمشة الله حتى يتبرأ المؤمن من حوله ومن حوله كل مخلوق وقوته ويرجع إلى الله تعالى وحده ويحقق أنه لا يرد عليه شيء من علم أو معرفة أو غير ذلك إلا بإرادته ومشيئته ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون معناه والله أعلم فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى يريد من سائر خلقه وأصناف عباده ويكون معني من

رسول أي عن يد
رسول من اللائكة .

[فصل] ومعنى ولا

يشغل رقاب الصديقين

إن قلت ما الذي أوصه

إلى مقامهم أو جاوز به

ذلك وهو في المرتبة

الثالثة حال للقرنين

ما وصل حيث ظننت

فكيف يجاوزه وإنما

خاصة من هو في مرتبة

الصديقين عدم السؤال

لكثرة التحق

بالأحوال وخاصة من

هو في رتبة القرب

كثرة السؤال طمعا

في بلوغ الآمال ومثالها

فيما أشير إليه مثال

إنسانين دخلتا في بستان

أحدهما يعرف جميع

أنواع نبات البستان

ويتحقق أنواع تلك

الثمار ويعلم أسماءها

ومنافعها فهو لا يسأل

عن شيء مما يراه ولا

يحتاج إلى أن يخبر به

والثاني لا يعرف مما

رأى شيئا أو يعرف

بعضا ويجهل أكثر

مما يعرف فهو يسأل

ليصل إلى علم الباقي

وذلك من تكلمنا

عليه حين أكثر

وأما موام القيام فانه تنبيه على إقامة القلب مع الله عز وجل على نيت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل مقبل على الصلي ما لم يلتفت ^(١) » وكما يجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة فاذ التفت إلى غيره قد كره باطلاع الله عليه وبقيح التهاون بالتأجي عند غفلة التأجي ليعود إليه وألزم الخشوع للقلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خضع الباطن خضع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى رجلا صلياً يبث بلحيته « أما هذا لو خضع قلبه لخشعت جوارحه » فان الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء « اللهم أصلح الراعي والرعية ^(٢) » وهو القلب والجوارح وكان الصديق رضي الله عنه في صلاته كأنه وتد وابن الزبير رضي الله عنه كأنه عود وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع المصافير عليه كأنه حماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يظلم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك وكل من يطمئن بين يدي غير الله عز وجل خاشعا وتضطرب أطرافه بين يدي الله عابثا فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن اطلاعه على سوره وضميره وقال عكرمة في قوله عز وجل - الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين - قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه . وأما الركوع والسجود فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيبرا بفؤ الله عز وجل من عقابه بتجديد نية ومبتغا سنة فيه ^(٣) ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجهدا في ترفيق قلبك وتجهيدا خشوعك وتستشعر ذلك وعزمولاك واتضاعك وعلورك وتستنعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكد كده بالتكرار ثم ترتفع من ركوعك راجيا أنه راحم لك ومؤكدا للرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده أي أجاب لمن شكره ثم تردف ذلك الشكر المتقاضى للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكرر الحمد بقولك ملء السموات وملء الأرض ثم تهوى إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه من أدل الأشياء وهو التراب وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الأرض فاقبل فانه أجلب للخشوع وأدل على الدل وإذا وضعت نفسك موضع الدل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت القرع إلى أصله فانك من التراب خلقت وإليه تعود فتجد هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربّي الأعلى وأكده بالتكرار فان الكثرة الواحدة ضئيلة الأثر فاذا رقى قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك في رحمة الله فان رحمة تتسارع إلى الضعف والدل لا إلى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم أوما أردت من الدعاء ثم أكد التواضع بالتكرار فقد إلى السجود ثانيا كذلك وأما التشهد فاذا جلست له فاجلس متأدبا وصرح بأن جميع ما تدلى به من الصلوات والطيبات أي من الأخلاق الطاهرة لله وكذلك للملك لله وهو معنى التحيات وأحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق أملك في أنه يلزم ويرد عليك ما هو أوفى منه ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاما وافيًا بمدد عباد الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولحمدينيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله سبحانه بإعادة كل شاة الشهادة ومستأخا لتحصن بها ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء للأتور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال

(١) حديث إن الله قبل على الصلي ما لم يلتفت د ن ك وصح إسناده من حديث أبي ذر

(٢) حديث اللهم أصلح الراعي والرعية لما نقله على أصل وفسره للصف بالقلب والجوارح .

أسطوانة في السجد وهو في الصلاة وتأكل كل طرف من أطراف بعضهم واحتيج فيه إلى القطع فلم يمكن منه قليل إنه في الصلاة لا يحس بما يجري عليه ققطع وهو في الصلاة وقال بعضهم الصلاة من الآخرة فإذا دخلت فيها خرجت من الدنيا وقليل آخر هل تحدث نفسك بشيء من الدنيا في الصلاة فقال لا في الصلاة ولا في غيرها وسئل بعضهم هل تذكر في الصلاة شيئاً فقال وهل شيء أحب إلى من الصلاة فأذكره فيها وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول من قته الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس وروى أن عمار بن ياسر صلى صلاة فأخفها قليل له خفت يا أبا اليقظان فقال هل رأيتوني تقصت من حدودها شيئاً قالوا لا قال إني بادرت سهو الشيطان إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ^(١) » ويقال إن طلحة والزيير وطائفة من الصحابة رضي الله عنهم كانوا أخف الناس صلاة وقالوا ينادر بها وسوسة الشيطان وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال طي للنبر إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكل قته تعالى صلاة قيل وكيف ذلك؟ قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها . وسئل أبو العالية عن قوله - الذين هم عن صلاتهم ساهون - قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدري طي كم ينصرف إلى شفع أم طي وتر؟ وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج . وقال بعضهم هو الذي إن صلاها في أول الوقت لم يفرح وإن أخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها خيراً ولا تأخيرها إنما . واعلم أن الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب بعضها دون بعض كإدلت الأخبار عليه وإن كان الفقيه يقول إن الصلاة في الصحة لا تتجزأ ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دل عليه الأحاديث إذ ورد جبر نقصان الفرائض بالنوافل ^(٢) وفي الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرائض نجاً مني عبدي وبالنوافل تقرب إلى عبدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي إلا بأداء ما اقترضته عليه ^(٣) » وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم « صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما انفل قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب رضي الله عنه فقال قرأت سورة كذا وتركت آية كذا لما ندرى أنسحت أم رفعت فقال أنت لها يا أبي ثم أقبل طي الآخرين فقال ما بال أقوام يحضرون صلاتهم ويسمون صفوفهم ونيهم بين أيديهم لا يدرون ما ينلو عليهم من كتاب ربهم ألا إن بني إسرائيل كذا فعلوا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن قل لقومك تحضروني أبدانكم وتمطونني ألسنتكم وتغيثونني قلوبكم باطل ما تذهبون إليه ^(٤) » وهذا يدل على أن استماع ما يقرأ الإمام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم إن الرجل يسجد السجدة عنده أنه تقرب بها إلى الله عز وجل ولو قسمت ذنوبه في سجده على أهل مدينته لهلكوا قبل وكيف يكون ذلك قال يكون ساجداً عند الله وقلبه مصغ إلى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه

(١) حديث إن عمار بن ياسر صلى فأخفها قليل له خفت يا أبا اليقظان الحديث وفيه إن العبد ليصلي صلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها إلى آخره أحمد بإسناد صحيح وتقدم للرفع عنه وهو عند دن (٢) حديث جبر نقصان الفرائض بالنوافل أصحاب السنن والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته وفيه فإن انتقص من فرضه شيئاً قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدي من قطوع فيكمل بها ما نقص من القرصة (٣) حديث قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي إلا بأداء ما اقترضت عليه لم أجده (٤) حديث صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما انفل قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب الحديث رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة مراسلاً وأبو منصور الديلمي من حديث أبي بن كعب ورواهن مختصراً من حديث عبد الرحمن بن أبي رزي بإسناد صحيح.

أكل صنعا ولو كان وادّخره مع القدرة كان ذلك جهلاً يناقض الكرم الإلهي وإن لم يكن قادراً عليه كان ذلك هجراً يناقض القدرة الإلهية فكيف يقضى عليه بالجزء فيها لم يحلقه اختياراً وكان ذلك ولم ينسب إليه ذلك قبل خلق العالم ويقال إذا خار إخراج العالم من العدم إلى الوجود هجراً مثل ما قيل فيما ذكرنا وما الفرق بينهما وذلك لأن تأخير العالم قبل خلقه عن أن يخرج من العدم إلى الوجود يقع تحت الاختيار الممكن من حيث إن الفاعل المختار له أن يفعل فإذا فعل فليس في الامكان أن يفعل إلا أنها بما تقتضيه الحكمة التي عرفنا أنها حكمة ولم يعرفنا بذلك إلا لنعلم بجاري أفعاله ومصادر أموره وأن تتحقق أن كل ما اقتضاه ويقتضيه عن خلقه بطله وإرادته وقدرته إن ذلك طي غاية الحكمة ونهايه

هذه صفة الخاشعين فدلّت هذه الحكايات والأخبار مع ما سبق على أن الأصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب وأن مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد والله أعلم نسأل الله حسن التوفيق .

(الباب الرابع في الإمامة والقعدة)

وفي أركان الصلاة وبهد السلام وعلى الإمام وظائف قبل الصلاة وفي القراءة

أما الوظائف التي هي قبل الصلاة فستة : أولها أن لا يتقدم للإمامة على قوم يكرهونه فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرين فإن كان الأقليون هم أهل الخبر والدين فالنظر إليهم أولى وفي الحديث « ثلاثة لا تجاوز صلاحهم ردهم : العبد الأبق واسرائيل وزوجها ساخط عليها وإمام أمّ قوما وهم له كارهون » (١) وكأني عن تقدمه مع كراهتهم فكذلك ينهي عن التقدم إن كان وراءه من هو أقدم منه إلا إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم فإن لم يكن شيء من ذلك فليتقدم بها تقدم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة ويكره عند ذلك للدخول قد قيل إن قوما تدافعوا الإمامة بعد إقامة الصلاة فخصف بهم وماروى من مدافعة الإمامة بين الصحابة رضي الله عنهم فسيب إشارهم من رأوه أنه أولى بذلك أو خوفهم على أنفسهم السهو وخطر ضمان صلاحهم فإن الأئمة ضمانهم وكان من لم يتعمد ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الإخلاص في صلاته حياء من القتدين لاسيا في جهره بالقراءة فكان لا حترار من احتراز أسباب من هذا الجنس . الثانية إذا خير المرء بين الأذان والإمامة فينبغي أن يختار الإمامة فإن لكل واحد منهما فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغي أن يكون الإمام غير المؤذن وإذا تعذر الجمع فالإمامة أولى وقال قائلون الأذان أولى لما قلناه من فضيلة الأذان لقوله ﷺ « الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن » (٢) وقالوا فيها خطر الضمان وقال صلى الله عليه وسلم « الإمام أمين فاذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا » (٣) وفي الحديث « فإن أتم فله ولهم وإن نقص فعليه لأعلمهم » (٤) ولأنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين » (٥) والمغفرة أولى بالطلب فإن الرشد يراد للمغفرة وفي الخبر « من أتم في (١) مسجد سبع سنين وجبت له الجنة بلا حساب ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب » (٦) ولذلك نقل عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يدافعون الإمامة والصحيح أن الإمامة أفضل إذ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما والأئمة بعدهم ، نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما أن رتبة الإمامة والخلافة أفضل لقوله ﷺ « ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة » (٧)

(الباب الرابع)

(١) حديث ثلاثة لا تجاوز صلاحهم وسنهم : العبد الأبق الحديث ت من حديث أبي أمامة وقال حسن غريب وضعفه هق (٢) حديث الامام ضامن والمؤذن مؤتمن د ت من حديث أبي هريرة وحكي عن ابن للدين أنه لم يشته ورواه أحمد من حديث أبي أمامة بإسناد حسن (٣) حديث الامام أمين فاذا ركع فاركعوا الحديث خ من حديث أبي هريرة دون قوله الامام أمين وهو بهذه الزيادة في مسند الحميدى وهو متفق عليه من حديث أنس دون هذه الزيادة (٤) حديث فإن أتم فله ولهم وإن اتقص فعليه ولا عليهم د ه ك وصححه من حديث عقبة بن عامر والبخارى من حديث أبي هريرة يصلون بكم فإن أصابوا فلكم وإن أخطأوا فلكم وعليهم (٥) حديث اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين هو بقية حديث الامام ضامن وتقدم قبل بحديثين (٦) حديث من أذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ت ه من حديث ابن عباس بالشرط الأول نحوه قال ت حديث غريب (٧) حديث ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة

(١) قوله من أم الخ هكذا هو في النسخ وهو الموافق لكلام المصنف ولكن في المراقى والشارح لفظا وإن في الوضعين فليحذر الحديث اه .

الاتقان وبلغ جودة الصنع ليجعل كمال ماخلق دليلا قاطعا وبرهانا على كماله في صفات جلاله للوجبة لإجلاله فلو كان ماخلق ناقصا بالإضافة إلى غيره ما قدر على خلقه ولو لم يخلق لكان يظهر النقصان للدعى على هذا الوجود من خلقه كما يظهر على ما خلقه على غير ذلك ويكون الجميع من باب الاستدلال على ما صنع من النقصان قطعا وما يحمل عليه من القدرة على أكل منه ظنا إذ خلق للخلق عقولا وجعل لهم فهمها وعرفهم ما أحسن وكشف لهم ما حجب وأجن فيكون من حيث عرفهم بكماله دلهم على قصه وس حيث أعلمهم بقدرته بصرفهم بجزه فتعالى الله رب العالمين الملك الحق المبين وأيضا فلا يفترض هنا وينز به إلا من لا يعرف مخلوقاته ولم يصرف الكلام الصحيح في مشابه ذلك

ولكن فيها خطر ولذلك وجب تقديم الأفضل والأفقه فقد قال صلى الله عليه وسلم « أئمتكم شفعاؤكم أوقال وفدكم إلى الله فان أردتم أن تزكوا صلاتكم قدموا خياركم » (١) وقال بعض السلف ليس بعد الأنبياء أفضل من الماء ولا بعد الماء أفضل من الأئمة الصليين لأن هؤلاء قاموا بين يدي الله عز وجل وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعقاد الدين وهو الصلاة وهذه الحاجة احتج الصحابة في تقديم أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعنه وللخلاف إذ قالوا نظرنا فإذا الصلاة عماد الدين فاخترنا لدنيانا من رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينا (٢) « وما قدموا بلالا احتجاجا بأنه رضى للأذان » (٣) « وماروى أنه قال له رجل يا رسول الله « دنى على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا قال لا أستطيع قال كن إماما قال لا أستطيع فقال صل بإزاء الامام » (٤) « فله ظن أنه لا يرضى بإمامته إذ الأذان إليه والامامة إلى الجماعة وتقديمهم ثم بعد ذلك نؤمن أنه ربما يقدر عليها . الثالثة أن يراعى الامام أوقات الصلوات فيصل في أوائلها ليدرك رضوان الله سبحانه تفضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا (٥) هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث « إن العبد ليصلي الصلاة في آخر وقتها ولم تنته ، ولما فاتته من أول وقتها خير له من الدنيا وما فيها » (٦) « ولا ينبغي أن يؤخر الصلاة لا تنظار كثرة الجماعة بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت فهي أفضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا إذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث وإذا حضر أربعة في الجماعة لم ينتظروا الخامس وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا في سفر وإماما تأخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصل بهم حتى قامت رسول

الطبراني من حديث ابن عباس بسند حسن بلفظ ستين (١) حديث أئمتكم وفدكم إلى الله تعالى فان أردتم أن تزكوا صلاتكم قدموا خياركم قط حق وضعف إسناده من حديث ابن عمر والبخاري وابن قانع والطبراني في معاجهم وله من حديث مرثد بن أبي مرثد نحوه وهو منقطع وفيه يحيى بن يحيى الأسلى وهو ضعيف (٢) حديث تقديم الصحابة أبا بكر وتولم اخترنا لدنيانا من اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينا ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة من حديث طي قال لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلي بالناس وإني لشاهد ما أنا بنائب ولأبي مرض فرسينا لدنيانا ما رضى به النبي صلى الله عليه وسلم لدينا وللرفع منه متفق عليه من حديث عائشة وأبي موسى في حديث قال مروا أبا بكر فليصل بالناس (٣) حديث تقديم الصحابة بلالا (٤) احتجاجا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى للأذان أما للرفع منه فرواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث عبد الله بن زيد في بدء الأذان وفيه قم مع بلال فألقى عليه مارأيت فليؤذن به الحديث وأما تقديمهم له بعد موت النبي ﷺ فروى الطبراني أن بلالا جاد إلى أبي بكر فقال يا خليفة رسول الله أردت أن أربط نفسي في سبيل الله حتى أموت فقال أبو بكر أنشدك بالله يا بلال وحرمتي وحقى لقد كبرت سننى وضعفت قوتي واقترب أجلى فأقام بلال معه فلما توفي أبو بكر جاء عمر فقال له مثل ما قال لأبي بكر فابى عليه فقال عمر فمن يا بلال فقال إلى سعد فانه قد أذن بقباء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمر الأذان إلى سعد وعقبه وفي إسناده جهالة (٤) حديث قال له رجل يا رسول الله دنى على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا الحديث البخاري في التاريخ والحقيل في الضعفاء وطب في الأوسط من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف (٥) حديث فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا أبو منصور الديلى في مستند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٦) حديث إن العبد ليصلي الصلاة في أول وقتها ولم تحته الحديث الدارقطنى من

(١) قول الراوى تقديم الصحابة بلالا لعل للناس عدم تقديمه فليتامل

أصلا في العلم أو كان نسحا له ومعنى تيس عليه غيره وأما انكشافه بخبر ممن رزق علم ذلك كان بطلان العلم في حق المخبر إذ أنشاء لسير أهله وأهده لمن لا يستحقه كإروى عن عيسى بن نينا وعليه السلام: لا تطلقوا البرق أعناق الخنازير. وإنما أراد قطاع العلم غير أهله وقد جاء لا تمنوا الحكمة أهلها تظلموا ولا تضعوها عند غير أهلها تظلموها وأما سر العلم الذى يوجب كشفه بطلان الأحكام فان كان كشفه من الله سبحانه قلوب صفة بطلت الأحكام في حقها لمن يطلع عليه في ذلك السر من معرفة مآل الأشياء وعواقب الخلق وكشف أسرار العبادة وما يظن من مقدور فمن عرف نفسه مثلا أنتمن أهل الجنة لم يصل ولم يصم ولم ينسب نفسه في خير وكذلك لو انكشف له أنه من أهل النار كن

أيهما كه فلا يحتاج
إلى تصب زائد ولا تصيه
مكابدة فلو عرف كل
واحد عاقبه ومآله
بطلت الأحكام الجارية
عليه وإن كان
كشفها من غير
استدراج الضعيف إلى
ما يسمع من ذلك
فيتعطل ويتخرم حاله
ويضل قيده وبعد
هذا فلا يعمل كلام
سهل إلا على ما يقدر
لا على ما يوجد ولذلك
جعلهم مقرونا بحرف
لو الدال على امتناع
الشيء لامتناع غيره
كما يقال لو كان للإنسان
جناحان لطار ولو
كان للسماء درج
لصعد عليها ولو كان
البشر ملكا لفقد
الشموات فعلى هذا
يخرج كلام سهل في
ظاهر العلم .

[فصل] وأما خطاب
العقلاء للجمادات فغير
مستنكر قديما ندب
الناس الديار وسألوا
الأطلسل واستخبروا
الآثار وقد جاء في أشعار
العرب وكلامها من
ذلك كثير وفي حديث

الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها قال فأشفقنا من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد أحسنتم هكذا فافعلوا» (١) وقد تأخر في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضي الله عنه حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فقام إلى جانبه (٢)، وليس على الإمام انتظار المؤذن وإنما على المؤذن انتظار الإمام للأقامة فإذا حضر فلا ينتظر غيره . الرابعة أن يؤتم محضاً لله عز وجل ومؤدياً أمانة الله تعالى في طهارته وجميع شروط صلاته أما الإخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجره فقد أمر رسول الله ﷺ عثمان بن أبي العاص الثقفي وقال اتخذ مؤذناً لا يأخذ على الأذان أجراً (٣) فالأذان طريق إلى الصلاة فهي أولى بأن لا يؤخذ عليها أجر فإن أخذ رزقاً من مسجد قد وقف على من يقوم بإمامته أو من السلطان أو أحاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهية في القرائن أئتم منها في التراويح وتكون أجره له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في إقامة الجماعة لا على نفس الصلاة . وأما الأمانة فهي الطهارة باطناً عن الفسق والكبائر والأصرار على الصغائر فالترشح للإمامة ينبغي أن يحرز عن ذلك بجهده فانه كالوقد والشفيح للقوم فينبغي أن يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهراً عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواء فإن تذكر في أثناء صلاته حدثاً أو خرج منه ريح فلا ينبغي أن يستحي بل يأخذ يده من يقرب منه ويستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنابة في أثناء الصلاة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة (٤) وقال سفيان «صلى خلف كل بر وفاجر إلا ممن خمر أو معلن بالفسوق أو عاق لوالديه أو صاحب بدعة أو عبد آبق . الخامسة أن لا يكبر حتى تستوي الصفوف فليفت بعيناً وشملاً فإن رأى خلافاً أمر بالتسوية ، قيل كانوا يتعاضدون بالمناكب ويتضامون بالكمام ولا يكبر حتى يفرغ للمؤذن من الإقامة والمؤذن يؤخر الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس في الصلاة ففي الخبر «لا يتمل للمؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه وللمتصر من اعتصامه» (٥) وذلك لأنه نهى عن مدافعة الأخشين (٦) وأمر بتقديم العشاء على العشاء (٧) طلباً لفراغ القلب . السادسة أن يرفع صوته بتكبيره الاحترام وسائر التكبيرات ولا يرفع الساموم صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الإمامة لينال الفضل فإن لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم إذا نواوا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الإمامة ، ولؤخر الساموم تكبيره عن تكبيره الإمام فيبتدى بعد فراغه واقه أعلم . وأما وظائف القراءة فثلاثة : أولها

حديث أبي هريرة نحوه بإسناد ضعيف (١) حديث تأخر رسول الله ﷺ يوماً عن صلاة القبر وكان في سفر وإنما تأخر للطهارة فقدموا عبد الرحمن بن عوف الحديث متفق عليه من حديث العبرة . (٢) حديث تأخر في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد (٣) حديث اتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجره أصحاب السنن وك وصححه من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي (٤) حديث تذكر النبي ﷺ الجنابة في صلاته فاستخلف واغتسل ثم رجع د من حديث أبي بكره بإسناد صحيح وليس فيه ذكر الاستخلاف وإنما قال ثم أوماً إليهم أن مكانكم الحديث وورد الاستخلاف من فعل عمر وعلى وعندنا استخلاف سمر في قصة طه (٥) حديث يتمل للمؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه وللمتصر من اعتصامه ، ت ك من حديث جابر : يا بلال اجمل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ الآكل من أكله والشارب من شربه وللمتصر إذا دخل لقضاء حاجته قالت إسناده مجهول وقال ك ليس في إسناده سطعون فيه غير عمرو بن قايذ قلت بل فيه عبد التميم الدياجي منكر الحديث قاله غيره (٦) حديث النهي عن مدافعة الأخشين م لمن حديث عائشة بلفظ لا صلاة ولا يهتق لا يصلين أحدكم الحديث (٧) حديث الأمر بتقديم العشاء على العشاء تقدم من حديث ابن عمر وعائشة إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابتدءوا بالعشاء متفق عليه .

أن يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمتمرد ويجهر بالمعنية والسورة بعدها في جميع الصبح وأوابي
العشاء والغرب وكذلك للنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم
تأمينه بتأمين الإمام مع اللاحقة (١) ويجهر بيسم الله الرحمن الرحيم والأخبار فيه متعارضة (٢) واختيار
الشافعي رضي الله عنه الجهر . الثانية أن يكون للإمام في القيام ثلاث سككات (٣) هكذا رواه سمرة بن
جندب وعمران بن الحصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاهن إذا كبر وهي الطولى منهن
مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فإنه إن لم يسكت يفوته
الاستماع فيكون عليه ما قص من صلاتهم فإن لم يقرأوا الفاتحة في نكوتهم واشتغلوا بغيرها فذلك عليه
لأعليهم . السككة الثانية إذا فرغ من الفاتحة لبث من يقرأ الفاتحة في السككة الأولى فاتحته وهي
كنصف السككة الأولى . السككة الثالثة إذا فرغ من السورة قبل أن يركع وهي أخفها وذلك
بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهى عن الوصل فيه ولا يقرأ المأموم وراء الإمام إلا الفاتحة
فإن لم يسكت الإمام قرأ فاتحة الكتاب معه وللقصر هو الإمام وإن لم يسمع المأموم في الجهرية بعده
أو كان في السرية فلا بأس بقراءة السورة . الوظيفة الثالثة أن يقرأ في الصبح سورتين من اللذان
مادون المائة فإن الاطالة في قراءة الفجر والتفليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الاسفار ولا
بأس بأن يقرأ في الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين إلى أن يختمها لأن ذلك لا يتكرر
على الأسماع كثيراً فيكون أبلغ في الوعظ وأدعى إلى التفكير وإعنا كره بعض العلماء قراءة بعض
أول السورة وقطعها وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر
موسى وفرعون قطع فركع (٤) وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ في الفجر آية من البقرة (٥) وهي
قوله - قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا - وفي الثانية - ربنا آمنا بما أنزلت - وسمع بلالا يقرأ
من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال أخطط الطيب بالطيب فقال أحسنت (٦) ويقرأ في الظهر

(١) حديث الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم قطك وصححه من حديث ابن عباس (٢) حديث
ترك الجهر بها م من حديث أنس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فلم أسمع أحدا
منهم يقرأ بيسم الله الرحمن الرحيم وللنساء يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم (٣) حديث سمرة بن جندب
وعمران بن حصين في سككات الإمام أحمد من حديث سمرة قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
سككات في صلاته وقال عمران أنا أحفظها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبوا في ذلك إلى
أبي بن كعب فكتب إن سمرة قد حفظ هكذا وجدته في غير نسخة صحيحة من السند والمعروف أن
عمران أنكر ذلك على سمرة هكذا في غير موضوع من السند وده حب وت فأنكر ذلك عمران وقال
حفظا سككة وقال حديث حسن انتهى وليس في حديث سمرة إلا سككتان ولكن اختلف عنه في محل
الثانية فروى عنه بعد الفاتحة وروى عنه بعد السورة ولقط من حديث أبي هريرة وضعه من صلى
صلاة مكتوبة مع الإمام فليقرأ فاتحة الكتاب في سككاته (٤) حديث قرأ بعض سورة يونس فلما
انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع وركع م من حديث عبد الله بن السائب وقال سورة المؤمنين
وقال موسى وهرون وعلقه خ (٥) حديث قرأ في الفجر - قولوا آمنا بالله - الآية ، وفي الثانية -
ربنا آمنا بما أنزلت - م من حديث ابن عباس كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما - قولوا
آمنا بالله وما أنزل إلينا - الآية التي في البقرة وفي الآخرة منهما - آمنا بالله واشهدوا بأننا مسلمون -
و من حديث أبي هريرة - قل آمنا بالله وما أنزل علينا - الآية وفي الركعة الآخرة - ربنا آمنا
بما أنزلت - أو - إنا أرسلناك بالحق - (٦) حديث سمع بلالا يقرأ من ههنا ومن ههنا فسأله عن ذلك
فقال أخطط الطيب بالطيب فقال أحسنت د من حديث أبي هريرة باسناد صحيح نحوه .

الذي صلى الله عليه
وسلم ه اسكن أحد
فإنما عليك نبي وصديق
وشهيدان ه وقال بعضهم
سأل الأرض تخبرك
عن شئ أنت لها
وغير جارها وقتي
أهواءها ورتق
أحواءها وأرسي جبالها
إن لم تحبك أجابتك
اعتبارا وإعنا الذي
يتوقف على الأذهان
ويتحير في قوله
السامعون وتتعجب
منه العفول هو كيفية
كلام الجملات
والحيوانات الصامتات
في هذا وقع الإنكار
واضطرب النظر
وكذب في تصحيح
وجوده ذو السمع من
الاعتبار ولكن لتعلم
أن تلقى الكلام للعقل
من لم يقل عنه في
الشهود يكون على
جهات من ذلك مع
الكلام الذي كالتلقي
من أهل النطق إذا
قصودوا إلى نظم اللفظ
وذلك أكثر ما يكون
للأنبياء والرسل
صلوات الله عليهم في
بعض الأوقات كحين

الجنح للنبي صلى الله عليه وسلم وكان حجر يسلم عليه في طريقه قبل مبته ومنها تلقى الكلام في حس السامع من غير أن يكون له وجود من خارج الحس ويستري هذا سائر الحواس كشكل ما يسمع النائم في منامه من مثال شخص من غير مثال والمثال الرق للنائم ليس له وجود في حسه وأما ما يعده غير النائم في اليقظة فمنها خاصة وعامة ، فقد ورد أن الحجر في زمن عيسى بنادى المسلم يا مسلم خلفي يهودى فآتله وإن لم يخلق الله تعالى للحجر حياة ونطقا ويذهب عنه معنى الحجرية أو يوكل بالحجر من يشكلم عنه ممن يستر عن الأبصار في الهادة من اللائكة والجن أو يكون كلام يخلقه الله عز وجل في أذن السامع ليفيده العلم باختفاء اليهودى حتى يقتله وكما يقال في العرض الأكبر يوم

بطوال الفصل إلى ثلاثين آية وفي العصر ينصف ذلك وفي المغرب بأواخر الفصل وآخر صلاة صلاحها رسول الله صلى الله عليه وسلم للمغرب قرأ فيها سورة المرسلات ماضى بعدها حتى قبض (١) . وبالجملة التخفيف أولى لاسيما إذا كثر الجمع قال صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة « إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضيف والكبير وإذا الحاجة وإذا صلى لنفسه فليطول ماشاء (٢) » وقد كان معاذ ابن جبل يصلى بقوم العشاء قهراً البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم نفسه فقالوا نافع الرجل فتشاكيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر رسول الله ﷺ معاذاً فقال أتان أنت يا معاذ أقرأ سورة تسبح والهاء والطارق والشمس وضحاها (٣) . وأما وظائف الأركان الثلاثة : أولها أن يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسيبجات على ثلاث قد روى عن أنس أنه قال ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام (٤) ، ثم روى أيضاً أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميراً بالمدينة قال ماضيت وراء أحد أشبه صلاة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب قال وكان تسبح وراءه عشر أعشرا (٥) وروى مجمل أنهم قالوا : كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشر أعشرا (٦) وذلك حسن ولكن الثلاث إذا كثر الجمع أحسن فإذا لم يحضر إلا التجردون للدين فلا بأس بالشر هذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي أن يقول الإمام عند رفع رأسه من الركوع سمع الله لمن حمده . الثانية في اللأموم ينبغي أن لا يساوى الإمام في الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوى للسجود إلا إذا وصلت جبهة الإمام إلى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) ولا يهوى للركوع حتى يستوى الإمام راكعاً وقد قيل إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الإمام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساؤون وطائفة بلا صلاة وهم الذين يساقون الإمام . وقد اختلف في أن الإمام في الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وإدراكهم تلك الركعة ولعل الأولى أن ذلك مع الاخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فإن حقهم مرعى في ترك التطويل عليهم . الثالثة لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذراً من التطويل ولا يخص نفسه في الدعاء بل يأتي بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لي فقد كرهه للإمام أن يخص نفسه ولا بأس بأن يستعذ في التشهد بالكلمات الحس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة الحيا والمات ومن فتنة المسيح الدجال وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين (٨) وقيل سمى مسيحاً لأنه يمسح الأرض بطولها

- (١) حديث قراءته في المغرب بالمرسلات وهي آخر صلاة صلاحها متفق عليه من حديث أم الفضل .
(٢) حديث إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث صلى معاذ بقوم العشاء قهراً البقرة فخرج رجل من الصلاة الحديث متفق عليه من حديث جابر وليس فيه ذكر والهاء والطارق وهي عند البسقي (٤) حديث أنس ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام متفق عليه (٥) حديث أنس أنه صلى خلف عمر بن عبد العزيز فقال ماضيت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الشاب الحديث د ن بإسناد جيد وضعفه ابن القطان (٦) حديث كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشر أعشرا لما جدله أصلاً إلا في الحديث الذي قبله وفيه فخرنا في ركوعه عشر تسيبجات وفي سجوده عشر تسيبجات .
(٧) حديث كان الصحابة لا يهويون للسجود إلا إذا وصلت جبهة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأرض متفق عليه من حديث البراء بن عازب (٨) حديث التوعد في التشهد من عذاب جهنم وعذاب القبر الحديث تقدم وزاد فيه القزالي هنا وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين ولم أجده مقيداً.

وقيل لأنه مسح العين أي مطموسها . وأما وظائف التحلل الثلاثة : أولها أن ينوي بالتسليمين السلام على التوم والملائكة . الثانية أن يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وحمزة رضي الله عنهما فيصلي النافلة في موضع آخر فإن كان خلفه نسوة لم يغم حتى ينصرفن^(١) وفي الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقعد إلا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام^(٢) . الثالثة إذا وثب قينبي أن يقبل بوجهه على الناس ويكره للأموم القيام قبل اختال الإمام فقد روى عن طلحة والزبير رضي الله عنهما أنهما صليا خلف إمام فلما سلما قالا للإمام ما أحسن صلاتك وآمنها إلا شيئا واحدا أنك لما سلمت لم تنفل بوجهك ثم قالا للناس ما أحسن صلاتكم إلا أنكم انصرفتم قبل أن ينفل إمامكم ثم ينصرف الإمام حيث شاء من بينه وبينه وشماله واليمين أحب هذه وظيفة الصلوات وأما الصبح فريد فيها القنوت فيقول الإمام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني ويؤمن للأموم فإذا انتهى إلى قوله إنك تقضي ولا يقضي عليك فلا يليق به التأمين وهو ثناء فقرأه فيقول مثل قوله أو يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أو صدقت وبررت وما أشبه ذلك وقد روى حديث في رفع اليدين في القنوت^(٣) فإذا صح الحديث استحبه ذلك وإن كان على خلاف الدعوات في آخر التشهد إذ لا يرفع يديه اليد اليمنى على التوقيف وبينهما أيضا فرق وذلك أن لليد اليمنى وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة غصوة ولا وظيفة لهما هنا فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة في القنوت فإنه لا فرق بالدعاء والله أعلم فهذه جملة آداب القدوة والإمامة والله للوفى .

(الباب الخامس في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها)

(فضيلة الجمعة)

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الإسلام وخص به المسلمين . قال الله تعالى - إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع - فحرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعي إلى الجمعة ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل فرض عليكم الجمعة في يومى هذا في مقامى هذا^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه^(٢) » وفي لفظ آخر « فقد نبذ الإسلام وراء ظهره^(٣) » واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد الجمعة ولا جماعة ، قال في النار فلم يزل يتردد إليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول في النار ، وفي الخبر : إن أهل الكتائب أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرقوا عنه وهدانا الله تعالى له وأخره لهذه الأمة وجعله عبدا لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتائب لهم تبع^(٤)

بآخر الصلاة ولترمذى من حديث ابن عباس وإذا أردت بعبادك قننة فاقضى إليك غير مفتون وك نحوه من حديث ثوبان وعبد الرحمن بن عابش وصحبهما وسيأتى في الدعاء (١) حديث المكث بعد السلام من حديث أم سلمة (٢) حديث إنه لم يكن يقعد إلا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام م من حديث عائشة (٣) حديث رفع اليدين في القنوت البيهقي من حديث أنس بسند جيد في قصة قتل القراء وقد رأيت رسول الله ﷺ كلما صلى الصلاة رفع يديه يدعو عليهم .

(الباب الخامس)

(٤) حديث إن الله فرض عليكم الجمعة في يومى هذا الحديث . من حديث جابر باسناد ضعيف . (٥) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه أحمد واللفظ له وأصحاب السنن وكذلك وصحه من حديث أبي الجعد الضمري (٦) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر فقد نبذ الإسلام وراء ظهره البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس (٧) حديث إن أهل الكتائب أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه .

القيامه إذا نودي فيه باسم كل واحد على الخصوص وفي الخلاق مثل اسم اللنادى به كثير وقد قالت العلماء إنه لا يسمع النداء في ذلك الجمع إلا من نودي فيحتمل أن يكون ذلك النداء يخلق للمنادى في حاسة أذنه ليتحرك إلى الحساب وحده دون من يشاركه في اسمه ولا يكون نداء من خارج والأمثلة كثيرة في الشرع وفيما سمعت غنية ومقتنع . ومنها تلقى الكلام في العقل وهو الاستفاد بالمرقة للموع بالقلب للقوم بالتقدير على اللفظ للسمى بلسان الحال كما قال قيس : وأجهشت للتوداد حين رأته

وكبر للرحمن حين رأيته قلت له أين الدين عهدتهم حوالبك في عيش وخفض زمان فقال مضوا واستودعوني بلادهم ومن ألقى يتي على الحدائق

وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أتاني جبريل عليه السلام في كفه مرآة يضاء وقال هذه الجمعة يفرسها عليك ربك تكون لك عبداً ولأمتك من بعدك . قلت لساناً فيها قال لكم خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه إياه أو ليس له قسم ذخره ما هو أعظم منه أو يهود من شره هو مكتوب عليه إلا أعاده الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن نعوذ في الآخرة يوم الزيد . قلت ولم ؟ قال إن ربك عز وجل اتخذ في الجنة وادياً أبيض من اللؤلؤ فإذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسى فينجلي لهم حتى ينظروا إلى وجهه الكريم (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه يميسر عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم للزيد كذلك تسميه للانسكة في السماء وهو يوم النظر إلى الله تعالى في الجنة (٢) » وفي الخبر « إن لله عز وجل في كل جمعة ستائة ألف عتيق من النار (٣) » وفي حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا سلت الجمعة سلت الأيام (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الجميع تسعرون كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فإنه سلامة كله وإن جهنم لا تسر فيه (٥) » وقال كتب إن الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ومن القبائل ليلة القدر ، ويقال إن الطير والمواضع يلتقي بعضها بعضاً في يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال صلى الله عليه وسلم « من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووفى فنة القبر (٦) »

(بيان شروط الجمعة)

اعلم أنها تشارك جميع الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط : الأول الوقت فإن وقت تسليمه الإمام في وقت العصر فانت الجمعة وعليه أن يتمها ظهراً أرباعاً والسبوق إذا وقت ركعتي الأخيرة خارجاً من الوقت ففيه خلاف . الثاني المكان ، فلا تصح في الصحارى والبراري وبين الحياض بل لا بد من بقعة جامعة لألفية لا تقل ، يجمع أربعين ممن تازمهم الجمعة والقرية فيه كالبدة ولا يشترط فيه حضور السلطان ولا إذنه ولكن الأحب استئذانه . الثالث العدد فلا تنقصد بأقل من أربعين ذكورا مكلفين أحراراً متمينين لا يظنون عنها شتاء ولا صيفاً فإن انقضوا حتى نقص العدد إما في الخطبة أو في الصلاة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الأول إلى الآخر . الرابع الجماعة فلو صلى أربعون في قرية أو في بلد متفرقين لم تصح جمعهم ولكن السبوق إذا أدركت الركعة الثانية جاز له الانفراد

(١) حديث أنس أتاني جبريل في كفه مرآة يضاء فقال هذه الجمعة الخ الحديث الشافعي في السنن والطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير بأسانيد ضعيفة مع اختلاف (٢) حديث خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة الحديث م من حديث أبي هريرة (٣) حديث إن لله في كل جمعة ستائة ألف عتيق من النار عد حب في الضفاء وهب في الشعب من حديث أنس قال قط في العلل والحديث غير ثابت (٤) حديث أنس إذا سلت الجمعة سلت الأيام حب في الضفاء وأبو نعيم في الحلية وهب في الشعب من حديث عائشة ولم أجده من حديث أنس (٥) حديث إن الجميع تسعرون كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس إلى أن قال إلا يوم الجمعة الحديث م من حديث أبي قتادة وأعله بالانقطاع (٦) حديث من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووفى فنة القبر أبو نعيم في الحلية من حديث جابر وهو وث نحوه مختصراً من حديث عبد الله بن عمرو قال غريب ليس إسناده متصل . قلت وصلة الحسين في النوادر .

وفي أمثال العوام قال الحافظ لاوتد لم تشقى فقال لاوتد الحافظ سئل من بدقته فلو كانت المبرة تتأني منها ما عبرت إلا بما قد استعير لها وعلى هذا البني حل كثير من العلماء قوله تعالى إخباراً عن السماء والأرض حين - قالتا أتيننا طائفتين - وفي قوله تعالى - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأعقبن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً - ومنها تلقى الكلام من الجبال مثل قوله صلى الله عليه وسلم « كأي أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام عليه عبادتان قطوانيتان يلي وتجييه الجبال والله يصول لييك يونس » قوله كأي بدلة على أنه تخيل حالة سبقت لم يكن لها في الحال وجود ذاتي لأن يونس بن متى عليه السلام قد مات وتلك الحالة منه سلفت

بالركعة الثانية وإن لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهور وإذا سلم الإمام تمعنا ظهرها .
 الخامس أن لا تكون الجمعة مسبوقه بأخرى في ذلك البلد فان تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز
 في جامعين وثلاثة وأربعة بقدر الحاجة وإن لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي يقع بها التحريم
 أولا ، وإذا تحققت الحاجة فالأفضل الصلاة خلف الأفضل من الامامين فإن تساوا فالمسجد الأقدم
 فإن تساوا ففي الأقرب ولكثرة الناس أيضا فضل يراعى . السادس الخطبتان فهما فريشان والقيام
 فيها فريضة والجلسة بينهما فريضة وفي الأولى أربع فرائض : التحميد وأقوله الحمد لله والثانية
 الصلاة على النبي ﷺ والثالثة الوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى والرابعة قراءة آية من القرآن وكذا
 فرائض الثانية أربعة إلا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبتين واجب من الأربعين .
 وأما السنن : فإذا زالت الشمس وأذن المؤذن وجلس الإمام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية
 والكلام لا ينقطع إلا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجه ويردون عليه
 السلام فإذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت يمينا ولا شمالا ويشغل يديه بقائم السيف
 أو العزلة والمنبر كي لا يثبت بهما أو يضع إحداهما على الأخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة
 ولا يستعمل غرب اللثة ولا يعطط ولا يتنفض وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ويستحب أن يقرأ
 آية في الثانية أيضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فإن سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب
 حسن ولا يشمت الماطسين أيضا هذه شروط الصحة فأما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة إلا على
 ذكر بالغ عاقل حر مقيم في قرية تشتمل على أربعين جامعين لهذه الصفات أو في قرية من سواد
 البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والأصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى - إذا
 نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع - ويرخص لهؤلاء في ترك الجمعة
 لسند للطر والوحد والقرع والمرض والمرض إذا لم يكن للمريض قيم غيره ثم يستحب لهم أعني
 أصحاب الأعذار تأخير الظهور إلى أن يفرغ الناس من الجمعة فإن حضر الجمعة مريض أو مسافر
 أو عبد أو امرأة صحت جميعهم وأجزأت عن الظهور والله أعلم .

(بيان آداب الجمعة على ترتيب العامة وهي عشر حمل)

الأول أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح
 بعد العصر يوم الخميس لأنها ساعة قبولت بالساعة المهمة في يوم الجمعة قال بعض السلف إن لله
 عز وجل فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة
 وفضل في هذا اليوم ثيابه وينيضها ويعد الطيب إن لم يكن عنده ويخرج قلبه من الأفعال التي
 تمنعه من البكور إلى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فإن له فضلا وليكن مضموما إلى
 يوم الخميس أو السبت لا مفردا فإنه مكروه ويشغل بإحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها فضل
 كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ويجمع أهل في هذه الليلة أو في يوم الجمعة قد استحب ذلك
 قوم حملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله من بكر وأبكر وغسل واغتسل ^(١) » وهو حمل
 الأهل على التسل وقيل بمناء غسل ثيابه فروي بالتخفيف واغتسل لجسده وبهذا تم آداب الاستقبال
 ويخرج من زمرة الغافلين الذين إذا أصبحوا قالوا ما هذا اليوم قال بعض السلف أو في الناس نصيما من الجمعة
 من انتظرها ورعاها من الأسوأخفهم نصيما من إذا أصبح يقول ليس اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة
 (١) رحم الله من بكر وأبكر وغسل واغتسل الحديث أصحاب السنن وحب و ك وصححه من
 حديث أوس بن أوس من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر الحديث وحسنه ت .

وفي هذا الحديث إخبار
 عن الوجود الحياي
 في البصر والوجود
 الحياي في السمع
 ومنها تلقى الكلام
 بالشبه وهو أن يسمع
 السامع كلاما أو صوتا
 من شخص حاضر
 فيلقى عليه شبه غيره
 مما طاب عنه كقوله
 عليه السلام في صوت
 أبي موسى الأشعري
 إذ سمع يترنم بالقرآن
 « قد أعطى زممارا
 من زممار آل داود »
 وزممار آل داود قد
 عذمت وذهبت
 وإنما شبه صوته بها
 وكذا إذا سمع للريد صوت
 زممار أو عود فجاء على
 غير قصد يتخيل صرير
 أبواب الجنة وشبهها
 بما جأ صوته من ذلك
 فهذه مراتب الوجود
 فأنت إذا أحسنت
 التصرف بين أساليبها
 ولم يترك غلط في
 بعضها يرضى ولا
 اشتبهت عليك وسمعت
 من نظر بمشكاة نور
 الله تعالى إلى كاعند
 وقد رآه أسود وجهه
 بالحبر فقال له ما بال

وجهك وقد كان أيضا
أشقر موقعا والآن
قد ظهر فيه السواد
فلم سوت وجهك
فقال سل الخبر فانه
كان مجوحا في الهجرة
التي هي مستقرة ووطنه
فافر عن الوطن
ونزل بساحة وجهي
ظلمة وعدونا قال
صدقت . ثم أنت إذا
سمعت أمثال هذه
للمراجعات أعمل الفكر
وجدد النظر وحل
الكلام إلى أجزائه التي
ينظم منها جملة ما يفتك
فقال عن معنى الناظر
ومعنى الشككة ومعنى
نور الله سبحانه
وما سبب أنه لم يعرف
الناظر الصككة
والكتوب وبأي لسان
خاطب الكاغد وكيف
عاطبة الكاغد وهو
ليس من أهل النطق
وفيما صدق الناظر
الكافد ولم صدقه
بمجرد قوله دون دليل
ولا شاهد فيدو لك
هنا من الناظر هو
ناظر القلب فيما أورده
عليه الحس وللشككة
استمارة من مشكاة

في الجامع لأجلها . الثاني إذا أصبح ابتداء بالتسل بسطلوع القمر وإن كان لا يكر فأقربه إلى الرواح
أحب ليكون أقرب عهدا بالنظافة فالتسل مستحب استحبابا مؤكدا ولهب بعض العلماء إلى
وجوبه قال صلى الله عليه وسلم « غسل الجمعة واجب على كل محتلم » (١) وللشهور من حديث نافع عن
ابن عمر رضي الله عنهما « من أتى الجمعة فليغتسل » (٢) وقال عليه السلام « من عهد الجمعة من الرجال
والنساء فليغتسل » (٣) وكان أهل المدينة إذا تسابوا للتسابل يقول أحدهما للآخر لآنت أشرف من
لا يغتسل يوم الجمعة . وقال عمر لمعمر بن عبد الله رضي الله عنهما لما دخل وهو غطيب « أهله الساعة منكرا عليه ترك
البكور قال لما زوت بعد أن سمعت الأذان على أن توفات وخرجت فقال والوضوء أيضا وقد علمت أن
رسول الله ﷺ كان يأمرنا بالتسل » (٤) وقد عرف جواز ترك التسل بوضوء عثمان رضي الله عنه وما روى
أنه صلى الله عليه وسلم قال « من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ومن اغتسل فالتسل أفضل » (٥) ومن اغتسل
للجناية فليغتسل لئلا على بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة فإنما كتنى بغسل واحد أجزاء وحصل له
الفضل إذا توى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجناية وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال
له أجمعه فقال بل عن الجناية قال أعده غسلان يا روي الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم وإنما أمره
به لأنهم يكن نواه وكان لا يعمدان قال للتصود والنظافة وقد حصلت دون التنية ولكن هذا ينقدح في الوضوء
أيضا وقد جعل في الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم أحدث توضأ ولم يغتسل غسله وأحب
أن يحترز عن ذلك . الثالث الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي ثلاثة الكسوة والنظافة وتطبيب
الرائحة أما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ما سبق في كتاب الطهارة قال
ابن مسعود من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وأدخل فيه عفاء فإن كان قد دخل
الحمام في الخميس أو الأربعاء فقد حصل للتصود فليطيب في هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليطلب بها
الروائح الكريمة ويوصل بها الروح والرائحة إلى مشام الحاضرين في جواره « وأحب طيب الرجال
ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه » (٦) روى ذلك في الأثر وقال الشافعي
رضي الله عنه من نظف ثوبه قل حبه ومن طاب ريحه زاد عقله وأما الكسوة فأحبها البياض من الثياب
إذا أحب الثياب إلى الله تعالى البياض لا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل
بل كره جماعة النظر إليه لأنه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والصمامة مستحبة في هذا
اليوم روى وثقة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله وملائكته يصلون
على أصحاب الصائم يوم الجمعة » (٧) فإن أكره الحر فلا بأس بنزعها قبل الصلاة وبمدها ولكن لا يزع
في وقت السعي من المنزل إلى الجمعة ولا في وقت الصلاة ولا عند صعود الإمام للتب وفي خطبته . الرابع

(١) حديث غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم متفق عليه من حديث أبي سعيد (٢) حديث
نافع عن ابن عمر من أتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل متفق عليه وهذا لفظ حب (٣) حديث
من عهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا . حب وهو من حديث ابن عمر (٤) حديث قال عمر
لمعمر لما دخل وهو غطيب أهله الساعة الحديث إلى أن قال والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالتسل متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يسم البخاري وعثمان
(٥) حديث من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت الحديث دت وحسنه و ن من حديث حمزة (٦) حديث
طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه دت وحسنه و ن من
حديث أبي هريرة (٧) حديث وثقة بن الأسقع إن الله وملائكته يصلون على أصحاب الصائم يوم الجمعة
ط وعد وقال منك من حديث أبي هريرة ولم أره من حديث وثقة

البكور إلى الجامع ويستحب أن يقعد الجامع من مرسخين وثلاث وليكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم وينبغي أن يكون في سعيه إلى الجمعة خاشعاً متواضعاً ناوياً للاعتكاف في المسجد إلى وقت الصلاة قاصداً للبادرة إلى جواب نداء الله عز وجل إلى الجمعة إياه والسارعة إلى مغفرته ورضوانه وقد قال صلى الله عليه وسلم « من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت للأئمة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فأنما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شيء ^(١) » والساعة الأولى إلى طلوع الشمس والثانية إلى ارتفاعها والثالثة إلى انبساطها حين ترمض الأقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الأولى إلى الزوال وفضلها قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا يفضل فيه وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث لو يعلم الناس ما فيها لركضوا ركض الإبل في طلبهن الأذان والصف الأول والنهوض إلى الجمعة ^(٢) » وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه أفضلهن النهوض إلى الجمعة وفي الخبر « إذا كان يوم الجمعة قدمت للأئمة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم ^(٣) » وجاء في الخبر « إن للأئمة يفتقدون الرجل إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بضائه ما فعل فلان وما أتى آخره عن وقته فيقولون اللهم إن كان آخره قهر فأعنه وإن كان آخره مرض فاشفه وإن كان آخره شغل ففرغه لعبادتك وإن كان آخره حمو فأقبل بقلبه إلى طاعتك ^(٤) » وكان يرى في القرن الأول سحراً أو بعد الفجر الطرقات ملوثة من الناس يشنون في السرج ويذمحمون بها إلى الجامع كأيام العيد حتى اندرس ذلك قيل أول بدعة حدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجامع وكيف لا يستحي المسلمون من اليهود والنصارى وهم يبكرون إلى البيع والكنائس يوم السبت والأحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون إلى رحاب الأسواق للبيع والشراء والريح فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة ويقال إن الناس يكونون في قريتهم عند النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة ودخل ابن مسعود رضى الله عنه بكرة الجامع فرأى ثلاثة قهر

(١) حديث من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وليس فيه ورفعت الأقلام وهذه اللفظة عند البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث ثلاث لو يعلم الناس ما فيها لركضوا ركض الإبل في طلبهن الأذان والصف الأول والنهوض إلى الجمعة أبو الشيخ في ثواب الأعمال من حديث أبي هريرة ثلاث لو يعلم الناس ما فيها ما أخذن إلا بالاستهام عليها حرصاً على ما فيها من الخير والبركة الحديث . قال والتهجير إلى الجمعة وفي الصحيحين من حديثه لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه (٣) حديث إذا كان يوم الجمعة قدمت للأئمة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب الحديث ابن مردويه في التفسير من حديث علي بن مسعود ضعيف إذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواء بالمسجد الحرام وغدا سائر للأئمة إلى المساجد التي يجمع فيها يوم الجمعة فركزوا ألوانهم وراياتهم ياب للمساجد ثم نشروا قراطيس من فضة وأقلاماً من ذهب (٤) حديث إن للأئمة يفتقدون الصبي إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بضائه فلان حق من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مع زيادة وقص بإسناد حسن . واعلم أن للصف ذكر هذا أثران لم يرد به حديثاً مرفوعاً فليس من شرطنا وإنما ذكرناه احتياطاً .

الترجاجة التي أضررت بسراج النار إلى خبر للفرقة للقلب بسر القلب عليها بها لأنها مسرعة الرب سبحانه وتعالى شغلها بنوره ونوره للذكور هنا عبادة عن صفاء الباطن واشتغال السر بطلوع نيران كواكب المعارف الداهية يذوق الله تعالى ظلم جهالات القلوب ووجه إضافته إلى الله تعالى على سبيل الإشارة بالذكر لأجل التخصيص بالشرف والكاغد والجبركتاية عن أنفسهم لا عن غيرهما وجلهم ما مبدأ طريقه وأول سلوكه إذ هما في عالم الملك والشهادة الذي عمل جولة الناظر في حال نظره وأما سبب أنه لم يصرف الكتابة والكتوب فلاجل أنه كان أمياً لا يقرأ الكتاب الصانع وإنما يوم معرفة قراءة الحسط الإلهي الذي هو أين وأدل على انهم منه وأما مخاطبة الناظر الكاغد وهو

جاء فسبق الكلام على
مثله ومراجعة الكاغد
له فملى قدر حال
الناظر إن كان مرادنا
فيلقى الكلام في الحس
بما ينبى عن اللطوب
من الحق وهو من باب
الالتقاء في الروع فيودعه
الحس المشترك المحفوظ
فيه على الانسان صور
الأشياء المحسوسة وإن
كان مريدا فيلقاه
بلسان الحال للسموع
بسمع القلب بواسطة
للعرقة والعقل وتصديق
الناظر للكاغد في
عقله وإحاطة على
الحبر لم يكن لجرد قوله
بل بشهادة أولى الرضا
والعدل وهو البحث
وال تجربة لم تكن
وشهادة النفس وهذا
يسلك إلى القدرة وهو
آخرها سئل عن أجزاء
حالم الملك . وأمام سمته
في حاد عالم الجبروت
فذلك من القدرة المهددة
إلى العقل والعلم
الموجودين في الانسان
للمستقرة في القوة
الوهمية للدركة جميع
ما لا يستدعى وجوده
جسما ولكن قد يمرض

قد سبقوه بالبكور فاعتم لذلك وجعل يقول في نفسه متابعا لها رابع أربعة وما رابع أربعة من
البكور بعيد . الخامس في هيئة الدخول ينبغي أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين أيديهم والبكور
يسهل ذلك عليه فقد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو أنه يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه
الناس (١) وروى ابن جريج مرسلا « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا هو يخطب يوم الجمعة
إذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تهدم مجلس فلما قضى النبي ﷺ صلاته عارض الرجل حتى لقيه
قال يا فلان ما منك أن تجمع اليوم معنا قال يا نبي الله قد سمعت معكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لم ترك تتخطى رقاب الناس (٢) . أشار به إلى أنه أحبط عمله . وفي حديث مسند أنه قال « ما منك
أن تصلى معنا » قال أولم ترى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم « رأيتك تأنيت وأذيت (٣) » أي تأخرت
عن البكور وأذيت الجضور ومهما كان الصف الأول متروكا خاليا فله أن يتخطى رقاب الناس لأنهم
ضيقوا حقهم وتركوا موضع القضية قال الحسن تخطوا رقاب الناس الذين يتعدون على أبواب الجوامع يوم
الجمعة فإنه لا حرمة لهم وإذا لم يكن في المسجد إلا من يصلى فينبى أن لا يسلم لأنه تكليف جواب في غير
محل . السادس أن لا يمر بين يدي الناس ويجلس حيث هو إلى قرب أسطوانة أو حائط حتى لا يمر بين
يديه أعني بين يدي المصل فإن ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم « لأن يقف
أربعين عاما خيرا له من أن يمر بين يدي المصل (٤) » وقال ﷺ « لأن يكون الرجل رمادا رميدا تذروه
الرياح خيرا له من أن يمر بين يدي المصل (٥) » وقد روى في حديث آخر في النار والمصل حيث صلى على
الطريق أو قصر في الدفع فقال « لو سلم النار بين يدي المصل والحائط ما عليهما في ذلك لكان أن يقف
أربعين سنة خيرا له من أن يمر بين يديه (٦) » والأسطوانة والحائط والمصل للفروض حد للمصل فمن اجتاز به
فينبى أن يدفعه قال صلى الله عليه وسلم « يدفعه فان أبي فليدفعه فان أبي فليقاتله فإنه شيطان (٧) » وكان
أبو سعيد الخدري رضى الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى صرعه فربما تعلق به الرجل فاستمدى عليه
عند مروان فيخبره أن النبي ﷺ أمره بذلك فان لم يجد أسطوانة فليصحب بين يديه شيئا طوله قدر ذراع
ليكون ذلك علامة لحده . السابع أن يطلب الصف الأول فان فضله كثير كإروائه وفي الحديث « من غسل
واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام (٨) »

(١) حديث من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا إلى جهنم ت وضعفه . و من حديث
معاذ بن أنس (٢) حديث ابن جريج مرسلا أن النبي صلى الله عليه وسلم بينا هو يخطب إذ رأى
رجلا يتخطى رقاب الناس الحديث وفيه ما منك أن تجمع معنا اليوم ابن المبارك في الرقائق (٣)
حديث ما منك أن تصلى معنا فقال أولم ترى قال رأيتك تأنيت وأذيت دن حبك من حديث
عبد الله بن بسر مختصرا (٤) حديث لأن يقف أربعين سنة خيرا له من أن يمر بين يدي المصل
البراز من حديث زيد بن خالد وفي الصحيحين من حديث أبي جهم أن يقف أربعين قال أبو النضر
لا أدري أربعين يوما أو شهرا أو سنة . و وجب من حديث أبي هريرة مائة عام (٥) حديث لأن
يكون الرجل رمادا تنفروه الرياح خيرا له من أن يمر بين يدي المصل أبو نعيم في تاريخ أصبهان وابن
عبد البر في التمهيد موقوفا على عبد الله بن عمر وزاد متعمدا (٦) حديث لو سلم النار بين المصل
والمصل ما عليهما في ذلك الحديث رواه هكذا أبو العباس محمد بن يعقوب السراج في مسنده من حديث
زيد بن خالد باسناد صحيح (٧) حديث أبي سعيد فليدفعه فان أبي فليقاتله فانما هو شيطان متفق
عليه (٨) حديث من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع الحديث ك من حديث
أوس بن أوس وأصله عند أصحاب السنن .

وفي لفظ آخر « غفر الله له إلى الجمعة الأخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخط رقب الناس ^(١) » ولا يغفل في طلب الصف الأول عن ثلاثة أمور : أولها أنه إذا كان يرى يقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من ليس حرير من الامام أو غيره أو صلى في سلاح كثير ثقيل شاغل أو سلاح مذهب أو غير ذلك مما يجب فيه الانكار فالتأخر له أسلم وأجمع لهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة قبل لبس بن الحرث ترك التكبر وتصل في آخر الصفوف فقال إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد وأشار به إلى أن ذلك أقرب لسلامة قلبه ونظر سفيان الثوري إلى شعيب بن حرب عند اللبس يستمع إلى الخطبة من أبي جعفر النصور فلما فرغ من الصلاة قال شغل قلبي قريبك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاما يجب عليك إنكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد فقال يا أبا عبد الله أليس في الخبر « ادن واستمع ^(٢) » قال وعك ذلك للخلفاء الراشدين الهادين فأما هؤلاء فكلما بدت عنهم ولم تنظر إليهم كان أقرب إلى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر « صليت إلى جنب أبي البرداء فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صليت قلت له أليس يقال خير الصفوف أولها قال نعم إلا أن هذه الأمة مرحومة منظور إليهم بين الأمم ^(٣) » فان الله تعالى إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس فاما تأخرت رجاء أن ينقرى بواحد منهم ينظر الله إليه وروى بعض الرواة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك لمن تأخر على هذه النية إشارا وإظهارا لحسن الخلق فلا بأس وعندهذا يقال الأعمال بالنيات . ثانيا إن لم تكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للساكنين فالصف الأول محبوب وإلا فقد كره بعض العلماء دخول للقصور كان الحسن وبكر المزني لا يصليان في القصور ورأيا أنها قصرت على السلاطين وهي بدعة أحدثت بعد رسول الله ﷺ في المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافة وصلى أنس بن مالك وعمران بن حصين في القصور ولم يكرها ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والنوع فاما مجرد المقصورة إذا لم يكن منع فلا يوجب كراهة . وثالثا أن المنبر يقطع بعض الصفوف وإنما الصف الأول الواحد المتصل الذي في فناء المنبر وما على طرفه مقطوع وكان الثوري يقول الصف الأول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لأنه متصل ولأن الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه ولا يبعد أن يقال الأقرب إلى القبلة هو الصف الأول ولا يرعى هذا المعنى وتكره الصلاة في الأسواق والرحاب الخارجة عن المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب . الثامن أن يقطع الصلاة عند خروج الامام ويطلع الكلام بأضال يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذن ولم يثبت له أصل في أثر ولا خبر ولكنه إن وافق سجود تلاوة فلا بأس بها للدعاء لأنه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فانه لا سبب لتحريمه ، وقد روى عن علي وعثمان رضي الله عنهما أنها قالوا : من استمع وأنصت فله أجران ومن لم يستمع وأنصت فله أجر ومن سمع ولقا فله أجران ومن لم يسمع ولقا فله أجر واحد وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت أو مه قد لنا ومن لنا والامام يخطب فلا الجمعة ^(٤) » وهذا يدل على أن الإسكات ينبغى أن يكون بإشارة أو رمي وحصة لا بالنطق

(١) حديث أنه اشترط في بعضها ولم يتخط رقب الناس دح بك من حديث أني سيدوا في هريرة وقال صحيح على شرط م (٢) حديث ادن فاستمع د من حديث حمزة احضروا الله كروا من الامام وتقدم بانف من هجرونا واستمع وهو عند أصحاب السنن من حديث شداد (٣) حديث أبي البرداء إن هذه الأمة مرحومة منظور إليهم بين الأمم وإن الله إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس ولم أجده (٤) حديث من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت قد لنا ومن لنا لا الجمعة قال ت عن أبي هريرة دوت قوله ومن لنا فلا الجمعة قال ت حديث حسن صحيح وهو في الصحيحين بلفظ

له أنه في جسم كما تدرك السخلة عداوة الذئب وعطف أمها فتببح العطف وتفر من العداوة وأما ما سمعته في حد عالم اللسكوت وذلك من العلم الإلهي إلى ما وراء ذلك مما هو داخل فيه ومعدود منه فسر القلب الذي يأخذ به عن اللاتسكوت ويجمع به ما بعد مكانه ورق معناه وعزب عن القلوب من جهة الفكر بصوره فأما أي شيء حقائق هذه الذكورات وما كره كل واحد منها على نحو معرفتك لأجزاء عالم الملك والشهادة فذلك علم لا يتفهم بسماعه مع عدم للشاهدة والله قد عرفك بأسمائها فان كنت مؤمنا فصدق بوجودها على الجمعة فلك أنك لا تخبر بسميات ليس لها مسميات إلى أن يلحقك الله بأولى للشاهدة وتحصل خالص الكرامات ومن كفر فان الله غني حميد .

[فصل] والفرق بين العلم المحسوس في عالم

الملك وبين العلم الإلهي
في عالم للسكرات أن
العلم كما اعتقدته مجسما
بطيء الحركة بالقليل
سريع الانتقال بالهلاك
مخلفا عن مثله في
الظاهر مجسولا تحت
قهر سلطان الآدمي
الضعيف الجاهل في
أكثر أوقاته متصرف
بين أحوال متنافية
كالعلم والجهل والعدل
والظلم والشك والصدق
والإفك فالعلم الإلهي
عبارة عن خلق الله في
عالم للسكرات مختص
بخصائص خاص
الجواهر الحسية الكائنة
في عالم الملك يرى من
أوصاف مسمى به القلم
المحسوس كليا مصرفا
بتميز الخالق بحكم إرادته
على ما سبق به علمه
في أزل الأزل وإنعاشي
بهذا الاسم لأجل شبهه
بمعمل مسمى به غير أنه
لا يكتب إلا حقائق
الحق والفرق بين عين
الآدمي وبين الله عز
وجل أن عين الآدمي
كما علت مركبة من
عصب استنصى بقاؤها
وعضل تضل أدواؤها
وعظام يعظم بلاؤها

وفي حديث أبي ذر أنه لما سأل أيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى أنزلت هذه السورة فأومأ
إليه أن امكث فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أيا اذهب فلاحمة لك فشكاه أبو ذر إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال « صدق أيا » وإن كان بعيدا من الإمام فلا يخفى أن يتكلم في العلم وغيره بل
يسكت لأن ذلك يتسلسل ويغضى إلى هينة حتى يتهيأ إلى السمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم
فإن عجز عن الاستماع بالبعد فليصت فهو للسمع وإذا كانت تسكره الصلاة في وقت خطبة الإمام
فالكلام أولى بالكراهية وقال طي كرم الله وجهه تسكره الصلاة في أربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر
ونصف النهار والصلاة والإمام يخطب . التاسع أن يرأى في قدوة الجمعة كثره في غيرها فإذا سمع قراءة
الإمام لم يقرأ سوى الفاتحة فإذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد سبع مرات قبل أن يتكلم وقل هو الله أحد
والمؤذنين سبعين وروى بعض السلف أن من فله عصم من الجمعة إلى الجمعة وكان حرزا له من
الشیطان ويستحب أن يقول بعد الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود أغني بحلالك
عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء أعانه الله سبحانه عن خلقه ورزقه
من حيث لا يحتسب ثم صلى بعد الجمعة ست ركعات ، قد روى ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه
وسلم كان يصلي بعد الجمعة ركعتين (١) ، وروى أبو هريرة أربعا (٢) ، وروى طي وعبد الله بن عباس
رضي الله عنهم ستا (٣) ، والسكل صحيح في أحوال مختلفة والأكل أفضل . العاشر أن يلزم للمسجد حتى
يصل العصر فإن أقام إلى المغرب فهو الأفضل يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى
للمغرب فله ثواب حجة وعمره فإن لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أو خوف
الخوض فيما لا ينبغي فالأفضل أن يرجع إلى بيته إذا كرا الله عز وجل مفكرا في آلائه شاكرا لله تعالى
على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لا يفوته الساعة الشريفة
ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من الساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم « يأتي على
الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم ليس لله تعالى فيهم حاجة فلا تجالسهم » .
(بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يم جميع التبار وهي سبعة أمور)

الأول أن يحضر مجالس العلم بكرة أو بعد العصر ولا يحضر مجالس القصص فلا يخير في كلامهم ولا ينبغي
أن يخلو للريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو خير ولا ينبغي
أن يحضر الخلق قبل الصلاة وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم
إذا قلت لصاحبك و د من حديث طي من قال صه فقد لنا ومن لنا فلاحمة له (١) حديث أبي ذر
لما سأل أيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقال متى أنزلت هذه السورة الحديث حق وقال في المرفة
إسناده صحيح د ه من حديث أبي بن كعب بسند صحيح أن السائل له أبو الدرداء وأبو ذر ولأحمد من
حديث أبي الدرداء أنه سأل أيا وابن جبان من حديث جابر إن السائل عبد الله بن مسعود ولأبي بطل
من حديث جابر قال قال سعد بن أبي وقاص لرجل لاجمة لك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمع فقال
لأنه كان يتكلم وأنت تخطب فقال صدق سعد (٢) حديث ابن عمر في الركعتين بعد الجمعة متفق عليه
(٣) حديث أبي هريرة في الأربع ركعات بعد الجمعة م إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعا
(٤) حديث طي وعبد الله في صلاة ست ركعات بعد الجمعة حق مرفوعا عن طي وله موقفا على
ابن مسعود أربعا و د من حديث ابن عمر كان إذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا (٥) حديث يأتى طي
أما زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم الحديث حق في الشعب من حديث الحسن مرسلا
وأسنده لك من حديث أنس وصححه إسناده وحج نحوه من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة^(١) « إلا أن يكون عالما بالله يذكر بأيام الله ويفقه في دين الله يتكلم في الجامع بالقداء فيجلس إليه فيكون جامعا بين البكور وبين الاستماع واستماع العلم النافع في الآخرة أفضل من اشتغاله بالتوافل فقد روى أبو ذر^(٢) » إن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة^(٣) » قال أنس بن مالك في قوله تعالى - فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله - أما أنه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وقلم علم وزيارة أخ في الله عز وجل وقد سمى الله عز وجل العلم فضلا في مواضع قال تعالى - وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما - وقال تعالى - ولقد آتينا داودنا فضلا - يعني العلم فعلم العلم في هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات والصلاة أفضل من مجالس القصاص إذا كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع . بكر ابن عمر رضى الله عنهما إلى مجلسه في المسجد الجامع فإذا قام يقص في موضعه فقال قم من مجلسي فقال لا أقوم وقد جلست وسبقتك إليه فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه فلو كان ذلك من السنة لما جازت إقامته فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يقيم أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تنسحوا وتوسعوا^(٤) » وكان ابن عمر إذا قام الرجل له من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إليهم روى أن قاصا كان يجلس ببناء حجرة عائشة رضى الله عنها فأرسلت إلى ابن عمر إن هذا قد آذاني بقصصه وشغلني عن سبحتى فصر به ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده . الثاني أن يكون حسن الرقابة للساعة الشرعة في الخبر المشهور « إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيئا إلا أعطاه^(٥) » وفي خبر آخر « لا يصادفها عبد يصلي^(٦) » واختلف فيها قليل إنها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الأذان وقيل إذا صعد الإمام للنبر وأخذ في الخطبة وقيل إذا قام الناس إلى الصلاة وقيل آخر وقت العصر أعنى وقت الاختيار وقيل قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضى الله عنها تراعى ذلك الوقت وتأمر خادماتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار إلى أن تقرب الشمس وتغير بأن تلك الساعة هي للتظرة وتؤثره عن أيها عليه السلام وعليها^(٧) وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدوامي على مراقبتها وقيل إنها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الأشبه وله سر لا يليق بعلم العامة ذكره ولكن ينبغي أن يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم « إن لربكم في أيام دهركم نفحات لا تفرضوا^(٨) لها » ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متضرعا لها باحضار القلب وملازمة الذكر والزوع عن وساوس الدنيا فضاء يحظى بشيء من تلك النفحات وقد قال كعب الأبحار إنها في آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال أبو هريرة وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يوافقها عبد يصلي ولا تحين صلاة » فقال كعب ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قام ينتظر

(١) حديث عبد الله بن عمر في النهي عن التحلق يوم الجمعة دن و . من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولم أجده من حديث ابن عمر (٢) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم في العلم (٣) حديث لا يقيم أحدكم أخاه من مجلسه الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه ت . من حديث عمرو بن عوف للزنى (٥) حديث لا يصادفها عبد يصل متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث فاطمة في ساعة الجمعة قط في الملل حق في الشعب وعلمه الاختلاف (٧) حديث إن لربكم في أيام دهركم نفحات الحديث الحكيم في النوادر وطب في الأوسط من حديث محمد بن مسلمة ولا بن عبد البر في التمهيد نحوه من حديث أنس ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الفرج من حديث أبي هريرة واختلف في إسناده .

ولحم مختود وجلد غير جلد موصولة كمثلها في الضعف والافتعال ملقبة باليد وهي عاجزة على كل حال ويمين الله تعالى هي عند بعض أهل التأويل عبارة عن قدرته وعند بعضهم صفة لله تعالى غير قدرة وليست بجارح ولا جسم وعند آخرين أنها عبارة عن خلق الله هي واسطة بين القلم الإلهي الناقل للمعلوم المحدث وغيرها وبين قدرته التي هي صفة له صرف بها اليمين السكتية بالقلم المذكور بالخط الإلهي الثبوت على صفحات الخلوقات الذي ليس بمرئي ولا عجمي يقرؤه الأميون إذا شرحت صدورهم وتستجم على القارئين إذا كانوا عبيد شهواتهم ولم يشارك بين الآدمي إلا في بعض الأسماء لأجل التشبه اللطيف الذي بينهما بالفعل وتقربا إلى كل ناقص الفهم عساه يعقل ما أنزل على رسل الله تعالى من الذكر .

الصلاة فهو في الصلاة (١) قال بل قال فذلك صلاة فسكت أبو هريرة وكان كعب مائلا إلى أنها رحمة من الله سبحانه للقاتلين بحق هذا اليوم وأوان لإرسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الإمام التبر فليكثر الدعاء فيهما . الثالث يستحب أن يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وتعد واحدة وإن قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضا ولحقة أداء وأعطه الوسيلة وابته القام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو أهل واجزه أفضل ماجازيت نيا عن أمته وصل عليه وعلى جميع إخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين (٢) » تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم وإن أراد أن يزيد أتى بالصلاة للتأبيرة فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك ونواصي بركاتك وشرائف زكواتك وراحتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وإمام التقيين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وطاقم البرّ ونبي الرحمة وسيد الأمة اللهم اجعله مقاما محمودا تزلف به قربه وتقرّ به عينه يضبطه به الأولون والآخرون اللهم أعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والنزلة الشامخة اللينة اللهم أعط محمدًا سؤله وبلغه مأموله واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وأبلغ سجنه وارفع في أعلى للقرين درجته اللهم احشرونا في زمرة واجعلنا من أهل شفاعته وأجنا .

عنه وتوفنا على ملكه وأوردنا حوضه وأسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبطلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين يا رب العالمين (٣) » وعلى الجملة فكل ما أتى به من ألفاظ الصلاة ولو بالمشهورة في التشهد كان مصليا وينبغي أن يضيف إليه الاستغفار فإن ذلك أيضا مستحب في هذا اليوم . الرابع قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة قد روى عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما أن « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نورا من حيث يقرؤها إلى مكة وغفر له إلى يوم الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح دعوى من الله والهيبة وذات الجنب والبرس والجفاد وقتة الدجال (٤) » ويستحب أن يغم القرآن في يوم الجمعة وليتها إن قدر وليكن ختمه للقرآن في ركعتي الفجر إن قرأ بالليل أو في ركعتي المغرب أو بين الأذان والاقامة لجمعة لله فضل عظيم وكان المابدون يستحبون أن يقرأوا يوم الجمعة قل هو الله أحد ألف مرة ويقال إن من قرأها في عصر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمة وكانوا يصلون

(١) حديث اختلاف كعب وأبي هريرة في ساعة الجمعة وقول أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلي ولا ت حين صلاة فقال كعب ألم يقل عليه الصلاة والسلام من قد ينتظر الصلاة فهو في صلاة قلت وقع في الإحياء أن كعبا هو القائل إنها آخر ساعة وليس كذلك وإنما هو عبد الله بن سلام وأما كعب فأنما قال إنها في كل سنة مرة ثم رجع والحديث رواه ذن حبان من حديث أبي هريرة وه نحوه من حديث عبد الله بن سلام (٢) حديث من صلى في يوم الجمعة ثمانين مرة الحديث قط من رواية ابن السيب قال أظنه عن أبي هريرة وقال حديث غريب وقال ابن النعمان حديث حسن (٣) حديث اللهم اجعل فضائل صلواتك الحديث ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود نحوه بسند ضعيف وقفه على ابن مسعود (٤) حديث ابن عباس وأبي هريرة من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة الحديث لم أجده من حديثهما .

[فصل] وحده عالم الملك
ما ظهر للحواس ويكون
بقدره الله تعالى بعضه
من بعض وصحة التعبير
وحده عالم الملكوت
ما أوجده سبحانه
بالأمر الأزلي بلا تدريج
وبقى على حالة واحدة
من غير زيادة فيه
ولا نقصان منه وحده
عالم الجبروت هو ما بين
العالمين مما يشبه أن
يكون في الظاهر من
عالم الملك فجز بالقدر
الأزلي بما هو من عالم
الملكوت .

[فصل] ومعنى أن الله
خلق آدم على صورته
فذلك على ما جاء
في الحديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم
والعلماء فيه وجهان
فمنهم من يرى للحديث
سببا وهو أن رجلا
ضرب غلامه فراه
النبي صلى الله عليه وسلم
قنهاه وقال إن الله
تعالى خلق آدم على
صورته وتأولوا عود
الضمير على الضروب
وعلى هذا لا يكون
للحديث مدخل في هذا
الوضع لم يرد مورد
آخر في غير هذا الموضع

على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة وكانوا يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة وإن قرأ للسموات الست في يوم الجمعة وليلتها لحسن وليس يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ سوراً بأعيانها إلا في يوم الجمعة وليلتها كان يقرأ في صلاة الغروب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين^(١) وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأها في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على الإنسان^(٢). الخامس الصلوات يستحب إذا دخل الجامع أن لا يجلس حتى يصلي أربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله أحد مائة مرة في كل ركعة خمسين مرة^(٣) قد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من فعل لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ولا بدع ركعتي التحية وإن كان الإمام يخطب ولكن يخفف. أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك^(٤) وفي حديث غريب أنه صلى الله عليه وسلم سكت للداخل حتى صلاها^(٥). فقال الكوفيون إن سكت له الإمام صلاها ويستحب في هذا اليوم أو في ليلة أن يصلي أربع ركعات بأربع سور: الأنعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قرأ يس وسورة سجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا بدع قراءة هذه الأربع سور في ليلة الجمعة فيها فضل كثير. ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة الحنطة ويكثر من قراءة سورة الاخلاص ويستحب أن يصلي صلاة التيسيع كما سيأتي في باب التطوعات كيفيتها لأنه صلى الله عليه وسلم قال لعنه العباس صلها في كل جمعة^(٦) وكان ابن عباس رضي الله عنهما لا بدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها والأحسن أن يحمل وقته إلى الزوال للصلاة وبعد الجمعة إلى العصر لاستيعاب العلم وبعد العصر إلى المغرب للتيسيع والاستغفار. السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تتضاعف إلا على من سأل والإمام يخطب وكان يتكلم في كلام الإمام فهذا مكروه وقال صالح بن محمد سأل مسكين يوم الجمعة والإمام يخطب وكان إلى جانب أبي فاعطى رجل أبي قطعة ليناؤه إياها فلم يأخذها منه أبي وقال ابن مسعود إذا سأل الرجل في المسجد قد استحق أن لا يعطى وإذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال في الجامع الذين يتخطون رقاب الناس إلا أن يسأل قائماً أو قاعداً في مكانه من غير تخط وقال كتب الاجار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعيهما وسجوديهما وخشوعهما ثم يقول اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا إله إلا الله هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه وقال بعض

(١) حديث القراءة في المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وفي عشاها الجمعة والمنافقين حب وهق من حديث حمزة وفي ثقات حب المحفوظ عن مالك مراسلا قلت لا يصح مسنداً ولا مراسلاً (٢) حديث القراءة في الجمعة بالجمعة والمنافقين وفي صبيح الجمعة بالسجدة وهل أتى م من حديث ابن عباس وأبي هريرة (٣) حديث من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله أحد مائة مرة الحديث الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جداً (٤) حديث الأمر بالتخفيف في التحية إذا دخل والإمام يخطب م من حديث جابر وروى الأمر بالركعتين ولم يذكر التخفيف (٥) حديث سكوته صلى الله عليه وسلم عن الخطبة للداخل حتى فرغ من التحية قط من حديث أنس وقال أسد سبيح بن محمد وروى فيه والصواب عن مضمهر عن أبيه مراسلاً (٦) حديث صلاة التيسيع وقوله لعنه العباس صلها في كل جمعة د. وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وقال عقي وغيره ليس فيها حديث صحيح.

ويكون الإيمان به إلى غير هذا المعنى المذكور في السبب الحادث وإثباته في غير موطن ذلك السبب للنقول مما يميز ويصر فليق السبب على حاله ولينظر في وجه الحديث غير هذا مما يحتمل ويحسن الاحتجاج به في هذا للوطن والوجه الآخر أن يصحكون الضمير الذي في صورته عائداً إلى الله سبحانه ويكون معنى الحديث أن الله خلق آدم على صورة هي إلى الله سبحانه وهذا العبد للضروب على صورة آدم فاذا هذا العبد للضروب على الصورة المضافة إلى الله تعالى ثم ينحصر بيان معنى الحديث ويتوقف على بيان معنى هذه الإضافة وعلى أي جهة يحتمل في الاعتقاد المعنى على الله سبحانه ففيها وجهان: أحدهما أن إضافته إضافة ملك إلى الله تعالى كما يضاف إليه العبد والبيت والنافقة واليمين على أحد الأوجه والوجه الآخر أن تكون إضافة تخصيص

السلف من أطعم مسكيناً يوم الجمعة ثم غداوا ابتكر ولم يؤذ أحداً ثم قال حين يسلم الإمام بسم الله الرحمن الرحيم إلى اليوم أسألك أن تغفر لي وترحمي وترحمي من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له . السابع أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع أشغال الدنيا ويكثر فيه الأوراد ولا يبتدىء فيه السفر قد روى « أنه من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه » (١) وهو بعد طلوع الفجر حرام إلا إذا كانت الرقعة تقوت وكره بعض السلف شراء الماء في المسجد من السقاء ليشر به أو يسببه حتى لا يكون مبتاعاً في المسجد فإن البيع والشراء في المسجد مكروه وقالوا لا بأس لو أعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب أو سبل في المسجد وبالجملة ينبغي أن يزيد في الجمعة في أوراده وأنواع خيراته ما كان سبحانه إذا أحب عبداً استعمله في الأوقات الفاضلة فغواضل الأعمال وإذا مقتته استعمله في الأوقات الفاضلة بسوء الأعمال ليكون ذلك أوجع في عابه وأشد لفته لحرماته بركة الوقت واتها كحرمه الوقت ويستحب في الجمعة دعوات وسياق ذكرها في كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(الباب السادس : في مسائل متفرقة تهم بها البلوى ويحتاج للريد إلى معرفتها)

فأما للمائل التي تقع نادرة قد استغنيانا في كتب الفقه

[مسألة] الفعل القليل وإن كان لا يطل الصلاة فهو مكروه إلا الحاجة وذلك في دفع النار وقتل القرب التي تخاف ويمكن قتلها بضربة أو ضربتين فإذا صارت ثلاثاً فقد كثرت وبطلت الصلاة وكذلك القملة والبرغوث مهمات أذى بهما كان له دمه ما وكذلك حاجته إلى الحلك الذي يشوش عليه الحشوع كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلاة وابن عمر كان يقتل القملة في الصلاة حتى يظهر الدم على يده وقال النخعي يأخذها ويوهنها ولا شيء عليه إن قتلها وقال ابن السيب يأخذها ويغدرها ثم يطررها وقال مجاهد الأحب إلى أن يدعها إلا أن تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا تؤذي ثم يلقها وهذا مخرصة والافالكال الاحتراز عن الفعل وإن قل ولذلك كان بعضهم لا يطرده الباب وقال لأعود حتى ذلك فيفسد على صلاتي وقد سمعت أن الفساق بين يدي للولوك يصرون على أذى كثير ولا يتحركون ومهما تائب فلا بأس أن يضع يده على فيه وهو الأول وإن عطس حمد الله عز وجل في نفسه ولا يحرك لسانه وإن تجمأ فينبى أن لا يرفع رأسه إلى السماء وإن سقط رداؤه فلا ينبى أن يسويه وكذلك أطراف عمامته فكل ذلك مكروه إلا للضرورة [مسألة] الصلاة في النملين جائزة وإن كان نزع النملين سهلاً وليست الرخصة في الخف لسر النزع بل هذه النجاسة مفعولها وفي معناها اللداس « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع قترع الناس نعالهم فقال لم خلت نعالكم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا فقال صلى الله عليه وسلم إن جبرائيل عليه السلام أتاني فأخبرني أن بهما خبثاً فإذا أراد أحدكم للمسجد فليقلب نعليه ولينظر فيما فان رأى خبثاً فليمسحه بالأرض وليصل فيهما » (٢) وقال بعضهم الصلاة في النملين أفضل لأنه صلى الله عليه وسلم قال لم خلت نعالكم وهذه مبالغة فانه صلى الله عليه وسلم سلم سألهم ليين لهم سبب خلمه إذ علم أنهم خلعوا على مواقفه وقد روى عبد الله بن السائب « أن النبي صلى الله عليه وسلم خلعت نعليه » (٣) فلاذن قد فعل كليهما فمن خلعت فلا ينبى أن يضمهما عن يمينه ويساره فيضيق الوضع ويقطع الصف بل يضمهما بين يديه

(١) حديث من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه قط في الأفراد من حديث ابن عمر وفيه ابن لميعة وقال غريب والخطيب في الرواة عن مالك من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

(الباب السادس)

(٢) حديث صلى في نعليه ثم نزع قترع الناس نعالهم الحديث أحمد واللفظ له ذلك وصححه من حديث أبي سعيد (٣) حديث عبد الله بن السائب في خلعت النبي صلى الله عليه وسلم نعليه م .

به تعالى فمن حملها على إضافة لللك له رأى أن المراد بصورته هو العالم الأكبر بحملته وأدم مخلوق على مضاهاة صورة العالم الأكبر لكنه مختصر صغير فإن العالم إذا فصلت أجزاؤه بالعلم وفصلت أجزاء آدم عليه السلام بمثله وجدت أجزاء آدم عليه السلام مشابهة للعالم الأكبر وإذا شابهت أجزاء جملة أجزاء جملة فالجملتان بلا شك متشابهتان فالذي نظرت في تحليل صورة العالم الأكبر قسمه على أنحاء من القسمة وقسم آدم عليه السلام كذلك فوجد كل نحوين منهما شبيهين فمن ذلك أن العالم ينقسم إلى قسمين أجد القسمين ظاهر محسوس كالم الملك والثاني باطن معقول كالم اللسكوت والإنسان كذلك ينقسم إلى ظاهر محسوس كالنظم واللحم والدم وسائر أنواع

ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتا إليهما ولعل من رأى الصلاة فيهما أفضل راحي هذا اللغز وهو الثمات القلب إليهما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه ^(١) » وقال أبو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكان إماما ^(٢) فلا إمام أن يضع ذلك إذا جف أحد على يساره والأولى أن لا يضعهما بين قدميه فيشغلانه ولكن قدام قدميه وله للراد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة [مسئلة] إذا برز في صلاته لم تبطل صلاته لأنه فعل قليل ومالا يحصل به صوت لا يمد كلاما وليس على شكل حروف الكلام إلا أنه مكروه فينبغي أن يحترز منه إلا كما أذن رسول الله ﷺ فيه إذ روى بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في القبلة نخامة فنضب غضبا شديدا ثم حكها بـرجون كان في يده وقال اتوني بغير فلتطع أترها بـزعران ثم التفت إلينا وقال أياكم يحب أن يبرز في وجهه قتلنا لأحد قال فإن أحدكم إذا دخل في الصلاة فإن الله عز وجل بينه وبين القبلة ^(٣) » وفي لفظ آخر واجبه الله تعالى فلا يبرقن أحدكم لقاء وجهه ولا عن عينه ولكن عن شماله أو تحت قدمه اليسرى فإن بدرته بادرة فليصق في توبه وليقل به هكذا وذلك بضم يعض [مسئلة] لوقوف القتدي سنة وفرض . أما السنة فإن يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه قليلا والمرأة الواحدة تقف خلف الامام فإن وقتت بجنب الامام لم يضر ذلك ولكن خالفت السنة فإن كان معمارا جل وقف الرجل عن يمين الامام وهي خلف الرجل ولا يقف أحد خلف الصف منفردا بل يدخل في الصف أو يمر إلى نفسه واحدا من الصف فإن وقف منفردا صحت صلاته مع الكراهية . وأما الفرض فالتصال الصف وهو أن يكون بين القتدي والامام رابطة جامعة فأنهما في جماعة فإن كانا في مسجد كفي ذلك جامعا لأنه يخفى فلا يحتاج إلى اتصال صف بل إلى أن يعرف أفعال الامام ؛ صلى أبو هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد صلاة الامام وإذا كان للاموم على فناء للمسجد في طريق أو صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفي القرب بقدر غلوتهم وكفى بهما رابطة إذ يصل فضل أحدهما إلى الآخر وإنما يشترط إذا وقف في صحن دار على يمين المسجد أو يساره وبابها لاطى في المسجد فالشرط أن يعد صف المسجد في دهليزها من غير احتطاع إلى الصحن ثم تصح صلاة من في ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه وهكذا حكم الأبنية المختلفة فأما البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء [مسئلة] للمسبوق إذا أدرك آخر صلاة الامام فهو أول صلاته فليوافق الامام ولين عليه وليقت في الصبح في آخر صلاة نفسه وإن قنت مع الامام وإن أدرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالهعاء وليبدأ بالقاعة وليخففها فإن ركع الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه في اعتداله من الركوع فليتم فإن عجز وافق الامام وركع وكان لبعض القاعة حكم جميعها فنسقط عنه بالسبق وإن ركع الامام وهو في السورة فليطعمها وإن أدرك الامام في السجود أو التشهد كبر للاحرام ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما إذا أدركه في الركوع فإنه يكبر ثانيا في الهوى لأن ذلك انتقال محسوبلة والتكبيرات للانتقالات الأصلية في الصلاة لا للعوارض بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة مالم يطمئن راكعا في الركوع والامام بد في حد الراكعين فإن لم يتم طمأنينته إلا بعد مجاوزة الامام حد الراكعين فاتته تلك

(١) حديث أبي هريرة إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه د بسند صحيح وضعه للندري وليس بجيد (٢) حديث وضعه نعليه على يساره م من حديث عبد الله بن السائب (٣) حديث رأى في القبلة نخامة فنضب غضبا شديدا ثم حكها بـرجون كان في يده وقال اتوني بغير فلتطع أترها بـزعران وعائشة وأبي سعيد وأبي هريرة وابن عمر .

الجواهر المحسوسة وإلى باطن كالروح والعقل والعلم والإرادة والقدرة وأشياء ذلك ، وقسم آخر : وذلك أن العالم قدامهم بالعوالم إلى عالم الملك وهو الظاهر للعوالم وإلى عالم اللكوت وهو الباطن في القول وإلى عالم الجبروت وهو التوسط الذي أخذ بطرف من كل عالم منهما والامان كذلك انقسم إلى ما شابه هذه القسمة فالمشابه لعالم الملك الأجزاء المحسوسة وقد علمتها وللشابه لعالم اللكوت فمثل الروح والعقل والقدرة والارادة وأشياء ذلك والشابه لعالم الجبروت فكالإدراكات الموجودة بالحواس والقوى للوجود بأجزائه والوجه الثاني أن يكون معناه كقرا السامع لا للمخبر بخلاف الوجه الأول ويكون هذا مطابقا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم لا تعذبوا الناس بما لم ينصه عقولهم أن يريدون

الركعة [مسئلة] من فاتته صلاة الظهر إلى وقت العصر فليصل الظهر أو لا ثم العصر فان ابتدأ بالعصر أحزاه ولكن ترك الأولى واقتحم شبه الخلاف فان وجد إماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فان الجماعة بالأداء أولى فان صلى منفردا في أول الوقت ثم أدرك جماعة صلى في الجماعة ونوى صلاة الوقت والله يحاسب أيها شاء فان نوى فاتة أو تطوعا جاز وإن كان قد صلى في الجماعة فأدرك جماعة أخرى فليغو الفاتة أو النافلة فلعادة للزيادة بالجماعة مرة أخرى لا وجه له وإنما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة [مسئلة] من صلى ثم رأى على نوبه نجاسة فلا أحب قضاء الصلاة ولا يلزمه ولو رأى النجاسة في أثناء الصلاة رمى بالتوب وأتم والأحب الاستئناف وأصل هذا قصة خلع الثملين حين أخبر جبرائيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عليهما نجاسة فانه صلى الله عليه وسلم لم يستأنف الصلاة [مسئلة] من ترك التشهد الأول أو القنوت أو ترك الصلاة على رسول الله ﷺ في التشهد الأول أو فعل فلا سهوا وكانت تبطل الصلاة بتعمده أو شك فلم يدرك أصل ثلاثا أو أربعا أخذ باليقين وسجد سجدة السهو قبل السلام فان نسي بعد السلام مهما تذكر على القرب فان سجد بعد السلام وبعد أن أحدث بطلت صلاته فانه لما دخل في السجود كأنه جعل سلامه نيانا في غير محله فلا يحصل التحلل به وعاد إلى الصلاة فذلك يستأنف السلام بعد السجود فان تذكر سجود السهو بعد خروجه من السجود أو بعد طول الفصل قد فات [مسئلة] الوسوسة في نية الصلاة سببا خيل في العقل أو جهل بالشرع لأن امثال أمر الله عز وجل مثل امثال أمر غيره وتعميمه كتعميم غيره في حق القصد ومن دخل عليه عالم قدام له فلو قال نويت أن أتصّب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لأجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهي كان سفها في عقله بل كما يراه ويعلم فضله تفيث داعية التعظيم فقيهه ويكون تعظيما إلا إذا قام لشغل آخر أو في غفلة واشترط كون الصلاة ظهرا أداء فرضاني كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الإقبال بالوجه على الداخل واتقاء باعث آخر سواء وقصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لو قام مدبراعنه أو صبر قائما بعد ذلك بمدة لم يكن معظما ثم هذه الصفات لابد وأن تكون معلومة وأن تكون متصورة ثم لا يطوله حضورها في النفس في لحظة واحدة وإنما يطول نظم الأقطار الدالة عليها إما تلفظا باللسان وإما تفكرا بالقلب فن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية فليس فيه إلا أنك دعيت إلى أن تصلي في وقت فأجبت وقت فالوسوسة محض الجهل فان هذه التصود وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ولا تكون مفصلة الأحاد في الدهن بحيث تطالها النفس وتأمّلها وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للغروب والنفلة وإن لم يكن مفصلا فان من علم الحادث مثلا فيعلمه بلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما هي حاضرة وإن لم تكن مفصلة فان من علم الحادث فقد علم الوجود والمعلوم والتقدم والتأخر والزمان وأن التقدم للمهم وأن التأخر للوجود فهذه العلوم منطقية تحت العلم بالحادث بدليل أن العالم بالحادث إذا لم يعلم غيره لو قبله هل علمت التقدم قط أو التأخر أو العدم أو تقدم العدم أو تأخر الوجود أو الزمان المنتسم إلى المتقدم والتأخر فقال ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله متناقضا لقوله إن أعلم الحادث ومن الجهل بهذه الحقيقة يشور الوسواس فان الوسوس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهيرة والأدائية والقرضية في حالة واحدة مفصلة بالفاظها وهو يطالها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام لأجل العالم لتعذر عليه فهذه المعرفة يدفع الوسواس وهو أن يعلم أن امثال أمر الله سبحانه في النية كاستمال أمر غيره ثم أزيد على سبيل التسهيل والترخص وأقول لو لم يفهم الوسوس النية إلا باحضر هذه الأمور مفصلة ولم يمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة وأحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوله

أن يكذب الله ورسوله
فمن حدث أحدا بما لم
يصله عقله ربما سارع
إلى التكذيب وهو
الأكثر ومن كذب
بقدره الله تعالى وبما
أوجدتها فقد كفر
ولو لم يقصد الكفر فان
أكثر اليهود والنصارى
وسائر الكفار ما صدقت
الكفر ولا تنظبه
بأنفسها وهي كفار
بلا ريب وهذا وجه
واضح قريب ولا
تلتفت إلى ما مال إليه
بعض من لا يعرف
وجوه التأويل ولا
يقول كلام أولى الحكمة
والراخين في السلم
حين ظن أن قائل ذلك
أراد الكفر الذي
هو هيض الإيمان
والاسلام بتعلق خبره
وتلحق قائله وهذا
لا يخرج إلا على مذاهب
أهل الأهواء الذين
يكفرون بالمباسب
وأهل السنن لا يرضون
بذلك وكيف يقال لمن
آمن بالله واليوم الآخر
وعبد الله بالقول الذي
ينزه به والعمل الذي
يقصد به التعبد لوجهه

إلى آخره بحيث لا يفرغ من التكبير إلا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نسكه أن يقرن الجميع بأول التكبير أو آخره فإن ذلك تكليف شطط ولو كان مأموراً به لوقع للأولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة في النية فقدم وقوع ذلك دليل على أن الأمر على التساهل فكيف ما تيسرت النية للوسوس ينبغي أن يقتنع به حتى يعود ذلك وتفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فإن التحقيق يزيد في الوسوسة ، وقد ذكرنا في الفتاوى وجوها من التحقيق في تحقيق العلوم والقصود المتعلقة بالنية نفتقر العلماء إلى معرفتها أما العامة فربما ضلوا بها وبهج عليها الوسواس فذلك تركها [مسئلة] ينبغي أن لا يتقدم للأموم على الامام في الركوع والسجود والرفع منها ولا في سائر الأعمال ولا ينبغي أن يساويه بل يقيه ويقفوا أثره فهذا معنى الاقتداء فإن ساواه عمدا لم تبطل صلاته كالوقوف بحجه غير متأخر عنه فإن تقدم عليه ففي بطلان صلاته خلاف ولا يبعد أن يقتضى بالبطلان تشبيهها بما لو تقدم في الموقف على الامام بل هذا أولى لأن الجماعة اقتداء في الفعل لا في الموقف فالتبعية في الفعل أهم وإنما شرط ترك التقدم في الموقف تسهلاً للتأدية في الفعل وتحصيلاً للصورة التبعية إذ الاتقي بالمقتدى به أن يتقدم فالتقدم عليه في الفعل لا وجه له إلا أن يكون سهواً وقد لك شد رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فيه قال «أما يغشى الذي يرفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار» (١) وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة وذلك بأن يستدل الامام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه فإن وضع الامام جبهته على الأرض وهو بعد لم ينته إلى حد الراكعين بطلت صلاته وكذا إن وضع الامام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الأول [مسئلة] حق على من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة في صلاته أن يغيره وينكر عليه وإن صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف ومنع التفرد بالوقوف خارج الصف والانسكار على من يرفع رأسه قبل الامام إلى غير ذلك من الأمور فقد قال صلى الله عليه وسلم «ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلم» (٢) وقال ابن مسعود رضى الله عنه من رأى من رأى من يسى صلاته فلم يبه فهو شريكه في وزرها وعن بلال ابن سعد أنه قال الخطيئة إذا أخفيت لم تقصر إلا صاحبها فإذا أظهرت فلم تقصر أضرت بالجماعة وجاء في الحديث «أن بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيهم بالدرة» (٣) وعن عمر رضى الله عنه قال فقدوا إخوانكم في الصلاة فإذا قدتموهم فإن كانوا مرضى فمردوهم وإن كانوا أصحاء فتابوهم والصاب إنسكار على من ترك الجماعة ولا ينبغي أن يتساهل فيه وقد كان الأولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنابة إلى بعض من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن الليث هو الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المجدد ينبغي أن يقصد يمين الصف وذلك تراحم الناس عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل له تعطلت الميمنة فقال صلى الله عليه وسلم «من عمر ميمنة المسجد كان له كفلان من الأجر» (٤) ومهما وجد غلاماً في الصف ولم يجد نفسه مكاناً فله أن يخرج به إلى خلف ويدخل فيما عني إذا لم يكن بالثا وهذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التي تم بها البلوى وسيأتى أحكام الصلوات المتفرقة في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

(١) حديث أما يغشى الذي يرفع رأسه قبل الامام متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث ويل للعالم من الجاهل الحديث صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث إن بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيهم بالدرة لم أجده (٤) حديث قيل له قد تعطلت الميمنة فقال من عمر ميمنة المسجد الحديث . من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

الذي يستزيد به إيماناً ومعرفة له سبحانه ثم يكرمه الله تعالى على ذلك بغوائد للزبد وينيله ما شرف من النعم ويريه أعلام الرضا ثم يكفره أحد بغير شرع ولا قياس عليه والإيمان لا يخرج عنه إلا ببذنه واطراحه وتركه واعتقاد ما لا يتم الإيمان معمولاً يحصل بمقارنته وليس في إفشاء سرّ الولي ما يحصل به تناقض الإيمان اللهم إلا أن يريد بإفشائه وقوع الكفر من السامع له فهذا مما صمد وليس بولي ومن أراد بأحد من خلق الله أن يكفر بالله فهو لاحالة كافر وعلى هذا يخرج قوله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - ثم إنه من سب أحداً منهم على معنى ما يجد من العداوة والبغضاء قيل له أخطأت وأتعت من غير تكفير وأنه أيما فعل ذلك وسب رسول

(الباب السابع من التوافل من الصلوات)

اعلم أن ما عدا الفرائض من الصلوات ينقسم إلى ثلاثة أقسام: سنن ومستحبات وتطوعات ونفى بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيرها لأن السنة عبارة عن الطريق السلوكية ونفى بالمستحبات ما ورد الخبر بفضلها ولم ينقل للمواظبة عليه كما سنقله في صلوات الأيام والليالي في الأسبوع وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وأمثاله ونفى بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه أثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله عز وجل بالصلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقاً فكأنه متبرع به إذ لم يندب إلى تلك الصلاة بينها وإن ندب إلى الصلاة مطلقاً والتطوع عبارة عن التبرع وصحبت الأقسام الثلاثة نوافل من حيث إن النفل هو الزيادة وجعلتها زائدة على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الألفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الأقسام تفاوتت درجاته في الفضل بحسب ما ورد فيها من الأخبار والآثار المرفقة لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وبحسب صحة الاعتبار الواردة فيها واشتهارها ولذلك يقال سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد وأفضل سنن الجماعات صلاة العيدين والكسوف ثم الاستسقاء وأفضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها . واعلم أن التوافل باعتبار الإضافة إلى متعلقاتها تنقسم إلى ما يتعلق بأسباب الكسوف والاستسقاء وإلى ما يتعلق بأوقات والتعلق بالأوقات ينقسم إلى ما يتكرر بتكرار اليوم واليلة أو بتكرار الأسبوع أو بتكرار السنة فالجولة أربعة أقسام :

القسم الأول ما يتكرر بتكرار الأيام والليالي وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوات الخمس وثلاثة وراهها وهي صلاة الضحى وإحياء ما بين العشاءين والتهجد

الأولى : راتبة الصبح وهي ركعتان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها »^(١) ويدخل وقها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وإدراك ذلك بالمشاهدة عسير في أوله إلا أن يتعلم منازل القمر أو يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة ليصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليتبين من الشهر فإن القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع المصباح مع غروب القمر ليلة اثني عشر من الشهر هذا هو القالب ويتطرق إليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك بطول وتقصم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الأوقات بالليل وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة أداؤها قبل الفرض فإن دخل المسجد وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة فإنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة »^(٢) ثم إذا فرغ من المكتوبة قام إليهما وصلهما والصحيح أنهما أداء ما وقتاً قبل طلوع الشمس لأنهما تاجعتان للفرض في وقته وإنما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتأخير إذا لم يصادف جماعة فإذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقيتا أداء والمستحب أن يصلحهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتين تحية المسجد ثم يجلس ولا يصلي إلى أن يصلي المكتوبة وفيما بين الصبح إلى طلوع الشمس الأحب

(الباب السابع)

(١) حديث ركعتا الفجر خير من الدنيا الحديث م من حديث عائشة (٢) حديث إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة م من حديث أبي هريرة .

الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بالإجماع .

[سؤال] فان قيل فامعنى قول سهل رحمه الله تعالى ونسب إليه : للإلهية سر لو انكشف لبطلت النبوات ولنبوات سر لو انكشف لبطل العلم ولعلم سر لو انكشف لبطلت الأحكام وجاء في الإحياء على أثر هذا القول وقال هذا القول إن لم يرد به إبطال النبوة في حق الضمضاء فما قالوا ليس بحق فإن الصحيح لا يتناقض والكامل من لا يطبق نور معرفته نور ورعه وهذا وإن لم يكن من الأسئلة الرسومية فهو متعلق منها بما فرغ من الكلام فيها آخراً وناظر إليه إذا أدى إفتاؤه إلى إبطال النبوة والأحكام والعلم كفر فالجواب : أن الذي قاله رحمه الله وإن كان مستصحباً في الظاهر فهو قريب السلك باد للفتأمل الذي يعرف مصادر أغراضهم ومسالك أقوالهم الإلهية

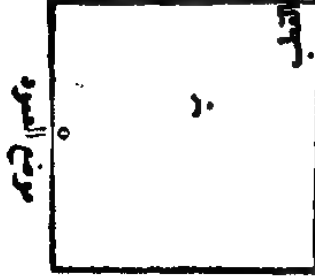
فيه الذكر والفكر والانتصار على ركعتي الفجر والفرصة . الثانية : رابعة الظهر وهي ست ركعات
ركعتان بعدها وهي أيضا ستة مؤكدة وأربع قبلها وهي أيضا ستة وإن كانت دون الركعتين الأخيرتين
روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلى أربع ركعات بعد الزوال والشمس يحسن
قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى بمسببهم ألف ملك يستغفرون له حتى الليل ^(١) » . وكان صلى
الله عليه وسلم لا يدع أربعاً بعد الزوال بطلين أو يقول إن أبواب السماء تفتح في هذه الساعة فأحب أن
يرفع لي فيها عمل ^(٢) » . رواه أبو أيوب الأنصاري وتفرده ودل عليه أيضا ما روت أم حبيبة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بنى له بيت في الجنة
وركعتين قبل الفجر وأربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب ^(٣) »
وقال ابن عمر رضي الله عنهما : حفظت من رسول الله ﷺ في كل يوم عشر ركعات ^(٤) » . فذكر ما ذكره
أم حبيبة رضي الله عنها إلا ركعتي الفجر فإنه قال تلك الساعة لم يكن يدخل فيها صلى رسول الله ﷺ صلى الله عليه
وسلم ولكن حدثني أختي حفصة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في
حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد الظهر فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الأربعة
ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص للتنبيه مائلة إلى جهة الشرق إذ يقع
للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب يستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف
عن جهة المغرب إلى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى
نقصان الظل فإذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل في الزيادة فنحن حيث صارت الزيادة
متركة بالحس دخل وقت الظهر ويصل قطعاً أن الزوال في علم الله سبحانه وقع قبله ولكن التكليف
لا يرتبط إلا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ في الزيادة يطول في
الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس أول الجدي ومنتهى قصره بلوغها أول
السرطان ويعرف ذلك بالأقدام والموازين ومن الطرق القرية من التحقيق لمن أحسن مراعاته
أن يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الأرض لوحاً مربعاً وضعا مستويا بحيث يكون أحد أضلاعه
من جانب القطب بحيث لو توجهت سقوط حجر من القطب إلى الأرض ثم توجهت خطاً من منقط
الحجر إلى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين أي لا يكون الخط
مائلاً إلى أحد الضلعين ثم تنصب عموداً على اللوح نصباً مستويا في موضع علامة • وهو بإزاء القطب
فيقع ظله على اللوح في أول النهار مائلاً إلى جهة المغرب في صوب خط ١ ثم لا يزال يميل إلى أن ينطبق
على خط ب بحيث لو مد رأسه لالتقى على الاستقامة إلى مسقط الحجر ويكون موازياً للضلع الشرقي
والغربي غير مائل إلى أحدهما فإذا بطل ميله إلى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فإذا انحرف
الظل عن الخط الذي على اللوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقاً في وقت

(١) حديث أبي هريرة من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن الحديث ذكره
عبد الملك بن حبيب بلاغا من حديث ابن مسعود ولم أره من حديث أبي هريرة (٢) حديث أبي
أيوب كان لا يدع أربعاً بعد الزوال الحديث أحمد بسند ضعيف نحوه وهو عند أبي داود وه مختصراً
وت نحوه من حديث عبد الله بن السائب وقال حسن (٣) حديث أم حبيبة من صلى في يوم اثنتي
عشرة ركعة الحديث نك وصححه استاده على شرط م ورواه م مختصراً ليس فيه تعيين أوقات الركعات
(٤) حديث ابن عمر حفظت من النبي صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات الحديث متفق
عليه واللفظ لم ولم يقل في كل يوم .

ومن وصل إليه البين
الذي لو لم يكن نبيا
لا يغلو أن يكون
انكشافه من الله بما
يطلع على القلوب من
أنوار الشمس التي هي
طالعة عنها بأن كانت
القلوب ضعيفة طرا
عليها من الغش
والاصطلام والحيرة
والتيه ما يبر العقول
ويقتد الحس ويقطع
عن الدنيا وما فيها
وذلك لضفه ومن
اتقى إلى هذه الحالة
فتبطل التوبة في حقه
أن يعرفها أو يستقل
ما جاء من قبلها إذ قد
شغل عنها ما هو أعظم
لديه منها وربما كان
سبب موته لعجزه عن
حمل ما يطرا عليه
كما حكى أن شاباً من
سالكى طريق الآخرة
عرض عليه أبو يزيد
ولم يره من قبل ففأراه
انكشافه ذلك وكان
في مقام الضغاء من
الريدين فلم يطلق حمله
فأت به وإما أن يكون
انكشافه من عالم به
على وجه الخبر عنه
فتبطل التوبة في حق

هو قرب من أول الزوال في علم الله تعالى ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة فإذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لا بأس بمعرفة في علم الزوال وهذه سورتة :

جانب الشرق



جانب الغرب

الثالثة : رابعة العصر وهي أربع ركعات قبل العصر . روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رحم الله عبدا صلى قبل العصر أربعاً »^(١) ففعل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحب استجابة مؤكداً فإن دعوته تستجاب لأحالة ولم تكن مواظبته على الستة قبل العصر كموابته على ركعتين قبل الظهر . الرابعة : رابعة للغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما ، وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن وإقامة المؤذن على سبيل اللبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كآبي بن كعب وعبد بن عباد بن الصامت وأبي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة أو غيره كان للمؤذن إذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري يصلون ركعتين^(٢) وقال بعضهم كنا نصل الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا^(٣) فيسأل أصليتم للغرب ، وذلك يدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم « بين كل أذانين صلاة لمن شاء »^(٤) وكان أحمد بن حنبل يصلهما فهاه الناس قتر كهما قيل له في ذلك فقال لم أر الناس يصلونهما قتر كهما وقال لأن صلاهما الرجل في بيته أو حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الأبصار في الأراضي للمستوية التي ليست محفوفة بالجبال فإن كانت محفوفة بها في جهة للغرب فيتوقف إلى أن يرى إقبال السواد من جانب الشرق قال صلى الله عليه وسلم « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم »^(٥) والأحب اللبادرة في صلاة المغرب خاصة وإن أخرت وصليت قبل غيبوبة الشفق الأحمر وقت أداء ولكنه مكروه وآخر عمر رضي الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعق رقية وأخراها ابن عمر حتى طلع كوكبان فأعق رقتين . الخامسة : رابعة العشاء الآخرة أربع ركعات بعد الفريضة قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام^(٦) واختار بعض

(١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رحم الله عبدا صلى أربعاً قبل العصر »
 ابن القطان ولم أره من حديث أبي هريرة (٢) حديث عبادة أو غيره في ابتداء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري إذا أذن لصلاة المغرب متفق عليه من حديث أنس لا من حديث عبادة وروى عبد الله بن أحمد في زيادات المسند أن أبي بن كعب وعبد الرحمن بن عوف كانا بركمان حين تنرب الشمس ركعتين قبل المغرب (٣) حديث كنا نصل الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا من حديث أنس (٤) حديث بين كل أذانين صلاة لمن شاء متفق عليه من حديث عبد الله بن مغفل (٥) حديث إذا أقبل الليل من ههنا الحديث متفق عليه من حديث عمر (٦) حديث عائشة كان يصل بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام .

المغرب حين نهى أن لا يمشى فألقى أوامر أن لا يتحدث فلم يفعل فخرج بهذه المحبة عن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيها فلهذا قيل في ذلك بطلت النبوة في حقه . فان قيل فلم لا تكفروه على هذا الوجه إذا بطلت النبوة في حقه بإخباره . قلنا ما بطلت في حقه جميعاً وإنما بطل في حقهما ما خالف الأمر الثابت من قبلها وبعد هذا من الكلام على تليظ حتى الانشاء وقد سبق الكلام عليه في معنى إقضاء سر الروبوية كفر وأما سر النبوة الذي أوجب العلم لمن رزقها أو رزق معرفتها على الجملة إذ النبوة لا يسرفها بالحقيقة إلا نبي فإن انكشف ذلك قلب أحد بطل العلم في حقه بارتفاع الهنة له بالأمر المتوجه عليه بطلبه والبحث عنه والتفكير فيه فيكون كالنبي إذا سئل عن شيء ولو وقت

العلماء من مجموع الأخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد للكتوبة ركعتان قبل الصبح وأربع قبل الظهر وركعتان بعدها وأربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشاء الآخرة وهي الوتر (١) ومهما عرفت الأحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير فقد قال صلى الله عليه وسلم « الصلاة خير موضع لمن شاء أكثر ومن شاء أقل » (٢) فإذا اختار كل مرید من هذه الصلوات بغير رغبته في الخير فقد ظهر فيما ذكرناه أن بعضها أكدر من بعض وترك الأكدر أبدا لاسيما والفرائض تسكل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك أن لا تسلم له فرصة من غير جابر . السادسة : الوتر قال أنس ابن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبع اسم ربك الأعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد (٣) وجاء في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا وفي بعضها متربعا (٤) وفي بعض الأخبار « إذا أراد أن يدخل فراشه زحف إليه وصلى فوفقه ركعتين قبل أن يرقد يقرأ فيهما إذا زلزلت الأرض وسورة التكاثر (٥) » وفي رواية أخرى قل يا أيها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد أوتر رسول الله ﷺ بركعة (٦) وثلاث (٧) وخمس (٨) وهكذا بالأوتار (٩) إلى إحدى عشرة ركعة (١٠) والرواية مترددة في ثلاث عشرة (١١) وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة (١٢) وكانت هذه الركعات أعنى ما سمينا جلستها وترا صلاة بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة مؤكدة وسيأتي ذكر فضلها في كتاب الأوراد وفي الأفضل خلاف قيل إن الایثار بركعة فردة أفضل إذ صبح أن صلى الله عليه وسلم كان يواظب على الایثار بركعة فردة وقيل للوصولة أفضل للخروج عن شبهة الخلاف لاسيما الامام إذ قد يقتدى به من لا يرى الركعة الفردة صلاة فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وإن اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء أو بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح لأن شرط الوتر أن يكون في نفسه وترا وأن يكون موطرا لغيره مما سبق قبله وقد أوتر الفرض ولو أوتر قبل العشاء لم يصح

(١) حديث الوتر ثلاث بعد العشاء أحمد واللفظ له والنسائي من حديث عائشة كان يوتر ثلاث لا يفصل بينهما (٢) حديث الصلاة خير موضع أحمد وابن حبان له وصححه من حديث أبي ذر (٣) حديث أنس كان يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبع الحديث ابن عدى في ترجمة محمد بن أبان ورواه ت ن ه من حديث ابن عباس بسند صحيح (٤) حديث كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا من حديث عائشة (٥) حديث إذا أراد أن يدخل فراشه زحف إليه ثم صلى ركعتين الحديث حق من حديث أبي أمامة وأنس نحوه وضعفه وليس فيه زحف إليه ولا ذكرها حكم التكاثر (٦) حديث الوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر وهو لمسلم من حديث عائشة (٧) حديث الوتر ثلاث تقدم (٨) حديث الوتر بخمس من حديث عائشة يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس في شيء إلا في آخرها (٩) حديث الوتر سبع م دن واللفظ له من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كبر وضعف أوتر بسبع ركعات لا يقعد إلا في السادسة ثم ينهض ولا يسلم فيصل السابعة حديث الوتر تسع م من حديث عائشة وهو في الذي قبله (١٠) حديث الوتر بأحدى عشرة أبو داود بإسناد صحيح من حديث عائشة كان يوتر بأربع وست وثلاث وثمان وثلاث وعشر وثلاث الحديث ولمسلم من حديثها كان يصلي بالليل إحدى عشرة ركعة الحديث (١١) حديث الوتر ثلاث عشرة تقدم في الذي قبله وللمزمذ والنسائي من حديث أم سلمة كان يوتر بثلاث عشرة وقال ت حسن ولمسلم من حديث عائشة كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة زاد في رواية بركعتي الفجر (١٢) حديث الوتر سبع عشرة ابن المبارك من حديث طاوس من خلا كان يصلي سبع عشرة ركعة من الليل.

له واقعة لم يحتج إلى النظر فيها ولا إلى البحث عنها بل ينتظر ما عود من كشف الحقائق باخبار ملك أو ضرب مثل فيهم عنه أو اطلاع على الوج الحفوظ أو لقاء في روع فيمود محتراته ولم يعلم مقدار الدنيا وترتيب الآخرة عليها ولا عرف خواصها ولا تنزه في مجابها ولا لاحظ للسلوك يصير قلبه ولا جاوز التخوم إلى أسفل من ذلك بسره ولله ولاهم أن الجنة أعلى النعم وأن النار أقصى العذاب الأليم وأن النظر إليه منهي الكرامات وأن رضاه وسخطه غاية الدرجات والدرجات وأن منفع المعارف والعلوم أسنى الهبات ويرى أن العالم بأسره أخرجه من العدم الذي هو نفي محض إلى الوجود الذي هو إثبات صحيح وقدره منازل وجعله للوقات فمن حي وميت ومنعرك وساكن وعالم

أى لا ينال فضيلة الوتر الذى هو خير له من حمر النعم (١) كما ورد به الخبر وإلا فركعة فردة صحيحة فى أى وقت كان وإيها لم يصح قبل العشاء لأنه خرق إجماع الخلق فى الفعل ولأنه لم يتقدم ما يصير به وترا فأما إذا أراد أن يوتر ثلاث مفصولة فى نيته فى الركعتين نظر فانه إن نوى بهما التهجد أو سنة العشاء لم يكن هو من الوتر وإن نوى الوتر لم يكن هو فى نفسه وترا وإنما الوتر ما بعده ولكن الأظهر أن ينوى الوتر كما ينوى فى الثلاث الموصولة الوتر ولكن للوتر معنيان أحدهما أن يكون فى نفسه وترا والآخر أن ينشأ ليكمل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلاثة وترا والركعتان من جملة الثلاث إلا أن ترتيبه موقوف على الركعة الثالثة وإذا كان هو على عزم أن يوترها بثلاثة كان له أن ينوى بهما الوتر والركعة الثالثة وتر بنفسها وموترة لغيرها والركعتان لا يوتران غيرها وليستا وترا بأنفسهما ولكنها موترتان بغيرهما والوتر ينبغي أن يكون آخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد وسبأى فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما فى كتاب ترتيب الأوراد . السابعة : صلاة الضحى فالمواظبة عليها من عزائم الأفعال وفوائدها ، أما عدد ركعاتها فأكثر ما نقل فيه ثمان ركعات روت أم هانىء أخت على بن أبى طالب رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثمان ركعات أطالهن وحسنهن (٢) ولم ينقل هذا القدر غيرها فأما عائشة رضى الله عنها فانها ذكرت أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى أربعاً ويزيد ما شاء الله سبحانه (٣) فلم تحدد الزيادة أى أنه كان يواظب على الأربعة ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروى فى حديث مفرد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ست ركعات (٤) وأما وقتها فقد روى على رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ستاً فى وقتين إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو أول الورد الثانى من أوراد النهار كما سبأى وإذا انبسطت الشمس وكانت فى ربيع السماء من جانب الشرق صلى أربعاً (٥) فالأول إذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثانى إذا مضى من النهار ربه بازاء صلاة العصر فان وقتها أن يبقى من النهار ربه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال كما أن العصر على منتصف ما بين الزوال إلى الغروب وهذا أفضل الأوقات ومن وقت ارتفاع الشمس إلى ما قبل الزوال وقت للضحى على الجملة . الثامنة : إحياء ما بين العشاءين وهى سنة مؤكدة وما نقل عدده من فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين العشاءين ست ركعات (٦) ولهذه الصلاة فضل عظيم وقيل إنها الراد بقوله عز وجل

(١) حديث الوتر خير من حمر النعم د ت ه من حديث خارجة بن حذافة إن الله أمدكم بصلاة هى خير لكم من حمر النعم وضعفه خ وغيره (٢) حديث أم هانىء صلى الضحى ثمان ركعات أطالهن وأحسنهن متفق عليه دون زيادة أطالهن وأحسنهن وهى منكورة (٣) حديث عائشة كان يصلى الضحى أربعاً ويزيد ما شاء الله م (٤) حديث كان يصلى الضحى ست ركعات ك فى فضل صلاة الضحى من حديث جابر ورجاله ثقات (٥) حديث كان إذا أشرقت وارتفعت قام وصلى ركعتين وإذا انبسطت الشمس وكانت فى ربيع النهار من جانب الشرق صلى أربعاً ت ن ه من حديث على كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا زالت الشمس من مطلعها قيد رمح أو رمحين كقدر صلاة العصر من غيرها صلى ركعتين ثم أمهل حتى إذا ارتفع الضحى صلى أربع ركعات لفظ ن وقال ت حسن (٦) حديث صلى بين العشاءين ست ركعات ابن منده فى الضحى وطب فى الأوسط والأصغر من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف وت وضعفه من حديث أبى هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يسكنم فيها يمين بسوء عدلين له عبادة ثلث عشرة سنة .

وجاهل وشقى وسعيد
وترب وبعيد وصغير
وكبير وجليل وحقير
وغنى وفقير ومأمور
وأمر ومؤمن وكافر
وجاحدوشا كرو ذكر
وأنى وأرض رساء
ودنيا وأخرى وغير
ذلك مما لا يحصى
والكل قائم به وجود
بقدرته وباق بعلمه
ومنته إلى أجله
ومصرف بعيشته
وذلك على بالغ حكمته لما
أكل جهل من لا يجد
به إلا قدماه ولا من
يصرفه إلا استبداده
ولا ملكه إلا ملكه
فيعود المحدث قدما
والربوب رباً والملك
مالك فيعود الخلق من
خلق الله كره تعالى الله
عن جهل الجاهلين
وتخيل المتوهين
وزرع الراضين .

[فصل] وأما حكم هذه
العلوم للكتابة فى
الطلب وسلوك هذه
القامات ورفق هذه
الدرجات واستفهام
هذه الخطابات أهى من
قيل الواجبات
والندوبات والمباحات

- تتجاف جنوبهم عن الضامع - وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الأوَّلين » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يسكنم إلا بصلاة أو بقرآن كان حقا على الله أن يني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويفرس له بينهما فراسا لو طافه أهل الأرض لوسمهم » (٢) وسبأ بقية فضائلها في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

(القسم الثاني ما يكرر بشكر الأسماع)

(وهي صلوات أيام الأسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة)

أما الأيام فتبدأ فيها يوم الأحد . يوم الأحد : روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعد كل نصراني ونصرانية حسنة وأعطاه الله ثواب نبى وكتب له حبة وحمرة وكتب له بكل ركعة ألف صلاة وأعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر » (٣) وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد فانه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الأحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة ، وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام ففعل ركعتين أخريين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله سبحانه حاجته كان حقا على الله أن يقضى حاجته » (٤) . يوم الاثنين : روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد والمعوذتين مرة فاذا سلم استغفر الله عشرين مرة وصلى على النبي ﷺ عشرين مرة غفر الله تعالى له ذنوبه كلها » (٥) وروى أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فاذا فرغ قرأ قل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة واستغفر اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيامة أين فلان بن فلان ليقم فلأخذ ثوابه من الله عز وجل فأول ما يعطى من الثواب ألف حلة ويتوَّج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة ألف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدوا على ألف قصر من نور يتلأل » (٦) . يوم الثلاثاء : روى يزيد الرقائى عن أنس بن مالك قال: قال صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند اتصاف النهار » (٧) وفي حديث آخر « عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب

(١) حديث من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الأوَّلين . ابن المبارك في الرقائق من رواية ابن النضر مرسلا (٢) حديث من عكف نفسه بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة أبو الوليد الصغاري في كتاب الصلاة من طريق عبد الملك بن حبيب بإسناد من حديث عبد الله بن عمر (٣) حديث من صلى يوم الأحد أربع ركعات الحديث أبو موسى المدني من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث علي وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد الحديث ذكره أبو موسى المدني فيه بصير إسناد (٥) حديث جابر من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين الحديث أبو موسى المدني من حديث جابر عن عمر مرفوعا وهو حديث منكر (٦) حديث أنس من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة الحديث ذكره أبو موسى المدني بغير سند وهو منكر (٧) حديث يزيد الرقائى عن أنس من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند اتصاف النهار الحديث أبو موسى المدني بسند ضعيف ولم يقل عند اتصاف النهار

فاعلم أن للشئول عنه على ضربين أحدهما ما هو في حكم اللبائى والثاني في حكم القبايات فأما الذى هو في حكم اللبائى فطلبه فرض على كل أحد بقدر بذل الجهد وإفراغ الوسع وجميع ما يقدر عليه من العبادة وذلك ما تضمنه أصول علم للعامة مثل إخلاص التوحيد والصدق في العمل وعدم الإجحاف بالخوف والرجاء والتزين بالصبر والشكر لأن هذه كلها وما يتعلق بها من علم الأمر والنهى واجبة قال الله تعالى - فانتقوا الله ما استطعتم - وقد سبق التنبيه عليه . وأما الذى هو في حكم القبايات مثل انقلاب الهيئات والنظر بالتوفيق بحكم الواقعة والرضا بالآليات والتوكل بالتجريد وحقيقة علم معاني التوحيد وسبر معاني التفرير وأوصاف أهل أيات اليقين فهو درجات ومقامات ومنازل ومراحم ومنع

يخص الله تعالى بها من شاء من عباده من غير أن ينال بطلب ولا بحث ولا تطلم ولو كان ذلك لما قيل لناظر السالك حين أراد الارتقاء إلى درجة أعلى من درجته بلسان السؤال ارجع لا تسخط رقاب الصديقين لكتبا مواهب أكرم الله تعالى بها أهل صفوة مولاته وهي مراتب الصديق في العلم وبركات الإخلاص في العمل فمن لم يرث من علمه وعمله الفوتوس عليه فطلبه والعمل به شتان من هذه اللعان فليس في شيء من الحقيقة وإن كان حقا غير أن حاله معلول إمامفتون بدنياء أو محبوب بهواه وركب على كل شيء قدير .

[فصل] وأما الأمل شيء ذكرته هذه العلوم بالإشارات دون المبارات وبالرموز دون التصريحات وبالتشابه من الألفاظ دون المحكمات وإن كان قد سبق هذا من

وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم تكتب عليه خطيئة إلى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة . يوم الأربعاء : روى أبو إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الأربعاء ثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات وللموذين ثلاث مرات نادى مناد عند العرش بإعبد الله استأنف العمل قد غفر لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله سبحانه عنك عذاب القبر وضيقة وظلمته ورفع عنك عذاب القيامة ورفع له من يومه هملني » (١) يوم الخميس : عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وآية الكرسي مائة مرة وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مائة مرة وصلى على محمد مائة مرة أعطاه الله ثواب من صام رجيا وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بسدد كل من آمن بالله سبحانه وتوكل عليه حسنة » (٢) يوم الجمعة : روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يوم الجمعة صلاة كله مامن صدمؤمن قام إذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح أو أكثر من ذلك قوضاً ثم أسيغ الوضوء فصلى سبعة ركعتين إيمانا واحتسابا بإلا كتب الله مائتي حسنة ومحا عنه مائة سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع الله سبحانه له في الجنة أربع مائة درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله تعالى له في الجنة ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى ثنتي عشرة ركعة كتب الله له ألفين ومائتي حسنة ومحا عنه ألفين ومائتي سيئة ورفع له في الجنة ألفين ومائتي درجة » (٣) وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال « من دخل الجامع يوم الجمعة فصل أربع ركعات قبل صلاة الجمعة يقرأ في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله أحد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له » (٤) يوم السبت : روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات فاذا فرغ قرأ آية الكرسي كتب الله بكل حرف نوب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء » (٥) . وأما الليالي ليلة الأحد : روى أنس بن مالك في ليلة الأحد أنه صلى الله عليه وسلم قال « من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة وللموذين مرة مرة واستغفر الله عز وجل مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة وتبرا من حوله وقوته والتجأ إلى الله ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن آدم صفة الله وقطرته وإبراهيم خليل الله وموسى كلم الله وعيسى روح الله

ولا عند ارتفاعه (١) حديث أبي إدريس الخولاني عن معاذ من صلى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة الحديث أبو موسى الدين وقال رواه تقات والحديث مركب . قلت بل فيه غير مسمى وهو محمد بن حميد الرازي أحد الكذابين (٢) حديث عكرمة عن ابن عباس من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين الحديث أبو موسى الدين بسند ضعيف جدا (٣) حديث علي بن عمر من دخل الجامع يوم الجمعة فصل أربع ركعات الحديث الدارقطني في غرائب مالك وقال لا يصح وعبد الله بن وصيف مجهول والحطيب في الرواة عن مالك وقال غريب جدا ولا أعرف له وجه غير هذا (٤) حديث أبي هريرة من صلى يوم السبت أربع ركعات الحديث أبو موسى الدين في كتاب وظائف الليالي والأيام بسند ضعيف جدا .

ومحمد حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبه الله عز وجل يوم القيامة مع الأمنين وكان حقا على الله تعالى أن يدخله الجنة مع النبيين (١) . ليلة الاثنين : روى الأعمش عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات يقرأ في الركعة الأولى الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله أحد عشرين مرة وفي الثالثة الحمد لله وقل هو الله أحد ثلاثين مرة وفي الرابعة الحمد لله وقل هو الله أحد أربعين مرة ثم يسلم ويقرأ قل هو الله أحد خمسا وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة ثم يسأل الله حاجته كان حقا على الله أن يعطيه سؤاله ما سأل (٢) » وهي تسمى صلاة الحاجة . ليلة الثلاثاء : من صلى ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمودتين خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي واستغفر الله تعالى خمس عشرة مرة كان له ثواب عظيم وأجر جسيم . روى عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ليلة الثلاثاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه وقل هو الله أحد سبع مرات أعتق الله رقبة من النار ويكون يوم القيامة قائمه ودليله إلى الجنة (٣) » . ليلة الأربعاء : روت فاطمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال « من صلى ليلة الأربعاء ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الثانية بعد الفاتحة قل أعوذ برب الناس عشر مرات ثم إذا سلم استغفر الله عشر مرات ثم يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم عشر مرات نزل من كل مائة سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة (٤) » وفي حديث آخر « ست عشرة ركعة يقرأ بعد الفاتحة ما شاء الله ويقرأ في آخر الركعتين آية الكرسي ثلاثين مرة وفي الأولين ثلاثين مرة قل هو الله أحد يشفع في عشرة من أهل بيته كلهم وجبت عليهم النار » روت فاطمة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الأربعاء ست ركعات قرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك إلى آخر الآية فإذا فرغ من صلاته يقول جزى الله عنده عنا ما هو أهله غفر له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار (٥) » . ليلة الخميس : قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الخميس مابين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمودتين خمس مرات فإذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حق والديه عليه

(١) حديث أنس من صلى ليلة الأحد بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث لم أجده أصلا وحديث من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة الحديث ذكره أبو موسى المديني بغير إسناده وهو منكر وروى أبو موسى من حديث أنس في فضل الصلاة فيها ست ركعات وأربع ركعات وكلاهما ضعيف جدا (٢) حديث الأعمش عن أنس من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات الحديث ذكره أبو موسى المديني هكذا عن الأعمش بغير إسناده وأسنده من رواية يزيد الرقاشي عن أنس حديثا في صلاة ست ركعات فيها وهو منكر (٣) حديث الصلاة في ليلة الثلاثاء ركعتين الحديث ذكره أبو موسى بغير إسناده حكاية عن بعض الصنفين وأسنده من حديث ابن مسعود وجابر حديثا في صلاة أربع ركعات فيها وكلها منكورة (٤) حديث من صلى ليلة الأربعاء ركعتين الحديث لم أجده فيه إلا حديث جابر في صلاة أربع ركعات فيها ورواه أبو موسى المديني وروى من حديث أنس ثلاثين ركعة (٥) حديث فاطمة من صلى ست ركعات أي ليلة الأربعاء الحديث أبو موسى المديني بسند ضعيف جدا .

قول العراقي حديث أنس من صلى ليلة الأحد اثنتي عشرة ركعة . لم يكن بالأحياء ولعله بنسخه وكذلك يخرج منه تأمل .

الشارع فيها له أن يتحنن به من كلف ويتلو من بعيد ولكن العلم رجال مخصوصون لما بال من لم يعمل شاعرا ولم يستلير أن يسلك ذلك . والجواب عنه أن العالم هو وارث النبي صلى الله عليه وسلم وإنما ورث العلم ليتجمل بعمله ويعمل فيه كعمله والنبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى عليه شديد القوى ذومرة فاستوى وحكم الوارث فيما ورث حكم للوروث فيما ورث عنه فما عرف فيه الحكم من قبل الوروث عنه امتثلته وما لم يصل إليه فيه شيء كان له اجتاده فان أخطأ كان له أجر وإن أصاب كان له أجران ثم إن الوارث رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصرح بعلمه للعاملات وأشار بما وراءها بما لا يفهمه إلا أرباب التخصص كما قال الله عز وجل وما يعقلها إلا العالمون

فلم يكن للولاء تعبد
عن حكم الموروث كما
حكى عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال
إني رويت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وعاءين أحدهما هو
الذي يشته فيكم، وأما
الثاني فلو يشته لحزنتم
السكينة على هذا الباعوم
وأشار إلى حلقه وبعد
كل شيء في القدوة
بصاحب الشرع صلوات
الله عليه وسلامه النجاة
وفي اتباعه الفوز بحب
الله ويد الله مع الجماعة
وفوق كل ذي علم عليم
وقد أقدناكم من طرائف
ما عندنا وأهدينا إليك
من غرائب ما لدينا
وإلى الله يرد العلم بما
دق وجل وكثر وقل
وعظم وصغر وظهر
واستر وإنما ينطق
الإنسان بما أنطقه الله
تعالى وهو مستعمل
بما استعمله فيه إذ
كل ميسر لما خلق له
فاستزل ما عند ربك
وخالفك من خير
واستجلب ما تؤمله منه
من هداية وبر بغراءة
السبع الثاني والقرآن

وإن كان عاقا لهما وأعطاه الله تعالى ما يسطى الصديقين والشهداء^(١). ليلة الجمعة: قال جابر قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم «من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة
الكتاب مرة وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة فكأنما عبد الله تعالى اثنتي عشرة سنة صيام نهارها
وقيام ليلها^(٢)» وقال أنس قال النبي ﷺ «من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة وصلى
ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات قرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمودتين مرة مرة
ثم أوتر ثلاث ركعات ونام على جنبه الأيمن وجهه إلى القبلة فكأنما أحيا ليلة القدر^(٣)» وقال صلى الله
عليه وسلم «أكثرُوا من الصلاة على في الليلة الغراء واليوم الأزهري ليلة الجمعة ويوم الجمعة^(٤)». ليلة السبت:
قال أنس قال رسول الله ﷺ «من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بنى له قصر
في الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقاً على الله أن يغفر له^(٥)».

(القسم الثالث ما يكرر بتكرار السنين)

وهي أربعة: صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب وشعبان. الأولى صلاة العيدين: وهي سنة مؤكدة
وعشار من شعار الدين وينبغي أن يراعى فيها سبعة أمور، الأول: التكبير ثلاثاً نطقاً فيقول الله أكبر
الله أكبر الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيل لا إله إلا الله وحده لا شريك له
مخلصين له الدين ولو كره الكافرون يفتتح بالتكبير ليلة الفطر إلى الترويع في صلاة العيد وفي العيد
الثاني يفتتح التكبير عقب الصبح يوم عرفة إلى آخر النهار يوم الثالث عشر وهذا أكل الأفاويل
ويكبر عقب الصلوات للفروضة وعقب النوافل وهو عقب الفرائض أكد. الثاني إذا أصبح يوم العيد
يفتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة والرداء والعمامة هو الأفضل للرجال وليجنب الصبيان الحرير
والعجائر التزين عند الخروج. الثالث أن يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر^(٦) هكذا فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ﷺ «يأمر بإخراج العواتق وذوات الخدور^(٧)». الرابع الاستحب
الخروج إلى الصحراء إلى البكة وبيت المقدس فإن كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة في المسجد ويجوز في يوم
الصحوة أن يأمر الإمام رجلاً يصلي بالضعفة في المسجد ويخرج بالأقوياء مكبرين. الخامس يراعى
الوقت فوق صلاة العيد ما بين طلوع الشمس إلى الزوال ووقت الدبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بغير
خطبتين وركعتين إلى آخر يوم. الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الأضحية لأجل الدبح وتأخير صلاة الفطر

(١) حديث أبي هريرة من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين الحديث أبو موسى المديني
وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف جداً وهو منكر (٢) حديث جابر من صلى
ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث باطل لأصله (٣) حديث أنس من صلى ليلة
الجمعة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات الحديث باطل لأصله
وروى الظفر بن الحسين الأرجاني في كتاب فضائل القرآن وإبراهيم بن الظفر في كتاب وصول القرآن
للبيت من حديث أنس من صلى ركعتين ليلة الجمعة قرأ فيها فاتحة الكتاب وإذا زلزلت خمسة عشر
مرة وقال إبراهيم بن الظفر حسين مرة آمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة ورواه
أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من هذا الوجه ومن حديث ابن عباس أيضاً كلها ضعيفة منكرة
وليس يصح في أيام الأسبوع وليلته شيء والله أعلم (٤) حديث أنس من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث لم
أجد له أصلاً (٥) حديث الخروج في العيد في طريق والرجوع في أخرى م من حديث أبي هريرة
(٦) حديث كان يأمر بإخراج العواتق وذوات الخدور متفق عليه من حديث أم عطية.

لأجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١). السادس في كيفية الصلاة فليخرج الناس مكبرين في الطريق وإذا بلغ الإمام المصلي لم يجلس ولم يتنفل ويقطع الناس التنفل ثم ينادى مناد : الصلاة جامعة ويصلي الإمام بهم ركعتين يكبر في الأولى سوى تكبيرة الإحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ويقول وجهته وجهي للذي فطر السموات والأرض غيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة إلى ما وراء الثامنة ويقرأ سورة في الأولى بعد الفاتحة واقرب في الثانية والتكبيرات الزائدة في الثانية خمس سوى تكبيرتي القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ماذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاها : السابغ أن يضحي بكبش « ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عن وعن لم يضح من أمي (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من رأى هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئاً (٣) » قال أبو أيوب الأنصاري كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهل بيته ويأكلون ويطمعون (٤) وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق ، وردت فيه الرخصة بعد النهي عنه وقال سفيان الثوري يستحب أن يصل بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد عيد الأضحي ست ركعات (٥) وقال هو من السنة - الثانية التراويح : وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة مؤكدة وإن كانت دون العيدين واختلفوا في أن الجماعة فيها أفضل أم الانفراد وقد خرج رسول الله ﷺ فيها ليلتين أو ثلاثاً للجماعة ثم لم يخرج وقال « أخاف أن توجب عليكم (٦) » وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث أمن من الوجوب بانقطاع الوحي قيل إن الجماعة أفضل لقلع عمر رضي الله عنه ولأن الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولأنه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد أفضل لأن هذه سنة ليست من الشمار كالعيدين فإلحاقها بصلاة الضحى ونحية السجدة أولى ولم تشرع فيها جماعة وقد جرت العادة بأن يدخل للسجدة جمع معاً ثم لم يصلوا التحية بالجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم « فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت (٧) »

(١) حديث تمجيل صلاة الأضحي وتأخير صلاة الفطر الشافعي من رواية أبي الحويرث مرسل أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى عمرو بن حزم وهو بنجران أن يحل الأضحي وآخر الفطر (٢) حديث ضحى بكبشين أملحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عن وعن لم يضح من أمي متفق عليه دون قوله عن الخ من حديث أنس وهذه الزيادة عند أبي داود وت من حديث جابر وقال ت غريب ومنقطع (٣) حديث من رأى هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذ من شعره وأظفاره م من حديث أم سلمة (٤) حديث أبي أيوب كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهله فيأكلون ويطمعون ت قال ت حسن صحيح (٥) قال سفيان الثوري من السنة أن يصل بعد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد الأضحي ست ركعات لم أجده أصلاً في كونه سنة وفي الحديث الصحيح ما يخالفه وهو أنه ﷺ لم يصل قبلها ولا بعدها وقد اختلفوا في قول التابعي من السنة كذا وأما قول تابعي التابع كذا كالثوري فهو مقطوع (٦) حديث خروجه لقيام رمضان ليلتين أو ثلاثاً ثم لم يخرج وقال أخاف أن يوجب عليكم متفق عليه من حديث عائشة بلفظ خشيت أن تفرض عليكم (٧) حديث فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت رواه آدم بن أبي إياس في كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسل ورواه ابن أبي شبة في المصنف لعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم موقوفاً

العظيم التي أمرت بقرائها في كل صلاة وهكذا عليك أن تعيدها في كل ركعة وأخبرك الصادق للصدوق صلى الله عليه وسلم أن ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلاً وفي هذا تنبيه بل تصريح بأن يكثر منها بما ضمنحت من القوائد وخصت به من الدخائر والعوائد بما لو سطر لكان فيه أوقار الجلال فافهم وانتبه واعقل ما خلقت له واعرف ما أعد لك والله تعالى سبحانه حبيب من أراحه وهادى من جاهد في صيله وكاف من توكل عليه وهو التقى الكريم انتهى الجواب عما سألت عنه وفرغنا منه بحسب الوسع من الكلام ونسأل الله تعالى للباعدين بين حيلات قلوب البشر أن يصرف عنا حجب الكدورات والأهواء ومراتب القين فيده مجاري القديرات وهو إله من ظهر وغبر وإليه يرجع

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال « صلاة في مسجدى هذا أفضل من مائة صلاة في غيره من المساجد وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدى وأفضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بيته ركعتين لا يطعمهما إلا الله عز وجل » (١) وهذا لأن الرياء والتصنع ربما يتطرق إلى الله في الجمع ويأمن منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه ، والخيار أن الجماعة أفضل كما رآه عمر رضي الله عنه فان بعض التوافل قد شرعت فيها الجماعة وهذا جدير بأن يكون من الشعائر التي تظهر ، وأما الالتفات إلى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث إنه جماعة وكان الله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والإخلاص خير من الرياء فلفرض للثلاثة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد ولا يرأى لو حضر الجمع فأيهما أفضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الإخلاص وحضور القلب في الوحدة فيجوز أن يكون في تفضيل أحدهما على الآخر تردد ، ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الأخير من رمضان ، أما صلاة رجب : فقد روي بإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بآخرة الكتاب مرة وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة فإذا فرغ من صلاته صلى على سبعين مرة يقول اللهم صلى على محمد النبي الأُمى وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة : سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ثم يسأل حاجته في سجوده قائما تضي (٢) » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يصلي أحد هذه الصلاة إلا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الأشجار ويشفع يوم القيامة في سبعاثة من أهل بيته ممن قد استوجب النار » فهذه صلاة مستحبة وإنما أوردناها في هذا القسم لأنها تكرر بتكرار السنين وإن كانت ترتبها لا تبلغ رتبة التراويح وصلاة العيد لأن هذه الصلاة تقرأها الأحاد ولكن رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمعون بتركها فأحببت إيرادها ، وأما صلاة شعبان : فليلا الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد فهذا أيضا مروى في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمون صلاة الخير ويحتمون فيها

وفي سنن د بإسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلاة الرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدى هذا إلا المكتوبة (١) حديث صلاة في مسجدى هذا أفضل من مائة صلاة في غيره وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدى وأفضل من هذا كله رجل يصلي ركعتين في زاوية بيته لا يطعمهما إلا الله ، أبو الشيخ في الثواب من حديث أنس صلاة في مسجدى تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بأرض الرباط تعدل بألف ألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصلحهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما إلا وجه الله عز وجل وإسناده ضعيف وذكر أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة تعليقا من حديث الأوزعي قال دخلت على يحيى فأسند لي حديثا فذكره إلا أنه قال في الأولى ألف وفي الثانية مائة (٢) حديث مامن أحد يصوم أول خميس من رجب الحديث في صلاة الرغائب أوردته رزين في كتابه وهو حديث موضوع

من آمن وكفرو مجازي
الخالق بنعيم أوسفر
والصلاة على سيدنا
محمد سيد البشر
وكافي الضرر وطى
آله السادات القرر
وسلم تسليما والحمد لله
رب العالمين .

تم كتاب الإملاء
في مشكلات الإحياء
[مکتاب عوارف
للعارف]

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله العظيم شأنه
القوى سلطانه الظاهر
إحسانه الباهر حجة
وبرهانه المحتجب
بالجسالات والنفرد
بالكمال والترفدى
بالعظمة في الآباد
والآزال لا يصوره وهم
وخيال ولا يحصره حد
ومثال ذى العز الدائم
السرمدى والملوك القائم
الديعوى والقدرة
المتنع إدراك كنهها
والسطوة للستوعر
طريق استيفاء وصفها
نظقت الكائنات بأنه
الصانع للبع ولاح من
صفحات ذرات الوجود
بأنه الخالق المخرع
وسم عقل الانسان

وربما صلوا جماعة روى عن الحسن أنه قال حدثني ثلاثون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها للنفرة (١)

(القسم الرابع من التوافل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة :)
صلاة الحسوف والكسوف والاستسقاء ونحية المسجد وركعتي الوضوء وركعتين بين الأذان والإقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظائر ذلك فنذكر منها ما يحضرنا الآن . الأولى صلاة الحسوف قال رسول الله ﷺ « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا حياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة (٢) » قال ذلك لما مات ولده إبراهيم صلى الله عليه وسلم وكسفت الشمس فقال الناس إنما كسفت لموته . والنظر في كيفية وقوعها : أما الكيفية فإذا كسفت الشمس في وقت الصلاة فيه مكروهة أو غير مكروهة نودي الصلاة جامعة وصلى الامام بالناس في المسجد ركعتين وركع في كل ركعة ركوعين أو اثلهما أطول من أواخرها ولا يجهر فيقرأ في الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة وسورة المائدة أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام أجزاء ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس ومقصود التطويل دوام الصلاة إلى الانجلاء ويسبح في الركوع الأول قدر مائة آية وفي الثاني قدر ثمانين وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعق والتوبة وكذلك يفعل بحسوف القمر إلا أنه يجهر فيها لأنها ليلية . فأما وقتها فنجد ابتداء الكسوف إلى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بأن تغرب الشمس كاسفة ، وتغرب صلاة خسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس إذ يطل سلطان الليل ولا تغرب بزروب القمر خاسفا لأن الليل كله سلطان القمر فان انجلى في أثناء الصلاة أتمها عتقة ومن أدرك الركوع الثاني مع الامام فقد فاتته تلك الركعة لأن الأصل هو الركوع الأول . الثانية صلاة الاستسقاء : فإذا غارت الأنهار وانقطعت الأمطار أو اتهاوت قناة فيستحب للامام أن يأمر الناس أولا بصيام ثلاثة أيام وما أطافوا من الصدقة والخروج من الظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم في اليوم الرابع وبالمعاجر والسيان منتظمين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب إخراج البواب لمشاركتها في الحاجة وتلقوه صلى الله عليه وسلم ه لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رقع لصب عليكم العذاب صبا (٣) ه ولو خرج أهل القمة أيضا متميزين لم يعموا فإذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحراء نودي الصلاة جامعة فصلى بهم الامام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير ثم يخطب خطبتين وبينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال (٤) هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث صلاة ليلة نصف شعبان حديث باطل وه من حديث علي إذا كانت ليلة النصف من شعبان هموموا ليها وصوموا نهارها وإسناده ضعيف (٢) حديث إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله الحديث أخرجاه من حديث المغيرة بن شعبه (٣) حديث لولا صبيان رضع ومشايخ ركع الحديث حق وضعفه من حديث أبي هريرة (٤) حديث استدبر الناس واستقبل القبلة وتحويل الرداء في الاستسقاء أخرجاه من حديث عبد الله بن زيد المازني

بالهجز والنقصان وأثرهم
فصبغات الألسن
وصف الحصر في حلبة
البيان وأحرقت
سبحات وجهه الكريم
أجنحة طائر الفهم
وسدت تمززا وجلالا
مسالك الوم وأطرق
طامح البصرة تعظيما
وإجلالا ولم يجد من
فرط الهية في هضاء
الجبروت مجالا فماد
البصر كليل والعقل
غليلا ولم يتنجس إلى
كنه الكبرياء سيلا
فسبحان من عزت
معرفة لولا تعريفه
وتسدر على العقول
تجديده وتكليفه ثم
ألبس قلوب الصفوة
من عباده ملابس
العرفان وخصمهم من
بين عباده بخصائص
الاحسان فصارت
ضماؤهم من مواهب
الأنس عملاء ومرآى
قلوبهم بنور القدس
مجلوة قهيات لقبول
الإمداد القدسية
واستمدت لورود
الأنوار العلوية
وانخذت من الأنفاس
المطريرة بالأذكار

فيجعل أعلاه أسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سرا ، ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أردتهم بحولة كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب ويقول في الدعاء : اللهم إنك أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك فقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما دعوتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا وإجابتك في سقايانا وسعة أرزاقنا ولا بأس بالدعاء أديار الصلوات في الأيام الثلاثة قبل الخروج ، ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد للظالم وغيرها وسيأتي ذلك في كتاب الدعوات . الثالثة صلاة الجنائز : وكيفيتها مشهورة وأجمع دعاء مأثور مروي في الصحيح عن عوف بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلى على جنازة فحفظت من دعائه : اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد وثقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجته وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار (١) » حتى قال عوف نعتت أن أكون أنا ذلك الميت ومن أدرك التكبير الثانية فينبغي أن يرأى ترتيب الصلاة في نفسه ويكبر مع تكبيرات الإمام فإذا سلم الإمام قضى تكبيره الذي فات كفعل السبوق فإنه لو يادر التكبيرات لم تبق للقدوة في هذه الصلاة معنى فالتكبيرات هي الأركان الظاهرة وجدير بأن تقام مقام الركعات في سائر الصلوات ، هذا هو الأوجه عندي وإن كان غيره محتملا والأخبار الواردة في فضل صلاة الجنائز وتشيعها مشهورة فلانطيل بإيرادها وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرائض الكفايات وإنما نصير نقلا في حق من لم تمنع عليه بحضور غيره ، ثم ينال بها فضل فرض الكفاية وإن لم تمنع لأنهم يحملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية وأسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كفلا لا يسقط به فرض عن أحد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة اللهم والأدعية واشتاله على ذي دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس أنه مات له ابن فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال يقول هم أربعون قلت نعم قال أخرجه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جارته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعم الله عز وجل فيه (٢) » وإذا شيع الجنائز فوصل المقابر أو دخلها ابتداء قال السلام عليكم أهل هذه الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون والأولى أن لا ينصرف حتى يدفن الميت فإذا سوى على الميت قرء عليه وقال اللهم عبدك رد إليك فأرأف به وارحمه اللهم جاف الأرض عن جنبيه واقفح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم إن كان محسنا فضاعفه في إحسانه وإن كان مسيئا فجاوز عنه . الرابعة تحية المسجد : ركعتان فصاعدا سنة مؤكدة حتى إنها لا تنشط وإن كان الإمام يخطب يوم الجمعة مع تأكد وجوب الاصغاء إلى الخطيب وإن اشتغل بفرض أو قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل إذا المقصود أن لا يغلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره أن يدخل المسجد على غير وضوء فإن دخل لم يور أو جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر يقولها أربع مرات يقال إنها عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي رحمه الله أنه لا تنكره التحية في أوقات الكراهية وهي بعد المصروع بعد الصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب لما روى

(١) حديث عوف بن مالك في الصلاة على الجنائز اللهم اغفر لي وله وارحمي وارحمه وعافني وعافه الحديث أخرجه مسلم دون الدعاء للمصلي (٢) حديث ابن عباس مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جازته أربعون الحديث م .

جلالنا وأقامت على
الظاهر والباطن من
التقوى حراسا وأشعلت
في ظلم البشرية من
اليقين نبراسا
واستحقرت فوائد
الدنيا ولذاتها وأنتكرت
مصايد الهوى وتبعاتها
وامتنعت غوارب
الرغبات والرهבות
واستفرشت بملوحتها
بساط الملوكوت
وامتدت إلى للعالي
أغناقها وطمعت إلى
اللامع العلوي أحداقها
وانخذت من اللأ
الأعلى مسامرا ومحاورا
ومن النور الأعز
الأقصى مزاورا ومحاورا
أجساد أرضية بقلوب
سماوية وأشباح فرشية
بأرواح عرشية
نقوسهم في منازل
الخدمة سيارة وأرواحهم
في فضاء القرب طيارة
مذاهبهم في العبودية
مشهورة وأعلامهم
في أقطار الأرض
منشورة يقول الجاهل
بهم قعدوا وما قعدوا
ولكن سميت أحوالهم
فلم يدركوا وعلا
مقامهم فلم يملكوا

« أنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فقيل له أمانيتنا عن هذا ! فقال : هاركتان كنت أصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوعد (١) » فأفاد هذا الحديث فائدتين إحداهما أن الكراهية مقصورة على صلاة لأسبب لها ومن أضغف الأسباب قضاء التوابع إذا اختلفت العلماء في أن التوابع هل تقضى وإذا فعل مثل ما فاتته هل يكون قضاء وإذا اختلفت الكراهية بأضغف الأسباب فبأخرى أن تنتفى بدخول المسجد وهو سبب قوي ولذلك لا تكره صلاة الجنازة إذا حضرت ولا صلاة الخسوف والاستسقاء في هذه الأوقات لأن لها أسباباً . القائلة الثانية : قضاء التوابع إذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولنا فيه أسوة حسنة وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقدّم تلك الليلة صلى من أول النهار اثنتي عشرة ركعة (٢) » وقد قال العلماء من كان في الصلاة قضاؤه جواب التؤدة فإذا سلم قضى وأجاب وإن كان للتؤدة سكوت ولا معنى الآن لقول من يقول إن ذلك مثل الأول وليس يقضى إذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت الكراهية ، نعم من كان له ورد فهاهنا عن ذلك عند فينبغي أن لا يرضى لنفسه في تركه بل ينداركة في وقت آخر حتى لا تغلب نفسه إلى الدعاء والرفاهية وتداركة حسن على سبيل مجاهدة النفس ولأنه صلى الله عليه وسلم قال « أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل (٣) » فيقصده به أن لا يفتري دوام عمله وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من عبد الله عز وجل بعبادة ثم تركها لملاة مقتله الله عز وجل (٤) » فليحذر أن يدخل تحت الوعيد وتحقيق هذا الخبر أنه مقتله الله تعالى بتركها لملاة فلولاً للقت والابادة لما سلطت الملاة عليه . الخامسة : ركعتان بعد الوضوء مستحبتان لأن الوضوء قربة ومقصودها الصلاة والأحداث عارضة فربما يطأ الحدث قبل صلاة فينتقض الوضوء ويضيع السعي فالمبادرة إلى ركعتين استيفاء لقصود الوضوء قبل القوات وعرف ذلك بحديث بلال إذ قال صلى الله عليه وسلم « دخلت الجنة فرأيت بلالاً فيها قلت لبلال لم سبقني إلى الجنة ؟ قال بلال لا أعرف شيئاً إلا أتى لأحدث وضوءاً إلا أصلي عقيب ركعتين (٥) » . السادسة : ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين بمنعائك مخرج السوء وإذا دخلت إلى منزلك فصل ركعتين بمنعائك مدخل السوء (٦) » وفي معنى هذا كل أمر يبتدأ به عماله وقع ولذلك ورد ركعتان عند الاحرام (٧) وركعتان

(١) حديث صلى ركعتين بعد العصر قيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر الحديث أخرجه من حديث أم سلمة وسلم من حديث عائشة كان يصلي ركعتين قبل العصر ثم إنه شغل عنهما الحديث (٢) حديث عائشة كان إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقدّم تلك الليلة الحديث م (٣) حديث أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل أخرجه من حديث عائشة . (٤) حديث عائشة من عبد الله بعبادة ثم تركها لملاة مقتله الله عز وجل ورواه ابن السني في رياضة المتعبدين موقوفاً على عائشة (٥) حديث دخلت الجنة فرأيت بلالاً فيها قلت لبلال لم سبقني إلى الجنة الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (٦) حديث أبي هريرة إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين بمنعائك مخرج السوء وإذا دخلت منزلك الحديث هو في الشعب من رواية بكر بن عمرو عن صفوان ابن سليم . قال بصكر حسبه عن أبي سلمة عن أبي هريرة فذكره وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة إذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فإن الله جاعل له من ركعتيه خيراً قال ابن عدي وهو بهذا الإسناد منكرو وقال خ لا أصل له (٧) حديث ركعتي الاحرام م من حديث ابن عمر .

كاثنتين بالجنان
بائنين بقلوبهم عن
أوطان الحداث
لأرواحهم حول العرش
نطواف ولقلوبهم من
خزائن البر إسعاف
يتحصنون بالخدمة في
الدياجرو يتلذذون من
وهيج الطلب بظناً
المواجر نسوا
بالصلوات عن الشهوات
وتموضوا بحلاوة
التسلاوة عن الذات
يلوح من صفحات
وجوههم بحر
الوجدان وينم على
مصفون سرائرهم
فضارة العرفان لا يزال
في كل عصر منهم علماء
بالخلق داعون للخلق
محووا بحسن للتأبئة
رتبة الدعوة وجعلوا
للمتقين قدوة فلا يزال
تظهر في الخلق آثارهم
وتزهر في الآفاق أنوارهم
من اتقى
اهتدى ومن أنكرهم
ضلوا واعتدى فله الحمد
على ما هباً للعباد من
بركة خواص حضرته
من أهل الوداد والصلاة
على نبيه ورسوله
محمد وآله وأصحابه

الأكرمين الأجداد .
ثم إن إشاري لمدي
هؤلاء القوم وعبق
لهم علما بشرف
حلمهم ومحة طريقهم
للبنية على الكتاب
والسنة للتحقق بهما
من الله الكريم الفضل
وللنقد أن أذهب
عن هذه العصابة بهذه
الصياغة وأؤلف أبوابا
في الحقائق والآداب
معربة عن وجسه
الصواب فيما اعتدوه
مشعرة بشهادة صريح
العلم لهم فيما اعتدوه
حيث كثر التشبهون
واختلفت أحوالهم
وتستزيرهم للفترون
وفسدت أعمالهم
وسبق إلى قلب من
لا يعرف أصول سلفهم
سوء ظن وكاد لا يعلم
من قيمة فيهم وطمع
ظنا منه أن
حاصلهم راجع إلى
مجرد رسم وتخصيم
عائد إلى مطلق اسم
وبما حضرنى فيه من
النية أن أكثر سواد
القوم بالاعتزاء إلى
طريقهم والاشارة إلى
أحوالهم وقد ورد من

عند ابتداء السفر (١) وركعتان عند الرجوع من السفر (٢) في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك مأثور
من فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين إذا أكل أكلة صلى ركعتين وإذا شرب شرربة
جلى ركعتين وكذلك في كل أمر محدثه وبداية الأمور ينبغي أن يتبرك فيها بذكر الله عز وجل وهو على
ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالأكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم
« كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله الرحمن الرحيم فهو أتم » (٣) الثانية ما لا يكثر تكرره وله وقع كقصد
النكاح وابتداء الصلحة والشورة فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله فيقول للزوج الحمد لله والصلوة
على رسول الله ﷺ وزوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت
النكاح وكانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في ابتداء أداء الرسالة والصلحة والشورة تقديم التعميد .
الثالثة ما لا يتكرر كثيرا وإذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والاحرام وما يجري مجراه
فيستحب تقديم ركعتين عليه وأدناه الخروج من المنزل والدخول إليه فانه نوع سفر قريب . السابعة
صلاة الاستخارة . فمن لم يأمر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف أن الخبر في تركه أو في الاقدام عليه فقد
أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يصلى ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون
وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد فإذا فرغ دعا وقال اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدر بك بقدرتك
وأسألك بحسن فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن
هذا الأمر خير لى في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاقدري لى وهلوك لى فيه ثم يسره لى
وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاصرفنى عنه واصرفه
عنى واقدر لى الخير أينما كان إنك على كل شئ قدير (٤) ورواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يلنا الاستخارة في الأمور كلها كما يملنا السورة من القرآن وقال ﷺ « إذا هم أحدكم
بأمر فليصل ركعتين ثم ليستم الأمر ويدعوا بما ذكرنا » وقال بعض الحكماء من أعطى أربعا لم يمنع أربعا
من أعطى الشكر لم يمنع للزبد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع
الخيرة ومن أعطى الشورة لم يمنع الصواب . الثامنة صلاة الحاجة : (٥) فمن ضاق عليه الأمر
ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه إلى أمر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روى عن وهيب بن الورد
أنه قال إن من الدعاء الذي لا يرد أن يصلى العبد اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بأمر الكتاب
وآية الكرسي وقل هو الله أحد فإذا فرغ ثمر ما جددتم قال سبحان الذي لبس العز وقال به
سبحان الذي تمطف بالجد وتكرم به سبحان الذي أحصى كل شئ بعلمه سبحان الذي لا ينبغي
التسبيح إلا له سبحان ذي اللن والفضل سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول أسألك بمعاد المز

(١) حديث صلاة ركعتين عند ابتداء السفر الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس ما استخلف
في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصلين العبد في بيته إذا شد عليه ثياب سفره
الحديث وهو ضعيف (٢) حديث الركعتين عند القدوم من السفر أخرجه من حديث كعب بن
مالك (٣) حديث كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أتم . د . حب في صحيحه من حديث
أبي هريرة (٤) حديث صلاة الاستخارة خ من حديث جابر قال أحمد حديث منكر (٥) حديث
ابن مسعود في صلاة الحاجة اثنتي عشرة ركعة أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بإسنادين ضعيفين
جدا فيهما عمرو بن هارون البلخي كذبه ابن معين وفيه علل أخرى وقد وردت صلاة الحاجة
ركعتين رواته من حديث عبد الله بن أبي أوفى وقال ت حديث غريب في إسناده مقال .

من عرشك ومنهى الرحمن كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكتابك التامات العامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلى على محمد وعلى آل محمد ثم يسأل حاجته التي لامعية فيها فيجاب إن شاء الله عز وجل قال وهيب بلقنا أنه كان يقال لا تملوها لفسهاكم فيساوون بها على مصية الله عز وجل . التاسعة صلاة التسييح : وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب أن لا يغلو الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عليه السلام قال للعباس بن عبد المطلب « ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك بشئ إذا أنت فعلته غفر الله لك ذنبك أو له وآخره قديمه وحديثه خطاه وعمده سره وعلايته تصلى أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر مرات ثم ترفع من الركوع فتقولها قائماً عشراً ثم تسجد فتقولها عشراً ثم ترفع من السجود فتقولها جالساً عشراً ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشراً ثم ترفع من السجود فتقولها عشراً فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل في كل جمعة مرة فإن لم تفعل في كل شهر مرة فإن لم تفعل في السنة مرة ^(١) » وفي رواية أخرى : أنه يقول في أول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وقد ست أسأؤك ولا إله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشراً بعد القراءة والباقي كسابق عشراً ولا يسبح بعد السجود الأخير قاعداً وهذا هو الأحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع عن الروایتين ثلثمائة تسبيحة فإن صلاها نهاراً فتسليحة واحدة وإن صلاها ليلاً فتسليمتين أحسن إذ ورد « أن صلاة الليل مثنى مثنى ^(٢) » وإن زاد بعد التسييح قوله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات فهذه الصلوات المأثورة ولا يستحب شئ من هذه النوافل في الأوقات المكروهة إلا تحية السجد وما أوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستغارة فلا لأن الهوى مؤكد وهذه الأسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الحسوف والاستسقاء والتحية وقد رأيت بعض المتصوفة يصلون في الأوقات المكروهة ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد لأن الوضوء لا يكون سبباً للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء فينبغي أن يتوضأ ليصلي لا أنه يصلي لأنه يتوضأ وكل محدث يريد أن يصلي في وقت الكراهية فلا سبيل له إلا أن يتوضأ ويصلي فلا يلقى للكراهية معنى ولا ينبى أن ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية بل إذا توضأ صلى ركعتين تطوعاً كيلا يتعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث بلال لم يدل على أن الوضوء سبب كالحسوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضوء فيستحيل أن ينوي بالصلاة الوضوء بل ينبى أن ينوي بالوضوء الصلاة وكيف ينتظم أن يقول في وضوئه أتوضأ لصلاة وفي صلاته يقول أصلي لوضوئي بل من أراد أن يحرس وضوءه عن التعطيل في وقت الكراهية فليؤ قضاء إن كان يجوز أن يكون في ذمته صلاة تطوع إلهاً خلاً لسبب من الأسباب فإن قضاء الصلوات في أوقات الكراهية غير مكروه فأما نية التطوع فلا وجه لها في الهوى في أوقات الكراهية مهمات ثلاثة أحدها التوقي من مضاهاة عبدة الشمس والثاني الاحتراز من انتشار الشياطين إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس تطلع ومعه قرن الشيطان فإذا طلعت قارئها وإذا ارتفعت فارقها فان استوت قارئها فاذا زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارئها فاذا غربت فارقها ^(٣) » ونهى عن الصلوات

(١) حديث صلاة التسييح تقدم (٢) حديث صلاة الليل مثنى مثنى أخرجه من حديث ابن عمر (٣) حديث إن الشمس تطلع ومعه قرن الشيطان فإذا طلعت قارئها الحديث ن من حديث عبد الله الصائغي .

كثير سواد قوم فهو منهم وأرجو من الله الكريم همه النية فيه وتحليصها من شوائب النفس وكل ما فتح الله تعالى على فيه منح من الله الكريم وعوارف وأجل النع عوارف للعارف والكتاب يشتمل على نيف وستين باباً والله المعين . الباب الأول في منشأ علوم الصوفية . الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع . الباب الثالث في بيان فضيلة علم الصوفية والاشارة إلى أنموذج منها . الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم فيها . الباب الخامس في ذكر ماهية التصوف . الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم . الباب السابع في ذكر التصوف والقشبة . الباب الثامن في ذكر الملامى وشرح حاله . الباب التاسع في ذكر من انتهى إلى الصوفية وليس منهم . الباب

في هذه الأوقات ونبه به على العلة والثالث أن السالك طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلوات في جميع الأوقات والواظبة على نعط واحد من العبادات يورث اللل ومهما منع منها ساعقزاد النشاط وانبثت الدواعي والافسان حريص على مامنع منه ففي تعطيل هذه الأوقات زيادة تعريض وبس على انتظار انقضاء الوقت غلصمت هذه الأوقات بالتسييح والاستغفار حذرا من اللل بالمداومة. وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر ففي الاستطراف والاستجداء لفة ونشاط وفي الاستمرار على شيء واحد استقال وملا لولذلك لم تكن الصلاة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل دربت العبادات من أعمال مختلفة وأذكاء متباعدة فان القلب يدرك من كل عمل منهما لفة جديدة عند الانتقال إليها ولو واظب على الشيء الواحد لتسارع إليه اللل فاذا كانت هذه أمورا مهمة في التهي عن ارتكاب أوقات السكراهة إلى غير ذلك من أسرار آخر ليس في قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله أعلم بها فهذه للهمات لا تترك إلا بأسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والحسوف ونحوه المسجد فأما ما مضى عنها فلا ينبغي أن يصادم به مقصود التهي هذا هو الأوجه عندنا والله أعلم .

كمل كتاب أسرار الصلوات من كتاب إحياء علوم الدين . يتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده وصلاته على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

(كتاب أسرار الزكاة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسمدوا نبي وأمات وأحيا وأضحك وأبكى وأوجد وأفنى وأقبر وأغنى وأخر وأفنى القدي خلق الحيوان من نطفة نبي ثم تفرد عن الخلق بوصف النبي ثم خصص بفض عبادته بالحسن فأفاض عليهم من نعمه ما يسر به من شاء واستغنى وأحوج إليه من أخفق في رزقه وأكدى إظهارا للامتحان والابتلاء ثم جعل الزكاة للدين أسلا ومبني وبين أن بفضله تركي من عباده من تركي ومن غناه زكي ماله من زكي والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس المهدي وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالعلم والحق .

[أما بعد] فان الله تعالى جعل الزكاة إحدى مباني الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التي هي أعلى الأعلام فقال تعالى - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة - وقال صلى الله عليه وسلم « بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة »^(١) وشدد الوعيد على القصرين فيها فقال - والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيبشروهم ببذاب أليم - ومعنى الاتفاق في سبيل الله إخراج حق الزكاة قال الأخنف بن قيس كنت في قعر من قرش فمر أبوذر فقال بشر الكاذبين بكى في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى في أفتانهم يخرج من جباههم وفي رواية أنه يوضع على حلة ندى أحدهم فيخرج من نفض كتفيه ويوضع على نفض كتفيه حتى يخرج من حلة نديه ينزل وقال أبوذر اتيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأي قال « هم الأخسرون ورب الكعبة قتل ومن هم قال الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كنت وأسمته تطعنه بقرونها وتطوقه بأظلافها كلما نفدت آخرها عادت وهو مرسل وما لك هو القدي يقول عبد الله الصانع ويوم فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم .

(كتاب أسرار الزكاة)

(١) حديث بنى الاسلام على خمس أخرجاه من حديث ابن عمر

(٢٧ - إحياء - أول)

العاشر في شرح رتبة
الشبيخة . الباب
الحادي عشر في شرح
حال الخادم ومن يتشبه
به . الباب الثاني عشر
في شرح خرقة المشايخ
الصوفية . الباب الثالث
عشر في فضيلة سكان
الربط . الباب الرابع
عشر في مشابة أهل
الربط بأهل الصفة .
الباب الخامس عشر
في خصائص أهل
الربط فيما يتماهدونه
بينهم . الباب السادس
عشر في اختلاف
أحوال المشايخ بالسفر
والمقام . الباب السابع
عشر فيما يحتاج للسافر
إليه من القرائن
والتوافل والفضائل .
الباب الثامن عشر في
القدوم من السفر
ودخول الرباط والأدب
فيه . الباب التاسع
عشر في حال الصوفي
للتسبيب . الباب
العشرون في حال من
يأكل من الفتوح .
الباب الحادي
والعشرون في شرح
حال التجسرد من
الصوفية والتأهل .

عليه أولاها حتى يقضى بين الناس (١) وإذا كان هذا التشديد مخرجا في الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجلية والخبية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاختصار على ما لا يستغنى عن معرفته مؤدى الزكاة وقابضها وينكشف ذلك في أربعة فصول . الفصل الأول : في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها . الثاني آدابها وشروطها الباطنة والظاهرة . الثالث : في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه . الرابع : في صدقة التطوع وفضلها . (الفصل الأول : في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة أنواع : زكاة النعم والتقدين والتجارة وزكاة الركاظ والمعادن وزكاة للمعشرات وزكاة الفطر)

(النوع الأول : زكاة النعم)

ولا تجب هذه الزكاة غيرها إلا على حرم مسلم ولا يشترط البلوغ بل يجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه . وأما المال فشرطه خمسة أن يكون نهائيا باقية حولان نصابا كاملا مملوكا على الكمال . الشرط الأول كونه نهما فلا زكاة إلا في الإبل والبقر والغنم . أما الخيل والبغال والحمير وللتوليد من بين الظباء والغنم فلا زكاة فيها . الثاني السوم فلا زكاة في معلوفة وإذا أسيحت في وقت وعلفت في وقت تظهر بذلك مؤنها فلا زكاة فيها . الثالث الحول فالرسول الله ﷺ « لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول » (٢) ويستثنى من هذا تاج المال فإنه ينسحب عليه حكم المال وتجب الزكاة فيه لحول الأصول ومهما باع المال في أثناء الحول أو وهبه انقطع الحول . الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكاة في الماشية للرهنه لأنه الذي حبر على نفسه ولا تجب في الضال والنصب إلا إذا عاد بجميع نمائه فتجب زكاة ما مضى عند عوده ولو كان عليه دين يسترق ماله فلا زكاة عليه فإنه ليس غنيابه إذا قلنا ما يفضل عن الحاجة . الخامس كمال النصاب . أما الإبل فلاثي فيها حتى تبلغ خمسا فيها جذعة من الضأن والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية أو ثنية من للز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشرين ثنية وفي خمس عشرة ثلاث شياه وفي عشرين أربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثالثة فإن لم يكن في ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وإن كان قادرا على شراؤها وفي ست وثلاثين ابنة لبون ثم إذا بلغت ستا وأربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فإذا سارت إحدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فإذا سارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فإذا سارت إحدى وتسعين ففيها حقتان فإذا سارت إحدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فإذا سارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب في كل خمسين حقة وفي كل أربعين بنت لبون . وأما البقر فلاثي فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبيع وهو الذي في السنة الثانية ثم في أربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في ستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك ففي كل أربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع . وأما الغنم فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من للز ثم لاثي فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان إلى مائتي شاة وواحدة ففيها ثلاث شياه إلى أربع مائة ففيها أربع شياه ثم استقر الحساب في كل مائة شاة . وصدقة الخياطين كصدقة السالك الواحد في التصاب فإذا كان بين رجلين أربعين من الغنم ففيها شاة وإن كان بين ثلاثة فمئة شاة وعشرون ففيها شاة واحدة على جميعهم وخططة الجوار تكلمة الشيوع ولكن يشترط أن يرعاهما ويسقيا

(١) حديث أبي دراهم انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأى قال هم الأخرون ورب الكعبة الحديث أخرجه م وخ (٢) حديث لازكاة في مال حتى يحول عليه الحول أبو داود من حديث علي بن إسماعيل بن عمار عن أبيه عن جده . من حديث عائشة بإسناد ضعيف .

الباب الثاني والعشرون في القول في السماع قبولاً وإثارة . الباب الثالث والعشرون في القول في السماع ربما وإنكاراً . الباب الرابع والعشرون في القول في السماع رضا واستثناء . الباب الخامس والعشرون في القول في السماع تأدياً واعتناء . الباب السادس والعشرون في خاصة الأربعينية التي يتعاضدها الصوفية . الباب السابع والعشرون في ذكر الأربعينية . الباب الثامن والعشرون في كيفية الدخول في الأربعينية . الباب التاسع والعشرون في ذكر أخلاق الصوفية وشرح الخلق . الباب الثلاثون في ذكر تفاصيل الأخلاق . الباب الحادي والثلاثون في الأدب ومكانه من التصوف . الباب الثاني والثلاثون في آداب الحضرة لأهل القرب . الباب الثالث

معا وعلمها معا وسرحا معا ويكون للرمي معا ويكون إنزاء الفحل معا وأن يكونا جميعا من أهل
الزكاة ولا حكم لخلطة مع الدمي والسكران ومهما نزل في واجب الإبل عن سن إلى سن فهو جائز مالم
يجاوز بنت مخاض في الزول ولكن تضم إليه جبران السن لسنة واحدة شاتين أو عشرين درهما
ولستين أربع شياه أو أربعين درهما وله أن يصعد في السن مالم يجاوز الجذعة في الصعود ويأخذ
الجبران من الساعين من بيت اللال ولا يؤخذ في الزكاة مريضة إذا كان بعض اللال صحيحا ولو واحدة
ويؤخذ من الكرام كريمة ومن الثام ثيمة ولا يؤخذ من اللال الأكولة ولا للماض ولا للرب
ولا الفحل ولا غراء اللال .

(النوع الثاني زكاة للشرات)

فيجب الشر في كل مستبنت مقتات بلغ ثمانمائة من ولا شيء فبادونها ولا في القواكه والقطن ولكن
في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويصير أن تكون ثمانمائة من تمر أو زيبا لا رطبا وعنا
ويخرج ذلك بعد التجفيف ويكمل مال أحد الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع كالبيتان للشرك
بين ورثة لجمعهم ثمانمائة من من زبيب فيجب على جميعهم ثمانون من من زبيب بقدر حصصهم
ولا يصير خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الخلطة بالشعر ويكمل نصاب الشعر بالسلت فانه نوع منه
هذا قدر الواجب إن كان يسقى بسبح أو قناة فإن كان يسقى بنضح أو دالية فيجب نصف الشر فإن
اجتمعا فالأغلب يصير وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحلب اليابس جدا لتنقية ولا يؤخذ
عنب ولا رطب إلا إذا حلت بالأشجار آفة وكانت الصلحة في قطعها قبل تمام الإدراك فيؤخذ الرطب
فيكامل لسة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا إن القسمة بيع بل يرخص في مثل
هذا للحاجة ووقت الوجوب أن يبدو الصلاح في الثمار وأن يشتد الحب ووقت الأداء بعد الجفاف .

(النوع الثالث زكاة التقدين)

فإذا تم الحول على وزن مائتي درهم بوزن مكة ثمرة خالصة فيها خمسة دراهم وهو ربع الشر وما زاد
فبحسابه ولو درهما ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصا بوزن مكة فيها ربع الشر وما زاد فبحسابه
وإن نقص من النصاب حبة فلا زكاة وتجب على من معه دراهم مفضوشة إذا كان فيها هذا القدر
من الثمرة الخالصة وتجب الزكاة في التبر وفي الحلي المظهور كأواني الذهب والفضة ومراكب الذهب
للرجال ولا تجب في الحلي للبائعات وتجب في الدين الذي هو على من ولكن تجب عند الاستيفاء وإن
كان مؤجلا فلا تجب إلا عند حلول الأجل .

(النوع الرابع زكاة التجارة)

وهي كزكاة التقدين وإنما ينقذ الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة إن كان النقد
نصابا فإن كان ناقصا أو اشترى بمرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء وتؤدى الزكاة من
قعد البلد وبه يقوم فإن كان ماله الشراء قدما وكان نصابا كاملا كان التقويم به أولى من قعد البلد
ومن نوى التجارة من مال قنية فلا ينقذ الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ومهما قطع نية
التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة والأولى أن تؤدى زكاة تلك السنة وما كان من ربع في
السلعة في آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول رأس اللال ولم يستأنف به حولا كما في التاج وأموال
السيارة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكاة ربع مال القراض على العامل
وإن كان قبل القسمة ، هذا هو الأقيس .

والثلاثون في آداب
الطهارة ومقدمتها .
الباب الرابع والثلاثون
في آداب الرضوء
وأسراره . الباب
الخامس والثلاثون في
آداب أهل الحصوص
والصوفية فيه . الباب
السادس والثلاثون في
فضيلة الصلاة وكبر
شأنها . الباب السابع
والثلاثون في وصف
صلاة أهل القرب .
الباب الثامن والثلاثون
في ذكر آداب الصلاة
وأسرارها . الباب
التاسع والثلاثون في
فضل الصوم وحسن
أثره . الباب الأربعون
في أحوال الصوفية في
الصوم والافطار . الباب
الحادي والأربعون في
آداب الصوم ومهامه .
الباب الثاني والأربعون
في ذكر الطعام وما فيه
من الصلحة والفسدة .
الباب الثالث
والأربعون في آداب
الأكل . الباب الرابع
والأربعون في ذكر
آدابهم في اللباس
ونياتهم ومقاصدهم فيه
الباب الخامس

(النوع الخامس الركاز واللمدن)

والركاز ما لدفن في الجاهلية ووجد في أرض لم يجز عليها في الاسلام ملك فعلي واجده في الذهب والفضة منه المحس والحول غير معتبر والأولى أن لا يعتبر النصاب أيضا لأن إيجاب المحس يؤكده شبهة بالقيمة واعتباره أيضا ليس بعيد لأن مصرفه مصرف الزكاة ولذلك يخص على الصحيح بالتقدين ، وأما المعادن فلا زكاة فيها استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيها بمد الطحن والتخليس ربع العشر على أصح القولين ، وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب المحس فعلي هذا لا يعتبر وفي النصاب قولان والأشبه والعلم عند الله تعالى أن يلحق في قدر الواجب بركة التجارة فانه نوع اكتساب وفي الحول بالمضرات فلا يعتبر لأنه عين الرفق ويعتبر النصاب كالمضرات والاحتياط أن يخرج المحس من القليل والكثير ومن عين التقدين أيضا خروجها عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قرينة من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشتباه .

(النوع السادس في صدقة الفطر)

وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليتته صاع بمائقتين (١) صاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلاثون يخرجها من جنس قوته أو من أفضل منه فان اقتات بالحنطة لم يجز الشير وإن اقتات حبوبا مختلفة اختار خبرها ومن أيها أخرج أجزاء وفسمتها كقسمة زكاة الأموال فيجب فيها استيعاب الأصناف ولا يجوز إخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومالكه وأولاده وكل قريب هو في نفقته أعنى من يجب عليه نفقته من الآباء والأمهات والأولاد . قال صلى الله عليه وسلم « أدوا صدقة الفطر عنكم تمونون » (٢) وتجب صدقة العبد للشرع على الشريكين ولا تجب صدقة العبد الكافر وإن تبرعت الزوجة بالإخراج عن نفسها أجزأها وللزوج الإخراج عنها دون إذنها وإن فضل عنه ما يؤدى عن بعضهم أدى عن بعضهم وأولادهم بالتقدين من كانت نفقته آكد وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقته على نفقة الخادم (٣) فهذه أحكام فقهاء لا بد للفتى من معرفتها وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله أن يتشكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد إحاطته بهذا المقدار .

(الفصل الثاني في الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة)

اعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة مراعاة خمسة أمور : الأول : النية وهو أن ينوى بقلبه زكاة الفرض ويسن عليه تعيين الأموال فان كان له مال غالب فقال هذا من مالى الغائب إن كان سالما وإلا فهو نافقة جاز لأنه إن لم يصرح به فكذلك يكون عد إطلاقه ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام نية المالك للمتع عن الزكاة ولكن في ظاهر حكم الدنيا : أعنى في قطع المطالبة عنه أما في الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة وإذا وكل بأداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاءه لأن توكيله بالنية نية . الثانية : البدار عقيب الحول

(١) حديث وجوب صدقة الفطر على كل مسلم أخرجه من حديث ابن عمر قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان الحديث (٢) حديث أدوا زكاة الفطر عنكم تمونون قط هق من حديث ابن عمر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر عن الصنير والكبير والحر والعبد عن تمونون قال هق لإسناده غير قوى (٣) حديث قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقته على نفقة الخادم من حديث أبي هريرة بسند صحيح وحب لك وصححه ورواه ن حب بتعدين الزوجة على الولد وسياى

والأربعون في ذكر

فضل قيام الليل .

الباب السادس

والأربعون في الأسباب

للجنة على قيام الليل .

الباب السابع والأربعون

في آداب الانتباه من

النوم والعمل بالليل .

الباب الثامن

والأربعون في تقسيم

قيام الليل . الباب

التاسع والأربعون

في استقبال التهار

والأدب فيه . الباب

الحسون في ذكر العمل

في جميع النهار وتوزيع

الأوقات . الباب الحادى

والحسون في آداب

للربيع مع الشيخ . الباب

الثانى والحسون فيما

يتمتع الشيخ مع

الأصحاب والتلامذة .

الباب الثالث والحسون

في حقيقة الصعبة

وما فيها من الخير والشر .

الباب الرابع والحسون

في أداء حقوق الصعبة

والأخوة في الله تعالى .

الباب الخامس

والحسون في آداب

الصعبة والأخوة : الباب

السادس والحسون

في معرفة الانسان

وفي زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان ووقت تمجيلها شهر رمضان كله ومن أخر زكاة ماله مع التمسك عسى ولم يسقط عنه تلف ماله وتمسكه بمصادفة للتحقق وإن أخر لعدم التحقق قتل ماله سقطت الزكاة عنه وتمجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانقضاء الحول ويجوز تمجيل زكاة حولين ومهما جهل لمات للسكين قبل الحول أو ارتد أو صار غنيا بغير ما جهل إليه أو تلف مال المالك أو مات المندفوع ليس بزكاة واسترجاعه غير ممكن إلا إذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن للجلل مراقبا آخر الأمور وسلامة العاقبة . الثالث : أن لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج النصوص عليه فلا يجزئ ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وإن زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي رضي الله عنه يتساهل في ذلك ويلاحظ للقصور من سد الحاجة وما أبعد عن التحصيل فإن سد الحاجة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام : قسم هو تميد محض لا مدخل للحفظ والاغراض فيه وذلك كرمي الجمرات مثلا إذ لاحظ الجمرة في وصول الحصى إليها المقصود الشرع فيه الأتلاء بالعمل ل يظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يقبل له معنى لأن ما يقبل معناه قد يساعده الطبع عليه ويدعوه إليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية إذ العبودية تظهر بأن تكون الحركة لحق أمر للعبود قطع لالتمس آخر وأكثر أعمال الحج كذلك وذلك قال صلى الله عليه وسلم في إحرامه « ليك بحجة حقا تبدا ورقا »^(١) تنبها على أن ذلك إظهارا للعبودية بالاحياء لمجرد الأمر وامثاله كالأمر من غير استئناس العقل منه بما يميل إليه ويحث عليه . القسم الثاني من واجبات الشرع ما المقصود منه حفظ مقول وليس يقصد منه التمسك كفضاء دين الأديين ورد للنسب فلا جرم لا يعتبر فيه فهو نيته ومهما وصل الحق إلى مستحقه بأخذ للتحقق أو يدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس . والقسم الثالث هو المركب الذي يقصد منه الأمران جميعا وهو حفظ العباد وامتحان للكلف بالاستعداد فيجتمع فيه تبدي رمي الجمار وحفظ رد الحقوق فهذا قسم في نفسه مقول فإن ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي أن ينسى أدق المعنيين وهو التمسك والاسترقاق بسبب أجلاهما ولعل الأدنى هو الأهم والزكاة من هذا القيل ولم ينبته له غير الشافعي رضي الله عنه لحظ الفقير مقصود في سد الحاجة وهو جلي سابق إلى الأفهام وحق التمسك في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك في أن على المكلف تبعا في تمييز أجناس ماله وإخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الأبناف الثمانية كما سيأتي والتساهل فيه غير قاذح في حظ الفقير لكنه قاذح في التمسك ويدل على أن التمسك مقصود بتمييز الأنواع أمور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهيات ومن أوضحها أن الشرع أوجب في خمس من الإبل عاة فعدل من الإبل إلى الشاة ولم يعدل إلى التقدين والتقويم وإن قدر أن ذلك لفة النقود في أيدي العرب بطل بذكره عشرين درهما في الجبران مع الشاتين فلم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وشاتين وإن كانت الثياب والأمتة كلها في معناها ، فهذا وأمثاله من التخصيصات يدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التبعات كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والأذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا شأن اللطيف فيه . الرابع : أن لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر فإن أعين الساكين في كل بلدة تعد إلى أموالها وفي النقل تخيب للظنون فإن عمل ذلك أجزاء في قول ولكن

(١) حديث ليك بحجة حقا تبدا ورقا . البراز والدارقطني في الملل من حديث أنس .

نفسه ومساكنات الصوفية من ذلك .
الباب السابع والخمسون في معرفة الخواطر وتخصيلها وتميزها .
الباب الثامن والخمسون في شرح الحال والقام والفرق بينهما . الباب التاسع والخمسون في الإشارة إلى اللقائات على الاختصار والابحاز .
الباب الستون في ذكر إشارات الشايع في اللقائات على الترتيب .
الباب الحادي والستون في ذكر الأحوال وشرحها . الباب الثاني والستون في شرح كلمات من اصطلاح الصوفية مشيرة إلى الأحوال . الباب الثالث والستون في ذكر شئ من البدايات والنهايات ومهمها ، فهذه الأبواب تحررت بمون الله تعالى مشتملة على بعض علوم الصوفية وأحوالهم ومقاماتهم وآدابهم وأخلاقهم وغرائب مواجيدهم وحقائق معرقهم وتوحيدهم ودقيقهم وإشاراتهم ولطيف

الحروج عن شبه الخلاف أولى فليخرج زكاة كل مال في تلك البلدة . ثم لا بأس أن يصرف إلى الثراء في تلك البلدة . الخامس أن يقسم ماله بعدد الأصناف للوجودين في بلده فان استيعاب الأصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى - إنما الصدقات للفقراء والمساكين - الآية فانه يشبه قول المريض إنما ثلث مالي للفقراء والمساكين وذلك يقتضي التشريك في التخليك والعبادات ينبغي أن يتوقى عن المجهوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان في أكثر البلاد وهم المؤلفون قلوبهم والعاملون على الزكاة ويوجد في جميع البلاد أربعة أصناف : الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون أغنى أبناء السبيل وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون البعض وهم التزاة والمكاتبون فان وجد خمسة أصناف مثلاً قسم بينهم زكاة ماله بخمسة أقسام متساوية أو متقاربة وعين لكل صنف قسماً . ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم لها فوفاً إما متساوية أو متفاوتة وليس عليه التسوية بين أحاد الصنف فان له أن يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد وأما الأصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي أن ينقص في كل صنف عن ثلاثة إن وجد ثم لو لم يجب إلا صاع لفطرة ووجد خمسة أصناف فعليه أن يوصله إلى خمسة عشر قسماً ولو نقص منهم واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخط مال نفسه بمالهم وليجمع للتحقيق ويسلم إليهم حتى يتساهلوا فيه فان ذلك لا بد منه .

(بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة)

اعلم أن على مرشد طريق الآخرة بركاته وظائف . الوظيفة الأولى : فهم وجوب الزكاة ومعناها ووجه الامتحان فيها وأنها لم تجل من مباني الاسلام مع أنها تصرف مالي وليست من عبادة الأبدان وفيه ثلاثة معان . الأول : أن التلقظ بكلمة الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد العبود وشرط تمام الوفاء به أن لا يلق للوحد محبوب سوى الواحد الفرد فان الهبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وإنما يمتحن به بدرجة الحب بمفارقة المحبوب والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وبسيها يأسون بهذا العالم وينفرون عن اللوت مع أن فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بصديق دعواهم في المحبوب واستزلوا عن اللال الذي هو موقوفهم ومشوقهم ولذلك قال الله تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - وذلك بالجهد وهو مساهمة بالمهجة شوقاً إلى لقاء الله عز وجل وللأسخنة بالمال أهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الأموال انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام : قسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم وزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا ديناراً ولا درهما فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة في مائتي درهم قال أما على العوام بحكم الشرع غنجة درهم وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا تصدق أبو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر رضي الله عنه بشطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم ما بقيت لأهلك فقال مثله وقال لأبي بكر رضي الله عنه ما بقيت لأهلك قال الله ورسوله قال صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين كتيبيكما (١) فالصديق وفي تمام الصديق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله .

القسم الثاني درجتهم دون درجة هذا وهم للمسكون أموالهم الرأقون لمواقيت الحاجات بمواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الاتقاع على قدر الحاجة دون التتم وصرف الفائض عن الحاجة إلى وجوه البر مهما ظهر وجوهها وهؤلاء لا يختصرون على مقدار الزكاة وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن في المال حقوقاً

(١) حديث جاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله الحديث دلتك وصحبه من حديث ابن عمر وليس فيه قوله بينكما ما بين كتيبيكما .

اصطلاحاتهم فلو فهم كلها إنباء عن وجدان واعتناء إلى عرفان وذوق تحقيق صدق الحال ولم يف باستيفاء كنهه صريح اللقال لأنها مواهب ربانية ومنافع حقانية استزلهاماء السرائر وخلوص الضمائر فاستصحت بكنيتها على الإشارة وطفعت على البشارة وتهادتها الأرواح بدلالة التشام والاتلاف وكرعت حقائقها من بحر الأنطاف وقد اندرس كثير من دقيق علومهم كما انطمس كثير من حقائق رسومهم . وقد قال الجنيد رحمه الله : علمنا هذا قد طوى بساطه منذ كذا سنة ونحن تكلم في حواشيه بدا هذا القول منه فيوقته مع قرب العهد بقاء السلف وصالحى التابعين فكيف بنامع بعد العهد وقلة العلماء الزاهدين والعارفين بحقائق علوم الدين والله للأموال أن يقابل جهدهم ليقبل بحسن القبول

عوى الزكاة كالنهي والشمي وعطاء ومجاهد . قال الشعبي بعد أن قيل له هل في المال حق سوى الزكاة قال نعم أما سمعت قوله عز وجل - وآتي المال على حبه ذوى القربى - الآية واستدلوا بقوله عز وجل - وما رزقناهم ينفقون - وبقوله تعالى - وأحققوا مما رزقناكم - وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل في حق السلم على السلم ومضاء أنه يجب على الوسر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة والذي يصح في الفقه من هذا الباب أنه مهما أزهقته حاجته كانت إزالتها فرض كفاية إلا لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل أن يقال ليس على الوسر إلا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذلك بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه ويحتمل أن يقال يلزمه بذلك في الحال ولا يجوز له الاقتراض أى لا يجوز له تكليف الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه والاقتراض نزول إلى الدرجة الأخيرة من درجات العوام وهي درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون عنه وهي أقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه ليخلصهم بالمال ويميلهم إليه ونصف جهنم للآخرة قال الله تعالى - إن يسألكموها فيحلفكم بخلوا - يحلفكم أى يستتم عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأن له الجنة وبين عبد لا يستتم عليه ليخلصه فهذا أحد معاني أمر الله سبحانه عباده بهذا الأموال . للمعنى الثاني التطهير من صفة البخل فانهم من المهلكات قال عليه السلام « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه ^(١) » وقال تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - وصياني في ربيع للمهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التقصص منه وإنما نزول صفة البخل بأن تعود بذل للمال فبج الشيء لا ينقطع إلا بغير النفس على مفارقتها حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكاة بهذا المعنى طهيرة أى تطهر صاحبها عن حبب البخل للمهلك وإعنا طهارته بقدره بذله وبقدر فرجه باخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى . للمعنى الثالث شكر النعمة فإن الله عز وجل على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكرا لنعمة البدن والمالية شكرا لنعمة المال وما أحسن من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأخرج إليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربيع العشر أو العشر من ماله . الوظيفة الثانية : في وقت الأداء ومن آداب ذوى الدين التجيل عن وقت الوجوب إظهارا للرغبة في الامتثال بإصال السرور إلى قلوب الفقراء ومبادرة لمواثق الزمان أن تنوقه عن الحيرات وعلا بأن في التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من الصيان لو أخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي أن يضم فإن ذلك له الملك وقلب لاؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فما أسرع قلبه والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفتشاء والنكر وله له عقيب الله للملك فيلغتم الفرصة فيه وليعين لركابها إن كان يؤديها جريما شهرا معلوما وليجهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سببا لتفاءل قربه وتضاعف زكاته وذلك كشهر المحرم فإنه أول السنة وهو من أول الأشهر الحرم أو رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وكان في رمضان كالريح الرملة لا يمسك فيه شيئا ^(٢) ولم رمضان فضيلة ليلة القدر وأنه أنزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فإنه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة أيضا من الشهور الكثيرة الفضل فإنه شهر حرام وفيه الحج الأكبر وفيه الأيام المعلومات وهي العشر الأول والأيام الصدوات وهي أيام التشريق وأفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر وأفضل أيام ذى الحجة

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وأجود ما يكون في رمضان ، الحديث أخرجه من حديث ابن عباس .

والحمد لله رب العالمين .
الباب الأول في ذكر
منشأ علوم الصوفية :
حدثنا شيخنا شيخ
الإسلام أبو النجيب
عبد القاهر بن عبد الله
ابن محمد السهروردي
إسلامه من لفظه في
شوال سنة ستين
وخمسة قال أنا
الشريف نور المدي
أبو طالب الحسين بن
محمد الزيني قال أخبرتنا
كرمة بنت أحمد بن
محمد الرزوية المجاورة
بمكة حرسها الله تعالى
قالت أخبرنا أبو الهيثم
محمد بن مكي الكشميني
قال أنا أبو عبد الله
محمد بن يوسف
القريري قال أخبرنا
أبو عبد الله محمد بن
إسماعيل البخاري قال
حدثنا أبو كريب قال
حدثنا أبو أسامة عن
بريد عن أبي بردة عن
أبي موسى الأشعري
رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « إنا مثل
ومثل ما يقتضى الله به
كمثل رجل آتى قوما
فقال يا قومى إني رأيت

الشر الأول . الوظيفة الثالثة . الاسرار فان ذلك أبعد عن الرياء والسمة قال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة جهد القل إلى قبر في سر » (١) وقال بعض العلماء : ثلاث من كنوز البر منها إخفاء الصدقة (٢) وقد روى أيضا سندنا وقال صلى الله عليه وسلم « إن البعد يعمل عملا في السر فيكتبه الله له سرا فان أظهره قل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به قل من السر والعلانية وكتب رياء (٣) وفي الحديث للشمس « سبعة يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله . أحدم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شاله بما أعطت يمينه » (٤) وفي الخبر « صدقة السر تطفي غضب الرب » (٥) وقال تعالى - وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - وفائدة الإخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمة قد قال لا يقبل الله من مسمع ولا مرأ ولا منان والتحدث بصدقة يطلب السمة والمطى في ملأ من الناس يثنى الرياء والإخفاء والسكوت هو المخلص منه (٦) وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المطى فكان بعضهم يلقبه في يد أعمى وبضهم يلقبه في طريق القبر وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى للمطى وبضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نام وبضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف للمطى وكان يستكم للتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يخشيه كل ذلك توصلا إلى إطفاء غضب الرب سبحانه واحترازا من الرياء والسمة ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلم إلى السكين والسكين لا يعرف أولى إذ في معرفة السكين الرياء ولثة جميعا وليس في معرفة المتوسط إلا الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة لحبط عملها لأن الزكاة إزالة للبخل وتضعيف لب للال وجب الجاء أشد استيلاء على النفس من حب للال وكل واحد منهما مهلك في الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم للال عقربا لادفا وصفة الرياء تنقلب في القبر أنسى من الأفاى وهو مأمور بتضعيفها أو قتلها لدفع أذاها أو تخفيف أذاها فهما قصد الرياء والسمة فكانه جعل بعض أطراف المقرب مقويا لجهة فيقدر ما ضعف من المقرب زاد في قوة الحية ولوترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه وقوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها وضمف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فأى فائدة في أن يخالف دواى البخل ويحبب دواى الرياء فيضعف الأدنى ويقوى الأقوى وستأتى أسرار هذه المعاني في دربع للهلكات . الوظيفة الرابعة : أن يظهر حيث يعلم أن في إظهاره ترغيبا للناس في الاقتداء وحرص سره من داعية الرياء بالطريق الذى سنذكره في معالجة الرياء في كتاب الرياء قد قال الله عز وجل - إن تبدوا الصدقات فنعماى - وذلك حيث يقتضى الحال الابداء إما للاقتداء وإما لأن السائل إنعاسأل على ملأ من الناس فلا يبنى أن يترك التصديق خيفة من

(١) حديث أفضل الصدقة جهد القل إلى قبر في سر أحمد حب ك من حديث أبي ذر ولأبي داود من حديث أبي هريرة أى الصدقة أفضل قاله جهد القل (٢) حديث ثلاث من كنوز البر قد ذكر منها إخفاء الصدقة أبو نعيم في كتاب الإيجاز وجوامع الكلم من حديث ابن عباس يسند ضيف (٣) حديث إن البعد يعمل عملا في السر فيكتبه الله له سرا فان أظهره قل من السر الحديث الخطيب في التاريخ من حديث أنس نحوه باسناد ضعيف (٤) حديث سبعة يظلمهم الله في ظله الحديث أخرجاه من حديث أبي هريرة (٥) حديث صدقة السر تطفي غضب الرب طب من حديث أبي أمامة ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وهو في الشعب من حديث أبي سعيد كلاهما ضعيف والترمذى وحسنه من حديث أبي هريرة إن الصدقة لتطفي غضب الرب ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضعيف أيضا (٦) حديث لا يقبل الله من مسمع ولا مرأ ولا منان لم أنظره هكذا.

الجبيس بينى وإنى أنا
النذير المريان فالنجاء
النجاء فأطاعه طائفة
من قومه فأدجلوا
فانطلقوا على مهلم
فنجوا وكذبت طائفة
منهم فأصبحوا مكانهم
فصبجهم الجبيس
فأهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من أطاعنى
فأبغى ما جئت به ومثل
من عصانى وكذب بما
جئت به من الحق .
معنى اجتاحهم :
استأصلهم ومن ذلك
الجماعة التي تحسد
الهار ، وقال صلى الله
عليه وسلم « مثل
ما يثنى الله به من
الهدى والعلم كمثل
القيث الكثير أصاب
أرضا فكانت طائفة
منها طيبة قبلت الماء
فأنبتت الكلا والشب
الكثير وكانت منها
طائفة أخذات أمسكت
للاء فنفع الله تعالى بها
الناس فثربوا وسقوا
وزرعوا وكانت منها
طائفة أخرى قيمان
لأعسك ماء ولا تنبت
كلا فذلك مثل من فقه
في دين الله وقعه ما يثنى

الله به فلم وعلم ومثل
من لم يرفع بذلك رأسا
ولم يقبل هدى الله
الذي أرسلت به قال
الشيخ أعد الله تعالى
لقبول ما جاء به رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أصفي القلوب وأزكى
النفوس فظهر تفاوت
الصفاء واختلاف
الزككية في تفاوت
القائمة والنفع فمن
القلوب ماهو بمثابة
الأرض الطيبة التي
أنتبت السكلا والشب
الكثير وهذا مثل من
اتفع بالعلم في نفسه
واهتدى ونفعه علمه
وهده إلى الطريق
القوم من متابعة
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن القلوب ماهو
بمشابة الأخاذات أي
الغدران جمع أخاذة
وهو المصنع والقدير
الذي يجتمع فيه الماء
فنفوس العلماء الزاهدين
من الصوفية والشيوخ
زككت قلوبهم صفت
فاختصت بمزيد الفائدة
فصاروا أخاذات قال
مروق محبت أصحاب
رسول الله صلى الله

الرياء في الاظهار بل ينبغي ان يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان وهذا لأن في الاظهار
مخدورا ثالثا سوى للن والرياء وهو هناك ستر القبر فانه ربما يتأذى بأن يرى في صورة المحتاج فمن
أظهر السؤال فهو الذي هناك ستر نفسه فلا يحذر هذا للمنى في إظهاره وهو كإظهار الفسق على من تستر به
فانه محذور والتجسس فيه والاعتقاد بذكره منهي عنه فاما من أظهره فأقامة الحد عليه إشاعة ولكن
هو السبب فيها ومثل هذا للمنى قال **عليه السلام** « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له ^(١) » وقد قال الله تعالى
- وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلاية - ندب إلى العلانية أيضا لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد
دقيق التأمل في وزن هذه القائمة بالمخدور الذي فيه فان ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص قد يكون
الاعلان في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل ومن عرف القوائد والقوائل ولم ينظر بين الشهوة
الفتح له الأولى والألقى بكل حال . الوظيفة الخامسة : أن لا يفسد صدقة بالمن والأذى قال الله تعالى
- لا تبطلوا صدقاتكم بالنمى والأذى - واختلفوا في حقيقة للنمى والأذى قيل للنمى أن يذكرها والأذى
أن يظهرها وقال سفيان من فسد صدقة قيل له كيف للنمى قال أن يذكره ويتحدث به وقيل للنمى
أن يستخدمه بالطعام والأذى أن يبره بالفقر وقيل للنمى أن يشكر عليه لأجل عطائه والأذى أن ينتهره
أربوعه بالمسئلة وقد قال **عليه السلام** « لا يقبل الله صدقة منان ^(٢) » وعندى أن للنمى له أصل ومنرس وهو
من أحوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح فأصله أن يرى نفسه محسنا
إليه ومنما عليه وحقه أن يرى الفقير محسنا إليه بقول حق الله عز وجل منه الذي هو طهرته ونجاته من
النار وأنزلوا لم يقبله لبق مرتبنا به فحقه أن يتقصد منه الفقير إذ جعل كفه نائبا عن الله عز وجل في قبض
حق الله عز وجل قال رسول الله **عليه السلام** « إن الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل ^(٣) »
فليتحقق أنه مسلم إلى الله عز وجل حقه والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بعد صبر ورته إلى الله عز وجل ولو كان
عليه دين لإنسان فأحال به عبده أو خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون
القابض تحت منته سفها وجهلا فان المحسن إليه هو للتكفل برزقه أما هو فائما يقضى الذي لزمه بشراء
ما أحبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعاني الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب
الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسنا إلا إلى نفسه إما يذل ماله إظهارا لحب الله تعالى أو تطهيرا لنفسه عن
رذيلة البخل أو شكرا على نعمة المال طلبا للزيد وكيفا كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه
محسنا إليه ومهما حصل هذا الجهل بأن رأى نفسه محسنا إليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر في معنى المن
وهو التحدث به وإظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والثناء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام
بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة في الأمور فهذه كلها ثمرات للمنة ومعنى المننة في الباطن ما ذكرناه
وأما الأذى فظاهره التوبيخ والتصير وتخسين الكلام وتقطيب الوجه وهناك الستر بالاعظهار وفنون
الاستخفاف وباطنه وهو منعه أمران : أحدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على
نفسه فان ذلك يضيق الخلق لا محالة . والثاني رؤيته أنه خير من الفقير وأن الفقير لسبب حاجته
أخس منه وكلاهما منشؤه الجهل أما كراهية تسليم المال فهو حق لأن من كره بذل درهم في مقابلة
ما يساوي ألفا فهو شديد الخلق ومعلوم أنه يذل المال لطلب رضا الله عز وجل والثواب في الدار الآخرة
(١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له عد حب في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف
(٢) حديث لا يقبل الله صدقة منان هو كالأذى قبله بحديث لم أجده (٣) حديث إن الصدقة تقع
بيد الله قبل أن تقع في يد السائل قط في الأفراد من حديث ابن عباس وقال عريب من حديث عكرمة
عنه ورواه هق في الشعب بسند ضعيف

وذلك أشرف مما يذله أو يذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكرا لطلب المزيد وكيف فرض
قالبكراهة لواجه لها وأما الثاني فهو أيضا جهل لأنه لو عرف فضل الفقير على النبي وعرف خطر الأغنياء
لما استحق الفقير بل تترك به وتعني درجته فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بحسبالة عام
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «مما أخسرون ورب السكينة» قال أبو ذر من هم قال «هم الأكثرون
أموالا» الحديث ثم كيف يستحق الفقير وقد جبه الله تعالى متجربة له إذ يكتب للبال بمجده ويستكر
منه ويعتد في حفظه بمقدار الحاجة وقد أكرم أن يسم إلى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي
يضره لو سلم إليه فالتقى مستخدم للمسي في رزق الفقير ويتميز عليه بتقليد الظالم والزام للشاق وحلولة
القضات إلى أن يموت فيأكله أعداؤه فاذن مهما انتقلت الكراهية وبذلت بالسرور والفرح
بتوفيق الله تعالى له في أداء الواجب وتضيئه الفقير حتى يخلصه عن عهده بقبوله منه اتقى الأدنى
والتوبيخ وتغليب الوجه وتبذل بالاستبشار والتناء وقبول للنة فهذا منشأ للن والأذى . فان قلت
فرؤيته نفسه في درجة الحسن أمر غامض فهل من علامة يتعن بها قلبه فيعرف بها أنه لم ير نفسه
محسنا . فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة وهو أن يقهر أن الفقير لو جنى عليه جناية أو مالا عدوا له
عليه مثلا هل كان يزيد استكراه واستعباده له على استكراهه قبل الصدقة فان زاد لم تغل صدقة
عن شابة للنة لأنه توقع بسببه مالم يكن يتوقه قبل ذلك . فان قلت : فهذا أمر غامض ولا ينفك قلب
أحد عنه لما دواؤه . فاعلم أن له دواء باطنا ودواء ظاهرا أما الباطن فالعروة بالحقائق التي ذكرناها في
فهم الوجوب وأن الفقير هو الحسن إليه في تطهيره بالقبول وأما الظاهر فالأعمال التي يتعاطاها متفقد
للنة فان الأعمال التي تصدر عن الأخلاق تصنع القلب بالأخلاق كما سيأتي أسرارها في الشطر الأخير من
الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويشمل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى
يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لورده وكان بعضهم يسط كفه ليأخذ
الفقير من كفه وتكون يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وأمسلة رضى الله عنهما إذا أرسلتا معروفا
إلى فقير قائما للرسول احفظ ما يدعوه به ثم كاتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذلك حتى تخلص
لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء لأنه شبه السكافاة وكانوا يقابلون الدعاء بثله وهكذا فعل عمر
ابن الخطاب وابنه عبد الله رضى الله عنهما وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من
حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول للنة ومن حيث الباطن للمازف التي
ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يبالغ القلب إلا بمعجون العلم والعمل وهذه
الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم « ليس للره
من صلاته إلا ما عقل منها (١) » وهذا كقوله ^{عليه السلام} لا يتقبل الله صدقة منان وكقوله عز وجل لا تبطلوا
صدقاتكم باليمن والأذى . وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقفا وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط
لحديث آخر وقد أشرنا إلى معناه في كتاب الصلاة . الوظيفة السادسة : أن يستغفر العطي فانه إن
استغظمها أهج بها والعجب من اللهلكت وهو محبط للأعمال قال تعالى - ويوم حين إذا أهيتكم
كثرتم فلم تمن عنكم شيئا - ويقال إن الطاعة كلما استصرت عظمت عند الله عز وجل وللصية كلما
استغظمت صغرت عند الله عز وجل وقيل لا يتم للمعروف إلا بثلاثة أمور تصغيره وتجيئه وستره
وليس الاستغظام هو للن والأذى فانه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستغظام
ولا يمكن فيه للن والأذى بل العجب والاستغظام يجري في جميع العبادات ودواؤه علم وعمل .

(١) حديث ليس للمؤمن من صلاته إلا ما عقل منها تقدم في الصلاة

عليه وسلم فوجدتهم
كأخاذات لأن قلوبهم
كانت واعية فصارت
أوعية للملوم بما رزقت
من صفاء الفهم
أخبرنا الشيخ الامام
رضي الدين أبو الخير
أحمد بن إسماعيل
القزويني بإجازة قال
أبنا أبو سعيد محمد
الجليلى قال أبنا
القاضي أبو سعيد محمد
القرخزادى قال أبنا
أبو اسحق أحمد بن
محمد الثعالبي قال أبنا
ابن فنجويه قال حدثنا
ابن حبان قال حدثنا
اسحق بن محمد قال
حدثنا أبي قال حدثنا
إبراهيم بن عيسى قال
حدثنا علي بن علي قال
حدثنا أبو حمزة الثمالى
قال حدثني عبد الله بن
الحسن قال حين نزلت
هذه الآية - وتمها أذن
واعية - قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
لعل سألت الله سبحانه
وتعالى أن يجعلها أذنك
يا علي قال علي لما نسيت
شيئا بعد وما كان لي
أن أنسى قال أبو بكر
الواسطي أذان وعت

عن الله تعالى أسراره
وقال أيضا واعية في
معادنها ليس فيها غير
ما شهدت شيء فهي
الحالية عما سواه
لما اضطراب الطباع
إلا ضرب من الجبل
قلوب الصوفية واعية
لأنهم زهدوا في الدنيا
بمدان أحكموا أساس
التقوى فباتقوى
زكت قلوبهم وبالزهد
صفت قلوبهم قضا
عدموا شواغل الدنيا
بتحقيق الزهد انفتحت
مسام بواطنهم وصحت
أذان قلوبهم وأطاعتهم
على ذلك زهدهم في
الدنيا فطما التفسير
وأئمة الحديث وقهاء
الإسلام أحاطوا علما
بالكتاب والسنة
واستنبطوا منها
الأحكام وردوا الحوادث
التجسدة إلى أصول
من النصوص وحملوا
بهم الدين وعرف
علماء التفسير وجه
التفسير وعلم التأويل
ومذاهب العرب في
اللفظ وغرائب النحو
والتصريف وأصول
القصص واختلاف

أما العلم فهو أن يعلم أن الشر أربع الشر قليل من كثير وأنه قد قنع نفسه بأحسن درجات البذل كاد كرمنا
في فهم الوجوب فهو جدير بأن يستحي منه فكيف يستعظمه وإن ارتقى إلى الدرجة العليا فبذل كل ماله
أو أكثره فليتامل أنه من أين له المال وإلى ماذا يصرفه فالله عز وجل وله اللذة عليه إذ أعطاه ووقعه
بذله فلم يستعظم في حق الله تعالى ما هو عين حق الله سبحانه وإن كان مقامه يختص أن ينظر إلى الآخرة
وأته يذلل للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضاعه وأما العمل فهو أن يعطيه عطاء الجبل من غله
بمسلك بقية ماله عن الله عز وجل فتكون هيئته الانكسار والحياء كثرة من يطالب برد ودية
فيمنك بضاهو يرد البعض لأن المال كله لله عز وجل وبذل جميعه هو الأحب عند الله سبحانه وإنما
له بأمره عبده لأنه يشق عليه بسبب غله كمال الله عز وجل - فيحنكم بتخلوا - . الوظيفة السابعة :
أن ينتقى من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه فان الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإذا كان المخرج
من عبية فربما لا يكون مسلكه مطلقا فلا يقع للواقع وفي حديث أبي أنس بن مالك طوبى لبيد
أنتق من مال اكتسبه من غير معصية (١) وإذا لم يكن المخرج من جيد للمال فهو من سوء الأدب إذ
قد يمسك الجيد لنفسه أول بيده أول أهله فيكون قد أثر على الله عز وجل غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم
إليه أردأ طعام في بيته لأوغر بذلك صدره هذا إن كان نظره إلى الله عز وجل وإن كان نظره إلى نفسه
وثوابه في الآخرة فليس بماتل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله إلا ما صدق به فأبقى أو أكل فأفنى
والذي يأكله قضاء وطير في الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجل وترك الادخار وقد قال الله تعالى
- يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه
تنتفون ولستم بأخذه إلا أن تمضوا فيه - أي لا تأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغراض
فلا تؤثر واه ربكم وفي الخبر سبق درهم مائة ألف درهم (٢) وذلك بأن يخرج الإنسان وهو من أهل
ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيذل
ذلك أنه ليس يؤثر الله عز وجل بشيء مما يحبه وبذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا الله ما يكرهون
قال تعالى - ويجعلون لله ما يكرهون ونصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسن لا - وقف بعض القراء
على التثنية تكذيبهم ثم ابتداء وقال - جرم أن لهم النار - أي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار .
الوظيفة الثامنة : أن يطلب لصدقة من تزكو به الصدقة ولا يكتفى بأن يكون من عموم الأصناف
الثانية فان في عمومهم خصوص صفات فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستة : الأولى أن يطلب
الأتقياء للفرسين عن الدنيا التجرد في التجارة الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل إلا طعام
تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى (٣) » وهذا لأن التقى يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في
طاعته باعانتك إياه وقال صلى الله عليه وسلم « أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين (٤) »
وفي لفظ آخر « أضف بطعامك من تحبه في الله تعالى (٥) » وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء
الصوفية دون غيرهم قليله لو عمت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لاهؤلاء قوم همهم
له سبحانه فإذا طرقتهم فاة تشقت هم أحدهم فلأن أردمة واحدة إلى الله عز وجل أحب إلى

(١) حديث أنس طوبى لبيد أنتق من مال اكتسبه من غير معصية عدو البرار (٢) حديث سبق درهم
مائة ألف ن حب ومحبته من حديث أبي هريرة (٣) حديث لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى
د ت من حديث أبي سعيد بلفظ لا تصعب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى (٤) حديث أطعموا طعامكم
الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين ابن المبارك في البر الوصلة من حديث أبي سعيد الخدري قال ابن طاهر
غرب فيه مجهول (٥) حديث أضف بطعامك من تحبه الله ابن المبارك أنبا ناجو ير عن الضحاك مرسل .

من أن أعطى ألفاً ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيـد فاستحسنه وقبل هذا إلى من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاماً أحسن من هذا ثم حكى أن هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت قبض إليه الجنيـد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فإن التجارة لا تضرك مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يتاعون منه . الصفة الثانية : أن يكون من أهل العلم خاصة فإن ذلك إعانة له على العلم والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخص بعروفه أهل العلم فقيل له لو علمت فقال إني لأعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجة لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريضهم للعلم أفضل . الصفة الثالثة : أن يكون صادقاً في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى أن النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه وهو أن يرى أن النعمة كلها منه وفي وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعا واعد نعمة غيره عليك مغرماً ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف للنعم ولم يتيقن أن الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله عز وجل إذ سلب الله تعالى عليه دواعي الفعل ويسر له الأسباب فأعطى وهو مقهور ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل في قلبه أن صلاح دينه ودنياه في فعله لهما قوى الباعث أوجب ذلك جزم الإرادة واتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوى الذي لا تردد فيه والله عز وجل خالق البواعث ومهيجه ومزيل للضعف والتردد عنها ومسخر القدرة الاتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب وتيقن مثل هذا العبد أوقع للمعطي من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل في الأكثر جدواه وإعانة مثل هذا العبد الواحد لا تضع . وأما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فيسبغ بالمتع ويدعو بالشر عند الإيذاء وأحواله متفاوتة وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم « بعث معروفاً إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم إنك لم تنس فلانا يعني نفسه فاجعل فلانا لا ينساك يعني بفلان نفسه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسر وقال صلى الله عليه وسلم : علمت أنه يقول ذلك ^(١) » فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده وقال صلى الله عليه وسلم « لرجل تب فقال أتوب إلى الله وحده ولا أتوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لأهله ^(٢) » ولما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك قال أبو بكر رضي الله عنه تومي قبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لأفضل ولا أحمد إلا الله فقال صلى الله عليه وسلم دعها يا أبا بكر ^(٣) وفي

(١) حديث بعث معروفاً إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذه قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره الحديث لم أجده أصلاً إلا في حديث ضعيف من حديث ابن عمر روى ابن منده في الصحابة أوله ولم يسبق هذه القطعة التي أوردها الأصمب وسمى الرجل حديراً فقد روي من طريق البيهقي أنه وصل لحديراً من أبي الدرداء شيء فقال اللهم انك لم تنس حديراً فاجعل حديراً لا ينساك وقيل إن هذا آخر لأصحابه يكنى أبا جبريرة وقد ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٢) حديث قال لرجل تب فقال أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد الحديث أحمد وطب من حديث الأسود بن سريع بسند ضيف (٣) حديث لما نزلت براءة عائشة قال أبو بكر تومي قبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث د من حديث عائشة بلفظ هال أبو أي موسى قبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لأحمد الله لا إياك ولا بخاري تعليقا قال أبو أي موسى إيه قلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد ولا أحمدك ولكن أحمد الله ، وله وسلم فقالت لي أمي موسى إيه قلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله ولطبراني قال

وجوه القراءة وصنفوا في ذلك الكتب فاقسم بطريقهم علوم القرآن على الأمة وأئمة الحديث ميزوا بين الصحاح والحسان وفردوا بعرفة الرواة وأسماي الرجال وحكموا بالجرح والتعديل لمتين الصحيح من السقيم ويتميز الموعج من المستقيم فيتحفظ بطريقهم طريق الرواية والسند حفظا للسنة واتدب الفقهاء لاستنباط الأحكام والتفريع في المسائل ومعرفة التعليل ورد الفروع إلى الأصول بالملل الجوامع واستيعاب الحوادث بحكم النصوص وتفرع من علم الفقه والأحكام علم أصول الفقه وعلم الخلاف وتفرع من علم الخلاف علم الجدل وأحوج علم أصول الفقه إلى شيء من علم أصول الدين وكان من علمهم علم الفرائض ولزم منه علم الحساب والجبر والقياس إلى غير ذلك فتمهدت الشريعة

وتأيدت واستقام الدين
الحقيقي ونزع ونأصل
المهدي النبوي
الصلطوي فأثبتت
أراضي قلوب العلماء
الكلا والشعب بما
قبلت من مياه الحياة
من المهدي والعلم قال
الله تعالى - أنزل من
السماء فسالت أودية
بقدرها - قال ابن
عباس رضي الله عنهما
السما السلم والأودية
القلوب قال أبو بكر
الواسطي رضي الله عنه
خلق الله تعالى ذرة
صافية فلا حظها بين
الجلال فذايت حياء
منه فسالت فقال أنزل
من السماء ماء فسالت
أودية بقدرها فصفاء
القلوب من وصول ذلك
الماء إليها . وقال ابن
عطاء أنزل من السماء
ماء هذا مثل ضربه
الله تعالى للمبد وذلك
إذا سال السيل في
الأودية لا يبقى في
الأودية نجاسة
إلا كينسها وذهب بها
كذلك إذا سال النور
الذي قسمه الله تعالى
للمبد في قسه لا يبقى

لفظ آخر أنها رضى الله عنها قالت لأبي بكر رضى الله عنه بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك مع أن الوحي وصل إليها صلى الله عليه وسلم
ورؤية الأعيان من غير الله سبحانه وصف الكافرين قال الله تعالى - وإذا ذكر الله وحده اشعرت قلوب
الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون - ومن لم يصف باطنه عن رؤية
الوسائل إلا من حيث إنهم وسائل فسكانه لم ينفك عن الشرك الحفي سره فليتنق الله سبحانه في تصفية
توجيه عن كدولت الشرك وهوائيه . الصفة الرابعة : أن يكون مستترا محتيا حاجته لا يكثر البت
والشكوى أو يكون من أهل للرومة عن فحبت نعمته وبقيت مادته فهو يشقى في جلباب التجمل
قال الله تعالى - يحنبهم الجاهل أغنياء من التحف تعرفهم يسام لا يسألون الناس إلحافا - أى لا يلحون
في السؤال لأنهم أغنياء يقيهم أعزة بصبرهم وهذا ينبغي أن يطلب بالتمحص عن أهل الدين في كل علة
ويستكشف عن مواطن أحوال أهل الخير والتجمل فواب صرف العروق إليهم أضاف ما يصرف
إلى المجاهرين بالسؤال . الصفة الخامسة : أن يكون معيلا أو محبوسا بمرض أو سبب من الأسباب فيوجد
فيه معنى قوله عز وجل - لفقراء الذين أحصروا في سبيل الله - أى حبسوا في طريق الآخرة بعلّة أو
ضيق مبيشة أو إصلاح قلب - لا يستطيعون ضربا في الأرض - لأنهم مقصودوا الجناح مقيدوا الأطراف
فهذه الأسباب كان عمر رضى الله عنه يسطى أهل البيت القطيع من الغنم العشرة لما فوقها وكان صلى
الله عليه وسلم يسطى المطاء على مقدار العيلة (١) ومثل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة
البيال وقلة المال . الصفة السادسة : أن يكون من الأقارب وذوي الأرحام تكون صدقة وصلة رحم
وفي صلة الرحم من الثواب مالا يحصى . قال صلى الله عليه وسلم لأن أبا سلمة أخا من إخوان بدرم أحب
إلى من أن تصدق بشترين درهما ولأن أبا سلمة بشترين درهما أحب إلى من أن تصدق بمائة درهم ولأن
أبا سلمة بمائة درهم أحب إلى من أن اعتق رقبة والأصدقاء وإخوان الخير أيضا يقدمون على المعارف كما
يتقدم الأقارب على الأجانب فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبى
أن يطلب أعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والنفحة العظمى
ومهما اجتهد في ذلك وأصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر واحد فان أحد أجره في الحال تطهيره
نفسه عن صفة البخل وتأكيده حب الله عز وجل في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي
تقوى في قلبه فتشوقه إلى لقاء الله عز وجل والأجر الثاني ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ وممنه
فان قلوب الأبرار لها آثار في الحال والمآل فان أصاب حصل الأجران وان أخطأ حصل الأول دون
الثاني فهذا يضاعف أجر للصيب في الاجتهاد ههنا وفي سائر اللواضع والله أعلم .

(الفصل الثالث في القايض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه)

(بيان أسباب الاستحقاق)

اعلم أنه لا يستحق الزكاة إلا حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلي الصف بسعة من صفات الأصناف الثمانية
المذكورين في كتاب الله عز وجل ولا تصرف زكاة إلى كافر ولا إلى عبد ولا إلى هاشمي ولا إلى مطلي

بحمد الله لا بحمد صاحبك ، وله من حديث ابن عباس قالت لا بحمدك ولا بحمد صاحبك ، وله من
حديث ابن عمر قال أبو بكر موحيا فاجتضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا والله لأدنونه
الحديث وفيه أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم بحمد الله لا بحمدك (١) حديث كان يسطى المطاء
على مقدار العيلة لم أر له أصلا ولأبي داود من حديث عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان إذا أتاه النبي قسمه في يومه وأعطى الأهل حظين وأعطى العزب حظا .

أما الصبي والمجنون فيجوز الصرف إليهما إذا قبض ولهما فلنذكر صفات الأصناف الثمانية . الصنف الأول الفقراء : والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة له على الكسب فإن كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وإن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وإن كان معه قبض وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة التميم بحيث تنفي بجميع ذلك كإيلق بالفقراء فهو فقير لأنه في الحال قد عدم ما هو محتاج إليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوة سوى سائر العورة فإن هذا غلو والقالب أنه لا يوجد مثله ولا يخرج عن الفقر كونه معتادا للسؤال فلا يحل السؤال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فإن ذلك يخرج عن الفقر فإن قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويحوز أن يشتري له آلة وإن قدر على كسب لا يلبق بعمروته وبماله مثله فهو فقير وإن كان متفقا ويمنه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وإن كان متعبدا بمتعه الكسب من وظائف العبادات وأوراد الأوقات فليكتسب لأن الكتب أولى من ذلك قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة ^(١) » وأراد به السعي في الاكتساب وقال عمر رضي الله عنه كسب في شبهة خير من مثله وإن كان مكتفيا بنفقة أبيه أو من يجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير . الصنف الثاني للساكنين : والساكن هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد علك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك إلا فأساوجلا وهو غنى والدورة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم الساكنين وكذا أثاث البيت أعنى ما يحتاج إليه وذلك ما يلبق به وكذا كتب التفقه لا تخرجه عن السكنة وإذا لم يملك إلا الكتب فلا تلزمه سدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فإنه محتاج إليه ولكن ينبغي أن يختار في قطع الحاجة بالكتاب فالحاجة محتاج إليه لثلاثة أغراض : التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة أما حاجة التفرج فلا تعتبر كافتناء كتب الأشعار وتواريخ الأخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجرى في الدنيا إلا بجرى التفرج والاستئناس فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر ويمنع اسم السكنة وأما حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمؤدب والعليل والدرس بأجرة فهذه آله فلا تباع في الفطرة كأدوات الحياض وسائر المحترفين وإن كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم الساكنين لأنها حاجة مهيمة وأما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كآخاره كتب طب يعالج بها نفسه أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فإن كان في البهي طيب وواعظ فهذا مستثنى عنه وإن لم يكن فهو محتاج إليه ثم ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة فينبغي أن يضبط مدة الحاجة والأقرب أن يقال مالا يحتاج إليه في السنة فهو مستثنى عنه فإن من فضل من قوت يومه متى تزمته الفطرة فإذا قدرنا القوت باليوم لحاجة أثاث البيت وثياب البدن فينبغي أن نتحدث بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء والكتب بالثياب والأثاث أشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة إلى إحداها . فإن قال إحداها أصح والأخرى أحسن فأنا محتاج إليهما . قلنا اكتف بالأصح وبيع الأحسن ودع التفرج والترفيه وإن كان نسختان من علم واحد إحداها بسيطة والأخرى وجيزة فإن كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيطة وإن كان قصده التدريس فيحتاج إليهما إذ في كل واحدة فائدة ليست في الأخرى . وأمثال هذه الصور لا تنحصر ولم تعرض له في فن التفقه وإنما أوردناه لمعوم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره فإن استقصاء هذه الصور غير ممكن إذ يتعدى مثل هذا النظر إلى أثاث البيت في مدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن

(١) حديث طلب الحلال فريضة بعد الفريضة الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن

مسعود بسند ضعيف

فيه غفلة ولا ظلة أنزل من السماء ماء يعني قسمة النور فسالت أودية بقدرها يعني في القلوب الأنوار على ما قسم الله تعالى لها في الأول - فأما الزبد فيذهب جفاء - فتصير القلوب منورة لا تبقى فيها جفوة سواء ما ينفع الناس فيصحت في الأرض - تذهب البواطل وتبقى الحقائق وقال بعضهم أنزل من السماء ماء أنواع الكرامات فأخذ كل قلب بحظه ونصيبه فسالت أودية قلوب علماء التفسير والحديث والفقه بقدرها وسالت أودية قلوب الصوفية من السماء الزهادين في الدنيا للتسكين بمقتضى التقوى بقدرها فمن كان في باطنه لوث حبة الدنيا من فضول المال والجلاء وطلب للناسب والرفعة سال وادى قلبه بقدره فأخذ من العلم طرفا صالحا ولم يحظ بمقتضى العلوم ومن زهد في الدنيا اتسع وادى قلبه

وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الأمور حدود محدودة ولكن النقيه يجتهد فيها برأيه ويقرب في التحديدات بمآزيره ويتعمق فيه خطر البشبات والتورع يأخذ فيه بالأحوط ويدع ما يريه إلى ما لا يريه والدرجات المتوسطة للشككة بين الأطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينبغي منها إلا الاحتياط والله أعلم .

الصف الثالث العاملون : وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سري الخليفة والقاضي ويدخل فيه المريف والكتائب والمستوفى والمخافض والقبائل ولا يزالوا واتخذ منهم على أجرة للثل فان فضل شيء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بنية الأصناف وإن نقص كمل من مال المصالح .

الصف الرابع المولمة قلوبهم على الاسلام : وهم الأشراف الذين أسلموا وهم مطاعون في قومهم وفي إعطائهم تحريرهم على الاسلام وترغيب نظائرهم وأتباعهم . الصف الخامس الكتائبون : فيدفع إلى السيد سهم الكتائب وإن دفع إلى الكتائب جاز ولا يدفع السيد زكاته إلى مكاتب نفسه لأنه يد عبدا له .

الصف السادس الغارمون : والغارم هو الذي استقرض في طاعة أو مباح وهو فقير فان استقرض في مصبة فلا يسطى إلا إذا تاب وإن كان غنيا لم يقض دينه إلا إذا كان قد استقرض لمصلحة أو إطفاء فته .

الصف السابع النزلة : الذين ليس لهم مرحوم في ديوان المزرقة فيصرف إليهم سهم وإن كانوا أغنياء إعانة لهم على النزو .

الصف الثامن ابن السيل : وهو الذي شخص من يديه ليسافر في غير مصبة أو اجتاز بها فيعطى إن كان فقيرا وإن كان له مالا يولد آخر أعطى بقدر بلغته فان قلت فبم تعرف هذه الصفات قلنا أما الفقر والمسكنة فيقول الأخذ ولا يطالب بيعة ولا يحلف بل يجوز اعتدائه قوله إذا لم يعلم كذبه وأما النزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله إن غاز فان لم يغز به استرد وأما بنية الأصناف فلا بد فيها من البيعة فهذه شروط الاستحقاق وأما مقدار ما يصرّف إلى كل واحد فيأتي .

(بيان وظائف القابض وهي خمسة)

الأولى : أن يعلم أن الله عز وجل أوجب صرف الزكاة إليه ليكني همه ويجعل همومه بها واحدا فقد تعبد الله عز وجل الخلق بأن يكون مهمهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو الملقى بقوله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على السيد الشهوات والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم إضافة نعمة تكني الحاجات فأكثر الأموال وسبها في أيدي عباده لتكون آله لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعتهم ففهم من أكثر ماله فتنه وبليّة فأقمحه في الخطر ومنهم من أحبه فخاه عن الدنيا كما يحمي المشرق مريضه فزوى عنه فضولها وساق إليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون سهل الكسب والتب في الجمع والحفظ عليهم وفائدته تنصب إلى الفقراء فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا تصرفهم عنها فضوله الدنيا ولا تشغلهم عن التأهب للقائه وهذا منتهى النعمة على الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه كما سيأتي في كتاب الفقر تحقيقه وبيانه إن شاء الله تعالى فليأخذ ما يأخذه من الله سبحانه رزقا وعونا له على الطاعة ولتكن نيته فيه أن يتقوى به على طاعة الله فان لم يقدر عليه فليصرفه إلى ما أباحه الله عز وجل فان استعان به على مصبة الله كان كافرا لأنهم الله عز وجل مستحقا للعباد والمقت من الله سبحانه .

الثانية : أن يشكر المولى ويدعو له ويشفي عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرج عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه إليه والطريق حق من حيث جسد الله طريقا واسطة

فسالت فيه مياه العلوم واجتمعت وصارت أخاذات . قيل للحسن البصري هكذا قال الفقهاء فقال وهل رأيت قسها قسط إنما الفقير الزاهد في الدنيا فالصوفية أخذوا حظا من علم الدراسة فأفادهم علم الدراسة العمل بالعلم فلما عملوا بما علموا أفادهم العمل علم الوراثة فهم مع سائر العلماء في علومهم وتعبروا عنهم بعلوم زائدة هي علوم الوراثة وعلم الوراثة هو الفقه في الدين قال الله تعالى - قلوا نؤمن كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينفذوا قوامهم إذا رجعوا إليهم - فصار الانذار مستفادا من الفقه والانذار لإحياء التلذذ بماء العلم والإحياء بالعلم رتبة الفقيه في الدين فصار الفقه في الدين من أكمل المراتب وأعلاها وهو علم العالم الزاهد في الدنيا للثقي الذي يبلغ رتبة الانلذذ بملسه لمورد العلم

وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله سبحانه فقد قال صلى الله عليه وسلم « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » (١) وقد أنشأ الله عز وجل على عباده في مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها نحو قوله تعالى - نعم العبد إنه أواب - إلى غير ذلك وليقل القابض في دعائه طهر الله قلبك في قلوب الأبرار وزكى عملك في عمل الأخيار وصلى على روحك في أرواح الشهداء وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تستطعوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه » (٢) ومن تمام الشكر أن يشتر عيوب المطاء إن كان فيه عيب ولا يحقره ولا يئمه ولا يصيره بالمنع إذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطى الاستغفار ووظيفة القابض تقلد الله والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه إذ موجبات التصغير والتعظيم تمارض والتنافع للمعطى ملاحظة أسباب التصغير ويضربه خلافه والأخذ بالمعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل فإن من لا يرى الواسطة واسطة قصد جهل وإنما للشكر أن يرى الواسطة أصلاً . الثالثة : أن ينظر فيما يأخذه فإن لم يكن من حل تورع عنه ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم للتورع عن الحرام فتوحاً من الحلال فلا يأخذ من أموال الأثراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام إلا إذا ضاق الأمر عليه وكان ما يسلم إليه لا يعرف له مال كما صيغناه أن يأخذ بقدر الحاجة فإن خوى الشرع في مثل هذا أن يتصدق به على ماسيأتى يئنه في كتاب الحلال والحرام وذلك إذا عجز عن الحلال فإذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة إذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهو حرام . الرابعة : أن يتوقى مواقع الريية والاشتباه في مقدار ما يأخذه فلا يأخذ إلا للقدار الباق ولا يأخذ إلا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق فإن كان يأخذه بالكتابة والغرامة فلا يزيد على مقدار الدين وإن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجره الثلث وإن أعطى زيادة أبى وامتنع إذ ليس للمال للمعطى حتى يتبرع به وإن كان مسافراً لم يزد على الزاد وكراء الدابة إلى مقصده وإن كان غازياً لم يأخذ إلا ما يحتاج إليه للغزو خاصة من خيل وسلاح وثقفة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريه إلى ما لا يريه وإن أخذ بالسكنة فلينظر أولاً إلى أثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغنى عنه بيته أو يستغنى عن قناته فيمكن أن يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك إلى اجتهد وفيه طرف ظاهر يتحقق معه أنه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه أنه غير مستحق وبينهما أوساط مشتبها ومن حار حول الحمى يوشك أن يقع فيه والاعتماد في هذا على قول الأخذ ظاهراً وللمحتاج في تقدير الحاجات مقامات في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع إلى التضييق وميل للتساهل إلى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجاً إلى فنون من التوسع وهو بمقوت في الشرع . ثم إذا تحققت حاجته فلا يأخذ ما لا كثيراً بل ما يتم كفايته من وقت أخذه إلى سنة فهذا أقصى ما يرخص فيه من حيث إن السنة إذا تكررت تكررت أسباب الدخول ومن حيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخر لعياله قوت سنة (٣) فهذا أقرب ما يجد به حد الفقير والسكين

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله ت وجسته من حديث أبي سعيد وله ولأبي داود وابن جابر نحوه من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (٢) حديث من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه الحديث من حديث ابن عمر بإسناد صحيح باللفظ من صنع (٣) حديث ادخر لعياله قوت سنة أخرجه عن حديث عمر كان يوزل خقة أهله سنة والطبراني في الأوسط من حديث أنس كان إذا ادخر لأهله قوت سنة تصدق بما بقي قال الذهبي حديث منكر .

واللهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً ورد عليه الهدى والعلم من الله تعالى فارتوى بذلك ظاهراً وباطناً فظهر من ارتواء ظاهره الدين والدين هو الاقياد والخضوع مشتق من الدون فكل شيء أتضع فهو دون فالدين أن يضع الانسان نفسه لربه قال الله تعالى - شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه - فالتفرق في الدين يستولى الله بول على الجوارح وتذهب عنها نضارة العلم والنضارة في الظاهر بسترين الجوارح بالاقياد في النفس والمال مستفاد من ارتواء القلب والقلب في ارتوائه بالعلم بمثابة البحر فصار قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدى والهدى بحر مواجا . ثم وصل من بحر قلبه إلى النفس

ولو انتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى . ومذاهب العلماء في قدر المال أخذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل إلى حد أوجب الاقتصار على قدر قوت يومه وليته وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية ^(١) أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن السؤال مع الفنى فمثل عن غناه فقال ^(٢) غداؤه وعشاؤه ^(٣) وقال آخرون يأخذ إلى حد الفنى وحد الفنى نصاب الزكاة إذ لم يوجب الله تعالى الزكاة إلا على الأغنياء فقالوا له أن يأخذ بنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وقال آخرون حد الفنى خمسون درهما أوقعتها من الذهب لما روى ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وله مال يشيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش فمثل وماغناه قال خمسون درهما أوقعتها من الذهب ^(٤) » وقيل راويه ليس بقوى وقال قوم أربعون لما روى عطاء بن يسار منقطعاً أنه صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال ^(٥) » وبالع آخرون في التوسيع فقالوا له أن يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغنى به طول عمره أوبهى بضاعة ليتجر بها ويستغنى بها طول عمره لأن هذا هو الفنى وقد قال عمر رضى الله عنه إذا أعطيت فأغنوا حتى ذهب قوم إلى أن من اقتصر فله أن يأخذ بقدر ما يعود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم إلا إذا خرج عن حد الاعتدال والماعتل أبو طلحة يستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة فقال صلى الله عليه وسلم « اجعله في قرابتك فهو خير لك ^(٦) » فأعطاه حسان وأباتادة فحائط من نخل لرجلين كثير من وأعطى عمر رضى الله عنه أعرابيا ناقة معها ظئر لها فهذا ما حكى فيه فأما التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقية فذلك ورد في كراهية السؤال والتردد على الأبواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجوز إلى أن يشتري ضيعة فيستغنى بها أقرب إلى الاحتمال وهو أيضاً مائل إلى الاسراف والأقرب إلى الاعتدال كفاية سنة فإدراؤه فيه خطر وفيه دونه تضيق وهذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزء بالتوقيف فليس للمجتهد إلا الحكم بما رتب له ثم يقال للورع « استغث قلبك وإن أفتوك وأفتوك ^(٧) » كقوله صلى الله عليه وسلم إذ الهم حراز القلوب فإذا وجد القابض في نفسه شيئاً مما يأخذه فليتركه فيه ولا يترخص تطلا بالتقوى من علماء الظاهر فإن لغتواهم قيوداً ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات والتوقى من الشبهات من شيم ذوى الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة . الخامسة : أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فإن كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذه منه فإنه لا يستحق مع شريكه إلا الثمن فليقتص من الثمن مقدار ما يصرف إلى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق فاتهم لا يرعون هذه القسمة إما الجهل وإما لتساهل وإنما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور إذا لم يخلط على الظن احتمال التحريم ومبائى ذكر مظان السؤال ودرجة الاحتمال في كتاب الحلال والحرام إن شاء الله تعالى .

(١) حديث سهل بن الحنظلية في النهى عن السؤال مع الفنى فيسأل ما يخيه فقال غداؤه وعشاؤه د حب بلفظ من سأل وله ما يخيه فأنما يستكثر من جمر جهنم الحديث (٢) حديث ابن مسعود من سأل وله ما يخيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش الحديث أصحاب السنن وحسنه ت وضعه النسائي والخطابي (٣) حديث عطاء بن يسار منقطعاً من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال د ن من رواية عطاء عن رجل من بنى أسد متصلاً وليس بمنقطع كما ذكره المصنف لأن الرجل صحابي فلا يضر عدم تسميته وأخرجه د ن حب من حديث أبي سعيد (٤) حديث لما شغل أبو طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة تقدم في الصلاة (٥) حديث استغث قلبك وإن أفتوك تقدم في العلم .

فظهر على نفسه الشريعة .
ضارة السلم وريه
فتبدلت نفوت النفس
وأخلاقها . ثم وصل
إلى الجوارح جدول
فصارت رياه ناضرة
فلما استتم نضارة
وامتلاء رياه الله
تعالى إلى الخلق فأقبل
على الأمة بقلب موج
بياه العلوم واستقبل
جدول الفهم وجرى
من بحر في كل جدول
قسط ونصيب وذلك
القسط الواصل إلى
الفهم هو الفقه في
الدين . روى عبدالله
ابن عمر رضى الله عنهما
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « ما عبد
الله عز وجل بشيء
أفضل من فقه في الدين
ولفقيه واحد أشد على
الشیطان من ألف عابد
ولكل شيء عماد وعماد
هذا الدين الفقه » .

حدثنا شيخنا شيخ
الإسلام أبو النجيب
إملاء قال حدثنا سعيد
ابن حفص قال حدثنا
أبو طالب الزيني قال
أخبرتني كريمة بنت
أحمد بن محمد الروزية

(للتفصيل الرابع في صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها)

(بيان فضيلة الصدقة)

من الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم « تصدقوا ولو بشمرة فانها تسد من الجائع وتطفى الحطينة كايطفى النار » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق ثمرة فان لم تجدوا فيكم كلمة طيبة » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا الا كان الله آخذها يمينه فيريها كاي يرى أحداكم فضيله حتى تبلغ الثمرة مثل أحد » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « لأبي الدرداء إذا طبخت مرققة فأكثر ماءها ثم انظر إلى أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعرف » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « الصدقة تسد سبعين بابا من الشر » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « صدقة السر تطفى غضب الرب عز وجل » وقال صلى الله عليه وسلم « ما الذي أعطى من سعة بأفضل أجرا من الذي يقبل من حاجة » (٨) ولعل للراي الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطي الذي يقصد باعطائه حجارة دينة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أي الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان » (٩) وقد قال صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه « تصدقوا فقال رجل إن عندى دينار فقال أنفق على نفسك فقال إن عندى آخر قال أنفق على زوجتك قال إن عندى آخر قال أنفق على ولدك قال إن عندى آخر قال أنفق على خادمك قال إن عندى آخر قال صلى الله عليه وسلم أنت أبصر به » (١٠) وقال صلى الله عليه وسلم « لا تحل الصدقة لأل محمد إنما هي أوساخ الناس » (١١)

(١) حديث تصدقوا ولو بشمرة فانها تسد من الجائع وتطفى الحطينة كايطفى النار ابن المبارك في الزهد من حديث عكرمة مرسلأ ولأحمد من حديث عائشة بسند حسن استمرى من النار ولو بشق ثمرة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبان ولأبي يعلى والبراز من حديث أبي بكر اتقوا النار ولو بشق ثمرة فانها تقوم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعا من الشبان وإنسانه ضعيف وللمزمذى ون في الكبرى و في حديث معاذ والصدقة تطفى الحطينة كايطفى النار (٢) حديث اتقوا النار ولو بشق ثمرة فان لم تجدوا فيكم كلمة طيبة أخرجاه من حديث عدى بن حاتم (٣) حديث ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا الحديث خ تعليقا وم ت ن في الكبرى واللفظ له من حديث أبي هريرة (٤) حديث قال لأبي الدرداء إذا طبخت مرققة فأكثر ماءها الحديث م من حديث أبي ذر أنه قال ذلك له وما ذكره للصف أنه قال لأبي الدرداء وهم (٥) حديث ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته ابن المبارك في الزهد من حديث ابن شهاب مرسلأ بسناد صحيح وأسند الخطيب فيمن روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه (٦) حديث كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس حب ك وصححه على شرط م من حديث عقبة ابن عامر (٧) حديث الصدقة تسد سبعين بابا من الشر ابن المبارك في البر من حديث أنس بسند ضعيف إن الله ليدرك بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء (٨) حديث ما للمعطي من سعة بأفضل أجرا من الذي يقبل من حاجة حب في الضعفاء وطب في الأوسط من حديث أنس ورواه في الكبير من حديث ابن عمر بسند صحيح (٩) حديث سئل أي الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح الحديث أخرجاه من حديث أبي هريرة (١٠) حديث قال يوما لأصحابه تصدقوا فقال رجل إن عندى دينار فقال أنفق على نفسك الحديث د ن واللفظ له وح ك من حديث أبي هريرة وقد تقدم قبل بيير (١١) حديث لا تحل الصدقة لأل محمد الحديث م من حديث المطلب بن ربيعة

قالت أخبرنا أبو الهيثم قال أخبرنا القزيري قال أخبرنا البخاري قال حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن قال سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي » قال الشيخ إذا وصل العلم إلى القلب اختلج بصر القلب فأبصر الحق والباطل وتبين له الرشدين التي ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأعرابي : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال الأعرابي حسبي حسبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قه الرجل وروى عبد الله بن عباس : أفضل العباداة الفقه في الدين والحق سبحانه وتعالى جعل الفقه صفة القلب فقال لهم قلوب لا يفقهون بها - فلما قهوا علموا

وقال « ردوا منة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « لو صدق السائل ما أفلح من رده » (٢) وقال عيسى عليه السلام : من رد سائلا خائبا من يته لم تنفش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام . وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا بكل خصلتين إلى غيره كان يضع ظهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين يده » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ليس المسكين الذي تردم التمرة والتمرثان واللقمة واللقمتان إنما المسكين للضعف اقربوا إن شئتم لا يسألون الناس إلحافا » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان في حفظ الله عز وجل مادامت عليه منة رقة » (٥) . الآثار : قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بحسين ألفا وإن درعها لم رقع وقال مجاهد في قول الله عز وجل « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيا وأسيرا » - فقال وهم يشبهونه وكان عمر رضي الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا اللهم يعطون به على قدر الحاجة منا وقال عمر بن عبد العزيز الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن أبي الجعد إن الصدقة لتدفع سبعين بابا من سوء فضل سرها على علانياتها بسبعين ضعا وإنها لتفك لحي سبعين شيطانا وقال ابن مسعود إن رجلا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله ثم مر بمسكين فنصدقه عليه برغيف ففقر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين وقال لقمان لابنه إذا أخطأت خطيئة فأعط الصدقة وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزني جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن أبي رواد كان يثالث ثلاثة من كنوز الجنة كتمان للرض وكتمان الصدقة وكتمان للصائب وروى مستند وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن الأعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضلكن وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله يقول - لن تتأوا البر حتى تتفقوا عما تحبون - والله يعلم أني أحب السكر وقال النخعي إذا كان الذي لله عز وجل لا يسرى أن يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط وأمرى ما كانوا قط فمن أطعم الله عز وجل أشبعه الله ومن سقى الله عز وجل سقاه الله ومن كسا الله عز وجل كساه الله وقال الحسن لو شاء الله لجمعكم أغنياء لا يقير فيكم ولكنه ابتلى بضعكم ببعض وقال الشعبي من لم ير ضربه إلى ثواب الصدقة أخرج من الفقر إلى صدقة فقد أبطل صدقة وضرب بها وجهه وقال مالك لا ترى بأما يشرب للوسر من الماء الذي يتصدق به ويسقى في المسجد لأنه إنما جعل للعطشان من كان ولم يرد به أهل الحاجة للسكنى على الخصوص وقال إن الحسن مر به غناس ومعه جارية فقال للغناس أترضئونها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فإن الله عز وجل رضى في الحور العين بالفلس واللقمة .

(بيان إخفاء الصدقة وإظهارها)

قد اختلف طريق طلاب الاخلاص في ذلك فقال قوم إلى أن الاخفاء أفضل ومال قوم إلى أن الاظهار أفضل ونحن نشير إلى ما في كل واحد من المعاني والآفات ثم نكشف النطاء عن الحق فيه . أما الاخفاء فقيه خمسة معان : الأول أنه أبقى للستر على الأخذ فان أخذه ظاهرا هتك لستر اللزوة وكشف عن

(١) حديث ردوا منة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام المقتل في الضعفاء من حديث عائشة (٢) حديث لو صدق السائل ما أفلح من رده المقتل في الضعفاء وابن عبد البر في التمهيد من حديث عائشة قال المقتل لا يصح في هذا الباب شيء والطبراني نحوه من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٣) حديث كان لا بكل خصلتين إلى غيره الحديث الدار قطن من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن المبارك في البر مرسل (٤) حديث ليس للمسكين الذي تردم التمرة والتمرثان الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٥) حديث ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان في حفظ الله الحديث ت وحسنه وك وصحح إسناده من حديث ابن عباس وفيه خالف بن طهمان ضعيف

ولما علموا عملوا ولما عملوا عرفوا ولما عرفوا اهتموا فكل من كان أقصه كانت نفسه أسرع لإجابة وأكثر اعتيادا لمعلم الدين وأوفر حظا من نور اليقين فالعلم حجة موهوبة من الله للقلوب وللعرفة تميز تلك الجملة والهدى وجدان القلوب ذلك فالتبى صلى الله عليه وسلم لا قال « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم » أخبر أنه وجد القلب النبوى العلم وكان هاديا مهديا وعلوه صلوات الله عليه منهما وراثة معجونة فيه من آدم أبي البشر صلى الله عليه وسلم حيث علم الأسماء كلها والأسماء صمة الأشياء فكفره الله تعالى بالعلم وقال تعالى - علم الإنسان ما لم يعلم - فأدرك لما ركب فيه من العلم والحكمة صار ذا فهم والفطنة والرافة والظف والحجب والبغض والقبح والنم والرضا والغضب

والكياسة ثم اقتضاه استعمال كل ذلك وجعل قلبه بصيرة واهتداء إلى الله تعالى بالنور الذي وهب له فالتبى صلى الله عليه وسلم بعث إلى الأمة بالنور للوروث والوهوب له خاصة وقيل لما خاطب الله السموات والأرض بقوله - اثبتا طوعا أو كرها فاثبتنا طاعتين - نطق من الأرض وأجاب موضع الكعبة ومن السماء ما يحاذيها وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سررة الأرض بمكة فقال بعض العلماء هذا يشعر بأن ما أجاب من الأرض ذرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة دحيت الأرض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأصل في التكوين والكالنات تبع له وإلى هذا إشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « كنت نبيا وآدم

الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذي يحسب الجاهل أهله أغنياء من التفف . الثاني أنه أسلم لقلوب الناس وألسنتهم فأنهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أو يظنون أنه آخذ مع الاستثناء أو ينسبون له إلى أخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيبة من القنوب الكبار وصياتهم عن هذه الجرائم أولى وقال أبو أيوب السخيتاني إنى لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث في جيراني حسدا وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشيء لأجل إخواني يقولون من أين له هذا وعن إبراهيم التيمي أنه رأى عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه من أين لك هذا فقال كسائي أخى خيشمة ولو علمت أن أهله علموا به ما قبلته . الثالث إغاثة المعطى على إسرار العمل فإن فضل السر على الجهر في الإعطاء أكثر والإغاثة على إتمام المعروف والمعروف والسكبان لا يتم إلا بالثبوت فهما أظهر هذا انكشاف السر المعطى ودفع رجل إلى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده إليه ودفع إليه آخر شيئا في السر قبله قيل له في ذلك فقال إن هذا عمل الأدب في إخفاء معروفه قبلته وذلك أساء أدبه في عمله فردته عليه وأعطى رجل لبعض الصوفية شيئا في الملا فرده فقال له لم ترد علي الله عز وجل ما أعطاك فقال إنك أشركت غير الله سبحانه فيما كان لله تعالى ولم تقنع بالله عز وجل فردت عليك شركك وقبل بعض العارفين في السر شيئا كان رده في العلانية قيل له في ذلك فقال عصيت أبا الجهر فلم ألعونا لك على الحسية وأطعته بالإخفاء فأعنتك على برك وقال التوري لو علمت أن أحدهم لا يذكر صدقته ولا يتحدث بها قبلت صدقته . الرابع أن في إظهار الأخذ ذلا واستمنا وليس للمؤمن أن يذلل نفسه . كان بعض العلماء يأخذ في السر ولا يأخذ في العلانية ويقول إن في إظهاره إدلالا للعلم واستمنا للأهله فما كنت بالذي أرفع شيئا من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله . الخامس الاحتراز عن شبهة الشركه قال صلى الله عليه وسلم « من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها (١) » وبأن يكون ورقا أو ذهباً لا يخرج عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ما يهدى الرجل إلى أخيه ورقا أو يطمعه خبزا (٢) » فجعل الورق هدية بأمراده فإسطى في الملا مكروه لإبراهيم جميعهم ولا يغلو عن شبهة فاذا انفرد سلم من هذه شبهة . أما الإظهار والتحدث به ففيه معان أربعة : الأول الإخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والراءاة . والثاني إسقاط الجاه والتزلة وإظهار العبودية والسكنة والتبري عن الكبرياء ودعوى الاستعانة وإسقاط النفس من أعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه أظهر الأخذ على كل حال إن كنت آخذاً فانك لا تغلو عن أحد رجلين رجل تسقط من قلبه إذا قبلت ذلك فذلك هو المراد لأنه أسلم لتلميذك وأقل لأفات نفسك أو رجل تزداد في قلبه بإظهارك الصدق فذلك الذي يريد أخوك لأنه يزداد ثواباً بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك فتؤجر أنت إذا كنت سبب مزيد ثوابه . الثالث هو أن العارف لا ينظر له إلا إلى الله عز وجل والسر والعلانية في حقه واحد باختلاف الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لانصبأ بدعاء من يأخذ في السر ويرد في العلانية والالتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا نقصان في الحال بل ينبغي أن يكون النظر مقصوراً على الواحد الفرد . حكى أن بعض الشيوخ كان كثير الليل إلى واحد من جملة الريدين فشق على الآخرين فأراد

(١) حديث من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها العقيلي وابن حبان في الضعفاء وطب في الأوسط وهق من حديث ابن عباس قال علق لا يصح في هذا المتن حديث (٢) حديث أفضل ما يهدى الرجل إلى أخيه ورقا أو يطمعه خبزا بعد وضعه من حديث ابن عمر أن أفضل العمل عند الله أن يقص عن مسلم دينه أو يدخل عليه سرورا أو يطمعه خبزا ولا حمد وتوصية من حديث البراء من مسح منحة ورق أو منحة لبن أو هدي زقاقا فهو كفتاق نسمة .

بين الماء والطين «
وفي رواية «بين الروح
والجسد» وقيل ذلك
سمى أميا لأن مكة أم
القرى وذرته أم الخليفة
وتربة الشخص مدفنه
فكان يقتضى أن
يكون مدفنه بمكة
حيث كانت تربته منها
ولكن قبل الماء لما
توج روى الزيد إلى
النواحي فوقت
جوهرة النبي صلى الله
عليه وسلم إلى ما عاذى
تربته بالمدينة وكان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكيا مدنيا
حينئذ إلى مكة وتربته
بالمدينة والإشارة فيما
ذكرناه من ذرة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو ما قال
الله تعالى - وإذ أخا
ربك من بنى آدم من
ظهورهم ذريتهم
وأشهدهم على أنفسهم
ألسنت بربكم قالوا بلى -
وردد في الحديث «إن
الله تعالى مسح ظهر
آدم وأخرج ذريته منه
كهيئة الدر» استخرج
الدر من مسام شعر
آدم فخرج الدر

أن يظهر لهم فضيلة ذلك الريد فأعطى كل واحد منهم دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها
حيث لا يراه أحد فانفرد كل واحد وذبح الإذلك الريد فانه رد الدجاجة فسلّمهم فقالوا فسلّمنا ما أمرنا به
الشيخ فقال الشيخ للريد مالك لم تذبح كاذب أصحابك فقال ذلك الريد لم أقدر على مكان لا يراني فيه
أحد فان الله يراني في كل موضع فقال الشيخ لهذا أميل إليه لأنه لا يفتن لغير الله عز وجل . الرابع
أن الاظهار إقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى - وأما بنعمة ربك فحدث - والسكبان كفران النعمة
وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى - الذين يخفون ويأمرون
الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله - وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أتم الله على عبد نعمة أحب أن
تري نعمته عليه (١)» وأعطى رجل بعض الصالحين شيئا في السر فرفع به يده وقال هذا من الدنيا
والملانية فيها أفضل والسر في أمور الآخرة أفضل ولذلك قال بعضهم إذا أعطيت في اللات غدا ثم ارددني
السر والشكر فيه عثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم «من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل (٢)»
والشكر قائم مقام للكفاة حتى قال صلى الله عليه وسلم «من أمدى إليكم معروفا فكافؤوه فان لم تستطيعوا فأثبوا
عليه بخيرا وادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه» ولما قال المهاجرون في الشكر «يا رسول الله
ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الأموال حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله فقال صلى الله
عليه وسلم كل ما شكرتم لهم وأنتم عليهم به فهو مكافأة (٣)» فالآن إذا عرفت هذه المعاني فاعلم أن
ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا في الشئ بل هو اختلاف حال فكشف التطاء في هذا أنا
لا نعلم حكما بنا بأن الاختفاء أفضل في كل حال أو الاظهار أفضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات
وتختلف النيات باختلاف الأجوال والأشخاص فينبغي أن يكون الخالص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى
بجمل التورر ولا يتخدع بتليس الطبع ومكر الشيطان والسكر والحداع أغلب في معاني الاختفاء منه في
الاظهار مع أن له دخلا في كل واحد منهما فاما مدخل الحداع في الاسرار فمن ميل الطبع اليه لما فيه من خفض
الجاء والمنزلة وسقوط القدر عن أعين الناس ونظر الخلق اليه بين الازدراء وإلى المعطى بين النعم الحسن
فهذا هو الداء الدفين ويستكن في النفس والشيطان بواسطته يظهر معاني الخير حتى يتطل بالمعاني الحمسة
التي ذكرناها ومييار كل ذلك ومحكها أمر واحد وهو أن يكون تأمله بانكشاف أخذه الصدقة كتأمله بانكشاف
صدقة أخذها بعض نظرائه وأمثاله فانه إن كان ينشئ صيانة الناس عن التمية والحسد وسوء الظن أو
يتقى انتهاك السر أو إغانة المعطى على الاسرار أو صيانة العلم عن الابتدال فكل ذلك مما يحصل
بانكشاف صدقة أخيه فان كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره فتقديره الحذر
من هذه المعاني أغليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعته فان إذلال العلم محذور من حيث إنه علم
لامن حيث إنه علم زيد أو علم عمرو والنية محفورة من حيث إنها تعرض لمرض مصون لامن حيث إنها
تعرض لمرض زيد على الخصوص ومن أحسن من ملاحظة مثل هذا ربما سجر الشيطان منه وإلا فلا يزال
كثير العمل قليل الخط وأما جانب الاظهار فليل الطبع إليه من حيث إنه تطيب لقلب المعطى واستحاث
له على مثله وإظهاره عند غيره أنه من الباطنين في الشكر حتى يزعموا في إكرامه وتفقدته وهذا داء دفين
في الباطن والشيطان لا يقدر على التدبير إلا بأن يروج عليه هذا الحبث في معرض السنة ويحول له الشكر

(١) حديث إذا أتم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن تری عليه أحمد من حديث عمران بن حصين
بسند صحيح وحسنه ب من حديث سمرو بن شبيب عن أبيه عن جدّه (٢) حديث من لم يشكر
الناس لم يشكر الله تعالى (٣) حديث قالت المهاجرون يا رسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عليهم
الحديث ب وصححه من حديث أنس ورواه مختصرا دن في اليوم واليلة وك وصححه .

من السنة والاختفاء من الرياء ويورد عليه للمعانى التي ذكرناها ليحمله على الإظهار وقصده الباطن ما ذكرناه ومعيار ذلك وعلمه أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لا ينتهي الخبر إلى المعنى ولا إلى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون إظهار العطفة ويرغبون في إخفائها وعادتهم أنهم لا يسطون إلا من يغنى ولا يشكر فإن استوت هذه الأحوال عنده فليعلم أن باعته هو إقامة السنة في الشكر والتحدث بالمنة والإفهام مفزور . ثم إذا علم أن باعته السنة في الشكر فلا ينبغي أن ينفل عن قضاء حق للمعنى فينظر فإن كان هو ممن يجب الشكر والنشر فينبغي أن يغنى ولا يشكر لأن قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم وإذا علم من حاله أنه يجب الشكر ولا يقصده فبذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي مدح بين يديه « ضربتم عنقه لومعها ما أفلح ^(١) » مع أنه صلى الله عليه وسلم كان يغنى على قوم في وجوههم لفته يقيهم وعلمه بأن ذلك لا يضرم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد « إنه سيد أهل الوبر ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم في آخر « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموا ^(٣) » وسمع كلام رجل فأعجبه فقال صلى الله عليه وسلم « إن من البيان لسحرا ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا علم أحدكم من أخيه خير فليخبره فإنه يزداد رغبة في الخير ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مدح المؤمن ربا الإيمان في قلبه ^(٦) » وقال الثوري من عرف نفسه لم يضرم مدح الناس . وقال أيضا ليوسف بن أسباط إذا أولئك معروفا كنت أنا أسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجل على فاشكر وإلا فلا تشكر ودقائق هذه للمعانى ينبغي أن يلحظها من يرادى قلبه فإن أعمال الجوارح مع إهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وهماة له لكثرة التبع وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه إن تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة . إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر كله وتتعطل وعلى الجلة فالأخذ في اللأ والرد في السر أحسن للسالك وأسلمها فلا ينبغي أن يدفع بالزوايات إلا أن تسلك للعرفة بحيث يستوى السر والملاية وذلك هو الكبريت الأحمر الذي يتحدث به ولا يرى . نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق .

(بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة)

كان إبراهيم الخواص والجنييد وجماعة يرون أن الأخذ من الصدقة أفضل فإن في أخذ الزكاة مزاحمة للساكنين وتضييقا عليهم ولأنه ربما لا يكمل في أخذه صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب العزيز

(١) حديث قال لرجل الذي مدح بين يديه ضربتم عنقه لومعها ما أفلح متفق عليه من حديث أبي بكر بن بلفظ ويحك قطعت عنق صاحبك زاد طب في رواية وألفه لومعها ما أفلح أبدا وفي سننه على بن زيد بن جعدان متكلم فيه وله نحوه من حديث أبي موسى (٢) حديث إنه سيد الوبر العنبري وطب وابن قانع في معاجهم وحج في الثقات من حديث قيس بن عاصم للتقري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ذلك (٣) حديث إذا جاءكم كريم قوم فأكرموا . . من حديث ابن عمر ورواه في التراسل من حديث الشعبي مرسل بسند صحيح وقال روى متصلا وهو ضعيف وك نحوه من حديث معبد بن خالد الأصبغ عن أبيه وصحح إسناده (٤) حديث إن من البيان سحرا خ من حديث ابن عمر (٥) حديث إذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فإنه يزداد رغبة في الخير قط في العلل من رواية ابن السيب عن أبي هريرة . وقال لا يصح عن الزهري وروى عن ابن السيب مرسل (٦) حديث إذا مدح المؤمن ربا الإيمان في قلبه طبع من حديث أسامة بن زيد بسند ضعيف

تخرج المرق وقيل كان المسح من بعض اللاتكة فأضاف الفعل إلى السبب وقيل معنى القول بأنه مسح أى أحصى كما نصي الأرض بالمساحة وكان ذلك يظن نعمان واد بجانب عرفة بين مكة والطائف فلما خاطب الله وأجابوا بلى كتب العهد في رقى آيضا وأشهد عليه اللاتكة وأقم الحجر الأسود فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المحيية من الأرض والتم والمدي فيه معبوثان فبعث بالعلم والمهدي موروثا له وموهو بأوقيل لما بعث الله جبرائيل وميكائيل ليقبضا قبضة من الأرض فأبى حتى بعث الله تعالى عزرائيل فقبض قبضة من الأرض وكان إبليس قد وطئ الأرض فقدمه فصار بعض الأرض بين قدميه وبعض الأرض بين موضوع أقدامه خلقت النفس مما من قدم

وأما الصدقة فالأمر فيها أوسع وقالوا فلن يأخذ الزكاة دون الصدقة لأنها إعانة على الواجب ولو تركه
للساكنين كلهم أخذ الزكاة لأنهم لا منة فيها وإنعسا هو حق واجب لله سبحانه رزقا
لعباده المحتاجين ولأنه أخذ بالحاجة والالتماس يعلم حاجة نفسه قطعا وأخذ الصدقة بالدين فإن
الطالب أن للتصدق يطلى من يستند فيه خيرا ولأن مراعاة للساكنين أدخل في العدل والمساواة وأبعد
من التكبر إذ قد يأخذ الإنسان الصدقة في معرض الهدية فلا تميز عنه وهذا تنصيص على ذلك الأخذ
وحاجته والقول الحق في هذا أن هذا يختلف بأحوال الشخص وما يوجب عليه وما يحضره من النية
فإن كان في شبهة من اتصافه بسفلة الاستحقاق فلا ينبغي أن يأخذ الزكاة فإذا علم أنه مستحق قطعا
إذا حصل عليه دين صرفه إلى خير وليس له وجه في قضاءه فهو مستحق قطعا فإذا خير هذا بين
الزكاة وبين الصدقة فإذا كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك لال لولم يأخذه هو فليأخذ الصدقة
فإن الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها إلى مستحقها ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع على الساكنين
وإن كان لال ممرضا للصدقة ولم يكن في أخذ الزكاة تضيق على الساكنين فهو خير والأمر فيها
يتفاوت وأخذ الزكاة أعاد في كسر النفس وإذلالها في أغلب الأحوال والله أعلم .

كل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار
الصوم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى الأئمة
والقربين من أهل السموات والأرضين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين
والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(كتاب أسرار الصوم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعظم على عباده لئنه ، بما دفع عنهم كيده الشيطان وقته ، ورد أمه وخيب ظنه ،
إذ جعل الصوم حصنا لأوليائه وجنة ، وفتح لهم به أبواب الجنة ، وعرفهم أن وسيلة الشيطان إلى
قلوبهم الشهوات للستكة وإن جمعها تصبح النفس للطمئة ظاهرة الشوك في قسم خصمها
قوية لئنه ، والصلاة على محمد قائد الخلق ومحمد السنة وعلى آله وأصحابه ذوى الأبصار التابعة
والقول للرجعة وسلم تسليما كثيرا [أما بعد] فإن الصوم ربيع الإيمان بمقتضى قوله صلى الله عليه
وسلم « الصوم نصف الصبر » (١) وبمقتضى قوله ﷺ « الصبر نصف الإيمان » (٢) ثم هو متميز
بخامية النسبة إلى الله تعالى من بين مائر الأركان إذ قال الله تعالى فيها حكاية عنه نبيه ﷺ « كل
حسنة بشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه على وأنا أجزي به » (٣) وقد قال الله تعالى - إنما يولى
الصابرون أجرهم بغير حساب - والصوم نصف الصبر قد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وتأهيك
في معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسى بيده خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح
السك يقول الله عز وجل إنما يذر شهوته وطمامه وشرابه لأجل الصوم لي وأنا أجزي به » (٤)

(كتاب أسرار الصيام)

- (١) حديث الصوم نصف الصبر وحسنه من حديث رجل من بني سليم وهو من حديث أبي هريرة
- (٢) حديث الصبر نصف الإيمان أبو بصير في الحلية والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن
- (٣) حديث كل حسنة بشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة
- (٤) حديث والذي نفسى بيده خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح السك وهو من حديثه وهو من حديثه

إبليس فصارت مأوى
الشر وبضها لم يصل
إليه قدم إبليس فمن
تلك التربة أصل الأنياء
والأولياء وكانت ذرة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم موضع
نظر الله تعالى من
قبضة عزرائيل لميسها
قدم إبليس فلم يصبه حظ
الجهل بل صار مزروع
الجهل موفرا حظه من
المسلم فيمته الله تعالى
بالمهدي والعلم وانتقل
من قلبه إلى القلوب
ومن قلبه إلى النفوس
فوقمت للناسبة في
أصل طهارة الطينة
ووقع التأليف بالعارف
الأول فكل من كان
أقرب مناسبة بقية
طهارة الطينة كان
أوفر حظا من قبول
مآجابه فكانت قلوب
الصوفية أقرب مناسبة
فأخذت من العلم حظا
وافرا وصارت بواطنهم
أخاذاذات فملوا وعلموا
كألا خاذاذات يسقى منه
ويرزق منه وجمعا
بين فائدة علم المراسمة
وعلم الوراثة بأحكام
أساس التصوى ولما

وقال صلى الله عليه وسلم « الجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون وهو موعود ببقاء الله تعالى في جزاء صومه ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لكل شيء باب وباب العبادة الصوم ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « نوم الصائم عبادة ^(٤) » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر ^(٥) » وقال وكيع في قوله تعالى - كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية - هي أيام الصيام إذ تركوا فيها الأكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رتبة الباهات بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال « إن الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب اتارك شهوته لأجل اللبذل شابه إلى أنت عندي كبش ملائكتي ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم في الصائم « يقول الله عز وجل انظروا باملائكتي إلى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرايه من أجل ^(٧) » وقيل في قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - قيل كان عملهم الصيام لأنه قال - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - فيفرغ الصائم جزاءه إفراغاً ويجازف جزاءه فلا يدخل تحت وم وتقدير وجدبر بأن يكون كذلك لأن الصوم إنما كان له ومشرفاً بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة إلى نفسه والأرض كلها له لحين : أحدهما أن الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع أعمال الطاعات يشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه إلا الله عز وجل فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد . والثاني أنه قهر لعدو الله عز وجل فإن وسيلة الشيطان لئله الله الشهوات وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ولذلك قال ^(٨) « إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ^(٩) » ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها « داومي قرع باب الجنة قالت بماذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم بالجوع ^(١٠) » وسبأى فضل الجوع في كتاب شره الطعام وعلاجه موت ربع المهلكات فلما كان الصوم على الخصوص لئله للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقاً لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل ففي قبح عدو الله نصرة

نزكت النفوس انجلت مرأيا قلوبهم بماضقها من التقوى فانجلي فيها صور الأغنياء على هيتها وماهيتها فبات الدنيا قبورها فرفضوها وظهرت الآخرة بحسبها فطلبوها فلما زهدوا في الدنيا انصبت إلى مواطنهم أقسام العلوم انصباوا وانضاف إلى علم الدراسة علم الوراثة . واعلم أن كل حال شريف نمزوه إلى الصوفية في هذا الكتاب هو حال القرب والصوفي هو القرب وليس في القرآن اسم الصوفي واسم الصوفي ترك ووضع القرب على ما سنشرح ذلك في باب ولا يعرف في طرفي بلاد الإسلام شرقا وغربا هذا الاسم لأهل القرب وإنما يعرف للترحمين وكم من الرجال المقربين في بلاد القرب وبلاد تركستان وما وراء النهر ولا يسمون صوفية لأنهم لا يتزبون بزى الصوفية ولا مشاحة في الألفاظ فيعلم أنا نعى

- (١) حديث للجنة باب يقال له الريان الحديث أخرجا من حديث سهل بن سعد (٢) حديث للصائم فرحتان الحديث أخرجاه من حديث أبي هريرة (٣) حديث لكل شيء باب وباب العبادة الصوم ابن المبارك في الزهد ومن طريقه أبو الشيخ في الثواب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث نوم الصائم عبادة رويناه في أمالي بن مننده من رواية ابن القيرة القواس عن عبد الله بن عمر بسند ضعيف ولله عبد الله بن عمرو فانهم لم يذكروا لابن القيرة رواية إلا عنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عبد الله بن أبي أوفى وفيه سليمان بن عمرو والنخعي أحد السكندانيين (٥) حديث إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة الحديث ت وقال فريب و و وصححه على شرطهما من حديث أبي هريرة وصحح وخففه على مجاهد وأصله متفق عليه دون قوله ونادى مناد (٦) حديث إن الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب اتارك شهوته الحديث عد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٧) حديث يقول الله تعالى ملائكتي انظروا إلى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرايه من أجل (٨) حديث إن الشيطان مجرى من ابن آدم مجرى الدم الحديث متفق عليه من حديث سمية دون قوله فضيقوا مجاريه بالجوع (٩) حديث قال لعائشة داومي قرع باب الجنة الحديث لم أجده أصلا .

هو سبحانه وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له قال الله تعالى - إن تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم - فالبدية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله عز وجل ولذلك قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - وقال تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وإنما التغير تكثير الشهوات فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فإدامت محبة لم ينقطع زودهم وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه وقال صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات (١) » فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة وإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر أركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبين ذلك بثلاثة فصول .

(الفصل الأول في الواجبات والسفن الظاهرة والوازم بافاده)

(أما الواجبات الظاهرة فسته)

الأول : مراقبة أول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فإن غم فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان ونفى بالرؤية العلم وبحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال إلا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن مع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وإن لم يقض القاضي به فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه وإذا روى الهلال ليلة ولم ير بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وإن كان أكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب . الثاني النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلونوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكنه وهو الذي عنينا بقولنا كل ليلة ولو نوى بالتهار لم يحجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض إلا التطوع وهو الذي عنينا بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا أو الفرض مطلقا لم يحجزه حتى ينوي فريضة الله عز وجل صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غدا إن كان من رمضان لم يحجزه فانها ليست جازمة إلا أن تستند نيته إلى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يطل الجزم أو يستند إلى استحباب حال كالشك في الليلة الأخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية أو يستند إلى اجتihad كالمحبوس في الطمورة إذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشك لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فإن النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان أصوم غدا إن كان من رمضان فإن ذلك لا يضره لأنه ترديد لفظ وعمل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بأنه من رمضان ومن نوى ليلا ثم أكل لم تقصده نيته ولو نوت امرأة في الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها . الثالث الامساك عن إيصال شيء إلى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالأكل والشرب والسعوط والحفنة ولا يفسد بالقصد والحجامة والاكتحال وإدخال الليل في الأذن والاحليل إلا أن يقطر فيه ما يبلغ الثالثة وما يسهل بغير قصد من غير الطريق أو ذبابة تسبق إلى جوفه أو ما يسبق إلى جوفه في الضمضة فلا يفسد إلا إذا بالغ في الضمضة فيفسد لأنه مقصر وهو الذي أردنا بقولنا عمدا فأما ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناس فإنه لا يفسد أمانا من أكل عمدا في طرفي النهار ثم ظهر له أنه أكل نهارا بالتحقيق فليقضه القضاء وإن بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا ينبغي أن يأكل في طرفي النهار إلا بظن واجتهاد . الرابع الامساك عن الجماع وحده مغيب الحشفة وإن جامع ناسيا لم يفسد وإن جامع ليلا أو احتلم فأصبح جنبا لم يفسد وإن طلع الفجر وهو محالط أهله ففرغ في الحال صح صومه فإن سبرقصد ولزمته الكفارة .

(١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لحديث أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه

بالصوفية القربين
فشايع الصوفية الذين
أساؤهم في الطبقات
وغير ذلك من
الكتب كلهم كانوا في
طريق القربين
وعلمهم علوم أحوال
القربين ومن تطلع
إلى مقام القربين من
جملة الأبرار فهو
متصوف ما لم يتحقق
بالحلم فماذا تحقق
بالحلم صار صوفيا
ومن عداها ممن تميز
بزي ونسب إليهم
فهو مشبه - وفوق
كل ذي علم علم - .
[الباب الثاني في
تخصيص الصوفية
بحسن الاستماع]
حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب
السهروردي إملاء
قال أنا أبو منصور
القرني قال أنا الامام
الحافظ أبو بكر
الخطيب قال أنا أبو
عمرو الهاشمي قال أنا
أبو طي اللؤلؤي قال أنا
أبو داود السجستاني
قال حدثنا مسدد قال
حدثنا يحيى عن شعبة
قال حدثني عمر بن

الخامس : الامسالا عن الاستمنا وهو إخراج المني قصدًا بجماع أو بغير جماع فإن ذلك يفطر ولا يفطر قبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل لكن بكره ذلك إلا أن يكون شيخا أو مالا سكا لا ربه فلا بأس بالتقييل وتركه أولى وإذا كان يخاف من التقييل أن ينزل قبل وسبق المني أفطر لتقصيره السادس : الامساك عن إخراج المني فلاستقاء بفسد الصوم وإن ذرعه المني لم يفسد صومه وإذا ابتلع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به إلا أن يتلعه بفسد وصوله إلى فيه فإنه يفطر عند ذلك .

(وأما لوازم الافطار فأربعة)

القضاء والكفارة والفدية وإمساك بقية النهار تشبيها بالصائمين . أما القضاء : فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر فالحائض تقضى الصوم وكذا المرتد أما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التابع في قضاء رمضان ولكن يقضى كيف شاء متفرقا ومجموعا . وأما الكفارة : فلا تجب إلا بالجماع وأما الاستمنا والأكل والشرب وما عدا الجماع لا تجب به كفارة فالكفارة عتق رقبة فإن أعسر فصوم شهرين متتابعين وإن عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا . وأما إمساك بقية النهار : فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه ولا يجب على الحائض إذا طهرت إمساك بقية نهارها ولا على السافر إذا قدم مفطرا من سفر بلغ مرحلتين ويجب الامساك إذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم في السفر أفضل من الفطر إلا إذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وحكايا مقيا في أوله ولا يوم يقدم إذا قدم صائما . وأما الفدية : فتجب على الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفا على ولدهما لكل يوم مئة حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ المهرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا . وأما السنن فست : تأخير السحور وتسهيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة وترك السواك بعد الزوال والجلود في شهر رمضان لما سبق من فضائله في الزكاة ومدارسة القرآن والاعتكاف في المسجد لاسيما في العشر الأخير فهو عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم . « كان إذا دخل العشر الأخير طوى القراش وشد للزُر ودأب وأدأب أهله ^(١) » أي أداموا النصب في العبادة إذ فيها لذة القدر والأغلب أنها في أوتار وأشباه الأوتار ليلة إحدى وثلاث وخمس وسبع والتابع في هذا الاعتكاف أولى فإن نذر اعتكافا متتابعاً أو نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لزيارة أو جنازة أو زيارة أو تجديد طهارة وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله أن يتوضأ في البيت ولا ينبغي أن يخرج على شغل آخر « كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج إلا لحاجة الإنسان ولا يسأل عن المريض إلا مارة ^(٢) » وينقطع التابع بالجماع ولا ينقطع بالتقييل ولا بأس في المسجد بالطيب وعقد النكاح والأكل والنوم وغسل اليد في الطست فكل ذلك قد يحتاج إليه في التابع ولا ينقطع التابع بخروج بعض بدنه « كان صلى الله عليه وسلم يدي رأسه فترجله عائشة رضي الله عنها وهي في الحجرة ^(٣) » ومهما خرج للتكف لقضاء حاجته فإذا عاد ينبغي أن يستأنف النية إلا إذا كان قد نوى أولا عشرة أيام مثلا والأفضل مع ذلك التجديد .

- (١) حديث كان إذا دخل العشر الأخير طوى القراش الحديث متفق عليه من حديث عائشة بلقظ أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد للزُر (٢) حديث كان لا يخرج إلا لحاجة ولا يسأل عن المريض إلا مارة متفق على الشطر الأول من حديث عائشة والشطر الثاني رواه أبو داود بنحوه بسند لين (٣) حديث كان يدي رأسه لعائشة متفق عليه من حديثها

سليمان بن وهب عن ابن الخطاب عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نصر الله امرأ مع من أحدثا لحفظه حتى يلفه غيره قرب حامل قته إلى من هو أقمه منه ورب حامل قته وليس بفيه أساس كل خير حسن الاستماع قال الله تعالى - ولوعلم الله فيهم خيرا لأسمعهم - يقول بعضهم علامة الخير في السماع أن يسمع العبد بشيء أو صافه ونعموته يسمعه بحق من حق وقال بعضهم لو علمهم أهلا للسمع لفتح آذانهم للاستماع فمن ملكته الوسواس وغلب على باطنه حديث النفس لا يقدر على حسن الاستماع فالصوفية وأهل القرب لما علموا أن كلام الله تعالى ورسائله إلى عباده وعماطياته إياهم رأوا كل آية من كلامه تعالى مجرا

(الفصل الثاني في أسرار الصوم وشروطه الباطنة)

من أبحر العلم بما
تضمن من ظاهري
العلم وباطنه وجليبه
وخفيه وبابا من أبواب
الجنة باعتبار ما تنبه
أو تدعو إليه من
العمل ورأوا كلام
رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي لا ينطق
به عن الهوى إن هو
إلا وحى يوحى من
عند الله تعالى يتعين
الاستماع إليه فكان
من أم ما عندم
الاستعداد للاستماع
ورأوا أن حسن
الاستماع قرع باب
لللكوت واستزال
بركة الرغبات
والرهبات ورأوا أن
الوسواس أذنة نائرة
من نار النفس الأمارة
بالصوء وقنام يتراكم
من ثقت الشيطان
وأن الحظوظ العاجلة
والأقسام النبوية التي
هي مناظر الهوى ومثار
الردى بمثابة الخطب
الذي تزداد النار به
تأججا وتزداد القلب
به تحمرا فرفضوا
الدنيا وزهدوا فيها
فما انقطعت عن نار

اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم الصوم وصوم الحصوص وصوم خصوص الحصوص . أما صوم
الصوم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله . وأما صوم الحصوص فهو كف
السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام . وأما صوم خصوص الحصوص فصوم
القلب عن المصمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية ، ويحصل القطر في
هذا الصوم بالسكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا والآخرة تراد الدين فان ذلك
من زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال أرباب القلوب من تحركت همته بالصرف في نهارة لتدير
ما يطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة التوكل بفضل الله عز وجل وقلة اليقين برزقه
للوعد وهذا مرتبة الأنبياء والصديقين والمقربين ولا يطول النظر في تفصيلها قولا ولكن في تحقيقها
عملا فانه إقبال بكنه الهمة على الله عز وجل وانصراف عن غير الله سبحانه وتعالى بمعنى قوله عز وجل
- قل الله ثم ذرم في خوضهم يلعبون - وأما صوم الحصوص وهو صوم المصالحين فهو كف الجوارح
عن الآثام ونمائه بسة أمور : الأول : غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يندم
ويكره وإلى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم « النظره
سهم مسموم من سهام إبليس لئنه الله فمن تركها خوفا من الله آتاه الله عز وجل إيمانا يمدح حلاوته
في قلبه » (١) وروى جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « خمس يفطرن الصائم
الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة » (٢) . الثاني : حفظ اللسان عن الهذيان
والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والحصومة والمراء وإلزامه السكوت وشغله بذكر الله
سبحانه وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان : الغيبة تفسد الصوم روى جرير بن الحرث
عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصيام الغيبة والكذب وقال صلى الله عليه وسلم
« إنما الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنى
صائم إنى صائم » (٣) وجاء في الخبر « أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تلتغا فبعتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستأذناه في الإفطار فأرسل إليهما قدما وقال ﷺ : قل لهما في ما أكلتا فقامت إحداهما نصفه دما
عبيطا ولحا فريضا وقامت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتهما ففجبت الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم
هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما فمعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا
ينتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم » (٤) . الثالث : كف السمع عن الاصغاء إلى كل مكروه
لأن كل ما حرم قوله حرم الاصغاء إليه ولذلك سوى الله عز وجل بين السمع وآكل السحت
فقال تعالى - سمعون للكذب أكالون للسحت - وقال عز وجل - لولا ينهمم الربانيون والآخيار
عن قولهم الإنم وأكاهم السحت - فالكسوت هي الغيبة حرام وقال تعالى - إنكم إذا مثلهم -

(١) حديث النظره سهم مسموم من سهام إبليس الحديث ك وصح إسناده من حديث حذيفة
(٢) حديث جابر عن أنس خمس يفطرن الصائم الحديث الأزدي في الضمائم من رواية جابان عن
أنس وقوله جابر تصحيف قال أبو حاتم الرازي هذا ككذاب (٣) حديث الصوم جنة فإذا كان
أحدكم صائما الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أن امرأتين صامتا على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحديث في الغيبة للضمائم أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحديث بسند فيه مجهول .

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الفتاب والمستمع شريكان في الآثم» (١) الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثم من اليد والرجل وعن السكره وكف البطن عن الشهوات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فثالث هذا الصائم مثال من يئس قهرا وبهم مصرا فان الطعام الحلال إنما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستسكار من الدواء خوفا من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيها والحرام سم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم لتقليله وقد قال صلى الله عليه وسلم «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش» (٢) قيل هو الذي يفطر على الحرام وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالنية وهو حرام وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثم . الخامس : أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يتلى جوفه لئلا يفسد إلى الله عز وجل من بطن ملي من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاتته شهوة نهاره وربما يريد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى وإذا دفعت المعدة من شهوة نهار إلى المشاء حتى حاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبثت من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أقل من الذي كان يأكلها كل ليلة لولم يصم فأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصنفوا عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجمه وأوراده ففسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء وليلة التدبر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - ومن جعل بين قلبه وبين صدره محلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يحل هتمه عن غير الله عز وجل وذلك هو الأمر كله ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام وسأتي له مزيد بيان في كتاب الأطعمة إن شاء الله عز وجل . السادس : أن يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء إذ ليس يدرى يقبل صومه فهو من اللقرين أو يرد عليه فهو من المقوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روى عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقهم يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام غابوا فاعجب كل العجب للضحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه اللباطون أما والله لو كشف الغطاء لاغتنل الحسن باحسانه والسوء بإساءته أي كان سرور القبول بشغفه عن اللعب وحسرة للردود تصد عليه باب الضحك وعن الأحنف بن قيس أنه قيل له إنك شيخ كبير وإن الصيام يضر فك قال إن أعداء لسفر طويل والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم . فان قلت فمن اتصم على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء

(١) حديث المقتاب والمستمع شريكان في الآثم غريب والطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النية وعن الاستماع إلى النية (٢) حديث كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش . ن . من حديث أبي هريرة

النفس أعطيتها وقررت نيرانها وقيل دخانها شهدت برؤاهاهم وقبورهم مصادر العلوم فهيأوا مواردها بصفاء الفهم فلما شهدوا سمعوا قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد - قال الشبل رحمه الله : موعظة القرآن لمن قلبه حاضر مع الله لا يفتل عنه طرفه عين قال يعقوب بن معاذ الرازي القلب قلبان قلب قد احتنى بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من أمور الطاعة لم يدر صاحبه ما يصنع من شغل قلبه بالدنيا وقلب قد احتنى بأحوال الآخرة حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر صاحبه ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة فانظر كم بين برحمة تلك الأفهام الثابتة وشؤم هذه الأغشال الثانية التي أقصدتك عن الطاعة قال بعضهم لمن كان له قلب سليم من

الأغراض والأمراض
قال الحسين بن منصور
لمن كان له قلب لا يخطر
فيه إلا شهود الرب
وأشدد :

أنسى إليك قلوبا طالما
هطلت

سحاب الوحي فيها
أبحر الحكم

وقال ابن عطاء قلب
لاحظ الحق بعين
التعظيم فذاب له
واقطع إليه عماسواه

قال الواسطي : أي
لذكرى قوم مخصوصين

لا لساير الناس لمن
كان له قلب أي في

الأزلام الذين قال الله
تعالى فيهم - أو من كان

ميتا فأحييناه - وقال
أيضا للمشاهدة تذهل

والحجة تنهم لأن الله
تعالى إذا تعجلى لشيء

خضع له وشمع وهذا
الذي قاله الواسطي

صحيح في حق أقوام
وهذه الآية تحكم

بخلاف هذا لأقوام
آخرون وهم أرباب

التمكين يجمع لهم
بين الشهادة والنهم

فموضع النهم عمل
المحادثة والمكاملة وهو

صومه صحيح قامته . فاعلم أن تقهاء الظاهر يشنون شروط الظاهر بأدلة هي أضنف من هذه الأدلة
أي أوردناها في هذه الشروط الباطنة لاسيما الغيبة وأمثالها ، ولكن ليس إلى تقهاء الظاهر من
التكليفات إلا ما يتيسر على عموم السافلين القبلين على الدنيا الدخول تحت فأماعلماء الآخرة فيضنون
بالصحة القبول والقبول الوصول إلى المقصود ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من
أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية والاعتناء باللائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان فانهم
منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون
رتبة لللائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بجهاذتها فكلما اتهمك في الشهوات انعط إلى
أسفل السافلين والتحق بضمير البهائم وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق لللائكة
واللائكة مقربون من الله عز وجل والذي يقتدى بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل
كفرهم فان الشبيه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات وإذا كان هذا سر
الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب فأى جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع
الانهمالك في الشهوات الآخر طول النهار ولو كان مثله جدوى فأى معنى لقوله صلى الله عليه وسلم
« كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » ولهذا قال أبو الفرداء يا حبذا نوم الأكياس
وفطرم كيف لا يسيرون صوم الحقي وسهرهم ولذرة من ذوى يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال
الجبال عبادة من الغترين ولذلك قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم مفطر صائم والقطر الصائم
هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب والصائم المفطر هو الذي يجوع ويسعطس ويطلق
جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام
كن مسح على عضو من أعضائه في الوضوء ثلاث مرات فقد وافق في الظاهر العدد إلا أنه ترك للمهم
وهو غسل فصلاته مردودة عليه مجمله ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن اللكاه كن
غسل أعضائه مرة مرة فصلاته متقبلة إن شاء الله لإحكامه الأصل وإن ترك الفضل ومثل من جمع
بينهما كن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال وقد قال صلى الله عليه
وسلم « إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته (١) » . ولما تلا قوله عز وجل - إن الله يأمركم أن تؤدوا
الأمانات إلى أهلها - وضع يده على سمعه وبصره فقال : « السمع أمانة والبصر أمانة (٢) » ولولا أنه
من أمانات الصوم لما قال صلى الله عليه وسلم « فليقل إني صائم » أي إني أودعت لساني لأخفظه
فكيف أطلقه بجوارحك فاذا قد ظهر أن الشكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ولقشرها درجات
ولكل درجة طبقات فإليك الحيرة الآن في أن تنفع بالقشر عن الباب أو تتعيز إلى غمار أرباب الألباب .

(الفصل الثالث في التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه)

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد في الأيام الفاضلة وفواصل الأيام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها
يوجد في كل شهر وبعضها في كل أسبوع . أما في السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء
والعشر الأول من ذي الحجة والعشر الأول من المحرم ، وجميع الأشهر الحرم مطلق الصوم وهي
أوقات فاضلة « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن أنه في رمضان (٣) »

(١) حديث إنما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود
في حديث في الأمانة والصوم وإسناده حسن (٢) حديث لما تلا قوله تعالى : إن الله يأمركم أن تؤدوا
الأمانات إلى أهلها . وضع يده على سمعه وبصره وقال السمع والبصر أمانة د من حديث أبي هريرة دون
قوله السمع أمانة (٣) حديث كان يكثر صيام شعبان الحديث متفق عليه من حديث عائشة

وفي الخبر «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم» (١) «لأنه ابتداء السنة فبناؤها على الخير أحب وأرجى لدوام بركته . وقال صلى الله عليه وسلم «صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام» (٢) وفي الحديث «من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له بكل يوم عبادة تسعمائة عام» (٣) وفي الخبر إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان (٤) ولهذا يستحب أن يخطر قبل رمضان أياما فإن وصل شعبان برمضان فبأجر (٥) فضل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وفضل مرارا كثيرة (٦) ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان يومين أو ثلاثة إلا أن يوافق وردا له وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاها شهر رمضان فالأشهر القاضية ذوالحجة والمحرم ورجب وشعبان والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلاثة تسعدوا أفضلها ذوالحجة لأن فيه الحج والأيام للملومات والعدودات وذو القعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج وفي الخبر «ما من أيام العمل قيمن أفضل وأحب إلى الله عز وجل من أيام عشر ذي الحجة إن صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل إلا ما من عقر جواده وأهريق دمه» (٧) وأما ما تكرر في الشهر: فأول الشهر وأوسطه وآخره ووسطه الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . وأما في الأسبوع : فالأثنين والخميس والجمعة فهذه هي الأيام القاضية فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها بركة هذه الاوقات . وأما صوم الدهر فانه شامل لكل وزيادة وللمالكين فيه طرق فمنهم من حكره ذلك إذ وردت أخبار تدل على كراهته والصحيح أنه إنما يكره لشيئين أحدهما أن لا يفطر في العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله (٨) والآخر أن يرغب عن السنة في الإفطار ويجعل

مع القلب وموضع للشاهدة بصر القلب وللمسمع حكمة وفائدة وللبصر حكمة وفائدة فمن هوى سكر الحال يضيّب سمعه في بصره ومن هوى حال الصحو والتكئين لا ينيب سمعه في بصره فلتلكه ناصية الحال ويضهم بالوعاء الوجودي للمتعد لفهم القال لأن الفهم مورد الإلهام والسماح والإلهام يستدعيان وعاء وجوديا وهذا الوجود موهوب منشأ لإنشاء ثانيا للتمكن في مقام الصحو وهو غير الوجود الذي يتلانى عند لمعان نور الشاهدة لمن جاز على بحر الفناء إلى مقار البقاء . وقال ابن ميمون إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يعرف آداب الخدمة وآداب القلب وهي ثلاثة أشياء فالقلب إذا ذاق طعم العبادة عتق من رق الشهوة فمن وقف على شهوته وجد نلت الأدب ومن اقتصر إلى ما لم يحسد

(١) حديث أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم م من حديث أبي هريرة (٢) حديث صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين الحديث لم أجده هكذا وفي المعجم الصغير للطبراني من حديث ابن عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما (٣) حديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت الحديث الأزدي في الضعفاء من حديث أنس (٤) حديث إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان الأربعة من حديث أبي هريرة حب في صحيحه عنه إذا كان النصف من شعبان فأفطروا حتى يمضي رمضان وصححه ت (٥) حديث وصل شعبان برمضان مرة الأربعة من حديث أم سلمة لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان يصل به رمضان ودن نحوه من حديث عائشة (٦) حديث فصل شعبان من رمضان مرارا د من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره فان غم عليه عدت ثلاثين يوما ثم صام وأخرجه قط وقال إسناده صحيح وك وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث ما من أيام العمل فيها أفضل وأحب إلى الله من عشر ذي الحجة الحديث ت . من حديث أبي هريرة دون قوله قيل ولا الجهاد الخ وعند غ من حديث ابن عباس ما العمل في أيام أفضل من العمل في هذا العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد إلا رجل خرج بخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء (٨) الأحاديث الدالة على كراهة صيام الدهر م من حديث عبد الله بن عمرو في حديث له لا صام من صام الأبد ولمسلم من حديث أبي قتادة قيل يا رسول الله كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا أفطر و ن نحوه من حديث عبد الله بن عمر وحمز بن حبان وعبد الله بن الشخير .

من الأدب بعينه
الاشتغال بما وجد
قد وجد ثلثي الأدب
والثالث امتلاء القلب
بالقوى بدأ بالفضل عند
الوفاء تفضلا فقد وجد
كل الأدب . قال محمد
ابن علي الباقر سوت
القلب من شهوات
النفس فكما رفض
شهوات نال من
الحياة بقسطها فالسابع
للأحياء لالأموات
قال الله تعالى - إنك
لاتسمع للوحي - قال
سهل بن عبد الله القلب
رقيق تؤثر فيه الحطرات
الذمومة وأثر القليل
عليه كثير قال الله
تعالى - ومن شئ عن
ذكر الرحمن تقيض
له شيطانافيه قرين -
فالقلب عمال لا يفر
والنفس يقظانة لا ترقد
فإن كان العبد مستمعا
إلى الله تعالى وإلا فهو
مستمع إلى الشيطان
والنفس فكل شئ
سدة باب الاستماع فمن
حركة النفس وفي
حركتها يطرق
الشيطان . وقد ورد
« لولا أن الشياطين

الصوم حجرا على نفسه مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزاءه فإذا لم يكن
شئ من ذلك وأرى صلاح نفسه في صوم الدهر فليعمل ذلك فقد فضله جماعة من الصحابة والتابعين
رضي الله عنهم . وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو موسى الأشعري « من صام الدهر كله ضيقت
عليه جهنم وعقد تسعين ^(١) » ومعناه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر
بأن يصوم يوما ويفطر يوما وذلك أشد على النفس وأقوى في قهرها وقد ورد في فضله أخبار كثيرة
لأن العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « عرضت علي مفاتيح خزائن
الدنيا وكنوز الأرض فردتها وقلت أجوع يوما وأشبع يوما أحمدك إذا شئت وأنزع إليك
إذا جئت ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صوم أخي داود كان يصوم يوما ويفطر
يوما ^(٣) » ومن ذلك « منازلته لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الصوم وهو
يقول إني أطيق أكثر من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : صم يوما وأفطر يوما فقال إني أريد
أفضل من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لأفضل من ذلك ^(٤) » وقد روى « أنه صلى الله عليه وسلم
ما صام شهرا كاملا قط إلا رمضان ^(٥) » بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس
بشئ وهو أن يصوم يوما ويفطر يومين وإذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة
من الآخر فهو ثلث وواقع في الأوقات الفاضلة وإن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من
الثلث وإذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال في أن يهجم الإنسان معنى الصوم وأن مقصوده تصفية
القلب وتفرغ المحم لله عز وجل والفتية بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله فقد يقتضي حاله
دوام الصوم وقد يقتضي دوام الفطر وقد يقتضي مزج الإفطار بالصوم وإذا فهم المعنى وتحقق
حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب تحريما مستمرا
ولذلك روى أنه صلى الله عليه وسلم « كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم
وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام ^(٦) » وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة
من القيام بحقوق الأوقات وقد ذكره العلماء أن يوالى بين الإفطار أكثر من أربعة أيام تحديرا
يوم العيد وأيام التشريق وذكركوا أن ذلك يقوى القلب ويولد ردى العادات ويفتح
أبواب الشهوات ويمرر هو كذلك في حق أكثر الخلق لاسيما من يأكل في اليوم واليلة مرتين فهذا
ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم التطوع به والله أعلم بالصواب .

(١) حديث أبو موسى الأشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين أحمد
ن في الكبرى وحسنه أبو طي الطوسي (٢) حديث عرضت علي مفاتيح خزائن الدنيا
الحديث ت من حديث أبي أمامة بلفظ عرض علي ربي لي يجعل لي بطحاء مكة ذهابا . وقال حسن
(٣) حديث أفضل الصيام صوم أخي داود الحديث أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو
(٤) حديث منازلته لعبد الله بن عمرو وقوله صم يوما وأفطر يوما الحديث أخرجه من حديث
(٥) حديث ما صام شهرا كاملا قط إلا رمضان أخرجه من حديث عائشة (٦) حديث كان يصوم
حتى يقال لا يفطر الحديث أخرجه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر القيام والنوم وخ من
حديث أنس كان يفطر من الشهر حتى يظن أن لا يصوم منه شيئا ويصوم حتى يظن أن لا يفطر منه
شيئا وكان لا تشاء نراه من الليل مصليا إلا رأيته ولا نائما إلا رأيته .

ما علمنا منها وما لم تعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم وحلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الحج والله المعين لأرب غيره وماتوفيق إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(كتاب أسرار الحج)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمانا وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفا وتعصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجاجا بين العبد وبين العذاب ومجنا والصلاة على محمد بنى الرحمة وسيد الأمة وحلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فإن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتتمام الإسلام وكمال الدين فيه أنزل الله عز وجل قوله - اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - وفيه قال صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصراانيا ^(١) » فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدائها الكمال ويساوى تاركها اليهود والنصارى فى الضلال وأجدر بها أن تصرف العناية إلى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفوائدها وأسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل فى ثلاثة أبواب .

الباب الأول : فى فضائلها وفوائدها مكة والبيت العتيق وجعل أركانها وشرائط وجوبها .

الباب الثانى : فى أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر إلى الرجوع .

الباب الثالث : فى آدابها الدقيقة وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة فلتبدأ بالباب الأول وفيه فصلان : الفصل الأول : فى فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والدينة حرسهما الله تعالى وشهد الرجال إلى الساجد .

(فضيلة الحج)

قال الله عز وجل - وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق - وقال قتادة لما أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام وحلى نبينا وحلى كل عبد مصطفى أن يؤذن فى الناس بالحج نادى : يا أيها الناس إن الله عز وجل بنى بيتا فحجوه وقال تعالى - ليشهدوا منافع لهم - قيل التجارة فى الموسم والأجر فى الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب السكبة وقيل فى تفسير قوله عز وجل - لأتقنن لهم صراطك المستقيم - أى طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها وقال عليه السلام « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ^(٢) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « ما روى الشيطان فى يوم أسفرو ولا أدر ولا أحقر ولا أغيط منه يوم عرفة ^(٣) » وما ذلك إلا لما يرى من زوال الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام إذ يقال « إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة ^(٤) »

(كتاب أسرار الحج)

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصراانيا عده من حديث أبى هريرة وث نحوه من حديث حلى وقال غريب وفى إسناده مقال (٢) حديث من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه أخرجاه من حديث أبى هريرة (٣) حديث ما روى الشيطان فى يوم هو أسفر الحديث مالك عن إبراهيم بن أبى عتبة عن طلحة بن عبد الله بن كرز مرسل (٤) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة لم أجده أصلا

محمودون على قلوب
بن آدم لنظروا إلى
ملكوت السموات
وقال الحسين بشار
للبرين ومعارف
العارفين ونور الطه
الربانيين وطرق
السابقين الناجين
والأزلى والأبدى ما بينهما
من الحدث لمن كان
له قلب أو ألقى السمع -
وقال ابن عطاء هو
القلب الذى يلاحظ
الحق ويشاهده ولا
ينيب عنه خطرة
ولا قرة فيسمع به بل
يسمع منه ويشهد به
بل يشهد فاذا لاحظ
القلب الحق بسين
الجلال فزع وارتمد
وإذا طامه بسين
الجمال هدأ واستقر
وقال بعضهم لمن كان
له قلب بصير يقوى
على التجريد مع الله
تعالى والتفريد له
حتى يخرج من الدنيا
والخلق والنفس فلا
يشغل بغيره ولا يركن
إلى سواه قلب الصوفى
مجرد عن الأكوان
ألقى محمه وشهد
بصره فسمع للسموات

وأبصر للبصائر
وشاهد الشهودات
لتخلصه إلى الله تعالى
واجتماعه بين يدي
الله والأشياء كلها عند
الله وهو عنده فسمع
وشاهد فأبصر وسمع
جملها ولم يسمع ويشاهد
تفاصيلها لأن الجمل
تدرك لسة عين
الشهود والتفاصيل
لا تدرك لضيق وعاء
الوجود والله تعالى هو
العالم بالجل والتفاصيل
وقد مثل بعض
الحكماء تفاوت الناس
في الاستماع وقال إن
الباذر خرج يئذه
فلا منه كنه فوق
منه شيء على ظهر
الطريق فلم يلبث أن
انعط عليه الطير
فاختطفه ووقع منه
شيء على الصفوان وهو
الحجر الأملس عليه
تراب يسير وندى قليل
فنبت حتى إذا وصلت
عروقها إلى الصفاء لم
تجد مساعدا تنفذ
فيه فيس ووقع منه
شيء في أرض طيبة
فيها شوك نابت فنبت
فلما ارتفع خفة الشوك

وقد أسنده جعفر بن محمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن إبليس لئنه الله عليه ظهر له في صورة شخص بعرفة فإذا هو نازل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوف الظهر فقال له ما الذي أبكى عينك قال خروج الحاج إليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا يجيبهم فيحزنني ذلك قال فما الذي آمل جسمك قال سهيل الحيل في سبيل الله عز وجل ولو كانت في سبيلي كان أحب إلي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على العصية كانت أحب إلي قال فما الذي قصف ظهرك قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول يا ويلتي متى يجب هذا عمله أخاف أن يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وسلم « من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجره أجر الحاج المستمر إلى يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين لم يمرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « الحجاج والعمار وقد الله عز وجل وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروهم غفر لهم وإن دعوا استجيب لهم وإن شفّعوا شفّعوا ^(٣) » وفي حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام « أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله تعالى لم يغفر له ^(٤) » وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة تستون للطائفين وأربعون للنصلين وعشرون للناظرين ^(٥) » وفي الخبر « استكثروا من الطواف بالبيت فإنه من أجل شيء تجددونه في صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه ^(٦) » ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفي الخبر « من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنبه ^(٧) » ويقال إن الله عز وجل إذا غفر لعبد ذنبا في الوقف غفر له لكل من أصابه في ذلك الوقت وقال بعض السلف إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضل يوم في الدنيا وفيه « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا إذ نزل قوله عز وجل - اليوم أكملت لكم دينكم

(١) حديث من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجره أجر الحاج المستمر إلى يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين لم يمرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة حق في الشعب بالشرط الأول من حديث أبي هريرة وروى هو وقطمن حديث عائشة الشطر الثاني نحوه وكلاهما ضعيف (٢) حديث حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة أخرجه من حديث أبي هريرة الشطر الثاني بلفظ الحج للبرور وقال إن الحجة للبرورة وعند ابن عدي حجة مبرورة (٣) حديث الحجاج والعمار وقد الله وزواره الحديث من حديث أبي هريرة دون قوله وزواره ودون قوله إن سألوه أعطاهم وإن شفّعوا شفّعوا وله من حديث ابن عمر وسألوه فأعطاهم ورواه حب (٤) حديث أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له الخطيب في التفتق والفتق وأبو منصور شهر دار ابن شيرويه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٥) حديث ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة حب في الضعفاء وهق في الشعب من حديث ابن عباس باسناد حسن وقال أبو حاتم حديث منكر (٦) حديث استكثروا من الطواف بالبيت الحديث حب و ك من حديث ابن عمر استمعوا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ورفع في الثالثة وقال ك صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه لم أجده هكذا وعند ت و من حديث ابن عمر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة لفظت وحسنه .

وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - (١) « قال أهل الكتاب لو أنزلت هذه الآية علينا لجمعناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه أشهد لقد أنزلت هذه الآية في يوم عشرين اثنين يوم عرفة ويوم الجمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج » (٢) « وروى أن علي بن موفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا قال فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي يا ابن موفق حجبت عنى ؟ قلت نعم قال وليت عنى ؟ قلت نعم قال فاني أكانك بها يوم القيامة أخذ يدك في الموقف فأدخلك الجنة والحلائق في كرب الحساب وقال محاهد وغيره من العلماء إن الحاج إذا قدموا مكة تلقىهم الملائكة فسلموا على ركب الأبل وصاحوا ركب الحمر واعتنقوا الشاة اعتناقاً وقال الحسن من مات عقب رمضان أو عقب غزوة أو عقب حج مات شهيدا وقال عمر رضي الله عنه الحاج مغفور له ولئن يستغفر في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول وقد كان من سنة السلف رضي الله عنهم أن يشبهوا الغزاة وأن يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألون الدعاء ويأجرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام وروى عن علي بن موفق قال حجبت سنة فلما كان ليلة عرفة تمت بمنى في مسجد الحيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر ليك يا عبد الله قال تدري كم حج بيت ربنا عز وجل في هذه السنة ؟ قال لا أدري قال حج بيت ربنا ستائة ألف أتدري كم قبل منهم ؟ قال لا قال ستة أنفس قال ثم ارتفعنا في الهواء فقابا عنى فانتبهت فرعنا واعتصمت غما شديدا وأهمنى أمرى فقلت إذا قبل حج سنة أنفس فإني أكون أنا في سنة أنفس فلما أفضت من عرفة قلت عند الشعر الحرام فجعلت أفكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم فخلني النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هبتهما فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بيته ثم قال أتدري ماذا حكم ربنا عز وجل في هذه الليلة ؟ قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف قال فانتبهت وبني من السرور ما يجلي عن الوصف وعنه أيضا رضي الله عنه قال حجبت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لا يقبل حجه قتل اللهم إني قد وهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم يقبل حجه قال فرأيت رب العزة في النوم جل جلاله فقال لي يا علي قد سخى علي وأنا خلقت السخاء والأسخياء وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأحق بالجوود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم يقبل حجه لمن قبلته .

(فضيلة البيت ومكة الشرفة)

قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستائة ألف فان تصعوا أكلمهم الله عز وجل من الملائكة » (٣) « وأن السكبة تمطر كالمرور الزرقوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها يسمون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها إلى الجبر « إن الحجر الأسود ياقوته من يواقيت الجنة وإنه يبعث يوم القيامة له عيتان ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه بحقه وصديق » (٤) «

(١) حديث وقوفه في حجة الوداع يوم الجمعة ونزول - اليوم أكملت لكم دينكم - الحديث أخرجه من حديث عمر (٢) حديث اللهم اغفر للحجاج ولمن استغفر له الحاجك من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط م (٣) حديث إن الله قد وعد هذا البيت أن يحجه في كل سنة ستائة ألف الحديث لم أجده أصلا (٤) حديث إن الحجر ياقوته من يواقيت الجنة ويبعث يوم القيامة له عيتان الحديث صحيح وصححه من حديث ابن عباس الحجر الأسود من الجنة لفظه وبقي الحديث رواه ت وحسنه و . وحب وك وصححه إسناده من حديث ابن عباس أيضا ولله الحاكم من حديث أنس إن الركن وللقيام ياقوتان من يواقيت الجنة وصححه إسناده ورواه ن ح ك من حديث عبد الله بن عمرو .

فأنفده واختلط به
ووقع منه شيء
على أرض طيبة
ليست على ظهر الطريق
ولا على الصفوان ولا
فيها شوك فثبت ونما
وصلح فثقل البازر مثل
الحكيم ومثل البذر
كثل صواب الكلام
ومثل ما وقع على ظهر
الطريق مثل الرجل
يسمع الكلام وهو
لا يريد أن يسمعه فما
يلبث الشيطان أن
يغتنفه من قلبه
فينساه ومثل الذي وقع
على الصفوان مثل
الرجل يسمع الكلام
فيستحسنه ثم تفضى
الكلمة إلى قلب ليس
فيه عزم على العمل
فينسخ من قلبه ومثل
الذي وقع في أرض
طيبة فيها شوك مثل
الرجل يسمع الكلام
وهو ينوي أن يعمل
به فاذا اعترضته له
الشهوات قيدته عن
النهوض بالعمل فترك
ما نوى عمله لليلة
الشهوة كالزعر يفتق
بالشوك ومثل الذي
وقع في أرض طيبة

وكان صلى الله عليه يقبله كثيرا (١) وروى أنه صلى الله عليه وسلم مر به عليه وكان يطوف على الراحة فيضع الحجن عليه ثم يقبل طرف الحجن (٢) وقبله عمر رضي الله عنه ثم قال إني لأعلم أنك حجر لا تنزع ولا تنفع (٣) ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى علا نحيبه فالتفت إلى ورائه فرأى عليا كرم الله وجهه ورضي الله عنه فقال يا أبا الحسن ههنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات فقال صلى الله عليه وسلم يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال إن الله تعالى لما أخذ البثاق على الترية كتب عليهم كتابا ثم ألقاه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود قبل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام : اللهم إيماننا بك وتصديقنا بكتابك ووفاء بعهدك ، وروى عن الحسن البصري رضي الله عنه أن صوم يوم فيها مائة ألف يوم وصدق بدم مائة ألف درهم وكذلك كل حبة مائة ألف ويقال طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة وفي الخبر الصحيح «عمرة في رمضان كحجة منى» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أتى أهل البقيع فيحشرون معي ثم أتى أهل مكة فأحشر بين الحرمين» (٥) وفي الخبر «إن آدم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيه اللائكة فقالوا برحمتك يا آدم لقد سجدنا هذا البيت قبلك بألفي عام» (٦) وجاء في الأثر : إن الله عز وجل ينظر في كل ليلة إلى أهل الأرض فأول من ينظر إليه أهل الحرم وأول من ينظر إليه من أهل الحرم أهل السجد الحرام فمن رآه طامعا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه قائما مستقبلا الكعبة غفر له وكشف بعض الأولياء رضي الله عنهم قال إني رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت عبادان ساجدة لجدة ويقال لا تقرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى الناس لها أثرا وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ثم رفع القرآن من الصحاف فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغاني وأخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل القرب التي توقع ولادتها وفي الخبر «استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة» (٧) وروى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قال الله تعالى «إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيت فخرته ثم أخرب الدنيا على أثره» (٨)

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبله كثيرا أخرجه من حديث عمر دون قوله كثيرا، وإن كان يقبله كل مرة ثلاثا إن رآه خاليا (٢) حديث أنه كان يسجد عليه البزار ولعن حديث عمر وصححه إسناده (٣) حديث قبله عمر وقال إني لأعلم أنك حجر أخرجه دون الزيادة التي رواها علي ورواه بذلك الزيادة وقال ليس من شرط الشيخين (٤) حديث عمرة في رمضان كحجة منى أخرجه من حديث ابن عباس دون قوله معي فهي عند مسلم على الشك تقضى حجة أو حجة منى ورواه ابن زبادة من غير شك (٥) حديث أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أتى أهل البقيع فيحشرون معي الحديث تروحه وحب من حديث ابن عمر (٦) حديث إن آدم لما قضى مناسكه لقيه اللائكة فقالوا برحمتك يا آدم الحديث رواه الفضل الجندی ومن طريقه ابن الجوزي في الملل من حديث ابن عباس وقال لا يصح ورواه الأزرقي في تاريخ مكة موقوفا على ابن عباس (٧) حديث استكثروا من الطواف بهذا البيت الحديث البزار وحب وك وصححه من حديث ابن عمر استتموا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع في الثالثة (٨) حديث قال الله إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيت فخرته ثم أخرب الدنيا على أثره ليس له أصل

مثل السمع الذي ينوي عمله فيهممه ويسلم به ويحارب هواه وهذا الذي جانب الهوى واتبع سبيل الهدى هو الصوفي لأن للهوى حلاوة والنفس إذا تشربت حلاوة الهوى فهي تتركز إليه وتستلذه واستلذه الهوى هو الذي يخلق الثبوت كالشوك وقلب الصوفي نازله حلاوة الحب الصافي والحب الصافي تعلق الروح بالحضرة الإلهية ومن قوة انجذاب الروح إلى الحضرة الإلهية بداعية الحب تستبج القلب والنفس وحلاوة الحب للحضرة الإلهية تغلب حلاوة الهوى لأن حلاوة الهوى كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ليكونها لا ترقى عن حد النفس وحلاوة الحب كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء لأنها متأصلة في الروح فرعها عند الله تعالى وعروقها صارية

(فضيلة المقام بمكة حرسها الله تعالى وكرامته)

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لعان ثلاثة . الأول : خوف التبرم والأنس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام وهكذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول يا أهل اليمن بمنكم ويا أهل الشام منكم ويا أهل العراق عراقتكم ولذلك هم عمر رضي الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت . الثاني : تهيج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمنأ أي يتوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم : تكون في بلد قلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر وقال بعض السلف : كم من رجل غمراسان وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به ويقال إن لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا إلى الله عز وجل . الثالث : الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك محظور وبالحرى أن يورث مقت الله عز وجل لشرف الموضع وروى عن وهيب بن الورد السكي قال كنت ذات ليلة في الجبرأصل فسمعت كلاما بين الكعبة والأستار يقول إلى الله أشكو ثم إليك يا جبرائيل ما ألقى من الطائفين حولي من تفكرهم في الحديث ولغوهم ولهمهم لئن لم يمتنعوا عن ذلك لآتلفن انتفاضة يرجع كل حجير مني إلى الجبل الذي قطع منه وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة وتلا قوله تعالى - ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم - أي أنه على مجرد الإرادة ويقال إن السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول الاحتكار بمكة من الإلحاد في الحرم وقيل الكذب أيضا وقال ابن عباس لأن أذنب سبعين ذنبا بركة أحب إلي من أن أذنب ذنبا واحدا بمكة وركبة منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض القيمين إلى أنه لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم أقام شهر أو ما وضع جنبه على الأرض ، وللمنع من الإقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة ولا تظن أن كراهة المقام يناقض فضل البقعة لأن هذه كراهة عليها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمضى قولنا إن ترك المقام به أفضل أي بالاضافة إلى مقام مع التفسير والتبرم إما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيأت وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة استقبل الكعبة وقال « إنك خير أرض أرض الله عز وجل وأحب بلاد الله تعالى إلى ولولا أني أخرجت منك لما خرجت (١) » وكيف لا والنظر إلى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه .

(فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد)

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالأعمال فيها أيضا مضاعفة قال صلى الله عليه وسلم « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام (٢) » وكذلك كل عمل بالمدينة بألف وبعد مدينته الأرض المقدسة فان للصلاة فيها بخمسمائة صلاة فيما سواها إلا المسجد الحرام وكذلك سائر الأعمال وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « صلاة في مسجد المدينة بشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة (٣) »

(١) حديث إنك خير أرض الله وأحب بلاد الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك لما خرجت ت وصححه ون في الكبرى و . وحب من حديث عبد الله بن عدي بن الجراء (٢) حديث صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه م من حديث ابن عمر (٣) حديث ابن عباس صلاة في مسجد المدينة بشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة غريب لم أجده يجعله هكذا و .

في أرض النفس فاذا سمع الكلمة من القرآن أو من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشربها بالروح والقلب والنفس ويفيدها بكيته ويقول :

أشمت منك نسبا لست أعرفه

أظن ليا جرت فيك أردانا

فسمعه الكلمة وتشمله وتسير كل شعرة منه ممما وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويصر الكل بالكل ويقول :

إن تأملتكم فكلى عيون

أو تذكرتكم فكلى قلوب

قال الله تعالى - فبشر

عبادي الذين يستمعون

القول فيتعنون أحسنه

أولئك الذين هدام

الله أولئك هم أولوا

الألباب - قال بعضهم

اللب والعقل مائة جزء

تسعة وتسعون في النبي

صلى الله عليه وسلم

وجزه في سائر المؤمنين

والجزء الذي في سائر

وقال صلى الله عليه وسلم «من صبر على شدتها ولأوائها كنت له شفيعاً يوم القيامة» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة» (٢) وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية إلا التفوق فإن اللقائم بها للمرابطة فيها فيه فضل عظيم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» (٣) وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث في النع من الرحلة لزيارة للشاهد وقبور العلماء والصلحاء وماتين لي أن الأمر كذلك بل الزيارة مأثور بها قال رسول الله ﷺ «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجراً» (٤) والحديث إنما ورد في للساجد وليس في معناها الشاهد لأن للساجد بمد للساجد الثلاثة مائة ولا بد إلا وفيه مسجد فلامع للرحلة إلى مسجد آخر وأما الشاهد فلا تتساوى بل ركز زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل فم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحال إلى موضع فيه مسجد وينقل إليه بالكلية إن شاء ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء عليهم السلام مثل إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام فالتع من ذلك في غاية الإحالة فإذا جوز هذا قبور الأولياء والعلماء والصلحاء في معناها فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة كأن زيارة العلماء في الحياة من المقاصد هذا في الرحلة أما اللقائم بالأولى بالمريد أن يلزم مكانه إذا لم يكن قصد من السفر استفادة العلم بهما سلم له حاله في وطنه فإن لم يسلم فيطلب من اللواضع ما هو أقرب إلى التحول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر لعبادة فهو أفضل للواضع له قال رسول الله ﷺ «البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فأنت موضع رأيت فيه رقفاً فأقم واحمد الله تعالى» (٥) وفي الخبر «من بورك له في شيء فليترمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه» (٦) وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثوري وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه بيده فقلت إلى أين يا أبا عبد الله قال إلى بلد أملك فيه جرابي بدم وفي حكاية أخرى بلغني عن قرية فيها رخص أقيم فيها قال فقلت وتفضل هذا يا أبا عبد الله فقال نعم إذا سمعت برخص في بلد فأقصده فإنه أسلم لدينك وأقل لحملك وكان يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الحاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل يتنقل الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن ويحكي عنه أنه قال والله ما أدرى أي البلاد أسكن قيل له خراسان قال مذهب مختلفة وآراء فاسدة قيل فالشام قال يشار إليك بالأصابع أراد الشهرة قيل فالعراق قال بلد الجبابة قيل مكة قال مكة تذيب الكيس والبدن وقاله رجل غريب عزم على المجاورة بمكة فأوصى قال أو صيكت ثلاثاً لتصلين في الصف الأول ولا تصحبين قرشياً ولا تظهرن صدقة وإنما كره الصف الأول لأنه يشتر فيفتقد إذا غاب فيختلط بعمله الزين والتصنع.

من حديث ميمونة بإسناد جيد في بيت للقدس اثنته فصولاً فيه فان صلاة فيه كالف صلاة في غيره وله من حديث أنس صلاة بالمسجد الأقصى خمسين ألف صلاة وصلاة في مسجدى خمسين ألف صلاة وليس في إسناده من ضعف وقال الذهبي إنه منكر (١) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة من حديث أبي هريرة وابن عمر وأبي سعيد (٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث ت. من حديث ابن عمر قال ت. حسن صحيح (٣) حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد (٤) حديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها من حديث بريدة بن الحصيب (٥) حديث البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فأنت موضع رأيت فيه رقفاً فأقم أحمد والطبراني من حديث الزبير بن سفيان (٦) حديث من رزق في شيء فليترمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه. من حديث أنس بالجمل الأولى بسند حسن ومن حديث عائشة بسند فيه جهالة بلفظ إذا سبب الله لأحدكم رزقاً من وجه فلا يدعه حتى يتغير أو يتكره.

للؤمنين أحد وعشرون سماً فسم يتساوى للؤمنين كلهم فيه وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وعشرون جزءاً يتفاضلون فيها على مقادير حقائق إيمانهم قيل في هذه الآية إظهار فضيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأحسن ما يأتي به لأنه لما وقعت له محبة التمكن ومقارنة الاستقرار قبل خلق الكون ظهرت عليه الأنوار في الأحوال كلها وكان معه أحسن الخطاب وله السبق في جميع اللقائم لأزاه صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون يسعى الآخرون وجودا السابقون في الخطاب الأول في الفضل في محل القدس وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله ولرسوله إذا دعاكم لما يحكيكم قال الجنيد تنسموا روح مادام إلى

(الفصل الثاني في شروط وجوب الحج ومحة أركانه وواجباته ومحظوراته)

أما الشروط فشرط محة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه إن كان عمرا ويحرم عنه وليه إن كان صغيرا ويفعل بمعاونة من الحج من الطواف والسعي وغيره . وأما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم الحر فمن أحرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكوبا على النكاح أيام منى فلا ينبغي أن يحرم بالعمرة لأنه لا يتمكن من الاشتغال بعبادته لا اشتغاله بأعمال منى . وأما شروط وقوعه عن حجة الاسلام غمسة : الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فإن أحرم الصبي أو البعد ولكن عتق البعد وبلغ الصبي برفة أو بمزدلفة عاد إلى عرفة قبل طلوع الفجر أجزأها عن حجة الاسلام لأن الحج عرفة وليس عليهما دم إلا الشاة وتشرط هذه الشروط في وقوع العمرة عن فرض الاسلام إلا الوقت . وأما شروط وقوع الحج فلا عن الحر البالغ فهو بعد براءة ذمته عن حجة الاسلام لحج الاسلام متقدم ثم القضاء لمن أفسده في حالة الوقوف(*) ثم التذرع ثم الثياب ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وإن نوى خلافه . وأما شروط لزوم الحج غمسة : البلوغ والاسلام والعقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ثم يتحل بعمل عمرة أوجج . وأما الاستطاعة فنوعان : أحدهما للبشارة وذلك له أسباب ، أما في نفسه فبالصحة ، وأما في الطريق فبأن تكون خصة آمنة بلا عجز خطر ولا عدو قاهر ، وأما في المال فبأن يجد نفقته ذهابه وإيابه إلى وطنه كان له أهل أو لم يكن لأن مفارقة الوطن شديدة وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته في هذه المدة وأن يملك ما يقضيه ديونه وأن يقدر على راحلة أو كرائها بمحمل أو زاملة إن استمسك على الزاملة . وأما النوع الثاني فاستطاعة العضوب بماله وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الأجير عن حجة الاسلام لنفسه ويكفي نفقة الذهاب بزاملة في هذا النوع والابن إذا عرض طاعته على الأب الزم من صاربه مستطاعا ولو عرض ماله لم يصير مستطاعا لأن الخدمة بالبدن فيها شرف للولد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير ولكنه فيه على خطر فإن تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه وإن مات قبل الحج لقي الله عز وجل عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركه يحج عنه وإن لم يوص كسأر ديونه وإن استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله عز وجل ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى قال عمر رضي الله عنه لقد هممت أن أكتب في الأمصار يضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي ومجاهد وطاوس ولعنت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ماصليا عليه وبضمهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يرك ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا وقرأ قوله عز وجل - رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فبا تركه فقال : الحج . وأما الأركان التي لا يصح الحج بدونها غمسة : الإحرام والطواف والسعي بعده والوقوف برفة والحلق بعده على قول وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف . والواجبات المهيورة بالهم ست الاحرام من اللقيات فمن تركه وجاور اللقيات محلا فعليه شاة والرمي فيه الهم قول واحد وأما الصبر برفة إلى غروب الشمس والبيت بمزدلفة والبيت بين وطواف الدواع فهذه الأربعة يجزئ تركها بالهم على أحد القولين وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستحباب . وأما وجوه أداء الحج والعمرة ثلاثة

(*) قوله في حالة الوقوف هكذا بالنسخ وفي نسخة الشارح الرقي وهي أظهر فإن الرقي إذا أفسد حجه وهو رقيق ثم عتق ثم حج أنصرف حجه لقضاء ولا يجزيه عن حجة الاسلام تأمل .

فأسرعوا إلى محو الملائق الشفاعة وهجموا بالنفوس على معاقبة الحذر وتجرعوا امرارة للكابدة وصدقوا الله في الباطلة وأحسنوا الأدب فيما توجهوا إليه وهانت عليهم اللصائب وعرفوا قدر ما يطلبون وصحبوا همهم عن التلفت إلى مذكور سوى ولهم غياحية الأبد بالحلى الذى لم يزل ولا يزال . وقال الواسطي رحمه الله تعالى حياتها تصفيتها عن كل معلول لفظا وفلا وقال بعضهم استجبوا لله بسراركم وللرسول بطواهركم غياحة النفوس بتأدية الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة القلوب بمشاهدة النيوب وهو الحياء من الله تعالى برؤية التفسير وقال ابن عطاء في هذه الآية الاستجابة على أربعة أوجه : أولها إجابة التوحيد . والثاني إجابة التحقيق . والثالث إجابة التسليم

الأول الافراد وهو الأفضل وذلك أن يقدم الحج وحده فإذا فرغ خرج إلى الحل فأحرم واعتذر وأفضل الحل لأحرام العمرة الجمعة أنه ثم التمتع ثم الحديبية وليس على الفرد دم إلا أن يتطوع . الثاني القران وهو أن يجمع فيقول ليبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه أعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الفسل إلا أنه إذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسببه محسوب من النفسكين وأما طوافه فغير محسوب لأن شرط الطواف القرص في الحج أن يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة إلا أن يكون مكيا فلا شيء عليه لأنه لم يترك ميقاته إذ ميقاته مكة . الثالث التمتع وهو أن يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات إلى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا إلا بخمس شرائط : أحدها أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة . الثاني أن يقدم العمرة على الحج . الثالث أن تكون عمرته في أشهر الحج . الرابع أن لا يرجع إلى ميقات الحج ولا إلى مثل مسافته لإحرام الحج . الخامس أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فإذا وجدت هذه الأوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد قسيام ثلاثة أيام في الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة وسبعة إذا رجع إلى الوطن وإن لم يصم الثلاثة حتى رجع إلى الوطن صام الشرة تابعا أو متفرقا وبدل دم القران والتمتع سواء والأفضل الافراد ثم التمتع ثم القران . وأما محظورات الحج والعمرة فستة : الأول اللبس للقميص والسر اويل والخف والعمامة بل ينبغي أن يلبس إزارا ورداء وملين فان لم يجد نملين فكعبين فان لم يجد إزارا فسر اويل ولا بأس بالنطقة والاستغلال في المحمل ولكن لا ينبغي أن يغطي رأسه فان إحرامه في الرأس والراة أن تلبس كل محيط بعد أن لا تستر وجهها بما يماسه فان إحرامها في وجهها . الثاني الطيب فليجنب كل ما يصد العلاء طيبا فان تطيب أو لبس فليده دم شاة . الثالث الخلق والقلم وفيها القدية أغنى دم شاة ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والتصد والحجامة وترجيل الشعر . الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الأول وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه وإن كان بعد التحلل الأول لزمه البدنة ولم يفسد حجه . الخامس مقدمات الجماع كالقبلة وللألمسة التي تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستنماء ويحرم النكاح والإنكاح ولا دم فيه لأنه لا ينقض . السادس قتل سيد البر أغنى ما يؤكل أو هو متوله من الحلال والحرام فان قتل سيده فليده مثله من الشئ يراعى فيه التقارب في الحلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه .

(الباب الثاني في ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهي عشرة جمل)

الجملة الأولى في السير من أول الخروج إلى الاحرام وهي ثمانية

الأولى في المال : فينبغي أن يبدأ بالتوبة ورد للظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لدهابه وإيابه من غير تقصير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق بشئ قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف أو يكتريها فان اكترى فليظهر للسكري كل ما يريد أن يحمله من قليل أو كثير ويحصل رضاه فيه . الثانية في الرفيق : ينبغي أن يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وإن جبن شجعه وإن عجز قواه وإن ضاق صدره صبره ويودع رفقاه التميمين وإخوانه وجيرانه فيودعهم ويلتمس أدعيتهم فان الله تعالى جاعل في أدعيتهم خيرا ، والسنة في الوداع أن يقول : أسودع الله دينك

(الباب الثاني في ترتيب الأفعال الظاهرة)

والرابع إجابة التقرب والاستجابة على قدر السماع والسمع من حيث الفهم والفهم على قدر المعرفة بقدر السلام والمعرفة بالكلام على قدر المعرفة والعلم بالتكلم ووجوه الفهم لا تنحصر لأن وجوه الكلام لا تنحصر قال الله تعالى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي - فقه تعالى في كل كلمة من القرآن كتاباته التي ينفذها البحر دون نقادها فكل الكلام كلمة نظرا إلى ذات التوحيد وكل كلمة كلمات نظرا لسعة العلم الأزلي . حدثنا شيخنا أبو النجيب السمرودي قال : أنبأنا الرئيس أبو طي بن بهان قال أنا الحسن بن شاذان قال أنا دعلج بن أحمد قال أنا أبو الحسن ابن عبد العزيز البغوي قال أنا أبو عبيد بن القاسم بن سلام قال حدثنا حجاج عن حماد بن

سنة عن علي بن زيد
عن الحسن يرفعه إلى
النبي صلى الله عليه
وسلم قال « ما نزل من
القرآن آية إلا ولها
ظهر وبطن ولكل
حرف حد ولكل حد
مطلع » قال قلت يا أبا
سعيد ما المطلع قال
يطلع قوم يعملون
به قال أبو سعيد
أحسب أن قول الحسن
هذا إنما ذهب إلى
قول عبد الله بن
مسعود قال أبو سعيد
حدثني حجاج عن
شعبة عن عمرو بن
مرة عن مرة عن
عبد الله بن مسعود
قال : ما من حرف أو
آية إلا وقد عمل بها
قوم أولها قوم يعملون
بها فالمطلع للصمد
يصعد إليه من معرفة
عنه فيكون للمطلع
القوم بفتح الله تعالى
عن كل قلب بما
يرزق من النور
واختلف الناس في معنى
الظهر والبطن قال
قوم الظهر لفظ القرآن
والبطن تأويله وقيل
الظهر صورة القصة

وأما تك وخواتيم عملك (١) وكان صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد السفر « في حفظ الله وكفنه زدك الله
التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما كنت (٢) » . الثالثة في الخروج من الدار : ينبغي إذا تم بالخروج
أن يصلي ركعتين أو لا يقرأ في الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون وفي الثانية الإخلاص فإذا فرغ رفع
يديه ودعا الله سبحانه عن إخلاص صاف ونية صادقة وقال اللهم أنت صاحب السفر وأنت الخليفة
في الأهل والمال والولد والأصحاب احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة اللهم إنا نسألك في مسيرنا هذا البر
والتقوى ومن العمل ما رضى اللهم إنا نسألك أن تطوى لنا الأرض وتهون علينا السفر وأن ترزقنا في
سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم إنا
نفوذ بك من وعاء السفر وكآبة القلب وسوء النظرفي الأهل والمال والولد والأصحاب اللهم اجعلنا
وإياهم في جوارك ولا تسلبنا وإياهم نعمتك ولا تفر ما بنا وبهم من عاقبتك . الرابعة : إذا حصل على
باب الدار قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أذل
أو أذل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على اللهم إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا
سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وهو قاء إلى لقائك
فإذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت اللهم أنت تقي
وأنت رجائي فاكفني ما أمهني وما لأهمني به وما أنت أعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك
اللهم زدني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يدخل
عليه . الخامسة في الركوب : فإذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له
مقرنين وإنما إلى ربنا المقبلون اللهم إني وجهت وجهي إليك وفوضت أمري كله إليك وتوكلت في جميع
أموري عليك أنت حسبي ونعم الوكيل فإذا استوى على الراحلة واستوت تحتها قال سبحانه الله والحمد لله ولا
إله إلا الله والله أكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله اللهم
أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور . السادسة في النزول : والسنة أن لا ينزل حتى يحسب
النهار ويكون أكثر سيره بالليل قال ﷺ « عليكم بالدجلة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى
بالنهار (٣) » وليل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ومهما أشرف على للنزل فليقل اللهم رب
السماوات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أظللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح
وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا للنزل وخير أهله وأعوذ بك من شره وشر ما فيه
أصرف عني شر شرارهم فإذا نزل النزل صلى ركعتين فيه ثم قال أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن
بر ولا فاجر من شر ما خلق فإذا جن عليه الليل يقول يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر
ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسد وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالله
وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم . السابعة في الحراسة : ينبغي أن يحاط بالنهار فلا

(١) حديث أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك دت وصححه و ن من حديث ابن عمر أنه
كان يقول للرجل إذا أراد سفرا ادن مني حتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا
(٢) حديث كان ﷺ يقول لمن أراد سفرا في حفظ الله وكفنه زدك الله التقوى وغفر ذنبك
ووجهك للخير أينما توجهت الطبراني في الدعاء من حديث أنس وهو عندت وحسنه دون قوله في
حفظ الله وكفنه (٣) حديث عليكم بالدجلة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار من
حديث أنس دون قوله ما تطوى بالنهار وهذه الزيادة في اللوطا من حديث خالد بن معدان مرسل .

بما أخبر الله تعالى
عن غضبه على قوم
وعقابه يوم يظاھر
ذلك إخبار عنهم
وباطنه عظة وتنبيه
لمن يخاف ويستمع من
الأمّة وقيل ظاهره
تنزيه الذي يجب
الإيمان به وباطنه
وجوب العمل به وقيل
ظهره تلاوته كما أنزل
قال الله تعالى - ورتل
القرآن ترتيلا وبطنه
التدبير والتفكير
فيه قال الله تعالى -
كتاب أنزلناه إليك
مبارك ليدبروا آياته
وليتذكروا ولولا الألباب
وقيل قوله لكل
حرف حد أي في
التلاوة لا يجاوز
النصف الذي هو
الإمام وفي التفسير
لا يجاوز للسمع
القول وفرق بين
التفسير والتأويل
فالتفسير علم نزول الآية
وشأنها وقصتها
والأسباب التي نزلت
فيها وهذا محظور على
الناس كافة القول فيه
إلا بالسامع والأثر وأما
التأويل فصرف الآية

بشيء منفردا خارج القافة لأنه ربما يتناول أو يتقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم فان نام في
ابتداء الليل اقترش ذراعه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه هكذا كان ينام
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره (١) لأنه ربما استقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري
فيكون ما يؤت من الصلاة أفضل مما يناله من الحج والأجب في الليل أن يتناول الرقيقان في الحراسة
فاذا نام أحدهما حرس الآخر (٢) فهو السنة فان قصده عدو أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي
وشهد الله والاخلص والمؤذنين وليقل بسم الله ملء الله لاقوة إلا الله حسبي الله توكلت على الله ماشاء
الله لا يأتى بالخير إلا الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله حسبي الله وكفى مع الله لمن دعا ليس وراء الله
منتهى ولا دون الله ملجأ - كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز - تحصنت بالله العظيم
واستختت بالحى الذي لا يغوت اللهم احرمنا بينك التي لا تنام واكنفنا بركك الذي لا يرام اللهم ارحنا
بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت جنتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإيمانك برأفة ورحمة
إنك أنت أرحم الراحمين . الثامنة : مهما علا نشرا من الأرض في الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا
ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبج ومهما خاف الوحشة
في سفره قال : سبحان الله للذي للذي القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعرزة والجبروت .

(الجملة الثانية في آداب الاحرام من اللقيات إلى دخول مكة وهي خمسة)

الأول : أن ينسل وينوى به غسل الاحرام أعنى إذا انتهى إلى اللقيات للشهور الذي يهرم الناس
منه ويتم غسله بالتنظيف ويروح لحيته ورأسه ويحلم أظفاره ويقص عاربه ويستكمل النظافة
التي ذكرناها في الطهارة . الثاني : أن يبارق الثياب الخبيطة ويلبس ثوبى الاحرام فيرتدى ويتزر
بثوبين أبيضين فالأبيض هو أحب الثياب إلى الله عز وجل ويتطيب في ثيابه وبدنه ولا بأس بطيب
ينقى جرمه بعد الإحرام ، قد روى بعض السك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام
عما كان استعماله قبل الاحرام (٣) الثالث : أن يصبر ببدليس الثياب حتى تنبعث به راحته إن كان
راكبا أو يديا بالسير إن كان راجلا فبذلك ينوى الإحرام بالحج أو بالعمرة قرانا أو إفرادا كما أراد
ويكفى مجرد النية لا تعاد الاحرام ولكن السنة أن يحزن بالنية فقط التلبية فيقول ليك اللهم ليك
ليك لا شريك لك ليك إن الحمد والنعمة لك ولللك لا شريك لك وإن زاد قال ليك وسعديك
والخير كله يديك والرفاء إليك ليك بحجة حقا تعبدا ورضا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد .
الرابع : إذا انتقد إحرامه بالتلبية للذكرة فيستحب أن يقول اللهم إني أريد الحج فيسره لي وأعنى
على أداء فرضه وتقبله مني اللهم إني نويت أداء فرضتك في الحج فاجلني من الدين استجابوا لك
وآمنوا بوعدك واتبوا أمرك واجلني من وفدك الذين رضيت عنهم وارفضيت وقبلت منهم اللهم

(١) حديث كان إذا نام في أول الليل اقترش ذراعه وإذا نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل
ذراعه في كفه أحمد في في الثمائل من حديث أبي قتادة بإسناد صحيح وعزاه أبو مسعود الدمشقي
والحميدي إلى م ولم أره فيه (٢) حديث تناول الرقيقين في الحراسة فاذا نام أحدهما حرس الآخر
حق من طريق ابن إسحق من حديث جابر في حديث فيه قال الأنصاري للمهاجرى أي الليل أحب
إليك أن أكنيكة أوله أو آخره فقال بل أكني أوله فاضطجع المهاجرى الحديث . حديث عند
أبي داود ولكن ليس فيه قول الأنصاري للمهاجرى (٣) حديث رؤية بعض السك على مفرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام متفق عليه من حديث عائشة قالت : كأنما أنظر إلى
ويسى للسك الحديث .

فيصرلى أداء مانويت من الحج اللهم قد أحرم لك لحمى وشعرى ودمى وعصى وعظمى وحرمت على نفسى النساء والطيب ولبس الخيط ابتغاء وجهك والآخرة ، ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليجتنبها . الخامس : يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب وزول وانما بها صوته بحيث لا يسمع حلقه ولا ينهر فانه لا ينادى أصم ولا غابيا^(١) كما ورد في الخبر ولا بأس برفع الصوت بالتلبية في للساجد الثلاثة فانها مظنة الناسك : أعنى السجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد اللقات وأما سائر الساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم إذا أعجبه شيء قال « ليك إن العيش عيش الآخرة »^(٢) .

(الجملة الثالثة في آداب دخول مكة إلى الطواف وهي ستة)

الأول أن يغتسل بذي طوى لدخول مكة . والاعتمالات المستحبة السنوية في الحج تسعة . الأول : للاحرام من اللقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم لثلاثة أغسال لرمى الجمار الثلاث ولا غسل لرمى جمره العقبة ثم لطواف الوداع ولمر الشافى رضى الله عنه في الجديد الفسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فتعود إلى سبعة . الثاني : أن يقول عند الدخول في أول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمى ودمى وشعرى على النار وأمنى من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلنى من أولياك . وأهل طاعتك . الثالث : أن يدخل مكة من جانب الأبطح وهو من ثنية كداء بفتح الكاف عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق إليها^(٣) فالتأسي به أولى وإذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى والأولى هي العليا . الرابع : إذا دخل مكة واتى إلى رأس الردم فمعه يقع بصره على البيت فيقل : لا إله إلا الله والله أكبر اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت إذا الجلال والاكرام اللهم إن هذا بيتك عظمت وكرمت وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حبه برا وكرامة اللهم افتح لى أبواب رحمتك وأدخلنى جنتك وأعزنى من الشيطان الرجيم . الخامس : إذا دخل للسجد الحرام فليدخل من باب بنى شيبة وليقل : بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى إبراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك ولىرفع يديه وليقل اللهم إني أسألك فى مقامى هذا فى أول مناسكى أن تقبل توبى وأن تتجاوز عن خطيئتي وتضع عنى وزرى الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وأمنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم إني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جنتك أطلب رحمتك وأعماك مسئة الضطر الخائف من عقوبتك الراجى لرحمتك الطالب لمرضااتك . السادس : أن تقصد الحجر الأسود بعد ذلك ونعمه يدك اليمنى وتقبله وتقول : اللهم أمانتى أدينها وميثاقى وفيته

(١) حديث إنكم لاتادون أصم ولا غابيا متفق عليه من حديث أبى موسى (٢) حديث كان إذا أعجبه شيء قال : ليك إن العيش عيش الآخرة الشافى فى للسند من حديث مجاهد مرصلا نحوه ولحقا كروصحه من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف جرفات فلما قال ليك اللهم ليك قال إنما الخبر خير الآخرة (٣) حديث دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنية كداء بفتح الكاف متفق عليه من حديث ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة دخل من الثنية العليا التى بالبطحاء الحديث .

إلى معنى تحتمله إذا كان المحتمل الذى يراه يوافق الكتاب والسنة فالتأويل يختلف باختلاف حال المؤول على ما ذكرناه من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ومنصب القرب من الله تعالى قال أبو الدرداء : لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة فما أعجب قول عبد الله ابن مسعود ما من آية إلا ولها قوم سيعملون بها وهذا الكلام معرض لكل طالب صاحب همة أن يصفى موارد الكلام ويفهم دقيق معانيه وغامض أسرار من قلبه فالصوفى بكمال الزهد فى الدنيا وتجريد القلب عما سوى الله تعالى مطلع من كل آية وله بكل مرة فى التلاوة مطلع جديد وفهم عتيد وله بكل فهم عمل جديد فقههم يدعو إلى العمل وعملهم يجلب صفاء الفهم ودقيق النظر فى معانى الخطاب فمن

اشهدلى بالموافاة فان لم يستطع التقيل وقف في مقابلته ويقول ذلك ثم لا يرجع على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم إلا أن يجد الناس في المكتوبة فيصل معهم ثم يطوف .

(الجلة الرابعة في الطواف)

فاذا أراد افتتاح الطواف إما للقدوم وإما لتبره فينبغي أن يراعى أموراً ستة . الأول : أن يراعى شروط الصلاة من طهارة الحدث والحج في الكوب والبدن والسكان وستر البورة فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام وليضطجع قبل ابتداء الطواف وهو أن يجلس وسط رداءه تحت إبطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبيه الأيسر فيرخي طرفا رداء ظهره وطرفاً على صدره وقطع التلية عند ابتداء الطواف ويستغل بالأدعية التي سذكرها . الثاني : إذا فرغ من الاضطجاع فليجلب البيت على يساره وليقف عند الحجر الأسود وليتبع عنه قليلاً ليكون الحجر قدماه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه في ابتداء طوافه وليجلب بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قرياً من البيت فانه أفضل ولكيلا يكون طائفاً على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الأسود قد يصل الشاذروان بالأرض ويلتبس به والطائف عليه لا يصح طوافه لأنه طائف في البيت والشاذروان هو الذي فضل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار ثم من هذا الوقت يتبدى الطواف . الثالث : أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء الطواف بسم الله والله أكبر اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك وإتباعاً لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فأول ما يجاوز الحجر ينتهي إلى باب البيت فيقول : اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الأمن أمنك وهذا مقام المائدة بك من النار وعند ذكر المقام يشير بيته إلى مقام إبراهيم عليه السلام : اللهم إن بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين فأعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحى ودمى على النار وآمئني من أهوال يوم القيامة واكفني مؤنة الدنيا والآخرة ثم يسبح الله تعالى ويمحده حتى يبلغ الركن العراقي فعنده يقول اللهم إني أعوذ بك من الشرك والشك والكفر والتفاني والشقاق وسوء الأخلاق وسوء النظر في أهل المال والولد فإذا بلغ اليزاب قال اللهم أظننا تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك اللهم استغنى بكأس محمد صلى الله عليه وسلم شرية لا أظلم بعدها أبداً فإذا بلغ الركن الشامي قال اللهم اجعله حجاباً مبروراً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم فإذا بلغ الركن اليمني قال اللهم إني أعوذ بك من الكفر وأعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة الحيا والمات وأعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة ويقول بين الركن اليمني والحجر الأسود اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار فإذا بلغ الحجر الأسود قال اللهم اغفر لي برحمتك أعوذ بك من هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الأدعية في كل شوط . الرابع : أن يرمي في ثلاثة أشواط ويمشي في الأربعة الأخر على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الإسراع في المشي مع تقارب الخطأ وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد والمقصود منه ومن الاضطباع إظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان القصد أولاً قطعاً لطمع الكفار وبقيت تلك السنة (١) والأفضل الرمل مع الدنو من البيت فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل

(١) حديث مشروعية الرمل والاضطباع قطعاً لطمع الكفار وبقيت تلك السنة أما الرمل فمتفق عليه من حديث ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا انشركون إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حتى يثرب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرموا الأشواط الثلاثة الحديث وأما الاضطباع

القوم علم ومن العلم عمل
والعلم والعمل يتناوبان
فيه وهذا العمل آتفا
إنما هو عمل القلوب
وعمل القلوب غير عمل
القالب وأعمال القلوب
للطفا وسداقها
مشاكله للعلوم لأنها
نيات وطويات
ومطقات روحية
وتأديت قلبية
ومسامحات سرية وكلا
أنوا يصل من هذه
الأعمال رفع لهم علم
من العلم وطمعوا على
مطلع من فهم الآية
جديد وغالج سرى
أن يكون للطلع ليس
بالوقوف بصفاء الفهم
على دقيق المعنى وغامض
السرى الآية ولكن
المطلع أن يطلع عند
كل آية على شهود
التكلم بها لأنها
مستودع وصف من
أوصافه ونعت من
نمونه فتجسد له
التجليات بتلاوة الآيات
ومعها ويصير له
مراء منبهة عن عظيم
الجلال ولقد نقل عن
جعفر الصادق رضي
الله عنه أنه قال لقد

فليخرج إلى حاشية اللطاف وليرمل ثلاثاً ثم يقرب إلى البيت في الزدحم ولجيش أربعا وإن أمكنه استلام الحجر في كل شوط فهو الأحب وإن منعه الرحمة أشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن اليماني يستحب من سائر الأركان وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن اليماني (١) وقبله (٢) ويضع حده عليه (٣) » ومن أراد تخصيص الحجر بالتبجيل واقتصر في الركن اليماني على الاستلام أغنى عن اللبس باليد فهو أولى : الحائس إذا تم الطواف سبعا فليأت للترجم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليترقى بالبيت وليتعلق بالأستار ويلصق بطنه بالبيت وليضع عليه حده الأيمن وليسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل : اللهم يارب البيت العتيق أعنتق رقبتي من النار وأعدني من الشيطان الرجيم وأعدني من كل سوء وقمضي بما رزقتني . وبارك لي فيما آتيتني اللهم إن هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلني من أكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيراً في هذا للوضع وليلصق على رسوله ﷺ وعلى جميع الرسل كثيراً وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه . كان بعض السلف في هذا للوضع يقول لمواليه تنحوا عني حتى أقر لربي بذنوبي . السادس : إذا فرغ من ذلك ينبغي أن يصل خلف اللقائم ركعتين يقرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف . قال الزهري مضت السنة أن يصل لكل أسبوع ركعتين (٤) وإن قرن بين أسايح وصلى ركعتين جاز (٥) قل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل أسبوع طواف وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل اللهم يسر لي اليسرى وجنبني اليسرى واغفر لي في الآخرة والأولى واعصني بأطاعتك حتى لأعصيك وأعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم جيني إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين اللهم فكها هديتي إلى الاسلام فثبتني عليه بأطاعتك وولايته واستمعني لطاعتك وطاعة رسولاك وأجرني من مضلات الفتن ثم بعد إلى الحجر وليستله وليتم به الطواف

فروى ذلك وصححه من حديث عمر قال فم الزملاان الآن والكشف عن لناكب وقد أظهر الله الاسلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لا ندع عيضا كنا نضعه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) حديث استلامه صلى الله عليه وسلم للركن اليماني متفق عليه من حديث ابن عمر قال رأيت رسول الله ﷺ حين يقدم مكة إذا استلم الركن الأسود الحديث ولما من حديثه لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس من الأركان إلا اليمانيين ولمسلم من حديث ابن عباس لم أره يستلم غير الركنين اليمانيين وله من حديث جابر الطويل حتى إذا أتيت البيت معه استلم الركن (٢) حديث تنبيهه صلى الله عليه وسلم له متفق عليه من حديث عمر أنه قبل الحجر وقال لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك والبخاري من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه وقبله وله في التاريخ من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استلم الركن اليماني قبله (٣) حديث وضع الحدة عليه قطك من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الركن اليماني الحديث قال ك صحيح الاسناد قلت فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز ضغفه الجمهور (٤) حديث الزهري مضت السنة أن يصل لكل أسبوع ركعتين ذكره مخ تعليقا السنة أفضل لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم أسبوعا إلا صلى ركعتين وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف بالبيت سبعا وصل خلف اللقائم ركعتين (٥) حديث قرأه صلى الله عليه وسلم بين أسايح ابن أبي حاتم من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرن ثلاثة أطواف ليس بينها صلاة ورواه عن في الضعفاء وابن شاهين في أماليه من حديث أبي هريرة

نجلى الله تعالى لعباده في كلامه ولكن لا يصرون فيكون لكل آية مطلع من هذا الوجه فالحدّ حدّ الكلام والمطلع الترقى عن حد الكلام إلى شهود التكلم . وقد نقل عن جعفر الصادق أيضا أنه خرم مضجعا عليه وهو في الصلاة فسل عن ذلك فقال ما زلت أردّ الآية حتى سمعتها من التكلم بها فالصوفي لما لاح له نور ناصية التوحيد وألقى سمعه عند صياح الوعد والوعيد وقلبه بالتخلص عما سوى الله تعالى صار بين يدي الله حاضر اشهيدا يرى لسانه أو لسان غيره في السلاوة كشجرة موسى عليه السلام حيث أحسمه الله منها خطابه إياه بأن أنا الله فإذا كان صماعة من الله تعالى واستماعه إلى الله صار سمعه بصره وبصره سمعه وعلمه عمله وعمله علمه وعاد آخره أوله وأوله آخره ومعنى ذلك أن الله تعالى

قال صلى الله عليه وسلم « من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة (١) » وهذه كيفية الطواف والواجب من حجته بمشروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وأن يتدبى بالحجر الأسود ويجعل البيت على يساره وأن يطوف داخل للمسجد وخارج البيت لاطل الشافرون ولا في الحجر وأن يوالي بين الأشواط ولا يفرقها بغير ما خرجا عن المعتاد وما عدا هذا فهو سنن وحيثات .

(المجلة الخامسة في السعي)

فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذة الضلع الذي بين الركن اليماني والحجر فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل . رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة (٢) . وابتداء السعي من أصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج مستحبة فينبغي أن لا يخلقها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي وإذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين البروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا ينبغي أن يستقبل البيت ويقول الله أكبر الله أكبر المجدد على ما هدانا الحمد لله بحمده كلها على جميع نعمه كلها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين - فصبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من اللبث ويخرج اللبث من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أتم بشر تنشقرون - اللهم إني أسألك إيمانا دائما وقبلا صادقا وعلا نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذا كرا وأسألك الخلو والعافية والعاقبة الدائمة في الدنيا والآخرة وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويتدبى السعي وهو يقول . رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم اللهم آمنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشى على هيئة حتى ينتهى إلى الليل الأخضر وهو أول ما يلقاه إذا نزل من الصفا وهو على زاوية للمسجد الحرام فاذا بقى بينه وبين محاذة الليل ستة أذرع أخذ في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهى إلى الليل الأخضر ثم يعود إلى الهيئة فاذا انتهى إلى البروة صعدا كاسد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعي مرة واحدة فاذا عاد إلى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا والبروة فاذا فعل ذلك قد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سفتان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة بخلاف الطواف وإذا سعى فينبغي أن لا يبعد السعي بعد الوقوف ويكتفى بهذا ركنا فإنه ليس من شرط السعي أن يتأخر عن الوقوف وإنما ذلك شرط في طواف الركن فم شرط كل سعى أن يقع بعد طواف أى طوافه كان

وزاد ثم صلى لكل أسبوع ركعتين وفي إسنادهما عبد السلام بن أبي الجيوب منكر الحديث

(١) حديث من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة ت وحسنه ون . من حديث ابن عمر من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة لفظ . وقال الآخر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة والبيهقي في الشعب من طاف أسبوعا وركع ركعتين كانت كعتاق رقبة (٢) حديث أنه رقى على الصفا حتى بدت له الكعبة م من حديث جابر فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت وله من حديث أبي هريرة آتى الصفا فصلا عليه حتى نزل إلى البيت

خاطب الذر بقوله - ألت بربكم - فسمعت النداء على غاية الصفاء ثم لم تزل الذرات تتقلب في الأصلاب وتنقل إلى الأرحام قال الله تعالى - الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين - يعنى قلب ذرتك فى أصلاب أهل السجود من آباءك الأنبياء فما زالت تنتقل الذرات حتى برزت بين أجسادها فاحتجبت بالحكمة عن القدرة وبالم الشهادة عن عالم القيب وتراكم ظلماتها بالتقلب فى الأطوار فاذا أراد الله تعالى بالعبد حسن الاستماع بأن يصيره صوفيا صافيا لا يزال يرقه فى رتب التزكية والتجلية حتى يخلص من مضيق ظلم الحكمة إلى فضاء القدرة ويزال عن بصيرته النافقة سحج الحكمة فيصير معاه - ألت بربكم - كشفا وعبادا وتوحيدا وعرفاته نبينا وبرهانا وتدرج له ظم الأطوار فى لوايح الأنوار . قال

(الجملة السادسة في الوقوف وما قبله)

الحاج إذا انتهى يوم عرفة إلى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف وإذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرما إلى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الإمام بمكة خطبة بعد الظهر عند السكبة ويأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى منى يوم التروية والبيت بها وبالغدو منها إلى عرفة الإقامة فرض الوقوف بعد الزوال إذ وقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغي أن يخرج إلى منى مليا ويستحب له الشئ من مكة في التماسك إلى اقضاء حجه إن قدر عليه وللشئ من مسجد إبراهيم عليه السلام إلى الوقف أفضل وأكد فإذا انتهى إلى منى قال اللهم هذه منى فامننى على بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك ولحمك هذه اليلة بمنى وهو بيت منزل لا يتعلق به نك فاذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فاذا طلعت الشمس على بئر سار إلى عرفات ويقول: اللهم اجعلها خير غداة غدوتها قط وأقرها من رضوانك وأجدها من سخطك اللهم إليك غدوت وإليك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فاجعلنى ممن تباهى به اليوم من هو خير منى وأفضل فاذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد ثم ضرب رسول الله ﷺ قبته (١) ونمرة هي بطن عرنة دون الوقف ودون عرفة وليختل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الإمام خطبة وجيزة وقصد وأخذ للؤذن في الأذان والإمام في الخطبة الثانية ووصل الإقامة بالأذان وفرغ الامام مع تمام إقامة للؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين وقصر الصلاة وراح إلى الوقف فليقف بحرفة ولا يقف في وادى عرفة وأما مسجد إبراهيم عليه السلام فصدرة في الوادى وأخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بحرفة ويميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم والأفضل أن يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبلا للقبلة راكبا وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على اللواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الأحب أن يلي نارة ويكب على الدعاء أخرى وينبغي أن لا ينفصل من طرف عرفة إلا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وإن أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند إمكان التلطف في الهلال فهو الحزم وبه الأمن من القوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فليبه أن يتحلل عن إحرامه بأعمال العمرة ثم يريق دما لأجل القوات ثم يقضى العام الآتى ولكن أهم اشتغاله في هذا اليوم الدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى إجابة الدعوات والدعاء للأنور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) إلا وعن السلف في يوم عرفة أولى ما يدعو به قليل لإله إلا الله وحده لا شريك له

(١) حديث ضربه صلى الله عليه وسلم قبته بنمرة مسلم من حديث جابر الطويل فأمر بقبته من شعر تضرب له بنمرة الحديث (٢) حديث الدعاء للأنور في يوم عرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال حسن غريب وله من حديث على قال أكثر ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة في الموقف اللهم لك الحمد كالتدى قول وخيرا مما قول لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى وإليك مآبى ولك رب تراثى اللهم إني أعوذ بك من شر ما تجي به الريح وقال ليس بالقوى إسناده وروى المستظرف في الدعوات من حديثه بإعلى إن أكثر دعاء من قبل يوم عرفة أن أقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في صبرى نورا وفي قلبى نورا اللهم اشرح لى صدري ويسر لى أمري

بضمهم أنا أذكر خطاب ألت بربكم إشارة منه إلى هذا الحال فاذا تحقق الصوف بهذا الوصف صار وقته سرمدًا وشهوده مؤبدا وصاحبه متواليا متجددا يسمع كلام الله تعالى وكلام رسوله حق السامع . قال سفيان بن عيينة : أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر . وقال بعضهم تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام وقيل من حسن الاستماع إهمال التكلم حتى يقضى حديثه وقلة التلفت إلى الجوانب والاقبال بالوجه والنظر إلى التكلم والوحى قال الله تعالى لنبيه عليه السلام سولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيد وقاله لا تحرك به لسانك لتعجل به - هذا تعلم من الله تعالى لرسوله عليه السلام حسن الاستماع قيل معناه لا تعجل على الصحابة حتى تتدبر

معانيه حق تكون
أنت أول من غلص
بضائبه وبجابه وقبل
كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا نزل عليه
جبريل عليه السلام
وأوحى إليه لا يفتر من
قراءة القرآن عفاة
الافتلات والنسيان
قهاء الله تعالى عن
ذلك أي لا تجعل
بهراته قبل أن يفرغ
جبرائيل من إلقائه
إليك وقد تكون
مطالعة العلوم وأخبار
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمعنى السماع
وبمحتاج الطالع للعلوم
والأخبار وسير أهل
الصلاح وحكاياتهم
 وأنواع الحكم والأمثال
 التي فيها نجاة من
عذاب الآخرة أن
يكون في ذلك كله
متأدبا بأدب حسن
الاستماع لأنه نوع من
ذلك وكأن القلب
استمد بحسن الاستماع
بالزهادة والتقوى حق
أخذ من كل ما سمعه
أحسنه فيكون أخذاً
بالمطالعة من كل شيء
أحسنه ومن الأدب

له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي
نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي لساني نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري وليلق
الله رب الحمد لك الحمد كما تقول وخيرا مما تقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآتي
وإليك توابي اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر اللهم إني أعوذ بك
من شر ما يلج في الليل ومن شر ما يلج في النهار ومن شر ما تهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر اللهم
إني أعوذ بك من تحول حافيتك ولبانة قمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في
الآخرة والأولى يا خبير مقصود وأسئ منزول به وأكرم مسئول ماله به أعطني العتبة أفضل ما أعطيت
أحدا من خلقك وحجاج بيتك يا أرحم الراحمين اللهم بارفيع الدرجات ومنزل البركات وإلا طهر الأرضين
والسموات فحبت إليك الأصوات بصوف اللغات يسألونك الحاجات وحاجتي إليك أن لا تنساني في دار
البلاء إذا نسيت أهل الدنيا اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سرى وعلائي ولا يغني عليك
شيء من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجه للشفق للتعرف بذنبه أسألك مسئلة للسكين
وأتهل إليك ابتهاج للذنب الدليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت
لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك آفقه اللهم لا تجعلني بدالك رب شقيا وكن لي رءوفا رحما يا خبير
السؤولين وأكرم للمطيعين إلهي من مدح لك نفسه فاني لائم نفسي إلهي أخرست للماضي لساني فإلى
وسيلة من عمل ولا غشيع سوى الأمل إلهي إني أعلم أن ذنوبي لم تبق لي عندك جأها ولا للاعتذار وجهها
ولكنك أكرم الأكرمين إلهي إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فأن رحمتك أهل أن تبلغني ورحمتك
وسمت كل شيء مؤثرا شيء إلهي إن ذنوبي وإن كانت عظيما وولكنها صفار في جنب عفوك فأغفرها لي
يا كريم إلهي أنت أنت وأنا أنا أنا العواد إلى الذنوب وأنت العواد إلى الغفرة إلهي إن كنت لا ترحم
إلا أهل طاعتك فإلى من يفرغ للذنوب إلهي تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت إلى معصيتك
قصدا فسيحانك ما أعظم حجتك علي وأكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي واقطع حجتك
عني وقمري إليك وغناك عني إلا غفرت لي يا خبير من دعاء داع وأفضل من رجاء راج بحرمة
الاسلام وبذمة محمد عليه السلام أتوسل إليك فأغفر لي جميع ذنوبي واصرفني من موقف هذا مقضى
الحوائج وهب لي ما سألت وحقق رجائي فها تجيب إلهي دعوتك بالدعاء الذي علمته فلا تحرمي الرجاء
الذي عرفته إلهي ما أنت صانع العتبة بعد مقر لك بذنبه خاشع لك بذلك مستكين يجرمه متضرع
إليك من عمله نائب إليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتل إليك في الضو عنه طالب إليك
نجاح حوائجه راج إليك في موقفه مع كثرة ذنوبه فيا ملجأ كل حي وولي كل مؤمن من أحسن
فبرحمتك يهوز ومن أخطأ في خطيئته يهلك اللهم إليك خرجنا وبمائتك أنفنا وإياك أملنا وما عندك
طلبنا وإحسانك ترضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك أشفقنا وإليك بأثقال الذنوب هربنا
وليبيتك الحرام حجبنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يا من ليس معه رب يدعي ويامن
ليس فوقه خالق يخشى يا من ليس له وزير يؤتي ولا حاجب يرشئ يا من لا يزداد على كثرة السؤال
اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وقنعة القبر وشر ما يلج في الليل وشر ما يلج
في النهار وشر ما تهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر وإسناده ضعيف وروى الطبراني في المعجم الصغير
من حديث ابن عباس قال كان مما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عتبة عرفة اللهم إنك ترى
مكاني وتسمع كلامي وتعلم سرى وعلائي ولا يغني عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير فذكر
الحديث إلى قوله يا خبير للسؤولين ويا خبير المطيعين وإسناده ضعيف وباقي الدعاء من دعاء بعض السلف
وفي بعضه ما هو مرفوع ولكن ليس مقبدا بموقف عرفة .

إلا جودا وكرما وعلى كثرة الحوائج إلا تضلوا وإحسانا اللهم إنك جعلت لكل ضيف قري ونحن
أضيافك فاجعل قرانا منك اللجنة اللهم إن لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية
ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب إليك
زلفى ولكل متوسل إليك عفوا. وقد وفدنا إلى بيتك الحرام ووقفنا بهذه الشاعر العظام وشهدنا هذه
الشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا إلهنا تابعت النعم حتى اطمانت الأنفس بتابع نعمك
وأظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك وظاهرت للنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك
وأظهرت الآيات حتى أفضحت السموات والأرضون بأدلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك
وعنت الوجوه لعظمتك إذا أنشأت عبادك حلت وأمهلت وإن أحسنوا نفضت وقبلت وإن عصوا
مترت وإن أذنبوا عفوت وغفرت وإذا دعونا أجبت وإذا نادينا سمعت وإذا أقبنا إليك قربت وإذا
وليناعنك دعوت إلهنا إنك قلت في كتابك البين لحمد خاتم النبيين - قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف - فأرضاك عنهم الإقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وإن تشهد لك بالتوحيد محبتين ولحمد
بالرسالة مخلصين فاعف لنا بهذه الشهادة سوائف الأجرام ولا تجعل حظنا فيه أهص من حظ من دخل
في الإسلام إلهنا إنك أحببت التقرب إليك بتق ماملكت أيماننا ونحن عبيدك وأنت أولى بالفضل
فاعتقنا وإنك أمرتنا أن تصدق على قهرائنا ونحن قهرأؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا ووصيتنا
بالقو عن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار. وليكثر من دعاء الحضرة عليه
السلام وهو أن يقول يا من لا يشغله شأن عن شأن ولا سمع عن سمع ولا تشبهه عليه الأصوات يا من
لا تغلظه السائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يرميه إلحاح اللعين ولا تضجره مسئلة السائلين أذقا
برد عفوك وحلاوة مناجاتك وليمع بما بدا له وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات والجميع
في الدعاء وليعظم المسئلة فإن الله لا يعاظمه شيء وقال مطرف بن عبد الله وهو برفة الله لا ترد الجميع من
أجلي وقال بكر الزرقاني قال رجل لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أني كنت فيهم -
(الجملة السابعة في بقية أعمال الحج بعد الوقوف من البيت والرمي والنحر والخلق والطواف)

فإذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغي أن يكون على السكينة والوقار وليجنب وجيف الحيل
وإضاع الأبل كما يتأده بعض الناس فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم « نهى عن وجيف الحيل وإضاع
الأبل وقال : اتقوا الله وسروا سيراجيلا لا تطشوا ضعيفا ولا تؤذوا مسلما » (١) فإذا بلغ الزدلفة اغتسل لها
لأن الزدلفة من الحرام فليدخله بفسل وإن قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب إلى توقير الحرم
ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية فإذا بلغ الزدلفة قال اللهم إن هذه مزدلفة جمعت فيها السنة عتقة
تسألك حوائج مؤتلفة فاجعني بمن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيت ثم يجمع بين المغرب والعشاء
بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا له بأذان وإقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة للمغرب والعشاء والوتر
بعد الفريضتين ويبدأ بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين فإن ترك التوافل في السفر خسران
ظاهر وتكليف لإقاعها في الأوقات لإضرار وقطع للتبعية بينهما وبين الفرائض فإذا جاز أن يؤدي
التوافل مع الفرائض بتمام واحد بحكم التبعية فيأن يحوز أدائها على حكم الجمع بالتبعية أولى ولا يمنع من

(١) حديث نهى النبي عن وجيف الحيل وإضاع الأبل نك وصحه من حديث أسامة بن زيد
عليكم بالسكينة والوقار فإن البر ليس في إضاع الأبل وقال لك ليس البر بإجفاف الحيل والإبل
والبخارى من حديث ابن عباس فإن البر ليس بالإضاع .

في المطالعة أن العبد إذا
أراد أن يطالع شيئا
من الحديث والعلم يعلم
أنه قد تكون مطالعة
ذلك بداعية النفس
وقلة صبرها على الذكر
والتلاوة والعمل
فتسروح بالمطالعة
كما تسروح بجمالة
الناس ومكالمهم
فليتنفد للتغطين نفسه
في ذلك ولا يستحل
مطالعة الكتب إلى حد
يأخذ ذلك من وقته
ويراعى الإفراط فيه
فإذا أراد مطالعة
كتاب أو شيء من العلم
لا يسادر إليه إلا
بعد التثبت والانتابة
والرجوع إلى الله تعالى
وطلب التأيد من
رحمة الله تعالى فيه
فانه قد يرزق بالمطالعة
ما يكون من مزيد
حاله ولو قدم الاستخارة
لذلك كان حسنا فإن
الله تعالى يفتح عليه باب
الفهم والتفهيم موهبة
من الله زيادة على
ما يتبين من سورة
العلم فليعلم صورة ظاهرة
وسر باطن وهو الفهم
والله تعالى به على

هذا مفارقة التمل للفرض في جواز أدائه على الراحة لما أوامنا إليه من التبعة والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو ميت نسك ومن خرج منها في النصف الأول من الليل ولم يبت عليه دم وإحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم إذا انصف الليل أخذ في التأهب للرحيل ويزود الحصى منها فتيها أحجار رخوة فليأخذ سبعين حصة فإنها قدر الحاجة ولا بأس بأن يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها ولتكن الحصى خفافا بحيث يحتمل على أطراف البراجم ثم ليغسل بصلاة الصبح وليأخذ في السير حتى إذا انتهى إلى للشعر الحرام وهو آخر للمزدلفة فيقف ويدعو إلى الاسفار ويقول اللهم بحق للشعر الحرام والبيت الحرام والشعر الحرام والركن والقام بلع روح محمدنا التحية والسلام وأدخلنا دار السلام يا ذا الجلال والإكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهي إلى موضع يقال له وادي عسرى فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي وإن كان راجلا أسرع في الشيء ثم إذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبي تارة ويكبر أخرى فينتهي إلى منى ومواقع الجمرات وهي ثلاثة فيتجاوز الأولى والثانية فلا شغل له معها يوم النحر حتى ينتهي إلى جملة العقبة وهي على عين مستقبل القبلة في الجادة وللرمي مرفع قليلا في سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح وكيفيته أن يقف مستقبل القبلة وإن استقبل الجمرة فلا بأس ويرى سبع حصيات رافعا يده ويدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصة الله أكبر الله أكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك فإذا رمى قطع التلبية والتكبير إلا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر إلى عقيب الصبح من آخر أيام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله وصفة التكبير أن يقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له محاسبين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله والله أكبر ثم ليذبح الهدى إن كان معه والأولى أن يذبح نفسه وليقل بسم الله والله أكبر اللهم منك وبك وإليك تقبل مني كما تقبلت من خليلك إبراهيم والتضحية بالبدن أفضل ثم بالبقرة ثم بالشاة والأضحية من مشاركة سنة في البدنة والبقرة والضأن أفضل من للمزقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الأضحية الكبشى الأقرن والبيضاء أفضل من البغراء والسوداء ^(١) وقال أبو هريرة البيضاء أفضل في الأضحية من دم سوداوين وليأكل كل منه إن كانت من هدى التطوع ولا يضحى بالمرجاء والجعداء والعشباء والجرباء والشرقاء والحرقاء والقابطة والمدايرة والعجفاء والجعد في الأنف والأذن للقطع منها والعصف في القرن وفي نقصان ألقواهم والشرقاء للشقوقة الأذن من فوق والحرقاء من أسفل والمقابلة المحروقة الأذن من قدام والمدايرة من خلف والعجفاء المهزولة التي لا تنقي أي لا منع فإن من الهزال ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويبتدئ بتقديم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين المشرفين على القفا ثم ليحلق الباقي ويقول اللهم أثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بهاسيئة وارفع لي بها عندك درجة والمرأة تقصر الشعر والأصم يستحب له إمرار الموصى على رأسه ومما حلق بعد رمي الجمرة قد حصل له التحلل الأول وحله كل المحظورات إلا النساء والعبد ثم يفيض إلى مكة ويطوف كإصغاف وهذا الطواف طواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن يؤخر إلى أي وقت شاء ولكن يبق مقيدا بقلعة الاحرام فلا يحل له النساء إلى أن يطوف فإذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارضع الاحرام بالكلية ولم يبق إلا رمي أيام التشريق والبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف

(١) حديث خير الأضحية الكبشى د من حديث عبادة بن الصامت وت من حديث أبي أمامة قال ت

شرف القهم بقوله
- قهمناها سلبان
وكلا آتيناهما حكا وعلا -
أشار إلى القهم بزيد
اختصاص وتبزي عن
الحكم والعلم قال الله
تعالى - إن الله يسمع
من يشاء - فإذا كان
للسمع هو الله تعالى
يسمع تارة بواسطة
اللسان وتارة بما يرزق
بطلعة الكتب من
التيان فصار ما فتح
الله تعالى بطلعة
الكتب على معنى
ما يرزق من السموع
يركة حسن الاستماع
ليتفقد البعد حاله
في ذلك وتعلم علمه
وأدبه فانه باب كبير
من أبواب الخير وعمل
صالح من أعمال الشايع
والصوفية والطهارة
الزاهدين للتبتلين
لاستفتاح أبواب
الرحمة وللزيد من كل
شيء ينفع سلوك الآخرة
[الباب الثالث في بيان
فضيلة علوم الصوفية
والإشارة إلى آتودج
منها]

حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب

مع الركنين كما سبق في طواف القدوم فإذا فرغ من الركنين فليسمع كإصغاف إن لم يكن سمى بعد طواف القدوم وإن كان قد سمى فقد وقع ذلك بركنا فلا ينبغي أن يبدى السعى . وأسباب التحلل ثلاثة الرمي والحلق والطواف الذي هو ركن ومهما أتى باتين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحدا التحللين ولا حرج عليه في التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع التبع ولكن الأحسن أن يرمى ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام في هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله ﷺ في الحج أربع خطب: خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر^(١) وخطبة يوم النفر الأول وكلها عقيب الزوال وكلها أفراد إلا خطبة يوم عرفة فاتها خطبتان بينهما جملة ثم إذا فرغ من الطواف عاد إلى منى للبيت والرمي فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لأن الناس في غدقرون بمنى ولا ينفرون فإذا أصبح اليوم الثاني من العيذ زالت الشمس اغتسل الرمي وقصد الجرة الأولى التي على عرفة وهي على عين الجادة ويرمي إليها بسبع حبات فإذا تمداها انحرف قليلا عن عين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على المقام ثم يتقدم إلى الجرة الوسطى ويرمي كإرمي الأولى ويقف كإوقف الأولى ثم يتقدم إلى جرة العقبة ويرمي مبعاولا يخرج على شغل بل يرجع إلى منزله ويبعث تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول ويسبح فإذا صلى الظهر في اليوم الثاني من أيام التشريق رمى في هذا اليوم إحدى وعشرين حصاة كالأيوم الذي قبله ثم هو غير بين للقيام بمنى وبين العود إلى مكة فإن خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه وإن صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه للبيت حتى يرمى في يوم النفر الثاني أحدا وعشرين حجرا كما سبق وفي ترك البيت والرمي إراقة دم وليتصدق بالهجم وله أن يزور البيت في ليالي منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك^(٢) ولا يتركن حضور القرائن مع الإمام في مسجد الحيف فإن فضله عظيم فإذا أقاض من منى فالأولى أن يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة^(٣) فهو السنة رواء جماعة من الصحابة رضي الله عنهم فإن لم يفعل ذلك فلا شيء عليه .

(الجلفة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع)

من أراد أن يمتد قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق في الحج ومحرم بالعمرة من ميقاتها وأفضل مواقيتها الجعرانة ثم التعميم ثم الحديبية وينوي العمرة ويلبى ويقصد مسجد عائشة رضي الله عنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود إلى مكة وهو يلبي حتى يدخل للمسجد الحرام فإذا دخل للمسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كإصغافنا فإذا فرغ حلق رأسه وقد

غريب وعفير يصف في الحديث (١) حديث الخطبة يوم النحر وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أبي بكره خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر وله من حديث ابن عباس خطب الناس يوم النحر وفي حديث علقه وخ ووصله . من حديث ابن عمر وقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحرين الجمرات في الحجة التي حج فيها فقال أي يوم هذا الحديث وفيه ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع (٢) حديث زيارة البيت في ليالي منى والبيت بمنى د في الراسيل من حديث طاوس قال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفيض كل ليلة من ليالي منى قال د وقد أسندت وصله ابن عدى عن طاوس عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ يزور البيت أيام منى وفيه عمرو بن رباح ضعيف والمرسل صحيح الإسناد ولأبي داود من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم مكث بمنى ليالي أيام التشريق (٣) حديث نزول المحصب وصلاة العصر والمغرب والعشاء به والرقدة رقدة خ من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمحصب ثم جمع حجة الحديث .

السهور روى رحمه الله قال أنبأنا أبو عبد الرحمن السوف قال أنا عبد الرحمن ابن محمد قال أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد السرخسي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الهارمي قال حدثنا يعقوب بن حماد قال حدثنا بقية عن الأحوص ابن حكيم عن أبيه قال سألت رجلا النبي عليه السلام عن الشر فقال « لا تسألوني عن الشر وسألوني عن الخير » يقولها ثلاثا ثم قال « إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خير العلماء » فالعلماء أدلاء الأمة وعهد الدين وسرج ظلمات الجهالات الجبلية وبقاء ديوان الاسلام ومعادن حكم الكتاب والسنة وأمناء الله تعالى في خلقه وأطباء العباد وجهابذة الله الحنيفية وحملة عظيم الأمانة فهم أحق بالخلق عفا نقى التقوى وأحوج

تمت عمرته والقيم بمكة ينبغي أن يكثر الاعتبار والطواف وليكثر النظر إلى البيت فإذا دخله فليصل ركعتين بين المودين فهو الأفضل وليدخله حافيا موقرا قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما أرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيتي فكيف أراها أهلا لأن أأطأ بها بيت ربى وقد علمت حيث مشيتا وإلى أين مشيتا وليكثر شرب ماء زمزم وليستق يدعه من غير استنابة إن أمكنه وليرتو منه حتى يتضلع ويلق الله أجمله شفاه من كل داء وسقم وارزقني الاخلاص واليقين والمغافاة في الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم « ماء زمزم لما شرب له » (١) « أى يشفى ما قصده به .
(الجملة التاسعة في طواف الوداع)

مهما عن له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فلينجز أولا شغاله وليشدد رحاله وليجعل آخر شغاله وداع البيت ووداعه بأن يطوف به سبعا كسابق ولكن من غير رمل واضطباع فإذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم يأتي الملتزم ويدعو ويضرع ويقول اللهم إن البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك فإن كنت رضية عني فازدد عني رضا وإلا فمن الآن قبل تباعدى عن بيتك هذا أو أن انصرافى إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم أهبني المغافاة في بدنى والصحة في ديني وأحسن من قلبي وارزقني طاعتك أبدا ما بقيتني وأجمع لي خير الدنيا والآخرة إنك على كل شئ قدير اللهم لا تجعل هذا آخر عهدى ببيتك الحرام وإن جلسته آخر عهدى فهو ضئى عنه الجنة والأحب أن لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه .
(الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها)

قال صلى الله عليه وسلم « من زارني بعد وفاتي فساكنما زارني في حياتي » (٢) « وقال ﷺ « من وجد سعة ولم يغد إلى قد جفاني » (٣) « وقال صلى الله عليه وسلم « من جاءني زائرا لايهمه إلا زيارتي كان حقا على الله سبحانه أن يكون له شفيعا » (٤) « فمن قصد زيارة للمدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه كثيرا فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب وليقل قبل الدخول من بر الحرمة ولينظف ويلبس أنظف ثيابه فإذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملا رسول الله ﷺ رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلى بمجنب التبر ركعتين ويجعل عمود التبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يضر المسجد وليجتهد أن يصلى في المسجد

(١) حديث ماء زمزم لما شرب له . من حديث جابر بسند ضعيف ورواه قط و ك في المستدرک من حديث ابن عباس قال الحاكم صحيح الإسناد إن سلم من محمد بن حبيب الجارودي قال ابن القطان سلم منه فان الخطيب قال فيه كان صدوقا قال ابن القطان لكن الراوى عنه مجهول وهو محمد ابن هشام الروزى (٢) حديث من زارني بعد وفاتي فساكنما زارني في حياتي الطبراني والدارقطنى من حديث ابن عمر (٣) حديث من وجد سعة ولم يغد إلى قد جفاني ابن عدى والدارقطنى في غرائب مالك وابن حبان في الضعفاء والخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر من حج ولم يزرني قد جفاني وذكر ابن الجوزى في الموضوعات وروى ابن النجار في تاريخ المدينة من حديث أنس مامن أحدهم أمى له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر (٤) حديث من جاءني زائرا لايهمه إلا زيارتي كان حقا على الله أن يكون له شفيعا الطبراني من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن .

المباد إلى الزهد في الدنيا لأنهم يحتاجون إليها لنفسيهم ولغيرهم فسادهم فساد متعد وصلاحيهم صلاح متعد . قال سفيان ابن عيينة : أجهل الناس من ترك العمل بما يعلم وأعلم الناس من عمل بما يعلم وأفضل الناس أخشعهم لله تعالى وهذا قول صحيح يحكم بأن العالم إذا لم يعمل بعله فليس بعالم فلا يترك تشدقه واستطائه وحذائقه وقوته في المناظرة والمجادلة فانه جاهل وليس بعالم إلا أن يتوب الله عليه ببركة العلم فان العلم في الاسلام لا يضيع أهله ويرجى عود العالم ببركة العلم والعلم فريضة وفضيلة فالقريضة ما لا بد للانسان من معرفته ليتوهم بواجب حق الدين والفضيلة ما زاد على قدر حاجته مما يكسبه فضيلة في النفس مواظبة الكتاب والسنة وكل علم

الأول قبل أن يزاد فيه ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بأن يستدير القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على رأسه وليس من السنة أن يمس الجدار ولأن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا أمين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا حاشر السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا أكرم ولد آدم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك يا نبي الرحمة السلام عليك يا هادي الأمة السلام عليك يا قائد الفرج المحجلين السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله فضلا أفضل ما جرى نبي عن قومه ورسول عن أمته وصلى عليك كما ذكرك الله اذكروا وكما غفل عنك الغافلون وصلى عليك في الأولين والآخرين أفضلوا كل وأهل وأهل وأطيب وأطهر ماصلى على أحسن خلقه كما استغفرتك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبد مودود له وأمينه وصفه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت عدوك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين صلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرف وكرم وعظم وإن كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر رضي الله عنه عند منكب أبي بكر رضي الله عنه ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق رضي الله عنه ويقول السلام عليك يا وزير رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين مادام حيا والقائمين في أمته بعده بأمور الدين ثقبان في ذلك آثاره وتعملان بسنته لحزب كما قال الله خير ما جرى وزير بني عن دينه ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله عز وجل ولیمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ثم يقول اللهم إني قد قلت وقولك الحق ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوفى بهم ما وعدوا الله وأبرحوا - اللهم إنا قد صحت عنك وأطلعنا أمرك وقصدنا نبيك متشفعين به إليك في ذنوبنا وما نقتل ظهورنا من أوزارنا تائبين من ذلنا متغربين بخطايانا وتقصيرنا ثوب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلة عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان اللهم لا تجعل آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين ثم يأتي الروضة فيصل فيها ركعتين ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله ﷺ « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي » (١) ويدعو عند المنبر ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة (٢) ويستحب له

(١) حديث ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي متفق عليه من حديث أبي هريرة وعبد الله بن زيد (٢) حديث وضعه صلى الله عليه وسلم يده عند الخطبة على رمانة المنبر لم أقف له على أصل وذكر محمد بن الحسن بن زبالة في تاريخ المدينة أن طول رمانتي المنبر اللتين كان يمسكهما صلى الله عليه وسلم يديه الكريمتين إذا جلس شبرا وأصبعان .

لا يوافق الكتاب والسنة وما هو مستفاد منهما أو معين على فهمهما أو مستند إليهما كائنا ما كان فهو رذيلة وليس بفضيلة يزاد الإنسان به هوانا ورذيلة في الدنيا والآخرة فالعلم الذي هو فريضة لا يسع الإنسان جهله على ما حدثنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب قال أنا الحافظ أبو القاسم للشمس قال أنا الشيخ العالم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري قال أنا أبو محمد عبد الله ابن يوسف الأصفهاني قال أنا أبو سعيد بن الأعرابي قال حدثنا جعفر بن عامر السكري قال حدثنا الحسن بن عطية قال حدثنا أبو عاتكة عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

أن يأتي أحدا يوم الخميس ويؤزور قبور الشهداء فيصلى الفداة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ويصعد إلى المسجد لصلاة الظهر فلا يقوته فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤزور قبر عثمان رضي الله عنه وقبر الحسن بن علي رضي الله عنهما وفيه أيضا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضي الله عنهم ويصل في مسجد طائفة رضي الله عنها ويؤزور قبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر منية حمة رسول الله ﷺ فذلك كله بالبقيع ويستحب له أن يأتي مسجداً في كل مبيت ويصل فيه لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته حتى يأتي مسجداً قباه ويصل فيه كان له عند الله (١) ويأتي بئر أريس يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل فيها وهي عند المسجد فتوضأ منها وشرب من ماءها (٢) ويأتي مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا يأتي سائر المساجد وللشاهد ويقال إن جميع للشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعاً يعرفها أهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الآبار التي كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها ويشرب منها (٣) وهي سبع آبار طلبها لشفاء وتبركا به صلى الله عليه وسلم وإن أمكنه الإقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم

(١) حديث من خرج من بيته حتى يأتي مسجداً قباه ويصل فيه كان عند الله حمرة النساء وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف بإسناد صحيح (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل في بئر أريس لم أقف له على أصل وإنما ورد أنه دخل في بئر البصة وبئر غرس كما سيأتي عند ذكرها (٣) حديث الآبار التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويشرب منها وهي سبعة آبار . قلت وهي بئر أريس وبئر حمة وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقي أو العهن أو بئر جل . فحديث بئر أريس رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري في حديث فيه حتى دخل بئر أريس قال فجلست عند بابها وبابها من حديد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ الحديث . وحديث بئر حمة متفق عليه من حديث أنس قال كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة غملاً وكان أحب أمواله إليه بئر حمة وكانت مستقبلة للمسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب الحديث . وحديث بئر رومة رواه ت ن من حديث عثمان أنه قال أشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بهاء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة ويجعل دلوها مع دلاء المسلمين الحديث قال ت حديث حسن ، وفي رواية لها هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بائنه فابتعها ففعلتها لثني والفقير وابن السيل الحديث وقال حسن صحيح وروى البغوي والطبراني من حديث بشير الأسدي قال لما قدم المهاجرون للمدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القرية بعد الحديث . وحديث بئر غرس رواه ابن جابر في الثقات من حديث أنس أنه قال اتوني بهاء من بئر غرس فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ ولابن ماجه بإسناد جيد مرفوعاً إذا أنا مت فافعلوني يسبح قرب من بئر غرس وروينا في تاريخ المدينة لابن النجار بإسناد ضعيف مرسل أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منها وشرق فيها وفضل منها حين توفي . وحديث بئر بضاعة رواه أصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتوضأ من بئر بضاعة وفي رواية أنه يستقي لك من بئر بضاعة الحديث قال يحيى بن معين إسناده جيد وقال ت حسن والطبراني من حديث أبي أسيد يثق النبي صلى الله عليه وسلم في بئر بضاعة وروينا أيضاً في تاريخ ابن النجار من حديث سهل بن سعد وحديث بئر البصة

واختلف العلماء في العلم الذي هو فريضة قال بعضهم هو طلب علم الاخلاص ومعرفة آيات النفوس وما يفسد الأعمال لأن الاخلاص مأمور به كأن العمل مأمور به قال الله تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين - فالاخلاص مأمور به وخدم النص وغرورها ودساتها وشهواتها الخفية تحرب مباني الاخلاص للأمر به فصار علم ذلك فرضاً حيث كان الاخلاص فرضاً وما لا يصلح العبد إلى القرض إلا به صار فرضاً وهو بعضهم معرفة الحواطر وتخصيلها فريضة لأن الحواطر هي أصل القتل ومبدؤه ومنشؤه وبذلك يعلم الفرق بين لمة الملك ولة الشيطان فلا يصح القتل إلا بصحتها فصار علم ذلك فرضاً حتى يصح القتل من العبد لله . وقال بعضهم هو طلب علم الوقت . وقال سهل ابن عبد الله هو طلب

قال صلى الله عليه وسلم « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة » وقال صلى الله عليه وسلم « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة » ثم إذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة فليستحب أن يأتي القبر الشريف ويبعد دعاء الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة إليه ويسأل السلامة في سفره . ثم يسلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن زينت للقصور في المسجد فإذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولاً ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعل آخر العهد بنبينا وحط أوزاري بزيارته وأصحبني في سفرى السلامة وسر رجوعى إلى أهل ووطنى سالماً بأرحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتبع للساجد التي بين المدينة ومكة فيملى فيها وهي عشرون موضعا .

(فصل في سنن الرجوع من السفر)

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو حرة يكبر على رأس كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » وفي بعض الروايات « وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون » فينبى أن يستعمل هذه السنة في رجوعه وإذا أشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم أجل لنا بها قراراً ورزقا حسناً ثم يرسل إلى أهله من خبرهم بقدمه كي لا يقدم عليهم بئنة فذلك هو السنة (١) ولا يبنى أن يطرق أهله ليلاً فإذا دخل البلد فليقصد للمسجد أولاً وليصل ركعتين فهو السنة (٢) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا دخل بيته قال توباً توباً لربنا أو بآ لا يخالده علينا حواً فإذا استقر في منزله فلا

رواه ابن عدى من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء يوماً فقال هل عندكم من سدر أغسل به رأسى فان اليوم الجمعة قال نعم فأخرج لسدر وأخرج معه إلى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالته رأسه ومراق شعره في البصة وفيه محمد بن الحسن بن زبالة ضعيف وحديث بئر السقي رواه د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستحب له من بيوت السقي زاد الزوار في مسنده أو من بئر السقي ولأحمد من حديث على خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بالسقي التي كانت لسعد بن أبي وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوني بوضوء فلما توضأ قام الحديث . وأما بئر جمل ففي الصحيحين من حديث أبي الجهم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بئر جمل الحديث وصلح وعلقه وللشهور أن الأبار بالمدينة شعبة وقدروى الدارمي من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه صبوا على صبيح قرب من آبار شق الحديث وهو عند دخون قوله من آبار شق (١) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة تقدم في الباب قبله (٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث تقدم في الباب قبله (٣) حديث كان النبي ﷺ إذا قفل من غزو أو حج أو حرة يكبر على كل شرف من الأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر ومازاده في آخره في بعض الروايات من قوله وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون رواه المحاملى في الدعاء باستناد جيد (٤) حديث إرسال السافر إلى أهل بيته من خبرهم بقدمه كي لا يقدم عليهم بئنة لما جديف ذكر الإرسال وفي الصحيحين من حديث جابر كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال أمهوا حتى ندخل ليلاً أى عشاء كي نغسل الشحنة ونستحب للنية (٥) حديث صلاة ركعتين في المسجد عند القدوم من السفر تقدم في الصلاة .

علم الحلال بمعنى حكم حاله الذى بينه وبين الله تعالى في دنياه وآخرته وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال فريضة وقد ورد طلب الحلال فريضة بعد الفريضة فصار له فريضة من حيث إنه فريضة وقيل هو طلب علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا وهذا العلم هو الذى يكتب بالصحة ومجالسة الصالحين من العلماء الموقنين والزهاد القريبين الذين جعلهم الله تعالى من جنوده يسوق الطالبين إليهم ويقوهم بطريقهم ويرشد بهم فهم وذات علم النبي عليه السلام ومنهم يتعلم علم اليقين . وقال بعضهم هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق إذا أراد الدخول في شيء من ذلك يجب عليه طلب علمه وقال بعضهم هو أن يكون العبد يريد عملاً يعمل ما لله عليه في ذلك فلا يعجز له أن يحصل برأيه

ينبغي أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمة قبر نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى التفتة واللهو والحوض في العاصي لما ذلك علامة الحج البرور بل علامته أن يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت .

(الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة)

(بيان دقائق الآداب وهي عشرة)

الأول : أن تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله تعالى والقلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر الله تعالى وتكبيره وشعائره وقد روي في خبر من طريق أهل البيت « إذا كان آخر الزمان خرج الناس إلى الحج أربعة أصناف سلاطينهم للفرقة وأغنيائهم للتجارة وقراؤمهم للسعة وقراؤمهم للسعة (١) » وفي الخبر إشارة إلى جملة أغنياء الدنيا التي يتصور أن تصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لاسيما إذا كان متجردا بنفس الحج بأن يهيج فيه بأجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الوردون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده للقيام بمكة ولم يكن له ما يلغنه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين فعند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم بإسقاط الفرض عنه وفي مثله ينزل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل الله سبعانة بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة للوصى بها وللنفقة لها ومن حج بها عن أخيه (٢) » ولست أقول لأتخذ الأجرة أو يهرم ذلك بعد أن أسقط فرض الإسلام عن نفسه ولكن الأولى أن لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجرا فان الله عز وجل يعطى الدنيا بالدين ولا يعطى الدين بالدنيا وفي الخبر « مثل الذي يفرق في سبيل الله عز وجل ويأخذ أجرا مثل أم موسى عليه السلام ترضع ولدها وتأخذ أجرا (٣) » فمن كان مثله في أخذ الأجرة على الحج مثل أم موسى فلا بأس بأخذه فانه يأخذ ليشتمكن من الحج والزيارة فيه وليس يحج ليأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى لتيسر لها الأرضاع بتليس حالها عليهم . الثاني : أن لا يعاون أعداء الله سبحانه بتسليم للكسوف والصادون عن المسجد الحرام من أمراء مكة والأصهار للقرصدين في الطريق فان تسليم المال إليهم إغانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم فهو كالأغانة بالنفس فليبتلطف في حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله إن ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إغانة الظلمة فان هذه بدعة أحدثت وفي الاتقياء لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين يذل جزية ولا معنى لقول القائل إن ذلك يؤخذ مني وأنا مضطر فانه لو قدم في البيت أوجع من الطريق لم يؤخذ منه شيء بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته فلو كان في زى الفقراء لم يطالب فهو الذي ساقى نفسه إلى حالة الأسطرار . الثالث التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والاخلاق من غير تفكير ولا إسراف

(الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة)

(١) حديث إذا كان في آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للفرقة وأغنيائهم للتجارة وقراؤمهم للسؤال وقراؤمهم للخطيب من حديث أنس بإسناد مجهول وليس فيه ذكر السلاطين ورواه أبو عثمان الصابوني في كتاب اللامتين فقال نهج أغنياء أمم للفرقة وأوساطهم للتجارة وقراؤمهم للسعة وقراؤمهم للرياء والسعة (٢) حديث يدخل الله بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة للوصى بها وللنفقة لها ومن حج بها عن أخيه هق من حديث جابر بسند ضعيف (٣) حديث مثل الذي يفرق في سبيل الله عز وجل ويأخذ أجرا مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرا ابن عدي من حديث معاذ وقال مستقيم الإسناد منكر المتن .

إذ هو جاهل بما له وعليه في ذلك فيراجع علما يسأله عنه ليبيحه على بصيرة ولا يعمل برأيه وهذا علم يجب طلبه حيث جهل . وقال بعضهم طلب علم التوحيد فرض فمن قائل يقول طريقه النظر والاستدلال ومن قائل يقول إن طريقه النقل . وقال بعضهم إذا كان العبد على سلامة الباطن وحسن الاستسلام والالتحاق بالإسلام ولا يحبك في صدره شيء فهو سالم فان حاك في صدره شيء أو توسوس بشيء يقدح في العقيدة أو ابتلى بشبهة لا تؤمن غائلتها أن تجر إلى بدعة أو ضلالة فيجب عليه أن يستكشف عن الاشتباه ويراجع أهل العلم ومن يفهمه طريق الصواب . وقال الشيخ أبو طالب الكلي رحمه الله هو علم الفرائض الخمس التي بنى عليها الإسلام لأنها اقترنت على المسلمين

بل على الاقتصاد وأعلى بالاسراف التتم بأطيب الأطعمة والترفيه بشرب أنواعها على عادة الترفين فأما كثرة البذل فلاسرف فيه إذ لاخير في السرف ولاسرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله عز وجل والبرم بسبعائة درهم قال ابن عمر رضى الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده في - مره وكان يقول أفضل الحجاج أخلصهم نية وأزكام نفقة وأحسنهم يقينا وقال صلى الله عليه وسلم « الحج البرور ليس له جزاء إلا الجنة قبل له يارسول الله ما بر الحج ؟ قال طيب الكلام وإطعام الطعام » (١) الرابع : ترك الرفق والسوق والجidal كأنطق بالقرآن والرفق اسم جامع لكل لنو وخى وخفى من الكلام ويدخل فيه مفازلة النساء ومداعبتن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المظهور والداعى إلى المظهور محظور والسوق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل والجidal هو البالفة في الخصومة والمارة بما يورث الضغائن ويغرق في الحال المهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من رقت فسد حجه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحج والمارة تناقض طيب الكلام فلا ينبغي أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيره من أصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسايرين إلى بيت الله عز وجل ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كفى الأذى بل احتمال الأذى وقيل معنى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضى الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلا هل صحبته في السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق قال لا فقال ما أراك تعرفه . الخامس : أن يحج ماشيا إن قدر عليه فذلك الأفضل . أوصى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بنيه عند موته فقال يا بني حجوا ماشا فان للحجاج للشيء بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل وما حسنات الحرم ؟ قال الحسنة بمائة ألف والاستبابة في الشيء في الناسك والتردد من مكة إلى الموقف وإلى منى آكد منه في الطريق وإن أضاف إلى الشيء الاحرام من ديرة أهله فقد قيل إن ذلك من إتمام الحج قاله عمر وعلى وابن مسعود رضى الله عنهم في معنى قوله عز وجل - وأتموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلماء الركوب أفضل لما فيه من الاتقاء والمؤنة ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه وأقرب إلى سلامته وتعام حجه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للأول بل ينبغي أن يفصل ويقال من سهل عليه الشيء فهو أفضل فان كان يضعف ويؤدى به ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن عمل بالركوب له أفضل كما أن الصوم للمسافر أفضل وللمريض ما لم يفض إلى ضعف وسوء خلق . وسئل بعض العلماء عن العمرة أينى فيها أو يكرى حمارا بدرهم قاله إن كان وزن الدرهم أثقل عليه فالكراه أفضل من الشيء وإن كان الشيء أشد عليه كالأغنياء فالشيء له أفضل فساكنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الأفضل له أن يمشى ويصرف ذلك الدرهم إلى خير فهو أولى من صرفه إلى للكارى عوضا عن ابتدال الدابة فاذا كانت لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس وتقصان للسالك ذكروه غير بعيد فيه . السادس : أن لا يركب إلا زاملة أو الحمل فليجتنبه إلا إذا كان يخاف من الزاملة أن لا يتمسك عليها لمنه وفيه معنيان أحدهما التخفيف على البعير فان الحمل يؤذي والثاني اجتناب زى الترفين والتسكين « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رجل رث وقطيفة خلة قيمتها أربعة دراهم » (٢)

(١) حديث الحج للبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، قيل ما بر الحج ؟ قال طيب الكلام وإطعام الطعام أحمد من حديث جابر بإسناد لين ورواه الحاكم مختصرا وقال صحيح الاسناد (٢) حديث حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رجل رث وقطيفة خلة قيمتها أربعة دراهم الترمذى في الثمائل وابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف .

وإذا كان عملها فرضا صار علم العمل به فرضا وذكر أن علم التوحيد داخل في ذلك لأن أو طيب الشهادتان والاخلاص داخل في ذلك لأن ذلك من ضرورة الاسلام وعلم الاخلاص داخل في صحة الاسلام وحيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فريضة على كل مسلم يقتضى أن لا يسع مسلما جهله وكل ما تقدم من الأقاويل أحسنها ما يسع المسلم جهله لأنه قد لا يعلم علم الخواطر وعلم الحال وعلم الحلال بجميع وجوهه وعلم اليقين المستفاد من علماء الآخرة كما ترى وأكثر للسبلين على الجهل بهذه الأشياء ولو كانت هذه الأشياء فرضت عليهم لمعجز عنها أكثر الخلق إلا ما شاء الله وميل في هذه الأقاويل إلى قول الشيخ أبى طالب أكثر وإلى قول من قال يجب عليه علم البيع والشراء والنكاح

والطلاق إذا أراد
الدخول فيه وهذا
لمعنى فرض على المسلم
عليه وهذا الذى قاله
الشيخ أبو طالب
وعندى في ذلك حد
جامع لطلب العلم
للفرض والله أعلم .
فأقول : العلم الذى طلبه
فرضه على كل مسلم
علم الأمر والنهى
وللأمر ما يثاب على
فعله وما يقاب على تركه
والنهى ما يقاب على
فعله وما يثاب على تركه
وللأمرات والنهيات
منها ما هو مستمر لازم
للعبد بحكم الإسلام
ومنها ما يتوجه الأمر
فيه والنهى عنه عند
وجود الحادثة لها هو
لازم مستمر لزومه
متوجه بحكم الإسلام
عليه به واجب من
ضرورة الإسلام وما
يتجدد بالحوادث
ويتوجه الأمر والنهى
فيه فعليه عند تجدد
فرض لا يسع مسلماً
على الإطلاق أن يجهله
وهذا الحد أعم من
الوجوه التى سبقت
والله أعلم . ثم إن

وطاف على الراحة لينظر الناس إلى هديه وثمانه (١) وقال صلى الله عليه وسلم «خذوا عني مناسككم» (٢)
وقيل إن هذه الحامل أحدثها الحجاج وكان العلماء في وقته ينكرونها فروى سفيان الثوري عن أبيه أنه قال
برزت من الكوفة إلى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان قرأت الحاج كلهم على زواجل وجوالات
ورواجل وما رأيت في جميعهم إلا مهملين وكان ابن عمر إذا نظر إلى ما أحدث الحجاج من الرى والمحمل
يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة غمته جوالق فقال هذا نعم من الحجاج .
السابع أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر غير مستكبر من الرثة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر
فيكتب في ديوان للتكبرين للترقيين ويخرج عن حزب الضعفاء وللساكين وخصوص السالحين قد
أمر صلى الله عليه وسلم بالشمث والاختفاء (٣) ونهى عن التتم والرفاهية (٤) في حديث فضالة بن عبيد
وفي الحديث «إنما الحاج الشمث الثفت» (٥) ويقول الله تعالى انظروا إلى زوار يبي قد جاءوا في غشا
غبرا من كل فج عميق (٦) وقال تعالى - ثم ليقضوا نهمهم - والثفت الشمث والافتراء وقضاؤه بالخلق
وقص الشارب والأظفار وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أمراء الأجناد اخلو قلوبكم واخشو عيونكم
أى البسوا الخلقان واستعملوا الحشونة في الأشياء وقد قيل زين الحبيج أهل اليمن لأنهم على هيئة
التواضع والضعف وسيرة السلف فينبغي أن يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت
على العموم وقد روى أنه عليه السلام كان في سفر فزول أصحابه منزلاً فسرحت الأبل فنظر إلى أكية حمر
على الأتارب فقال صلى الله عليه وسلم أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم (٧) قالوا قمنا إليها ونزعناها
عن ظهورها حتى شرد بعض الأبل . الثامن أن يرفق بالذابة فلا يحملها مالا تطيق والحمل خارج عن
حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة عن قعود
وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم «لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى» (٨)
وبستحب أن ينزل عن دابة غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة (٩) وفيه آثار عن السلف .
وكان بعض السلف يكرهى بشرط أن لا ينزل ويوفى الأجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسناً
إلى الدابة فيكون في حسنة ويوضع في ميزانه لافي ميزان الكارى وكل من آذى بهيمة وحملها

(١) حديث طوافه صلى الله عليه وسلم على راحلته تقدم (٢) حديث خذوا عني مناسككم م ن واللفظ
له من حديث جابر (٣) حديث الأمر بالشمث والاختفاء البغوى والطبرانى من حديث عبد الله بن
أبي حنيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعددوا واخشو شئوا واتصلوا وامشوا خفاً وفيه
اختلاف ورواه ابن عدى من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف (٤) حديث فضالة بن عبيد في النهي
عن التتم والرفاهية وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن كثير من الإفراط والإفراط من
حديث معاذ بن مالك والتتم الحديث (٥) «إنما الحاج الشمث الثفت ت» من حديث ابن عمر وقال غريب
(٦) حديث يقول الله تعالى انظروا إلى زوار يبي قد جاءوا غشاً غبرا من كل فج عميق الحاكم
ومحله من حديث أبي هريرة دون قوله من كل فج عميق وكذا رواه أحمد من حديث عبد الله
ابن عمرو (٧) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فزول أصحابه منزلاً فسرحت الأبل فنظر
إلى أكية حمر على الأتارب فقال أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم الحديث د من حديث رافع
ابن خديج وفيه رجل لم يسم (٨) حديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى أحمد من حديث سهل
ابن معاذ بسند ضعيف ورواه الحاكم ومعه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه (٩) حديث النزول
عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك الطبرانى في الأوسط من حديث أنس بإسناد جيد أن النبي صلى
الله عليه وسلم كان إذا صلى الفجر في السفر مشى ورواه البيهقي في الأدب وقال مشى قليلاً وناقته تنقاد.

مالاتطبق طوبى به يوم القيامة . قال أبو النضر . ليعبر له عند الموت بإتيها البعير لا تخافنى إلى ربك فان لم أكن أحملك فوق طائفتك وعلى الجملة في كل كبد حرى أجر فلباع حق العادة وحق السكاري جميعا وفي زوله ساعة تزويج العادة وسرور قلب السكاري . قال رجل لابن المبارك أحملنى هذا الكتاب معك لتوصله فقال حق أستأمر الجمال فان قد اكثرت فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع فانه إذا فتح باب التلبيل انجر إلى الكبر يسيرا يسيرا . التاسع أن يتقرب بإراقة دم وإن لم يكن واجبا عليه ويحسد أن يكون من محبي النعم ونبيه وليا كل منه إن كان تطوعا ولا يأكل منه إن كان واجبا قيل في تفسير قوله تعالى - ذلك ومن يظلم شعائر الله - إنه تحمينه وتسمينه وسوق الهدى من اللبقات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكده . ولترك المكاس في شرايه قد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدى والأضحية والرقبة فان أفضل ذلك أغلادهم وأتقى الله عند أهله وروى ابن عمر « أن عمر رضى الله عنهما أهدى نجية فطلبت منه بثلاثة دنانير فسأل رسول الله ﷺ أن يبيعهما ويشتري بثمنها بدنا فنهأ عن ذلك وقال بل أهدها (١) » وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلثائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكبير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم إنما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بحمال التعظيم فله عز وجل قلن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد أو قل « وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال العج والتج (٢) » والتج هو رفع الصوت بالتلبية والتج هو نحر البدن وروت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما عمل آدمى يوم النحر أحب إلى الله عز وجل من إهراقه دما وإنها لثاني يوم القيامة بقرونها وأظلافها وإن الدم يقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع بالأرض فطيبوا بها نفسا (٣) » وفي الخبر « لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وإنها لتوضع في اليزان فأبشروا (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « استجدوا هداياكم فانها مطاياكم يوم القيامة » [١] . العاشر أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدى وبما أصابه من خسران ومصيبة في مال أو بدن إن أصابه ذلك فان ذلك من دلائل قبول حجه فان الصية في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعائة درهم وهو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه ثواب

(١) حديث ابن عمر أن عمر أهدى نجية فطلبت منه بثلاثائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهما ويشتري بثمنها بدنا فنهأ عن ذلك وقال بل أهدها أخرجه دوقال انحرها (٢) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال العج والتج وت واستغفره وه وك وصححه واليزار واللفظ له من حديث أبي بكر وقال الباقر لى أى الحج أفضل (٣) حديث عائشة ما عمل ابن آدم يوم النحر أحب إلى الله من إهراقه دما الحديث وحسنه ابن ماجه وضعفه ابن حبان وقال بخ إنه مرسل ووصله ابن خزيمة (٤) حديث لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وإنها لتوضع في اليزان فأبشروا ك وصححه البيهقي من حديث زيد بن أرقم في حديث فيه بكل شعرة حسنة قالوا فالصوف قال بكل شعرة من الصوف حسنة وفي رواية للبيهقي بكل قطرة حسنة قال بخ لا يصح وروى أبو الشيخ في كتاب الضحايا من حديث علي أما إنها يجاء بها يوم القيامة بلحومها ودمائها حتى توضع في ميزانك يقولها لقاطمة .

[١] (قوله استجدوا الحج) هذا الحديث لم يخرج العراقي وهو ليس في نسخة الشرح فلمله لم يكن في نسخة .

الشيخ من الصوفية وعلماء الآخرة الزاهدون في الدنيا شمروا عن ساق الجدة في طلب العلم للفتراض حتى عرفوه وأقاموا الأمور التي وخرجوا من عهد ذلك بحسن توفيق الله تعالى فلما استقاموا في ذلك متابعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أمره الله تعالى بالاستقامة فقال تعالى - فاستقم كما أمرت ومن تاب معك - فتح الله عليهم أبواب العلوم التي سبق ذكرها . قال بعضهم من يطيق مثل هذه المحاطبة بالاستقامة إلا من أيد من الشهادات القوية والأنوار البينة والآثار الصادقة بالثبوت يرهان عظيم كما قال تعالى - ولولا أن ثبتناك - ثم حفظ في وقت الشهادة ومشافهة الخطاب وهو للزين بمقام القرب والمخاطب على بساط الأنس محمد صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك خوطب بقوله - فاستقم

ولا يضيع منه شيء عند الله عز وجل ويقال إن من علامة قبول الحج أيضا ترك ما كان عليه من العاصي وأن يتبدل باخوانه البطالين إخوانا صالحين ويجالس الامم والفقلة مجالس الله كروا القطة .
(بيان الأعمال الباطنة ووجه الاخلاص في التبة وطريق الاهتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الانتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره)

اعلم أن أول الحج الفهم أعني فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق إليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق للعامة منه ثم شراء ثوب الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحة ثم الخروج ثم المسير في البادية ثم الاحرام من الميقات بالثلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الأفعال كسابق وفي كل واحد من هذه الأمور تذكيرة للتذكير وعبارة للمعتبر وتنبية للمريد الصادق وتعريف وإشارة للفظن فلنرمز إلى مفاتيحها حتى إذا افتتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه . أما الفهم : فاعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالنزعة عن الشهوات والكشف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولأجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانعازوا إلى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله عز وجل فتركوا الله عز وجل اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة وأثنى الله عز وجل عليهم في كتابه فقال - ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون - فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرّد لعبادة الله عز وجل وقرءوا عنه بعث الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ لإحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياسة في دينه فقال صلى الله عليه وسلم : « أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف (١) » يعني الحج « وسئل صلى الله عليه وسلم عن السامعين فقال هم السامعون (٢) » فأنعم الله عز وجل على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم فصرف البيت العتيق بالإضافة إلى نفسه تعالى ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حوله حرما لبيته فخصها بالأمره وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضع على مثال حضرة الملوك يقصده الرواد من كل فج عميق ومن كل أوب مسحق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتعظيمه من أن يشربه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ في رفقهم وعبوديتهم وأنهم في إذعائهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تمهدى إلى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار والترديد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية فإن الزكاة إرفاق ووجه مفهوم وللعقل إليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكشف عن الشهوات والغل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هي هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل فأما ترددات السعي

(١) حديث سثن عن الرهبانية والسياسة فقال بدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف أبوداود ومن حديث أبي أمامة أن رجلا قال يا رسول الله ائذن لي في السياحة فقال إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله رواه الطبراني بإسناد إن لكل أمة سياحة وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتي الرباط في نحر العدو واليهيقي في الشعب من حديث أنس رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله وكلاهما ضعيف والترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله إني أريد أن أسافر فأوصني قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف (٢) حديث سئل عن السامعين فقال هم السامعون البهيقي في الشعب من حديث أبي هريرة وقال المنهوي عن عبيد بن عمير عن عمر مرسلا .

كما أمرت - ولولا هذه القامات ما أطاق الاستقامة التي أمر بها . قيل لأبي حمزة أي الأعمال أفضل قال الاستقامة لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول « استقيموا ولن تحصوا » وقال جعفر الصادق في قوله تعالى - فاستقم كما أمرت - أي اقتصر إلى الله بصحة العزم ورأي بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام . قال قلت يا رسول الله روى عنك أنك قلت شيئا سورة هود وأخواتها فقال نعم قال قلت له ما الذي شيك منها قصص الأنبياء وهلاك الأمم فقال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت فكما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد مقدمات الشهادات خوطب بهذا الخطاب وطولب بمحافل الاستقامة فكذلك علماء الآخرة الزاهدون ومشايخ الصوفية للقرىون منحهم الله تعالى من

وروي الجار وأمثال هذه الأعمال فلاحظ للنفس ولا أنس للطبع فيها ولا اعتناء للعقل إلى معانيها فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محلأنه فان كل ما أدرك العقل سناه مال الطبع إليه ميلا ما فيكون ذلك الليل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والاقبياد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص « ليلك بحجة حقا تبدا ورقا (١) » ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاه الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على سنن الاقبياد وعلى مقتضى الاستعداد وكان ما لا يبتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التبعيدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق وإذا فطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الجهول عن أسرار التعبدات وهذا التدركاف في تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى . وأما الشوق : فالتما ينبعث بعداتهم والتحقق بأن البيت بيت الله عز وجل وأنه وضع على مثال حضرة الملوك قاصده قاصدا إلى الله عز وجل وزائره وأن من قصد البيت في الدنيا جدير بأن لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيادة في ميعاده للضروبه وهو النظر إلى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث إن العين القاصرة القانية في دار الدنيا لا تنبأ لقبول نور النظر إلى وجه الله عز وجل ولا تطيق احتياله ولا تستمد للاكتحال به بقصورها وأنها إن أمدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استمدت للنظر والإبصار ولكنها قصد البيت والنظر إليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة هذا مع أن الحب مشتاق إلى كل ماله إلى محبوه إضافة والبيت مضاف إلى الله عز وجل فبالحرى أن يشتاق إليه لمجرد هذه الإضافة فضلا عن الطلب لئيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل . وأما العزم : فليعلم أنه بعزمه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات والذلات متوجها إلى زيارة بيت الله عز وجل وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره وأن من طلب عظيما خاطره يعظم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسمة ولتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص وأن من ألحس الفواحش أن يقصد بيت الله وحرمة والقصد غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه بإخلاصه واجتناب كل ما فيه رياء وصحة فليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير . وأما قطع العلائق : فمعناه رد للظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة العاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلايه ينادى عليه ويقول له إلى أين تتوجه أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في منزلك هذا ومستهين به ومهمله أو لا تستحي أن تقدم عليه قدوم العبد العاصي فبرذلك ولا يقبلك فان كنت راغبا في قبول زيارتك فخذ أوامره ورد للظالم وتب إليه أولا من جميع العاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك لتكون متوجها إليه بوجه قلبك كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهره فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفره أولا إلا النصب والشقاء وآخرا إلا العرط والرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدّر أن لا يعود إليه وليكتب وصيته لأولاده وأهله فان للسافر وماله لعل خطر إلا من وفى الله سبحانه ولينذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما يتقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو للسفر

(١) حديث ليلك بحجة حقا تبدا ورقا تقدم في الزكاة .

ذلك بقسط ونصيب ثم
أهمهم طلب التهوؤ
بواجب حق الاستقامة
ورأوا الاستقامة
أفضل مطلوب وأشرف
مأمور .
قال أبو علي الجورجاني
كن طالب الاستقامة
لا طالب الكرامة فان
نفسك متحركة في طلب
الكرامة وربك يطلب
منك الاستقامة وهذا
الذي ذكره أصل كبير
في الباب وسر غفل
عن حقيقة كثير من
أهل السلوك والطلب
وذلك أن المجتهدين
والتعبدين صموا بسير
الصالحين للتقدمين
وما منحوا به من
الكرامات وخوارق
العادات فأبدا فوسهم
لا تزال تنطلع إلى شيء
من ذلك ويعجبون أن
يرزقوا شيئا من ذلك
ولعل أحدهم يتي
منكسر القلب منهما
لنفسه في حمة عمله حيث
لم يكشف بشيء من
ذلك ولو عدوا سر
ذلك لكان عليهم
الأمر فيه فيعلم أن الله
سبحانه وتعالى قد

يفتح على بعض
المجاهدين الصادقين من
ذلك بها والحكمة
فيه أن يزاد بمباري
من خوارق العادات
وآثار القدرة يقينا
فيقوى عزمه على
الزهد في الدنيا
والخروج من دواعي
الموى وقد يكون
بعض عباده يكلف
بصرف اليقين ويرفع
عن قلبه الحجاب
ومن كوشف بصرف
اليقين اعتنى بذلك
عن رؤية خوارق
العادات لأن الراد منها
كان حصول اليقين
وقد حصل اليقين فلو
كوشف هذا للرؤى
صرف اليقين جبه
من ذلك ما لزداد يقينا
فلا تفتنى الحكمة
كشف القدرة
بخوارق العادات
لهذا للوضع لاستغناء
وتفتنى الحكمة
كشف ذلك للآخر
لموضع حاجته فكان
هذا الثاني يكون أهم
استعدادا وأهلية من
الأول حيث رزق
حاصل ذلك وهو

والله الصبر فلا ينبغي أن يفشل عن ذلك السفر عند الاستعداد بهذا السفر . وأما الزاد : فيطلبه من
وضع حلال وإذا أحسن من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير
ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر وأن زاده التقوى وأن ماعداء
بما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند اللوث ويهوته فلا يبقى منه كالطعام الرطب الذي يفسد في أول
منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متغيرا محتاجا لاحية له فليحذر أن تكون أحواله التي هي زاده إلى
الآخرة لا تصحبه بعد اللوث بل يفسدها شوائب الرأى وكدورات التصير . وأما الراحة : إذا
أضرها فليشكر الله بقلبه على تسخير الله عز وجل له السواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه
الشقة وليتذكر عنده للركب الذي يركبه إلى دار الآخرة وهي الجنابة التي يحمل عليها لأن أمر الحج
من وجه يوازي أمر السفر إلى الآخرة فيلنظر يصلح سفره على هذا للركب لأن يكون زاده لذلك
السفر على ذلك للركب فما أقرب ذلك منه وما يدرى لعل اللوث قريب ويكون ركوبه للجنابة قبل
ركوبه للجمل وركوب الجنابة مقطوع به ويفسر أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاج في
أسباب السفر للتشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحته ويهمل أمر السفر لليقين . وأما شراء
توبى الإحرام : فليذكر عنده الكفن وله فيه فانه سير يمدى ويتوزن توبى الإحرام عند القرب
من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره إليه وأنه سيلقى الله عز وجل ملفوفا في ثياب الكفن
لا محالة فسكنا لا يلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفا عادته في الرأى والهيئة فلا يلقى الله عز وجل بعد
اللوث إلا في زى مخالف لرى الدنيا وهذا التوب قريب من ذلك التوب إذ ليس فيه محيط كافي الكفن .
وأما الخروج من البلد : فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجها إلى الله عز وجل في سفر
لا ضاهى أسفار الدنيا فليحضر في قلبه أنه ماذا يريد وأين يتوجه وزياره من قصد وأنه متوجه إلى ملك
للوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فأجابوا وشوقوا واشتاقوا واستمضوا قهضوا وقطعوا الملائق
وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذي فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره تسليا بقاء البيت
عن لقاء رب البيت إلى أن يرزقوا منتهى منام ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول
والقبول لا إدبلا بأعماله في الارتحال ومفارقة الأهل والمال ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء
لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج أنه إن لم يصل إليه وأدركته النية في الطريق فلى الله عز وجل
وافدا إليه إذ قال جل جلاله - ومن خرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع
أجره على الله - . وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك القبات : فليذكر فيها ما بين الخروج
من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع
الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيات
ومن اقترافه عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكرهته ووحده ولكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله
منزودا لمخاوف القبر . وأما الإحرام والتلبية من الميقات : فليعلم أن مناه إجابة نداء الله عز وجل
فارج أن تكون مقبولا واخش أن يقال لك لا إليك ولا سعيدك فسكن بين الرجاء والخوف مترددا
وعن حولك وقونك متبرقا وعلى فضل الله عز وجل وكره منكلا لأن وقت التلبية هو بداية الأمر وهي
عمل الخطر قال سليمان بن عيينة حج على بن الحسين رضى الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته
أصفر لونه وانفضت وقفت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبى فليل له لم لا تلبى فقال أخشى أن يقال لي
لا إليك ولا سعيدك فلما لبى غشى عليه ووقع عن راحلته فلم يزل يتره ذلك حتى قضى حجه . وقال أحمد
ابن أبي الحواري كنت مع أبي سليمان الداراني رضى الله عنه حين أراد الإحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا

فأخذته العشي ثم أفاق وقال يا أحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام مرظلة بنى إسرائيل أن يقولوا من ذكرى فاني أذكر من ذكرى منهم باللمة ويحك يا أحمد بلقي أن من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل لا ليك ولا سمديك حتى ترد ما في يديك فما تأمن أن يقال لنا ذلك ولينذكر الملبى عند رفع الصوت بالتلبية في الليقات إجابته لنداء الله عز وجل إذ قال وأذن في الناس بالحج ونداء الحلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه منقسمين إلى مغربين ومقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الليقات حيث لا يدرون آتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا . وأما دخول مكة : فليذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم الله تعالى آمناً وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عز وجل وليخش أن لا يكون أهلاً للقرب فيكون بدخوله الحرم خائباً ومستحقاً للمقت وليكن رجاءه في جميع الأوقات غالباً بالكرم عظيم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعى وقام السجبر اللائذ غير مضيق . وأما وقوع البصر على البيت : فينبغي أن يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه إياه وارج أن يرزقك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تليينه إليك هذه الرتبة وإحاطة إليك بزمرة الوافدين عليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم إلى مأفونين في الدخول ومصرفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما تراه فان كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة . وأما الطواف بالبيت فاعلم أنه صلاة فأحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلاة . اعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة القريين الحائزين حول العرش الطائفين حوله ولا تظن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا يبتدىء الفكر إلا منه ولا تخم إلا به كابتدىء الطواف من البيت وتغم بالبيت . واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بخضرة الربوبية وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي عالم الملكوت كما أن البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وأن عالم الملك والشهادة مدركة إلى عالم الغيب ولللكوت لمن فتح الله الباب وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت للعمود في السموات بازاء الكعبة فان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم^(١) والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض الكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى . وأما الاستلام : فاعتقد عنده أنك مبايع لله عز وجل على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء بيمينتك فمن غدر في البيعة استحق المقت وقد روى ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : الحجر الأسود بين الله عز وجل في الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه^(٢) . وأما التعلق بأستار الكعبة والاتصاف بالتمتع : فتسكن نيتك في الالتزام بطلب القرب حياً وشوقاً للبيت ولرب البيت وتبركاً بالمحبة ورجاءاً للتخلص عن النار في كل جزء من بدنك لاني البيت ولتسكن نيتك في التعلق بالستر الإلحاح في طلب للفرقة وسؤال الأمان كالمذهب المتعلق بثياب من أذنبت إليه المتضرع إليه في عضوه عنه المظهر أنه لا ملجأ له منه إلا

(١) حديث من تشبه بقوم فهو منهم أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح (٢) حديث ابن عباس الحجر بين الله في الأرض يصافح بها خلقه الحديث تقدم في العلم من حديث عبد الله بن عمرو .

سرف اليقين بنسب
واسطة من رؤية
قدرة فان فيه آفة
وهو العجب فأغنى
عن رؤية شيء من
ذلك سبيل الصادق
مطالبة النفس
بالاستقامة في كل
الكرامة ثم إذا وقع في
طريقه شيء من ذلك
جاز وحسن وإن لم يقع
فلا يزال ولا ينقص
بذلك وإنما ينقص
بالإخلال بواجب حق
الاستقامة فليعلم هذا
لأنه أصل كبير للطالبيين
فالطباء الزاهدون
ومشايخ الصوفية
والمقربون حيث
أكرموا بالقيام بواجب
حق الاستقامة رزقوا
سائر العلوم التي أشار
إليها للتقدمون كما
ذكرنا وزعموا أنها
فرض فمن ذلك علم
الحال وعلم القيام وعلم
الحواطر وسنشرح علم
الحواطر وتفصيلها في
باب إن شاء الله تعالى
وعلم اليقين وعلم
الإخلاص وعلم النفس
ومعرفتها ومعرفة
أخلاقتها وعلم النفس

ولم يفرغ له إلا كرمه وعفوه وأنه لا يفارق ذيله إلا بالغو وبذل الأمن في المستقبل . وأما السعي
بين الصفا والروة في فناء البيت : فإنه يضاهي تردد المبد فناء دار الملك جاثيا وذاهبا مرة بعد أخرى
إظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري
ما الذي يقضى به للملك في حقه من قبول أو رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن
يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى ولينذكر عند ترده بين الصفا والروة ترده بين كفتي لليزان
في عرسات القيامة وليحل الصفا بكفة الحسنات والروة بكفة السيئات ولينذكر ترده بين الكفتين
ناظرا إلى الرجحان والتقصان متريدا بين العذاب والفران . وأما الوقوف برفة : فلا ذكر بما ترى
من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات واتباع القرق أئمتهم في الترددات على الشاعر
اقتفاء لهم وسرا يسرهم عرسات القيامة واجتماع الأم مع الأنبياء والأئمة واقتفاء كل أمة نبيا وطعمهم
في شفاعتهم وتخيرهم في ذلك الصيغ الواحد بين الرد والقبول وإفا تذكر ذلك فألزم قلبك الضراعة
والإبتال إلى الله عز وجل فتخسر في زمرة الفائزين المرحومين وحق رجائك بالإجابة فالوقوف شريف
والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العززة من أوتاد الأرض ولا
يفك للوقوف عن طبقة من الأبدال والأوتاد وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب طالما اجتمعت همهم
وتجردت للضراعة والإبتال قلوبهم وارتفعت إلى اقتسبحات أيديهم وامتدت إليه أعناقهم وعشقت
نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظن أنه يغيب أملهم ويضيع سعيهم
ويدخر عنهم رحمة تفرمهم ولذلك قيل إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى
لم يفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هوس
الحج وغاية مقصوده فلا طريق إلى استدرا رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في
وقت واحد على صيد واحد . وأما رمي الجمار : فاقصد به الاتقياد للأمر بإظهار اللق والبودية واتهاضا
لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ثم اقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له
إبليس لئله الله تعالى في ذلك للوضع ليدخل على حبه شبهة أو يفتنه بمصيبة فأمره الله عز وجل
أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمه فان خطر لك أن الشيطان عرض له فشاهده فذلك رماه وأما
أنا فليس يمرض لي الشيطان فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذي ألقاه في قلبك ليفترع زمك
في الرمي ويغيل إليك أنه فعل لا فائدة فيه وأنه يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد
والتشهير في الرمي فيه برغم أنف الشيطان . واعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى إلى العقبة وفي الحقيقة
ترمي به وجه الشيطان وتقصم بظهره إذ لا يحصل إرغام الله إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما
له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه . وأما ذبح الهدى : فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم
الامتثال فأكل الهدى وأرج أن يعتق الله بكل جزء منه جزءا منك من النار (١) فهكذا ورد الوعد
فكلما كان الهدى أكبر وأجزاءه أوفر كان فداؤك من النار أعم . وأما زيارة المدينة : فإذا وقع بصرك
على حيطانها فتذكر أنها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل إليها هجرته
وأنها داره التي شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسنة وجاهد عدوه وأظهر بها دينه إلى أن توفاه الله
عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة القائمين بالحق بعده رضى الله عنهما ثم مثل في نفسك مواقع

(١) حديث أنه يتق بكل جزء من الأصحية جزءا من المضى من النار لم أقف له على أصل وفي كتاب
الضحيا لأبي الشيخ من حديث أبي سعيد فان لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يفر لك ما تقدم
من ذنوبك بقوله لفاطمة وإسناده ضعيف .

أقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تردداته فيها وأنه مامن موضع قدم تطؤه إلا وهو موضع أقدامه العزيزة فلا تضع قدمك عليه إلا عن سكينته ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه وسكينته في الكى وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى حق قرنه بذكر نفسه وإحباطه عمل من هناك حرمة ولو برفع صوته فوق صوته مذكور مامن الله تعالى به على الذين أدركوا محبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه وأعظم تأملك على ما فأتاك من محبته ومحبة أصحابه رضي الله عنهم ثم اذكر أنك قد فأتاك رؤيته في الدنيا وأنت من رؤيته في الآخرة على خطر وأنت ربما لآراءه إلا بصيرة وقد حيل بينك وبينه بقوله إياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وسلم « يرفع الله إلى أقوام فيقولون يا محمد يا محمد فأقول يارب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول بما ودسحوا^(١) » فان تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعد ذلك عن محبته ولعظم مع ذلك رجاءك أن لا يحول الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا بل لحض حبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ صحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فأتاك رؤيته لما أجدرك بأن ينظر الله تعالى إليك بين الرحمة فإذا بلغت للسجد فاذا ذكر أنها العرصة التي اختارها الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأول المسلمين وأفضلهم عصابة وأن فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت في تلك العرصة وأنها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا فليعظم أملك في الله سبحانه أن يرحمك بدخولك إياه فادخله خاشعا معظما وما أجدر هذا للكان بأن يستدعى الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكى عن أبي سليمان أنه قال حج أويس القرني رضي الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قبل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ففتى عليه فلما أفاق قال أخرجوني فليس يلقى بلد فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدفون . وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم : فينبغي أن تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة في أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ما تلابس يديه فكذلك فاضل فان للسبب والتقييل للمشاهد عادة النصارى واليهود . واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وأنه يلقنه سلامك وصلاتك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في الوجدان بآرائك وأحضر عظيم رتبته في قلبك قد روى عنه صلى الله عليه وسلم « أن الله تعالى وكل قبره ملكا يلقنه سلام من سلم عليه من أمته^(٢) » هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا إلى لقائه ولاكتفى بمشاهدة مشهد الكريم إذ فاته مشاهدة غرته الكريم وقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا^(٣) » فهذا جزاؤه في الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته يديه ثم أتم منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبي صلى الله عليه وسلم التبر ومثل في قلبك طلعت الربة كأنها على التبر وقد أهدق به المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم يحتم على طاعة الله عز وجل بخطبته وسل الله عز وجل أن لا يفرق

(١) حديث يرفع الله إلى أقوام فيقولون يا محمد يا محمد فأقول يارب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول بما ودسحوا متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما دون قوله يا محمد يا محمد

(٢) حديث إن الله وكل قبره صلى الله عليه وسلم ملكا يلقنه سلام من سلم عليه من أمته ن ح ك

(٣) حديث ابن مسعود بلفظ إن الله ملائكة سياحين في الأرض يلقونني عن أمي السلام (٣) حديث من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا م من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو .

مقام الرضا وعلم الزهد
وتحديده بما يلزم من
شروطه وملا يتدح
في حقيقته ومعرفة
الزهد في الزهد ومعرفة
زهد ثالث بعد الزهد
في الزهد وعلم الانابة
والالتجاء ومعرفة
أوقات الدعاء ومعرفة
وقت السكوت عن
الدعاء وعلم المحبة
والفرق بين المحبة
العامة القسرة بامثال
الأمر والمحبة الخاصة
وقد أنكر طائفة من
علماء الدنيا دعوى
علماء الآخرة المحبة
الخاصة كأنكروا الرضا
وقالوا ليس إلا الصبر
وانقسام المحبة الخاصة
إلى محبة الذات وإلى
محبة الصفات والفرق
بين محبة القلب ومحبة
الروح ومحبة العقل
ومحبة النفس والفرق
بين مقام المحب والمحبوب
والمريد والراد ثم علوم
الشهادات كعلم المحبة
والأنس والقبض
والبسط والفرق بين
القبض والمهم والبسط
والنشاط وعلم الفناء
والبقاء وتفاوت أحوال

في القيامة بينك وبينه فهذه وظيفة القلب في أعمال الحج فإذا فرغ منها كلها فينبغي أن يلوم قلبه الحزن والهم والخوف وأنه ليس يدرى أقبل منه حبه وأثبت في زمرة المحبوبين أم رد حبه وألحق بالمطرودين ولشرف ذلك من قلبه وأعماله فإن صادف قلبه قد ازداد نجافيا عن دار النور وانصرفا إلى دار الأنس بالله تعالى ووجد أعماله قد انزمت بميزان الصريح فليثق بالقبول فإن الله تعالى لا يقبل إلا من أحبه ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار هبته وكف عنه سطوة عدوه إبليس لئله الله فإذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وإن كان الأمر بخلافه فيروعك أن يكون حظه من بفره الصفاء والتعب فوذا بالله سبحانه وتعالى من ذلك .

ثم كتاب أسرار الحج يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آداب تلاوة القرآن .

(كتاب آداب تلاوة القرآن)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه للرسول صلى الله عليه وسلم وكتابه للترسل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - حق اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فيه من الأحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من الضرر وفيه شفاء لما في الصدور من خالفه من الجارية قصمه الله ومن ابتغى العلم غير ما ضله الله هو جبل الله التين ونوره البين والبروة الوثقى وللمتعمم الأوفى وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لا تنقض هجائه ولا تنهاى غرابه لا يحيط بغوايته عند أهل العلم تحديد ولا يخلق عند أهل التلاوة كثرة التردد هو الذي أرشد الأولين والآخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا أن تولوا إلى قومهم منذرين - قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشاد فأمنابه ولن نشرك ربنا أحدا - فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدى ومن عمل به فقد فاز وقال تعالى - إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون - ومن أسباب حفظ في القلوب وللصاحب استدامة تلاوته والوظيفة على دراسته مع القيام بأدائه وشروطه والحفاظ على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وتكشف مقاصده في أربعة أبواب . الباب الأول : في فضل القرآن وأهله . الباب الثاني : في آداب التلاوة في الظاهر . الباب الثالث : في الأعمال الباطنة عند التلاوة . الباب الرابع : في فهم القرآن وتفسيره بالرأى وغيره .

(الباب الأول في فضل القرآن وأهله وذم القصرين في تلاوته)

(فضيلة القرآن)

قال **عليه السلام** « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله تعالى » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « ما من شفيح أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن لاني ولا ملك ولا غيره » (٢)

(كتاب آداب تلاوة القرآن)

(الباب الأول في فضل القرآن وأهله)

(١) من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله طيب من حديث عبد الله بن عمرو بن عبد المطلب (٢) حديث مومن شفيح أعظم منزلة عند الله من القرآن لاني ولا ملك ولا غيره رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسل وللطبراني من حديث ابن مسعود القرآن عافع مشفع ولمسلم من حديث أبي أمامة أقرءوا القرآن فإنه يحيى يوم القيامة شيئا لصاحبه .

القضاء والاستقرار والتجلى والجمع والفرق والوابع والطوالع والبوادي والصحو والسكر إلى غير ذلك لو اتسع الوقت ذكرناها وشرحناها في مجلدات ولكن الممر قصير والوقت عزيز ولولا سم النعمة لصاق الوقت عن هذا القدر أيضا وهذا المختصر للؤلؤ يحتوي من علوم القوم على طرف صالح نرجو من الله الكريم أن ينفع به ويعمله حجة لنا لا حجة علينا وهذه كلها علوم من ورثها علوم عمل بمقتضاها وظفر بها علماء الآخرة الزاهدون وحزم ذلك علماء الدنيا الراغبون وهي علوم ذوقية لا يكاد النظر يصل إليها إلا بدق ووجدان كالعلم بكيفية حلالة السكر لا يحصل بالوصف لمن ذاقه عرفه وينبئك عن شرف علم الصوفية وزهاد العلماء أن العلوم كلها لا يتعذر تحصيلها مع محبة الدنيا والاحتلال

وقال صلى الله عليه وسلم « لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل عبادة أمي تلاوة القرآن »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لأسنة تنطق بهذا »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك أسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل ورجل أم به قوما وهم به راضون »^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم « أهل القرآن أهل الله وخاصته »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يا رسول الله وما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت »^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم « لله أشد أذنا إلى قاريء القرآن من صاحب القينة إلى قينته »^(٩) الآثار : قال أبو أمامة الباهلي أقرءوا القرآن ولا تفرقوا هذه للصالح الملقاة فإن الله لا يمتدح قلبا هو وعاء للقرآن . وقال ابن مسعود إذا أردتم العلم فاتروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين وقال أيضا أقرءوا القرآن فانكم تؤجرون عليه بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول الحرف الم ولكن الألف حرف واللام حرف واليم حرف وقال أيضا : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن ويسجده فهو يحب الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال عمرو بن العاص كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في يونسك وقال أيضا من قرأ القرآن أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه وقال أبو هريرة إن البيت الذي يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال أحمد بن حنبل رأيت الله عز وجل في المنام قلت يارب ما أفضل ما تقرّب به للقرآن بون إليك قال بكلامي يا أحمد قال قلت يارب بفهم أو بفهمهم قال بفهمهم وبغير فهمهم وقال محمد بن كعب القرظي إذا سمع

(١) حديث لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار الطبراني وابن حبان في الضعفاء من حديث سهل ابن سعد ولأحمد والدارمي والطبراني من حديث عتبة بن عامر وفيه ابن لهيعة ورواه ابن عدي والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عصمة بن مالك بإسناد ضعيف (٢) حديث أفضل عبادة أمي تلاوة القرآن أبو نعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس وإسنادها ضعيف (٣) حديث إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام الحديث الدارمي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث خيركم من تعلم القرآن وعلمه خ من حديث عثمان ابن عفان (٥) حديث يقول الله من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته ثواب الشاكرين ت من حديث أبي سعيد من شغله القرآن عن ذكرى أو مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وقال حسن غريب ورواه ابن شاهين بلفظ النصف (٦) حديث ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك الحديث تقدم في الصلاة (٧) حديث أهل القرآن أهل الله وخاصته ن في الكبرى و ه ك من حديث أنس بإسناد حسن (٨) حديث إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قبل ما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت البيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٩) حديث لله أشد أذنا إلى قاريء القرآن من صاحب القينة إلى قينته ه حب ك وصححه من حديث فضالة بن عبيد .

بحقائق التقوى وربما كان عبدة الدنيا عوناً على استكسابها لأن الاشتغال بها شاق على النفوس فجلبت النفوس على محبة الجاه والرفعة حتى إذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم أجابت إلى تحمل الكلف وسهر الليل والصبر على القربة والأسفار وتعدد اللذات والشهوات وعلوم هؤلاء القوم لا تحصل مع محبة الدنيا ولا تكشف إلا بمجانبة الهوى ولا تدرس إلا في مدرسة التقوى قال الله تعالى - واتقوا الله ويسلكم الله - جعل العلم ميراث التقوى وغير علوم هؤلاء القوم متيسر من غير ذلك بلا شك فلم فضل علم علماء الآخرة حيث يكشف النقاب إلا لأولى الأبواب وأولو الأبواب حقيقة هم الزاهدون في الدنيا قال بعض الفقهاء إذا أوصى رجل بماله لأعقل الناس بصرف إلى

الناس القرآن من الله عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسموه قط وقال الفضيل بن عياض
 شئى لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلق فمن دونهم فينبغي أن تكون حوائج
 الخلق إليه وقال أيضا حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع
 من يسهو ولا يلتزم مع من يلتزم تعظيما لحق القرآن وقال سفيان الثوري إذا قرأ الرجل القرآن قبل
 الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من شمر مصحفا حين يصلى الصبح قرأ منه مائة آية رفع الله
 عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا وبروى « أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم . وقال اقرأ على القرآن قرأ عليه - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى -
 الآية فقال له أعد فأعاد فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لشمع
 وما يقول هذا بشر (١) وقال الحسن والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرأ
 خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي
 ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض الفساک ماهيتا
 أحد فتأنس به فديده إلى المصحف ووضع على حجره وقال هذا وقال على بن أبى طالب رضى الله
 عنه ثلاث يزدن في الحفظ وينهين البلم السواك والصيام وقراءة القرآن .

(في ذم تلاوة الناقلين)

قال أنس بن مالك رب عالم للقرآن والقرآن يلعبه وقال ميسرة التريبي هو القرآن في جوف الفاجر
 وقال أبو سليمان الداراني الزبانية أسرع إلى حيلة القرآن الذين يصون الله عز وجل منهم إلى عبدة
 الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن . وقال بعض العلماء إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط
 ثم عاد قرأ قبل له مائة لوكلاسى وقال ابن الرواح ندمت على استظهارى القرآن لأنه بلغنى أن أصحاب
 القرآن يستلون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن أن يعرف
 بليته إذا الناس ينامون وبهارة إذا الناس يفرطون وبجزئه إذا الناس يفرحون ويكأنه إذا الناس
 يضحكون وبصمته إذا الناس يغوضون وبخشوعه إذا الناس يغتالون وينبغي لحامل القرآن أن
 يكون مستكينا لينا ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديثا وقال
 صلى الله عليه وسلم « أكثر منافق هذه الأمة قراؤها (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « اقرأ القرآن
 ما نهاك فان لم ينك فلست تقرأه (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما آمن بالقرآن من استحل
 محارمه (٤) » وقال بعض السلف إن العبد ليفتح سورة فتصلى عليه الملائكة حتى يفرغ منها
 وإن العبد ليفتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل له وكيف ذلك فقال إذا أحسن حلافا
 وحرم حرامها صلت عليه وإلا لعنته . وقال بعض العلماء إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه

(١) حديث أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ على فقرأ عليه - إن الله
 يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى - فقال أعد فأعاد فقال إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن
 أسفله لمندق وإن أعلاه لشمع وما يقول هذا بشر ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب بغير إسناد ورواه
 البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد إلا أنه قال الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة
 وكذا ذكره ابن اسحق في السيرة بنحوه (٢) حديث أكثر منافق أمي قراؤها أحمد من حديث
 عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو وفيهما ابن لهيعة (٣) حديث اقرأ القرآن ما نهاك فان لم ينك
 فلست تقرأه طب من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٤) حديث ما آمن بالقرآن من
 استحل محارمه ت من حديث صهيب وقال ليس إسناده بالقوى .

الزهاد لأهم اعتقل
 الخلق . قال سهل بن
 عبد الله التستري
 للعقل ألف اسم ولكل
 اسم منه ألف اسم
 وأول كل اسم منه
 ترك الدنيا . حدثنا
 الشيخ الصالح أبو الفتح
 محمد بن عبد الباقي
 قال أنا أبو الفضل
 أحمد بن أحمد قال
 أنا الحافظ أبو نعيم
 الأصفهاني قال حدثنا
 محمد بن أحمد بن محمد
 قال حدثنا العباس
 ابن أحمد الشاشي قال
 حدثنا أبو عقيل
 الوصافي قال أنا عبد الله
 الحنواص وكان من
 أصحاب حاتم قال دخلت
 مع أبي عبد الرحمن
 حاتم الأصم الرى ومعه
 ثلاثمائة وعشرون رجلا
 يريدون الحج وعليهم
 الصوف والزمرات
 ليس معهم جراب
 ولا طعام فدخلنا الرى
 على رجل من التجار
 متنسك يحب المتقشفين
 فأضافنا تلك الليلة فلما
 كان من القد قال لحاتم
 يا أبا عبد الرحمن ألك
 حاجة فاني أريد أن

وهو لا يعلم يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه ألا لعنة الله على الكافرين وهو منهم وقال الحسن إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملاً فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحلهم وإن من كان قبلكم رأوه رسالاً لمن ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالهار وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاعوذوا بدلاسته عملاً إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط الصلبي في حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما : لقد عشنا دهرًا طويلاً وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فنزل السورة على محمد ﷺ فيعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجلاً يؤتى أحدكم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما أمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه ينثره ثم الدقل (١) وقد ورد في التوراة يا عبيدي أما تستحي مني يا نبيك كتابس بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقدم لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كثنائي أنزلته إليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكما كررت عليك فيه لتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك يا عبيدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصني إلى حديثه بكل قلبك فان تكلم منك لم أوشك أن أسمع حديثه أو ماتت إليه أن كف وهاتنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني أجمعنني أهون عندك من بعض إخوانك .

(الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة)

الأول في حال القارئ وهو أن يكون على الوضوء واقفاً على هيئة الأدب والسكون إما قائماً وإما جالساً مستقبل القبلة مطرقاً رأسه غير مرتبع ولا متكبر ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده بجلوسه بين يدي أستاذه وأفضل الأحوال أن يقرأ في الصلاة قائماً وأن يكون في المسجد فذلك من أفضل الأعمال فإن قرأ على غير وضوء وكان مضطجماً في القرائش فله أيضاً فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى - الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - فأثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجماً قال على رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء وخمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فشر حسنة وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب قال أبو بكر التفاري رضي الله عنه إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل . الثاني في مقدار القراءة ، وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم القرآن في اليوم واليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم إلى ثلاث ومنهم من يختم في الشهر مرة وأولى ما يرجع إليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفته » (٢) وذلك لأن الزيادة عليه تمنحه الترتيل وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلاً يهذر القرآن هذراً إن هذا مقرأ القرآن ولا سمكت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن يختم القرآن في كل سبع (٣) وكذلك

(١) حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرًا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن الحديث تقدما

(الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة)

(٢) حديث من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفته أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه (٣) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم القرآن في كل أسبوع متعق عليه من حديثه

أعود قتها لانهو عليل
قال حاتم إن كان لكم
فيه عليل فقيادة
الفتية لها فضل والنظر
إلى الفتية عبادة فأنا
أيضاً أجيء معكم وكان
العليل محمد بن مقاتل
قاضي الري فقال
سربنا يا أبا عبد الرحمن
لجأوا إلى الباب فإذا
باب مشرف حسن
فبقي حاتم متفكراً
يقول باب عالم على هذا
الحال ثم أذن لهم
فدخلوا فإذا دارقوراء
وإذا بزة ومنعة وسنور
وجمع فبق حاتم متفكراً
ثم دخلوا إلى المجلس
الذي هو فيه فإذا بفرش
وطيئة وإذا هو راقد
عليها وعند رأسه
غلام ويسده مذبة
قدم الرافزي يسأله
وحاتم قائم فأومأ إليه
ابن مقاتل أن أقعد
فقال لأقعد فقال له
ابن مقاتل لعلك حاجة
قال نعم قال وما هي قال
مستة أساك عنها قال
سأني قال نعم فاستو
جالسا حتى أسألكها
فأمر غلامه فأستدوه
فقال له حاتم عليك

كان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يغمثون القرآن في كل جمعة كتمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبي بن كعب رضى الله عنهم في الحتم أربع درجات الحتم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والحتم في كل شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزءا وكأنه مبالغة في الاختصار كأن الأول مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان إحداهما في الأسبوع مرة والثانية في الأسبوع مرتين تقريبا من الثلاث . والأحب أن يغمث ختمه بالليل وختمه بالنهار ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين في ركعتي القنجر أو بعدهما ويجعل ختمه بالليل ليلة الجمعة في ركعتي القنجر أو بعدهما ليستقبل أول النهار وأول الليل يغمثه فان لللائكة عليهم السلام تسلي عليه إن كانت ختمته ليلا حتى يصبح وإن كان نهارا حتى يمسي فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الأسبوع وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر أو من المشتغلين بشغل العلم فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على مرة وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن قد يكتفي في الشهر مرة لكثرة حاجته إلى كثرة التردد والتأمل . الثالث في وجه القصة : أمان ختم في الأسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة أحزاب قد حزب الصحابة رضى الله عنهم القرآن أحزابا (١) فروى أن عثمان رضى الله عنه كان يفتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائة وليلة السبت بالأنعام إلى هود وليلة الأحد يوسف إلى مريم وليلة الاثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالنسكوت إلى من وليلة الأربعاء ينزول إلى الرحمن ويغمث ليلة الخميس وابن مسعود كان يقسمه أقساما لا على هذا الترتيب وقيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الأول ثلاث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس إحدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع للتفصيل من ق إلى آخره فهكذا حزبه الصحابة رضى الله عنهم وكانوا يقرءونه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبل أن تسلم الألفاس والأعشار والأجزاء فمأسوى هذا محدث . الرابع في الكتابة : يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحرمة وغيرها فانها تزيين وتبين وحدت عن الخطأ واللعن لمن يقرؤه وقد كان الحسن وابن سيرين يشكرون الألفاس والواشتر والأجزاء وروى عن النعمي وإبراهيم كراهية النقطة بالحرمة وأخذ الأجرة على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من أن يؤدي إلى إحداث زيادات وحمل الباب وثقوا إلى حراسة القرآن مما يطرأ عليه تغييرا وإذا لم يؤد إلى محذور واستمر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به ولا يمنع من ذلك كونه محدثا فكم من محدث حسن كاقبل في إقامة الجماعات في التراويح إنها من محدثات عمر رضى الله عنه وإنها بدعة حسنة إنما البدعة الذمومة ما يصادم السنة القديمة أو يكاد يفرض على تغييرها وبضهم كان يقول أقرأ في المصحف للنقطة ولا أقطه بنفسى وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير كان القرآن يجرى في المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقطة على الباء والراء وقالوا لا بأس به فانه نور له ثم أحدثوا بعده قطعا كبارا عند منتهى الآية فقالوا لا بأس به برف به رأس الآية ثم أحدثوا بعده ذلك الحواشي والقوا عقال أبو بكر الهذلي سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالأحمر فقال وما تنقطها قلت يربون الكلمة بالحرية قال أما إصرا ب القرآن فلا بأس به وقال خالد الخذاء دخلت على ابن سيرين فرأيت

(١) حديث تحزب القرآن على سبعة أجزاء د من حديث أوس بن حذيفة في حديث فيه طرأ على حزبي من القرآن قاله أوس فسألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن قالوا ثلاث وخمسة وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب التفصيل في رواية الطبراني فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجرى القرآن قالوا كان يجره ثلاثا فذكره موهوعا واستناه حسن .

هذا من ابن جث به
قال الثقات حدثوني
به قاله عمن قال عن
أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قال وأصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم
عمن قال عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال ورسول الله من
أين جاء به قال عن
جبرائيل قال حاتم
أداه جبرائيل عن
الله وأداه رسول الله
إلى أصحابه وأداه
أصحابه إلى الثقات
وأداه الثقات إليك
هل سمعت في العلم من
في داره أمير أو منته
أكثر كانت له التزلة
عند الله أكثر قال
لا قال فكيف سمعت
قال من زهد في الدنيا
ورغب في الآخرة
وأحب للساكنين وقدم
لآخرته كان له عند الله
التزلة أكثر قال حاتم
فأنت بمن اقتديت بالنبي
وأصحابه والصالحين أم
بفرعون ونمرود أول
من بنى بالجس والاجر
باعطاء السوء مثلكم
يراه الجاهل الطالب

يقرأ في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل إن الحجاج هو الذي أحدث ذلك وأحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا أجزاءه وقسموه إلى ثلاثين جزءاً وإلى أقسام أخرى . الخامس الترتيل : هو المستحب في هيئة القرآن لأننا سنبين أن المقصود من القراءة التفكير والترتيل معين عليه ولذلك نعت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي تمت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً (١) وقال ابن عباس رضي الله عنه لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلها وأندبرها أحب إلى من أن أقرأ القرآن كله هذمة ، وقال أيضاً لأن أقرأ إذا زلزلت والقارة أندبرها أحب إلى من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهديراً وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلاة فكان قيامهما واحداً إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله فقال هما في الأجر سواء واعلم أن الترتيل مستحب لا يجرّد التدبر فإن الجمعي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة أيضاً الترتيل والتؤدة لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشدّ تأثيراً في القلب من الهذمة والاستعجال . السادس البكاء : البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فبأبكاؤكم » (٢) وقال عليه السلام « ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن » (٣) وقال صالح الرمي قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأين البكاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما إذا قرأت سجدة سبحان فلا تمجّلوا بالسجدة حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليك قلبه وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال صلى الله عليه وسلم « إن القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحزنوا » (٤) ووجه إحضار الحزن أن يتأمل مافيه من التهديد والوعيد والوائق والعهود ثم يتأمل قصيره في أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويسكى فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليك على قد الحزن والبكاء فان ذلك أعظم للصائب . السابع أن يراعى حق الآيات : فاذا مرّ بآية سجدة سجد وكذلك إذا جمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالي ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة وفي القرآن أربع عشرة سجدة وفي الحج سجدتان وليس في ص سجدة وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الأرض وأكمله أن يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى - خرّوا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون - فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك السبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك وإذا قرأ قوله تعالى - ويخرون للأذقان يكون ويزيدهم خشوعاً - فيقول اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك وكذلك كل سجدة ويشترط في هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والحجث ومن لم يكن على طهارة عند السجود فإذا تطهر يسجد وقد قبل في كلهما أن يكبر رافعا يديه تحريره ثم يكبر للهوى للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زائدون التشهد ولا أصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فانه ورد الأمر في السجود فليتبّع فيه الأمر وتكبيره للهوى أقرب للبداية وما عدا ذلك فله بعد

(١) حديث نعت أم سلمة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هي تمت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً
 (٢) وقال حسن صحيح (٣) حديث ابن عباس رضي الله عنهما من حديث أبي هريرة
 (٤) حديث ابن عباس رضي الله عنهما من حديث أبي هريرة

ابن عمر بسند ضعيف .

للهنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شرامته وخرج من عنده فاذا ابن مقاتل مرضاً فبلغ أهل الرمي ماجرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له يا عبد الرحمن بغزوين عالماً كبيراً أنا من هذا وأشاروا به إلى الطنابي قال فسار إليه متعمداً فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أجهلي أحب أن تلمني أول مبتدئ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات إناء فيه ماء فأنى بآناه فيه ماء فهدد الطنابي فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً ثم قال هكذا فتوضأ فهدد فتوضأ حاتم ثلاثاً ثلاثاً حتى إذا بلغ غسل الذراعين غسل أربعاً فقال له الطنابي يا هذا أسرفت فقال له حاتم فيما ذا قال غسّلت ذراعيك أربعاً قال حاتم يا سبحان الله أنا في كف ماء أسرفت وأنت

في هذا الجمع كله :
تسرف فلم الطامسي
أنه أراد بذلك ولم يرد
منه التحم فدخل البيت
ولم يخرج إلى الناس
أربعين يوما ركتب
تغار الرئي وقزوين
ما جرى بينه وبين
ابن مقاتل والطامسي
فلما دخل بغداد اجتمع
إليه أهل بغداد فقالوا
له يا أبا عبد الرحمن أنت
رجل لكن أعجمي
ليس يكلمك أحد إلا
وتقطعه قال سمى ثلاث
خصال بين أظهر على
خصمي قالوا أي شيء
هي قال أفرح إذا أصاب
خصمي وأحزن إذا
أخطأ وأحفظ نفسي
أن لا أجعل عليه قبلغ
ذلك أحمد بن حنبل
فجاء إليه وقال سبحان
الله ما أعفاه فلما دخلوا
عليه قالوا يا أبا
عبد الرحمن ما السلامة
من الدنيا قال حاتم يا أبا
عبد الله لا تعلم من
الدنيا حتى يكون معك
أربع خصال قال أي
شيء هي يا أبا عبد الرحمن
قال تنفر للقوم جهلهم
وتنعم جهلك عنهم

ثم المأموم ينبغي أن يسجد عند سجود الإمام ولا يسجد تلاوة نفسه إذا كان مأموما . الثامن أن يقول
في مبتدأ قراءته : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم - رب أعوذ بك من همزات الشياطين
وأعوذ بك رب أن يحضرون - وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد لله وليقل عند فراغه من
القراءة صدق الله تعالى وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انتفض به وبارك لنا فيه الحمد لله رب
العالمين وأستغفر الله الحى القيوم وفي أثناء القراءة إذا مر بآية تيسيح سبع وكبر. وإذا مر بآية
دعاء واستغفار دعا واستغفر وإن مر بمرجوت سأل وإن مر بمخوف استعاذ فغل ذلك بلسانه أو قبله
فيقول سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم أرحمنا قال حذيفة : صليت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل ولا بآية عذاب إلا استعاذ ولا بآية تنزيه
إلا سبح (١) . فإذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله وسلامه عند ختم القرآن اللهم أرحمني بالقرآن
واجعله لي إماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته
آناه الليل وأطراف النهار واجعله لي حجة يارب العالمين (٢) . التاسع في الجهر بالقراءة : ولا شك
في أنه لا بد أن يجهر به إلى حد يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد
من صوت فأفقه ما يسمع نفسه فإن لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فأما الجهر - بحيث يسمع غيره فهو
محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر ويدل على استحباب الإسرار ما روى أنه صلى الله عليه
وسلم قال « فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية » وفي لفظ آخر
« الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والسر كالسر بالصدقة » (٣) « وفي الخبر العام « يفضل عمل السر
على عمل العلانية سبعين ضعفا » (٤) وكذلك قوله ﷺ « خير الرزق ما يكنى وخير الذكر الحفى » (٥) «
وفي الخبر « لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء » (٦) ومع سعيد بن السيب
ذات ليلة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان
حسن الصوت فقال لعلاه اذهب إلى هذا المصلى فمره أن يخفض صوته فقال الصلوات إن للسجد
ليس لنا والرجل فيه نصب فرفع سعيد صوته وقال يا أيها المصلى إن كنت تريد الله عز وجل بصلواتك
فاخفض صوتك وإن كنت تريد الناس فاتهم لن يفتنوا عنك من اقشيتا فسكت عمر بن عبد العزيز
وخفف ركبته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة ويدل على استحباب الجهر

(١) حديث حذيفة كان لا يمر بآية عذاب إلا تلوذ ولا بآية تنزيه إلا يسبح م
مع اختلاف لفظ (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند ختم القرآن اللهم أرحمي
بالقرآن واجعله لي إماما وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني
تلاوته آناه الليل وأطراف النهار واجعله لي حجة يارب العالمين رواه أبو مسعود المظفر بن الحسين
الأرجاني في فضائل القرآن وأبو بكر بن الضحاك في الشرائع كلاهما من طريق أبي ذر الهروي من
رواية داود بن قيس مضافا (٣) حديث فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر
على صدقة العلانية قال وفي لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والسر بالقرآن كالسر بالصدقة
دون ت وحسنه من حديث عتبة بن عامر باللفظ الثاني (٤) حديث يفضل عمل السر على عمل
العلانية بسبعين ضعفا البيهقي في الشعب من حديث عائشة (٥) حديث خير الرزق ما يكنى وخير
الذكر الحفى أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبي وقاص (٦) حديث لا يجهر بعضكم على بعض
في القراءة بين المغرب والعشاء رواه أبو داود من حديث البيهقي دون قوله بين المغرب والعشاء
والبيهقي في الشعب من حديث على بن عبد الله بن عمر وهو صحيح

ماروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع جماعة من أصحابه يجهرون في صلاة الليل فسوب ذلك (١) وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا قام أحدكم من الليل صلى فليجهر بالقراءة فان اللائكة وعمارته للدار يستمعون قراءته ويصلون بصلاته (٢) » ومروى صلى الله عليه وسلم بثلاثة من أصحابه رضى الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر رضى الله عنه وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال إن الذى أناجيه هو يسمنى ومروى على عمر رضى الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان ومروى على بلال وهو يقرأ آيات من هذه السورة وآيات من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال صلى الله عليه وسلم : كلكم قد أحسن وأصاب (٣) . فالوجه فى الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أجدر عن الرياء والتضع فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم يكن فى الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته أيضاً تتعلق بغيره فالجهر للتعدي أفضل من اللازم ولأنه يوقظ قلب القارى ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف إليه سمعه ولأنه يطرد النوم فيرفع الصوت ولأنه يزيد فى نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولأنه يرجو بجهره أن يفتقد نائم فيكون هو سبب إحيائه ولأنه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويستأنق إلى الخدمة فتمت حضرة شىء من هذه النيات فالجهر أفضل وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار وتضاعف أجورهم فان كان فى العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور ولهذا قول قراءة القرآن فى الصحاف أفضل اذ يزيد فى العمل النظر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه وقد قيل الختمة فى المصحف بسبع لأن النظر فى المصحف أيضاً عبادة وخرق عثمان رضى الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منها فكان كثير من الصحابة يقرءون فى الصحاف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعى رضى الله عنه فى السحر وبين يديه مصحف فقال له الشافعى شغلكم الفكر عن القرآن إنى لأصلى الختمة وأضع المصحف بين يدي فما أطبقه حتى أصبح . العاشر تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تعطيط مغرط غير النظم فذلك سنة قال ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم (٤) » وقال عليه السلام « ما أذن الله شىء أذنه لحسن الصوت بالقرآن (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » قيل أراده الاستغناء وقيل أراده التزم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل اللغة وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليله ينتظر مائسة رضى الله عنها فأبطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنه سمع جماعة من الصحابة يجهرون فى صلاة الليل فسوب ذلك فى الصحيحين من حديث عائشة أن رجلاً قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله فلانا الحديث ومن حديث أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتنى وأنا أصح قراءتك البارحة الحديث ومن حديثه أيضاً إنما أعرف أصوات رقة الأشعرين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن الحديث (٢) حديث إذا قام أحدكم من الليل صلى فليجهر بقراءته فان اللائكة وعمارته يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته بوله بنحوه زيادة فيه أبو بكر البزار وصححه فى اللوائح وأبو شجاع من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر منقطع (٣) حديث مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر وهو يخافت وهو يجهر ويلا وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة الحديث تقدم فى الصلاة (٤) حديث زينوا القرآن بأصواتكم د ن . حب لك وصححه من حديث البراء بن عازب (٥) حديث ما أذن الله شىء أذنه لحسن الصوت بالقرآن متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ ما أذن الله شىء ما أذن لى يتغن بالقرآن زاد م لى حسن الصوت وفى روايته كاذبه لى يتغن بالقرآن .

وتبذل لمسم شيك
وتكون من شيتهم
آيسا فاذا كان هذا
سليت ثم سار إلى
للدينة . قال الله تعالى
- إنما يغشى الله من
عباده العلماء - ذكر
بكلمة إنما فيتغى العلم
همن لا يغشى الله كما
إذا قال إنما يدخل الدار
بغدادى يتغى دخول
غير بغدادى الدار
فلاح للماء الآخرة أن
الطريق مسدود إلى
أنصبه المازف ومقامات
القرب إلا بالزهد
والتقوى . قال
أبو يزيد رحمه الله
لأصحابه حيث البارحة
للى الصباح أجهد أن
أقول لا إله إلا الله
ما قدرت عليه قبل ولم
ذلك قال ذكرت كلمة
قلتها فى صباى فجاهتى
وحشة تلك الكلمة
فمنعتنى عن ذلك
وأعجب بمن يذكر الله
تعالى وهو متصف
بشئ من صفاته بصفاء
الثقوى وكمال الزهادة
صير الجبد راسخا فى
العلم . قال الواسطى :
الراسخون فى العلم هم

الدين رسخوا بأرواحهم
في غيب الغيب في سر
السرف فهم ما عرفهم
وخاضوا في بحر العلم
بالفهم لطلب الزيادات
فانكشف لهم من
مدخور الخزان ما تحت
كل حرف من الكلام
من الفهم وهجاء
الخطاب ففقهوا بالحكم
وقال بعضهم الراسخ من
أطلع على عمل المراد من
الخطاب وقال الخراز :
هم الذين كفوا في جميع
العلوم وعرفوها واطلموا

على هم الخلاق كلهم
أجمعين وهذا القول
من أبي سعيد لا ينفى
به أن الراسخ في العلم
يبنى أن يقف على
جزئيات العلوم ويكمل
فيها فان عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه
كان من الراسخين في
العلم وقف في معنى قوله
تعالى - وفاكهة وأبا -
وقال ما الأدب ثم قال
إن هذا إلا تكلف
وقل أن هذا الوقوف
في معنى الأب كان من
أبي بكر رضي الله تعالى
عنه وإنا عنى بذلك
أبو سعيد ما ينسب أول

ما حبسك قالت يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال صلى الله عليه وسلم هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمي مثله (١) واستمع صلى الله عليه وسلم أيضا ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال صلى الله عليه وسلم «من أراد أن يقرأ القرآن غضا طويلا كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود «اقرأ على» قال يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل فقال صلى الله عليه وسلم : إن أحب أن أسمع من غيري فكان يقرأ وعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيضان (٣) واستمع صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك أبا موسى فقال يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبته لك تخبرني (٤) ورأى هيثم القاري رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قال قال لي أنت المقيم الذي نزل القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا وفي الخبر : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أصروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن - وقد كان عمر يقول لأبي موسى رضي الله عنهما ذكرنا ربنا فقرأ حسنة حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أولسنا في صلاة إشارة إلى قوله عز وجل - ولا تذكروا الله أكبر - وقال صلى الله عليه وسلم «من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة» (٥) وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا في الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والتضع.

(الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة)

فهم أصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقى ثم التبرى . فالأول : فهم عظمة الكلام وعلاؤه وفضل التسميحه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة باقية بذاته إلى أفهام خلقه وكيف تجلست لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر إذ يمجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار هذه جلاله كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسامع الكلام عرش ولا يرى ولا تلتصق ما بينهما من عظمة سلطانه ومبجبات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى عليه السلام لما أطلق لسامع كلامه كما لم يطلق الجبل

(١) حديث كان ينتظر عائشة فأبطأت عليه فقال ما حبسك قالت يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمي مثله . من حديث عائشة ورجال إسناده ثقات (٢) حديث استمع ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من أراد أن يقرأ القرآن غضا طويلا كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد . أحمد بن في الكبرى من حديث عمرو بن مسعود أن أبا بكر وعمر بشرا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يقرأ القرآن الحديث قالت حسن صحيح (٣) حديث أن قال لابن مسعود اقرأ فقال يا رسول الله أقرأ عليك أنزل فقال إن أحب أن أسمع من غيري الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث استمع إلى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزامير آل داود متفق عليه من حديث أبي موسى (٥) حديث من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وفي الخبر كتب له عشر حسنات أحمد بن حديث أبي هريرة من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة وفيه ضعف وانقطاع.

(الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة)

مبادئ تجليه حيث صار ذكاً ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأشقة على حدفهم الخلق ولهذا عبر
بعض العارفين عنه فقال إن كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ أعظم من جبل
قاف وإن اللانكحة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطلقوه حتى يأتي إسرافيل
عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله بإذن الله عز وجل ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله عز وجل
طوقه ذلك واستعمله به ولقد تأتق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في إيصال معاني الكلام مع
علو درجته إلى فهم الإنسان وتثبيتته مع قصور رتبته وضرب له مثلاً لم يقصر فيه وذلك أنه دعا بعض
الملوك حكيم إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام فسأله الملك عن أمور فأجاب بما لا يحتمل فنهقه فقال الملك
أرأيت ما تأتي به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله عز وجل فكيف يطبق الناس
حمله فقال الحكيم إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها
وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع
حسنه وتزيينه وبديع نظمه فقولوا إلى درجة تميز البهائم وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات
يضعونها لآفة بهم من النقر والصفر والأصوات القريبة من أصواتها لكي يطيقوا حملها وكذلك الناس
يصجون عن حمل كلام الله عز وجل بكفه وكالصفات فصاروا بما تراجموا بينهم من الأصوات التي سمعوا
بها الحكمة كصوت النقر والصفر الذي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المحبوبة
في تلك الصفات من أن شرف الكلام أي الأصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسداً
ومسكناً والحكمة للصوت نفساً وروحاً فسكناً أن أجساد البشر تكرم وتمزج لكان الروح فكذلك
أصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام على اللزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم
في الحق والباطل وهو القاضي العدل والشاهد للرفق يأمُر وينهى ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام
كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة
كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم يتلون من ضوء عين الشمس ما يحياه
أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالمالك المحبوب القائب وجهه النافذ أمره وكالشمس
العزيرة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الظاهرة التي قد يهتدى بها من لا يقف على سيرها فهو
مفتاح الخزانة النفيسة وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يموت ودواء الأسقام الذي من شق
منه لم يستقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم العامة
فينبغي أن يقتصر عليه . الثاني : التعظيم للتكلم فالتقارير عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن
يحضر في قلبه عظمة للتكلم ويحلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وأن في تلاوة كلام الله
عز وجل غاية الخطر فإنه تعالى قال - لا يحسه إلا الطهرون - وكما أن ظاهر جلد الصحف وورقه
محروس عن ظاهر جرة اللامس إلا إذا كان متطهراً فباطن ممناه أيضاً بحكم عزه وجلاله محبوب
عن باطن القلب إلا إذا كان متطهراً عن كل رجس ومستقبلاً بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح
لمس جلد الصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا ليل معانيه كل قلب ولثل هذا التعظيم
كان عكرمة بن أبي جهل إذا شر للصحف غشى عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم
الكلام تعظيم التكلم ولن تحضره عظمة للتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله فإذا حضر
ياله العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار وعلم أن
الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها الواحد وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين
نعمته وسعته إن أنتم ففضلوه وإن عاقب فيعده وأنه الذي يقول هؤلاء إلى الجنة ولا إلى هؤلاء إلى النار

كلامه بآخره وهو قوله
اطلوا على هم الخلائق
كلهم لأن التقي حق
التقوى والزاهد حق
الزهادة في الدنيا صفا
باطنه وانجلت مرآة
قلبه ووقعت له محاذاة
بشيء من اللوح
المحفوظ فأدرك بصفاء
الباطن أمهات العلوم
وأصولها فيعلم منتهى
أقدام العلماء في علومهم
وغائية كل عالم والعلوم
الجزئية متجزة في
النفوس بالتعليم
وللممارسة فلا ينبغي
عليه الكلي أن
يراجع في الجزئي أهله
الدين هم أوعيته
فنفس هؤلاء امتلات
من الجزئي واشتغلت
به واغفلت بالجزئي
عن الكلي ونفوس
العلماء الزاهدين بعد
الأخذ بما لا بد لهم
منه في أصل الدين
وأساسه من الشريعة
أقبلوا على الله وانقطعوا
إليه وخلصت أرواحهم
إلى مقام القرب منه
فأفاضت أرواحهم على
قلوبهم أنواراً تنبأت
بها قلوبهم لإدراك

العلوم فأرواحهم ارتفعت
عن حد إدراك العلوم
بسكونها على العالم الأزل
وتجردت عن وجود
يصلح أن يكون وعاء
للعلم وقلوبهم بنسبة
وجهها الذي يلي
النفوس صارت أوعية
وجودة تناسب وجود
العلم بالنسبة الوجودية
فتألفت العلوم وتألفتها
العلوم بنسبة اتصال
العلوم باتصالها بالروح
المحفوظ وللنفس
بالانفصال انتقائها
في اللوح لا غشير
واقصال القلوب عن
مقام الأرواح لوجود
انجذابها إلى النفوس
فصار بين النفسانيين
نسبة اشتراك موجب
للتألف فحصلت العلوم
لذلك وصار العالم
الرباني راسخا في العلم
أوحى الله تعالى في
بعض الكتب التزلة
بأنفس إسرائيل لا تقولوا
العلم في السماء من
يقول به ولا في تخوم
الأرض من يصعد به
ولا من وراء البحار
من يسير قياتي به
العلم مجهول في قلوبكم

ولا أبالي وهذا غاية العظمة والتعالى فيالتفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم للتكلم ثم تعظيم الكلام
الثالث : حضور القلب وترك حديث النفس قبل في تفسير - يا هي خذ الكتاب بقوة - أي مجد واجتهاد
وأخذ بالجد أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة إليه من غيره وقبل بعضهم إذا قرأت
القرآن تحدث نفسك بشيء فقال أو شيء أحب إلى من القرآن حتى أحدث به شيء وكان بعض
السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية وهذه الصفة توفد عما قبلها من التعظيم فان للعظم
الكلام الذي يتلوه يستشعر به ويستأنس ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان
التالي أهلا له فكيف يطلب الأنس بالتفكر في غيره وهو في منزلة ومتفرج والذي يتفرج في
للتزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل إن في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وممالك وديار
ورياض وخانات فالميادين ميادين القرآن والآراء بساتين القرآن والحانات مقاصير والمسيحات
ممالك القرآن والحاميات ديار القرآن والفصل رياضه والحانات ماسوى ذلك فاذا دخل القاري
الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد الممالك ولبس الديار وبرز في الرياض وسكن
غرف الحانات استغرق ذلك وغفله عما سواه فلم يهرب قلبه ولم يفرق فكره . الرابع : التدبر
وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه
وهو لا يتدبره وللقصود من القراءة التدبر ولذلك سن في الترتيل لأن الترتيل في الظاهر ليتمكن
من التدبر بالباطن قال علي رضي الله عنه : لا خير في عافية لاقفه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها وإذا
لم يتمكن من التدبر إلا بتدريج فليدبره إلا أن يكون خلف إمام فانه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل
الإمام بآية أخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتجسس من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية
كلامه وكذلك إن كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها إمامه فهذا وسواس قد دروي
عن عامر بن عبد قيس أنه قال الوسواس يتردى في الصلاة قيل في أمر الدنيا قال لأن تختلف في
الأسنة أحب إلى من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقف بين يدي ربي عز وجل وأني كيف أنصرف
فد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشتغل عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله
بهم ديني ولكن بمنه به عشت الأفضل ولما ذكر ذلك للحسن قال إن كنتم صادقين عنه فما استطع
الله ذلك عندنا وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة (١) وإنما
رددها صلى الله عليه وسلم لتدبره في معانيها وعن أبي ذر قال « قام رسول الله ﷺ بنالقة فقام بآية
يردها وهي - إن تعذبهم فاعذبهم عذابك وإن تغفر لهم (٢) - الآية » وقام نعيم الدار ليلة هذه الآية - أم حسبنا
الذين اجتروا الطيأت - الآية وقام سعد بن جبير ليلة يردها هذه الآية - وامتازوا اليوم أيها المجرمون -
وقال بعضهم إنى لأنتج السورة فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم
يحول آية لا أعفها ولا يكون قلبها لا أعد لها نوابا . وحكى عن أبي سليمان الداراني أنه قال إنى لأتلو
الآية فأقيم فيها أربع ليل أو خمس ليل ولولا أنى أقطع التفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها وعن بعض السلف
أنه بقى في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين في كل جمعة ختمت وفي
كل شهر ختمت وفي كل سنة ختمت ولي ختمت منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات
تدبره وتخشيه وكان هذا أيضا يقول ألفت نفسي مقام الأجر فانا أعمل مياومة ومجاعة ومشاهدة ومساكنة

(١) حديث أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة رواه أبو ذر المروزي في صحيحه
من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث أبي ذر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة بآية
يردها وهي - إن تعذبهم فاعذبهم عذابك - ن . بسند صحيح .

الخامس التفهم : وهو أن يتوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر أفعاله وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام وذكر أحوال للكافرين لهم وأتهم كيف أهلכו أو ذكر أوصاهم وزواجهم وذكر الجنة والنار . أما صفات الله عز وجل فكتوبه تعالى - ليس كذلك شيء وهو السميع البصير - وكتوبه تعالى - الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر - فليتل ما معاني هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها فتحتمل ما من مدفونة لا تتكشف إلا للموقنين وإليه أشار على رضى الله عنه بقوله ما أسر إلى رسول الله ﷺ شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عز وجل عبدا فهما في كتابه فليكن حرصا على طلب ذلك الفهم (١) وقال ابن مسعود رضى الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين فليتل القرآن وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا مورا لا ثقة بأفهامهم ولم يشروا على أغوارها . وأما أفعاله تعالى فكذلكه خلق السموات والأرض وغيرها فليفهم التالى منها صفات الله عز وجل وجلاله إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته فينبغى أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رأى كل شيء إذ كل شيء فهو منه وإليه وبهوله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنما عرفه ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل وأن كل شيء هالك إلا وجهه لأنه سيظل في ثاني الحال بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يتبر وجوده من حيث إنه موجود بالله عز وجل وقدرته فيكون له بطريق التبعية نبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادئ علم الكاشفة ولهذا ينبغي إذا قرأ التالى قوله عز وجل - أفرايت ما عمرثون ، أفرايت ما مئنون ، أفرايت الماء الذى تشربون أفرايت النار التى توردون - فلا يقصر نظره على الماء والنار والحلث واللى بل يتأمل فى اللى وهو نقطة متشابهة الأجزاء ثم ينظر فى كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعمود والعصب كيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات للذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى - أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين - فيتأمل هذه العجائب ليرقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة التى منها صدرت هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصنعة فبرى الصانع . وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام : فإذا سمع منها أنهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل وللرسل إليهم وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر فى ملكه شيئا وإذا سمع نصرتهم فى آخر الأمر فليفهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق . وأما أحوال للكافرين : كما د وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته وحمته وليكن حظه منه الاعتبار فى نفسه وأنه إن غفل وأساء الأدب واغتر بما أمهل فربما تدركه النعمة وتفقد فيه القضية وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسأرما فى القرآن فلا يمكن استقصاء ما فيها منها لأن ذلك لا نهاية له وإنما لكل عبد منه بقدر رقة فلا رطب ولا يابس إلا فى كتاب

(١) حديث على ما أسر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه ن من رواية أبى جحيفة قال سألتنا عليا قلنا هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن قال لا والذى قلنى الحجة وبرأ النعمة إلا أن يعطى الله عبدا فهما فى كتابه الحديث وهو عند البخارى بلفظ هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس فى القرآن وفى رواية وقال مرة ما ليس عند الناس ولأبى داود والنسائ قلنا هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعده إلى الناس قال لا إلا ما فى كتابى هذا الحديث ولم يذكر التفهم فى القرآن .

تأدبوا بين يدي
بآداب الروحانيين
وتخلقوا إلى بأخلاق
الصديقين ظهر العلم
من قلوبكم حتى يطعمكم
أو يتمركم فالتأدب
بآداب الروحانيين
حصر النفوس عن
خاصة جيلاتها وقصاها
بصرى السلم فى كل
قول وفعل ولا يصح
ذلك إلا لمن علم وقرب
وتطرق إلى الحضور
بين يدي الله تعالى
فيحفظ بالحق للحق
أخبرنا شيخنا
أبو النجيب عبد القاهر
السهروردى بإجازة قال
أخبرنا أبو منصور بن
خيرى بإجازة قال أنا
أبو محمد الحسن بن على
الجوهري بإجازة قال
أنا أبو عمر محمد بن
الحساس قال حدثنا
أبو محمد يحيى بن صاعد
قال حدثنا الحسين بن
الحسن للروزي قال أنا
عبد الله بن المبارك قال
أنا الأوزاعي عن
حسان بن عطية بلفظ
أن عطاء بن أوس
رضى الله عنه نزل
منزلا فقال اتونا

مبين - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا -
 وذلك قال علي رضي الله عنه توشحت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فالغرض مما ذكرناه
 التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم مافي القرآن ولو في
 أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى - ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم
 ماذا قال آنذا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم - والطابع هي اللوانع التي سند ذكرها في موانع الفهم
 وقد قيل : لا يكون للمرء مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه نقصان من الزيد ويستغنى
 بالمولى عن العبد . السادس : التخلي عن موانع الفهم فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن
 لأسباب وحجب أسد لها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن قال عليه السلام « لولا أن
 الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى اللسكوت (١) » ومعاني القرآن من جملة اللسكوت وكل
 ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة فهو من اللسكوت . وحجب الفهم أربعة : أولها أن يكون
 الملم متصرفا إلى تحقيق الحروف بأخراجها من مخارجها وهذا ينول حفظه شيطان وكل بالقراءة ليصرف فهم
 عن فهم معاني كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على تديد الحرف بخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه
 فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فأني تنكشف له المعاني وأعظم ضحكة للشيطان من كان
 مطيعا لمثل هذا التلبس . ثانيا : أن يكون مقلدا للمذهب منه بالتقليد وجد عليه وثبت في نفسه التصب
 له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه بصيرة ومشاهدة فهذا شخص قبيح متقدم عن أن يجاوزه
 فلا يمكنه أن يخطر بباله غير متقدم فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بده وبدا له معنى
 من المعاني التي تبين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف
 معتقد آباءك فبرى أن ذلك غرور من الشيطان فيبقا عدمه ويحترز عن مثله ومثل هذا قالت الصوفية
 إن العلم حجاب وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية
 حررها للتصبون للمذاهب وأقروها إليهم فأما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والشاهدة بنور البصيرة
 فكيف يكون حجابا وهو منتهى للطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد في الاستواء
 على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلا في القديس أنه القدس عن كل ما يجوز على خلقه لم
 يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه لا يجر إلى كشف ثنائ وثالث وتواصل ولكن
 ينسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لما اقتضته تخليقه الباطل وقد يكون حقا ويكون أيضا مانعا من الفهم
 والكشف لأن الحق الذي كلفه الخلق اعتقاده لمراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وعور باطن وجود
 الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى النور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن
 في كتاب قواعد العقائد . ثالثا : أن يكون مصرا على ذنب أو متصفا بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا
 مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخشب على للرآة فيمنع جليلة الحق من أن يتجلى فيه
 وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكتيون وكلما كانت الشهوات أشد ترا كما كانت معاني الكلام
 أهوا حجابا وكلما خفف عن القلب أفعال الدنيا قرب تجلى المعنى فيه فالقلب مثل للرآة والشهوة مثل الصدأ
 ومعاني القرآن مثل الصور تترامى في للرآة والريضة للقلب يماطلة للشهوات مثل تصقل الجلاء للرآة
 ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا عظمت أمق الدينار والدرهم زرع منها هية الإسلام وإذا تركوا
 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي (٢) » قال الفضيل رضي حرموا فهم القرآن

(١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى اللسكوت تقدم في الصلاة .

(٢) حديث إذا عظمت أمق الدينار والدرهم زرع منها هية الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف حرموا

بالسفرة . فثبت بها
 فأنكر منه ذلك فقال
 ما تكلمت بكلمة منذ
 أسلمت إلا وأنا أخطئها
 ثم أزمها غير هذه
 فلا تحفظوها على لثقل
 هذا يكون التأديب
 بأداب الروحانيين
 مكتوب في الإنجيل
 لا تطلبوا علم ما لم تملوا
 حتى تعملوا بما قد علمتم
 وقد ورد في خبر عن
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « إن
 الشيطان ربما يسوفكم
 بالعلم قلنا يا رسول الله
 كيف يسوفنا بالعلم قال
 يقول اطلب العلم ولا
 تعمل حتى تعلم فلا يزال
 العبد في العلم قائلا
 ولعمل مسوفا حتى
 يموت وما عمل . وقال
 ابن مسعود رضي الله
 عنه ليس العلم بكثرة
 الرواية إنما العلم بالحشية
 وقال الحسن إن الله
 تعالى لا يبعث أبا علم
 ورواية إنما يبعث أبا
 فهم ودراية فعلم الوراثة
 مستخرجة من علم
 الدراسة ومثال علوم
 الدراسة كاللبن الخالص
 السائق للشاربين

وقد شرط الله عز وجل الإنابة في الفهم والتذكير قال تعالى - تبصرة وذكري لكل عبد ميب - وقال عز وجل - وما تذكر إلا من ينيب - وقال تعالى - إنما تذكر أولو الألباب - فالدين أثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوى الألباب ولذلك لا تنكشفه أسرار الكتاب . رابعا: أن يكون قد قرأ تفسيرها ظاهرا واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى وأن من فسر القرآن برأيه قد تبوأ مقعد من النار فهذا أيضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالرأى في الباب الرابع وأن ذلك يناقض قول من رضى الله عنه إلا أن يؤنى الله عبدا فها في القرآن وأنه لو كان المعنى هو الظاهر للنقل لما اختلفت الناس فيه . السابع: التخصيص وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن فان سمع أمرا أو نهيًا قد رآه للنهي وللأمر وإن سمع وعدا أو وعيدا فكمثل ذلك وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود وإنما المقصود ليخبر به وليأخذ من تضاعف ما يحتاج إليه لما من قصة في القرآن إلا وسياقها لقائدة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وأمه ولذلك قال تعالى - ما ثبت به فؤادك - فليقدر الصديق أن الله ثبت قلوبهم بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم في الدين لا يتظار نصر الله تعالى وكيف لا يجدر هذا القرآن ما أنزل على رسول الله ﷺ لرسول الله خاصة بل هو شفاعة وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب قال تعالى - واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به - وقال عز وجل - لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلاتعقلون . وأنزلنا إليكم القرآن لئلا تكون للناس منزل إليهم . كذلك يضرب الله للناس أمثالهم . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم . هذا صائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين - وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الأحاد فهذا القاري الواحد مقصود لما هو لسان الناس فليقدر أنه المقصود قال تعالى - وأوحى إلى هذا القرآن لأتذكركم به ومن بلغ - قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض السلفاء هذا القرآن رسائل أتنا من قبل ربنا عز وجل يسهوه تدبرها في الصلوات وقف عليها في الخلوات وتنفذها في الطاعات والسنة للثبات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن في قلوبكم يأهل القرآن إن القرآن ربيع للؤمن كما أن الفيت ربيع الأرض وقال قتادة لم يجالس أحدهما القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان قال تعالى - هو شفاعة ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا . الثامن: التأثر وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الحشية أغلب الأحوال على قلبه فان التضييق فالب على آيات القرآن فلا يرى ذكر الغفرة والرحمة إلا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عز وجل - وإنى لنفار - ثم أتبع ذلك بأربعة شروط - لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - وقوله تعالى - والعصر إن الإنسان لئى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - ذكر أربعة شروط وحيث اقتصر ذكر شروطا جامعا قال تعالى - إن رحمة الله قريب من المحسنين - فالإحسان يجمع الكل وهكذا من تصفح القرآن من أوله إلى آخره ومن فهم ذلك فجدد بأن يكون حاله الحشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما أصبح اليوم عبد يثلو القرآن يؤمن به إلا أكثر حزنه وقل فرحه وأكثر بكاهه وقل ضحكته وأكثر نصبه وشغله

بركة الوحي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف معضلا من حديث الفضل بن عياض قال ذكر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم .

ومثال علوم الوراثة كالزبد المستخرج منه فلو لم يكن لبن لم يكن زبد ولكن الزبد هو النخبة للطلوبة من اللبن والناية في اللبن جسم قائم به روح النخبة والناية بها القوام قال الله تعالى - وجعلنا من الماء كل شيء حي - وقال تعالى - أو من سكان ميثا فأحييناه - أى كان ميثا بالكفر فأحييناه بالإسلام فالإحياء بالإسلام هو القوام الأول والأصل الأول وللإسلام علوم وهي علوم مبادئ الإسلام والإسلام بعد الإيمان نظر إلى مجرد التصديق ولكن للإيمان فروع بعد التحقق بالإسلام وهي مراتب كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فقد قال التوحيد والعرفة والشهادة . وللإيمان في كل فرع من فروعه علوم فالعلوم الإسلام علوم الإيمان علوم القلوب ثم علوم القلوب لها وصف خاص بوصف

عام فالوصف العام علم
اليقين وقد يتوصل إليه
بالنظر والاستدلال
ويشارك فيه علماء
الدنياء مع علماء الآخرة
وله وصف خاص
يخص به علماء
الآخرة وهي السكينة
التي أنزلت في قلوب
المؤمنين ليزدادوا إيماناً
مع إيمانهم فعلى هذا
جميع الرتب يشملها
اسم الإيمان بوصفه
الحاس ولا يشتملها
بوصفه العام فبالنظر
إلى الوصف الحاس
اليقين ومراتبه من
الإيمان وإلى وصفه
العام اليقين زيادة على
الإيمان والشاهدة
وصف خاص في اليقين
وهو عين اليقين وفي
عين اليقين وصف
خاص وهو حق اليقين
حق اليقين إذن فوق
الشاهدة وحق اليقين
موطنه ومستقره في
الآخرة وفي الدنياء
لمح يسر لأهله وهو
من أعز ما يوجد من
أقسام العلم بالله لأنه
وجيدان فصار علم
الصوفية وزهاد العلماء

وقلت راحته وبطائه . وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئاً أرق
للقلوب ولا أحد استجلاً بالحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة
الآية التلاوة ضد الوعيد وتقييد للفرقة بالشروط يتضاد من خيفته كأنه يكاد يموت وعند التوسع
ووعيد للفرقة يستبشر كأنه يطير من الفرح وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله
واستشعاراً لمظلمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذكرم لله عز وجل ولها
وصاجة بنفس صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح معاتلم وعند وصف الجنة ينبعث يياطنه
شوقاً إليها وعند وصف النار ترمد فرائضه خوفاً منها « ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بن مسعود
اقرأ (١) قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت - فكيف إذا جئنا من كل أمة بشييد وجئناك على
هؤلاء شهداء - رأيت عيني تذر لاني بالسمع فقال لي حسبك الآن » وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت
قلبه بالكلية وقد كان في الحائزين من خير مفضيا عليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات
كأن هذه الأحوال يخرجهم عن أن يكون حاكياً في كلامه فإذا قال - إني أخاف إن عصيت ربي عذاب
يوم عظيم - ولم يكن خائفاً كان حاكياً وإذا قال - عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك للصبر - ولم
يكن حاله التوكل والإنابة كان حاكياً وإذا قال - ولنصبرن على ما آذيتونا - فليكن حاله الصبر
أو المزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان
حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللحن على نفسه في قوله تعالى - أألمنة الله على الظالمين - وفي
قوله تعالى - كبرمقا عند الله أن تقولوا ما لا تعملون - وفي قوله عز وجل - وهم في غفلة معرضون -
وفي قوله - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا - وفي قوله تعالى - ومن لم يتب
فأولئك هم الظالمون - إلى غير ذلك من الآيات وكان داخل في معنى قوله عز وجل - ومنهم أُميون
لا يسلون الكتاب إلا أمانى - معنى التلاوة المبردة وقوله عز وجل - وكأين من آية في السموات
والأرض يبرون عليها وهم عنها معرضون - لأن القرآن هو البين لتلك الآيات في السموات والأرض
ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضاً عنها ولذلك قيل إن من لم يكن متصفياً بأخلاق القرآن فإذا قرأ
القرآن ناداه الله تعالى مالك ولكلامى وأنت معرض عنى دع عنك كلامى إن لم تقب إلى ومثال العاصى إذا
قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الله في كل يوم مرات وقد كتب إليه في عمارة مملكته وهو
مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلم يلزمه الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستدراء
واستحقاق اللق ولذلك قال يوسف بن أسباط إني لأهم بقراءة القرآن فإذا ذكرت ما فيه خشيت اللق
فأعدل إلى التسييح والاستغفار والعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل - فقبلوه وراء ظهورهم واشتروا
به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون - ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأوا القرآن ما اتلفت
عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فليسم تقرأونه وفي بعضها فإذا اختلفتم قوموا عنه (٢) » قال
الله تعالى - الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون -
وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذى إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى (٣) »

(١) حديث أنه قال لابن مسعود اقرأ على الحديث تقدم في الباب قبله (٢) حديث اقرأوا القرآن ما اتلفت
ما اتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فليسم تقرأونه وفي بعضها فإذا اختلفتم
قوموا عنه متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلي في اللفظ الثانى دون قوله
ولانت جلودكم (٣) حديث إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذى إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى
الله تعالى « بسند صحيح .

وقال صلى الله عليه وسلم « لا يسمع القرآن من أحد أشبهى بمن يخشى الله عز وجل » (١) « فالقرآن يراد الاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب والعمل به والإلا فالقوة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ولذلك قال بعض القراء قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانياً فأنهتني وقال جعلت القرآن على عملاً اذهب فأقرأ على الله عز وجل فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهيك وبهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الأحوال والأعمال فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف في اثنين منهم وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم (٢) ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فأنهى إلى قوله عز وجل - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره - (٣) قال يكفي هذا وإنصرف فقال صلى الله عليه وسلم : انصرف الرجل وهو قهيه . وإنما العزيم مثل تلك الحالة التي من الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية فأما مجرد حركة اللسان قليل الجدوى بل التالى باللسان للعرض عن العمل جدير بأن يكون هو للراد بقوله تعالى - ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحضره يوم القيامة أعمى - وبقوله عز وجل - كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى - أي تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها فان القصر في الأمر يقال إنه نسي الأمر وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب لحفظ اللسان تصحيح الحروف

(١) حديث لا يسمع القرآن من أحد أشبهى بمن يخشى الله تعالى رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكره أبو القاسم النافق في كتاب فضائل القرآن (٢) حديث مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف منهم في اثنين وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم قلت قوله مات عن عشرين ألفاً لله أراد بالمدينة وإلا فقد روي عن أبي زرعة الرازي أنه قال قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه انتهى وأما من حفظ القرآن في عهده في الصحيحين من حديث أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الأنصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وأبو زيد قلت ومن أبو زيد قال أحد عمومي وزاد بن أبي شيبة كالمصنف من رواية الشعبي مرسل وأبو البرداء وسعيد بن عبيد وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو استقرئوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وروى ابن الأثير بنسبته إلى عمر قال كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الأمة من يحفظ من القرآن السورة ونحوها الحديث وسنده ضعيف ولترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثاً وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل مائة من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سنة فقال ما معك يا فلان ؟ قال معي كذا وكذا وسورة البقرة فقال أمعك سورة البقرة ؟ قال نعم قال اذهب فأنت أميرهم الحديث (٣) حديث الرجل الذي جاء ليتعلم فأنهى إلى قوله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره - فقال يكفي هذا وانصرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو قهيه دن في الكبرى ووجب له وصحه من حديث عبد الله بن عمر وقال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئني يا رسول الله الحديث وفيه فأقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت حتى فرغ منها فقال الرجل والذي بشك بالحق لا أزيد عليها أبداً ثم أدير الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلع الرويحل أطلع الرويحل ولأحمد ون في الكبرى من حديث مصعب بن عمير قال سمعته يقول لا بأس أن لا أسمع غيرها

نسبته إلى علم علماء الدنيا الذين ظفروا باليقين بطريق النظر والاستدلال كغلبة ما ذكرناه من علم الوراثة والممارسة عليهم بمثابة اللبن لأنه اليقين والایمان الذي هو الأساس وعلم الصوفية بالله تعالى من أنصبة المشاهدة وعين اليقين وحق اليقين كالزبد المستخرج من اللبن فضيلة الانسان بغضبة العلم وورزاة الأعمال على قدر الحفظ من العلم وقد ورد في الخبر « فضل العالم على العابد كفضل على أمي » والاشارة في هذا العلم ليس إلى علم البيع والشراء والعناق وإنما الاشارة إلى العلم بالله تعالى وقوة اليقين وقد يكون البعد علماً بالله تعالى ذايقين كامل وليس عنده علم من فروض الكفایات وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من علماء التابعين بمقائق اليقين ومقائق المعرفة وقد كان علماء

بالتزليل وحفظ الفصل تفسير للماني وحظ القلب الاتصاف والتأثر بالانزجار والانتثار فالسان يرتل والعقل
يترجم والقلب ينطق . التاسع الترقى ، وأعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من
نفسه فدرجات القراءة ثلاث أدناها أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفا بين يديه وهو ناظر
إليه ومستمع منه فيكون حاله عندهذا التقدير السؤال والتعلق والتضرع والابتهال . الثانية أن يشهد
بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه وإحسانه لقائه الحياء والتعظيم
والامتنان والاهتمام . الثالثة أن يرى في الكلام التكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى تعلق
الانعام بمن حيث إنه منعم عليه بل يكون مقصورا لم على التكلم موقف القسوة عليه كأنه مستغرق
بمشاهدة للتكلم عن غيره وهذه درجة القرين ومابله درجة أصحاب اليقين وما خرج عن هذا فهو
درجات الغافلين وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال والله لقد تجل الله عز
وجل لحلقه في كلامهم ولا يصرون وقال أيضا وقد سأله عن حالة لحقه في الصلاة حتى خرم مفتيا
عليه فلما سرى منه قيل له في ذلك فقال ما زلت أردد الآية على قلبي حتى صممت من التكلم بها فلم يثبت
جسمي لمعاينة قدرته في مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة النجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت
أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأنني أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه ثم
رغبت إلى مقام فوقه كنت أتلوه كأنني أسمع من جبريل عليه السلام يلقه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمع من التكلم به فندها وجدت له لذة ونعما لا أصبر عنه
وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وإنما قالوا ذلك لأنها
بالطهارة تترقى إلى مشاهدة للتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة
وتعمت به عشرين سنة ومشاهدة للتكلم دون ما سواه يكون العبد بمثابة لقوله عز وجل - قروا إلى
الله - ولقوله تعالى - ولا تجعلوا مع الله إلها آخر - فمن لم يره في كل شيء قدر رأي غيره وكل ما التفت
إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الحق بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل
شيء إلا الله عز وجل . العاشر التبري : وأعني به أن يبرأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه وبين
الرضا والتزكية فإذا تلا آيات الوعد وللدخ للمناجين فلا يشهد نفسه عند ذلك بك يشهد للوقنين
والصديقين فيها ويتشوق إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم وإذا تلا آيات اللقمة وذم العصاة والمقصرين
شهد على نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفا وإعظاما ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول اللهم
إني أستغفرك لظلمي وكفري وقيل له هذا الظلم لما بال الكفر فلاقوله عز وجل - إن الإنسان لظالم
كفار - وقيل ليوسف بن أسباط إذا قرأت القرآن بما إذا تدعو فقال بما إذا أدعو أستغفر الله عز وجل
من قصيري سبعين مرة فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربها من شهد
البعد في القرب لطفه به في الخوف حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى في القرب وراهها ومن شهد
القرب في العبد مكر به بالأمن الذي يفضيه إلى درجة أخرى في العبد أسفل مما هو فيه ومهما كان
مشاهدات نفسه بين الرضا صار محجوبا بنعمه فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى في
قراءته كشف له سر السكوت قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه وعد ابن ثوبان أسأله أن يخطر
عنده فأبطأ عليه حتى طلع القمر فلقه أخوه من الغد فقال له وعدتني أنك تخطر عندي فأخلفت فقال
لولا ميمادي معك ما أخبرتك بالذي حبسني عنك إني لما صليت التسمية قلت أوتر قبل أن أجيبك لأنني
لا آمن ما يحدث من اللوت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت إلى روضة خضراء فيها أنواع الزهر
من الجنة لما رلت أنظر إليها حتى أصبحت وهذه الكاشفات لا تسكون إلا بعد التبري عن النفس وعدم

التأبين فيهم من هو
أقوم بعلم الفتوى
والأحكام من بعضهم .
روى أن عبد الله بن
عمر كان إذا سئل عن
شيء يقول سلوا سعيد
ابن السيب وكان
عبد الله بن عباس يقول
سلوا جابر بن عبد الله
لو نزل أهل البصرة
على نبياء لوسعهم
وكان أنس بن مالك
يقول سلوا مولانا
الحسن فإنه قد حفظ
ونسينا فكانوا يردون
الناس إليهم في علم
الفتوى والأحكام
ويعلمونهم حقائق
اليقين ودقائق المعرفة
وذلك لأنهم كانوا
أقوم بذلك من التابعين
صادة ثم طراوة الوحي
للنزل وغمرهم غزير
العلم الجليل والفصل
فخلق منهم طائفة مجلدة
ومفصلة وطائفة مفصلة
دون مجلدة والمجلد أصل
العلم ومفصلة للكتيب
بطهارة القلوب وقوة
الفراسة وكال الاستعداد
وهو خاص بالخواص
قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم

الالتفات إليها وإلى هواها ثم تخصص هذه الكاشفات بحسب أحوال الكاشف بحيث ينال آيات الرجا
ويغلب على حاله الاستبشار تكشف له سورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا وإن غلب عليه الخوف
كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد
السوف والرجو والخوف وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة واللفظ والانتقام والبطن فيحسب
مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات بحسب كل حالة منها يستعمل الكاشفة بأمر
يناسب تلك الحالة ويقارنها إذ يستحيل أن يكون حال للسمع واحدا وللسموع مختلفا إذ فيه كلامه واضح
وكلام غضبان وكلام منم وكلام منتقم وكلام حيار متكبر لا ينال وكلام حنان متعطف لا يهمل .

(الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل)

لكم قول عظمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القرآن وما يتكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه
فكيف يستحب ذلك وقد قال عليه السلام « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » (١) وعن هذا
شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوف فمن القصرين للنسويين إلى التصوف في تأويل كلمات
في القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر القسرين وذهبوا إلى أنه كفر فإن صح ما نقله أهل
التفسير لما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وإن لم يصح ذلك لما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من
فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » فاعلم أن من رجم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر
التفسير فهو عتبر عن حدسه وهو مصيب في الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسا لأرباب
الفهم (٢) قال على رضي الله عنه إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في القرآن فإن لم يكن سوى الترجمة للفقوة
فإذلك الفهم وقال عليه السلام « إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا » (٣) ويروى أيضا عن ابن مسعود
موقوفا عليه وهو من علماء التفسير في معنى الظهر والبطن والحد والمطلع وقال على كرم الله وجهه
لوعثت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فائمة الكتاب فامتنعوا تفسير ظاهرها في غاية الاتصاف وقال
أبو الهرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم
وما بقي من فهمها أكثر وقال آخرون القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم وماتى علم إذا كل كلمة علم
ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع ويتردد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة (٤) لا يكون إلا لتدبر باطن معانيها ولا اقترجتها
وتفسيرها ظاهر لا يحتاج منه إلى تكرير وقال ابن مسعود رضي الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين
فليدبر القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أصال الله عز وجل
وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لانهائية لها وفي القرآن إشارة إلى مجامعها
واللغات في التعمق في تفصيلها راجع إلى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك بل كل ما أشكل
فيه على النظر واختلف فيه الخلاق في النظريات والقولان في القرآن إليه رموز ودلالات عليه
يجتس أهل الفهم بدركا فكيف يني بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

(الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل)

(١) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار تقدم في الباب الثالث من العلم (٢) حديث
الأخبار والآثار الدالة على أن في معاني القرآن متسا لأرباب الفهم تقدم قول على في الباب قبله إلا
أن يؤتى الله عبدا فهما في كتابه (٣) حديث إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا تقدم في قواعد
العقائد (٤) حديث تكرير النبي صلى الله عليه وسلم البسملة عشرين مرة تقدم في الباب قبله .

- ادع إلى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتي
هي أحسن - وقال
تعالى - قل هذه سبيلي
أدعو إلى الله على
بصيرة - فلهذه السبل
سابعة ولهذه الدعوات
قلوب قابلة لنها نفوس
مستعصية جامدة باقية
على خشونة طبيعتها
وجيبتها فليتها بنار
الإنذار والموعظة
والحداد ومنها نفوس
زكية من تربة طيبة
موافقة للقلوب قريية
منها لمن كانت نفسه
ظاهرة على قلبه دماء
بالموعظة - ومن كان
قلبه ظاهرا على نفسه
دعاه بالحكمة فالدعوة
بالموعظة أجاب بها
الأبرار وهي الدعوة
بذكر الجنة والنار
والدعوة بالحكمة أجاب
بها اللقرون وهي الدعوة
بتأويح منح القرب
وصفو للرفة وإشارة
التوحيد فلما وجدوا
التأويحات الحقايقية
والتحريجات الربانية
أجابوا بأرواحهم
وقلوبهم ونفوسهم

«اقرأوا القرآن واتمسوا غرابه» (١) وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طي كرم الله وجهه «والذي بشى بالحق نبيا لتفترقن أمي عن أصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلمة ضالة مضلة يدعون إلى النار فإذا كان ذلك فليكن بكتاب الله عز وجل فإن فيه نأ من كان قبلكم ونأ ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبارة فسمه الله عز وجل ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله عز وجل وهو جبل الله للتين ونوره البين وشفاهه النافع عصاة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يزوج فيقوم ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقض عجايبه ولا يخلق كثرة التردد» (٢) الحديث وفي حديث حذيفة «لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال قلت يا رسول الله لماذا تأمرني إن أدركت ذلك فقال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فأجبت عليه ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثا تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه فيه النجاة» (٣) وقال طي كرم الله وجهه من فهم القرآن فسر به جعل العلم ، أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجاميع العلوم كلها وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - يعني الفهم في القرآن . وقال عز وجل - ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما - متى ما آتاهما علما وحكما وخصص ما افترده به سليمان بالتفطن له باسم الفهم ونجمه مقدما على الحكم والعلم قبله الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالثبات وأن للنقل من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه فأما قوله صلى الله عليه وسلم : من فسر القرآن برأيه ونهيه عنه (٤) صلى الله عليه وسلم وقول أبي بكر رضي الله عنه أي أرض تقلى وأي ماء تظلى إذا قلت في القرآن برأى إلى غير ذلك مما ورد في الأخبار والآثار في النهي عن تفسير القرآن بالرأى فلا يخفى إما أن يكون المراد بالاعتصار على النقل والسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم أو المراد به أمرا آخر ، وباطل قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه لوجوه : أحدها أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومُسندا إليه وذلك مما لا يصادف إلا في بعض القرآن فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغي أن لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأى لأنهم لم يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم . والثاني أن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها ومما جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا لرد الباقي تخيل على القطع أن كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف التي في أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها قيل إن الر هي حروف من الرحمن وقيل إن الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون

(١) حديث اقرءوا القرآن واتمسوا غرابه ، ابن أبي شيبة في المصنف وأبو بكر بن الموصلي والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بلفظ أعربوا وسنده ضعيف (٢) حديث طي كرم الله وجهه «والذي بشى بالحق نبيا لتفترقن أمي عن أصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلمة ضالة مضلة يدعون إلى النار فإذا كان ذلك فليكن بكتاب الله عز وجل فإن فيه نأ من كان قبلكم ونأ ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبارة فسمه الله عز وجل ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله عز وجل وهو جبل الله للتين ونوره البين وشفاهه النافع عصاة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يزوج فيقوم ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقض عجايبه ولا يخلق كثرة التردد» (٣) الحديث وفي حديث حذيفة «لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال قلت يا رسول الله لماذا تأمرني إن أدركت ذلك فقال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فأجبت عليه ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثا تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه فيه النجاة» (٤) حديث طي كرم الله وجهه من فهم القرآن فسر به جعل العلم ، أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجاميع العلوم كلها وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - يعني الفهم في القرآن . وقال عز وجل - ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما - متى ما آتاهما علما وحكما وخصص ما افترده به سليمان بالتفطن له باسم الفهم ونجمه مقدما على الحكم والعلم قبله الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالثبات وأن للنقل من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه فأما قوله صلى الله عليه وسلم : من فسر القرآن برأيه ونهيه عنه (٤) صلى الله عليه وسلم وقول أبي بكر رضي الله عنه أي أرض تقلى وأي ماء تظلى إذا قلت في القرآن برأى إلى غير ذلك مما ورد في الأخبار والآثار في النهي عن تفسير القرآن بالرأى فلا يخفى إما أن يكون المراد بالاعتصار على النقل والسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم أو المراد به أمرا آخر ، وباطل قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه لوجوه : أحدها أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومُسندا إليه وذلك مما لا يصادف إلا في بعض القرآن فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغي أن لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأى لأنهم لم يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم . والثاني أن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها ومما جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا لرد الباقي تخيل على القطع أن كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف التي في أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها قيل إن الر هي حروف من الرحمن وقيل إن الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون

فصارت متتابعة الأحوال
إجابتهم قسما ومتابعة
الأعمال لإجابتهم قلبا
والتحقيق بالأحوال
إجابتهم. روحا وإجابة
الصوفية بالكل وإجابة
غيرهم البعض . قال
عمر رضي الله عنه :
رسم الله تعالى صيها
لو لم يخف الله لم يصح
يعنى لو كتب له كتاب
الأمان من النار حمله
صرف للفرقة بمثلهم
أمر الله على القيام
بواجب حق اليهودية
أداء لما عرف من حق
المنظمة لأجابة الصوفية
إلى الدعوة إجابة
الحب للمحجوب على
الذخيرة وذهاب السر
إجابة غيرهم على
للكابدة والمجاهدة
وهذه الإجابة يظهر
مع الساعات أثرها
في القيام بمخالف
الاستقامة والعبودية
قال الله تعالى - فأما من
أعطى واتقى وصديقي
بالحسن فتسيره
للهمسرى - قال بعضهم
أعطى الدارين ولم ير
شيئا واتقى القبر
والسبائك وصديقي

الكل مسموعا . والثالث أنه صلى الله عليه وسلم « دعا لابن عباس رضى الله عنه وقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ^(١) » فان كان التأويل مسموعا كالتأويل وحفظا . مثله لما معنى تخصيصه بذلك . والرابع أنه قال عز وجل - لعلمه الدين يستنبطونه منهم - فأثبت لأهل العلم استنباطا ومعلوم أنه وراء السماع . وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الجحال فيطلب أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحده عقله . وأما التمسك بأنه ينزل على أحد وجهين : أحدهما أن يكون له في الشيء رأى وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن لذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك للتمسك وهذا تارة يكون مع العلم كالمضى يخرج بعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذى يوافق غرضه ويرجع ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قدفسر برأيه أى برأيه هو الذى حمل على ذلك التفسير ولولا برأيه لما كان يرجع عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما يريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسعار فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم « تسحروا فان في السحور بركة ^(٢) » وزعم أن المراد به السحر بالتمسك وهو يعلم أن المراد به الأكل وكالذى يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى فيقول قال الله عز وجل - اذهب إلى فرعون إنطقى - ويشير إلى قلبه ويوصى إلى أنه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو غرض وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتثريب الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فيزولون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعاً أنها بخير مرادة به فهذه فنون أحد وجهي للنزاع من التفسير بالرأى ويكون المراد بالرأى الرأى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأى يتناول الصحيح والفاسد والوافق للهوى قد يخص باسم الرأى . والوجه الثانى أن يقسار إلى تفسير القرآن بظاهر العرية من غير استظهار بالسماع والنقل قبله يتعلق بخراب القرآن ومافيه من الألفاظ اللمعة والبدلة ومافيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فن لم يحكم بظاهر التفسير وبأد إلى استنباط للمعانى بمجرد فهم العرية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأى فالتقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولا ليقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط . والخراب الذى لا تفهم إلا بالسماع كثيرة ونحن نرمز إلى حمل منها ليستدل بها على أمثالها ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولا ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب أو يدعى فهم مقاصد الأمور كمن كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير يجرى مجرى تعليم اللغة التى لا بد منها للفهم ومالا بدقيه من السماع فنون كثيرة منها الإيجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى - وآتينا عودا لناقة مبصرة فظلموا بها - معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فانظر إلى ظاهر العرية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولم يدركوا أنهم عاذا ظلموا أو أنهم ظلموا غيرهم أو أقسمهم وقوله تعالى - وأشر بواقي قلوبهم بالعجل بكفرهم - أى حب العجل فحذف الحب وقوله عز وجل - إذا ذكنا كضف الحياة وضف المات أى ضف عذاب الأحياء وضف عذاب الموتى فحذف المذاب وأبدل الأحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز في فصيح

بالحسن أقام على طلب الزلق والآية قبل نزلت في أبى بصير الصديق رضى الله عنه ويلوح في الآية وجه آخر أعطى بالمواظبة على الأعمال واتقى الوسواس والهواجس وصدق بالحسن لازم الباطن بتصفية موارد الشهود عن مزاحمة لوث الوجود فسنيسره ليسرى تنفتح عليه باب السهولة في العمل والعيش والأنس وأمان من غل بالأعمال واستغنى امتلا بالأحوال وكتب بالحسن لم يكن في اللكوت بنفوذ بصيرته بالجوال فسنيسره ليسرى نسد عليه باب اليسر في الأعمال قال بعضهم إذا أراد الله بعبده مودة سدد عليه باب العمل وفتح عليه باب الكسل فلما أجابت نفوس الصوفية وقلوبهم وأرواحهم الدعوة ظاهرا وباطنا كان حظهم من العلم أوفر ونصيبهم من العرفة أكمل فبكانت أعمالهم أنكى وأفضل جادرجل

(١) حديث دعائه لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل تقدم في الباب الثانى من العلم

(٢) حديث تسحروا فان في السحور بركة تقدم في الباب الثالث من العلم .

إلى معاذ قال أخبرني
عن رجلين أحدهما اجتهد
في العبادة كثير العمل
قليل الذنوب إلا أنه
ضئيف اليقين يتوره
الشك قال معاذ
ليحبطن شكه عمله قال
فأخبرني عن رجل قليل
العمل إلا أنه قوي
اليقين وهو في ذلك
كثير الذنوب فسكت
معاذ فقال الرجل والله
لئن أبسط شك
الأول أعمال بره
ليحبطن يقين هذا
ذنوبه كلها قال فأخذ
معاذ يديم وقال ما رأيت
الذي هو أقدم من هذا
وفي وصية لقمان لابنه
يا بني لا استطاع العمل
إلا باليقين ولا يعمل الله
إلا بقدر يقينه ولا يقصر
عامل حتى يقصر يقينه
فكان اليقين أفضل
العمل لأنه أدهى إلى
العمل وما كان أدهى
إلى العمل كان أدهى
إلى العبودية وما كان
أدهى إلى العبودية
كان أدهى إلى القيام
بحق الربوبية وكال
الحظ من اليقين والطم
بأنه للصوفية والمطاء

الجنة وقوله تعالى - واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها - أي أهل القرية وأهل العير فالأهل
فيها محذوف مضمر وقوله عز وجل - ثقلت في السموات والأرض - معناه خفيت على أهل السموات
والأرض والتي إذا خفي ثقل فأبدل اللفظ به وأقيم في مقام على وأضرر الأهل وحلف وقوله تعالى
- ونجملون رزقكم أنكم تكذبن - أي شكر رزقكم وقوله عز وجل - آتينا ما وعدتنا على رسلك -
أي على السنة رسلك لحذف الألسنة وقوله تعالى - إنا آزلناه في ليلة القدر - أراد القرآن وما سبق له
ذكر وقال عز وجل - حتى توارث بالحجاب - أراد الشمس وما سبق لها ذكره وقوله تعالى - والذين
اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى - أي يقولون ما نعبدهم وقوله عز وجل - لعل
هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك - معناه
لا يفقهون حديثا يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله فإن لم يرد هذا كان مناقضا لقوله - قل كل من عند
الله - وسبق إلى الفهم منه ملهيب القدرة ومنها النقول للقلب كقوله تعالى - وطور سينين - أي طور
سيناء سلام على آل ياسين - أي على إلياس وقيل إدريس لأن في حرف ابن مسعود سلام على إدراسين ومنها
للكرر القاطع لوصول الكلام في الظاهر كقوله عز وجل - وما يتبع الدين يدعون من دون الله شركاء إن
يقبضوا إلا الظن - معناه وما يتبع الدين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن وقوله عز وجل - قال للآل
الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم - معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين
استضعفوا ومنها للتقدم وللؤخر وهو مظنة التلطف كقوله عز وجل - ولولا كلمة سبقت من ربك لكان
لزاما وأجل مسمى - معناه لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لزاما ولولا لكان فصيا كاللزام وقوله تعالى
- يسألونك كأنك حفي عنها - أي يسألونك عنها كأنك حفي بها وقوله عز وجل - لهم مغفرة ورزق
كريم - كما أخرجك ربك من بيتك بالحق - فهذا الكلام غير متصل وإنما هو مالد إلى قوله السابق - قل
الأنجال لله والرسول - كما أخرجك ربك من بيتك بالحق - أي فصارت أفعال التناهي لك إذ أنت راض
بمخرجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله عز وجل
- حتى تؤمنوا بالله وحده لا تقول لإبراهيم لأبيه الآية - ومنها للمبهم وهو اللفظ للتركيب بين معان من كلمة أو
حرف أما الكلمة فكأنش والقرين والأمة والروح ونظائرهما قال الله تعالى - ضرب الله مثلا عبدا
مملوكا لا يقدر على شيء - أراد به النفقة محارزق وقوله عز وجل - وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم
لا يقدر على شيء - أي الأمر بالعدل والاستقامة وقوله عز وجل - فان ابغضني فلا تنالني عن شيء - أراد
به من صفات الربوبية وهو العلوم التي لا يجهل السؤال عنها حتى يبتدى بها العارف في أو أن الاستحقاق
وقوله عز وجل - أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون - أي من غير خالق فرما يتوهم به أنه يدل على أنه
لا يخلق شيء إلا من شيء - وأما القرين فكقوله عز وجل - وقال قرينه هذا ما لدي عتيد - ألقيا في جهنم
كل كفار - أراد به الملك للوكل به وقوله تعالى - قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان - أراد به
الشیطان - وأما الأمة فتطلق على رعاية أوجه الأمة الجماعة كقوله تعالى - وجد عليه أمة من الناس
يسقون - وأتباع الأنبياء كقوله تعالى نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورجل جامع للخير يقتدى به
كقوله تعالى - إن إبراهيم كان أمة قانتا لله - والأمة الذين كقوله عز وجل - إنا وجدنا آباءنا على
أمة - والأمة الحين والزمان كقوله عز وجل - إلى أمة معدودة - وقوله عز وجل - وادكر بعدامة -
والأمة القامة يقال فلان حسن الأمة أي القامة ، وأمة رجل منفرد بدین لا يشركه فيه أحد قال صلى الله
عليه وسلم « يث زيد بن عمرو بن نفيل أمة واحدة » (١) والأمة الأم يقال ههنا أمة زيد أي أم زيد.

(١) حديث يث زيد بن عمرو بن نفيل أمة واحدة ن في الكبرى من حديث زيد بن حارثة وأسماء.

والروح أيضا ورد في القرآن على معان كثيرة فلا تطول بارادها وكذلك قد يقع الإيهام في الحروف مثل قوله عز وجل - فأتزّن به سمعاً فوسطن به جمعا - فالهاء الأولى كناية عن الحوافر وهي اللوريات أي أذن بالحوافر سمعا . والثانية كناية عن الاغارة وهي الفيزرات سمعاً فوسطن به جمعا جمع الشركين فأغاروا بجمعهم وقوله تعالى - فأتزّن به الماء - يعني السحاب - فأخرجنا به من كل الثمرات - يعني الماء وأمثال هذا في القرآن لا ينحصر . ومنها التدرج في البيان كقوله عز وجل - شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن - إذ لم يظهر بمأته ليلة ونهار وبأن بقوله عز وجل - إنا أنزلناه في ليلة مباركة - ولم يظهر به أي ليلة فظهر بقوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - وربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وأمثاله مما لا ينفي فيه إلا النقل والسماح فالقرآن من أوله إلى آخره غير خال من هذا الجنس لأنه أنزل بلغة العرب فكان مشتملا على أصناف كلامهم من إعجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفحما لهم ومجزا في حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر المرية وبادر إلى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماح والنقل في هذه الأمور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه مثل أن يفهم من الأمة للنبي الأشهر منه فيميل طبعه ورأيه إليه فإذا سمع في موضع آخر مال برأيه إلى ماسمه من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثير معانيه فهذا ما يمكن أن يكون منها عنه دون التفهم لأسرار المعاني كما سبق فإذا حصل السماع بأمثال هذه الأمور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو أن الله عز وجل قال - وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى - فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه إثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر مالم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم رماء الله عز وجل وكذلك قال تعالى - قاتلواهم بدينهم الله بأيديكم - فإذا كانوا هم للقائين كيف يكون الله سبحانه هو للعدب وإن كان الله تعالى هو للعدب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال لحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم للكشافات لا ينفي عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة وفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل حتى يكشف بعد إضاح أمور كثيرة غامضة صدق قوله عز وجل - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - ولعل المرسلوا اتفقوا في استكشاف أسرار هذا المعنى وما يرتبط به من معانيه ولو اختلفوا في لافضي المرسل استيفاء جميع لواحقه وما من كلمة من القرآن إلا وتحقيقها مخرج إلى مثل ذلك وإنما ينكشف للراغبين في العلم من أسرارهم بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقى إلى درجة أعلى منه فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والأشجار أقلاما فأسرار كتاب الله لانهائية لما فتند الأبحر قبل أن تنفذ كلمات الله عز وجل فمن هذا الوجه تفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا ينفي عنه ومثاله فهم بعض أرباب القلوب من قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده « أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ^(١) » وأنه قيل له اسجد واقترب فوجد القرب في السجود فظفر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضوا والسخط وصفان ثم زاد قربه فأندرج القرب الأول فيه فرقى إلى الذات فقال أعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استعياه من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى التناء فأنقذ بقوله لا أحصى ثناء عليك ثم علم أن ذلك قصور فقال أنت كما أثنيت على نفسك فهذه خواطر نفتح لأرباب القلوب ثم لها أغوار وراء هذا بنت أبي بكر باسنادين جيدين (١) حديث قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده « أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك الحديث مسلم من حديث عائشة .

الراغبين فبان بذلك فضلهم وفضل علمهم . ثم إلى أصور مسئلة يستبين بها للتعبر فضل العالم الزاهد العارف بصفات نفسه على غيره عالم دخل مجلسا وقد وميز لنفسه مجلسا يجلس فيه كما في نفسه من اعتقاده في نفسه لمحله وعلمه فدخل داخل من أبناء جنسه وقد فوقه فانصر العالم وأظلمت عليه الدنيا ولو أمكنه لبطش بالداخل فهذا عارض عرض له ومرض اعتراه وهو لا يظن أن هذه علة غامضة ومرض يحتاج إلى الداولة ولا يتفكر في منشأ هذا المرض ولو علم أن هذه نفس ثارت وظهرت يجهلها ويجهلها لوجود كبرها وكبرها برؤية نفسها خيرا من غيرها فلم الانسان أنه أكبر من غيره كبر وإظهاره ذلك إلى الفعل تكبر حيث انصرف صار فلا به تكبر الزاهد لا يميز نفسه جي دون

للسلبي ولا يرى نفسه
في مقام تميز غيرها
يجلس فالصوق العالم
مخصوص بميز ولوقدر
له أن يتلى بمثل هذه
الواقعة وينصر من
تقدم غيره عليه وترفعه
يرى النفس وظهورها
ويرى أن هذا داء
وأنة إن استرسل فيه
بالإسفاف إلى النفس
وانصارها صار ذلك
ذنب حاله فيرفع في
الحال داءه إلى الله تعالى
ويشكو إليه ظهور
نفسه ويحسن الإنابة
ويقطع دابر ظهور
النفس ويرفع القلب
إلى الله تعالى مستغنيا
من النفس فيشغله
اشتغاله برؤية داء
النفس في طلب دوائها
من التكسر فيمن
قصد فوقه وربما
أقبل على من قصد
فوقه بمزيد التواضع
والانكسار فكفيرا
للذنب الوجودي ودوايا
لدائه الحاصل . فتبين
بهذا الفرق بين
الرجلين فإذا اعتبر
المنبر وتفقد حال نفسه
في هذا المقام يرى

وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة صفة ومنه به وأسرار ذلك
كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول
إلى لبابه عن ظاهره فهذا ما نوردته لفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم . تم كتاب آداب
التلاوة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين
وعلى آل محمد ومحبيه وسلم . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأذكار والدعوات والله المستعان لا رب سواه .

(كتاب الأذكار والدعوات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشاكر آفته العامة رحمة الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى - فاذكروني
أذكركم - ورغبهم في السؤال والثناء بأمره فقال - ادعوني استجب لكم - فأطمع للطبع والعاصي
والهاني والقاصي في الانبساط إلى حضرة جلالة برفع الحاجات والأمان بقوله - فإني ترهب أجيب دعوة
الداع إذا دعان - والصلاة على محمد سيد أنبيائه وآله وأصحابه خيرة أصفائه وسلم تسليما كثيرا .
[أما بعد] فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدي باللسان أفضل من ذكر الله تعالى
ورفع الحاجات بالأدعية الخاصة إلى الله تعالى فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل
في أعيان الأذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل للأثر من الدعوات الجامعة لمقاصد
الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ويحذر للقصور من ذلك بذكر
أبواب خمسة . الباب الأول : في فضيلة الذكر وفالديه جملة وتفصيلا . الباب الثاني : في فضيلة
الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . الباب الثالث : في أدعية
مأثورة ومعزية إلى أصحابها وأسبابها . الباب الرابع : في أدعية منتخبة مهدوقة الاسناد من الأدعية
للمأثورة . الباب الخامس : في الأدعية للمأثورة عند حدوث الحوادث .

(الباب الأول : في فضيلة الذكر وفالديه جملة وتفصيل من الآيات والأخبار والآثار)

ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله سبحانه وتعالى - فاذكروني أذكركم - قال ثابت البناني
رحمه الله إنني أعلم من يذكرني ربي عز وجل فزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرتم ذكرني
وقال تعالى - اذكروا الله كثيرا - وقال تعالى - فإذا أنضم من عرفات فاذكروا الله عند الشمر
الحرام واذكروه كأهداكم - وقال عز وجل - فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا الله كذا ذكركم آباءكم أو
أشد ذكرا - وقال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم - وقال تعالى - فإذا قضيتُم
الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم - قال ابن عباس رضي الله عنهما أي بالليل والنهار في البر
والبحر والسفر والحضر والغي والفقر والرض والصحة والسر والعلة وقال تعالى في ذم المنافقين - ولا
يذكرون الله إلا قليلا - وقال عز وجل - واذكروا ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالندو
والأصا ولا تسكن من المنافقين - وقال تعالى - ولله ذكر الله أكبر - قال ابن عباس رضي الله عنهما له وجهان
أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه إلى
غير ذلك من الآيات . وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في الغافل كالشجرة
الحضراء في وسط المشيم ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في الغافل كالقنابل بين الفاربين »

(كتاب الأذكار والدعوات)

الباب الأول في فضيلة الذكر

(١) حديث ذاكر الله في الغافل كالشجرة الخضراء في وسط المشيم أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من

وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل أنامع عبدي ماذا كرتي وتحركت شفتاهي (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما عمل ابن آدم من عمل أحبه من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أحب أن يرمح في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل (٣) » . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل فقال « أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله أصبح وتمسى وليس عليك خطيئة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « فذكر الله عز وجل بالنداء والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحاً (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملائكتي ذكرته في ملائكتي وإذا خرب مني شبرا تقربت منه ذراعاً وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً وإذا مشى إلى هرولت إليه (٧) » يعني بالهرولة سرعة الإجابة وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خالياً قضاة عيانه من خشية الله (٨) » وقال أبو البرداء قال رسول الله ﷺ « ألا أنبشكم بغير أعمالكم وأنزهاكم عنكم بغير أعمالكم وأرضها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال ذكر الله عز وجل دائماً (٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل من شغلته ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل مما أعطى السائلين (١٠) » .

حديث ابن عمر بسند ضعيف وقال في وسط الشجر الحديث (١) حديث يقول الله تعالى أنا مع عبدي ماذا كرتي وتحركت شفتاهي هـ حب من حديث أبي هريرة وك من حديث أبي البرداء وقال صحيح الإسناد (٢) حديث ما عمل ابن آدم من عمل أحبه من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثلاث مرات ابن أبي شيبة في اللصنف والطبراني من حديث معاذ بإسناد حسن (٣) حديث من أحب أن يرمح في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى ابن أبي شيبة في اللصنف والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف ورواه الطبراني في الدعاء من حديث أنس وهو عند بلطف إذا مررتهم برياض الجنة فارتعوا وقد تقدم في الباب الثالث من العلم (٤) حديث سئل أي الأعمال أفضل قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى حب وطب في الدعاء والبهقي في الشعب من حديث معاذ (٥) حديث أمس وأصبح ولسانك رطب بذكر الله أصبح وتمسى وليس عليك خطيئة أبو القاسم الأصبهاني في الترفيب والترهيب من حديث أنس من أصبح وأمس ولسانه رطب من ذكر الله أصبح وتمسى وليس عليه خطيئة وفيه من لا يعرف (٦) حديث فذكر الله بالنداء والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحاً ورواه من حديث أنس بسند ضعيف في الأصل وهو معروف من قول ابن عمر كلوا من ابن عبد البر في التمهيد (٧) حديث قال الله عز وجل إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خالياً قضاة عيانه متفق عليه من حديث أبي هريرة أيضاً (٩) حديث ألا أنبشكم بغير أعمالكم وأنزهاكم عنكم بغير أعمالكم وأرضها في درجاتكم الحديث ت هـ ك وصحح إسناده من حديث أبي البرداء (١٠) حديث قال الله تعالى من شغلته ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل مما أعطى السائلين ح في التاريخ والبراز في للسند والبهقي في الشعب من حديث عمر بن

نفسه كنفوس عوام الخلق وطالب للناسب النبوية فأى فرق بينه وبين غيره ممن لا علم له ولو أكثرنا تصوير للسائل لتبرهن فضيلة الزاهد بن وتقصان الراغبين لأورث اللال وهذه من أوائل علوم الصوفية ما ظنك بنفائس علومهم وشراف أحوالهم والله للوفى للصواب .

[الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طرقهم]

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن علي قال أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم المروى قال أنا أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياق قال أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي قال أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي قال حدثنا مسلمة بن حاتم

الأنصاري قال حدثنا
محمد بن عبد الله
الأنصاري عن أبيه
عن علي بن زيد عن
سعيد بن السيب قال :
قال أنس بن مالك
رضي الله عنه قال لي
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « يا بني إن
قدوتك أن تصح وتعي
وليس في قلبك غش
لأحد فافعل ثم قال يا بني
وذلك من صفق ومن
أحيائك قد أحياني
ومن أحيائي كان معي
في الجنة » وهذا أثر
شرف وأكل فضل
أخبر به الرسول صلى
الله عليه وسلم في حق
من أحيائهم استمطاف الصوفية
هم الذين أحيوا هذه
السنة وطهارة الصدور
من الفل والنفس عماد
أمرهم وبذلك ظهر
جوهرهم وبان فضلكم
ولما قدروا على إحياء
هذه السنة ونهضوا
بواجب حقها لخدمهم
في الدنيا وتركها للأزليين
وطالبها لأضياف القل
والنفس حية الدنيا
دعوية الرقة والفرجة
عند الناس والصوفية

وأما الآثار : فقد قال الفضيل بننا أن الله عز وجل قال يا عبادي اذكروني بعد الصبح ساعة
وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما وقال بعض العلماء إن الله عز وجل يقول أجمعاً عبد اطلعت
على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى تولى سياسة وكنت جليسه ومحامده وأنبسه وقال
الحسن بن علي ذكر أن : ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره
وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل ويرى « إن كل نفس تخرج من الدنيا
عطشى إلا ذاكر الله عز وجل » وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ليس يتحصر أهل الجنة على شيء
إلا على ساعة مرت بهم لم يذكر الله سبحانه فيها ، والله تعالى أعلم .

(فضيلة مجالس الذكر)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جلس قوم مجلساً يذكر الله عز وجل إلا خفت بهم
للائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من
قوم اجتمعوا يذكر الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً
لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات (٢) » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم « ما قد قوم مقعداً لم يذكر الله
سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة (٣) »
وقال داود بن أبي سليمان : لم يزل إذا رأيته أجوز مجالس الذكر إلى مجالس التافلين فأكبر
رجلي دونهم قائماً نعمة تتم بها علي . وقال صلى الله عليه وسلم « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي
ألف مجلس من مجالس السوء (٤) » وقال أبو هريرة رضي الله عنه إن أهل السماء ليرآون بيوت
أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة رحمه الله إذا
اجتمع قوم يذكر الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين ما يستعملون
تقول الدنيا دعهم فاتهم إذا غرقوا أخذت بأعناقهم إليك وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل
السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في للسجد فذهب الناس إلى
السجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثاً يقسم في للسجد قال فإذا رأيتم
قالوا رأينا قوماً يذكر الله عز وجل ويقرءون القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله
عليه وسلم (٥) وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال « إن الله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس فإذا
وجدوا قوماً يذكر الله عز وجل تادوا هلوا إلى بيتكم فيحيون فيخفون بهم إلى السماء

الخطاب وفيه صفوان بن أبي الصفا ذكره حب في الضعفاء وفي التفات أيضاً (١) حديث ما جلس قوم
مجلساً يذكر الله تعالى إلا خفت بهم للائكة وغشيتهم رحمة وذكرهم الله فيمن عنده م من حديث
أبي هريرة (٢) حديث ما من قوم اجتمعوا يذكر الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم
مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات أحمد وأبو يعلى والطبراني بسند ضعيف
من حديث أنس (٣) حديث ما قد قوم مقعداً لم يذكر الله ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم
حسرة يوم القيامة ت وحسنه من حديث أبي هريرة (٤) حديث المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي
ألف مجلس من مجالس السوء ذكره صاحب التردوس من حديث ابن وداعة وهو مرسل ولم يخرج
ولم يروى وكذلك لم أجده إلا في (٥) حديث أبي هريرة أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا
وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في للسجد فذهب الناس إلى للسجد وتركوا السوق
الحديث الطبراني في المعجم الصغير بإسناد فيه جهالة أو اختطاع .

فيقول الله تبارك وتعالى أى شئ تركتم عبادى يصنعونه فيقولون تركناهم يعبدونك ويعبدونك ويسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأونى فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأونى فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسيحا وتعبيدا وتعبيدا فيقول لهم من أى شئ يتعبدون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد فقرا فيقول الله عز وجل وأى شئ يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أعد عليها حرصا فيقول جل جلاله إني أعهدكم أنى قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردم إنما جاء لحاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم (١) .

(فضيلة التهليل)

قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ما قلت أنا والتبيون من قبل لا إله إلا الله وحده لا شريك له (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد توشأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم كآنى أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا لأبي هريرة « يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فاتها لا توضع في ميزان لو وضعت في ميزان من قالمها صادقا وضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك (٦) »

(١) حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري عن صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس الحديث رواه ت من هذا الوجه والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة وحده وقد تقدم في الباب الثالث من العلم (٢) حديث أفضل ما قلته أنا والتبيون من قبل لا إله إلا الله الحديث تقدم في الباب الثاني من الحج (٣) حديث من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير مائة مرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث مامن عبد توشأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث د من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم في الطهارة (٥) حديث ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور الحديث أبو يلى والطبرانى والبيهقى في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٦) حديث يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فاتها لا توضع في ميزان لو وضعت في ميزان من قالمها صادقا وضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك ، قلت وصية أبي هريرة هذه موضوعة وآخر الحديث رواه المستغفرى في الدعوات ولو جعلت لا إله إلا الله وهو معروف من حديث أبي سعيد مرفوعا لو أن السموات السبع وحمارهن غيري والأرضين السبع في كفة مالت بهن لا إله إلا الله رواه ن في اليوم واليلة وحسبك وك وصححه .

زهدوا في ذلك كله كما قال بعضهم طرقتنا هذا لا يصلح إلا لأقوام كنت بأرواحهم للزابل فلما سقط عن قلوبهم حبة الدنيا وجب الرفعة أصبحوا وأمسوا وليس في قلوبهم غش لأحد يقول القائل كنت بأرواحهم للزابل إشارة منه إلى غاية التواضع وأن لا يرى نفسه تميز عن أحد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعند هذا يندب باب النش والنسل وجرت هذه الحسابة وقال بعض الفقهاء من أصحابنا وقع على أن معنى كنت بأرواحهم للزابل أن الإشارة بالزابل إلى النفوس لأنها مأوى كل رجس ونجس كالمزبلة وكفها بنور الروح الواصل إليها لأن الصوفية أرواحهم في حال القرب ونورها يسرى إلى النفوس وبوصول نور الروح إلى النفس تطهر النفس ويذهب عنها اللزوم

من الفلواتش والحمد
والحمد فكأنها
تكس نور الروح
وهذا للحي صحيح
وإن لم يرد القائل بقوله
ذلك . قال الله تعالى
في وصف أهل الجنة
سوزعنا ما في صدورهم
من غل إخوانا على
سرر متقابلين - قال
أبو حنيفة كيف يلقى
الفل في قلوب التلبيذ
بالله وانفتحت على محبة
واجتمعت على مودته
وأنت بذكره إن
تلك قلوب صافية من
هواجس النفوس
وظلمات الطباع بل
كملت بنور التوفيق
فصارت إخوانا فالحق
حجابهم عن التلبيذ
إحياء سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قولوا وفضلوا بالصفات
فوسم فإذا بدلت
نفوس النفس ارتفع
الحجاب وفتح للتوبة
ووقت للواقعة في كل
شيء مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ووجبت
الحبة من الله تعالى
عند ذلك قال الله تعالى
- قل إن كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحكم

وقال صلى الله عليه وسلم « لوجاء قائل لا إله إلا الله صادقاً بقراب الأرض ذنوباً لغفر الله له ذلك (١) » وقال
صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة لقن للوثق شهادة أن لا إله إلا الله فاتمها تهتم الذنوب هدماً قلت
يا رسول الله هذا الموت فكيف للأحياء قال صلى الله عليه وسلم : هي أهدم وأهدم (٢) » وقال صلى
الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لتدخلن الجنة
كلكم إلا من أبى وشرد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله فقيل يا رسول الله من الذي أبى وشرد
عن الله قال من لم يقل لا إله إلا الله (٤) » فأكثرنا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فاتمها
كلمة التوحيد وهي كلمة الإخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى
وهي عن الجنة « وقال عز وجل - هل جزاء الإحسان إلا الإحسان - قيل الإحسان في الدنيا قول لا إله
إلا الله وفي الآخرة الجنة وكذا قوله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - وروى البراء بن عازب أنه
صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له لله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
عشر مرات كانت له عدل رقبة أو قال نسمة (٥) » وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال في يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له لله الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسفه أحد كان قبله ولا يدركه أحد كان بعده إلا من عمل بأفضل من عمله (٦) »

(١) حديث لوجاء حامل لا إله إلا الله صادقاً بقراب الأرض ذنوباً لغفر الله له غريب بهذا اللفظ .
ولترمذي في حديث أنس يقول الله يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا شريك
بي شيئاً لأتيناك بقرابها مغفرة . ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أنس يارب ماجزاء من هلك
مخلصاً من قلبه قال جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمه من الذنوب وفيه إقطاع (٢) حديث يا أبا هريرة
لقن للوثق شهادة أن لا إله إلا الله فاتمها تهتم الذنوب الحديث أبو منصور الهيثمي في مسند الفردوس من
طريق ابن القري من حديث أبي هريرة وفيه موسى بن وردان مختلف فيه ورواه أبو يعلى من
حديث أنس بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين من حديث الحسن مرسل (٣) حديث
من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة الطبراني من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف (٤) حديث
تدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد عن الله شرود البعير على أهله البخاري من حديث أبي
هريرة كل أمق يدخلون الجنة إلا من أبى . زادك وصحبها وشرد على الله شرود البعير على أهله قال
البخاري قالوا يا رسول الله ومن أبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ولابن عدي
وأبي يعلى والطبراني في الدعاء من حديث أكثرنا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها وفيه
ابن وردان أيضاً ولأبي الشيخ في الثواب من حديث الحكم بن عمار التلبيذ مرسل إذا قلت لا إله إلا الله
وهي كلمة التوحيد الحديث والحكم ضعيف ولأبي بكر بن الضحاك في التلبيذ من حديث ابن مسعود
في إجابة المؤذن اللهم رب هذه الدعوة المجابة للاستجابة لها دعوة الحق وكلمة الإخلاص ولابن عدي من
حديث ابن عمر في إجابة المؤذن دعوة الحق والطبراني في الدعاء عن عبد الله بن عمرو كلمة الإخلاص لا إله
إلا الله الحديث والطبراني من حديث سلمة بن الأكوع وأئمتهم كلمة التقوى قال لا إله إلا الله والطبراني
في الدعاء عن ابن عباس كلمة طيبة قال شهادة أن لا إله إلا الله وله عنه في قوله دعوة الحق قال شهادة أن لا إله
إلا الله وله عنه قد استمسك بالعروة الوثقى قال لا إله إلا الله ولابن عدي والستعمري من حديث أنس
عن الجنة لا إله إلا الله ولا يصح شيء منها (٥) حديث البراء من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث
الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وهو في مسند أحمد دون قوله عشر مرات (٦) حديث عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال في كل يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده

وقال صلى الله عليه وسلم « من قال في سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبغره بيتا في الجنة » وروى « إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتمت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا احتسبها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبها (١) » وفي الصحيح عن أبي أيوب عن النبي ﷺ أنه قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعنتى أربعة أنفس من ولد اسمعيل صلى الله عليه وسلم (٢) » وفي الصحيح أيضا عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من تمار من الليل قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبعان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والذكر كبير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي فغفر له أو دعا استجيب له فإن عوصا وصلى قبلت صلاته (٣) » .

(فضيلة التسييح والتحميد وبية الأذكار)

قال صلى الله عليه وسلم « من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وختم لليلة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر (٤) » وقال ﷺ « من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت به خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر (٥) » وروى « أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تولى عن الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله ﷺ فأبذ أنت من صلاة لللائكة وتسييح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت وماذا يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبعان الله العظيم استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تضيئ المصباح تأتيك الدنيا راغمة ضاغرة ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا قال العبد الحمد لله ثلاث مائة مائة من السماء والأرض فإذا قال الحمد لله الثانية ثلاث مائة من السماء السابعة إلى الأرض السفلى فإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله عز وجل سل تعطى (٧) » قال درة الزرقى « كتابوما صلى وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال مع الله من خدته

لا شريك له الحديث أحمد بلفظ مائة وكذا رواه ك في الاستدرك وإسناده جيد وهكذا هو في بعض نسخ الإحياء (١) حديث إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتمت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا احتسبها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إليها أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث أبي أيوب من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعنتى أربعة أنفس من ولد اسمعيل متفق عليه (٣) حديث عبادة بن الصامت من تمار من الليل قال لا إله إلا الله الحديث رواه (٤) حديث من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين الحديث م من حديث أبي هريرة (٥) حديث من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال تولى عن الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبذ أنت عن صلاة لللائكة وتسييح الخلائق وبها يرزقون الحديث للاستغفر في الدعوات من حديث ابن عمر وقال غريب من حديث مالك ولا أعرف له أصلا في حديث مالك ولأحمد من حديث عبد الله بن عمرو أن نوحا قال لا إله إلا الله الحمد لله سبعان الله والحمد لله ثلاث مائة مائة من السماء والأرض فإذا قال الحمد لله الثانية ثلاث مائة من السماء السابعة إلى الأرض وإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعطى هذا اللفظ لم أجده

الله - جعل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية عبادة له وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول عبادة الله إياه فأوفر الناس حظا من متابعة الرسول أو فرح حظا من عبادة الله تعالى والصوفية من بين طوائف الإسلام ظفروا بحسن المتابعة لأنهم اتبعوا أقواله فقاموا بما أمرهم ووقفوا عما نهاهم قال الله تعالى - وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم الرسول فانتهوا - ثم اتبعوه في أعمالهم من راجد والاجتهاد في العبادة والتهجد والنوافل من الصوم والصلاة وغير ذلك ورزقوا ببركة المتابعة في الأنوال والأفعال والتخلق بأخلاقه من الحياء والحلم والصفح والخوف والرافة والشفقة وللدأرة والنصيحة والتواضع ورزقوا قسطا من أحواله من الخشية والسكينة والحيمة والتعظيم والرضا والصبر

قال رجل وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته قال من التكلم آثما قال أنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أولا^(١) وقال رسول الله ﷺ «الباقيات الصالحات من لإله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر^(٣)» رواه بن عمر وروى الثعلبي بن بشر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «الذين يذكرون من جلال الله وتسيحه وتكبيره وتحميده ينمطون حول العرش لمن دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبه أولا يجب أحدكم أن لا يزال عند الله ما يذكر به^(٤)» وروى أبو هريرة أنه ﷺ قال «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس^(٥)» وفي رواية أخرى زاد لا حول ولا قوة إلا بالله وقال هو خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت^(٦)» رواه حمزة بن جندب وروى أبو مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ لليزان وسبحان الله والله أكبر يملأ ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حبة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فويعها أو مشترا نفسه فتمتعا^(٧)» وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «كتمان خفيئتان على اللسان تقيتان في لليزان جبيتان إلى الرحمن سبحان الله وبه الحمد سبحان الله العظيم^(٨)» وقال أبو ذر رضي الله عنه «قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الكلام أحب إلى الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم ما اصطفتي الله سبحانه لئلا يكتفه سبحانه الله وبه الحمد سبحان الله العظيم^(٩)» وقال

(١) حديث رفاعة الزرقى كنا يومنا صلى وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث رواه خ -
(٢) حديث الباقيات الصالحات من لإله إلا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ن في اليوم واليلة وجب لك وصحة من حديث أبي سعيد ون ك من حديث أبي هريرة دون قوله ولا حول ولا قوة إلا بالله (٣) حديث ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ك من حديث عبد الله ابن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم وهو عند حسن ون في اليوم واليلة مختصرا دون قوله سبحان الله والحمد لله (٤) حديث الثعلبي بن بشر الذين يذكرون من جلال الله وتسيحه وتكبيره وتحميده ينمطون حول العرش له دوى كدوى النحل يذكر صاحبه الحديث ه وك وصحة على شرط م (٥) حديث أبي هريرة لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس وزاد في رواية ولا حول ولا قوة إلا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها م باللفظ الأول والمستغرق في الدعوات من رواية مالك بن دينار أن أبا أمامة قال لني صلى الله عليه وسلم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير من الدنيا وما فيها قال أنت أغنى القوم وهو مرسل جيد الاسناد (٦) حديث حمزة بن جندب أحب الكلام إلى الله أربع الحديث رواه م (٧) حديث أبي مالك الأشعري الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ لليزان الحديث رواه م وقد تقدم في الطهارة (٨) حديث أبي هريرة كتمان خفيئتان على اللسان الحديث متفق عليه (٩) حديث أبي ذر أي الكلام أحب إلى الله قال ما اصطفتي الله لئلا يكتفه سبحانه الله وبه الحمد سبحان الله العظيم رواه م دون

والزهد والتوكل
فاستوفوا جميع أقسام
النايات وأحبوا سنته
بأقصى النيات . قيل
لعبد الواحد بن زيد
من الصوفية عندك ؟
قال القائمون بقولهم
على فهم السنة
والماكنون عليها
بقولهم وللمتصمون
بيدهم من شرهوسهم
هم الصوفية وهذا
وصف تام وصفهم به
فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دائم
الافتقار إلى مولاة حق
يقول لا تسكنني إلى
نفس طرفة عين
اكلاقي كلاله الوليد
ومن أشرف ما ظفربه
الصوفي من متابعة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا الوصف
وهو دوام الافتقار
ودوام الاتجاء ولا
ينحقق بهذا الوصف
من صدق الافتقار
إلا عبد كوشف باطنه
بصفاء للعرقه وأشرق
صدره بنور اليقين
وخلص قلبه إلى بساط
القربى وخلصه من بلاد
السامية فبقيت نفسه

أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى اصطفى من الكلام سبحانه الله والمحدثه ولا إله إلا الله والله أكبر ^(١) » فإذا قال العبد سبحانه الله كتبت له عشرون حسنة ونحط عنه عشرون سيئة وإذا قال الله أكبر فمثل ذلك وذكر إلى آخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال سبحانه الله وبمحمد غرسته نخلة في الجنة ^(٢) » وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال قال الفقراء لرسول الله ﷺ « ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصل ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به إن لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة وتهليلة صدقة وتكبير صدقة وأمر بمعرفة صدقة ونهى عن منكر صدقة ووضع أحدكم القمعة في قباله فهي له صدقة وفي يضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال صلى الله عليه وسلم أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر قالوا نعم قال كذلك إن وضعها في الحلال كان له فيها أجر ^(٣) » وقال أبو ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم « سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما تقول وينفقون ولا تنفق قال رسول الله ﷺ أفلا أدرك على عمل إذا أنت عملته أدركت من قبلك وقت من بعدك إلا من قال مثل قولك تسبيح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمدا ثلاثا وثلاثين وتكبيرا أربعاً وثلاثين ^(٤) » وروى بسيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عليكن بالتسبيح والتحليل والتفليس ولا تغفلن واعتدن بالأعمال فاتها مستطقات ^(٥) » يعني بالشهادة في القيامة وقال ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتي بالتسبيح ^(٦) وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما عهد عليه أبو هريرة وأبو معبد الخدري « إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله عز وجل صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال العبد لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال تعالى صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله سبحانه صدق عبدي لا حول ولا قوة إلا بي ومن ظلمن عند الموت لم يسمعه النار ^(٧) » وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه ﷺ أنه قال « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة ^(٨) »

قوله سبحانه الله العظيم (١) حديث إن الله اصطفى من الكلام سبحانه الله والمحدثه الحديث ن في اليوم واليلة وك وقال صحيح على شرط م وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد إلا أنهما قالوا في ثواب الحديث كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة (٢) حديث جابر من قال سبحانه الله وبمحمد غرسته نخلة في الجنة ت وقال حسن ون في اليوم واليلة وحب وك وقال صحيح على شرط م وصححه (٣) حديث أبي ذر قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصل ويتصدقون بفضول أموالهم قال رسول الله ﷺ أفلا أدرك على عمل إذا أنت عملته أدركت من قبلك وقت من بعدك إلا من قال مثل قولك تسبيح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمدا ثلاثا وثلاثين وتكبيرا أربعاً وثلاثين (٤) وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه ﷺ أنه قال « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة (٥) »

قوله سبحانه الله العظيم (١) حديث إن الله اصطفى من الكلام سبحانه الله والمحدثه الحديث ن في اليوم واليلة وك وقال صحيح على شرط م وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد إلا أنهما قالوا في ثواب الحديث كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة (٢) حديث جابر من قال سبحانه الله وبمحمد غرسته نخلة في الجنة ت وقال حسن ون في اليوم واليلة وحب وك وقال صحيح على شرط م وصححه (٣) حديث أبي ذر قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصل ويتصدقون بفضول أموالهم قال رسول الله ﷺ أفلا أدرك على عمل إذا أنت عملته أدركت من قبلك وقت من بعدك إلا من قال مثل قولك تسبيح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمدا ثلاثا وثلاثين وتكبيرا أربعاً وثلاثين (٤) وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه ﷺ أنه قال « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة (٥) »

بين هذه الأشياء كلها أسيرة مأمورة ومع ذلك كله يراها مأوى كل شروحي بتأية النار لو بقيت منها شرارة أحرقت عالمي وهي وعيك الرجوع سريسة الانقلاب والاقبال فاقه تعالى بكال لطفه عرفها إلى الصوفي وكشفها له على شيء من معنى ما كشفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دائم الاستغاثة إلى مولاه من شرها وكانها جعلت سوطا لعبد تسوقه لمعرفته بشرها مع اللحظات إلى جناب الالتجاء وصدق الافتقار والدعاء فلا يغفل الصوفي عن مطالعتها أدنى ساعة كما لا يغفل عن ربه أدنى ساعة وربط معرفة الله تعالى فيها ورد من عرف نفسه فقد عرف ربه كربت معرفة الليل بمعرفة النهار ومن الذي يقوم بأحياء هذه السنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير الصوفي العالم بالله الواحد في الدنيا التمسك من

التقوى بأوثق العرى
ومن الذى يتهدى
إلى فائدة هذه الحال
غير الصوفى قدوم
افتقار إلى ربه تمسك
بجناب الحق وليأذبه
وفي هذا الباب استغراق
الروح واستتباع القلب
إلى محل الدعاء وفى
اتحاد القلب إلى محل
الدعاء بلسان الحال
والكون فيه نبوة
النفس عن مستغرها
من الأقسام العاجلة
وتزولها إليها فى مدارج
العلم مخوفة بحراسة
الله تعالى ورعايته
والنفس الدبيرة بهذا
التدبير من حسن
تدبير الله تعالى مأمونة
القائلة من الغل والنس
والخقد والحدوساثر
المنومات فهذا حال
الصوفى. ويجمع حمل
حال الصوفية شيئا ن:
هما وصف الصوفية
واللهما الإشارة بقوله
تعالى - الله يجتبي إليه
من يشاء ويهتدى
إليه من ينيب - تقوم
من الصوفية خصوا
بالاجتناب الصرف
وقوم منهم خصوا

وقال صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله بن قيس أيا أباه وسى أولا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال قل لا حول ولا قوة إلا بالله (١) » وفي رواية أخرى « ألا أدلك كلمة من كنز تحت العرش لا حول ولا قوة إلا بالله » وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « ألا أدلك على عمل من كنوز الجنة من تحت العرش قول لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدي واستسلم (٢) » وقال ﷺ « من قال حين يصبح رضىت بأمره وبالإسلام دينه والقرآن إماما وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة (٣) » وفي رواية من قال ذلك رضى الله عنه . وقال مجاهد إذا خرج الرجل من بيته فقال باسم الله قال الملك هديت فإذا قال توكلت على الله قال الملك كفيته وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال الملك وقيت فتخفف عنه الشياطين فيقولون ما تريدون من رجل قد هدى بوكنى ووفى لاسيبل لكم إليه . فان قلت : فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأتم من جملة العبادات مع كثرة الشقات فيها . فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق إلا بطل للكاشفة والقدر الذى يسمح بذكره فى علم للعامة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فأما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفى الأخبار ما يدل عليه أيضاً (٤) وحضور القلب فى لحظة بالذكر واليهوى عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضاً قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أوفى أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية ولذا ذكر أول وآخر فأوله يوجب الأنس والحب وآخره يوجب الأنس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الأنس والحب فان الريد فى بداية أمره قد يكون متكلفاً بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل فان وفق للمداومة أنس به وانفرد فى قلبه حب المذكور ولا يبنى أن يتعجب من هذا فان من الشاهد فى العبادات أن تذكر طائفاً غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيجبه وقد يشقى بالوصف وكثرة الذكر ثم إذا عشق بكثرة الذكر للتكلف أولاً صار مضطراً إلى كثرة الذكر آخراً بحيث لا يصبر عنه فان من أحب شيئاً أكثر من ذكره ومن أكثر ذكر شيء وإن كان تكلفاً أحبه فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يشر الأنس بالذكر والحيلة ثم تمتع الصبر عنه آخراً فيصير للوجب موجبا والتمر مشعرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تمتعت به عشرين سنة ولا يصدر التمتع إلا من الأنس والحب ولا يصدر الأنس إلا من المداومة على الكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعاً فكيف يستقيم هذا وقد يتكلف الإنسان تناول طعام يستبشعهُ أولاً ويكابداً كله ويواظب عليه فيصير موافقاً لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس مضادة متحيلة لما تتكلف . هي النفس ما عودتها تعود . أى ما كلفتها أولاً يصبر لها طبعاً آخراً ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع من غير ذكر الله وما سوى الله

(١) حديث يا عبد الله بن قيس أيا أباه وسى أولا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة إلا بالله متفق عليه (٢) حديث أبي هريرة عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله أسلم عبدي واستسلم ن فى اليوم واليلة وك من قال سبحان والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله قال أسلم عبدي واستسلم وقال صحيح الاسناد (٣) حديث من قال حين يصبح رضىت بالله ربا الحديث د ن فى اليوم واليلة وك وقال صحيح الاسناد من حديث خادم النبي صلى الله عليه وسلم ورواه ت من حديث ثوبان وحسنه وفيه نظر فقيه سعد ابن الرزبان ضعيف جدا (٤) حديث الدال على أن الذكر والقلب لاه قليل الجدوى ت وقال حسن الحاكم وقال حديث مستقيم الاسناد من حديث أبي هريرة واعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه .

عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولده ولا ولاية ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل فإن كان قد أنس به تمتع به وتلذذ باقطاع العوائق الصارقة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصدعن ذكر الله عز وجل ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه خلى بينه وبين محبوبه فغطت غبطته وتخلص من السجن الذي كان يمنوعه عما به أنسه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث في روعي أحب ما أحببت فانك مفارقة (١) » أراد به كل ما يتعلق بالدنيا فإن ذلك ينفى في حق الموت فكل من عليها فإن يبقى وجهه ربك ذو الجلال والإكرام وإنما تنفى الدنيا بالموت في حقها إلى أن تنفى في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله وهذا الأنس يتلذذ به العبد بمدمونه إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويرقى من الذكر إلى اللقاء وذلك بعد أن يمتحن ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول إنه أعظم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فإنه لم يعدم عندما يمنع الذكر بل عندما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لامن عالم الملكوت وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله عليه السلام « القبر إما خفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة (٢) » وبقوله عليه السلام « أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر (٣) » وبقوله صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر من المشركين « يا فلان يا فلان وقد صامم النبي صلى الله عليه وسلم هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فأن وجدتم ما وعدني ربى حقاً (٤) » فسمع عمر رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جفوا ؟ فقال عليه السلام : « والذي نفسي بيده ما أستم أسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يتقربون أن يجيبوا » والحديث في الصحيح هذا قوله عليه السلام في المشركين فأما المؤمنون والشهداء فقد قال عليه السلام « أراهم في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش (٥) » وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ إليه لا ينافي ذكر الله عز وجل وقال تعالى - ولأحسن الذين أتوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم - الآية ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لأن اللطوب الحاتمة ونفى بالحاتمة وداع الدنيا والقعود على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره فإن قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقاً بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فإنه يزيد بها حياته وقد هون على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك ولذلك عظم

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب ما أحببت فانك مفارقة تقدم في الكتاب السابع من العلم (٢) حديث القبر إما خفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ت من حديث أبي سعيد بتقديم وتأخير وقال غريب قلت فيه عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف (٣) حديث أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر من حديث ابن مسعود أنه سئل عن هذه الآية - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً - الآية قال أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم في جوف طير خضر فلم يسم فيه النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ت أما إنا سألنا عن ذلك فأخبرنا وذكر صاحب مسند الفردوس أن ابن منيع صرح برقمه في مسنده (٤) حديث نداءه لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد صامم إني قد وجدت ما وعدني ربى حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً م من حديث أنس (٥) حديث أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش م من حديث كعب بن مالك إن أرواح المؤمنين في طير خضر تعلق بشجر الجنة وروى ن بلفظ إنما نسمة المؤمن طائر ورواه ت بلفظ أرواح الشهداء وقال حسن صحيح .

بالمداية بشرط مقدمة الإثابة فالاجتناب المحض غير مطلق بكسب العبد وهذا حال المحبوب للراد يادته الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب منه يسبق كشوفه اجتهد وفي هذا أخذ بطلاقة من الصوفية رفضت الحجب عن قلوبهم وبأدرهم سطوع نور اليقين فأنار نازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والأعمال فأقبلوا على الأعمال باللذات والمعيش فيها قرة أعينهم فسهل الكشف عليهم الاجتهاد كما سهل على سحرة فرعون لاداة التازل بهم من صفو العرفان تحمل وعيد فرعون فقالوا - لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات - قال جعفر الصادق رضي الله عنه وجدوا أرياح العناية القدسية بهم فالتجأوا إلى السجود شكراً وقالوا آمنا برب العالمين . أخبرنا أبو زرعة طاهر بن

أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى فمن ذلك أنه لما استشهد عبد الله بن عمرو الأنصاري يوم أحد قال رسول الله صلى عليه وسلم لجابر « ألا أبشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخير قال إن الله عز وجل أحيا أباك فأقده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن على يا عبدي ما شئت أعطيك فقال يارب أن تردني إلى الدنيا حتى أقتل فيك وفي نبيك مرة أخرى فقال عز وجل سبق القضاء مني بأنهم إليها لا يرجعون ^(١) » ثم القتل بسبب الحائفة على مثل هذه الحالة فإنه لو لم يقتل وبقي مدة ريماعادت شهوات الدنيا إليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الحائفة فإن القلب وإن أُلزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تغريه فإذا غفل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت إليه ويحنى الرجوع إلى الدنيا وذلك لقله حظه في الآخرة إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويمش على ما مات عليه فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة إذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال أو أن يحال شجاع أو غير ذلك ^(٢) كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجل وإعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها به - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا إله إلا الله فإنه لا مقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود وكل معبود إلا فهذا الشهيد قاتل بلسان حاله لا إله إلا الله إذ لا مقصود له سواء ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره في مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك فضل رسول الله صلى عليه وسلم قول لا إله إلا الله على سائر الأذكار ^(٣) وذكر ذلك مطلقا في مواضع الترهيب ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا إله إلا الله غلظا ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للنقل . فسال الله تعالى أن يجعلنا في الحائفة من أهل لا إله إلا الله حالا ومقالا ظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير متلفتين إليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله فإن من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه مرامز إلى معاني الذكر التي لا يمكن الزيادة عليها في علم العامة .

(الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية للأئمة)

وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم)

(فضيلة الدعاء)

قال الله تعالى - وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي - وقال تعالى - ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين - وقال تعالى - وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال عز وجل

(١) حديث ألا أبشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخير قال إن الله أحيا أباك وأقده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن على الحديث وقال حسن وذاك وصحح إسناده من حديث جابر .
(٢) حديث الرجل يقاتل ليل مال أو أن يحال شجاع أو غير ذلك مثق عليه من حديث أبو موسى قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال الرجل يقاتل لله كره والرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله ؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٣) حديث فضيل لا إله إلا الله على سائر الأذكار وقال حسن ون في اليوم واليلة و من حديث جابر
(الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله)

أبي الفضل إجازة
قال أنا أبو بكر أحمد
ابن علي بن خلف
إجازة قال أنا
عبد الرحمن السلمي
قال سمعت منصورا
يقول سمعت أبا موسى
الرقاق يقول سمعت
أبا سعيد الخزاز يقول
أهل الخاتمة الذين هم
الرادون اجتياهم مولايم
وأكل لهم النعمة وهيا
لهم الكرامة فأسقط
عنهم حركات الطلب
فصارت حركاتهم في
العمل والخدمة على
الألفة والذكر والتتم
بمناجاته والانفراد
بقربه وبهذا الاستناد
إلى أبي عبد الرحمن
السلمي قال سمعت علي
ابن سعيد يقول سمعت
أحمد بن الحسن الحصري
يقول سمعت فاطمة
المسروقة بمروية
تليقنة أبي سعيد تقول
سمعت الخزاز يقول
الراد محمول في حاله
معان على حركاته وسعيه
في الخدمة مكثي مصون
عن الشواهد والتواطر
وهذا الذي قاله الشيخ
أبو سعيد هو الذي

- قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي امدعوا فله الأسماء الحسنی - وروی النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ - ادعوني أستجب لكم (١) » - الآية وقال صلى الله عليه وسلم « الدعاء مع العبادة (٢) » وروی أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال « ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يغفر له وإما خير يسجل له وإما خير يدخر له (٤) » وقال أبو ذر رضي الله عنه يكنى من الدعاء مع البر ما يكتفى الطعام من اللح وقال صلى الله عليه وسلم « سلوا الله تعالى من فضله فإن الله تعالى يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج (٥) » .

(آداب الدعاء وهي عشرة)

الأول : أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى - وبالأسماء يستغفرون - وقال صلى الله عليه وسلم « يؤزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول عز وجل من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له (٦) » وقيل إن يعقوب صلى الله عليه وسلم إنما قال سوف أستغفر لكم ربى ليدعو في وقت السحر قيل إنه قام في وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلقه فأوحى الله عز وجل إليه أنى قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء . الثاني : أن يقتنم الأحوال الشريفة قال أبو هريرة رضي الله عنه إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى وعند نزول النيث وعند إقامة الصلوات للكتابة فاغتموا الدعاء فيها . وقال مجاهد إن الصلاة جملة في خير الساعات فليكن بالدعاء خلف الصلوات وقال صلى الله عليه وسلم « الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « الصائم لا يرد دعوته (٨) » وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضا إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من الشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الممجد وتعاون القلوب على استدرا رحمة الله عز وجل فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود أيضا أجدر بالإجابة قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم

- (١) حديث النعمان بن بشير إن الدعاء هو العبادة أصحاب السنن وك وقال صحيح الاسناد وقال ت حسن صحيح (٢) حديث الدعاء مع العبادة ت من حديث أنس وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة (٣) حديث أبي هريرة ليس شيء أكرم عند الله من الدعاء ت وقال غريب وه ح ك وقال صحيح الاسناد (٤) حديث إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يغفر له وإما خير يسجل له وإما خير يدخر له الدبلى في الفردوس من حديث أنس وفيه روح ابن مسافر عن أبان بن أبي عياش وكلاهما ضعيف ولأحمد وخ في الأدب والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي سعيد إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخر له في الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها (٥) حديث سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج ت من حديث ابن مسعود وقال حماد بن واقد ليس بالحافظ قلت وضعفه ابن معين وغيره (٦) حديث يؤزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد د ن في اليوم واليلة وت وحسنه من حديث أنس وضعفه ابن عدى وابن القطان ورواه في اليوم واليلة باسناد آخر جيئد وح ك وصححه (٨) حديث الصائم لا يرد دعوته ت وقال حسن وه من حديث أبي هريرة بزيادة فيه .

اختبه حقيقته على طائفة من الصوفية ولم يقولوا بالإكثار من النوافل وقد رأوا جمعا من الشايخ قلت نوافلهم فظنوا أن ذلك حال مستمر على الإطلاق ولم يدعوا أن الذين تركوا النوافل وانصرفوا على الفرائض حكانت بدايتهم بدايات للريدين فلما وصلوا إلى روح الحال وأدركتهم الكشوف بعد الاجتهاد امتلأوا بالحال فطرحوا نوافل الأهمال فاما الرادون فبقى عليهم الأهمال والنوافل وفيها قرعة أعينهم وهذا أتم وأكمل من الأول فهذا الذي أوضحنه أحد طريق الصوفية فأما الطريق الآخر طريق الريدين وهم الذين شرطوا لهم الانابة فقال الله تعالى - ويهدي إليه من ينيب - فطوبى لسا بالاجتهاد أولا قبل الكشوف قال الله تعالى سوادين جاهدوا

فينا تهديهم سبيلنا -
 يدرجهم الله تعالى في
 مدارج الكسب بأنواع
 الرياضات والمجاهدات
 وسهر الدايجر وعلما
 المحاجر وتأجج فيهم
 نيران الطلب وتحجب
 دونهم لوامع الأرب
 يتقبلون في رمضان
 الإرادة وينخلعون
 عن كل مألوف وعادة
 وهي الإنابة التي شرطها
 الحق سبحانه وتعالى
 لهم وجعل الهداية
 بمقرونة بها وهند
 الهداية آتيا هداية
 خاصة لأنها هداية إليه
 غير الهداية العامة التي
 هي الهدى إلى أمره
 ونبيه بمقتضى المعرفة
 الأولى وهذا حال
 السالك المهب للريد
 فكانت الإنابة غير
 الهداية العامة فأعمرت
 هداية خاصة واهتدوا
 إليه بعد أن اهتدوا له
 بالمكابدات فخلصوا
 من مضيق السر إلى
 قضاء اليسر وبرزوا
 من وهج الاجتهاد إلى
 روح الأحوال فسبق
 اجتهادهم كشوفهم
 والراودون سبيل

« أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثر وأقرب من الدعاء (١) » وروى ابن عباس
 رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن نيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا فأما
 الركوع فمظموافيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فانه لمن أن يستجاب لكم (٢) » . الثالث :
 أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى ياض إبطيه وروى جابر بن عبد الله أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم « أتى الموقف جرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غابت الشمس (٣) » وقال
 سلمان قال رسول الله ﷺ « إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفعوا أيديهم إليه أن يردّها
 صفرا (٤) » وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم « كان يرفع يديه حتى يرى ياض إبطيه في الدعاء ولا يشير
 بأصبعه (٥) » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم مرّ على إنسان يدعو ويشير بأصبعه
 السبائين فقال صلى الله عليه وسلم أحد أحد (٦) أي اقتصر على الواحدة وقال أبو الدرداء رضى الله عنه
 لرفعوا هذا الأيدي قبل أن تغرب بالأغلال ثم يغنى أن يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء قال عمر رضى الله
 عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردّها حتى يمسح بهما وجهه (٧) وقال ابن
 عباس كان ﷺ إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما على وجهه (٨) فهذه هيئات اليد ولا يرفع يده
 إلى السماء قال صلى الله عليه وسلم « ليتبين أقوام عن رفع أঙ্গارهم إلى السماء عند الدعاء أولئخظن
 أفسارهم (٩) » الرابع : خفض الصوت بين الخافتة والجهر لما روى أن أبا موسى الأشعري قال قدما
 مع رسول الله ﷺ فلما دنونا من المدينة كبروا كبر الناس ورفعوا أصواتهم فقال النبي ﷺ « يا أيها الناس
 إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غالب إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم (١٠) » وقالت
 عائشة رضى الله عنها في قوله عز وجل - ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها (١١) - أي بدعائك وقد أثنى
 الله عز وجل على نبيه زكريا عليه السلام حيث قال - إذ نادى ربه نداء خفيا - وقال عز وجل - ادعوا ربكم
 تضرعا وخفية - . الخامس : أن لا يتكلف السجود في الدعاء فان حال الداعي يغنى أن يكون حال متضرع

(١) حديث أبي هريرة أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثر وأقرب من الدعاء رواه م (٢) حديث
 ابن عباس إن نيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا الحديث م أيضا (٣) حديث جابر أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أتى الموقف جرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غابت الشمس م دون
 قوله يدعو فقال مكانها واقفا ون من حديث أسامة بن زيد كنت ردفه جرفات فرفع يديه يدعو
 ورجاله تقاط (٤) حديث سلمان إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردّها
 صفرا دت وحسنه وهك وقال إسناده صحيح على شرطهما (٥) حديث أنس كان يرفع يديه حتى
 يرى ياض إبطيه في الدعاء ولا يشير بأصبعه م دون قوله ولا يشير بأصبعه والحديث متفق عليه لكن
 مفيد بالاستسقاء (٦) حديث أبي هريرة مرّ على إنسان يدعو بأصبعه السبائين فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أحد أحد ن وقال حسن وهك وقال صحيح الإسناد (٧) حديث عمر كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردّها حتى يمسح بهما وجهه ت وقال غريب
 وهك في الاستدرك وسكت عليه وهو ضعيف (٨) حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا
 ضم كفيه وجعل بطونهما على وجهه الطبراني في الكبير بسند ضعيف (٩) حديث ليتبين أقوام
 عن رفع أفسارهم إلى السماء عند الدعاء أولئخظن أفسارهم م من حديث أبي هريرة وقال عند الدعاء
 في الصلاة (١٠) حديث أبي موسى الأشعري يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غالب
 متفق عليه مع اختلاف اللفظ الذي ذكره للصف لأبي داود (١١) حديث عائشة في قوله تعالى - ولا
 تجهر بصلاتك ولا تخافت بها - أي بدعائك متفق عليه .

والتكلف لا يناسبه قال صلى الله عليه وسلم « سيكون قوم يعتدون في الدعاء »^(١) وقد قال عز وجل - ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين - قيل معناه التكلف للأسجاع والأولى أن يجاوز الدعوات للأثورة فإنه قد يتحدى في دعائه فيسأل مالا تقتضيه مصلحته لما كل أحد يحسن الدعاء ولذلك روى عن معاذ رضي الله عنه إن العلماء يحتاج إليهم في الجنة إذ يقال لأهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء وقد قال عليه السلام « يا أيكم والسجعة في الدعاء حسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل » وفي الخبر يأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور ومريم بعض السلف بقاص يدعو بسجعة فقال له أهي الله تعالى أشهد لقد رأيت عجيبا المجسم يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جدين اللهم لا تفضعنا يوم القيامة اللهم وقنا للغير والناس يدعون من كل ناحية وراؤه وكان يعرف بركته دعائه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال إن العلماء والأبدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فمادونها ويشهد له آخر سورة البقرة فإن الله تعالى لم يغير في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك . واعلم أن المراد بالسجعة هو التكلف من الكلام فإن ذلك لا يلزم الضراعة والذلة وإلا ففي الأدعية للأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلى الله عليه وسلم « أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع القربين والشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد »^(٢) وأمثال ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات أوليتمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل . السادس : التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال الله تعالى - إنهم كانوا يسارعون في الحيرات ويدعوننا رغبا ورهبا - وقال عز وجل - ادعوا ربكم تضرعا وخفية - وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه »^(٣) . السابع : أن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم الشئ فإنه لا مكره له »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظم شيء »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث سيكون قوم يعتدون في الدعاء وفي رواية والطهور د . ح . ب . ك من حديث عبد الله بن مغفل
(٢) حديث يا أيكم والسجعة في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل غريب بهذا السياق والبخاري عن ابن عباس وانظر السجعة من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت أصحاب رسول الله عليه السلام لا يفعلون إلا ذلك . و . ك . واللفظ له وقال صحيح الاستاد من حديث عائشة عليك بالكوامل وفيه وأسألك الجنة إلى آخره
(٣) حديث أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع القربين والشهود والركوع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد ت من حديث ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب انتهى وفيه محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى س . الحفظ (٤) حديث إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس إذا أحب الله عبدا حبب عليه البلاء صبا الحديث وفيه دعه فإني أحب أن أسمع صوته ولطبراني من حديث أبي أمامة إن الله يقول للملائكة انطلقوا إلى عبدی فصبوا عليه البلاء الحديث وفيه فإني أحب أن أسمع صوته وسندهما ضعيف (٥) حديث لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم الشئ فإنه لا مكره له متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظم شيء ح . ب . ك من حديث أبي هريرة .

كشوفهم اجتهدهم
أخبرنا الشيخ الثقة
أبو الفتح محمد بن
عبد الباقي قال أنا
أبو الفضل أحمد بن
أحمد قال أنا الحافظ
أبو نعيم الأصفهاني قال
تنا محمد بن الحسين بن
موسى قال سمعت محمد
ابن عبد الله الرازي
يقول سمعت أبا محمد
الجزيري يقول سمعت
أبا جندب رحة الله عليه
يقول لما أخذنا التصوف
عن أبي القليل وقال
ولكن عن الجوع
وترك الدنيا وقطع
المأثورات وللتحسنت
قال محمد بن خفيف
الإرادة هو القلب
لطلب المراد وحقيقة
الإرادة استدامة الجود
وترك الراحة وقال
أبو عثمان الريد الذي
مات قلبه عن كل شيء
دون الله تعالى فيريد
الله وحده ويريد
قربه ويشتاق إليه
حتى تذهب شهوات
الدنيا عن قلبه لشدة

وادعوا الله وأتمم موفون بالاجابة واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل^(١) وقال
سفيان بن عيينة لا يمنع أحدكم من الدعاء ما يطم من نفسه فان الله عز وجل أجاب دعاء شرا الحلق إبليس
لنه الله إذ قال رب فأنتظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من اللظرين - الثامن : أن يلج في الدعاء
ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود كان عليه السلام إذا دعا دعا ثلاثا إذا سأل سأل ثلاثا^(٢) وينبغي أن لا يستبطى
الاجابة لقوله صلى الله عليه وسلم « يستجاب لأحدكم ما لم يسجل في قوله قد دعوت فلم يستجب لي فإذا
دعوت فاسأل الله كثيرا فانك تدعو كريما^(٣) » وقال بعضهم إلى أسأل الله عز وجل منذ عشرين سنة
حاجة وما جاني وأنا أرجو الاجابة سألت الله تعالى أن يوفقني لترك ما لا ينبغي وقال صلى الله عليه وسلم
« إذا سأل أحدكم ربه مسألة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي نعمته ثم الصالحات ومن أبطأ عنه شيء
من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال^(٤) » - التاسع : أن يفتح الدعاء بذكر الله عز وجل فلا يبدأ بالسؤال
قال سلمة بن الأكوع ما سمعت رسول الله ﷺ يفتح الدعاء إلا استفتح بقوله سبحان ربى العلى الأعلى
الوهاب^(٥) وقال أبو سليمان الدارني رحمه الله من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل يقبل الصلاتين
وهو أكرم من أن يدع ما بينهما وروى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سألت الله
عز وجل حاجة فابتدءوا بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضى إحداها ويرد
الأخرى^(٦) » رواه أبو طالب الليثي - العاشر : وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الاجابة التوبة ورد للظالم
والاقبال على الله عز وجل بكنه المحبة فذلك هو السبب القريب في الاجابة فيروى عن كعب الأجار أنه
قال أصاب الناس قطعت عديدي عهد موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج موسى يتي إسرائيل
يستقي بهم فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن
لا تستجيب لك ولان ملك وفيك نعم قال موسى يارب ومن هو حق فخرجه من بيتنا فأوحى الله
عز وجل إليه يا موسى أتياكم عن النجاسة وأكون نماما قال موسى لبني إسرائيل توبوا إلى ربكم
بأجمعكم عن النجاسة فتأبوا فأرسل تعالى عليهم القيث . وقال سعيد بن جبيرة قحط الناس في زمن ملك
من ملوك بني إسرائيل فاستسقوا قال لذلك لبني إسرائيل ليرسلن الله تعالى علينا السماء أولئذ به قيل
له وكيف تدبر أن تؤذيه وهو في السماء قال أتلى أولياؤه وأهل طاعته فيكون ذلك أفى له فأرسل
الله تعالى عليهم السماء وقال سفيان الثوري يفتي أن بني إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا لليتيم
(١) حديث ادعوا الله وأتمم موفون بالاجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل ت من
حديث أبي هريرة وقال غريب وك وقال مستقيم الاسناد تفرد به صالح اللرى وهو أحد زهاد البصرة
قلت لكنه ضعيف في الحديث (٢) حديث ابن مسعود كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا دعا ثلاثا وإذا
سأل سأل ثلاثا رواه مسلم وأصله متفق عليه (٣) حديث يستجاب لأحدكم ما لم يسجل في قوله قد دعوت فلم
يستجب لي متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث إذا سأل أحدكم مسألة فتعرف الاجابة فليقل
الحمد لله الذي نعمته ثم الصالحات ومن أبطأ عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال البهقي في
الدعوات من حديث أبي هريرة ولحاكم نحوه من حديث عائشة عن حمصا باسناد ضعيف (٥) حديث
سلمة بن الأكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الدعاء إلا استفتح وقال سبحان
ربى العلى الأعلى الوهاب أحمد وك وقال صحيح الاسناد قلت فيه عمر بن راشد الجاني ضعه الجمهور
(٦) حديث إذا سألت الله حاجة فابتدءوا بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين
فيعطى إحداها ويرد الأخرى لم أجده مرفوعا وإنما هو موقوف على أبي الدرداء .

شوقه إلى ربه وقال
أيضا عقوبة قلب
للريدين أن يحجبوا
عن حقيقة للاملات
وللقامات إلى أصدادها
فهذان الطريقان
يعجمان أحوال
الصوفية ودونها طريقان
آخران ليسا من طرق
التحقق بالتصوف .
أحدهما مجذوب أبقى
على جذبة ملود إلى
الاجتهاد بعد الكشف
والثاني مجتهد متعب
ماخلص إلى الكشف
بند الاجتهاد وللصوفية
في طريقتها باب
مزيد ومحة طريقتهم
بعين التابعة ومن
ظن أن يبلغ غرضا
أو يظفر بمراد لامن
طريق التابعة فهو
مخدول مفرور . أخبرنا
شيخنا أبو النجيب
السهروردي قال أنا
عصام الدين عمر بن
أحمد الصغار قال أنا
أبو بكر أحمد بن علي
ابن خلف قال أنا أبو
عبد الرحمن قال سمعت

للزابل وأكلوا الأطفال وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال يكون ويضرعون فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام لومشينهم إلى بأقدامكم حتى تحفر ركبتكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكمل السنتكم عن الدعاء فإن لا أجيب لكم داعيا ولا أرحم لكم باكيا حتى تردوا للظالم إلى أهلها قتلوا فطروا من يومهم . وقال مالك بن دينار أصاب الناس في بني إسرائيل قحط فخرجوا سرايا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى بأبدان نجسة وتضعون إلى أكفنا قد فسدتكم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن زدادوا مني إلا بدا . وقال أبو الصديق الناجي خرج سليمان عليه السلام يستقي لربنة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول اللهم إنا خلقنا من خلقك ولاغنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غبرنا فقال سليمان عليه السلام ارجعوا قد صقيتم بدعوة غيركم . وقال الأوزاعي خرج الناس يستقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال يا مشرك من حضر السهم مفرق بالإساءة فقالوا اللهم نعم فقال اللهم إنا قد سمعناك تقول - ما على الحسين من سيل - وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لنا اللهم فافقرنا وارحمتنا واسقنا لرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا وقيل لماك بن دينار أدم لنا ربك فقال إنكم تستبطئون للطر وأنا أستبطئ الحجارة وروى أن عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستقي فضا ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام من أصاب منكم ذنبا فليرجع فارجعوا كلهم ولم يبق منه في الغزاة إلا واحد فقال له عيسى عليه السلام أما لك من ذنب قال والله ما علمت من شيء غير أني كنت ذات يوم أصلي فمرت بي امرأة فنظرت إليا بعيني هذه فضا جاوزتني أدخلت أصبعي في عيني فانزعجتا وأبعت للراة بها فقال له عيسى عليه السلام فادع الله حتى أؤمن على دعائك قال فدعا فنجلت السماء سحابا ثم صبت فسقوا . وقال يحيى النساني أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستقوا بهم قال أحدهم اللهم إنك أنزلت في توراةك أن نفو عن ظلنا اللهم إنا قد ظلنا أخشنا فاعف عنا . وقال الثاني اللهم إنك أنزلت في توراةك أن نفتق أرقانا اللهم إنا أرقاؤك فاعتقنا وقال الثالث اللهم إنك أنزلت في توراةك أن لا نرد للسالكين إذا وقفوا بأبوابنا اللهم إنا مساكينك وقنا عيالك فلا نرد دعاءنا فسقوا وقال عطاء السلي مننا النبيث فخرجنا نستقي فإذا نحن بسعدون المجنون في القفار فنظر إلى قبال يعطاء أهلنا يوم النشور أوبصر ما في القبور فقلت لا ولكنا مننا النبيث فخرجنا نستقي فقال يعطاء بقلوب أرضية أم بقلوب ساهوية فقلت بل بقلوب ساهوية فقال هيأت يعطاء قل للتهرجين لا تتهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفة وقال إلهي وسيدى ومولاي لا تهلك بلادك بذنوب عبادة ولكن بالسركلون من أسالك وماوارت الحجب من آلائك إلا ما سقيتنا ماء غدا فرأنا يحيى به العباد وتروى به البلاد يامن هو على كل شيء قدير قال عطاء لما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول :

أفلح الزاهدون والعابدون إذ لمولاهم أجاعوا البطونا

أسهروا الأعين العلية حبا فاقضي ليلهم وهم ساهرون

غفلتهم عبادة الله حتى حسب الناس أن فهم جنونا

وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستقون فخرجت معهم إذ أتبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد أنزرا بحداهما وألقى الأخرى على عاتقه فجلس إلى جاني فسمعت يقول إلهي أخلفت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوى الأعمال وقد حبست عناغيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فأسألك يا حليفا أناة يامن لا يعرف عباده من إلا الجليل أن تسقيهم الساعة الساعة فلهزل يقول الساعة

نصر بن أبي نصر
يقول صمت قريبا غلام
الزقاق يقول صمت
أبا سعيد السكري يقول
صمت أبا سعيد الحراز
يقول كل باطن يخافه
ظاهر فهو باطل وكان
يقول الجنيدي رحمه الله
علنا هذا مشتبك
بحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وقال بعضهم من أمر
للسنة على نفسه قولا
وفلا نطق بالحكمة
ومن أمر الهوى على
نفسه قولا وفلا نطق
بالبدعة . حكى أن
أبا يزيد البسطامي
رحمه الله قال ذات يوم
لبعض أصحابه قم بنا
حتى ننظر إلى هذا
الرجل الذي قد شهر
نفسه بالولاية وكان
الرجل في ناحيته مقصودا
ومشهورا بالزهد
والعبادة فضينا إليه
فما خرج من بيت يقصد
للسجدي بزاقة نحو
القبلة قال أبو يزيد
انصرفوا فانصرف

الساعة حتى اكتست السماء بالغيوم وأقبل المطر من كل جانب قال ابن المبارك فبحث إلى الفضيل فقال مالي أراك كشيئا قلت أمر سيقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر متفضيا عليه ويروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي الله عنه فلما فرغ همر من دعائه قال العباس اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا يذهب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه في القوم إليك لمكان من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه أيدينا إليك بالتوب ونواصينا بالتوبة وأنت الراحم لا تهمل الضالة ولا تضع الكبير بدار مضية فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارفعت الأصوات بالشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فأغثهم بغيثك قبل أن يفتنوا فيهلكوا فإنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون قال فأتته كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال .

(فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى - إن الله وهب لك بصلواته على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما - وروى أنه صلى الله عليه وسلم « جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه » فقال صلى الله عليه وسلم « إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال أما ترى يا محمد أن لا يصل عليك أحد من أمتك صلاة واحدة إلا صليت عليه غفوا ولا يسل عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى على صلت عليه ثلاثا ماضى على قلبه عند ذلك أولئك » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن أولى الناس بي أكرهم على صلاة » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « أكرهوا من الصلاة على يوم الجمعة » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى على من أمي كتبت له عشر حسنات ومحبت عنه عشر سيئات » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والشفاعة يوم القيامة جلت له عقابتي » (٦) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى على »

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال صلى الله عليه وسلم « إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال أما ترى يا محمد أن لا يصل عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا ولا يسل عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا » (٢) حديث أبي طلحة باسناد جيد (٣) حديث من صلى على صلت عليه ثلاثا ماضى على قلبه عند ذلك أولئك (٤) من حديث عامر بن ربيعة باسناد ضعيف والطبراني في الأوسط باسناد حسن (٥) حديث إن أولى الناس بي أكرهم على صلاة من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وحب (٦) حديث بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلا يصل على قاسم بن أصبغ من حديث الحسن بن علي هكذا ون وحب من حديث أخيه الحسن البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على ورواه ت من رواية الحسين بن علي عن أبيه وقال حسن صحيح (٧) حديث أكرهوا على من الصلاة يوم الجمعة دن . حبك وقال صحيح على شرط من حديث أوس بن أوس وذكره ابن أبي حاتم في الملل وسكنى عن أبيه أنه حديث منكر (٨) حديث من صلى على من أمي كتبت له عشر حسنات ومحبت عنه عشر سيئات ن في اليوم والليلة من حديث عمرو بن دينار وزاد فيه مخلصا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات ، وله في السير ولا بن حبان من حديث أنس نحوه دون قوله مخلصا من قلبه ودون ذكر هو السيئات ولم يذكر ابن حبان أيضا رفع الدرجات (٩) حديث من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة جلت له شفاعتي البخاري من حديث جابر دون ذكر الإقامة والشفاعة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقال النداء

ولم يعلم عليه وقال هذا رجل ليس بمؤمن على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين وشيوخ خدام الشبلي رحمه الله عافا وأيت منه عند موته قال لما أمسك لسانه وعرق جبينه أشار إلى أن وضئى الصلاة فوضأته ففسيحت فخليل لحية قبض على يدي وأدخل أصابعي في لحية يخلها . وقال سهل بن عبد الله كل وجد لا يشهد له الكتاب والتقاليد هذا حال الصوفية وطريقهم وكل من يدعي حالا على غير هذا الوجه فليدع مفتونا كذاب .

[الباب الخامس في ماهية التصوف]

أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل في كتابه قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف

في كتاب لم تزل لللائكة يستغفرون له مادام اسمي في ذلك الكتاب (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الأرض ملائكة سياحين يلتمون عن أمي السلام » (٢) « وقال صلى الله عليه وسلم « ليس أحد يسلم على إلإرداه على روعي حتى أرد عليه السلام » (٣) « و « قيل له يا رسول الله كيف نصل عليك قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد » (٤) « وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان جلع فخطب الناس عليه فلما كثر الناس انخذت منبرا لتسمهم فعن الجذع لفرأفك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمثك كانت أولى بالحنين إليك لما فرقتهم ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته فقال عز وجل - من يطع الرسول فقد أطاع الله - بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالغو عنك قبل أن يخبرك بالذنب قال تعالى - عفا الله عنك لم أذنت لهم - بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد بلغ من فضيلتك عنده أن بشك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال عز وجل - وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم - الآية ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يذبون يملنون يلبثوا أطناء الله وأطناء الرسول ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تنفجر منه الأنهار لفاذا بأعجب من أصابك حين تبع منها للماء صلى الله عليه عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الرمح غدوها شهر ورواحها شهر لفاذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأطبع صلى الله عليه عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله اللوق لفاذا بأعجب من الشاة السمومة حين كلمتك وهي مشوية قالت لك القراع لانا كلني فاني مسمومة بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعانا نوح على تومه قال رب لا تنذر على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا بثلثا لهلكنا كلنا فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا قلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره وقد آمن بك الكبير وما آمن معه إلا قليل بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس إلا كفؤا لك ما جالسنا ولولم تتكبح

وللمستغفري في الدعوات حين يسمع الدعاء للصلاة وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف وزاد الحسن بن علي للعمري في اليوم واليلة من حديث أبي الهرداء ذكر الصلاة فيه وله والمستغفري في الدعوات بسند ضعيف من حديث أبي رافع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مع الأذان فذكر حديثا فيه وإذا قال قد قامت الصلاة قال اللهم رب هذه الدعوة التامة الحديث وزاد وتقبل شفاعة في أمته ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو إذا صممت للؤذن قهولوا مثل ما يقول ثم صلوا على ثم صلوا الله على الوسيلة وفيه لمن سأل الوسيلة جلت عليه الشفاعة (١) حديث من صلى على في كتاب لم تزل لللائكة تستغفرون له مادام اسمي في ذلك الكتاب الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ في الثواب والمستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إن في الأرض ملائكة سياحين يلتمون عن أمي السلام تقدم في آخر الحج (٣) حديث ليس أحد يسلم على إلإرداه الله على روعي حتى أرد عليه السلام د من حديث أبي هريرة بسند جيد (٤) حديث قيل له يا رسول الله كيف نصل عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته الحديث متفق

الشيخ أبي إجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال أنا إبراهيم ابن أحمد بن محمد ابن رجاء قال أنا عبد الله بن أحمد البغدادي قال أنا عثمان ابن سعد قال أنا عمر ابن أسد عن مالك ابن أنس عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب للمساكين والفقراء الصبر هم جلاء الله تعالى يوم القيامة » فالقفر كائن في ماهية التصوف وهو أساسه وبه قوامه . قال روي التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقيق بالبدل والإيتار وترك التمرض والاختيار وقال الجنيد وقد سئل عن التصوف فقال أن تكون مع الله بلا علاقة . وقال :

إلا كفؤا لك ما نكحت إلينا ولولم نؤاكل إلا كفؤا لك ما واكلتنا وقلتموا الله بالسقا ونكحت إلينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك على الأرض وولقت أصابعك نواضا منك صلى الله عليك وسلم (١). وقال بعضهم كنت أكتب الحديث وأصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ولا أسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي أمانتم الصلاة على في كتابك لما كتبت بعد ذلك إلا صليت وسلمت عليه وروى عن أبي الحسن قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام قلت يا رسول الله بم جوزى الشافعي عنك حيث يقول في كتابه الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره إذا كرون وغفل عن ذكره التافلون فقال جوزى عن أنه لا يوقف للحساب .

(فنية الاستغفار)

قال الله عز وجل - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - وقال طهارة والأسود قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم في كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنبت بعد ذنبا قرأهما واستغفرت الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم - الآية وقوله عز وجل - ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما - وقال عز وجل - فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا - وقال تعالى - وللمستغفرين بالأسفار - وكان صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول « سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنى لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم

عليه من حديث أبي حميد الساعدي (١) حديث عمر في حنين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه والاسراء به على البراق إلى السماء السابعة ثم صلاة الصبح من ليته بالأبطح وكلام الشاة المسومة وأنه دى وجهه وكسرت رباعيته فقال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وأنه لبس الصوف وركب الحمار وأردف خلفه ووضع طعامه بالأرض ولحق أصابعه وهو غريب بطوله من حديث عمر وهو معروف من أوجه أخرى لحديث حنين الجذع متفق عليه من حديث جابر وابن عمر وحديث نبيع الماء من بين أصابعه متفق عليه من حديث أنس وغيره وحديث الاسراء متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة الصبح بالأبطح وحديث كلام الشاة للمسومة رواه د من حديث جابر وفيه انقطاع وحديث أنه دى وجهه وكسرت رباعيته متفق عليه من حديث سهل بن سعد في غزوة أحد وحديث اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون رواه البيهقي في دلائل النبوة والحديث في الصحيح من حديث ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم حكاه عن نبي من الأنبياء صربه قومه وحديث لبس الصوف رواه الطيالسي من حديث سهل بن سعد وحديث ركو به الحمار وإردافه خلفه متفق عليه من حديث أسامة بن زيد وحديث وضع طعامه بالأرض رواه أحمد في الزهد من حديث الحسن مرسلا ولبخاري من حديث أنس يا أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان قط وحديث لفته أصابعه رواه مسلم من حديث كعب بن مالك وأنس بن مالك (٢) حديث كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح إن كان أبو عبيدة سمع من أبيه والحديث متفق عليه من حديث عائشة أنه كان يكثر أن يقول ذلك في ركوعه وسجوده دون قوله إنك أنت التواب الرحيم (٣) حديث من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل هم مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب دن في اليوم واليلة وهكذا وقال صحيح الاسناد من حديث أبي عباس وصحه ابن حبان .

معروف الكرخي
الصوف الأخد
بالخفاف والياس بها
في أيدي الخلاق فمن
لم يتحقق بالقر لم
يتحقق بالصوف .

وسئل الشيل : عن
حقيقة الفقر فقال
أن لا يستغنى بشي
دون الحق . وقال
أبو الحسين التوي
نعت الفقير السكون
عند الدم والبدل
والإثار عند الوجود

وقال بعضهم إن الفقير
الصادق ليحترق من
النار حذر أن يدرك
عليه النار فيفسد
فقره كما أن النار يحترق
من الفقر حذر أن
يدخل عليه الفقر
فيفسد عليه فخره .
وبالاسناد الذي سبق
إلى أبي عبد الرحمن
قال سمعت أبا
عبد الرحمن الرازي
يقول سمعت مطفرا
القميبي يقول
الفقير الذي لا يكون
له إلى الله حاجة قال

سبعين مرة (١) « هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبي حتى إنى لأستغفر الله تعالى في كل يوم مائة مرة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل تالٍ أو عدد ورق الشجر أو عدد أيام الدنيا (٣) » وقال عليه السلام في حديث آخر « من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف (٤) » وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على أهل قلقت « يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلنى لسانى النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أنت من الاستغفار فإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة (٥) » وقالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن كنت ألمت بذنب فاستغفرى الله وتوب إلى الله فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار (٦) » وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الاستغفار « اللهم اغفرلى خطيئتي وجهلى وإسرافي فى أمري وماأنت أعلم به منى اللهم اغفرلى هزلى وجدى وخطيئى وعمدى وكل ذلك عندى اللهم اغفرلى ما قدمت وماأخرت وماأسررت وماأعلنت وماأنت أعلم به منى أنت القدم وأنت للآخر وأنت على كل شئ قدير (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعنى الله عز وجل بما شاء أن ينفعنى منه وإذا حدثنى أحد من أصحابه استحلقتة فإذا حلف صدقته قال وحديثى أبو بكر وصديقى أبو بكر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من عبد يذنب ذنب فيحسن الطهور ثم يقوم فيصل ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر له ثم تلا قوله عز وجل - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم - (٨) الآية - وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكته سوداء فى قلبه فإن تاب

(١) حديث إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم سبعين مرة خ من حديث أبى هريرة إلا أنه قال أكثر من سبعين وهو فى الدعاء للطبرانى كما ذكره للصف (٢) حديث إنه ليغان على قلبي حتى إنى لأستغفر الله فى كل يوم مائة مرة م من حديث الأغر (٣) حديث من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر الحديث ت من حديث أبى سعيد وقال غريب لا يعرفه إلا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافى . قلت الوصافى وإن كان ضعيفاً فقد تابعه عليه عصام بن قدامة وهو ثقة رواه خ فى التاريخ دون قوله حين يأوى إلى فراشه وقوله ثلاث مرات (٤) حديث من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف د ت من حديث زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم وقال غريب قلت ورجاله موثقون ورواه ابن مسعود و ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث حذيفة كنت ذرب اللسان على أهل الحديث وفيه أين أنت عن الاستغفار ن فى اليوم واليلة و ه ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٦) حديث عائشة إن كنت ألمت بذنب فاستغفرى الله فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار متفق عليه دون قوله فإن التوبة الخ وزاد أوتوبى إليه فان العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه والطبرانى فى الدعاء فان العبد إذا أذنب ثم استغفر الله غفر له (٧) حديث كان يقول اللهم اغفرلى خطيئتي وجهلى وإسرافي فى أمري وماأنت أعلم به منى اللهم اغفرلى جدى وهزلى متفق عليه من حديث أبى موسى واللفظ لمسلم (٨) حديث على عن أبى بكر مامن عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصل ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له أصحاب السنن وحسنه ت .

ومعنى يقول سألت أبا بكر الصرى عن الفقير فقال الذى لا يملك ولا يملك (قوله لا يكون له إلى الله حاجة) معناه أنه مشغول بوظائف عبوديته تام الثقة بربه عالم بحسن كلامه به لا يوجه إلى رفع الحاجة لعله يعلم الله بحاله فىرى السؤال فى البين زيادة ، وأقوال الشايع تتنوع معانيها لأنهم أشاروا فيها إلى أحوال فى أوقات دون أوقات وتحتاج فى تفصيل بعضها من البعض إلى الضوابط فقد تذكر أشياء فى معنى التصوف ذكر مثلها فى معنى الفقر وتذكر أشياء فى معنى الفقر ذكر مثلها فى معنى التصوف وحيث وقع الاعتبار فلا بد من بيان فاصل قد تشبهه الاشارات فى الفقر بمعانى الزهد تارة ومعانى التصوف

وزرع واستغفر صقل قلبه منها فان زاد زادت حتى تلف قلبه (١) فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل في كتابه - كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن الله سبحانه يرفع الدرجة للعبء في الجنة فيقول يارب آتني هذه فيقول عز وجل باستغفار ولدك لك (٢) وروى عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم اجنني من الدين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أذنب العبد ذنباً قال اللهم اغفر لي فيقول الله عز وجل أذنب عبدي ذنباً فلم أن لهرباً يأخذ بالذنب وينفر الذنب عبدي أحمل ما شئت قد غفرت لك (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة (٥) » وقال (٦) « إن رجلاً لم يعمل خيراً قط نظر إلى السماء فقال إن لي رباً يارب اغفر لي فقال الله عز وجل قد غفرت لك (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أذنب ذنباً فلم أن الله قد اطلع عليه غفره وإن لم يستغفر (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يا عبدي كلكم مذنب إلا من عافته فاستغفروني أغفر لكم ومن علم آتي ذو قدرة على أن أغفره غفرت له ولا أبالي (٩) » وقال (١٠) « من قال سبحانه ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي فإنه لا يضر الذنوب إلا أنت غفرت له ذنوبه ولو كانت كدب القمل (١١) » وروى « إن أفضل الاستغفار اللهم أنت ربي وأنا عبدك خلقتني وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بك بذنبي فقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما أخرت فإنه لا يضر الذنوب جميعاً إلا أنت (١٢) » الآثار : قال خالد بن معدان يقول الله عز وجل إن أحب عبدي إليّ للتحابون عبي والتعلقة قلوبهم بالمساجد وللستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت

(١) حديث أبي هريرة إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب وزرع واستغفر صقل قلبه الحديث وصححه ون في اليوم واليلة و - حب لك (٢) حديث أبي هريرة إن الله يرفع العبد الدرجة في الجنة فيقول يارب آتني هذه فيقول باستغفار ولدك لك رواه أحمد بإسناد حسن (٣) حديث عائشة اللهم اجنني من الدين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا - وفيه على ابن زيد بن جدهان مختلف فيه (٤) حديث إذا أذنب العبد قال اللهم اغفر لي يقول الله أذنب عبدي ذنباً فلم أن له رباً يأخذ بالذنب وينفر الذنب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة - من حديث أبي بكر وقال غريب وليس إسناده بالقوي (٦) حديث إن رجلاً لم يعمل خيراً قط نظر إلى السماء فقال إن لي رباً يارب اغفر لي فقال الله تعالى قد غفرت لك لم أقصه على أصل (٧) حديث من أذنب فلم أن الله قد اطلع عليه غفره وإن لم يستغفر الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٨) حديث يقول الله يا عبدي كلكم مذنب إلا من عافته فاستغفروني أغفر لكم ومن علم آتي ذو قدرة على أن أغفره غفرت له ولا أبالي - من حديث أبي ذر وقال حسن وأصله عند م بلفظ آخر (٩) حديث من قال سبحانه ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي إنه لا يضر الذنوب إلا أنت غفرت له ذنوبه وإن كانت كدب القمل البقي في الدعوات من حديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أعلمك كلمات تهولن لو كان عليك كمد القمل أو كمد الدر ذنوباً غفرها الله لك فذكره زيادة لإله إلا أنت في أوله وفيه ابن أبي (١٠) حديث أفضل الاستغفار اللهم أنت ربي وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت الحديث مع من حديث شداد بن أوس دون قوله وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي ودون قوله ذنوبي ما قدمت بها وأخرت ودون قوله جميعاً .

تأخذ ولا يبين للسرمد
بعضها من البعض -
فقول التصوف غير
الفقر والزهد غير الفقر
والفقر غير الزهد
فالتصوف اسم جامع
لحاني الفقر ومعاني
الزهد مع مزيد أوصاف
وامتلاطات لا يكون
بدونها الرجل صوفياً
وإن كان زاهداً
وقديراً . قال أبو حنيس
التصوف كله آداب
لكل وقت وأدب ولكل
حال أدب ولكل مقام
أدب فمن لزم آداب
الأوقات بلغ مبلغ
الرجال ومن ضيع
الآداب فهو بعيد من
حيث يظن القرب
ومردود من حيث
يرجو القبول . وقال
أيضاً حسن آداب الظاهر
عنوان حسن أدب
الباطن لأن النبي صلى
الله عليه وسلم قال
« لو شمع قلبه لحضمت
جوارحه » . أخبرنا
الشيخ رضي الدين
أحمد بن إسماعيل بإجازة

أهل الأرض بمقوبة ذكركم قركم وصرفت القوبة عنهم . وقال قتادة رحمه الله القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما داؤكم فالذنوب وأما دوائكم فالاستغفار . وقال علي كرم الله وجهه السبب بمن يهلك ومعه النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وكان يقول ما ألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه وقال الفضيل قول العبد أستغفر الله تحسرها ألقى وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار وقال الريس بن خثيم رحمه الله لا يقولن أحدكم أستغفر الله أو أتوب إليه فيكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل رحمه الله الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة المدوية رحمه الله استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على التمس كان مستهزئا بالله عز وجل وهو لا يعلم ومعه أعرابي وهو متعلق بأستار الكعبة يقول اللهم إن استغفاري مع إصراري للووم وإن تركي استغفارك مع على بسعة غفوك لمعزفكم تحجب إلى بالنم مع غناك عني وكما أنفض إليك بالمصاحي مع قري إليك يامن إذا وعد وفى وإذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمي في عظيم غفوك بأرحم الراحمين وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزيد البحر ذنوبا لحيث عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء غلصا إن شاء الله تعالى . اللهم إني استغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ولم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك غفاله غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستغنت بها عن مصيبتك وأستغفرك بألم النيب والشهادة من كل ذنب أتيت في ضياء النهار وسواد الليل في ملأ أو خلاء وسر وعلاية بإحليم ويقال إنه استغفار آدم عليه السلام وقيل الحضر عليه الصلاة والسلام .

(الباب الثالث في أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب)

أن يدعو بها للرء صباحا ومساء وبمقب كل صلاة)

لنبا : دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس رضي الله عنهما بشئ العباس إلى رسول الله ﷺ فأتيته مسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من الليل فلما صلى ركعتي الفجر قبل صلاة الصبح قال اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملتي وتلم بها شعثي وترد بها الفتن عني وتصلح بهادي وتغفظ بها غاي وترفع بها شهادتي وتزكي بها عملي وتبييض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتخصني بها من كل سوء اللهم أعطني إيمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك القور عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومراقبة الأنبياء اللهم إني أنزل بك حاجتي وإن ضعف رأيي وقلت حيلتي وقصر عملي واقتضت إلى رحمتك فأسألك يا كافي الأمور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيتي من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطي أحدا من خلقك فاني أرغب إليك فيه وأسألك يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك وسلا لأوليائك نحب بحبك من أطاعك من خلقك ونسأدي بمداتك من خالقك من خلقك اللهم هذا الدعاء عليك الأجابة وهذا الجهد عليك التكلان وإن الله وأنا إليمر اجنون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ذي الجبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الحلود مع القرين الشهود والركع السجود للوفين بالعهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد سبحانه الذي

(الباب الثالث في أدعية مأثورة)

قلنا الشيخ أبو الظفر عبد النعم قال أخبرني والدي أبو القاسم القشيري قال سمعت محمد بن أحمد بن يحيى الصوفي يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سئل أبو محمد الجبري عن التصوف فقال المدخول في كل خلق سقى والخروج عن كل خلق دنى فإذا عرف هذا للفي في التصوف من حصول الأخلاق وتبديلها واعتبر حقيقته يعلم أن التصوف فوق الزهد وفوق الفقر وقيل نهاية الفقر مع شرفه هو بداية التصوف وأهل الشام لا يفرقون بين التصوف والفقر يقولون قال الله تعالى سلفقراء الذين أحصروا في سبيل الله وهذا وصف الصوفية والله تعالى محام قراء وسأوضح معنى يفتقر الحال به بين التصوف والفقر قول الفقير في فقره

لبس المز وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له سبحان الذي
الفضل والنعم سبحان ذي العزة والكرم سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي
ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في فكري ونورا في قلبي ونورا
في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي
ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا وأعطني نورا واجعل لي نورا (١) .

(دعاء عائشة رضي الله عنها)

قال رسول الله ﷺ لما شترضى الله عنها « عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم إني أسألك من
الخبر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشكر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم
أعلم وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل
وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأستعيذك بما استعاذك منه عبدك
ورسولك محمد ﷺ وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين (٢) » .

(دعاء فاطمة رضي الله عنها)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقول : يا حي
يا قيوم برحمتك أستغيث لا تسكني إلى نفسي طرفه عين وأصلح لي شأني كله (٣) » .

(دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه)

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول « اللهم إني أسألك بعهدك
نيك وإبراهيم خليلك وموسى نبيك وعيسى كلمتك وروحك وبثورة موسى وإنجيل عيسى وزبور
داود وفرقان محمد ﷺ وعليهم أجمعين وبكل وحى أوحيت أوقضاء قضيت وأسائل أعطيت أوغنى أقررت
أو قهر أغنيته أو نال أهديته وأسألك باسمك الذي أنزلته على موسى صلى الله عليه وسلم وأسألك باسمك
الذي بثت به أرزاق العباد وأسألك باسمك الذي وضعت على الأرض فاستقرت وأسألك باسمك الذي
وضعت على السموات فاستقلت وأسألك باسمك الذي وضعت على الجبال فربت وأسألك باسمك الذي
استدل به عرشك وأسألك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد الوتر للزل في كتابك من لهدك من
النور للبين وأسألك باسمك الذي وضعت على النهار فاستنار وعلى الليل فأظلم وبظلمتك وكبرياتك
وبنور وجهك الكريم أن ترزقني القرآن والعلم به وتخلطه بلحمتي ودمي وسمي وبصري وتستعمل
به جسدي بحولك وقوتك فإنه لا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين (٤) » .

(١) حديث ابن عباس اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شمل وتلم بها
شئ الحديث ت وقال غريب ولم يذكر في أوله بث العباس لابنه عباده ولا نومه في بيت ميمونة
وهو بهمة الزيادة في الدعاء للطبراني (٢) حديث قوله لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولي
اللهم إني أسألك من الخبر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم الحديث . و لك وصحة من
حديثها (٣) حديث يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقول يا حي يا قيوم برحمتك
أستغيث لا تسكني إلى نفسي طرفه عين وأصلح لي شأني كله ن في اليوم واليلة ولك من حديث أنس
وقال صحيح على شرط الشيخين (٤) حديث علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق
رضي الله عنه أن يقول اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نبيك وعيسى
كلمتك الحديث في الدعاء لحفظ القرآن رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من رواية

تمسك به متحقق
بفضله يؤثر على
النفس متطلع إلى
ما تحق من العوض
عند الله حيث يحول
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « يدخل قراء
أمن الجنة قيل الأغنياء
بنصف يوم وهو خمسمائة
عام » فكلمنا لاحظ
العوض الباقي أمسك
عن الحاصل القاني
وعائق الفقر والفتنة
وخشى زوال الفقر
لنقوات الفضيلة والعوض
وهذا عين الاعتلال في
طريق الصوفية لأنه
نطلع إلى الأعواض
وترك لأجلها والصوفي
يترك الأشياء
للا أعواض للعودة
بل للأحوال للوجود
فانه ابن وقته وأيضا
ترك الفقير الحظ
العاجل واغتنامه
الفقر اختيار منه
وإرادة والاختيار
والإرادة علة في حال
الصوفي لأن الصوفي
صار قائما في الأشياء

(دعاء بريدة الأسلمي رضي الله عنه)

روى أنقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيراً علمهن إياه ثم لم يفسهن إياه أبداً قال قلت بلى يا رسول الله قال قل : اللهم إني ضعيف قوتني رضاك ضعفي وخذني إلى الخير بناصيتي واجعل الإسلام منتهى رضاى اللهم إني ضعيف قوتني وإني ذليل فأعزني وإني فقير فأغنني يا أرحم الراحمين (١) » .

(دعاء قبيصة بن الحارث)

إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم « على كلمات ينفعني الله عز وجل بها قد كبرتني وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أعملها فقال عليه السلام أما لديناك فإذا صليت الصلاة قل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فأنك إذا قلتين أمنت من الهم والجلبام والبرص والفاخ وأما آخرتك قل اللهم اهدني من عندك وأفض علي من فضلك واخر علي من رحمتك وأزل علي من بركاتك ثم قال صلى الله عليه وسلم أما إنه إذا وفي بين عهد يوم القيامة لم يدعهم فتح لأربعة أبواب من الجنة يدخل من أيهاها (٢) » .

(دعاء أبي الدرداء رضي الله عنه)

« قبل لأبي الدرداء رضي الله عنه قد احترقت ديارك وكانت النار قد وقعت في محله فقال ما كان الله ليفعل ذلك قبله ذلك ثلاثاً وهو يقول ما كان الله ليفعل من ذلك ثم أتته آت فقال يا أبا الدرداء إن النار حين دنت من دارك طفئت قال قد علمت ذلك قبله ما ندرى أى قوليك أعجب قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يقول هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتين وهي اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم (٣) » .

(دعاء الحليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام)

كان يقول إذا أصبح اللهم إن هذا خلق جديد فاتحه على بطاعتك واختمه لي بمنفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي إنك غفور رحيم ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه .

(دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم)

كان يقول اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر يد غيري وأصبحت مرتها بملى فلا تقير أقر مني اللهم لا تشمت بي عدوى ولا تسوئ لي صديق ولا تجعل مصيقي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا تسلط علي من لا يرحمي يا حي يا قيوم .

عبد الملك بن هارون بن عبثة عن أبيه أن أبا بكر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أعلم القرآن وتفلت مني فدكره وعبد الملك وأبوه ضعيفان وهو منقطع بين هارون وأبي بكر .

(١) حديث بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيراً علمهن إياه الحديث ك من حديث بريدة وقال صحيح الاستاد (٢) حديث إن قبيصة بن الحارث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم على كلمات ينفعني الله بها قد كبرتني وعجزت الحديث ابن السني في اليوم واليلة من حديث ابن عباس وهو عند أحمد في السند مختصراً من حديث قبيصة نفسه وفيه رجل لم يسم (٣) حديث قبل لأبي الدرداء احترقت ديارك فقال ما كان الله ليفعل ذلك الحديث الطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء ضعيف

يارادة الله تعالى لا بارادة نفسه فلا يرى فضيلة في صورة قمر ولا في صورة غنى وإنما يرى الفضيلة فيها بوقفه الحق فيه ويدخله عليه ويسلم الاذن من الله تعالى في الدخول في الشيء وقد يدخل في صورة سمعية لا فقر باذن من الله تعالى ويرى الفضيلة حينئذ في السمة لمكان الاذن من الله فيه ولا يفسح في السمة والدخول فيها للصادقين إلا بسد إحكامهم علم الاذن وفي هذا منزلة للأقدام وباب دعوى المدعين وما من حال يتحقق به صاحب الحال إلا وقد يحكيه ركب الحال ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فإذا اتضح ذلك ظهر الفرق بين الفقر والتسوف وعلم أن التسوف أساس التسوف وبه قوامه على معنى أن الوصول

(دعاء الخدر عليه السلام)

يقال إن الحدباء والياس عليهما السلام إذا التقيا في كل موسم لم يفترقا إلا عن هذه الكلمات : باسم الله ماشاء الله لاقوه إلا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله فمن قالها ثلاث مرات إذا أصبح أمن من الحرق والقرق والسرق إن شاء الله تعالى .

(دعاء معروف الکرخی رضی اللہ عنہ)

قال محمد بن حسان قال لي معروف الكرخي رحمه الله ألا أعلمك عشر كلمات خمس لهدى الدنيا وخمس
للاخرة من دعاء الله عز وجل بهنّ - وجد الله تعالى عندهنّ - قلت اكتبها لي قال لا ولكن أرودها عليك
كما ردها عليّ بكر بن خنيس رحمه الله : حسبي الله لديني حسبي الله لديناي حسبي الله الكريم
أهني حسبي الله الحليم القوي لمن ينسني عليّ حسبي الله الشديد لمن كاذني يسوء حسبي الله الرحيم عند
لوت حسبي الله الرؤوف عند السلة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند
الليزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم
وقد روى عن أبي البرداء أنه قال : من قال في كل يوم سبع مرات - فان تولوا قتل حسبي الله لا إله إلا هو
عليه توكلت وهو رب العرش العظيم - كفاه الله عز وجل ما أهمه من أمر آخرته صادقاً كان أو كاذباً .

(دعاء عبدة الغلام)

وقدرؤى فى المنام يمدموه فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات : اللهم يا هادى الضالين ويا راحم اللذين
ويا مقبل عثرات المارئين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم وللذين كلهم اجمعين واجلنا مع الأخيار
للرزوقين الذين أنعمت عليهم من التبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين .

(دعاء آدم عليه الصلاة والسلام)

قالت عائشة رضي الله عنها لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ليس بمبني ربوة حمراء ثم قام فصرى ركعتين ثم قال اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلى وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى اللهم إنى أسألك لإيماننا يا شرف قلبى وبقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصينى إلا ما كتبته على والرضا بما قسمته لى إذا الجلال والإكرام فأوحى الله عز وجل إليه إنى قد غفرت لك ولم يأتى أحد من ذريتك فيدعونى بمثل الذى دعوتنى به إلا غفرت له وكشفت غمومه وهوموه وزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راحمة وإن كان لا يريدھا .

(مطاء علی بن ابی طالب رضی اللہ عنہ)

رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الله تعالى يمجّد نفسه كل يوم ويقول إني أنا الله رب العالمين إني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم إني أنا الله لا إله إلا أنا العلي العظيم إني أنا الله لا إله إلا أنا المالك وأولاد إني أنا الله لا إله إلا أنا الغفر النور إني أنا الله لا إله إلا أنا مبدئ كل شيء وإلى عود العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الحبر والشمس خالق الجنة والنار الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد لا اله الا هو العزيز المتكبر الخالق البارئ المصور الكبير للتعالي القدر التهار الحليم الكريم أهل الثناء والجد أعلم السر وأخفى القادر الرزاق فوق الخلق والخلق» (١) وذكر قبل كل كلمة إني أنا الله لا إله إلا أنا كما أوردناه

(۱) حدیث طبرانی اللہ تعالیٰ بجمہ تصحیحہ کل یوم فیقولہ اِنِّیْ اَنَا اللّٰہُ رَبِّ الْعَالَمِیْنَ اِنِّیْ اَنَا اللّٰہُ لَا اِلٰہَ اِلَّا

إلى رتب التصوف
طريقه الفقر لاطل معنى
أنه يلام من وجود
التصوف بوجود الفقر .
قال الجنيد رحمة الله
عليه : التصوف هو أن
يميتك الحق عنك
وعيك به وهذا
المعنى هو الذى ذكرناه
من كونه قائما فى
الأشياء بالله لا بنفسه
والفقر والزاهد
مكونان فى الأشياء
بنفسهما واقعان مع
إرادتهما بجهتدان
مبلغ علمهما والصوفى
متهم لنفسه مستقل
لعله غير راكن إلى
معلومه قائم بمراد ربه
لا بمراد نفسه . قال
ذو النون للصيرى
رحمة الله عليه الصوفى
من لا يجبه طلب ولا
يزعجه سلب وقال أيضا
الصوفية آثروا الله
تعالى على كل شئ
فآثروا الله على كل
شئ فكان من
إشادهم أن آثروا علم
الله على علم نفوسهم

في الأول فمن دعا بهذه الأسماء فليقل إنك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا فمن دعا بهن كتب من الساجدين المحتجبين الذين يجاورون همدا وإبراهيم وموسى وعيسى والتبيين صلوات الله عليهم في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والأرضين وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى .
(دعاء للتمتع وهو وسلمان التيمي وتيسيحاته رضي الله عنه)

روى أن يونس بن عبيد رأى رجلاً في المنام ممن قتل شهيداً ينادي الروم قال ما أفضل ما رأيت ثم من الأعمال ؟ قال رأيت تسيحات ابن الحنظل من الله عز وجل بمكان وعي هذه : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عند ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق ومل ما خلق ومل ما هو خالق ومل ما هو خالق ومل أرضه ومثل ذلك وأضاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كتابه ومبلغ رضاه حتى يرضى وإذا رضى وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ماضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وثمن وثمن من الأثاث وأبد من الأبد إلى أبد أبدي الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره .

(دعاء ابراهيم بن آدم رضي الله عنه)

روى إبراهيم بن بشار خادمه أنه كان يقول هذا الدعاء في كل يوم جمعة إذا أصبح وإذا أمسى : مرجا
 يوم للزبد والصبح الجديد والكتاب والشهد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا فيه ما نوقل بسم الله
 الحميد الحميد الرفيع الودود القمال في خلقه ما يريد أصبحت بأه مؤمنا وبقائه مصدا وبجته معترفا
 ومن ذنب مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله في الآلهة جاحدا وإلى الله قبرا وعلى الله منكلا
 وإلى الله منيا أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحمة عرشه ومن خلقه ومن هو خالق به أنه
 هو الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وأن
 الجنة حق وأن النار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكبرا حق ووعدك حق ووعدك
 حق وتمامك حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور على ذلك أحيا وعليه أموت
 وعليه أبعث إن شاء الله اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك
 ما استطعت أعوذ بك اللهم من شر ما صنعت ومن شر كل ذي شر اللهم إني ظلمت نفسى فاغفر لى ذنوبى
 فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدنى لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصبر عني سيئها
 فإنه لا يصبر سيئها إلا أنت ليك وسعديك والخير كله يديك وأنا لك وإليك أستغفر لك وأتوب إليك
 آمنت اللهم بما أرسلت من رسوله وآمنت اللهم بما أنزلت من كتابه وصلى الله على محمد النبى الأسمى
 وعلى آله وسلم تسليما كثيرا خاتم كلامى ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يارب العالمين اللهم
 أوردنا حوض محمد وامتنا بكأه مشربا رويأ سائما هنيا لانظما بده أبدا واحشرا فى زمرة غير
 خزايا ولا ناكثين للعهد ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مضضوب علينا ولا مزالين اللهم اعصمنى من قن
 الدنيا ووقنى لما تحب وترضى وأصلح لى شأنى كله وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة
 ولا تضلنى وإن كنت ظالما سبحانك يا على يا عظيم يا بارى يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له
 السموات بأكنافها وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها
 وسبحان من سبحت له الحيتان بلفاتها وسبحان من سبحت له النجوم فى السماء بأبراجها وسبحان
 من سبحت له الأعجار بأصولها ونملها وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع
 ومن فيهن ومن عليهن سبحان من مبيح له كل شى من مخلوقاته تباركت وتعالى سبحانك ،

وإرادة الله على إرادة
نفسهم . قبل بعضهم
من أصحاب من
الطوائف قال الصوفية
فلن فقيح عندهم
وجه من العاذر وليس
الكبير من العمل
عندهم وقع برؤفونك
به فتصيحك تمسك
وهذا علم لا يوجد عند
الفقير والزاهد لأن
الزاهد يستعظم الترك
ويستبجح الأخذ
وهكذا الفقير وذلك
لضيق وعاشهم ووقوفهم
على حد علمهم . وقال
بعضهم الصوفى من
إذا استقبله حالان
حسنان أو خلقان
حسنان يكون مع
الأحسن والفقير
والزاهد لا يميزان كل
التمييز بين الخلقين
الحسنين بل يختاران
من الأخلاق أيضا
ماهو أدعى إلى الترك
والخروج عن عواجل
الدنيا ما كان في ذلك
بطلبهما والسوفى هو
الستين الأحسن من

سبحانك يا حي يا قيوم يا عليم يا حليم سبحانه لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تهني وتميت وأنت حي لا تموت يديك الخير وأنت على كل شيء قدير .

(الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم عنقوة الأسانيد متخية من جملة ما جمعه أبو طالب السكي وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله)

يستحب للمريد إذا أصبح أن يكون أحب أرواده الدعاء كسبائي ذكره في كتاب الأوراد فإن كنت من المريدين لحث الآخرة للتقدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به قلب في مفتاح دعواتك (١) أعقاب صلواتك (٢) سبحانه ربّي على الأمل الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقل رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً (٣) ثلاث مرات وقل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه (٤) وقل اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعاتي وأقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغفل عن تحق (٥) اللهم لا تؤمنني مكرك ولا تؤمنني غيرك ولا تنزع عني شرك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من النافلين (٦) وقل اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (٧) ثلاث مرات وقل اللهم إني أسألك وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت (٨) ثلاث مرات وقل اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبردا لعيشي بعد الموت ولينة النظر إلى وجهك الكريم وعوقاً إلى قهالك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أعتدى أو يعتدي علي أو أكتب خطيئة أو ذنباً لا تغفره (٩)

(الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم)

(١) حديث افتتاح الدعاء سبحانه ربّي على الأمل الوهاب تقدم في الباب الثاني في الدعاء (٢) حديث القول عقب الصلوات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير متفق عليه من حديث للغيرة بن شعبة (٣) حديث رضيت بالله ربا والحديث تقدم في الباب الأول من الأذكار (٤) حديث اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه دت وصححه وحسب وك وصححه من حديث أبي هريرة أن أبا بكر الصديق قال يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت قال قل اللهم فذكره (٥) حديث اللهم إني أسألك العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعاتي وأقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغفل عن تحق دنه ك من حديث ابن عمر قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسى وحين يصبح (٦) حديث اللهم لا تؤمنني مكرك ولا تؤمنني غيرك ولا تنزع عني شرك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من النافلين واما يوم منصوره يلى في مسند القردوس من حديث ابن عباس دون قوله ولا تؤمنني غيرك وإسناده ضعيف (٧) حديث اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (٨) حديث اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت ثلاث مرات دن في اليوم واليلة من حديث أبي بكره وقال ن جعفر بن ميمون ليس بالقوي (٩) حديث اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء بالحديث

عند الله بصدق التجاه
وحسن إجابته وحظ
قربه ولطف لوجه
وخروجه إلى الله تعالى
لعله يبره وحظه من
عنايته ومكانه قال
رويم التصوف
استرسال النفس مع
الله تعالى على ما يريد
وقال عمرو بن عثمان
للنبي التصوف أن
يكون العبد في كل
وقت مشغولاً بما هو
أولى في الوقت وقال
بضمهم التصوف أوله
علم وأوسطه عمل
وأخيره موهبة من الله
تعالى وقيل التصوف
ذكر مع اجتماع ووجد
مع استماع وعمل مع
اتباع وقيل التصوف
ترك التكلف وبطل
الروح وقال سهل بن
عبد الله الصوفي من
صف من الكند والتمتلا
من الفكر واضطع
إلى الله موت البهر
واستوى عند الله
والدر وسئل
بضمهم عن التصوف

اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا خاشعا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب (١) اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني فانك أنت للقدم وأنت للآخر وأنت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد (٢) اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونفعا لا ينفد وقرعة عين الأبد ومراقبة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد (٣) اللهم إني أسألك الطيبات وفصل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب إلى حبك وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمي وإذا أردت بقوم فتنة فاقبض إليهم غير مفتون (٤) اللهم بملك النيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي أسألك خشيتك في النيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والنضب والصدق في التقى والفقر وقلة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضره وقتة مضرة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين (٥) اللهم اقم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا والآخرة (٦) اللهم املا وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك فرقا وأسكن في قلوبنا من عظمتك ما ندلك به جوارحنا لحمدتك . واجعلك اللهم أحب إلينا ممن سواك واجعلنا أخشى لك ممن سواك (٧) اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكملة ومفخرة (٨)

إلى قوله أودبنا لا يفر أحمد و ك من حديث زيد بن ثابت في أثناء حديث وقال صحيح الاسناد (٩) حديث اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد الحديث إلى قوله وأنت علام الغيوب ت ن ك وصححه من حديث عسداد بن أوس قلت بل هو منقطع وضعيف (١٠) حديث اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت الحديث إلى قوله وعلى كل غيب شهيد متفق عليه من حديث أبي موسى دون قوله وعلى كل غيب شهيد وقد تقدم في الباب الثاني من هذا الكتاب (١١) حديث اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونفعا لا ينفد وقرعة عين الأبد الحديث في اليوم واليلة و ك من حديث عبد الله بن مسعود دون قوله وقرعة عين الأبد وقال صحيح الاسناد و ن من حديث عمار بن ياسر بإسناد جيد وأسألك نفعا لا يبيد وقرعة عين لا تقطع (١٢) حديث اللهم إني أسألك الطيبات وفصل الخيرات الحديث إلى قوله غير مفتون ت من حديث معاذ اللهم إني أسألك فصل الخيرات الحديث . وقال حسن صحيح ولم يذكر الطيبات وهي في الدعاء للطبراني من حديث عبد الرحمن بن عايش وقال أبو حاتم ليست له صفة (١٣) حديث اللهم إني أسألك بملك النيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي الحديث إلى قوله واجعلنا هداة مهتدين ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث عمار بن ياسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به (١٤) حديث اللهم اقم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك الحديث ت وقال حسن و ن في اليوم واليلة و ك وقال صحيح على شرط خ من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يهتف بجلسه بذلك (١٥) حديث اللهم املا وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحا الحديث إلى قوله واجعلنا أخشى لك ممن سواك لما نص له على أصل (١٦) حديث اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكملة عبد بن حميد في المنتخب والطبراني من حديث ابن أوفى بالشطر الأول قسط إلى قوله نجاحا وإسناده ضعيف .

قال تصفية القلب
عن مواقة السيرة
ومفارقة . الأخلاق
الطبيعية وإخاد صفات
البشرية ومجانبة
الدواعي النفسانية
ومنازلة الصفات
الروحانية والتعلق
بعلوم الحقيقة وإتباع
الرسول في الشريعة .
قال ذوالنون المصري
رأيت بعض سواحل
الشام امرأة قتلت من
أين أقبلت قالت من
عند أقوام تتجافى
جنوبهم عن المضاجع
قتلت وأين تريد بن
قالت إلى رجال لا تلهمهم
تجارة ولا بيع عن
ذكر الله قتل صفهم
لي فأنشأت :
قوم همومهم بالله قد
علقت
فألم هم تسعو إلى
أحد
فطلب القوم مولام
وسيدم
يا حسن مطلبهم للواحد
الصمد

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء للملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لمحيته وأظهر كل شيء بحكته وتصاغر كل شيء لكبريائه (١) اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وأزواج محمد وذريته وبارك على محمد وعلى آل محمد وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد (٢) اللهم صلى على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي رسولك الأمين وأعطه المقام المحمود الذي وعدته يوم الدين (٣) اللهم اجعلنا من أوليائك للتقين وحزبك للفلاحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضاك عنا ووقتنا لهابك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا (٤) نسألك جوامع الخير وفوائده وخواتمه ونموذ بك من جوامع الشر وفوائده وخواتمه (٥) اللهم بقدرتك على تب على إنك أنت التواب الرحيم ومهلك على أعف عن إنك أنت الغفار الحليم وبملك بي أرفق بي إنك أنت أرحم الراحمين وبملكك لي ملكي نفسي ولا تسلطها على إنك أنت الملك الجبار (٦) سبحانه اللهم وبمحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي إنك أنت ربى ولا يغفر الذنوب إلا أنت (٧) اللهم ألهمني رشدى وقي شر نفسي اللهم ارزقني حلالا لا تماقنى عليه وقمى بما رزقتنى واستعملنى به صالحا تقبله منى (٨) أسألك العفو والمافية وحسن اليقين والمافاة في الدنيا والآخرة (٩) يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه

(١) حديث الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته الحديث إلى قوله وتصاغر كل شيء لكبريائه الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله والحمد لله الذي سكن كل شيء لمحيته إلى آخره وكذلك رواه في الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف أيضا (٢) حديث اللهم صلى على محمد وأزواجه وذريته الحديث إلى قوله حميد مجيد تقدم في الباب الثاني (٣) حديث اللهم صلى على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي رسول الأمين وأعطه المقام المحمود يوم الدين لم أجده بهذا اللفظ مجموعا وخ من حديث أبي سعيد اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك وحب قط لك حق من حديث ابن مسعود اللهم صلى على محمد النبي الأمي ون من حديث جابر وابنه المقام المحمود الذي وعدته وهو عند شيخ بلفظ وابنه مقاما محمودا قال قط إنسانه حسن وقال ك صحيح وقال حق في المعرفة اسناده صحيح (٤) حديث اللهم اجعلنا من أوليائك للتقين وحزبك للفلاحين الحديث إلى قوله صرفنا بحسن اختيارك لنا لم أقفله على أصل (٥) حديث نسألك جوامع الخير وفوائده وخواتمه ونموذ بك من جوامع الشر وفوائده وخواتمه وطب من حديث أم سلمة أنه كان يدعو هؤلاء الكلمات فذكر منها اللهم إني أسألك فوائج الخير وخواتمه وأوله وآخره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين فيه عاصم بن عبيد لا أعلم روى عنه إلا موسى بن عقبة (٦) حديث اللهم بقدرتك على تب على إنك أنت التواب الرحيم ومهلك على أعف عن الحديث إلى قوله إنك الملك الجبار لم أقف له على أصل (٧) حديث سبحانه اللهم وبمحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي أنت ربى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت حق في الدعوات من حديث على دون قوله ذنبي إنك أنت ربى وقد تقدم في الباب الثاني (٨) حديث اللهم ألهمني رشدى وقي شر نفسي ت من حديث عمران ابن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه لحسين وقال حسن غريب ورواه في اليوم واليلة وك من حديث حسين والد عمران وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث اللهم ارزقني حلالا لا تماقنى فيه وأقضى بما رزقتنى واستعملنى به صالحا تقبله منى ك من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم قمتى بما رزقتنى وبارك لي فيه وأخلف على كل فائبة لي بخير وقال صحيح الاسناد وك مخرجاه (١٠) حديث اللهم إني أسألك العفو والمافية وللمافاة وحسن اليقين في الدنيا والآخرة ن

ما إن تنازعهم دنيا ولا شرف
من للطاعم والذات والولد
ولا لبس ثياب فائق أنق
ولا لروح سرور حل في بلد
إلا مسارعة في إثر منزلة
قد قارب الخطو فيها باعد الأبد
فهم رهائن غدران وأودية
وفي الشوامخ تلقام مع العدد
وقال الجنيدي: الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مبيع
وقال أيضا هو كالأرض يطؤها البر والقاجر وكالسحاب يظل كل شيء وكالقطر يسقي كل شيء وأقوال الشانقي في ماهية التصوف
تزيد على ألف قول ويطول قلمها وتذكر ضابطا يجمع جمل معانيها فان الألفاظ

للفرة هب لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين وأكتبنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا نجعلنا فتنه للقوم الظالمين ربنا لا نجعلنا فتنه للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ربنا إنا نسمعنا مناديا ينادي للإيمان إلى قوله عز وجل إنك لا تخلف للعباد ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا إنا نؤمن بك ربنا اغفر لي ولوالدي وأرحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات (١) رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وأنت خير الغافرين وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا (٢) . أنواع الاستعاذة للأئمة عن النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر (٣) اللهم إني أعوذ بك من طبع يهدي إلى طمع ومن طمع في غير طمع ومن طمع حيث لا مطمع (٤)

من حديث أبي بكر الصديق بلفظ سلوا الله العافية فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرا من العافية وفي رواية للبيهقي سلوا الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة فإنه ما أوتي العبد بعد اليقين خيرا من العافية وفي رواية لأحمد أسأل الله العفو والعافية (١) حديث يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه الففرة هب لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بن إسحاق (٢) حديث رب اغفر لي ولوالدي وأرحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ده باسناد حسن من حديث أبي أسيد الساعدي قال رجل من بني سلمة هل بقي على من برأ أبو موسى قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما الحديث ولأبي الشيخ حب في الثواب والمستغفر في الدعوات من حديث أنس من استغفر للمؤمنين والمؤمنات رداً لله عليه عن كل مؤمن مضى من أول الدهر أو هو كائن إلى يوم القيامة وسنده ضعيف وفي صحيح حب من حديث أبي سعيد أبا رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليت في دطائه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فإنها زكاة (٣) حديث رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين أحمد من حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول رب اغفر وارحم واهدني السبيل الأقوم وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه والطبراني في الدعاء من حديث ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا سعى في بطن الليل اللهم اغفر وارحم وأنت الأعز الأكرم وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه ورواه موقولا عليه بسند صحيح (٤) حديث اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر من حديث سمعان بن أبي وقاص (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك من طبع يهدي إلى طمع وطمع في غير طمع ومن طمع حيث لا مطمع أحمدك من حديث معاذ وقال مستقيم الإسناد .

وان اختلفت متقاربة
للعاني ، فنقول الصوفي
هو الذي يكون دائم
التصفية لا يزال يصفي
الأوقات عن شوب
الأفكار بتصفية
القلب عن شوب النفس
ويبنيه على كل هذه
التصفية دوام افتقاره
إلى مولاه فبدوام
الافتقار ينشئ من
الكدر وكلما تحركت
النفس وظهرت بصفة
من صفاتها أدركها
يصيرته الناقدة وفرمها
إلى ربه فبدوام تصفيته
جميعته وبمحركة
نفسه تفرقة وكدره
فهو قائم بربه على
قلبه وقائم بقلبه على
نفسه قال الله تعالى
- كونوا قوامين لله
شهداء بالقسط -
وهذه القوامية لله على
النفس هو التحقق
بالتصوف قال بعضهم
التصوف كله اضطراب
فاذا وقع السكون
فلا تصوف والسر فيه
أن الروح مجذوبة إلى

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تتبع وأعوذ بك من الجوع فانه يئس الضجيع ومن الحيانة فانه يئس البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والحرم ومن أن أرد إلى أركل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة الهيا واللمات اللهم إنا نسألك فلولا أو أهاة حنينة منية في سبيك اللهم إني أسألك عزائم مفتركة وموجبات رحمتك والسلامة من كل إثم والفتنة من كل بر والقور بالجنة والنجاة من النار (١). اللهم إني أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من التم والفرق والهدم وأعوذ بك من أن أموت في حبيبتك مدبرا وأعوذ بك من أن أموت في تطلب الدنيا (٢). اللهم إني أعوذ بك من شر ما لم أعلم (٣). اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والأهواء (٤). اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء (٥). اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال (٦). اللهم إني أعوذ بك من شر ممى وبصرى وشر لسانى وقلبي وشر منى (٧). اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار القامة فان جار البادية يتحول (٨). اللهم إني أعوذ بك من القسوة والنفقة والعبية والدلة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والقسوة والشقاق والتفانى وعواء الأخلاق وضيق الأرزاق والسمة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسبي الأسقام (٩).

(١) حديث اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع الحديث إلى قوله والنجاة من النار ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس كما قال إلا أنه ورد مفردا في أحاديث جيدة الأسانيد (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من التم الحديث إلى قوله وأعوذ بك أن أموت في تطلب الدنيا ك وصححه إسناده من حديث أبي اليسر واسمه كعب ابن عمر بزيادة فيه دون قوله وأعوذ بك أن أموت في تطلب الدنيا وقدم من عند البخارى الاستعاذة من فتنة الدنيا (٣) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر ما لم أعلم ومن شر ما لم أعلم قلت هكذا في غير نسخة علمت وإنما هو علمت وأعمل كذا رواه م من حديث عائشة ولأبي بكر بن الضحاك في الشبائل في حديث مرسل في الاستعاذة وفيه وشر ما لم أعلم وشر ما لم أعلم (٤) حديث اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والأهواء وحسنه ك وصححه والفظه من حديث قطبة ابن مالك (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال ك وقال صحيح الاسناد من حديث أبي سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول من الكفر والدين وفي رواية للنسائي من الكفر والفقر وسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يتعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدجال وللشيخين من حديث عائشة في حديث قال فيه ومن شر فتنة المسيح الدجال (٧) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر ممى وشر بصرى وشر لسانى وقلبي وشر منى دن ت وحسنه ك وصححه إسناده من حديث سهل بن حميد (٨) حديث اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار القامة فان جار البادية يتحول ك من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط م (٩) حديث اللهم إني أعوذ بك من القسوة والنفقة والعبية والدلة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والقسوة والشقاق والتفانى والسمة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسبي الأسقام دن مقتصرين على الأربعة الأخيرة وك يتلمه من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

الحضرة الإلمية ينى
أن روح الصوفى
متطلعة منجذبة إلى
موطن القرب والنفس
بوضها رسوب إلى
طالها واقلاب على
عقبها ولا بد للصوفى
من دوام الحركة بدوام
الافتقار ودوام التفرار
وحسن التفقد لمواقع
إصابات النفس ومن
وقف على هذا المعنى
يجد في معنى الصوفى
جميع للتفرق في
الاشارات [الباب
السادس في ذكر
تسميتهم بهذا الاسم]
أخبرنا الشيخ
أبو زرعة طاهر بن
محمد بن طاهر قال
أخبرني والدي قال أنا
أبو طي الشافى بمكة
حرسها الله تعالى قال
أنا أحمد بن إبراهيم
قال أنا أبو جعفر محمد
ابن إبراهيم قال أنا
أبو عبد الله الخزوى
قال ثنا سفيان عن
مسلم عن أنس بن
مالك قال كان رسول

لقد صلى الله عليه وسلم
ببب دعوة العبد
يركب الحمار ويلبس
الصوف فمن هذا
الوجه ذهب قوم إلى
أنهم مما صوفية نسبة
لهم إلى ظاهر اللفظة لأنهم
اختاروا لبس الصوف
لكونه أرفق ولكونه
كان لباس الأنبياء
عليهم السلام . روى
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال
« مرة بالصخرة من
الروحاء سبعون نبياً
حفاة عليهم العباء
يؤمنون البيت الحرام »
وقيل إن عيسى عليه
السلام كان يلبس
الصوف والشعر
ويأكل من الشجر
ويبيت حيث أسي .
وقال الحسن البصري
رضي الله عنه لقد
أدركت سبعين بدياً
كان لباسهم الصوف
ووصفهم أبوهريرة
وفضالة بن عبيد قحلاً
كانوا يخرجون من
الجوع حتى نخسهم

(١) حديث اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة فقرك ومن جميع سخطك
م من حديث ابن عمر (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة
القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة السبوح والجمال وأعوذ بك من اللأثم والقرم مفتق عليه
من حديث عائشة (٣) حديث اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يشبع وصلاة لا تنفع ودعوة
لا تستجاب وأعوذ بك من سوء العمر وفتنة الصدر م من حديث زيد بن أرقم في أثناء حديث اللهم
إني أعوذ بك من قلب لا يشبع ونفس لا تشبع وعمل لا يرفع ودعوة لا يستجاب لها وصلاة لا تنفع وشك
أبو العتر في صاعه من أفسس وللنساء بإسناد جيد من حديث عمر في أثناء حديث وأعوذ بك ودمن
حديث أنس اللهم إني أعوذ بك من سوء العمر وأعوذ بك من فتنة الصدر (٤) حديث اللهم إني أعوذ
بك من غلبة الدين وغلبة العدو ولحماة الأعداء ن ك من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم .
(الباب الخامس في الأدعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث)

(٥) حديث القول عند الخروج إلى المسجد اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٦) حديث اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق عمتي هذا إليك الحديث من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد حسن (٧) حديث القول عند الخروج من المنزل لحاجته باسم الله رب أعوذ بك أن أعظم أو أعظم أو أجمل أو يجهل على أصحاب السنن من حديث أم سلمة قالت حسن صحيح (٨) حديث بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله التكلان على الله من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من منزله قال باسم الله فذكره إلا أنه لم يقل الرحمن الرحيم وفيه ضعف (٩) حديث القول عند دخول المسجد اللهم صل على محمد النبي وآله وسلم قال ت حسن وليس إسناده يمتثل ولمسلم من حديث أبي حميد أو أبي أسيد إذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك وزاد في أوله فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم .

وقدم رجلك اليمنى في الدخول فاذا رأيت في السجدة من يسبح أو يبتاع قل لأربع الله تجارتك (١) وإذا رأيت من ينشد ضالة في السجدة قل لاردها الله عليك أمربه رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) فاذا حليت ركعتي الصبح قل باسم الله اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الدعاء إلى آخره (٣) كأوردناه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فاذا ركعت قل في ركوعك : اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت رب خشع سمعي وبصري وعي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين (٤) وإن أحببت قل سبحان رب العظيم ثلاث مرات (٥) أو سبح قدوس رب اللائكة والروح (٦) فاذا رفعت رأسك من الركوع قل مع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما مننت ولا ينفع ذا الجند منك الجند (٧) وإذا سجدت قل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشفق منه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبي وهذا ماجئت على نفسي فاغفرلى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (٨) أو تقول سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات (٩) فاذا فرغت من الصلاة قل اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام (١٠) وتدعو بسائر الأدعية التى ذكرناها فاذا كنت من المجلس وأردت دعاء يكفر لئلا تجلس قل سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفرلى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (١١) فاذا دخلت السوق قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير (١٢) باسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها بمينا

(١) حديث القول إذا رأى من يسبح أو يبتاع في السجدة لأربع الله تجارتك وقال حسن غريب ون في اليوم واليلة من حديث أبي هريرة (٢) حديث القول إذا رأى من ينشد ضالة في السجدة لاردها الله عليك من حديث أبي هريرة (٣) حديث ابن عباس في القول بعد ركعتي الصبح اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الخ قد تقدم في الدعاء (٤) حديث ابن عباس في القول في الركوع اللهم لك ركعت ولك أسلمت الحديث م من حديث على (٥) حديث القول فيه سبحان ربى العظيم ثلاثا د ت ه من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع (٦) حديث القول فيه سبح قدوس رب اللائكة والروح م من حديث عائشة (٧) حديث القول عند الرفع من الركوع مع الله لمن حمده ربنا لك الحمد الحديث م من حديث أبي سعيد الخدرى وابن عباس دون قوله مع الله لمن حمده فهي في اليوم واليلة للحسن بن على للمصرى وهى عند م من حديث ابن أبى أوفى وعند م من حديث أبى هريرة (٨) حديث القول في السجود اللهم لك سجدت الحديث م من حديث على اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبي وهذا ماجئت على نفسي فاغفرلى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس كما قال بل هو ضعيف (٩) حديث سبحان ربى الأعلى ثلاثا د ت ه من حديث ابن مسعود وهو منقطع (١٠) حديث القول إذا فرغت من الصلاة اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام م من حديث ثوبان (١١) حديث كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ن في اليوم واليلة من حديث رافع بن خديج بإسناد حسن (١٢) حديث القول عند دخول السوق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير من حديث عمر وقال غريب وك وقال صحيح على شرط الشيخين .

الأعراب مجانين وكان
لباسهم الصوف حتى
إن بعضهم كان يبرى
في ثوبه فيوجد منه
رائحة الضأن إذا
أصابه القيح وقال
بعضهم إنه يؤذنى
ريح هؤلاء أما يؤذيك
ريحهم يخاطب رسول
الله صلى الله عليه وسلم
بذلك فكان اختيارهم
لبس الصوف تركهم
زينة الدنيا وقناعهم
بسد الجوعه وستر
العورة واستخراهم في
أمر الآخرة فلم تفرغوا
للاذ النفوس وراحاتها
لشدة شغلهم بخدمة
مولاهم وانصراف
همهم إلى أمر الآخرة
وهذا الاختيار بلام
ويناسب من حيث
الاعتقافى لأنه يقال
نصوف إذا لبس
الصوف كما يقال تميم
إذا لبس القميص
ولما كان حلقهم بين
سير وطير لقلبهم في
الأحوال وارتحالهم بين
حال إلى أعلى منه

فاجرة أو صفة خاسرة (١) فإن كان عليك دين قُل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عن سواك (٢) فإذا لبست ثوبا جديدا قُل اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له (٣) وإذا رأيت شيئا من الطيرة تسكره قُل اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله (٤) وإذا رأيت الهلال قُل اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والبر والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى والحفظ عن تسخط ربي وربك الله (٥) ويقول هلال رشد وخير آمنت بحالك (٦) اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر (٧) وتكبر قبله أولا ثم لا ثم وإذا هبت الريح قُل اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ومن شر ما أرسلت به (٨) وإذا بلغك وفاة أحد قُل إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا منتقلون اللهم اكشفني المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بسده واغفر لنا وله (٩)

(١) حديث باسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها بمينا فاجرة أو صفة خاسرة كمن حديث بريدة وقال أقربها لشرائط هذا الكتاب حديث بريدة . قلت فيه أبو هرير جابر لشبيب بن حرب ولله خصم بن سليمان الأسدي مختلف فيه (٢) حديث دعاء الدين اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وبفضلك عن سواك ت وقال حسن غريب وك وقال صحيح الاسناد من حديث علي بن أبي طالب (٣) حديث الدعاء إذا لبست ثوبا جديدا اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له د ت وقال حسن ون في اليوم واليلة من حديث أبي سعيد الخدري ورواه ابن السني بلفظ المصنف (٤) حديث القول إذا رأى شيئا من الطيرة يكرهه اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله ابن أبي شيبة وأبو نعيم في اليوم واليلة وهي في الدعوات من حديث عروة بن عامر ومرسل ورجاله ثقات وفي اليوم واليلة لابن السني عن عقبه بن عامر فجهل مسندا (٥) حديث التكبير عند رؤية الهلال ثلاثا ثم يقول اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله الدارمي من حديث ابن عمر لأنه أطلق التكبير ولم يقل ثلاثا ورواه وحسنه من حديث طلحة بن عبيد الله دون ذكر التكبير والبيهقي في الدعوات من حديث قتادة مرسل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال كبر ثلاثا (٦) حديث هلال خير ورشد آمنت بحالك د مرسل من حديث قتادة أنه بلغه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال خير ورشد آمنت بالله خلقك ثلاث مرات وأسنده الدارقطني في الإفراد والطبراني في الأوسط من حديث أنس وقال د وليس في هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث مسند صحيح (٧) حديث اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر ابن أبي شيبة وأحمد في مسنديهما من حديث عبادة بن الصامت وفيه من لم يسم بل قال الراوي عنه حدثني من لآتهم

(٨) حديث القول إذا هبت الريح اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به ت وقال حسن صحيح ون في اليوم واليلة من حديث أبي بن كعب (٩) حديث القول إذا بلغه وفاة أحد إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا منتقلون اللهم اكشفني المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بسده واغفر لنا وله ابن السني في اليوم واليلة وحسنه من حديث أم سلمة إذا أصاب أحدكم مصيبة قلقل إنا لله وإنا إليه راجعون ولمسلم من حديثها اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين

يغيدم وصف ولا يحبسهم نعم وأبواب للزبد علما وحالا عليهم مفتوحة بواطنهم معدن الحقائق وجمع العلوم فلما تضرع تقيدم بحال تقيدم لتنوع وجدانهم وتجنس مزيدم نسبوا إلى ظاهر اللبسة وكان ذلك أين في الإشارة إليهم وأدعى إلى حصر وصفهم لأن لبس الصوف كان غالبا على المتقدمين من سافهم وأيضا لأن حالهم حال للقرينين كاسبق ذكره ولما كان الاعتناء إلى القرب وعظم الإشارة إلى قرب الله تعالى أمر صعب يمز كشفه والإشارة إليه وقت الإشارة إلى زهم سترها لحالم وغيرة على عزيز مقامهم أن تكسر الإشارة إليه وتداوله الألسنة فكان هذا أقرب إلى الأدب والأدب في الظاهر والباطن والقول والفعل

وتقول عند التصديق - ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم - وتقول عند الحشران - عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون - وتقول عند ابتداء الأمور - ربنا آتانا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشدا - رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري - وتقول عند النظر إلى السماء - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه قتنا عذاب النار - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا - وإذا سمعت صوت الرعد قل سبحانه من يسبح الرعد بحمده ولللائكة من خفيته (١) فان رأيت الصواعق قل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك (٢) قاله كعب فإذا أمطرت السماء قل اللهم سقيا هنيئا وسيا نافعا (٣) اللهم اجعله سبب رحمة ولا تجعله سبب عذاب (٤) فإذا غضبت قل اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم (٥) فإذا خفت قوما قل اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم (٦) فإذا غزت قل اللهم أنت عضدي ونصيري وبك أقاتل (٧) وإذا طنت أذنك فصل على محمد صلى الله عليه وسلم وقل ذكر الله من ذكرني بخير (٨) فإذا رأيت استجابة دعائك قل الحمد لله الذي بمرزته وجلاله تم الصالحات وإذا أبطأت قل الحمد لله على كل حال (٩) وإذا سمعت أذان للرب قل اللهم هذا إقبال ليك وإدبار نهارك وأصوات دعائك وحضور صلواتك أسألك أن تنفري (١٠) وإذا أصابك هم قل اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاائك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهي (١١)

واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه (١) حديث القول إذا سمع صوت الرعد سبحانه من يسبح الرعد بحمده ولللائكة من خفيته مالك في اللوط أعين عبد الله بن الزبير موقوفا ولم أجده مرفوعا (٢) حديث القول عند الصواعق اللهم لا تقتلنا بغضبك وتهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وقال غريب ون في اليوم واليلة من حديث ابن عمر وابن السني بإسناد حسن (٣) حديث القول عند المطر اللهم سقيا هنيئا وسيا نافعا من حديث عائشة كان إذا رأى للمطر قال اللهم اجعله سببا نافعا وه سببا بالسين أوله ون في اليوم واليلة اللهم اجعله سببا هنيئا وإسنادها صحيح (٤) حديث اللهم اجعله سبب رحمة ولا تجعله سبب عذاب ن في اليوم واليلة من حديث سعيد بن المسيب مرسلا (٥) حديث القول إذا غضب اللهم اغفر ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم ابن السني في اليوم واليلة من حديث عائشة بسند ضعيف (٦) حديث القول إذا خاف قوما اللهم إني أجعلك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم ون في اليوم واليلة من حديث أبي موسى بسند صحيح (٧) حديث القول إذا غزا اللهم أنت عضدي ونصيري بك أقاتل دن من حديث أنس قال ت حسن غريب (٨) حديث القول عند طنين الأذن اللهم صل على محمد ذكر الله بخير من ذكرني الطبراني وابن عدي وابن السني في اليوم واليلة من حديث أبي رافع بسند ضعيف (٩) حديث القول إذا رأى استجابة دعائه الحمد لله الذي نعمته تتم الصالحات تقدم في الدعاء (١٠) حديث القول إذا سمع أذان للرب اللهم هذا إقبال ليك وإدبار نهارك وأصوات دعائك وحضور صلواتك أسألك أن تنفري ت د وقال غريب و لك من حديث أم سلمة دون قوله وحضور صلواتك فانها عند الحرائط في مكارم الأخلاق والحسن بن علي للعمري في اليوم واليلة (١١) حديث القول إذا أصابه هم اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك الحديث أحمد وحبك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط من إرساله عبد الرحمن

عماد أمر الصوفية وفيه معنى آخر وهو أن نسبهم إلى الالة تنفي عن قتلهم من الدنيا وزهدهم فيما تدعو النفس إليه بالهوى من اللبوس الناعم حتى إن للبتيدي للريد الذي يؤثر طريقهم ويجب الدخول في أمرهم بوطن نفسه على التشرف والتقل ويسلم أن للأكل أيضا من جنس اللبوس فيدخل في طريقهم على بصيرة وهذا أمر مفهوم معلوم عند البتيدي والإشارة إلى شيء من حالهم في تسميتهم بذلك أبعد من فهم أرباب البدايات فكان تسميتهم بهذا الأنفع وأولى وأيضاً غير هذا المعنى مما يقال إنهم سموا صوفيه لذلك يتضمن دعوى وإذا قيل سموا صوفية للبسم الصوف كان أبعد من الدعوى وكل ما كان أبعد من

قال صلى الله عليه وسلم « ما أصاب أحدا حزن فقال ذلك إلا أذهب الله همه وأبدله مكانه فرحا فقيل له يا رسول الله أفلا تنعلها ؟ قال صلى الله عليه وسلم بل ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها » وإذا وجدت وجعا في جسدك أو جسد غيرك فارقه بريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا اشتكى الإنسان قرحة أو جرحا وضع سبابة على الأرض ثم دفعها وقال باسم الله تربة أرضنا بريقة بسبنا يشفي سقيمنا باذن ربنا (١) » وإذا وجدت وجعا في جسدك فضع يديك على الذي يتألم من جسدك وقل باسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر (٢) « فإذا أصابك كرب قل لا إله إلا الله العلي العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم (٣) فان أردت النوم فوضأ أولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله تعالى أربعين وثلاثين وسبحه ثلاثة وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين (٤) ثم قل اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم إني لأستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثبتت على نفسك (٥) اللهم باسمك أحيا وأموت (٦) اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء ومليك فائق الحب والنوى ومنزل الثوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر (٧) اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة (٨) باسمك ربى وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي (٩) اللهم فني عذابك يوم تجمع عبادك (١٠) اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك عن أيه فانه مختلف في سماعه من أيه (١) حديث رقية رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم الله تربة أرضنا بريقة بسبنا يشفي سقيمنا باذن ربنا متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث وضع يده على الذي يتألم من جسده ويقول باسم الله ثلاثا ويقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات من حديث عثمان بن أبي العاص (٣) حديث دعاء الكرب لا إله إلا الله العلي العظيم الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٤) حديث التكبير عند النوم أربعين وثلاثين والتسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين متفق عليه من حديث علي (٥) حديث القول عند إرادة النوم اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثبتت على نفسك النسائي في اليوم والليلة من حديث علي وفيه انقطاع (٦) حديث اللهم باسمك أحيا وأموت مع من حديث حذيفة وم من حديث البراء (٧) حديث اللهم رب السموات والأرض رب كل شيء ومليك فائق الحب والنوى الحديث إلى قوله وأغنتنا من الفقر من حديث أبي هريرة (٨) حديث اللهم أنت خلقت نفسي وأنت توفاها الحديث إلى قوله إني أسألك العافية من حديث ابن عمر (٩) حديث باسمك ربى وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي في اليوم والليلة من حديث عبد الله بن عمرو بسند جيد وللشيخين من حديث أبي هريرة باسمك ربى وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فاغفرها وقال غ فارحها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين (١٠) حديث اللهم فني عذابك يوم تجمع عبادك في الثبائيل من حديث ابن مسعود وهو عند من حديث حفصة بلفظ ثبت وكذا رواه من حديث جديفة ونحبه من حديث البراء وحسنه .

الدعوى كان أليق بحالهم وأيضا لأن لبس الصوف حكم ظاهر على الظاهر من أمرهم ونسبهم إلى أمر آخر من حال أو مقام أمر باطن والحكم بالظاهر أوفق وأولى فالقول بأنهم هموا صوفية للباسهم الصوف أليق وأقرب إلى التواضع ويقرب أن يقال لا آثروا الدبول والحقول والتواضع والانكسار والتخفي والتوازي كانوا كالخرقة للقاء الصوفة للرمية التي لا يرغب فيها ولا يلتفت إليها فيقال صوفي نسبة إلى الصوفة كما يقال كوفي نسبة إلى الكوفة وهذا ما ذكره بعض أهل العلم والمعنى للتصود به قريب بلائهم الاشتقاق ولم يزل لبس الصوف اختيار الصالحين والزهاد وللتقشفين والعباد . أخبرنا أبو زرعة طاهر عن

والجأت ظهري إليك ورغبة وإليك لاملجأ ولا منجأ منك إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونيك الذي أرسلت (١) ويكون هذا آخر دعائك قدأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليل قبل ذلك اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستملي بأحب الأعمال إليك تقربي إليك زلفي وتبعدني من سخطك بهذا أسألك فمطيق وأستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي (٢) فإذا استيقظت من نومك عند الصباح قل الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور (٣) أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله (٤) أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين (٥) اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير (٦) اللهم إني أسألك أن تبثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نبترج فيه سوءا أو نجبره إلى مسلم فإنك قلت - وهو الذي يتوفاكم بالليل ويسلم ما جرحتم بالتيار ثم يمضكم فيه ليقتضى أجل مسمى - (٧) اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسيبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه (٨)

(١) حديث اللهم إني أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك الحديث متفق عليه من حديث البراء (٢) حديث اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستملي بأحب الأعمال إليك تقربي إليك زلفي وتبعدني من سخطك بهذا أسألك فمطيق وأستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس اللهم ابتنا في أحب الساعات إليك حتى نذكرك فذكرنا ونسألك فمطيقا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا وإسناده ضعيف وهو معروف من قول جيب الطائي كلواه ابن أبي الدنيا في الدعاء (٣) حديث القول إذا استيقظ من منامه الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور (٤) من حديث البراء (٥) أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله الطبراني في الأوسط من حديث عائشة أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد والحو والفقوة والقدرة والسلطان والسموات والأرض وكل شيء قرب السالمين وله في الدعاء من حديث ابن أبي أوفى أصبحت وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والتهار وما سكن فيهما الله وإسناده ضعيف ولمسلم من حديث ابن مسعود أصبحنا وأصبح الملك لله (٥) حديث أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ن في اليوم والليلة من حديث عبد الرحمن بن أبيزى بسند صحيح ورواه أحمد من حديث ابن أبيزى عن أبي بن كعب مرفوعا (٦) حديث اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير أصحاب السنن، وحسنه ت إلا أنهم قالوا وإليك النشور ولا بن السني وإليك المصير (٧) حديث اللهم إنا نسألك أن تبثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نبترج فيه سوءا أو نجبره إلى مسلم الحديث لم أجناؤه وت من حديث أبي بكر في حديثه أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن حترق على أضنا سوءا أو نجبره إلى مسلم رواه د من حديث أبي مالك الأشعري بإسناد جيد (٨) حديث اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسيبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه قلت هو مركب من حديثين فروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسيبانا اقض عني الدين وأغنني من الفقر وقوف على الجهاد في سبيلك ، ولدار قطني في الأفراد من حديث البراء نسألك خير هذا اليوم وخير ما يسده ونعوذ بك من شر

أيه قال أنا عبد الرزاق
ابن عبد الكريم قال
أنا أبو الحسن محمد بن
محمد قال ثنا أبو علي
إسماعيل بن محمد قال ثنا
الحسن بن عرفة قال ثنا
خلف بن خليفة عن
حميد بن الأعرج عن
عبد الله بن الحرث عن
عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم : يوم كلم الله تعالى
موسى عليه السلام كان
عليه جبة صوف
وسراويل صوف
وكساء صوف وكفه من
صوف ونملاء من جلد
حمار غير مذكي . وقيل
مما صوفية لأنهم في
الصف الأول بين يدي
الله عز وجل بارتحاج
فهمهم وإقبالهم على
الله تعالى بقلوبهم
ووقوفهم بسرائرهم بين
يديه وقيل كان هذا
الاسم في الأصل صفوى
فاستقل ذلك وجعل
صوفيا وقيل مموا
صوفية نسبة إلى الصفة

باسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله (١) رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً - ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير - (٢) وإذا أمسى قال ذلك إلا أنه يقول أمسينا ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم (٣) وإذا نظر في المرأة قال الحمد لله الذي سوى خلقه فعدله وكرم صورته وجهي وحسنه وجعلني من المسلمين (٤) وإذا اختريت خادماً أو غلاماً أو دابة فخذ بناصيته وقل اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه (٥) وإذا هنأت بالنكاح قل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير (٦) وإذا قضيت الدين قل للقاضي بارك الله لك في أهلك ومالك إذ قال صلى الله عليه وسلم «إنما جزاء السلف الحمد والأداء» (٧)

هذا اليوم وشر ما بهد ود من حديث أبي مالك الأشعري اللهم إنا نسألك خير هذا اليوم فحه ونصره ونوره وهداه وبركته أعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بهد وسنده جيد ولحسن بن علي العمر في اليوم والليالي من حديث ابن مسعود اللهم إني أسألك خيراً مني هذا اليوم وخير ما بهد وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بهد والجديد عند م في النساء خير ما في هذه الليالي الحديث ثم قال وإذا أصبح قال ذلك أيضاً (١) حديث باسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله عد في الكامل من حديث ابن عباس ولا أعلم إلا مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال يلتقي الخضر وإلياس عليهما الصلاة والسلام كل عام بالموسم يعني فيخلق كل واحد منهما رأس صاحبه فيفترقان عن هذه الكلمات فذكره ولم يقل الخير كله بيد الله قال موضعها لا يسوق الخير إلا الله قال ابن عباس من قالهن حين يصبح وحين يمسي أمته الله من الفرق والخرق وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب أوردته في ترجمة الحسين بن برزق قال ليس بالمعروف وهو بهذا الاسناد منكر (٢) حديث رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً تقدم في الباب الأول (٣) حديث القول عند النساء مثل الصباح إلا أنك تقول أمسينا وتقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم أبو الشيخ في كتاب التواب من حديث عبد الرحمن بن عوف من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وبرأ وذراً أعتصم من شر الثقلين الحديث وفيه وإن قالهن حين يمسي كن له كذلك حتى يصبح وفيه ابن أبي عمير ولاحمد من حديث عبد الرحمن بن حسن في حديث إن جبريل قال يا محمد قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذراً وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء الحديث وإسناده جيد وسلم من حديث أبي هريرة في الدعاء عند النوم أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها والطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة الخ الحديث وقد تقدم في الباب الثاني (٤) حديث القول إذا نظر في المرأة الذي سوى خلقه فعدله وكرم صورته وجهي وحسنه وجعلني من المسلمين الطبراني في الأوسط وابن السني في اليوم والليالي من حديث أنس بسند ضعيف (٥) حديث القول إذا اشتري خادماً أو دابة اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه د من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند جيد (٦) حديث التهنة بالنكاح بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير د ه من حديث أبي هريرة قال ت حسن صحيح (٧) حديث الدعاء لصاحب الدين إذا قضى الله دينه بارك الله لك في أهلك ومالك

التي حركات لفقره
للهاجرين على عهد
رسول الله صلى الله
عليه وسلم الدين قال الله
تعالى فيهم - للفقره
الدين أحصر والى سبيل
الله لا يستطيعون ضرباً
في الأرض - الآية
وهذا وإن كان
لا يستقيم من حيث
الاشتقاق اللغوي
ولكن صحيح من
حيث المعنى لأن الصوفية
يشاكل حالهم حال
أولئك لكونهم
مجتهدين متأملين
متصالحين لله وفي الله
كأصحاب الصفة وكانوا
نحو من أربمائة رجل
يُسكن لهم مساكن
بالمدينة ولا عشار
جمعوا أنفسهم في
للسجد كاجتماع الصوفية
قديماً وحديثاً في الزوايا
والربط وكانوا
لا يرجعون إلى زرع
ولا إلى شرع ولا إلى
تجارة كانوا يختطبون
ويرضخون النوى
بالتهاو وبالليل يشتغلون

فهذه أدعية لا يستغنى الريد عن حفظها وما سوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها في كتاب الحج والصلاة والطهارة . فان قلت لفائدة الدعاء والقضاء لامرده . فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض فكما أن الترس يدفع السهم فيندفعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعلمان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى - خذوا حذركم - وأن لا يسقى الأرض بعد بث البذر فيقال إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر وإن لم يسبق لم ينبت بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلع البهر أو هو أقرب وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدرج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدره بفساد سبب فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انتفعت بصيرته ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الدعاء مخ العبادة »^(١) والقالب على الخلق أنه لا تصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق فلهذا فإن الانسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالخاجة تنوج إلى الدعاء والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل وينسج من نسيانه وأما الغنى فيسبب للبطر في غالب الأمور فان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فهذا ما أردنا أن نورده من جملة الأذكار والدعوات والله للوفى بالخير وأما جبة الدعوات في الأكل والسفر وعبادة للريض وغيرها فستأتى في مواضعها إن شاء الله تعالى وعلى الله التكلان . نجز كتاب الأذكار والدعوات بكماله ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأوراد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل)

وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام أربع العبادات تقع الله به للسليين .

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا ينادر في القلب استكبارا ولا ضورا وفشكره إذ جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ونصلى على نبيه الذي بثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله غداوة وخشيا وبكرة وأصيلا حتى أصبح كل واحد منهم نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا .

[أما بعد] فان الله تعالى جعل الأرض ذلولا لعباده لا يستقروا في مناهل لينخذوها منزلا فيترودوا منها زادا يحملهم في سفرهم إلى أوطانهم ويكتفون منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا محترزين من مصايد ما ومعاطبها ويتحققون أن العمر يسير بهم سير البقية براكبها فالناس في هذا العالم سفر وأوله منازلهم الهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة أو النار والعمر مسافة السفر فسوء مراحله وشهوره فراسخه

إنما جزاء السلف الحمد والأداء من حديث عبد الله بن أبي ربيعة قال استقرض مني النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ألفا فجاءه مال فدفعه إلى قاله فذكره وإسناده حسن (١) حديث الدعاء مخ العبادة تقدم في الباب الأول .

(كتاب الأوراد وفصل إحياء الليل)

بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤاسيهم ويحث الناس على مواساتهم ويجلس معهم ويأكل معهم وفيهم نزل قوله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالعداة والعشى يريدون وجهه - وقوله تعالى - واصبر شكرا مع الذين يدعون ربهم بالعداة والعشى - ونزل في ابن أم مكتوم قوله تعالى - عسى وتولى أن جاءه الأعمى - وكان من أهل الصفة فتوب النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم لأجله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صاح بهم لا يزعج يده من أيديهم وكان يفرقهم على أهل الجنة والسعة يمت مع كل واحد ثلاثين مع الآخر أربعة وكان سعد بن معاذ يحمل إلى بيته منهم ثمانين يطعمهم . وقال أبو هريرة رضي الله

وأيامه أمياله وأنفاسه خطواته وطاعته بضاعته وأوقاته رهوس أمواله وشهواته وأغراضه قطاع طريقه ودرجه الفوز بقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم القيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الأنكال والأغلال والمذاب الأليم في دركات الجحيم فالناقل في نفس من أنفاسه حق يتقضى في غير طاعة تقربه إلى الله زلني متعرض في يوم التباين لفينة وحسرة ما لها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب المائل فمر للوقوف عن ساق الجسد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واعتصموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرار الأوقات وظائف الأوراد حرصا على إحياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي إلى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الأوراد وتوديع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الأوقات ويتضح هذا القهم بذكرها بين :
الباب الأول : في فضيلة الأوراد وترتيبها في الليل والنهار . الباب الثاني : في كيفية إحياء الليل وفضيلته وما يتعلق به . الباب الأول : في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها .

(فضيلة الأوراد ويان أن الواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى)

اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله تعالى وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد بحب الله تعالى وعارفا بالله سبحانه وأن المحبة والانس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والواظبة عليه وإن المعرفة لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ولن يتيسر دوام الفكر والفكر إلا بوجدان الدنيا وشهواتها والاجترار منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم إلا باستتراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة واللال لا تقصر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر بل إذا ردت إلى نمط واحد أظهرت اللال والاستتقال وأن الله تعالى لا يعمل حق عملوا فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالتنقل من فن إلى فن ومن نوع إلى نوع بحسب كل وقت لتغزير بالاستتقال لذاتها وتظم باللة رغبها وتقوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك قسم الأوراد قسمة مختلفة فالذكر والفكر ينبغي أن يستترقا جميع الأوقات أو أكثرها فإن النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا فإن صرف البعد شطر أوقاته إلى تديرات الدنيا وشهواتها الباحة مثلا والشرط الآخر إلى العبادات رجع جانب الليل إلى الدنيا لمواظبتها الطبع إذ يكون الوقت متساويا فآتي يتقاربان والطبع لأحدهما مرجح إذا الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرده . وأما الرد إلى العبادات فتشكف ولا يسلم إخراج القلب فيه وحضوره إلا في بعض الأوقات فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستترق أوقاته في الطاعة ومن أراد أن ترجع كفة حسناته وتنقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته فإن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره خطر ولكن الرجاء غير منقطع والخوف من كرم الله منتظر فسي الله تعالى أن ينفقه بمجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فإن لم تكن من أهله فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله واتبعه بنور الإيمان فقد قال الله تعالى لأقرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه . إنك في النهار سبعا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتلا . وقال تعالى . واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا . وقال تعالى . وسبح بحمديك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسجد وأدبار السجود . وقال سبحانه . وسبح بحمديك حين تقوم ومن الليل فسجد وأدبار النجوم . وقال تعالى . إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قبلا . وقال تعالى . ومن آناه الليل فسجد وأطراف النهار لمالك ترضى . وقال عز وجل . سواكم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات

(الباب الأول في فضيلة الأوراد)

عنه لقد رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب واحد منهم من لا يبلغ ركبته فاذا ركع أحدهم قبض يديه مخافة أن تبدو عورته . وقال بعض أهل الصفة جئنا بجماعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنا يا رسول الله أحرق بطوننا الخمر فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر فقام ما بال أقوام يقولون أحرق بطوننا الخمر أما علمتم أن هذا الخمر هو طعام أهل المدينة وقد واسونا به وواسيناكم بما واسونا به والذي نفس محمد بيده إن منذ شهرين لم يرتفع من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دخان للخبز وليس لهم إلا الأسودان الماء والخمر . أخبرنا الشيخ أبو القحح محمد بن عبد الباقي في كتابه قال أنا الشيخ أبو بكر

يذهب السيات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال تعالى - آمن هوقات
آناه الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل همل يستوى الدين يعلمون والدين
لا يعلمون - وقال تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا - وقال عز وجل
- والدين يبيتون لرهبهم سجدا وقياما - وقال عز وجل - كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأصباح
هم يستغفرون - وقال عز وجل - فبصحا لله حين تمسون وحين تصبحون - وقال تعالى - ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه - فهذا كله يبين لك أن الطريق إلى الله تعالى مراقبة
الأوقات وعمارتها بالأوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أحب عباد الله إلى الله
الذين براءون الشمس والقمر والأطلة لذكر الله تعالى (١) » وقد قال تعالى - الشمس والقمر بحسبان -
وقال تعالى - ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه ذليلا ثم
قبضناه إليها قبضا سيرا - وقال تعالى - والقمر قدرناه منازل - وقال تعالى - وهو الذي جعل الليل
النجوم لتهدوا بها في ظلمات البر والبحر - فلا تظن أن المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان
منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا بل لتعرف بها مقادير
الأوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة بذلك عليه قوله تعالى - وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا - أي خلف أحدهما الآخر ليتدارك في أحدهما ما فات
في الآخر وبين أن ذلك للذكر والشكر لا غير - وقال تعالى - وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية
الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب - وإنما الفضل
للبنى هو الثواب والنفرة ونسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه .

(بيان أعداد الأوراد وترتيبها)

اعلم أن أوراد النهار سبعة لما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس
إلى الزوال ووردان وما بين الزوال إلى وقت العصر ووردان وما بين العصر إلى المغرب ووردان والليل ينقسم
إلى أربعة أوراد ووردان من المغرب إلى وقت نوم الناس ووردان من النصف الأخير من الليل إلى
طلوع الفجر ، فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به . فالورد الأول : ما بين طلوع الصبح إلى
طلوع الشمس وهو وقت شريف ويبدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال - والصبح إذا تنفس -
وعنده به إذ قال - فالحق الإصباح - وقال تعالى - قل أعوذ برب الفلق - وإظهاره القدرة قبض
الظل فيه إذ قال تعالى - ثم قبضناه إليها قبضا سيرا - وهو وقت قبض ظل الليل يسط نور الشمس
وإرشاده الناس إلى التيسير فيه بقوله تعالى - فبصحا لله حين تمسون وحين تصبحون - وبقوله
تعالى - فصبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - وقوله عز وجل ومن آناه الليل
فصبح وأطراف النهار لمالك ترضى - وقوله تعالى - وإذا كرام ربك بكرة وأصيلا - . فأما ترتيبه
فلأخذ من وقت انتباهه من النوم فإذا انتبه فينبغي أن يتندى بذكر الله تعالى فيقول الحمد لله الذي
أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور إلى آخر الأدعية والآيات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب
الدعوات ولبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر عورته امتثالاً لأمر الله تعالى واستماعة به على
عبادته من غير قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجه إلى بيت الله إن كان به حاجة إلى بيت الماء ويدخل
أولا رجلا اليسرى ويدعو بالأدعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج

(١) حديث أحب عباد الله إلى الله الذين براءون الشمس والقمر والأطلة لذكر الله الطبراني وك
وقال صحيح الإسناد من حديث ابن أبي أوفى بلفظ خيار عباد الله .

ابن زكريا الطريفي
قال أنا الشيخ أبو عبد
الرحمن السلي قال
حدثنا محمد بن محمد بن
سعيد الأنماطي قال
حدثنا الحسن بن يحيى
ابن سلام قال حدثنا
محمد بن علي الترمذي
قال حدثني سعيد بن
حاتم البلخي قال حدثنا
سهل بن أسلم عن
خالد بن محمد عن أبي
عبد الرحمن السكري
عن يزيد النحوي عن
عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهم قال :
« وقد رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما على
أهل الصفة فرأى قمرهم
وجهدهم وطيب قلوبهم
فقال أيسر وأيا أصحاب
الصفة فمن بقي منكم
على النية الذي أنتم
عليه اليوم راضيا بما
هو فيه فانه من رفقائي
يوم القيامة » وقيل :
كان منهم طائفة
بخراسان يأوون إلى
الكهوف والغارات
ولا يسكنون القرى

ثم يستاك على السرة كما سبق ويتوضأ مراعيًا لجميع السنن والأدعية التي ذكرناها في الطهارة فإنا إنما قدمنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط لا إذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الفجر أعنى السنة في منزله (١) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعد الركعتين سواء أداها في البيت أو للمسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما ويقول : اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي إلى آخر الدعاء (٢) ثم يخرج من البيت متوجهًا إلى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج إلى المسجد ولا يسعى إلى الصلاة سعيًا بل يمشي وعليه السكينة والوقار (٣) كما ورد به الخبر ولا يشبك بين أصابعه ويدخل للمسجد ويقدم رجليه اليمنى ويدعو بالدعاء للتأخير لدخول المسجد (٤) ثم يطلب من المسجد الصف الأول إن وجد مقعًا ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم كما سبق ذكره في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر إن لم يكن صلاحًا في البيت ويشغل بالدعاء المذكور بعدها وإن كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التوبة وجلس منتظرًا للجماعة والأحب التخلّيس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم يغسل بالصبح (٥) ولا ينبغي أن يدع الجماعة في الصلاة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل ، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في صلاة الصبح « من توضأ ثم توجه إلى المسجد ليصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة وعمرى عنه سيئة والحسنة بغير أمثالها ، فإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جمده حسنة واقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفًا ألف حسنة ومن صلى النعمة فله مثل ذلك واقلب بمبرورة (٦) » وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت للمسجد قبل طلوع الفجر فقلت أبا هريرة قد سبقني فقال لي يا ابن أخي لأي شيء أخرجت من منزلك في هذه الساعة قلت لصلاة النداء فقال أشر فإنا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله تعالى (٧) أوقال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم طرقة وفاطمة رضي الله عنهما وهما نائمان فقال « الاصليان قال علي قلت يا رسول الله إنما أفضنا بيد الله تعالى فإذا شاء أن يبعثنا بها فانصرف صلى الله عليه وسلم فسمعته وهو منصرف يضرب فخذه ويقول وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً (٨) » ثم ينبغي أن يشتغل بعد ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار

(١) حديث صلاة ركعتي الصبح في المنزل متفق عليه من حديث حفصة (٢) حديث الدعاء بعد ركعتي الصبح اللهم إني أسألك رحمة من عندك الحديث تقدم (٣) حديث النبي إلى الصلاة وعليه السكينة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث الدعاء للتأخير لدخول المسجد تقدم في الباب الخامس من الأذكار (٥) حديث التخلّيس في الصبح متفق عليه من حديث عائشة (٦) حديث أنس في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه إلى المسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة وعمرى عنه سيئة والحسنة بغير أمثالها وإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جمده حسنة واقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفًا ألف حسنة ومن صلى النعمة فله مثل ذلك واقلب بحجة مبرورة لم أجدها أصلًا بهذا السياق وفي شعب الإيمان للبيهقي من حديث أنس بسند ضعيف ومن صلى التوب في جماعة كان له كحجة مبرورة وعمره متقبلة (٧) حديث أبي هريرة كنا نعد خروجنا وقعودنا في المجلس في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله لم أقف له على أصل (٨) حديث علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقة وفاطمة وهما نائمات فقال الاصلون قال علي قلت يا رسول الله إنما أفضنا بيد الله الحديث متفق عليه :

والدن يسمونهم في خراسان شكفتية لأن شكفت اسم النار ينسبونهم إلى النأوى والستقر وأهل الشام يسمونهم نجوعية والله تعالى ذكر في القرآن طوائف الخير والصلاح فسمى قوما أبرزوا وآخرين مقرين ومنهم الصابرون والصادقون والذاكرون والمحبون واسم الصوفي مشتق على جميع التفرق في هذه الأسماء المذكورة وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان في زمن التابعين . وقيل عن الحسن البصري رحمة الله عليه أنه قال رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذ وقال مسمى أربع دوائق يكفي ماسي ويشيد هذا ما روى عن سفيان أنه قال : لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء

والتسبيح إلى أن تمام الصلاة فيقول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يصلى الفريضة مراعى جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة فى الصلاة والقعدة فإذا فرغ منها قصد فى السجدة إلى طلوع الشمس فى ذكر الله تعالى كما سنبره فقد قال عليه السلام «لأن أقصد فى مجلسي أذكر الله تعالى فيه من صلاة القعدة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتنق أربع رقاب» (١) وروى «أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى القعدة قصد فى مصلاه حتى تطلع الشمس ، وفى بعضها ويصل ركعتين» (٢) أى بعد الطلوع وقد ورد فى فضل ذلك ما لا يحصى وروى الحسن «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكره من رحمة ربه يقول إنه قال : يا ابن آدم اذكرنى بعد صلاة القعدة ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما» (٣) وإذا ظهر فضل ذلك فليقدم ولا يتكلم إلى طلوع الشمس بل ينبغى أن تكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أدعية وأذكر ويكررها فى سبعة وقراءة قرآن وتفسيرا أما الأدعية فنكلمها بفرغ من صلاته قليلاً وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينارينا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ثم يفتح السماء بما كان يفتح به رسول الله عليه السلام وهو قوله سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له لله الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون» (٤) ثم يبدأ بالأدعية التى أوردناها فى الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعو بجميعها إن قدر عليه أو يحفظ من جملة ما يراه أو يلقى بحاله وأرق قلبه وأخف على لسانه . وأما الأذكار المكررة فهى كلمات وردت تكرر أها فضائل لم نطول بإيرادها وأقل ما ينبغى أن يكرر كل واحد منها ثلاثاً أو سبعاً وأكثره مائة أو سبعين وأوسطه عشر فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الأكثر أكثر والأوسط الأوسط أن يكررها عشر مرات فهو أجدر بأن يدوم عليه وخير الأمور أდومها وإن قل وكل وظيفة لا يمكن للواظبة على كثيرها قليلها مع الدائمة أفضل وأعد تأثيراً فى القلب من كثيرها مع الفترة ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالى فتحدث فيها خفيرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير للتفرق ماء يسب دفقة أو دفقات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة . الأولى : قوله لا إله إلا الله وحده لا شريك له لله الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير» (٥) . الثانية : قوله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يموت يده الخير وهو على كل شئ قدير» (٦) .

(١) حديث لأن أقصد فى مجلسي أذكر الله فيه من صلاة القعدة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتنق أربع رقاب د من حديث أنس وتقدم فى الباب الثالث من العلم (٢) حديث كان إذا صلى القعدة قصد فى مصلاه حتى تطلع الشمس وفى بعضها ويصل ركعتين أى بعد الطلوع م من حديث جابر ابن صخرة دون ذكر الركعتين وت من حديث أنس وحسنه من صلى القعدة فى جماعة ثم قصد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة (٣) حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من رحمة ربه أنه قال يا ابن آدم اذكرنى من بعد صلاة القعدة ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما ابن المبارك فى الزهد هكذا مرسل (٤) حديث كان يفتح السماء بسبحان ربى العلى الأعلى الوهاب تقدم (٥) حديث الفضل فى تكرار لا إله إلا الله وحده لا شريك له لله الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير خير وهو على كل شئ قدير تقدم من حديث أبى أيوب تكرر أها عشرًا دون

وهذا يدل على أن هذا الاسم كان يصرف قديماً وقيل لم يصرف هذا الاسم إلى اللاتين من الهجرة النبوية لأن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمون الرجل محمياً لشرف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكون الإشارة إليها أولى من كل إشارة وبعد اقراض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ منهم العلم سمى تابعياً ثم لما تقدم زمان الرسالة وبعد عهد النبوة وانقطع الوحي السماوى وتوارى النور المصطفوى واختلفت الآراء وتوعدت الأنحاء وتفرد كل ذى رأى برأيه وكدر شرب العلوم شوب الأهوية وتزعزعت أبنية التقنين واضطربت عزائم الزهاد بن وظيفت

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (١) . الثالثة : قوله سبوح قدوس رب الملائكة والروح (٢) .
الرابعة : قوله سبحان الله العظيم وبحمده (٣) . الخامسة : قوله أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة (٤) . السادسة : قوله اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد (٥) . السابعة : قوله لا إله إلا الله الملك الحق المبين (٦) .
الثامنة : قوله باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (٧) .
التاسعة : اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (٨) .

قوله يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير فاتها في اليوم واليلة للناس من حديث أبي ذر دون قوله وهو حي لا يموت وهي كلها عند البزار من حديث عبد الرحمن بن عوف فيما يقال عند الصباح والمساء وتقدم تكرارها مائة ومائتين للطبراني في الدعاء من حديث عبد الله بن عمر وتكرارها ألف مرة وإسناده ضعيف .

(١) حديث الفضل في تكرار سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله في اليوم واليلة وحسب لك ومحمده من حديث أبي سعيد الخدري استكثروا من الباقيات الصالحات فذكرها (٢) حديث تكرار سبوح قدوس رب الملائكة والروح لم أجد ذكرها مكررة لكن عند من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقولها في ركوعه وسجوده وقد تقدم ولابي الشيخ في الثواب من حديث البراء أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح (٣) حديث تكرار سبحان الله وبحمده متفق عليه من حديث أبي هريرة من قال ذلك في يوم مائة مرة حطت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر (٤) حديث تكرار أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة للمستغفر في الدعوات من حديث معاذ أن من قالها بعد الفجر وبعد العصر ثلاث مرات كفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ولقظه وأتوب إليه وفيه ضعف وهكذا رواه من حديث أبي سعيد في قولها ثلاثا والبخاري من حديث أبي هريرة إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ولم يقل الطبراني أكثر ولمسلم من حديث الأعرابي لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة تقدمت هذه الأحاديث في الباب الثاني من الأذكار (٥) حديث تكرار اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك لم أجد تكرارها في حديث وإنما وردت مطلقة عقب الصلوات وفي الرفع من الركوع (٦) حديث تكرار لا إله إلا الله الملك الحق المبين للمستغفر في الدعوات والحطيط في الرواة عن مالك من حديث علي من قالها في يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر واستجلب به الفنى واستقرع به باب الجنة وفيه الفضل بن غانم ضعيف ولابي نعيم في الحلية من قال ذلك في كل يوم وليلة مائتي مرة لم يسأل الله فيها حاجة إلا قضاها وفيه سليم الخواص ضعيف وقال فيه أظنه عن علي (٧) حديث تكرار باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم أصحاب السنن وابن حبان وك ومحمده من حديث عثمان من قال ذلك ثلاث مرات حين يمسي لم يصبه فجأة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم يصبه فجأة بلاء حتى يمسي قال ت حسن صحيح غريب (٨) حديث تكرار اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد ذكره أبو القاسم محمد بن عبد الواحد القافى في فضائل القرآن من حديث ابن أبي أوفى من أراد أن يموت في السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات فذكره وهو منكر قلت ورد التكرار عند الصباح والمساء من غير تعيين لهذه الصيغة رواه الطبراني من حديث أبي الدرداء بلفظ من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعة يوم القيامة وفيه انقطاع

الجهالات وحسب
حجابها وكثرت العادات
وتملك أربابها
وتزخرت الدنيا وكثر
خطاياها تغرد طائفة
بأعمال صالحة وأحوال
سنية وصدق في العزيمة
وقوة في الدين وزهدوا
في الدنيا ومحبتها
واغتصموا العسرة
والوحدة واتخذوا
لنفوسهم زوايا
يجتمعون فيها تارة
وينفردون أخرى
أسوة بأهل الصفة
تاركين للأسباب
متبئين إلى رب
الأرباب فأنجز لهم صالح
الأعمال سقى الأحوال
ونهاهم صفاء الفهم
لقبول العلوم وصار لهم
بعد اللسان لسان وبعد
العرفان عرفان وبعد
الإيمان إيمان كما قال
حارثة أصبحت مؤمنا
حقا حيث كوشفت
برتبة في الإيمان غير
ما يتأهدها فصار لهم
بمقتضى ذلك علوم
يمرونها وإشارات

العاشرة : قوله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون^(١) فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو أفضل من أن يكرر ذكرها واحدا مائة مرة لأن لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا على حياله وللقب بكل واحدة نوع تنبه وتلذذ للنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل فأما القراءة فيستحب له قراءة جملة من الآيات وردت الأخبار بفضلها وهو أن يقرأ سورة الحمد^(٢) وآية الكرسي^(٣) وخاتمة البقرة^(٤) من قوله آمين الرسول وشهادته^(٥) وقل اللهم مالك الملك الآتين^(٦) وقوله تعالى - لقد جاءكم رسول من أنفسكم - إلى آخرها^(٧)

(١) حديث تكرر أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ت من حديث معقل بن يسار من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك الحديث ومن قالها حين يمسي كان بتلك الميزة وقال حسن غريب ولا بن أبي الدنيا من حديث أنس مثل حديث مقطوع قبله من قالها حين يصبح عشر مرات أجبر من الشيطان إلى الصبح الحديث ولأبي الشيخ في الثواب من حديث عائشة الأعمشك يا خاله كلمات تقولها ثلاث مرات قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون والحديث عند أبي داود وت وحسنه وك وصححه فيقال عند الفزع دون تكرارها ثلاثا من حديث عبد الله بن عمرو (٢) حديث فضل سورة الحمد من حديث أبي سعيد بن العلى أنها أعظم السور في القرآن وم من حديث ابن عباس في الملك الذي نزل إلى الأرض وقال النبي ﷺ أبشر بنورين أو تيتهما لم يؤتيا نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لم تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته (٣) حديث فضل آية الكرسي م من حديث أبي بن كعب يا أبا النضر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا إله إلا هو الحى القيوم الحديث وخ من حديث أبي هريرة في توكيله بحفظ عمر الصدقة وهى الشيطان إليه وقوله إذا أويت إلى فراشك فاقرا آية الكرسي فإنه لن يزال عليك من الله حافظ الحديث وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا إله قد صدقت وهو كذب (٤) حديث فضل خاتمة البقرة متفق عليه من حديث أبي مسعود من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وتقدم حديث ابن عباس قبله بحديث (٥) حديث فضل شهادة الله أبو الشيخ حب في كتاب الثواب من حديث ابن مسعود من قرأ شهد الله إلى قوله الإسلام ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لي عنده ودية جىء به يوم القيامة قبيل له عدى هذا عهد إلى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عدى الجنة وفيه عمر بن الخطاب روى الأباطل قاله ابن عدى وسيأتى حديث على بنه (٦) حديث فضل قل اللهم مالك الملك الآتين للمستغفري في الدعوات من حديث على أن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله إلى قوله الإسلام وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب الحديث وفيه فقال الله لا يقرأ كن أحد من عبادي ذر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه الحديث وفيه الحارث ابن عبيد وفى ترجمته ذكره حب في الضمفاء وقال موضوع لأصل له والحارث يروى عن الآيات للوضوعات قلت وتقه حماد بن زيد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم و ن وروى له خ تعليقا (٧) حديث فضل لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها طلب في الدعاء من حديث أنس بسند ضعيف عفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحترز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد فذكر

يتأهدها فحرروا
لفهمهم اصطلاحات
تشير إلى معاني يعرفونها
وتعرب عن أحوال
يجدونها فأخذ ذلك
الحلف عن السلف حتى
صار ذلك لرحمهم مستمرا
وغيرا مستقرا في كل
عصر وزمان فظهر
هذا الاسم بينهم
وتسموا به وسماوا به
فلاسم ستمهم والعلم بالله
صفهم والعبادة حلينهم
والتقوى شعارهم
وحقائق الحقيقة
أسرارهم، نزاع القبائل
وأصحاب الفضائل سكان
قباب النيرة وقطان
ديار الحسيرة لهم مع
الساعات من إمداد
فضل الله مزيد ولبيب
شوقهم بتأجيج ويقول
هل من مزيد اللهم
أحسنا في زمرةهم
وارزقنا حالاتهم والله
أعلم .

[الباب السابع في ذكر
التصوف وللشبه به]
أخبرنا شيخنا شيخ
الإسلام أبو النجيب

وقوله تعالى - لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق - إلى آخرها (١) وقوله سبحانه الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً - والآية وخمس آيات من أول الحديد (٢) وثلاثاً من آخر سورة الحشر (٣) وإن قرأ السبعات العشر التي أهداها الخضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمي رحمه الله ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجميع له ذلك فضيلة جملة الأدعية للذكورة قد روى عن كرز بن وبرة رحمه الله وكان من الأبدال قال أنا أني أخلى من أهل الشام فأهدي لي هدية وقال يا كرز أقبل مني هذه الهدية لأنها نمت الهدية قلت يا أخى ومن أهدى لك هذه الهدية قال أعطانيها إبراهيم التيمي قلت أفلم تسأل إبراهيم من أعطاه إياها قال بلى قال كنت جالساً في فناء الكعبة وأنا في التهليل والتسبيح والتحميد والتعجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم أرفق زمانى أحسن منه وجهاً ولا أحسن منه ثياباً ولا أشدياً منا ولا أطيب ريحاً منه قلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت فقال أنا الخضر قلت في أي شيء جئتني فقال جئتك للسلام عليك وجاءك في أفق عندي هدية أريد أن أهديها لك قلت ما هي قال أن تقول قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها على الأرض وقبل الغروب سورة الحمد وقل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبحاً وتسل على النبي صلى الله عليه وسلم سبحاً وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين وللمؤمنات سبحاً وتقول اللهم اقبل بي وبهم عاجلاً وآجلاً في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور حلیم جواد كريم رؤوف رحيم سبع مرات وانظر أن لا تنزع ذلك غدوة وعشية قلت أحب أن تخبرني من أعطاك هذه العطية العظيمة فقال أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم (٥) قلت أخبرني بثواب ذلك فقال إذا بقيت محمداً صلى الله عليه وسلم فأسأله عن ثوابه فإنه يخبرك بذلك فذكر إبراهيم التيمي أنه رأى ذات يوم في منامه كأن الملائكة جاءت به فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف أموراً عظيمة بما رآه في الجنة قال فسألت للملائكة حديثاً وفي آخره قل حسبى الله إلى آخر السورة وذكر أبو القاسم النافق في فضائل القرآن في رغباب القرآن لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمن لزم قراءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة لم يمت هدماً ولا غرقاً ولا حرقاً ولا ضرباً بعددته وهو ضعيف (١) حديث فضل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لم أجده فيه حديثاً يخصها لكن في فضل سورة الفتح ما رواه أبو الشيخ في كتاب من حديث أبي بن كعب من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد فتح مكة مع النبي ﷺ وهو حديث موضوع (٢) حديث فضل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً الآية أحمد والطبراني من حديث معاذ بن أنس آية المزمع الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً الآية كلها وإسناده ضعيف (٣) حديث فضل خمس آيات من أول الحديد ذكر أبو القاسم النافق في فضائل القرآن من حديث علي إذا أردت أن تسأل الله حاجة فاقراء خمس آيات من أول سورة الحديد إلى قوله - علم بذات الصدور - ومن آخر سورة الحشر من قوله - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل - إلى آخر السورة ثم تقول يا من هو كذا افعل بي كذا وتدعو بما تريد (٤) حديث فضل ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ت من حديث معقل بن يسار وقد تقدم قبل هذا بورقة وللبهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بسند ضعيف من قرأ خواتيم سورة الحشر في ليل أو نهار لمات من يومه أوليته فقد أوجب الله له الجنة (٥) حديث كرز بن وبرة من أهل الشام عن إبراهيم التيمي أن الخضر عليه السبعات العشرة وقال في آخرها أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ليس له أصل ولم يصح في حديث قط اجتماع الخضر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا موته .

السهروردى إجازة قال أنا الشيخ أبو منصور ابن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري إجازة قال أنا محمد بن العباس بن زكريا قال أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد الأصفهاني قال حدثنا الحسين بن الحسن للروزي قال أنا عبد الله ابن المبارك قال أنا للشمس بن سليمان قال أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله متى قيام الساعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة فلا قضي الصلاة قال أين السائل عن الساعة فقال الرجل أنا يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام أوقال ما أعددت لها كبير عمل إلا آفة

قلت لمن هذا فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من اللاتكة كل صف مثل ما بين الشرق والغرب فلم يأت وأخذ يدي قلت يا رسول الله الخضر أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو رئيس الأبدال وهو من جنود الله تعالى في الأرض قلت يا رسول الله فمن فعل هذا أو عمله ولم ير مثل الذي رأيت في منامى هل يعطى شيئا مما أعطيت فقال والقي بشئ بالحق نبيا إنه لا يعطى العامل بهذا وإن لم يرني ولم ير الجنة إنه لا يغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ويأمر صاحب السما أن لا يكتب عليه خطيئة من السيئات إلى سنة والذي بشئ بالحق نبيا ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله عبدا ولا يتركه إلا من خلقه الله شقيا وكان إبراهيم التيمي يمكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلم له كان بهذه الرؤيا فهذه وظيفة القراءة فإن أضاف إليها شيئا مما انتهى إليه ورده من القرآن أو اقتصر عليه فهو حسن فإن القرآن جامع لفضل الذكر والتفكير والدعاء مهما كان تدبر كما ذكرنا فضله وآدابه في باب التلاوة . وأما الأفكار فليكن ذلك إحدى وظائفه وسيأتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكير من ربيع النجيات ولكن مجامعه ترجع إلى فئتين : أحدهما أن يتفكر فيما ينفعه من العامة بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظائفه في يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر قصيره وما يتطرق إليه الخلل من أعماله ليصلحه ويعضد في قلبه النيات الصالحة من أعماله في تسوق في معاملته للمسلمين . الفن الثاني فيما ينفعه في علم للكاشفة وذلك بأن يتفكر مرة في نعم الله تعالى وتواري آياته الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها أو في عقوباته ونعماته لتزيد معرفته بقدرة الآله واستغاثته وزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتسع التفكير فيها على بعض الخلق دون البعض وإنما نستقصي ذلك في كتاب التفكير ومهما تيسر الفكر فهو أشرف العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين : أحدهما زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف . والثاني زيادة المحبة إذ لا يجب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ولا تتكشف عظمة الله سبحانه وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته . وهما باب أفضاله فيحصل من الفكر للمعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة والله كرا أيضا يورث الأنس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة أقوى وأثبت وأعظم ونسبة محبة العارف إلى أنس الله أكبر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفضاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة إلى أنس من كرر على صممه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فهما فليس محبته له كحبة الشاهد وليس الخبر كالمائة فالعباد الواضعون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالإيمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى إلا أمور جملة اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التي هي أقوى من البصر الظاهر لأن أحدا لم يحط بكنهه جلالة وجماله فان ذلك غير مقدور لأحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولانهاية لجمال حضرة الربوبية ولا حجبها وانما عدد حجبها التي استحققت أن تسمى نورا وكاد يظن الواصل إليها أنه قد قدم وصوله إلى الأصل سبعون حجابا قال صلى الله عليه وسلم « إن سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره (١) » وتلك الحجب أيضا مترتبة وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو

(١) حديث إن لله سبعين حجابا من نور الحديث تقدم في قواعد العقائد .

أحب الله ورسوله
 فقال النبي عليه الصلاة
 والسلام: « للرمع مع
 أحب أو أنت مع
 من أحببت » قال
 أنس لما رأيت
 للمسلمين فرحوا بشئ
 بعد الإسلام فرحهم
 بهذا فالتشبه بالصوفية
 ما اختار التشبه بهم
 دون غيرهم من
 الطوائف إلا لمحبة
 لإمام وهو مع تقصيره
 عن القيام بمهام فيه
 يكون معهم لموضع
 إرادته ومحبة وقد
 ورد بلفظ آخر أوضح
 من الخبر الذي
 رويته في النص
 روى عبادة بن
 الصامت عن أبي ذر
 الثفاري قال : قلت
 يا رسول الله الرجل
 يحب القوم ولا
 يستطيع أن يعمل
 كعملهم قال « أنت
 يا أبا ذر مع من أحببت »
 قال قلت فأي أحب
 الله ورسوله . قال « فأنك
 مع من أحببت » قال

في الأول أصفرها ثم ما يليه وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم في ترقيه وقال - فلما جن عليه الليل - أي أظلم عليه الأمر - رأى كوكبا - أي وصل إلى حجاب من حجب النور فبعبر عنه بالكوكب وما أريد به هذه الأجسام للضيئة فإن آحاد العوام لا يخفى عليهم أن الربوية لا تليق بالأجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فلا يضل العوام لا يضل الخليل عليه السلام والحجب للهمة أنوارا ما أريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ما أريد بقوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح - الآية ولتجاوز هذه المعاني فاتها خارجة عن علم للعامة ولا يوصل إلى حقائقها إلا الكشف التابع للفكر الصافي وقل من يفتح له بابه والتيسر على جماهير الخلائق الفكر فيما يفيد في علم للعامة وذلك أيضا مما تقرر قائمته وبسطه فمعه هذه الوظائف الأربعة أعني الدعاء والتذكر والقراءة والتفكير ينبغي أن تكون وظيفة للريد بعد صلاة الصبح بل في كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجنته والصوم هو الجنة التي تضيق مجاري الشيطان للمادي الصارفة عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي القجر وفرض الصبح إلى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم يشتغلون في هذا الوقت بالأذكار (١) وهو الأولي إلا أن يضل النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به . الورد الثاني : ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار وأعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال وذلك بمضي ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الأربع وفي هذا الأربع من النهار وظيفتان زائدتان إحداها صلاة الضحى وقد ذكرناها في كتاب الصلاة وأن الأولي أن يصلي ركعتين عند الاشراق وذلك إذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف مرصع وصلى أربعاً أو ثمانياً إذا رمضت الفصل وضحيت الأندام بحر الشمس فوق الركعتين هو الذي أراد الله تعالى بقوله - يسبحن بالعشي والإشراق - فانه وقت إشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والنباتات التي طووجها الأرض فاتها تمتع إشراقها التام ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأمل الذي أقسم الله تعالى به فقال - والضحى والليل إذا سجى - « وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته : ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصل (٢) فذلك قول إذا كان يقتصر على مرة واحدة في الصلاة فهذا الوقت أفضل للصلاة الضحى وإن كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفي وقتي الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطول نصف مرصع بالتقريب إلى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء واسم الضحى ينطلق على الكل وكأن ركعتي الاشراق تقع في مبتدأ وقت الاذن في الصلاة وانقضاء الكراهة إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس تطلع ومعه قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقتها (٣) فأقل ارتفاعها أن ترفع عن بخارات الأرض وغبارها وهذا راعى بالتقريب . الوظيفة الثانية في هذا الوقت : الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عبادة مريض

(١) حديث اشتغاله بالأذكار من الصبح إلى طلوع الشمس تقدم حديث جابر بن سمرة عند م في جلوسه صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر في مجلسه حتى تطلع الشمس وليس فيه ذكر اشتغاله بالأذكار وإنما هو من قوله عما تقدم من حديث أنس (٢) حديث خرج على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصل طيب من حديث زيد بن أرقم دون قوله فنادى بأعلى صوته وهو عند م دون ذكر الاشراق (٣) حديث إن الشمس تطلع ومعه قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقتها تقدم في الصلاة .

فأعادها برؤسها أعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم « فحجة للتشبه لإمام لا تكون إلا لثبته بروحه لما قضيت له أرواح الصوفية لأن حجة أمر الله وما يقرب إليه ومن يقرب منه تكون يجاذب الروح غير أن للتشبه عمق بظلمة النفس والصوفي تخلص من ذلك وللتصوف متطلع إلى حال الصوفي وهو مشارك بقاء شيء من صفات نفسه عليه التشبه وطريق الصوفية أوله إيمان ثم علم ثم فوقه فالتشبه صاحب إيمان والأيمان بطريق الصوفية أصل كبير قال الجنيد رحمة الله عليه الإيمان بطريقنا هذا ولاية ووجه ذلك أن الصوفية تميزو بأحوال عزيزة وآثار مستغربة عند أكثر الخلق لأنهم مكاشفون بالقدر وغرائب العلوم

وتسريح جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شيء من ذلك عاد إلى الوظائف الأربع التي قدمناها من الأدعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات للتطوع بها إن شاء فانها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن فتصير الصلاة فيها خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن أرادها أما بعد فريضة الصبح فتسبب كل صلاة لاسبب لها وبعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالأذكار والقراءة والذكر والفكر . والورد الثالث : من ضحوة النهار إلى الزوال ونفى بالضحوة المنتصف وباقبله بقليل وإن كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة فإذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فبها وقبل مضى صلاة الضحى فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظهر فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالصر فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كتنزلة الصرين الزوال والغروب إلا أن الضحى لم تعرض لأنه وقت انكباب الناس على أشغالهم فغفغف عنهم . الوظيفة الرابعة : في هذا الوقت الأقسام الأربعة وزيد أمران : أحدهما الاشتغال بالكسب وتدير للميشة وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغي أن يتجر بصدق وأمانة وإن كان صاحب صناعة فينصح وعققة ولا ينسى ذكر الله تعالى في جميع أشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتب في كل يوم لقوته فإذا حصل كفاية يومه فليرجع إلى بيت ربه وليتزوج لآخرته فان الحاجة إلى زاد الآخرة أعد والتج به بأدوم فاشتغاله بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت ، فقد قيل لا يوجد المؤمن إلا في ثلاث مواطن مسجد يصره أو بيت يستره أو حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل أكثر الناس يقدرون فياعنه بد أنه لا بد لهم منه وذلك لأن الشيطان يهدم الفقر ويأمرهم بالقحشاء فيصنون إليه ويجمعون مالا يأكلون خيفة الفقر والله يهدم مغفرة منه وفضلا فيمرضون عنه ولا يرغبون فيه . الأمر الثاني : القيولة وهي سنة يستعان بها على قيام الليل كما أن السحر سنة يستعان به على صيام النهار فان كان لا يقوم بالليل لكن لو لم يتم لم يشتغل بخير وربما خالط أهل التفة وتحدث معهم فاثومأ حبه إذا كان لا يثبت لفساطة الرجوع إلى الأذكار والوظائف المذكورة إذ في التوم الصمت والسلامة ، وقد قال بعضهم يأتي على الناس زمان الصمت والتوم فيه أفضل أعمالهم وكم من عابد أحسن أحواله التوم وذلك إذا كان يرأى عبادته ولا يغفل فيها فكيف بالعاقل القاسق قال سفيان الثوري رحمه الله كان يصحبه إذا خرفوا أن يناموا طلبا للسلامة فإذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة ، ولكن ينبغي أن يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضائل الأعمال وإن لم يتم ولم يشتغل بالنكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لأنه وقت حقة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب للتفرغ لخدمة ربه عند إغراض العييد عن بابه جدير بأن يركبه الله تعالى ووسطه قربة ومعرفته وفضل ذلك كفضل إحياء الليل فان الليل وقت التفة بالتوم وهذا وقت التفة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا وأحد معني قوله تعالى - وهو اذى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر - أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل والثاني أنه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في أحدهما . الورد الرابع : ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر ورايته وهذا أقصر أوراد النهار وأفضلها فإذا كان قد توجها قبل الزوال وحضر المسجد فهما زالت الشمس وابتدأ للؤذن الأذان فليصبر إلى الفراغ من جواب أذانه ثم ليقم إلى إحياء ما بين الأذان والإقامة فهو وقت الاظهار الذي أراده الله تعالى بقوله - وحين تظهرون -

واشاراتهم إلى عظيم أمر الله والقرب منه والإيمان بذلك إيمان بالقدره وقد أنكر قوم من أهل السنة كرامات الأولياء والإيمان بذلك إيمان بالقدره ولهم علوم من هذا القليل فلا يؤمن بطريقهم إلا من خسه الله تعالى بمزيد عنايته فالمتشبه صاحب إيمان والتصوف صاحب علم لأنه بعد الإيمان اكتسب مزيد علم بطريقهم وصار له من ذلك مواجيد يستدل بها على سائرهما والصوفي صاحب ذوق فللمتصوف الصادق نصيب من حال الصوفي والمتشبه نصيب من حال المتصوف وهكذا سنة الله تعالى جارية أن كل صاحب حال له ذوق فيه لا بد أن يكشفه علم حال أعلى مما هو فيه فيكون في الحال الأول صاحب ذوق وفي الحال الثاني كوشف به

وليصّل في هذا الوقت أربع ركعات لا يفصل بينهما بتسليمة واحدة (١) وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار قل بعض العلماء أنه يصليها بتسليمة واحدة ولكن طعن في تلك الرواية ومذهب الشافعي رضي الله عنه أنه يصلي مثنى مثنى كسائر النوافل ويفصل بتسليمة (٢) وهو الذي صحته الأخبار وليطول هذه الركعات إذ فيها تفتح أبواب السماء كأوردنا الجبرية في باب صلاة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورة من اللّين أو أربعاً من اللّثاني فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفع له فيها عمل ثم يصلي الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة كما سبق أو قصيرة لا ينبغي أن يدعها ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعاً فقد كره ابن مسعود أن تتبع القريضة بمثلاً من غير فاصل ويستحب أن يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي وآخر سورة البقرة والآيات التي أوردناها في الورد الأول ليكون ذلك جامعاً له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت . الورد الخامس : ما بعد ذلك إلى العصر ويستحب فيه المكث في المسجد بمختلفا بالذكر والصلاة أو فتنون الخير ويكون في انتظار الصلاة مكثاً لمن فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف وكان لا يدخل يدخل للمسجد بين الظهر والعصر فيسمع المصلين دوياً كبوي النحل من التلاوة فإن كان يته أسمع له يته وأجمع له في البيت أفضل في حقه فإحياء هذا الورد وهو أيضاً وقت خفة الناس كإحياء الورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ يكره نومتان بالتهار قال بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها : الضحك بغير عجب والآكل من غير جوع والنوم بالتهار من غير سهر بالليل والحد في النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثمان ساعات في الليل والنهار جميعاً فإن نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالتهار وإن قصص منه مقدارا استوفاه بالتهار فعسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث قد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كأن الطعام غذاء الأبدان وكان العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربعاً يفضي إلى اضطراب البدن إلا من تعود السهر تدريجاً قد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد من أطول الأوراد وأمتعها للعباد وهو أحد الأصال التي ذكرها الله تعالى إذ قال - والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالدنو والإصالة - وإذا سجد لله عز وجل الجمادات فكيف يجوز أن يفشل العبد العاقل عن أنواع العبادات . الورد السادس : إذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذي أقسم الله تعالى به فقال تعالى والعصر هذا أحد معني الآية وهو الراد بالأصالة في أحد التفسيرين وهو المعنى المذكور في قوله وعشيا وفي قوله بالعشى والإشراق وليس في هذا الورد صلاة إلا أربع ركعات بين الأذان والإقامة كما سبق في الظهر ثم يصلي القرض ويستغل بالأقسام الأربعة المذكورة في الورد الأول إلى أن ترتفع الشمس إلى ردوس الحيطان وتصفى والأفضل فيه إفمنع عن الصلاة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم إذ يجمع ذلك بين الذكر والدعاء والتفكير فيندرج في هذا القسم أكثر مقاصد الأقسام الثلاثة . الورد السابع : إذا اصفرّت الشمس بأن تهرب من الأرض بحيث يظن نورها القبارت والبخارات التي على وجه الأرض ويرى صفرة في ضوئها دخل وقت هذا الورد وهو مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنه قبل الغروب كان ذلك قبل الطلوع

(١) حديث صلاة أربع بعد الزوال بتسليمة واحدة وفيه أنها فيها تفتح أبواب السماء وأنها ساعة يستجاب فيها الدعاء فأحب أن يرفع له فيها عمل صالح د ه من حديث أبي أيوب وقتقدم في الصلاة في الباب السادس (٢) حديث صلاة الليل والنهار مثنى مثنى د ه من حديث ابن عمر .

صاحب علم وجاه فوق ذلك صاحب إيمان حتى لا يزال طريق الطلب مسلو كما فيكون في حال الدوق صاحب قدم وفي حال العلم صاحب نظر وفي حال فوق ذلك صاحب إيمان قال الله تعالى - إن الأبرار لني نصيب على الأرائك ينظرون - وصف الأبرار ووصف شراهم ثم قال سبحانه وتعالى - ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها للقربون - فكان لشرب الأبرار مزج من شراب القربين وللمقربين ذلك صرفاً فلمصوفي شراب صرف وللمتصوف من ذلك مزج في شراهم وللمتشبه مزج من شراب للتصوف فالصوفي سبق إلى مقام الروح من بساط القرب والتصوف بالنسبة إلى الصوفي كالتردد بالنسبة إلى الزاهد لأنه تفضل وتعمل وتسبب إشارة إلى ما سبق

وهو المراد بقوله تعالى - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون - وهذا هو الطرف الثاني المراد بقوله تعالى - فسبح وأطراف النهار - قال الحسن كانوا أعداء عظيماً لله في أول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون أول النهار للدينا وآخره للآخرة فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه في الورد الأول مثل أن يقول أسْتَغْفِرُ اللهَ الذي لا إله إلا هو المحي القيوم وأسأله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده مأخوذ من قوله تعالى سواستغفر الله بك وسبح بحمديك بالعشي والابكار والاستغفار على الأسماء التي في القرآن أحب كقوله استغفر الله إنه كان غفارا استغفر الله إنه كان توابا رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس : والشمس وضحاها والليل إذا يشهر . وللموذين . وتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فاذا سمع الأذان قال اللهم هذا إقبال ليالك وإدبار نهارك وأصوات دعائك كما سبق ثم يجيب الزدن ويشتمل صلاة المغرب والمغرب قد انتهت أوراد النهار فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فإن سارى يومه أمنه فيكون مغبوا وإن كان شرامه فيكون ملغونا قد قال **عليه السلام** « لا يورك لي في يوم لا أزداد فيه خيرا (١) » فإن رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجم كانت بشارة قليشكر الله تعالى على توفيقه وتسيده إياه لطريقه وإن تكن الأخرى فالليل خلفه النهار فليعزم على تلافى ما سبق من تحريطه فإن الحسنات يذهبن السيئات وليشكر الله تعالى على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشتمل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه أن نهار العمر له آخر تغرب فيه فتمس الحياة فلا يكون لها بعدها طويح وعند ذلك يعلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر إلا أيام معدودة تنقضي لأهلالة جعلتها باقتضاء آحادها (بيان أوراد الليل وهي خمسة)

الأول : إذا غربت الشمس صلى المغرب واشتمل بأحباء ما بين المشاءين فأخّر هذا الورد عند غيبوبة الشفق أعنى الحمرة التي بغيروتها يدخل وقت العتمة وقد أتم الله تعالى به فقال - فلا أتم بالشفق - والصلاة فيه هي ناشئة الليل لأنه أول نشوء ساعاته وهو آن من الآناء للذكورة في قوله تعالى - ومن آتاء الليل فسبح - وهي صلاة الأوابين . وهي المراد بقوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - روى ذلك عن الحسن وأسنده ابن أبي زياد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه سئل عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم : الصلاة بين المشاءين » ثم قال صلى الله عليه وسلم : عليكم بالصلاة بين المشاءين فانها تذهب بملغات النهار وتهذب آخره (٢) « والملاغات جمع ملغاة من التمر وسئل أنس رحمه الله عن

(١) حديث لا يورك لي في يوم لا أزداد فيه خيرا تقدم في العلم في الباب الأول إلا أنه قال علما بدل خيرا (٢) حديث سئل عن قوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - فقال الصلاة بين المشاءين ثم قال عليكم بالصلاة بين المشاءين فانها تذهب بملغات النهار وتهذب آخره قال للصف أسنده ابن أبي الزناد [١] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت إنما هو إسماعيل بن أبي زياد بالياء للثناء من تحت رواه أبو منصور الهذلي في مسند الفردوس من رواية إسماعيل بن أبي زياد الشامي عن الأعمش حدثنا أبو العلاء العنبري عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلاة بين المشاءين فانها تذهب بملغات أول النهار ومهذبة آخره وإسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطني واسم أبي زياد مسلم وقد اختلف فيه على الأعمش وابن مردويه من حديث أنس أنها نزلت في الصلاة بين المغرب والعشاء والحديث عند حسن بلفظ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة .

[١] قول المراق ابن أبي الزناد هي نسخة وقعت له وإلا ففي النسخ الصحيحة ابن أبي زياد فليأمل .

عليه من وصفه فهو
مجتهد في طريقه سائر
إلى ربه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« سيروا سبق للفردون »
قبل من الفردون
يا رسول الله ؟ قال
للسهرون بذكر الله
وضع الشكر عنهم
أوزارهم فوردوا القيامة
خفافا فالصوفي في مقام
الفردين والتصوف في
مقام السائرين واصل
في سيره إلى مقر القلب
من ذكر الله عز وجل
ومراقبته بقلبه وتلذذه
بنظره إلى نظر الله
إليه فالصوفي في مقام
الروح صاحب مشاهدة
والتصوف في مقام القلب
صاحب مراقبة والتشبه
في مقاومة النفس
صاحب مجاهدة
وصاحب محاسبة فتلوين
الصوفي بوجود قلبه
وتلوين التصوف
بوجود نفسه والتشبه
لاتلوين له لأن التلوين
لأرباب الأحوال
والتشبه مجتهد سالك

ينام بين العشاءين فقال لا تفعل فانها الساعة العنية بقوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وسيأتي فضل إحياء ما بين العشاءين في الباب الثاني . وترتيب هذا الورد أن يصلى بعد المغرب ركعتين أو لا يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلى أربعاً يطيلها ثم يصلى إلى غيوبة الشفق ما تيسر له وإن كان للسجدة قريباً من المنزل فلا بأس أن يصليها في بيته إن لم يكن عزمه السكوف في السجدة وإن عزم على السكوف في انتظار العتمة فهو الأفضل إذا كان آمناً من التصنع والرياء . الورد الثاني : يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة إلى حدنومة الناس وهو أول استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به إذ قال - والليل وما وسق - أى وما جمع من ظلمته وقال إلى غسق الليل فهناك يسق الليل وتستوسق ظلمته . وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور : الأول أن يصلى سوى فرض العشاء عشر ركعات أربعاً قبل الفرض إحياء لما بين الأذانين وستا بعد الفرض ركعتين ثم أربعاً ويقرأ فيها من القرآن الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسي وأول الحديد وآخر الحشر وغيرها . والثاني أن يصلى ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فانه أكثر ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بها من الليل^(١) والأكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل والأقوياء من آخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ أو يتخلل عليه القيام إلا إذا صار ذلك عادة له فآخر الليل أفضل ثم يقرأ في هذه الصلاة قدر ثمانية آية من السور المخصوصة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك للك والزمر والواقعة^(٢) فإن لم يصل فلا بدع قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم فقد روى في ثلاث أحاديث ما كان يقرؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليلة أشهرها السجدة وتبارك الملك^(٣) والزمر والواقعة وفي رواية الزمر وبني إسرائيل^(٤) وفي أخرى أنه كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية^(٥) وكان العلماء

(١) حديث الوتر ثلاث عشرة ركعة معنى بالليل وانه أكثر ما صلى به النبي صلى الله عليه وسلم من الليل د من حديث عائشة لم يكن يوتر بأكثر من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة ركعة وخ من حديث ابن عباس كانت صلاته ثلاث عشرة ركعة معنى بالليل وم كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة وفي رواية للشيخين منها ركعتا الفجر ولها أيضاً ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة (٢) حديث إكثاره صلى الله عليه وسلم من قراءة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة غريب لم أقف على ذكر الاكثار فيه وجب من حديث جندب من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له وت من حديث جابر كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك وله من حديث عائشة كان لا ينام حتى يقرأ بنى إسرائيل والزمر وقال حسن غريب وله من حديث أبي هريرة من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك قال غريب ولأبي الشيخ في الثواب من حديث عائشة من قرأ في ليلة الم تنزيل ويس وتبارك الذي بيده الملك واقتربت كن له نورا الحديث ولأبي منصور المظفر بن الحسين القزويني في فضائل القرآن من حديث علي ياطي أكثر من قراءة يس الحديث وهو منكر وللعارث بن أبي أسامة من حديث ابن مسعود بسند ضعيف من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً وت من حديث ابن عباس شيمتي هود والواقعة الحديث وقال حسن غريب (٣) حديث كان يقرأ في كل ليلة السجدة وتبارك الملك وت تقدم في الحديث قبله (٤) حديث كان يقرأ في كل ليلة الزمر وبني إسرائيل وت تقدم أيضاً (٥) حديث كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية د ت وقال حسن ون في الكبرى من حديث عرياض بن شارية .

لم يصل بعد إلى الأحوال والكل يجمعهم دائرة الاصطفاء قال الله تعالى - ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات - قال بعضهم الظالم الزاهد وللمقتصد العارف والسابق المحب وقال بعضهم الظالم الذي يجزع من البلاء والمقتصد الذي يصبر عند البلاء والسابق الذي يتلذذ بالبلاء وقال بعضهم الظالم يعبد على الغفلة والعادة والمقتصد يعبد على الرغبة والرهبة والسابق يعبد على الهبة والمنة وقال بعضهم الظالم يذكر الله بلسانه والمقتصد بقلبه والسابق لا ينسى ربه وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي رحمه الله : الظالم صاحب الأقوال والمقتصد صاحب الأفعال والسابق صاحب الأحوال وكل هذه الأقوال قريبة التناسب

يجعلونها سنا فيزيدون سبع اسم ربك الأملئ إذ في الخبر « أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب سبع اسم ربك الأملئ ، وكان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور سبع اسم ربك الأملئ ^(١) » وقل يا أيها الكافرون والإخلاص ^(٢) فإذا فرغ قال سبحان للك القدوس ثلاث مرات . الثالث الوتر وليوتر قبل النوم إن لم يكن عادته القيام قال أبو هريرة رضي الله عنه : أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام إلا على وتر ^(٣) وإن كان متادا صلاة الليل فالتأخير أفضل قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة ^(٤) » وقالت عائشة رضي الله عنها أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر ^(٥) وقال علي رضي الله عنه الوتر على ثلاثة آحاء إن شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني أنه يصير وترًا بما مضى وإن شئت أوترت بركعة فإذا استيقظت ففعلت غيرها ثم أوترت من آخر الليل وإن شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك هذا ما روي عنه والطريق الأول والثالث لا بأس به وأما بعض الوتر فقد صح فيه نهى فلا ينبغي أن ينقض ^(٦) وروى أنه مطلقاً أنه ^(٧) قال لا وتران في ليلة ^(٨) ولما يتردد في استيقاظه تطفأ استحسنه بعض العلماء وهو أن يصلي بعد الوتر ركعتين جالساً فيقرأه عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزحف إلى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما إذا زلزلت والمأثم ^(٩) لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا أيها الكافرون لما فيها من التوبة وإفراد العبادة لله تعالى قيل إن استيقظت فقامت مقام ركعة واحدة وكان له أن يوتر بواحدة في آخر صلاة الليل وكأنه صار ماضياً شفعا بهما وحسن استئناف الوتر واستحسن هذا أبو طالب اللخمي وقال فيه ثلاثة أعمال قصر الأمل ونحوه الوتر والوتر آخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما غلط أنهم لما شفعنا ماضياً فكان كذلك وإن لم يستيقظ وأبطل وتره الأول فكونه شافوا إن استيقظ غير مشفع إن نام فيه نظر إلا أن يصح من رسول الله ^(١٠) إن شاعره قبلهما وإعادته الوتر فيفهم منه أن الركعتين شفع بصورتها وتر بمضاهيها فيحسب وترًا إن لم يستيقظ وشفعا إن استيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول سبحان للك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بال عظمة والجبروت وتعرزت بالقُدرة وقهرت العباد بالوُتر وروى « أنه صلى الله عليه وسلم ما مات حتى كان أكثر صلاته جالساً إلا المكتوبة ^(١١) » وقد قال « للقاعد نصف أجر القائم وللنام نصف أجر القاعد ^(١٢) » وذلك يدل على صحة النافذة تأملاً . الورد الثالث النوم ولا بأس أن يعد ذلك

(١) حديث كان يحب سبع اسم ربك الأملئ أحمد والبخاري من حديث علي بسند ضعيف (٢) حديث كان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر سبع اسم ربك الأملئ وقل يا أيها الكافرون والإخلاص دن ه من حديث أبي بن كعب باسناد صحيح وتقدم في الصلاة من حديث أنس (٣) حديث أبي هريرة أوصاني رسول الله ^(٤) أن لا أنام إلا على وتر ومتفق عليه بلفظ أن أوتر قبل أن أنام (٤) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر (٥) حديث عائشة أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر متفق عليه (٦) حديث النهي عن قض الوتر قال للشافعية فيه نهى قلت وإنما صح من قول عابد بن عمرو وله حجة كما رواه عن ومن قول ابن عباس كما رواه هق ولم يصرح بأنه مرفوع فالظاهر أنه إنما أراد ما ذكرناه عن الصحابة (٧) حديث لا وتران في ليلة دت وحسنه وإن من حديث طلق بن علي (٨) حديث الركعتين بعد الوتر جالساً تقدم في الصلاة رواه مسلم من حديث عائشة (٩) حديث ما مات حتى كان أكثر صلاته جالساً إلا المكتوبة متفق عليه من حديث عائشة لما بدن النبي صلى الله عليه وسلم وتفل كان أكثر صلاته جالساً (١٠) حديث للقاعد نصف أجر القائم وللنام نصف أجر القاعد د من حديث عمران بن حصين

من حال الصوفى والتشبه وكلهم من أهل الفلاح والنجاح تجمعهم دائرة الاسطفاء وتؤلف بينهم نسبة التخصيص بالمنح والعطاء . أخبرنا الشيخ العالم رضى الدين أبو الخير أحمد ابن اسماعيل القزوينى إجازة قال أنا أبو سعد محمد بن أبي العباس قال أنا القاضي محمد بن سعيد قال أنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم قال أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه قال حدثنا أحمد بن محمد بن رزمة قال حدثنا يوسف بن عاصم الرازى قال حدثنا أبو أيوب سليمان ابن داود قال حدثنا حصين بن نمير عن أبي ليلى عن أخيه عن أسامة بن زيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في قوله تعالى - لنهم ظالم لنفسه ومنهم

في الأوراد فإنه إذا رويته آدابه احتسب عبادة فقد قيل : إن العبد إذا نام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فإن تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعاه الملك واستغفر له الله (١) وفي الخبر «إذا نام على طهارة رفع روحه إلى العرش (٢)» هذا في النوام فكيف بالخواص والمطاء وأرباب القلوب الصافية فانهم يكفون بالأسرار في النوم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح (٣)» وقال معاذ لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل ؟ قال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأخوف القرآن فيه تخوفا قال معاذ لكن أنا أنام ثم أقوم واحتسب في نومي ما احتسب في قومي فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أقبه منك (٤) . وآداب النوم عشرة : الأولى الطهارة والسواك . قال عليه السلام «إذا نام العبد على طهارة عرج روحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم يتم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فذلك للثامات أثمان أحلام لا تصدق (٥)» وهذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هي للزورة في انكشاف حجب القيب . الثاني أن يمد عند رأسه سواكه وطهوره . وينوي القيام للعبادة عند التيقظ وكلما يتنبه يستاك كذلك كان يضمه بعض السلف وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها (٦)» وإن لم تيسره الطهارة يستحب له مسح الأعضاء بالماء فإن لم يجد فليتمد وليستقبل القبلة وليستغل بالذكر والدعاء والتسكير في آلاء الله تعالى وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال عليه السلام «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى (٧)» . الثالث أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فإنه لا يأمن القبض في النوم فإن مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة يزاوره الأموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا للسكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوف موت الفجأة وموت الفجأة تخفيف إلا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم . الرابع أن ينام تابيا من كل ذنب سليم القلب بلجج للسليين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على معصية إن استيقظ قال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث قيل إنه إذا نام على طهارة ذكر الله تعالى يكتب مصليا ويدخل في شعاره ملك الحديث حب من حديث ابن عمر من بات طاهرا بات في شعاره ملك فلم يستيقظ إلا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهرا (٢) . حديث إذا نام على الطهارة رفع روحه إلى العرش ابن المبارك في الزهد موقوفا على أبي البرداء وهو في الشعب موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص وروى طبري الأوسط من حديث علي مامن عبد ولا أمة تام فتخل نوما لإعرج بروحه إلى العرش فإحدى لا يستيقظ إلا عند العرش فذلك الرؤيا التي تصدق والتي يستيقظ دون العرش فهي الرؤيا التي تكذب هو ضعيف (٣) حديث نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح قلت العروف فيه الصائم دون العالم وقد تخدم في الصوم (٤) حديث قال معاذ لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل ؟ قال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأخوف القرآن تخوفا قال معاذ لكن أنا أنام ثم أقوم واحتسب في قومي فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أقبه منك متفق عليه بنحوه من حديث أبي موسى وليس فيه أنهما ذكرا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ولا قوله معاذ أقبه منك وإنما زاد فيه طبري فكان معاذ أفضل منه (٥) حديث إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة الحديث تخدم (٦) حديث أنه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها تقدم في الطهارة (٧) حديث من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة من الله عليه

مقصد ومنهم سابق بالخيرات - كلهم في الجنة قال ابن عطاء الظالم الذي يحب الله من أجل الدنيا وللتقصد الذي يحب الله من أجل الفي والسابق هو الذي أسقط مراده بمراد الله فيه وهذا هو جالب الصوفي فالتشبه تعرض لشيء من أمر القوم ويوجب له ذلك القرب منهم والقرب منهم مقدمة كل خير . سمعت شيخنا يقول جاء بعض أبناء الدنيا إلى الشيخ أحمد القرألي ونحن بأصبهان يريد منه الحرقة فقال له الشيخ اذهب إلى فلان يشير إلى حق يكلمك في معنى الحرقة ثم احضر حق ألبسك الحرقة قال فجاء إلى فذكرت له حقوق الحرقة وما يجب من رعاية حقها وآداب من يلبسها ومن يؤهل للبسها فاستعظم الرجل حقوق الحرقة وجبن

« من أوى إلى فراشه لا ينوي ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفله ما اجترم (١) » . الخامس أن لا ينتم بتمهيد القرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه كان بعض السلف يكره التمهيد للنوم ويرى ذلك تكلفا وكان أهل الصفة لا يجمعون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا وإليه نأرد وكانوا يرون ذلك أرق لتلوهم وأجدر بتواضع قلوبهم فمن لم تسمح بذلك نفسه فليقتصد . السادس أن لا ينام مالم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قتيلا من الليل ما يهجمون وإن غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يقل ما يقول وكان ابن عباس رضي الله عنه يكره النوم قاعدا وفي الخبر « لا تكابدوا الليل (٢) » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانة صلى الليل فاذا غلبها النوم تملقت بجمل فبهي عن ذلك وقال ليصل أحدكم من الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد (٣) » وقال **عليه السلام** « تكفوا من العمل ما تطيقون فان الله لن يعمل حتى تلوا (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « خير هذا الدين أسره (٥) » وقيل له صلى الله عليه وسلم « إن فلانا يصلي فلا ينام وصوم فلا يخطر فقال لكتفى أصلي وأنا نام وأصوم وأفطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تشادوا هذا الدين فانه متين لمن يشاده ينبله ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله (٧) » السابع أن ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين أحدهما استقبال المحتضر وهو السلق على قفاه فاستقباله أن يكون وجهه وأخمصه إلى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو أن ينام على جنب بأن يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على شقه الأيمن . الثامن الهناء عند النوم فيقول باسمك رب وضعت جنبي وباسمك أرفضه إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في كتاب الدعوات (٨) ويستحب أن يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيره أو قوله تعالى - وإلهمك إله واحد لا إله إلا هو - إلى قوله - تقوم يومنون - قال إن من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة الأعراف هذه الآية - إن يريكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام - إلى قوله مقرب من الحسنين -

ن ه من حديث أبي الدرداء بسند صحيح (١) حديث من أوى إلى فراشه لا ينوي ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفله ما اجترم ابن أبي الدنيا في كتاب النية من حديث أنس من أصبح ولم يظلم أحد غفله ما اجترم وسنده ضعيف (٢) حديث لا تكابدوا الليل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف وفي جامع سفیان الثوري موقوفا على ابن مسعود لا تقابلوا هذا الليل . (٣) حديث قيل له إن فلانة تصلي فاذا غلبها النوم تملقت بجمل فبهي عن ذلك الحديث متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث تكفوا من العمل ما تطيقون فان الله لن يعمل حتى تلوا متفق عليه من حديث عائشة بلفظها كلفوا (٥) حديث خير هذا الدين أسره أحمد من حديث مجيب ابن الأديع وتقدم في العلم (٦) حديث قيل له إن فلانا يصلي ولا ينام وصوم ولا يخطر فقال لكتفى أصلي وأنا نام وأصوم وأفطر هل هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني ن من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله هذه سنتي الخ وهذه الزيادة لابن خزيمة من رغب عن سنتي فليس مني وهي متفق عليها من حديث أنس (٧) حديث لا تشادوا هذا الدين فانه متين لمن يشاده ينبله ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله من حديث أبي هريرة لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وألبيق من حديث جابر إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ولا يصح إسناده . (٨) حديث الدعاء للمأثور عند النوم باسمك اللهم رب وضعت جنبي الحديث إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في الدعوات تقدم هناك وبقية الدعوات

أن يلهمها فأخبر الشيخ بما تجدد عند الطالب من قولي له فاستحضرني وعاتبني على قولي له ذلك وقال بته إليك حتى تكلمه بما يزيد رغبته في الحرقة فكلمته بما قرت عزيمته ثم الذي ذكرته كله صحيح وهو الذي يجب من حقوق الحرقة ولكن إذا أئزمتا البدن بذلك نمر وعجز عن القيام به فنهض نلبسه الحرقة حتى يتسببه بالقوم ويتزى بزيمه فيقر به ذلك من مجالسهم ومحافلهم ويركة مخالطته معهم ونظره إلى أحوال القوم وسيرهم يحب أن يسلك مملكتهم ويصل بذلك إلى شيء من أحوالهم ويوافق هذا القول من الشيخ أحمد الفزالي ما أخبرنا شيخنا رحمه الله قال أنا عصام الدين عمر بن أحمد الصغار قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن

وأخر بنى إسرائيل - قل ادعوا الله - الآيتين فإنه يدخل على حماره ملك يوكل بحفظه فيستغفر له ويقرأ المودتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روى من فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) وليقرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآية للاستيقاظ لقيام الليل وكان على كرم الله وجهه يقول ما أرى أن رجلا مستكملا عظه ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الأربع مائة مرة . التاسع أن يذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة واليقظ نوع يموت قال الله تعالى - الله يتوفى الأتقين حين موتها والتي لم تمت في منامها - وقال - وهو الذي يتوفاكم بالليل - فبما توفيها وكان الاستيقاظ تكشف لمشاهدات لا تناسب أحواله في النوم فكذلك للبعوث يرى ما لم يخطر قط على باله ولا عاينه حسه ومثل النوم بين الحياة واللوت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة . وقال لقمان لابنه يا بني إن كنت تشك في اللوت فلا تم فكما أنك تام كذلك تموت وإن كنت تشك في البعث فلا تنبه فكما أنك تنبه بعد نومك فكذلك تموت بعد موتك وقال كعب الأحبار إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فاتها وفاة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى أنه ميت في ليلته . ذلك « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليك » ^(٢) الدعاء إلى آخره كاذكرناه في كتاب الدعوات فحق على العبد أن يفتش عن ثلاثة عند نومه أنه على ماذا ينام وما القالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه أوجب الدنيا وليتحقق أنه يتوفى على ما هو القالب عليه ويمر على ما يتوفى عليه فإن المرء مع من أحب ومع ما أحب . العاشر الدعاء عند التنبيه فليقل في تيقظاته وتقبلاته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار » ^(٣) وليجتهد أن يكون آخر ما يجرى على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى وأول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحب ولا يلزم القلب في هاتين الحالتين إلا ما هو القالب عليه فليجرب قلبه به فهو علامة الحب فاتها علامة تكشف عن باطن القلب وإنما استجبت هذه الأذكار لتستجر القلب إلى ذكر الله تعالى فإذا استيقظ يقوم قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه الفشور إلى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ . الورد الرابع : يدخل بعض النصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل سدس وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بعابد المعبود والمجرب وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه أقسم الله تعالى قال - والليل إذا سجى - أي إذا سكن وسكونه هدوء في هذا الوقت فلا تبقى عين إلا نائمة سوى الحى القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل إذا سجي إذا امتد وطال وقيل إذا أظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أي الليل أسمع قال جوف الليل » ^(٤) وقال داود صلى الله عليه وسلم على

(١) حديث قراءة للمودتين عند النوم بنفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث عائشة كان آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحديث تقدم في الدعوات دون وضع الحد على اليد وتهدم من حديث حمزة (٣) حديث كان يقول عند تيقظه لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار ابن السني وأبو نعيم في كتابيهما عمل اليوم والليل من حديث عائشة (٤) حديث سئل أي الليل أسمع قال جوف الليل دت وصحه من حديث عمرو بن عبسة .

خلف قال أنا الشيخ عبد الرحمن السلي قال سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن يقول سمعت أبا القاسم الجنيدي يقول إذا تليت الفقير فلا تبدأ بالعلم وابدأ بالرفق فان العلم يوحشه والرفق يؤنسه وبرفق الصوفية بالمقشبين بهم ينتفع للبتى الطالب وكل من كان منهم أكمل حالا وأوفر علما كان أكثر رققا بالمبتدى الطالب . حكى عن بعضهم أنه صعب طالب فكان يأخذ نفسه بكثرة المعاملات والمجاهدات ولم يقصد بذلك إلا لنظر للمبتدى إليه والتأدب بأدبه والاعتناء به في عمله وهذا هو الرفق الذي مادخل في شيء لإزائه فالمناسبة الحقيقي له لإيمان بطريق القوم وعمل بمقتضاه وسلوك واجتهاد على ما ذكرناه أنه صاحب مجاهدة

إني أحب أن أتعبد لك فأوى وقت أفضل فأوحى الله تعالى إليه يادود لا تقم أول الليل ولا آخره فإن من قام أوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوله ولكن قم وسط الليل حتى تغلوبي وأخلوبك وارفع إلى حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم «أى الليل أفضل فقال نصف الليل الغابر»^(١) «بني الباقي وفي آخر الليل وردت الأخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار تعالى إلى سماء الدنيا»^(٢) وغير ذلك من الأخبار وتزجيب هذا الورد أنه بعد الفراغ من الأدعية التي للاستيقاظ يتوضأ وضوءا كما سبق بسننه وآدابه وأدعيته ثم يتوجه إلى مصلاه ويقوم مستقبلا القبلة ويقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيل ثم يسبح عشرا وليحمد الله عشرا ويهلل عشرا وليقل الله أكبر ذولا للكهوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه للهجد : اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والفور حق والنيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت أنت القديم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت^(٣) اللهم أنت تهي تمواها وزكها أنت خير من زكها أنت وليها ومولاها^(٤) اللهم اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت^(٥) أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المفسر القليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رءوفا رحيما يا خير للثولين وأكرم للسلطين^(٦)

(١) حديث سئل أى الليل أفضل قال نصف الليل الغابر أحمد وحسب من حديث أبي ذر دون قوله الغابر وهي في بعض طرق حديث عمرو بن عبسمة .

(٢) (الأخبار الواردة في اهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن

في آخر الليل ونزول الجبار إلى سماء الدنيا)

أما حديث النزول فقد تقدم وأما الباقي فهي آثار رواها محمد بن نصر في قيام الليل من رواية سعيد الجريري قال : قال داود بإجبريل أى الليل أفضل قال ما أدري غير أن العرش يهتز من السحر وفي رواية له عن الجريري عن سعيد بن أبي الحسن قال إذا كان من السحر ألا ترى كيف تفوح ريح كل شجرة وله من حديث أبي البرداء مرفوعا إن الله تبارك وتعالى لينزل في ثلاث ساعات يقين من الليل يفتح الله في الساعة الأولى وفيه ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن الحديث وهو مثله (٣) حديث القول في قيامه للهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت زين السموات والأرض ودون قوله ومن عليهن ومنك الحق (٤) حديث اللهم أنت تهي تمواها وزكها أنت خير من زكها أنت وليها ومولاها أحمد بإسناد جيد من حديث عائشة أنها شهدت النبي صلى الله عليه وسلم من مضجعه فلمسته يدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول رب أعط تهي تمواها الحديث (٥) حديث اللهم اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت م من حديث طي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قد ذكره بلفظ لأحسن الأخلاق وفيه زيادة في أوله (٦) حديث أسألك مسألة البائس للمسكين وأدعوك دعاء المفسر القليل الحديث الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس أنه كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عشية عرفة يحمي في الحج .

وحاسبة : ثم يصير متصوفا صاحب مراقبة ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة فأما من لم يتطلع إلى حال التصوف والصوفي بالتشبه ولا يقصد أوائل مقاصدهم بل هو مجرد تشبه ظاهر من ظاهر القبة والشاركة في الزى والصورة دون السيرة والصفة فليس بتشبه بالصوفية لأنه غير محال لهم بالدخول في بداياتهم فاذن هو متشبه بالمتشبه بمنزى إلى القوم بمجرد لبسه ومع ذلك هم القوم لا يشق بهم جلسهم وقد ورد « من تشبه بقوم فهو منهم » . أخبرنا الشيخ أبو الفتح محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم الأصفهاني قال أنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال ثنا عمر بن أحمد بن أبي حاتم قال ثنا إبراهيم بن محمد

وقالت عائشة رضي الله عنها «كان صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته قال : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (١) » ثم يفتتح الصلاة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما يجسر له ويحكم بالوتر إن لم يكن قد صلى الوتر ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح في صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل أنه صلى أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدرج إلى ثلاث عشرة ركعة (٢) وسئلت عائشة رضي الله عنها أكان رسول الله ﷺ يجهر في قيام الليل أم يسر قالت ربما جهر وربما أسر (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل مثنى مثنى حتى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة (٤) » وقال « صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل (٥) » وأكثر ما سمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة (٦) وقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن أو من السور المخصوصة ما خفف عليه وهو في حكم هذا الورد قريب من السدس الأخير من الليل . الورد الخامس : السدس الأخير من الليل وهو وقت السحر فان الله تعالى قال - وبالسحر هم يستخفون - قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبو الدرداء رضي الله عنهما ليلة زاره (٧) في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال سلمان ثم قام ثم ذهب يقوم فقال له ثم قام فلما كان عند الصبح قال له سلمان ثم الآن قما فسلم قال إن نفسك عليك حقا وإن لنيفك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه وذلك أن امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان أنه لانيام الليل قال فأبى النبي ﷺ فذكر أنه قال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب المحور وذلك عند خروجه من النوم والوظيفة في هذين الوردين الصلاة فإذا طلع الفجر اقتضت أرواد الليل ودخلت أرواد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو للراد بقوله تعالى - ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم - ثم - عهد الله أن لا ياله إلا هو وللملائكة - إلى آخرها ثم يقول وأنا أشهد بما عهد الله بنفسه وعهدت به ملائكته وأولو الطهين خلقه وأستودع الله هذه الشهادة وهو على عند الله تعالى وديمة وأسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احفظ عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وحفظها لي وتوفني عليها حتى أقالها بغير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الأوراد للعباد وقد كانوا يستحبون أن يصنعوا مع ذلك في كل يوم بين أربعة أمور صوم وصدقة وإن قلت وعيادة مريض وعهود جنازة ففي الخبر

(١) حديث عائشة كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض الحديث رواه م (٢) حديث أنه صلى بالليل أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدرج إلى ثلاث عشرة ركعة م من حديث زيد بن خالد الجهني (٣) حديث سئلت عائشة أكان يجهر رسول الله ﷺ في قيام الليل أم يسر قالت ربما جهر وربما أسر د ن ه باسناد صحيح (٤) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه وقد تقدم (٥) حديث صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل أحمد من حديث ابن عمر باسناد صحيح (٦) حديث القيام من الليل ثلاث عشرة ركعة فانه أكثر ما سمع عنه تقدم (٧) حديث زار سلمان أبا الدرداء فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم قال له سلمان ثم قام الحديث وفي آخره قال صدق سلمان يخ من حديث أبي جعفر .

الشافعي قال تناطى بن أحمد قال تناطى بن علي القدسي قال ثنا محمد ابن عبد الله بن حاتم قال ثنا إبراهيم بن الأعمش قال ثنا فضيل ابن عياض عن سليمان الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله ملائكة فضلاء عن كتاب الناس يطوفون في الطرق ويتبعون مجالس الذكر فإذا رأوا قوما يذكرون الله تنادوا هلمسوا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى عنان السماء فيقول الله وهو أعلم ما يقول عبادي ؟ قالوا محمدونك ويسبحونك ويمجدونك فيقول وهل رأوني فيقولون لا فيقول وكيف لو رأوني قالوا لو رأوك كانوا أهدي نبيها وتحميدا وتمجيدا فيقول

« من جمع بين هذه الأربع في يوم غفر له (١) » وفي رواية دخل الجنة فانفق بعضها وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون أن ينقض اليوم ولم يصدقوا فيه بصدقة ولو بتمرة أو بصلة أو كسرة خبر لقوله صلى الله عليه وسلم « الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس (٢) » وقوله صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة (٣) » ودفع مائشة رضى الله عنها إلى سائل عنة واحدة فأخذها فنظر من كان عندها بعضهم إلى بعض فقالت ما لكم إن فيها لمثاقيل ذكر كثير وكانوا لا يستحبون رد السائل إذ كان من أخلاق رسول الله ﷺ ذلك ما سأله أحد شيئا فقال لا ولكنه إن لم يقدر عليه سكت (٤) وفي الخبر « يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعنى للفصل وفى جسده ثمانية وستون مفصلا فأمره بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة وحملك عن الضيف صدقة وهدايتك إلى الطريق صدقة وإما طنت الأذى صدقة حتى ذكر التيسيع والتهيل ثم قال وركنا الضمى تاتى على ذلك كله أو تجمعن لك ذلك كله (٥) » .

(بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال)

اعلم أن المرید لحرق الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة أحوال فانه إما با بدو إما عالم وإما متعلم وإما وال وإما محترف وإماما وحده مستغرق بالواحد الصمد عن غيره . الأول : العابد وهو التجرد للعبادة الذى لا شغل له غيرها أصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب أورادها ما ذكرناه ، ثم لا يمتد أن يختلف وظافه بأن يستغرق أكثر أوقاته إما فى الصلاة أو فى القراءة أو فى التسيبجات فقد كان فى الصحابة رضى الله عنهم من ورده فى اليوم اثنا عشر ألف تسيبحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة إلى ستمائة وإلى ألف ركعة وأقل ما قل فى أورادهم من الصلاة مائة ركعة فى اليوم واليلة وكان بعضهم أكثر ورده القرآن وكان يختم الواحد منهم فى اليوم مرة وروى مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضى اليوم أو اليلة فى التفكير فى آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقبلا بمكة فكان يطوف فى كل يوم سبعين أسبوعا وفى كل ليلة سبعين أسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن فى اليوم واليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فرائخ ويكون مع كل أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فرائخ فان قلت فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد . فاعلم أن قراءة القرآن فى الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تفسر المواظبة عليه فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى وإيناسه به فليتظر المرید إلى قلبه لما يراه أشد تأثيرا فيه فليواظب عليه فإذا أحس بملاحة منه فلينتقل إلى غيره ولذلك نرى الأصوب لاكثر الحقائق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الأوقات كالسبق والانتقال فيها من نوع إلى نوع لأن اللال هو الغالب على الطبع وأحوال الشخص الواحد فى ذلك أيضا تختلف ولكن إذا فهم هذه الأوراد وسرها فليتبصع للمنى فان مع تسيبحة مثلا وأحسن لها بوقع فى قلبه فليواظب على تكرارها مادام يجد لها وقعا وقد روى عن إبراهيم بن آدم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلى على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتيسيع ولم ير أحدا فقال من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبغ الله تعالى بهذا التيسيع منذ خلقت

(١) حديث من جمع بين صوم وصدقة وعبادة مريض وشهود جنازة فى يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة من حديث أبي هريرة ما اجتمعن فى امرئ . إلا دخل الجنة (٢) حديث الرجل فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس تقدم فى الزكاة (٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة تقدم فى الزكاة (٤) حديث ما سأله أحد شيئا قال لا إن لم يقدر عليه سكت . من حديث جابر والبراز من حديث أنس أو بسكت (٥) حديث يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة الحديث م من حديث أبي ذر .

ما يسألونى ؟ قالوا
يسألونك الجنة فيقول
وهل رأوها قالوا
لا فيقول كيف لورأوها
قالوا لو رأوها كانوا
أشد لها طلبا وعليها
أكثر حرما قالوا
ويتعوذون من النار
فيقول وهل رأوها
قالوا لا فيقول كيف
لو رأوها قالوا كانوا
أشد منها نموذا وأشد
فرارا فيقول أشهدكم
أنى قد غفرت لهم
فيقول الملك فمنهم فلان
ليس منهم إنما جاء
لحاجة فيقول تبارك
وتعالى ثم الجلساء
لا يشقى جلسهم فلا
يشقى جلسى الصوفية
والمتشبه بهم والمحب
لهم .

[الباب الثامن فى ذكر
اللامق وشرح حاله]
قال بعضهم للامق
هو الذى لا يظهر خيرا
ولا يضر شررا وشرح
هذا هو أن اللامق
تسربت عروقه طم
الإخلاص ونهق

قلت لما اسمك قال مهايائيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لمعت حصى يرى مقعده من الجنة أوري له والتسبيح هو قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله الشديد الأركان سبحان من ينهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شأن عن شأن سبحان الله الختان للنان سبحان الله للصبح في كل مكان فهذا وأمثاله إذا سمعه للريد ووجد له في قلبه وقفا فيلزمه وأما ما وجد القلب عنده وقفع له فيه خير فليواظب عليه . الثاني : العالم الذي ينفع الناس بلمه في خوي أو تدريس أو تصنيف ترتيب الأوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج إلى اللطالة للكتب وإلى التصنيف والإفادة ويحتاج إلى مدة لها لأعماله فان أمكه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل به بعد للكتوبات وروايتها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعلم والتلم في كتاب العلم وكيف لا يكون كذلك وفي العلم للواظبة على ذكر الله تعالى وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة ورب مسئة واحدة يتعلمها التعلم فيصلح بها عبادة عمره ولولم يتعلمها لكان سعيه ضائعا وإنما نفع العلم للتقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويهدم في الدنيا أو العلم الذي يسير على سلوك طريق الآخرة إذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التي تزيد بها الرغبة في اللال والجاه وقبول الخلق والأولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضا فان استغراق الأوقات في ترتيب العلم لا يحتمل الطبع فينبغي أن يخص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد كما ذكرناه في الورد الأول وبعد الطلوع إلى ضجوة النهار في الإفادة والتعليم إن كان عنده من يستفيد علما لأجل الآخرة وإن لم يكن فيصرفه إلى الفكر ويفكر فيها بشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهوم الدنيا يمين على التفتن للمشكلات ومن ضجوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركها إلا في وقتا كل وطهارة ومكتوبة وقبولة خفيفة إن طال النهار ومن العصر إلى الاضفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع ومن الاضفرار إلى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح فيكون ورده الأول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان وورده الثاني في عمل القلب بالفكر إلى الضجوة وورده الثالث إلى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة وورده الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروح فيه العين واليد فان المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرا بالعين وعند الاضفرار يعود إلى ذكر اللسان فلا يغلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع وأما الليل فأحسن قسم فيه قسمة الشافعي رضي الله عنه إذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للمطالعة وترتيب العلم وهو الأول وثلثا للصلاة وهو الوسط وثلثا للنوم وهو الأخير وهذا يتيسر في ليالي الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك إلا إذا كان أكثر النوم بالنهار فهذا ما نسجه من ترتيب أوراد العلم . الثالث : للتعلم والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الأوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالإفادة وبالتعليم والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب أوقاته كما ذكرنا وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على أن ذلك أفضل بل إن لم يكن متعلما على معنى أنه يخلق ويعمل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر الأوقات في حديث أبي ذر رضي الله عنه « أن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور ألف جنازة وعبادة ألف مريض (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها (١) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث تقدم في العلم .

بالصدق فلا يحب أن يطلع أحد على حاله وأعماله . أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر ابن أبي الفضل القدسي إجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي إجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت علي بن سعيد وسأله عن الإخلاص ماهو قال سمعت علي بن إبراهيم وسأله عن الإخلاص ماهو قال سمعت محمد بن جعفر الحصاف وسأله عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن بشار عن الإخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب الشروطي عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن علي الجهمي عن الإخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد ابن زيد عن

فقبل يارسول الله ما رايض الجنة قال خلق الله (١) وقال كعب الأحبار رضي الله عنه لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي إمارة إمارته وكل ذي سوق سوقه . وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فإذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب فلا تشارقوا مجالس العلماء فإن الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم من مجالس العلماء . وقال رجل للحسن رحمه الله أشكو إليك قساوة قلبي فقال أدنه من مجالس الذكر ورأى عمار الزاهد مسكينة الطفاوية في المنام وكانت من اللواظبات على خلق الله قال مرحبا بمسكينة قتالت هيات هيات ذهبت للسكينة وجاء النقي فتألمت هيات قالت ما سألت عن أي شيء لها الجنة بهذا فبرها قال يوم ذلك قالت بمجالسة أهل الذكر ، وعلى الجنة لما ينحل عن القلب من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة أشرف وأتبع من ركعات كثيرة مع اشتغال القلب على حب الدنيا . الرابع : المحترف الذي يحتاج إلى الكسب لعله فليس له أن يضيع المبال ويستغرق الأوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي أن لا ينسى ذكر الله تعالى في صناعته بل يواظب على التسيجات والأذكار وقراءة القرآن فإن ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل وإنما لا يتيسر مع العمل الصلاة إلا أن يكون ناظورا فإنه لا يجز عن إقامة أوراد الصلاة معه ثم مهما فرغ من كفايته ينبغي أن يعود إلى ترتيب الأوراد وإن دوام على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد التي ذكرناها لأن العبادات التعمدية فائدتها أتبع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة لعل في نفسه تقربه إلى الله تعالى ثم يحصل به فائدة للغير وتتجنب إليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر . الخامس : الوالي مثل الامام والقاضي والتولي لينظر في أمور المسلمين قيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص أفضل من الأوراد المذكورة فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهرا ويقصر على المكتوبة ويقوم الأوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضي الله عنه يفعل إذ قاله مالي والنوم فلو نمت بالنهار ضيقت للمسلمين ولو نمت بالليل ضيقت نفسي وقد فهمت بما ذكرناه أنه يقدم على العبادات البدنية أمران أحدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لأن كل واحد من العلم وفضل المعروف عمل في نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات يتمدى فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه . السادس : للوحد للسترغ بالواحد الصمد الذي أصبح وهو مومم واحد فلا يجب إلا الله تعالى ولا يخاف إلا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء إلا ويرى الله تعالى فيه فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يفتقر إلى تنويع الأوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله تعالى في كل حال فلا يخطر بقلوبهم أمر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لأبصارهم لأمح إلا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد فلا يحرك لهم ولا مسكن إلا الله تعالى فهو لاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون سببا لازديادهم فلا تميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا إلى الله عز وجل كما قال تعالى - لعلكم تذكرون - ففروا إلى الله وتحقق فيهم قوله تعالى - وإذا اعتزلتموهم وما يبدون إلا الله فأووا إلى الكهف يشركم ربكم من رحمة - وإليه الإشارة بقوله - إني ذاهب إلى رب سيدين - وهذه منتهى درجات الصديقين والوصول إليها إلا بعد ترتيب الأوراد والواظبة عليها دهر أطويلا فلا ينبغي أن ينثر للريد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه وغتر

(١) حديث إذا رأيتم رياض الجنة فارتقوا فيها الحديث تقدم في العلم .

الاخلاص ماهو قال
سألت الحسن عن
الاخلاص ماهو قال
سألت حذيفة عن
الاخلاص ماهو قال
سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن
الاخلاص ماهو قال
سألت جبرائيل عن
الاخلاص ماهو قال
سألت رب العزة عن
الاخلاص ماهو قال
هو سر من سرى
استودعته قلب من
أحببت من عبادي
فاللامية لهم مزيد
اختصاص بالتمسك
بالاخلاص يرون كنم
الأحوال والأعمال
ويتلذذون بكنمها حق
لو ظهرت أعمالهم
وأحوالهم لأحد
استوحشوا من ذلك
كما يستوحش العاصي
من ظهور معصيته
فاللماق عظم وقع
الاخلاص وموضعه
وتمسك به معتدا به
والصوفي غالب في

عن وظائف عبادته فذلك علامته أن لا يهيج في قلبه وسواس ولا يخطر في قلبه معصية ولا تزعمه هواجم الأهوال ولا تستفزه عظام الأشتال وآتي تزيق هذه الرتبة لكل أحد فيتمتع على السكافة ترتيب الأوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق إلى الله تعالى قال تعالى - قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا - فكلهم مهتدون وبعضهم أهدى من بعض وفي الخبر « الإيمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة (١) » وقال بعض العلماء الإيمان ثلاثمائة وثلاثة عشر خلقا بعد الرسل فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك الطريق إلى الله فإذن الناس وإن اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصواب - أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب - وإنما يتفاوتون في درجات القرب في أصله وأقربهم إلى الله تعالى أعرفهم به وأعرفهم به لا بد وأن يكون أعبدهم له فمن عرفه لم يبد غيره . والأصل في الأوراد في حق كل صنف من الناس للدوامه فإن للراد منه تغيير الصفات الباطنة وأحاد الأعمال يقل آثارها بل لا يحس آثارها وإنما يترتب الأثر في المجموع فإذا لم يقب العمل الواحد أثارا محسوسا ولم يردف ثاب وثالث على القرب انعمي الأثر الأول وكان كالتقية يريد أن يكون قبه النفس فانه لا يصير قبه النفس إلا بتكرار كثير فلو بالغ ليله في التكرار وترك شهرا أو أسبوعا ثم عاد وبالغ ليله لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي للتواصلة لأثر فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل (٢) » . وثالث عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبتته (٣) . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقتته الله (٤) » وهذا كان السبب في صلاته بعد العصر تدارك لما فاتته من ركعتين شغله عنها الوقت ثم لم يزل بعد ذلك يصلحها بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد كيلا يقتدى به (٥) روته عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما . فان قلت فهل لغيره أن يقتدى به في ذلك سمع أن الوقت وقت كراهية ؟ فاعلم أن للمعانى الثلاثة التي ذكرناها في الكراهية من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان أو الاستراحة عن العبادة حذرا من اللال لا يتحقق في حقه فلا يقاس عليه في ذلك غيره ويشهد لذلك قوله في التزل حق لا يقتدى به صلى الله عليه وسلم .

(١) حديث الإيمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله بالشهادة على طريق منها دخل الجنة ابن شاهين واللالكائي في السنة والطبراني والبيهقي في الشعب من رواية للغيره بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده الإيمان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة من وافى شريعة منهم دخل الجنة وقال الطبراني والبيهقي ثلاثمائة وثلاثون وفي إسناده جهالة (٢) حديث أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث سئلت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبتته رواه (٤) حديث من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقتته الله وهو موقوف على عائشة (٥) حديث شغله الوقت عن ركعتين فصلها بعد العصر ثم لم يزل يصلحها بعد العصر في منزله متفق عليه من حديث أم سلمة أنه صلى بعد العصر ركعتين وقال شغلني ناس من عبد القيس عن الركعتين بعد الظهر ولها من حديث عائشة ما تركهما حتى لقي الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلحها ولا يصلحها في المسجد مخافة أن يشغل على أمته ، والله للوافي للصواب .

إخلاصه عن إخلاصه . قال أبو يعقوب السوسي مق ههوا في إخلاصهم الإخلاص احتاج إخلاصهم إلى إخلاص وقال الخوالتون ثلاث من علامات الإخلاص استواء القلب وللحد من العامة ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال وترك اقتضاء ثواب العمل في الآخر ما خبرنا أبو زرعة إجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف إجازة قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت أبا عثمان الثوري يقول: الإخلاص مالا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا إخلاص العوام وإخلاص الخواص ما يجري عليهم لا بهم فيبدو منهم الطاعات وهم عنها بمنزلة ولا يقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداد فذلك إخلاص

(الباب الثاني في الأسباب الميسرة لقيام الليل وفي الباب الثاني في أسباب استحباب إحيائها
وفي فضيلة إحياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل)
(فضيلة إحياء ما بين العشاءين)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روت عائشة رضي الله عنها « إن أفضل الصلوات عند الله صلاة
للتقرب لم يعطها عن مسافر ولا عن مقيم فتحبها صلاة الليل وختمها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى
بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة (١) » . قال الراوي لأدري من ذهب أوفضة « ومن صلى
بعدها أربع ركعات غفر له ذنب عشرين سنة أو قال أربعين سنة » وروت أم سلمة وأبو هريرة
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة
سنة كاملة أو كأنه صلى ليلة القدر (٢) » وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يشككم إلا بصلاة أو قرآن كان
حقا على الله أن يبنى له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغفر له بينهما غراما
لوطافه أهل الدنيا لو سمعهم (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء
بنى الله له قصرا في الجنة فقال عمر رضي الله عنه إذا تكبر قصورنا يا رسول الله فقال الله أكثر وأفضل
أوقال أطيب (٤) » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من صلى المغرب في
جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يشككم شيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ في الركعة الأولى فاتحة
الكتاب وعشر آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها والحكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن
الرحيم إن في خلق السموات والأرض إلى آخر الآية وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم ركع
ويسجد فإذا قام في الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها إلى قوله - أولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون - وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله ما في السموات وما في
الأرض إلى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة (٥) » وصف من ثوابه في الحديث ما يخرج
عن الحصر . وقال كرز بن وبرة وهو من الأبدال قلت لأخضر عليه السلام علمي شيئا أعمله في كل ليلة

(الباب الثاني في الأسباب الميسرة لقيام الليل)

(١) حديث عائشة إن أفضل الصلاة عند الله صلاة المغرب لم يعطها عن مسافر ولا عن مقيم الحديث
رواه أبو الوليد يونس بن عبيد الله الصغار في كتاب الصلاة رواه الطبراني في الأوسط مختصرا وإسناده
ضعيف (٢) حديث أم سلمة عن أبي هريرة من صلى ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة
أو كأنه صلى ليلة القدر ت ه بلفظ اثنتي عشرة سنة وضعت وأما قوله كأنه صلى ليلة القدر فهو من
قول كعب الأحبار كذا رواه أبو الوليد الصغار ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن
عباس من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحدا وضعت له في عليين وكان كمن أدرك
ليلة القدر في المسجد الأقصى وسنده ضعيف (٣) حديث سعيد بن جبير عن ثوبان من عكف نفسه
ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يشككم إلا بصلاة أو قرآن كان حقاً على الله أن يبنى له قصرين
في الجنة لم أجده أصلاً من هذا الوجه وقد تقدم في الصلاة من حديث ابن عمر (٤) حديث من ركع
عشر ركعات بين المغرب والعشاء بنى له قصرا في الجنة فقال عمر إذا تكبر قصورنا يا رسول الله الحديث
ابن المبارك في الزهد من حديث عبد الكريم بن الحرث مرسل (٥) حديث أنس من صلى المغرب
في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يشككم شيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ في الركعة الأولى فاتحة
الكتاب وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها والحكم إله واحد الحديث أبو الشيخ
في الثواب من رواية زياد بن ميمون عنه مع اختلاف يسير وهو ضعيف

الحواص وهذا الذي
فضله الشيخ أبو عثمان
للغربي يفرق بين
الصوفي والملاحق لأن
للملاحق أخرج الخلق
عن عمله وحاله ولكن
أثبت نفسه فهو مخلص
والصوفي أخرج نفسه
عن عمله وحاله كما
أخرج غيره فهو مخلص
وشتان ما بين المخلص
المخلص والمخلص قال
أبو بكر الزقاق نقصان
كل مخلص في إخلاصه
رؤية إخلاصه فإذا
أراد الله أن يخلص
إخلاصه أسقط عن
إخلاصه رؤيته
لإخلاصه فيكون مخلصا
لا مخلصا قال أبو سعيد
الحراز رياء العارفين
أفضل من إخلاص
المرئيين ومعنى قوله
إن إخلاص المرئيين
معلول برؤية الإخلاص
والعارف منزّه عن
الرياء الذي يعطل

قَالَ إِذَا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ قُمَ إِلَى وَقْتُ صَلَاةِ الْعِشَاءِ مُصَلِّيًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْكُمَ أَحَدًا وَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِكَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا وَبَسْمٍ مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ وَاقْرَأْ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ لَأَمَّةَ الْكِتَابِ مَرَّةً وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثَلَاثًا فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ صَلَاتِكَ انصَرَفْ إِلَى مَنْزَلِكَ وَلَا تَسْكُمَ أَحَدًا وَصَلْ رَكْعَتَيْنِ وَاقْرَأْ لَأَمَّةَ الْكِتَابِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ ثُمَّ اسْجُدْ بَعْدَ تَسْلِيمِكَ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ تَعَالَى سَبْعَ مَرَّاتٍ وَقُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ وَاسْتَوِجَالِسَا وَارْفَعْ بَيْدَكَ وَقُلْ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا إِلَهَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَا رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَجِمَهُمَا يَارَبُّ يَارَبُّ يَا إِلَهَ يَا إِلَهَ يَا إِلَهَ ثُمَّ قُمْ وَأَنْتَ رَافِعُ بَيْدِكَ وَادْعُ بِهَذَا الدُّعَاءِ ثُمَّ نَمْ حَيْثُ شِئْتَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ عَلَى يَمِينِكَ وَصَلْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَدِمِ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْهَبَ بِكَ النَّوْمُ فَقُلْتُ لَهُ أَحِبُّ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ مَعْنَى هَذَا قَوْلُ إِبْنِ حُسَيْنٍ عَمَّا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ عَلَّمَ هَذَا الدُّعَاءَ وَأَوْحَى إِلَيْهِ بِهِ فَكَانَتْ عِنْدَهُ وَكَانَ ذَلِكَ بِمَحْضَرٍ مِنْ تَعْلُمَتِهِ مِنْ عِلْمِهِ يَا (١) وَقَالَ إِنْ هَذَا الدُّعَاءُ وَهَذِهِ الصَّلَاةُ مِنْ دَاوَمٍ عَلَيْهِمَا بِمَحْسَنَتَيْنِ وَصَدَقَ نَبِيُّ رَأْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَامِهِ قِيلَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ بَعْضُ النَّاسِ فَرَأَى أَنَّهُ أَدْخَلَ الْجَنَّةَ وَرَأَى فِيهَا الْأَنْبِيَاءَ وَرَأَى فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَلِمَةً وَعَلَهُ وَعَلَى الْجَلَّةِ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ إِحْيَاءِ مَا بَيْنَ الْعِشَاءِ مِنْ كَثِيرٍ حَقَّ قِيلَ لِعَبِيدِ اللَّهِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَمْرِ بِصَلَاةٍ غَيْرِ الْكُتُوبَةِ قَالَ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ (٢) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ صَلَّى مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فَذَلِكَ صَلَاةُ الْأَوَائِينَ (٣) » وَقَالَ الْأَسْوَدُ مَا أَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا الْوَقْتِ إِلَّا وَرَأَيْتُهُ يَصَلِّي فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ نَمَّ هِيَ سَاعَةُ الْغَنَةِ وَكَانَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُوَظَّبُ عَلَيْهَا وَيَقُولُ هِيَ نَاشِئَةُ اللَّيْلِ وَيَقُولُ فِيهَا تَزَلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى - تَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الضَّاحِعِ - وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِزْمِيِّ قُلْتُ لِأَبِي سَالِمَانَ الدَّارَانِيِّ أَصُومُ النَّهَارَ وَأَتَعَشَّى بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَوْ أَفْطَرُ بِالنَّهَارِ وَأُحْيِي مَا بَيْنَهُمَا قَالَ أَجْمَعُ بَيْنَهُمَا فَقُلْتُ إِنْ لَمْ تَتَيَسَّرْ قَالَ أَنْظِرْ وَصَلِّ مَا بَيْنَهُمَا

(فضيلة قيام الليل)

أَمَّا مِنَ الْآيَاتِ قَوْلُهُ تَعَالَى - إِنْ رَبُّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ - الْآيَةُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى - إِنْ نَاشِئَةُ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً - وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - تَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الضَّاحِعِ - وَقَوْلُهُ تَعَالَى - أَمِنْ هَوَاتِنَ آثَاءِ اللَّيْلِ - الْآيَةُ وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ - وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا - وَقَوْلُهُ تَعَالَى - وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ - قِيلَ هِيَ قِيَامُ اللَّيْلِ يَسْتَعِينُ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ عَلَى مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ - وَمِنَ الْأَخْبَارِ : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَقْدِرُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عَقَدٍ يَضْرِبُ مَكَانَ كُلِّ عَقْدَةٍ عَلَيْكَ لِيلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ وَذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ فَأَصْبَحَ كَشَيْطَانٍ طَيِّبٍ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ (٤) » .

(١) حَدِيثُ كُرْزِ بْنِ وَبَرَةَ أَنَّ الْخَضِرَ عَلَّمَهُ صَلَاةَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَفِيهِ أَنْ كُرْزًا سَأَلَ الْخَضِرَ عَنْ مَعْنَى هَذَا قَالَ إِبْنُ حُسَيْنٍ عَمَّا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ عَلَّمَ هَذَا الدُّعَاءَ الْحَدِيثَ وَهَذَا بَاطِلٌ لِأَصْلِهِ (٢) حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِيلَ لَهُ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَمْرِ بِصَلَاةٍ غَيْرِ الْكُتُوبَةِ قَالَ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَفِيهِ رَجُلٌ يُسَمَّى (٣) حَدِيثُ مَنْ صَلَّى مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فَذَلِكَ صَلَاةُ الْأَوَائِينَ تَقَدَّمَ فِي الصَّلَاةِ (٤) حَدِيثُ يَقْدِرُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عَقَدٍ الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ .

العمل ولكن لم يظهر
عينا من حاله وعمله يعلم
كامل عنده فيه لجذب
مريد أو مماناة خلق
من أخلاق النفس في
إظهار الحال والعمل
وللمارين في ذلك علم
دقيق لا يعرفه غيرهم
فيري ذلك ناقص العلم
صورة رياء وليس رياء
إنما هو صريح العلم لله
بالله من غير حضور
نفس ووجود آفة
فيه . قال درويش :

الإخلاص أن لا يرضى
صاحبه عليه عموما في
الدارين ولا حظا من
للكين . وقال

بعضهم صدق الإخلاص
نسيان رؤية الخلق
بمواظبة النظر إلى الحق
واللامتنى يرى الخلق
فيخفى عمله وحاله وكل
ما ذكرناه من قبل
وصف إخلاص الصوفي
ولهذا قال الأرقاؤى لا بد
لكل مخلص من رؤية

وفي الخبر « أنه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في أذنه ^(١) » وفي الخبر « إن للشيطان سحوطا ولعوقا وذرورا فإذا أسعط العبد ساء خلقه وإذا ألغته ضرب لسانه بالشر وإذا ذره نام الليل حتى يصبح ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرمتها عليهم ^(٣) » وفي الصحيح عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه » وفي رواية « يسأل الله تعالى خيرا من الدنيا والآخرة وذلك في كل ليلة » وقال النيرة بن شعبة قام رسول الله ﷺ حتى تخطرت قدمه فليل له أما قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ^(٤) ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فإن الشكر سبب الزيد قال تعالى - نحن شكرتم لأزيدنكم - وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة أتريد أن تكون راحة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصلوات غريدرضاريك يا أبا هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم فإن قيام الليل قربة إلى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطرقة للداء عن الجسد ومنهارة عن الإثم ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن امرئ تكون له صلاة بالليل فليله عليها اليوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « لأنذر لو أردت سقرا أعددت له عدة قال نعم قال فكيف سافر طريق القيامة ألا أنبتك يا أباذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأي وأمرى قال صم يوما شديد الحر ليوم الفشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لو حشة القبور ورجع حجة لنظام الأمور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلة حق تقولها أو كلة شمر تسكت عنها ^(٨) »

(١) حديث ذكر عنده رجل نام حتى أصبح فقال ذاك بال الشيطان في أذنه متفق عليه من حديث ابن مسعود (٢) حديث إن للشيطان سحوطا ولعوقا وذرورا الحديث طبع من حديث أنس إن للشيطان لعوقا وكلا فإذا لعق الإنسان من لعوقه ضرب لسانه بالشر وإذا كله من كله نامت عيناه عن الذكر ورواه الأزرار من حديث حمزة بن جندب وسندهما ضعيف (٣) حديث ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرمتها عليهم - آدم بن أبي إياس في الثواب ومحمد بن نصر الروزي في كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسل واصله أبو منصور البجلي في مسند القردوس من حديث ابن عمر ولا يصح (٤) حديث النيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تخطرت قدماه الحديث متفق عليه (٥) حديث يا أبا هريرة أتريد أن تكون راحة الله عليك حيا وميتا ومقبورا قم من الليل فصلوات غريدرضاريك يا أبا هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا باطل لأصله (٦) حديث عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم الحديث ت من حديث بلال وقال غريب ولا يصح ورواه طبع وهو من حديث أبي أمامة بسند حسن وقالت إنه أصح (٧) حديث مامن امرئ يكون له صلاة بالليل فليله عليها يوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه د ن من حديث عائشة وفيه رجل لم يسمعه ن في رواية الأسود بن يزيد لكن في طريقه ابن جعفر الرازي قال ن ليس بالقوي ورواه ن ه من حديث أبي هريرة نحوه بسند صحيح وتقدم في الباب قبله (٨) حديث إنه قال لأنذر لو أردت سقرا أعددت له عدة فكيف سافر طريق القيامة ألا أنبتك يا أباذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأي وأمرى قال صم يوما شديد الحر ليوم الفشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لو حشة القبور الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد من رواية السري بن علف مرسل والسري ضعفه الأزد.

إخلاصه وهو قصان
عن كمال الإخلاص
والإخلاص هو الذي
يتولى الله حفظ صاحبه
حتى يأتي به على التمام.
قال جعفر الجلي سأل
أبا القاسم الجلي رحمه
الله قلت أين الإخلاص
والصدق فرق؟ قال نعم
الصدق أصل وهو الأول
والإخلاص فرع وهو
تابع وقال بينهما فرق
لأن الإخلاص لا يكون
إلا بسد الدخول في
المعمل ثم قال إنما هو
إخلاص ومخالصة
الإخلاص ومخالصة
كائنة في المخالصة فلي
هذا الإخلاص حال
اللامتن ومخالصة
الإخلاص حال الصوفى
والمخالصة الكتابة من
المخالصة ثمرة مخالصة
الإخلاص وهو غناء
العبد عن رسومه
برؤية قيامه بقيومه
بلى غيته عن رؤية

وروى « أنه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فأذنوني فأناؤه فاستمع فلما أصبح قال يا فلان هلا سألت الله الجنة قال يا رسول الله اني لست هناك ولا يبلغ عملي ذاك فلم يابث إلا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة^(١) » وروى « أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل^(٢) » قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا يقوم أصلا ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر . وقال علي بن أبي طالب شيع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من دارى أم وجدت جوارا خيرا لك من حوارى فوعزني وجلالى يا يحيى لو اطلعت إلى الفردس اطلالة لداب شححك ولزهدت نفسك اشتياقا ولو اطلعت إلى جهنم اطلالة لداب شححك وليكيت الصديد بعد السموع وليست الجلب بعد السوح . « وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق فقال سينها ما يعمل^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فان أبت نضج في وجهها الماء^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأة قامت من الليل فصلى ثم أيقظت زوجها فصلى فان أبت نضجت في وجهه الماء » وقال صلى الله عليه وسلم « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبنا من الداكرين الله كثيرا والداكرات^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل^(٦) » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم « من نام عن حربه أو عن شيء منه بالليل قرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل^(٧) » . الآثار روى أن عمر رضى الله عنه كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يباد منها أياما كثيرة كما يباد للريض وكان ابن مسعود رضى الله عنه إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح ، ويقال إن سفيان الثوري رحمه الله شيع ليلة فقال إن الحار إذا زيد في علقه زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى أصبح وكان طلوس رحمه الله إذا انطجع على فراشه تنقل عليه كما تنقل الحبة على القلاة ثم يثب ويصلي إلى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين ، وقال الحسن رحمه الله ما نعلم عملا أشد من مكابدة الليل وحقه هذا المال قليل له ما بال التهجدين من أحسن الناس وجوها قال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين من سفره فهد له فراش فنام عليه

(١) حديث أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فأذنوني الحديث لم أقف له على أصل (٢) حديث أن جبريل قاله للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك وليس فيه ذكر لجبريل (٣) حديث قيل له إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق فقال سينها ما يقول ، ابن جبان من حديث أبي هريرة (٤) حديث رحمه الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت الحديث دحب من حديث أبي هريرة (٥) حديث من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبنا من الداكرين الله كثيرا والداكرات د ن من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح (٦) حديث أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل م من حديث أبي هريرة (٧) حديث عمر من نام عن حربه أو عن شيء منه قرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل رواه م .

قيامه وهو الاستغراق في العين عن الآثار والتخلص عن لوث الاستئثار وهو قد حال الصوفي ولللاصق مقيم في أوطان إخلاصه غير متطلع إلى حقيقة خلاصه وهذا فرق واضح بين اللامق والصوفي ولم يزل في خراسان منهم طائفة ولهم مشايخ يمهدون أساسهم ويرفونهم شروط حالهم وقد رأينا في العراق من يسلك هذا السلك ولكن لم يشتهر بهذا الاسم وقلما يتداول السنة أهل العراق هذا الاسم . حكى أن بعض اللامية استدعى إلى مماع فامتنع فقيل له في ذلك فقال لأنى إن حضرت يظهر على وجد ولا يؤثر أن يعلم أحد حالى . وقيل إن أحمد بن أبي الحواري

حتى فاته ورده نحلط أن لا ننام بعدها على فراش أبداً وكان عبد العزيز بن أبي رواد إذا جن عليه الليل يأتي فرائسه فيمر يده عليه ويقول إنك لين ووالله إن في الجنة لألين منك ولا يزال يصلي الليل كله وقال الفضيل إنى لأستقبل الليل من أوله فيبولنى طوله فأفتح القرآن فأسبح وما قضيت نهيق وقال الحسن إن الرجل ليذهب الذنب فيحرم به قيام الليل وقال الفضيل إذا لم تهدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن أشيم رحمه الله يصلي الليل كله فإذا كان في السحر قال إلهي ليس مثلى يطلب الجنة ولكن أجرنى برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء إنى لأضف عن قيام الليل فقال له يا أخى لاتمس الله تعالى بالنهار ولا تم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية قباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا أهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا أصبحنا أطلع الفجر فقالت وما تصلون إلا للكتابة قالوا نعم فرجعت إلى الحسن فقالت يا مولاي يمضى من قوم لا يصلون إلا للكتابة ردنى فردها وقال الربيع بن ربيعة في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالى كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيراً وقال أبو الجويرية لقد صحبت أبا حنيفة رضي الله عنه ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض وكان أبو حنيفة يحكي نصف الليل فرقوم فقالوا إن هذا يحكي الليل كله فقال إنى أستحي أن أوصف بما لا أحل فكان بعد ذلك يحكي الليل كله ويروى أنه ما كان له فراش بالليل وقال إن مالك بن دينار رضي الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح - أم حسب الدين اجتروا السيئات أن نجعلهم كالدين آمنوا وعملوا الصالحات - الآية . وقال الفيرة بن حبيب رمت مالك بن دينار فتوضأ بعد المشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته خنقة العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيعة مالك على النار إلهي قد علمت ما كن الجنة من ساكن النار فأبى الرجلين مالك وأبى الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردى ونمت فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي أعحسن ثمراً قلت نعم قد فست إلى الرقعة فإذا فيها :

ألهتك اللذائد والآمانى
عن البيض الأوانس في الجنان
تعيش مخلداً لا موت فيها
وتلوه في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خبراً
من النوم التهجد بالقرآن

وقيل حج مسروق لما بات ليلة إلا ساجداً ويروى عن أزهر بن ميث وكان من القوامين أنه قال رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا قلت لها من أنت قالت حواء قلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني إلى سيدى وأمهرنى فقلت وما مهرى قالت طول التهجد . وقال يوسف بن مهران بلغنى أن تحت العرش ملكاً في صورة ديك برائه من لؤلؤ وصنفته من زبرجد أخضر فإذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم القائمون فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم المجتهدون فإذا مضى ثلث الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم الصالحون فإذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم القافلون وعليهم أوزارهم وقيل إن وهب بن منبه الجبالي ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة وكان يقول لأن أرى في بيتي شيطاناً أحب إليّ من أن أرى في بيتي وسادة لأنها تدعو إلى النوم وكانت له مسورة من أدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخنق خفقات ثم يزعج إلى الصلاة وقال بعضهم رأيت رب العزة في النوم فسمعت يقول وعزنى وجلالى لا أكرم من مثوى سليمان التيمي فانه صلى إلى النداء بوضوء المشاء أربعين سنة ويقال كان مذهبه

قال لأبي سليمان
الداراني إنى إذا كنت
في الخلوة أجد لمعلمي
لذة لا أجسدها بين
الناس فقال له إنك
إذا ضعيف فاللذات
وإن كان متمسكاً
بعمدة الإخلاص
مستغنياً بإسباط الصديق
ولكن بقي عليه بقية
رؤية الحق وما أحسنها
من بقية تحقق
الإخلاص والصديق
والصوفي صفا من هذه
البقية في طرق العمل
والترك للخلق وعزلهم
بالكلية ورأى بين
الفناء والزوال ولاح
له ناصية التوحيد
وطاب من سرقوه - كل
شيء هالك إلا وجهه -
كما قال بعضهم في بعض
غلبته ليس في الدارين
غير الله وقد يكون
إخفاء للامق الحال على
وجوه أحد الوجوه
لتحقيق الإخلاص

أن النوم إذا خامر القلب بطل الوضوء ، وروى في بعض الكتب القديمة عن الله تعالى أنه قال إن عبدي الذي هو عبدي حقاً الذي لا ينتظر قيامه صباح الديكة .

(بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل)

اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه لليسرة له ظاهره وأباطنه . فأما الظاهرة فأربعة أمور . الأول : أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على اللادة كل ليلة ويقول معاشر الريدين لاتأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتعسروا عند الموت كثيراً وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف العدة عن ثقل الطعام . الثاني أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فإن ذلك أيضاً مجلبة للنوم . الثالث : أن لا يترك القيولة بالنهار فإنها سبب للاستعانة على قيام الليل (١) . الرابع : أن لا يحتجب الأوزار بالنهار فإن ذلك مما يقضى القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة . قال رجل للحسن بأباسيد إنني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهوري فإبالي لا أقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن رحمه الله إذا دخل السوق فسمع لمعلمهم ولهم يقولون أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فأنهم لا يقبلون وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته قيل وما ذاك الذنب قال رأيت رجلاً يركبني قلت في ضي هذا وراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يركبني قلت أذاك نبي بعض أهلك قال أشد قلت وجع بؤلك قال أشد قلت فذاك قال باني مغلق وستري مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك إلا بذنب أحدثته وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير والشر يدعو إلى الشر والليل من كل واحد منهما يمر إلى الكبير ولذلك قال أبو سليمان الداراني لا تغترب أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجناية بعد وقال بعض العلماء إذا صمت بامسكين فانظر عند من تظفر وعلى أي شيء تظفر فإن العبد ليأكل كل شيء فيقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حاله الأولى فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام . وتأثير القنعة الحال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك أهل الرقابة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشريعة ولذلك قال بعضهم كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وإن العبد ليأكل كل شيء ويغفل فله فيحرم بها قيام سنة وكان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات وقال بعض السجانيين كنت سجاناً نيفاً وثلاثين سنة أسأل كل مأخوذ بالليل أنه هل صلى العشاء في جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن قاطبة الفحشاء والمنكر .

(وأما لليسرات الباطنة فأربعة أمور)

الأول : سلامة القلب عن الحق على السليين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق فيهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته ولا يحول إلا في وسأوسه وفي مثل ذلك يقال : يجبرني البواب أنك نائم وأنت إذا استيقظت أيضاً فتائم

الثاني : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فإنه إذا تنفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذرهم كما قال طاوس إن ذكر جهنم طبر نوم العابدين وكما حكى أن غلاماً بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدة إن قيامك بالليل يضر بعلمك بالنهار فقال إن صيباً إذا ذكر النار لا يأتيه النوم وقيل لسلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال إذا ذكرت النار اخشيت خوفاً وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فلا أقدر أن أنام ، وقال ذوالنون المصري رحمه الله :

(١) حديث الاستعانة بقيولة النهار على قيام الليل هـ من حديث ابن عباس وقد تقدم .

والصديق والوجه الآخر وهو الأتم لستر الحال عن غيره بنوع غيرة فإن من خلا بمحبوبه بكره اطلاع الغير عليه بل يبلغ في صدق المحبة أن يكره اطلاع أحد على حبه لمحبوبه وهذا وإن علا في طريق الصوفى علة وتقص فعل هذا يتقسم للامتناع على التصوف ويتأخر عن الصوفى وقيل إن من أصول السلامة أن

منع القرآن بوعده ووعيدہ مقل العيون بلبها أن تهجما
فهموا عن تلك الليل كلامه فرقابهم ذلك إليه تضما
وأنشدوا أيضا :

يا طويل الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الحشرات
إن في القبر إن زلت إليه لرقادا يطول بعد للمات
ومهادا ممهدا لك فيه بذنوب حملت أو حنات
أأمنت الليات من ملك اللو ب وكم قال آتنا بيات
وقال ابن المبارك :

إذا ما الليل أظلم كأبدوه فيسفر عنهم وم ركوع
أطار الخوف نومهم ققاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

الذكر على أربعة أقسام
ذكر باللسان وذكر
بالقلب وذكر بالسر
وذكر بالروح فإذا صبح
ذكر الروح سكنت السر
والقلب واللسان عن
الذكر وذلك ذكر
الشاهدة وإذا صبح
ذكر السر سكنت القلب
واللسان عن الذكر
وذلك ذكر الهيئة وإذا
صبح ذكر القلب فتر
اللسان عن الذكر
وذلك ذكر الآلاء
والنعماء وإذا غفل

الثالث : أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار حتى يستحكم به رجاءه وشوقه إلى ثوابه
فيه يجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكى أن بعض الصالحين رجع من غزوته
فهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى أصبح فقالت له زوجته كنا
ننتظرك مدة فلما قدمت صليت إلى الصبح قال والله إنى كنت أتفكر في حوراء من حور الجنة طول
الليل فنسيت الزوجة والنزل فقامت طول ليلتي شوقا إليها . الرابع وهو أشرف البواعث الحب لله
وقوة الإيمان بأن الله في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه
وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فإذا أحب الله تعالى أحب لاهالة الخلوة به وتقذ بالنجاة
فتحله لذة النجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغي أن تستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل فأما
العقل فاعتبر حال الحب لشخص بسبب جماله أو لملك بسبب إقامه وأمواله أنه كيف يتلذذ به في الخلوة ومناجاته
حتى لا ياتيه النوم طول ليله . فان قلت : إن الجميل يتلذذ بالنظر إليه وإن الله تعالى لا يرى . فاعلم أنه لو كان
الجميل المحبوب وراء سترا أو كان في بيت مظلم لكان الحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع
في أمر آخر سواء وكان يقسم باظهاره عليه وذكره باسمه بسمع منه وإن كان ذلك أيضا مملوفا عنده .
فان قلت : إنه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس بسمع كلام الله تعالى . فاعلم أنه كان يعلم أنه لا يحينه
ويستكت عنه فقد بقيت له أيضا لذة في عرض أحواله عليه ورفع سريره إليه كيف وللوقن بسمع من
الله تعالى كل ما يرد على خاطره في أثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذي يغلو بالملك ويرض عليه حاجاته في
جنح الليل يتلذذ به في رجاء إقامه والرجاء في حق الله تعالى أصدق وما عند الله خير وأبقى وأنفع مما
عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات . وأما النقل فيشهد له أحوال قوام الليل في
تلذذهم بقيام الليل واستقصاءهم له كما يستقصر الحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف أنت
والليل قال ما راعيت قط برنى وجهه ثم ينصرف وما تأملت به بعد . وقال آخر أنا والليل فرسا رهان
مرة يسفنى إلى الفجر ومرة يقطعنى عن الفكر . وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة أنا فيها بين
حالتين أفرح بظلمته إذا جاء وأغتم بفجيره إذا طلع ماتم فرحى به قط . وقال على بن بكير منذ أربعين
سنة ما أحرزنى شيء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض إذا غربت الشمس فرحت بالظلام
لخلقى برنى وإذا طلعت حررت لدخول الناس على وقال أبو سليمان أهل الليل في ليلهم ألد من أهل اليوم
في لحوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا وقال أيضا لوعرض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم

ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نسيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التماس في قلوبهم بالليل من حلاوة النجاة وقال بعضهم لذة النجاة ليست من الدنيا إنما هي من الجنة أظهرها الله تعالى لأوليائه لا يجدها سواهم . وقال ابن المنكدر : ما بقى من لذات الدنيا إلا ثلاث : قيام الليل ولقاء الإخوان والصلاة في الجماعة ، وقال بعض العارفين : إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتقين فيملؤها أنواراً فتزد الفوائد على قلوبهم فتستبصر ثم تنشر من قلوبهم الدوافع إلى قلوب الغافلين ، وقال بعض العلماء من القدماء : إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لي عباداً من عبادي أحبه ويحبوني ويشاقون إليّ وأشتاق إليهم ويدكرونني وأذكرونهم وينظرون إليّ وأنظر إليهم فإن حدوث طريقهم أحبتك وإن عدلت عنهم مقتك قال يارب وماعلامهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويمجنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها فإذا جهنم الليل واختلط الظلام وخل كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم واقفروا إلى وجوههم وناجوني بكلامي وتعلقوا إليّ يا نعماني فبين صارخ وباكي ، وبين متأوه وشاكي ، بيني ما يتحملون من أجلي وبسمي ما يشكون من حبي أول ما أعطيتهم أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم ، والثانية لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيها من موازينهم لاستقلتها لهم ، والثالثة أقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أعلم أحد ما أريد أن أعطيه ، وقال مالك بن دينار رحمه الله إذا قام العبد يتبع من الليل قرب منه الجبار عز وجل وكانوا يرون لا يجدون من الرقة والحلاوة في قلوبهم والأنوار من قرب الرب تعالى من القلب وهذا له سر وتحقيق ستان الإشارة إليه في كتاب المحبة ، وفي الأخبار عن الله عز وجل « أي عبدي أنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالقلب رأيت نوري » وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال أستاذه يا بني إن لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب التيقظة وتغطي القلوب النائمة فترض تلك النفحات فقال يا سيدي تركتني لأنام بالليل ولا بالنهار .

واعلم أن هذه النفحات بالليل أرحم ما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشراغل ، وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيراً إلا أعطاه إياه ^(١) » وفي رواية أخرى « يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه » وذلك كل ليلة « ومطلوب القائلين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كلية القدر في شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة والله أعلم .

بيان طرق القسمة لأجزاء الليل : اعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب . الأولى : إحياء كل الليل وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلقوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا للنوم إلى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوسوء المشاء . حكى أبو طالب للكي أن ذلك حكى على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من واطب عليه أربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم الدينان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد الكيان وطاوس ووهب بن منبه البجليان والريبع بن خيثم والحكم الكوفيان وأبوسليمان الداراني وطى بن بكار الشاميان وأبو عبد الله الخواص وأبو حاتم البجليان وحبيب أبو محمد وأبو جابر السلمي القارسيان

(١) حديث جابر : إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه . وذلك كل ليلة ، رواه م .

القلب عن الله كرا قبل
اللسان على الله كرو ذلك
ذكر العادة وليس كل
واحد من هذه الأذكار
عندهم آفة فآفة ذكر
الروح اطلاع السريه
وآفة ذكر السراطلاع
القلب عليه وآفة ذكر
القلب اطلاع النفس
عليه وآفة ذكر النفس
رؤية ذلك وتنظيمه
أو مطلب نوابه أو ظن أنه
يسل إلى شيء من
اللقامات وأقل الناس
قيمة عندهم من يريد

ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن أبي ثابت وعبيد البكاء البصريون وكهمس بن النبال وكان يحتم في الشهر تسعين ختمه وما لم يفهمه رجيع وقرأه مرة أخرى وأيضاً من أهل المدينة أبو حازم ومحمد بن النكدر في جماعة يكثر عددهم . المرتبة الثانية : أن يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد الواظنين عليه من السلف وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأول من الليل والسدس الأخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الأفضل . للمرتبة الثالثة : أن يقوم ثلث الليل فينبغي أن ينام النصف الأول والسدس الأخير ، وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لأنه ينهب الناس بالنمالة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفة الوجه والشهرة به فلو قام أكثر الليل ونام سحراً قلت سفرة وجهه وقلّ نغاسه ، وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهم وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه للصلاة ^(١) » وقالت أيضاً رضي الله عنها « ما ألقيت بعد السحر إلا نائماً ^(٢) » حتى قال بعض السلف هذه الضجة قبل الصبح سنة منهم أبو هريرة رضي الله عنه ، وكان نوم هذا الوقت سبباً للمكاشفة والشاهدة من وراء حجب القيب وذلك لأرباب القلوب وفيه امتراحة تعين على الورد الأول من أوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الأخير ، ونوم السدس الأخير قيام داود صلى الله عليه وسلم . المرتبة الرابعة : أن يقوم سدس الليل أو خمسة وأفضله أن يكون في النصف الأخير وقبل السدس الأخير منه . المرتبة الخامسة : أن لا يراعى التقدير فإن ذلك إنما يتيسر لنبى يوحى إليه أو لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويواظبه ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي التيم ولكنه يقوم من أول الليل إلى أن يظلمه النوم فإذا انتبه قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل وأشد الأعمال وأفضلها ، وقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) ، وهو طريقة ابن عمر وأولى العزم من الصحابة وجماعة من التابعين رضي الله عنهم وكان بعض السلف يقول هي أول نومة فإذا اتعبت ثم عدت إلى النوم فلا أنام الله لي عينا فأما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان

إظهاره وإقبال الخلق عليه بذلك وسر هذا الأصل الذى بنوا عليه أن ذكر الروح ذكر الذات وذكر السر ذكر الصفات بزرهم وذكر القلب من الآلاء والنماء ذكر أمر الصفات وذكر النفس متسترى للعلات لعمى قولهم اطلاع السر على الروح يشيرون إلى التحقق بالقضاء عند ذكر الصفات وذكر الحلية

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهم وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة م من حديث عائشة كان ينام أول الليل ويحيى آخره ثم إن كان له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام وقال النسائي فإذا كان من السحر أوتر ثم أتى فراشه فإذا كان له حاجة ألم بأهله ، ولأبي داود كان إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فإن كنت مستيقظة حدثني وإن كنت نائمة أيقظني وصلى الركعتين ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصل ركعتين خفيفتين ثم يخرج إلى الصلاة وهو متفق عليه بلفظ : كان إذا صلى فإن كنت مستيقظة حدثني وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة ، وقال م إذا صلى ركعتي الفجر ^(٢) حديث عائشة ما ألقيت السحر الأعلى إلا نائماً متفق عليه بلفظ ما ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر الأعلى في بيتي أو عندى إلا نائماً لم يقل خ الأعلى وقال م ما كنت ألقى أوالقى النبي صلى الله عليه وسلم من آخر الليل إلا وهو نائم عندي ^(٣) حديث قيامه أول الليل إلى أن يظلمه النوم فإذا انتبه قام فإذا غلبه عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان دت وصحة و ه من حديث أم سلمة كان يصلى وينام قدر ما صلى ثم يصلى قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح ، والبخاري من حديث ابن عباس صلى الله عليه وسلم ثم جاء فصل أربع ركعات ثم نام ثم قام وفيه فصل خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى صحت غطيته الحديث .

يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثه أو سدسه (١) يختلف ذلك في الليالي ودلّ عليه قوله تعالى في التوضيعين من سورة الزمل - إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه - فأدنى من ثلثي الليل كأنه نصفه ونصف سدسه فإن كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع وإن نصب كان نصف الليل وقالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يقوم إذا سمع الصارخ (٢) يعني الديك وهذا يكون السدس لما دونه وروى غير واحد أنه قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلاً فنام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال: ربنا ما خلقت هذا باطلاً حتى بلغ إنك لا تخلف للعباد ثم استل من فراشه سواً كما فاستاك به وتوضاً وصلى حتى قلت صلى مثل الذي نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال ما قال أول مرة وفعل ما فعل أول مرة (٣). للرتبة السادسة: وهي الأقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين أو تعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلاً بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الأثر صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة (٤) فهذه طرق القصة فليحتر للريد لنفسه ما يراه أبسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي أن يهمل إحياء ما بين العشاءين والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائماً ويقوم بطرفي الليل وهذه هي الرتبة السابعة ومهما كان النظر إلى القدر ترتيب هذه الراتب بحسب طول الوقت وقصره. وأما في الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيما إلى القدر فليس يجرى أمرها في التقدم والتأخر على الترتيب المذكور إذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة.

(بيان الليالي والأيام الفاضلة)

اعلم أن الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتأكد فيها استحباب الأحياء في السنة خمس عشرة ليلة

(١) حديث ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثه أو سدسه ، الشيخان من حديث ابن عباس قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ الحديث وفي رواية للبخاري فلما كان ثلث الليل الآخر قد فنظر إلى السماء الحديث ولأن داود قام حتى إذا ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ الحديث لمسلم من حديث عائشة فيبعثه الله بما شاء أن يبعثه من الليل . (٢) حديث عائشة كان يقوم إذا سمع الصارخ متفق عليه (٣) حديث غير واحد قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلاً فنام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك حتى بلغ إنك لا تخلف للعباد ثم استل من فراشه - وما كاستاك وتوضاً وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام الحديث ن من رواية حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت وأنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأرغبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وروى أبو الوليد بن مغيث في كتاب الصلاة من رواية اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة أن رجلاً قال لأرمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وفيه أنه أخذ سواكه من مؤخر الرحل وهذا يدل أنه أيضاً كان في سفر (٤) حديث صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة أبو يعلى من حديث ابن عباس في صلاة الليل مرفوعاً نصفه ثلثه ربعه فوافق حلب ناقة فوافق حلب شاة ولأن الوليد بن مغيث من رواية إياس بن معاوية مرسل لا بد من صلاة الليل ولو حلب ناقة أو حلب شاة .

في ذلك الوقت ذكر الصفات مشعر بنصيب الهية وهو وجود الهية ووجود الهية يستدعي وجوده وبقية وذلك يناقض حال القناء وهكذا ذكر السر وجودية وهو ذكر الصفات مشعر بنصيب القرب وذكر القلب الذي هو ذكر الآلاء والنعماء مشعر بعدما لأنه اشتغال بذكر النعمة وذهول عن النعم والاشتغال

لا ينبغي أن يغفل للربرد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومق غفل التاجر عن المواسم لم يرج ومق غفل الربرد عن فضائل الأوقات لم ينجح فستة من هذه الليالي في شهر رمضان: خمس في أوتار العشر الأخير إذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير رحمه الله هي ليلة القدر . وأما التسع الأخر فأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء وأول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة للمعراج وفيها صلاة مأثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم «للعامل من هذه الليلة حسنة مائة سنة» (١) فمن صلى في هذه الليلة اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويقشده في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائماً فان الله يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو في مصيبة ، وليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها كما أوردناه في صلاة التطوع وليلة عرفة وليلة العيد قال صلى الله عليه وسلم «من أحيا ليلتي العيدين لم يميت قلبه يوم تموت القلوب» (٢) . وأما الأيام الفاضلة فستة عشر يستحب مواصلة الأوراد فيها : يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا » (٣) وهو اليوم الذي أهبط الله فيه جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوما العيدين . والأيام المعلومات وهي عشر من ذى الحجة والأيام العدودات وهي أيام التشريق وقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة » (٤) وقال بعض العلماء من أخذ مهنة في الأيام الخمسة في الدنيا لم ينل مهنة في الآخرة وأراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء . ومن فواصل الأيام في الأسبوع يوم الخميس والاثني نرفع فيهما الأعمال إلى الله تعالى وقد ذكرنا فضائل الأشهر والأيام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة إلى الاعادة والله أعلم ، وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين .

(١) حديث الصلاة المأثورة في ليلة السابع والعشرين من رجب ذكر أبو موسى للدين في كتاب فضائل الأيام والليالي أن أبا محمد الجباري رواه من طريق الحاكم أبي عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن أبان عن أنس مرفوعا ، ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان جدا والحديث منكسر (٢) حديث من أحيا ليلتي العيدين لم يميت قلبه يوم تموت القلوب ه باسناد ضعيف من حديث أبي أمامة (٣) حديث أبي هريرة من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم رواه أبو موسى للدين في كتاب فضائل الليالي والأيام من رواية شهر بن حوشب عنه (٤) حديث أنس إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة تقدم في الباب الخامس من الصلاة فذكر يوم الجمعة فقط وقد رواه بمجملته ابن حبان في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية من حديث عائشة وهو ضعيف .

(تم الجزء الأول من : كتاب إحياء علوم الدين ، وتلوه : الجزء الثاني)

برؤية العطاء عن
رؤية للمطى ضرب
من بعد الترة
واطلاع النفس نظرا
إلى الأعواض اعتداد
بوجود العمل وذلك
عين الاعتدال حقيقة
وهذه أقسام هذه
الطائفة وبعضها أهدى
من بعض ، والله أعلم .

فهرس الجزء الأول

من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الامام الغزالي

صفحة	صفحة
٤٢ (الباب الرابع في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات الناظرة والجدل وشروط إباحتها)	مقدمة
٤٣ بيان التلبيس في تشبيه هذه الناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رحمهم الله تعالى	ترجمة الامام الغزالي
٤٥ بيان آفات الناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق	٢ خطبة الكتاب
٤٩ (الباب الخامس في آداب التعلم والمعلم أما التعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم بخاريجها عشر جمل)	٥ (كتاب العلم وفيه سبعة أبواب)
٥٥ بيان وظائف المرشد المعلم	(الباب الأول في فضل العلم والتعليم والتعلم)
٥٨ (الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء)	وشواهد من النقل والعقل
٨٢ (الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته وقسمه)	٩ قضية العلم
٨٢ بيان شرف العقل	٩ قضية التعلم
٨٤ بيان حقيقة العقل وأقسامه	١٠ قضية التعليم
٨٧ بيان تفاوت النفوس في العقل	١٣ في الشواهد العقلية
٨٩ (كتاب قواعد العقائد)	١٤ (الباب الثاني في العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أي حد هو وتفضيل علم الآخرة)
وفي أربعة فصول	١٤ بيان العلم الذي هو فرض عين
٨٩ الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلتي الشهادة الخ	١٧ بيان العلم الذي هو فرض كفاية
٩٣ الفصل الثاني في وجه التدرج إلى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد	٢٩ (الباب الثالث فيها يمدد العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي قد يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل أسامي العلوم وهو العقل والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها)
١٠٤ الفصل الثالث من كتاب قواعد العقائد في لوازم الأدلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس وفيها أركان أربعة	٢٩ بيان علم ذم العلم المذموم
	٣٢ بيان ما يدل من ألقاظ العلوم
	٣٩ بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

صفحة	صفحة
١٣٤ قضية الوضوء	١٠٤ فأما الركن الأول من أركان الإيمان في
١٣٥ كيفية القل	معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وأن الله
١٣٥ كيفية التيمم	تعالى واحد ومداره على عشرة أصول
١٣٦ القسم الثالث في النظافة والتطيف من	١٠٨ الركن الثاني السلم بصفات الله تعالى
الفضلات الظاهرة وهي نوعان : أوساخ	ومداره على عشرة أصول
وأجزاء	١١٠ الركن الثالث السلم بأفعال الله تعالى
١٣٦ التسوع الأول الأوساخ والرطوبات	ومداره على عشرة أصول
للترعة وهي ثمانية	١١٣ الركن الرابع في السمعات وتصديقه
١٣٩ النوع الثاني فيما يحدث في البدن من	على الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره
الأجزاء وهي ثمانية	على عشرة أصول
١٤٥ (كتاب أسرار الصلاة ومهمات)	١١٥ الفصل الرابع في الإيمان والإسلام وما
وفيه سبعة أبواب	بينهما من الاتصال والاتصال وما يتطرق
١٤٥ (الباب الأول في فضائل الصلاة والسجود	إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء
والجماعة والأذان وغيرها)	السلف فيه وفيه ثلاث مسائل
قضية الأذان	١١٥ مسألة اختلفوا في أن الإسلام هو الإيمان
١٤٦ قضية للكتوبة	أو غيره الخ
١٤٧ قضية إتمام الأركان	١١٩ مسألة فإن قلت قد اتفق السلف على
١٤٨ قضية الجماعة	أن الإيمان يزيد وينقص الخ
١٤٩ قضية السجود	١٢١ مسألة فإن قلت ما وجه قول السلف أنا
قضية الحشوع	مؤمن إن شاء الخ
١٥١ قضية للسجد ومؤنخ الصلاة	١٢٤ (كتاب أسرار الطهارة)
١٥٢ (الباب الثاني في كيفية الأعمال الظاهرة	وهو الكتاب الثالث من ربيع العبادات
من الصلاة والبدانة بالكبير وما قبله)	١٢٧ القسم الأول في طهارة الحث والنظر
١٥٤ القراءة	فبقره يتعلق بالزوال والزال به والأزالة
الركوع ولواحه	١٢٧ الطرف الأول في الزوال
السجود	١٢٨ الطرف الثاني في الزوال به
١٥٥ التشهد	١٢٩ الطرف الثالث في كيفية الأزالة
١٥٦ للتيات	١٣٠ القسم الثاني طهارة الأحداث ومنها
١٥٨ نميز القرائن والنسخ	الوضوء والتسل والتيمم وضمنها
١٥٩ (الباب الثالث في الشروط الباطنة من	الاستنجاء
أعمال القلب الخ)	١٣٠ (باب آداب قضاء الحاجة)
١٥٩ بيان لغزائط الحشوع وحضور القلب	١٣١ كيفية الاستنجاء
	١٣١ كيفية الوضوء

صفحة	صفحة
٢١٠ الفصل الأول في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها	١٦١ بيان للمعانى الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة
٢١٠ النوع الأول زكاة النعم	١٦٣ بيان للدواء النافع في حضور القلب
٢١١ النوع الثاني زكاة للمعسر	١٦٥ بيان لفصل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة
النوع الثالث زكاة للتقديس	١٧١ حكايات وأخبار في صلاة الخاضعين رضي الله عنهم
النوع الرابع زكاة التجارة	١٧٣ (الباب الرابع في الإمامة والقدوة الخ)
٢١٢ النوع الخامس الركاز والعدن	١٧٨ (الباب الخامس في فضل الجملة وآدابها وستها وشروطها)
النوع السادس في صدقة القطر	١٧٨ فنية الجملة
الفصل الثاني في الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة	١٧٩ بيان شروط الجملة
٢١٤ بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة	١٨٠ وأما السنن الخ
للموظفة الأولى أي من الوظائف التي هي مريد طريق الآخرة فهم وجوب الزكاة الخ	١٨٠ بيان آداب الجملة على ترتيب العادة وهي عشر جل
٢١٥ الوظيفة الثانية في وقت الأداء	١٨٥ بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يعم جميع التمارين وهي سبعة أمور
٢١٦ الوظيفة الثالثة الإسرار	١٨٩ (الباب السادس في محال متفرقة تتم بها البلوى ويحتاج للبريد إلى معرفتها)
الوظيفة الرابعة أن يظهر حيث يعلم أن في إظهاره ترغيباً للناس الخ	١٩٣ (الباب السابع في النوازل من الصلوات وفي أربعة أقسام)
٢١٧ الوظيفة الخامسة أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى	١٩٣ القسم الأول ما يتكرر بتكرار الأيام والليالي وهي ثمانية
٢١٨ الوظيفة السادسة أن يستنصر العلية	١٩٨ القسم الثاني ما يتكرر بتكرار الأسابيع
٢١٩ الوظيفة السابعة أن يتفق من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيه	٢٠١ القسم الثالث ما يتكرر بتكرار السنين
الوظيفة الثامنة أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة الخ	٢٠٤ القسم الرابع من النوازل ما يتعلق بأسباب مخرضة ولا يتعلق بالمواقف وهي ثمانية
٢٢١ الفصل الثالث في القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه	٢٠٥ (كتاب أسرار الزكاة وفيه أربعة فصول)
٢٢٣ بيان أسباب الاستحقاق	
٢٢٣ بيان وظائف القابض	
٢٢٦ الفصل الرابع في صدقة التطوع وفصلها وآداب أخذها وإعطائها	
٢٢٧ بيان فنية الصدقة	
٢٢٧ بيان إخفاء الصدقة وإظهارها	
٢٣٠ بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة	

صفحة	صفحة
٢٥٦	٢٣١ (كتاب أسرار الصوم)
الوقوف من البيت والرمى والنحر	وفيه ثلاثة فصول
والخلق والطواف	٢٣٣ الفصل الأول في الواجبات والسنن
٢٥٨	الظاهرة والقوازم بافساده
الجملة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها	أما الواجبات الظاهرة فسته
إلى طواف الوداع	٢٣٤ لوازم الإفطار أربعة
٢٥٩	٢٣٥ الفصل الثاني في أسرار الصوم
الجملة التاسعة في طواف الوداع	وشروطه الباطنة
الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها	٢٣٧ الفصل الثالث في التعاوع بالصيام
٢٦٢ فصل في سنن الرجوع من السفر	وترتيب الأوراد فيه
٢٦٣ (الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال	٢٤٠ (كتاب أسرار الحج)
الباطنة)	وفيه ثلاثة أبواب :
بيان دقائق الآداب وهي عشرة	(الباب الأول وفيه فصلان)
٢٦٧ بيان الأعمال الباطنة ووجه الإخلاص	الفصل الأول في فضائل الحج وفضيلة
في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد	البيت ومكة وللمدينة حرسهما الله تعالى
الشريعة وكيفية الانتكار فيها والتذكر	وشد الرحال إلى للساجد
لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره	٢٤٠ فضيلة الحج
٢٧٣ (كتاب آداب تلاوة القرآن)	٢٤٢ فضيلة البيت ومكة للشفرة
وفيه أربعة أبواب :	٢٤٤ فضيلة القيام بمكة حرسها الله تعالى وكرامته
٢٧٣ (الباب الأول في فضل القرآن وأهله	فضيلة للمدينة الشريفة على سائر البلاد
وذم القصرين في تلاوته)	٢٤٦ الفصل الثاني في شروط وجوب الحج
٢٧٣ فضيلة القرآن	وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته
٢٧٥ في ذم تلاوة القائلين	٢٤٧ (الباب الثاني في ترتيب الأعمال الظاهرة
٢٧٦ (الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة	من أول السفر إلى الرجوع وهي عشرة حمل
وهي عشرة)	٢٤٧ الجملة الأولى في السير من أول الخروج
٢٨١ (الباب الثالث في أعمال الباطن في	إلى الإحرام وهي ثمانية
التلاوة وهي عشرة)	٢٤٨ الجملة الثانية في آداب الإحرام من
٢٩٠ (الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره	للبيات إلى دخول مكة وهي خمسة
بالرأى من غير نقل)	٢٥٠ الجملة الثالثة في آداب دخول مكة إلى
٢٩٥ (كتاب الأذكار والدعوات)	الطواف وهي ستة
وفيه خمسة أبواب :	٢٥١ الجملة الرابعة في الطواف الح
٢٩٥ (الباب الأول في فضيلة الذكر وقامته	٢٥٣ الجملة الخامسة في السعي
على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار	٢٥٤ الجملة السادسة في الوقوف وما قبله
والآثار)	
٢٩٧ فضيلة مجالس الذكر	

صفحة	صفحة
٣٢١ (الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أسعابه رضي الله عنهم محدوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طاب السكي وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله)	٢٩٨ فضية التهليل
٣٢٤ أنواع الاستعاذة للمأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم	٣٠٠ فضية التسبيح والتحميد وقيمة الأذكار
٣٢٦ (الباب الخامس في الأدعية للمأثورة عند حدوث كل حدث من الحوادث)	٣٠٥ (الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية للمأثورة وفضية الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم)
٣٣٣ (كتاب ترتيب الأوراد وتخصيل إحياء الليل) وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام ربع العبادات . وفيه بابان :	٣٠٥ فضية الدعاء
٣٣٤ (الباب الأول في فضية الأوراد وترتيبها وأحكامها)	٣٠٦ آداب الدعاء وهي عشرة
٣٣٤ فضية الأوراد ويان أن للواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى	٣١١ فضية الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضلها
٣٣٥ يان أعداد الأوراد وترتيبها	٣١٣ فضية الاستغفار
٣٤٥ يان أوراد الليل وهي خمسة	٣١٦ (الباب الثالث في أدعية مأثورة وبمعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها المرء صباحا ومساء وبقب كل صلاة)
٣٥٣ يان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال	٣١٧ دعاء عائشة رضي الله عنها
٣٥٧ (الباب الثاني في الأسباب للبيرة قيام الليل وفي الليالي التي يستحب إحيائها وفي فضية إحياء الليل وما بين العشائين وكيفية قسمة الليل)	دعاء فاطمة رضي الله عنها
٣٥٧ فضية إحياء ما بين العشاءين .	دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٣٥٨ فضية قيام الليل	٣١٨ دعاء بريدة الأسلمي رضي الله عنه
٣٦٢ يان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل	دعاء قيس بن الحارث
٣٧٠ يان طرق القسمة لأجزاء الليل	دعاء أبي المرداء رضي الله عنه
٣٧٢ يان الليالي والأهم الفاضلة	دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام
	دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم
	٣١٩ دعاء الخضر عليه السلام
	دعاء معروف الكرخي رضي الله عنه
	دعاء عتبة القلام
	دعاء آدم عليه الصلاة والسلام
	دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه
	٣٢٠ دعاء ابن القنبر وهو سليمان التيمي وتسيحاته رضي عنه
	دعاء إبراهيم بن آدم رضي الله عنه

فهرس

ماهامش الجزء الأول من إحياء علوم الدين

صفحة	صفحة
١١١	٢ - ١ كتاب
١١٨ (فصل) في بيان أصناف أهل الاعتقاد	لغرض إحياء فضائل الإحياء
١٢٧ (فصل) لما كان الاعتقاد المجرد عن العلم	٢ خطبة الكتاب
بصحة ضيفا وغرد من العرفة قريبا الخ	٤ للتقدمة في عنوان الكتاب
١٢٨ بيان أرباب للرربة الثالثة وهو توحيد	٨ للتقدم في فضل الكتاب وبعض للدائع
للقرب	والثناء من الأكابر عليه والجواب عما
١٤٤ بيان للرربة الرابعة وهو توحيد الصديقين	استشكل منه وطعن بسببه فيه
١٤٩ (فصل) في معنى إنشاء سر الربوبية كفر	١٦ (فصل) فيمن أوفى على الإحياء من العلماء
وغير ذلك	الأعلام
١٥٧ (فصل) في معنى قاطع الطريق	٣٠ (فصل) في بيان للواضع التي استشكل فيها
١٥٧ (فصل) في معنى فاستمع لما يوحى	على الإحياء والجواب عنها
١٦٩ (فصل) في معنى ولا يتخطى رقاب الصديقين	٣٤ (خاتمة) في الإشارة إلى ترجمة الامام التتالي
١٧٠ (فصل) في معنى انصراف السالك الناظر	وسبب رجوعه إلى طريقة الصوفية
بعد وصوله إلى ذلك الرقبى الأعلى	رضى الله عنهم
١٧١ (فصل) في معنى ليس في الإمكان أبدع من	٥٥ ٣ - ٢ كتاب
سورة هذا العالم الخ	الإيملاء في اشكالات الإحياء
١٧٥ (فصل) في بيان أن خطاب العقلاء	خطبة الكتاب
للعبادات غير مستنكر	٦٠ ذكر مراسم الأستة في الكل
١٨٤ (فصل) في الفرق بين العلم المحسوس في عالم	٦٥ مقدمة في الألفاظ للمتمة
الملك ، وبين العلم الالهي في عالم الملكوت	٧٩ وصية لطالب العلوم والناظر في التصانيف
١٨٧ (فصل) في حد عالم الملك	وللستعرف على كلام الناس وكتب
١٨٧ (فصل) في معنى أن الله خلق آدم على صورته	الحكمة
١٩٣ سؤال في بيان معنى قول سهل رحمه الله	٨٦ ابتداء الأجوبة عن مراسم الأستة
الالهية سر لو انكشف بطلت النبوات ،	٩٤ بيان مقام أهل النطق المجرد وتميز فرقهم
والنبوات سر لو انكشف بطل العلم ،	٩٩ (فصل) في بيان اللفظ للنبي عن التوحيد
والعلم سر لو انكشف بطلت الأحكام	١٠٠ (فصل) فان قلت لما الذي صد هؤلاء
١٩٧ (فصل) في حكم هذه العلوم المكتوبة في	الأصناف الثلاثة من أهل النطق عن
الطلب ، وسلوك هذه القلعت ، ورفق	النظر ، والبحث حتى تعلموا ، أو عن الاعتقاد
هذه المراتج ، واستنهاهم هذه القاطبات	حتى تخلصوا من عذاب الله الخ

صفحة	صفحة
٢٥٧ (الباب الثالث في بيان قضية علوم الصوفية والإشارة إلى أعرف منها)	١٩٩ (فصل) لأي شيء ذكرت هذه العلوم
٢٩٦ (الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طرقهم)	بالاشارات دون العبارات ، وبالرموز
٣١١ (الباب الخامس في ماهية الصوف)	دون التصريحات ، وبالتشابه من الألفاظ
٢٥٠ (الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم)	دون الحكايات
٣٣٩ (الباب السابع في ذكر التصوف وللتنبه به)	٢٠٣ ٣ - (كتاب عوارف المعارف)
٣٥٣ (الباب الثامن في ذكر اللامق وشرح حاله)	خطبة الكتاب
	٢١٥ (الباب الأول في ذكر منشأ علوم الصوفية)
	٢٢٣ (الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع)